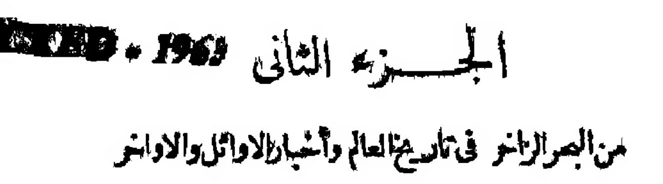
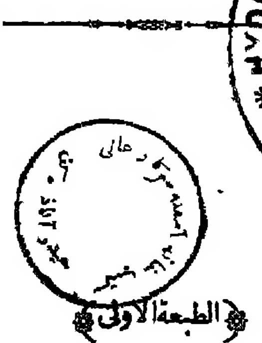


الجـــزء الثانى

من البحر الزاخر فى تاريخ العالم وأخبار الاوائل والاواخر

تأليف

الهمام البارع والعالم النافع المرحوم محمود فهمى المهندس
المتوفى بجزيرة سيلان فى شهر ذى الحجة سنة ١٣١١ هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام



الطبعة الاولى

بالمطبعة الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣١٢

هجريه





الكتاب الحادى عشر

تاريخ مملكة فارس الاخيرة

الباب الاول

من ابتداء سقوط المملكة الفارطية الى الوقت الحاضر

امتداد المملكة الاخيرة وموقعها ـ رمى الفرس النير الفارطى وتشييد استقلاليتهم ـ سلطنة أردشير بابكان ـ اعادته الدين المجوسى ـ سلطنتى الاثنين سابور ـ بهرام الخامس ـ خسرو أنوشروان ـ سلطنته الكبيرة ـ الصلح الذى لانهاية له ـ فتوحات ملك الفرس ـ اغتصاب خسرو أبرويز الاقاليم الاسياوية والافريقية من المملكة الرومانية ـ أبهة ديوانه ومجده ـ نبأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ السنى الاخيرة لخسرو ـ عاقبته ـ صيرورة شيرويه ملكا ـ تغلب العرب ـ ابادة الدين المجوسى ـ صيرورة فارس محمدية ـ عود استقلالية فارس بواسطة الصفار ـ تغلب الاتراك السلجوقية على المملكة ـ طغرول بك ـ سلطنة ملكشاه ـ تغلب التتار ـ اقامة المملكة الوطنية بواسطة اسماعيل ـ سلطنة عباس ـ تغلب الافغانية على فارس ـ طرد نادر شاه الافغانية وعودة المملكة ـ سلطنته ـ أغا محمد خان ـ خلفاؤه ـ حروب مع الروسيا ـ جلوس نصر الدين ـ حرب مع انكلترا ـ زيارة الشاه أوروبا

ماذكرناه في الكتاب التاسع والكتاب العاشر من وصف مملكة فارس القديمة وان كان كافي الايضاح الا أنه يلزمنا أن نشرح مملكة فارس الجديدة على حسب تقسيماتها الموجودة هي الان عليها فنقول انه لاريب في أن مملكة الفرس هي احدى الممالك العظيمة المشهورة التي كانت أينعت وأزهرت في الشرق وكابدت عدة انقلابات وأدوار متوالية غير متعادلة مع بعضها في مدة تنوف عن ألفين وسبعمائة سنة من ابتداء وجودها في عالم الدنيا الى وقتنا هذا بكونها وقعت في مخالب الاعداء الغريبة وألعوبة في يد ثوراتها الداخلية وما زالت من مدة وجودها لا تخضع للحكم المطلق الاستبدادي فتارة ترتفع الى أعلى ذروة مجدها وتارة تغرق في مهاوي ذلها وكانت من قديم الزمان امامة الملوك اسيا الغربية واما ميدان حرب تتخاصم فيه الملوك من أجل التاج الشرقي وأما سبب تسميتها فارس فهو غير معلوم لاهلها الذين قالوا ان اقليم اسيا المحصور بين نهري الدجلة وجيحون يسمى باسم ايران ابن ملكهم المشم ورفريدون فعلى حسب ما رووه ان ذاك الملك من بعد أن تسلطن مدة طويلة في أبهة واجلال قسم ممالكه بين أولاده الثلاث فاعطى يسلم أو شرم جميع الممالك المسماة الآن تركية اسيا وأعطى لطور أو طوج السهول المجدبة الشاسعة من بلاد التتار عافيها من جميع الاراضي الكائنة من وراء نهر جيحون المسماة عند الفرس باسم طوران وأعطى ما بقي من الاراضي لابنه الاصغر إيرج وكان يحبه زيادة عن اخوته

واسمها القديم المذكور في التوراة عيلام الا انه يحتمل أن سلطنة عيلام كان داخلا فيها قسم صغير من فارس محصور في السوس أو خوزستان الان ولورستان مع قطعة من الاقليم المجاور له الواقع على نهر الدجلة وأما ما ذكر في التوراة من اسم فاراس وما سماه الجريق باسم فارسيس وما سمي في الازمان الاخيرة باسم فارس فهو جميعه مشتق من فرس وهو اسم لاحدى الايالات أو الاقسام الجنوبية

وأما حدودها الطبيعية فهي واقعة الان في الجهة الغربية من اسيا بين عرض ٣٠َ ٢٥° و ٥٠َ ٣٠° من العرض الشمالي وبين ٤٤° و ٦٢° من الطول الشرقي وطولها الاكبر من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ١٤٠٠ ميل وعرضها الاكبر من الشمال الى الجنوب ٩٠٠ ميل ومساحتها ٦٢٨٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها ٧٦٥٠٠٠٠ نفس وربع هذا العدد من الجنس الفارسي الصافي يسكنون في الغالب المدائن والباقي ترك ويهود وكرد وقبائل أخرى رحالة نزالة

وتحدد فارس من الجهة الشمالية بتركستان وبحر الخزر وما وراء جبال قوقازة ومن جهة الغرب بتركية اسيا ومن جهة الجنوب بالخليج الفارسي ومن جهة الشرق بالافغان والبلوجستان وهي محدودة من الجهة الجنوبية بالمحيط الهندي والخليج الفارسي وبنهر الدجلة في الجهة الجنوبية الغربية والجهة الغربية وبنهر عراس في الجهة الشمالية ويفصلها من آرمينية وجورجستان وبحر الخزر وخط غير محدود في الصحراء يفصل خراسان فارس من واحات خوارزم وأراضي بخارى وبلخ وفي الشرق توجد حدود غير معروفة داخل فيها اقليم هراة واقليم سيستان وبلوجستان مختلطة مع جبال أفغانستان والحقيقة ان اقليم قاين وصفه بعض الجغرافيين بانه من فارس ويمتد الى جهة الشرق الى أطوق حتى يتصل بالهند

وتنقسم مملكة فارس الى احد عشر اقليما هي اقليم فرس ومدائنه شيراز وبشير ولارستان ومدينة لار واقليم خوزستان ومدائنه شاستير وديزقول واقليم عراق العجم ومدائنه طهران وأصفهان وهمذان

واقليم أذربيجان ومدينته تبريز واقليم غيلان ومدينته رشت واقليم مازندران ومدائنه سارى وبلفروش واقليم خراسان ومدينته مشهد واقليم كرمان ومدائنه كرمان وجوسبدرن ولوريستان ومدينته خورامابادو اقليم سيستان ومدينته شيلاولاومكران

فاما اقليم فارس أو فارسيس عند القدماء فهو محدود من جهة الجنوب بالخليج الفارسى ومن جهة الشرق بكرمان ولوريستان ومن جهة الغرب بخوزستان ومن جهة الشمال بالعراق العجمى والجهات الشرقية منه رملية وخالية عن الجهات الشمالية والشمالية الغربية وهذه الجهات الاخيرة تشتمل على نفوس وعمران أقل من الجهات الاولى وعاصمة قسم فارس مدينة شيراز المشهورة وكانت أجل مدن فارس قبل الفتح الاسلامى وذكر ابن حوقل أن الذى أسسها أخو الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق فى سنة ٧٤ من الهجرة ونسب بعضهم بناءها الى طهمورث أو الى ملك يسمى فرس حفيد نوح عليه السلام ومقدار أهلها الآن ٤٠٠٠٠ نفس وهى أصل مركز السلطنة الفارسية جيدة المناخ خصبة الارض مركز تجارة كبيرة وتشتمل على ١٠٠٠٠ بيت وأطلالها ممتدة نحو ميلين وبها ٣٨ محلة و ٣٠٠ مسجد و ٢٠٠ حمام ومعظم مبانيها فى حالة الشيخوخة والقدم ودائرها فرسخان وهى ضيقة الشوارع والحارات قذرتها ويصعب المشى فى شوارعها وقت فصل الامطار وبها سوق تحت قبوات وعقود طوله نحو ميل بناه كريم الدين خان زند وعرض هذا السوق ٤٠ قدما يحتوى على مئات من الدكاكين وبها مسجد جامع كبير وبها قبر السعد والحافظ الشيرازى ويوجد فى فارس عدة مدائن كثيرة منها اصطخر وكانت فى السابق عاصمة المملكة وهى مبنية على أطلال فرسفوليس القديمة ومدينة داراجرد وفيروزاباد فالاولى بها من السكان نحو ١٥٠٠٠ نفس والثانية ٣٠٠٠ نفس وفيروزاباد مشهورة بأن الذى أسسها هو أردشير بابكان أول الملوك الساسانية ولحد الآن يوجد فى ضواحيها آثار عائلته

وأما لوريستان فكانت فى السابق مملكة مستقلة وهى الآن صحراء جافة عبارة عن جبال حجرية وأودية رملية مجدبة متباينة السطح ومع هذا فانه يوجد فى محال مختلفة منها شجر البرتقان والرمان ونخل البلح ينبت فيها وعاصمة هذا القسم مدينة لور وبها ٢٠٠ بيت مصنوع غالبها من أفلاق النخل وعمل فيها شاه عباس سوقا عظيما وهذا هو الجهة المحلى بها المدينة ومينة كو ويخون سكانها ٦٠٠٠ نفس وبها مينة عظيمة يرسو فيها بعض المراكب الكبيرة الآن ساحلها مشحون بقطاع الطريق من العرب وأما خوزستان وهى السوس القديمة فهى واقعة فى الجهة الشمالية الغربية من فارس وعلى الشاطئ الشمالى لنهر الدجلة وتنقسم الى كورتين مختلفتان فى الوصف والمناخ فالاولى تمتد من سواحل الخليج الفارسى الى الجبال والتلال الممتدة لوادى رامهرمز الكثير الخصوبة ومن شواطئ نهر التاب الى مصب نهر قارون وابرزال ويسمى اقليم الشاب ومدينة الدورق الموجودة على شط نهر الجافر وهو فرع من نهر قارون مصنوعة من أخصاص من أفلاق النخل وتعداد أهلها من ٧٠٠٠ الى ٨٠٠٠ نفس وهذا القسم تحت حكومة رئيس من العرب وأما الكورة الشمالية فانها تشكل حكومة شاستر وهى تحت مباشرة واحد بكلربك ولا تشتمل هذه الكورة على القسم الاعظم من خوزستان فقط بل وعلى أعظم قسم يخرج منه أجود المحصولات فى المملكة الفارسية ويسقى بأربعة أنهار كبيرة نهر قارون ونهر ابرال وقرهصو وشط هود وهذه غير غدران صغيرة ومجار طويلة وأرضها جيدة الخصوبة وهى

اشوان

أشوان حبوب فارس و ينبت فيها القطن والارز والحبوب بمحصولات مختلفة ومدينتا شاستر ودزفول هما المدينتان الرئيستان فى خوزستان فى القسم الجنوبى الغربى من مملكة فارس بهما التجارة عظيمة نوعا وشاستر واقعة على نهر قارون وكذا مدينة المحمرة واقعة فى ملتقى نهر قارون بنهر الفرات وهذه المدينة تقدمت فى تجارتها من عهد حديث وتعداد سكان مدينة شاستر ١٥٠٠٠ نفس ومساكنها مبنية من الحجر وشوارعها ضيقة قذرة وقيل ان الذى بناها سابور الاول

وأما العراق أو عراق العجم المشتمل على القسم الاعظم من ميديا القديمة وفارطية فهو أوسع وأعظم وأجود أقاليم المملكة الفارسية وبه خلاف عاصمته أصبهان الاخيرة جملة مدائن ظريفة فى المملكة وجميع هيآت جهاته واحدة وعمومه جبلى وطول وديانه كبير جدا وان كان عرضها لا يزيد عن عشرة أميال وجباله عقيمة خالية من أخشاب الصناعة وتجرى هذه الجبال بصور مختلفة من الغرب الى الشرق وتختفى فى الصحراء ويخرج منها فروع تجرى فى داخل كرمان وخراسان وعموم الوديان غير قابل للزراعة ما عدا ضواحى القرى والمدن مع أن أراضيها جيدة صالحة لاستخراج واستغلال محصولات وافرة

وكانت أصبهان فى السابق مقر سلطنة العائلة الصوفية وكانت ذات أبهة وجلالة وأجل عواصم الشرق وكائنة على نهر زندرود الآخذ منبعه من كوه زردا والجبل الاصفر وأسوارها مبنية من الطين ودائرها أربعة وعشرون ميلا ومحاطة بمساكن و بساتين حتى لا تكاد ترى وبها ٣٨٢٤٩ بيت جميعها مسكونة منها ٢٩٤٦٩ بيت داخل المدينة ٨٧٨٠ خارج دائرها ومن هذه الابنية ١٦٢ مسجدا و ٤٨ مدرسة و ١٨٠٢ خان و ٢٧٣ حماما وكان تعداد أهلها من ٦٠٠٠٠٠ نفس الى ١١٠٠٠٠٠ نفس وكان الفرس يزعمون أنه لا يوجد مدينة فى الدنيا تعادل أصبهان فى العظمة والسعة ويقولون أصفهان نصف جهان است يعنى أصبهان نصف الدنيا وهذه الالفاظ لحد الآن فى أفمامهم والآن خلت أصبهان من أبهتها وجلالتها لما وقع عليها من تقلبات أدوار السلب والنهب والقتل والحكم وصار تعداد سكانها ٦٠٠٠٠ نفس الآن وهى أجل موقع تجارى

وأما السهل الموجود فيه مدينة طهران عاصمة المملكة الفارسية فهو قليل الاهمية وهو سهل مجدب قحل خالى المزارع والاشجار ولا تنبت فيه الخضرة الا فى فصل الربيع ونفس طهران لا تستحق الذكر الا لكونها دار الملك ودائرها أربعة أميال محيطة بسور من الطين محفوظ بعدة أبراج وخندق جاف ولا يوجد بها أبنية فاخرة الا سراى الشاه وأسواقها مشحونة بالبضائع وبها الجوامع والمكاتب والمدارس والخانات وتعداد أهلها نحو من ١٠٠٠٠٠ الى ١٥٠٠٠٠ نفس وسبب اختيار الملك هذا المحل الحقير أن يكون دار الملك لكونه قريبا من مازوندران واستراباذ بلاد أهله وعائلته وبها كثير من البساتين والمساكن الخلوية المعدودة للملك وقت تنزهه من محل الى آخر الا أنه قبل حلول حرارة الصيف يجمع جيشه و يعسكر فى سهول مدينة سلطانية

ويوجد فى ضواحى طهران أطلال وخربات مدينة ارها القديمة التى كانت معاصرة لنينوى وهمدان وكانت مشهورة فى حالة وجودها بأنها ميدان لوقائع عظيمة حصلت بها ووقف اسكندر بجيشه عندها خمسة أيام وهو معقب دارا وكانت عاصمة الملوك الفارطية ومسقط رأس الخليفة هارون الرشيد ومن

طهران بمسافة ستة وتسعين ميلا مدينة قاشان بناها ساورذو الاكتاف وكانت قبل سلطنة شاه عباس مقر سلطنة العائلة الصوفية وهي احدى المدن التجارية الكبيرة في فارس وعلى مسافة ستة وثمانين ميلا من الجهة الغربية يوجد مدينة سلطانية وكانت في السابق مدينة كبيرة وهي الآن قرية صغيرة كائنة في سهل واسع يمتلئ في فصل الصيف بخيام وأخصاص العساكر الملوكية المضروبة حول سراى الملك وبها قبر السلطان محمد خداوند أخي غازان خان المشهور وهو بناء جليل من الطوب وفي هذه الجهات أيضا مدينة همذان وكرمانشاه فأما مدينة همذان فهي واقعة في ذيل جبل الوند وكان اسمها في السابق أكباتان عند الجريق وكانت من أعظم مدائن الشرق خربها تيمور شاه وقت غاراته على فارس ثم حازت أبهتها ومجدها بعد ذلك والآن هي عبارة عن مجمع مساكن مبنية من الطوب والطين وبها قبر الفيلسوف ابن سينا وتعداد أهلها نحو من ٥٠٠٠٠ نفس وأما مدينة كرمانشاه فهي مدينة صغيرة تشتمل على ١٥٠٠٠ عائلة محلاة ببعض أبنية عمومية ظريفة

ويوجد بين كرمانشاه وأصفهان كورة لورستان وهي مشتملة على النواحي الاكثر خصوبة من العراق الفارسي وهذه الجهة وان كانت محتلة ببطون رحالة من قبائل لالك وفيلي وبختياري غير أنها قليلة الزراعة ووديانها مشحونة بخيامهم السود وبها قليل جدا من القرى ولا يوجد الا مدينة كروماباد وهي مدينة قديمة وهي الآن عاصمة رئيس بطون قبائل الفيلي ويوجد في الشمال الشرقي حصار وبروجرد ونهاوند وفي مدينة نهاوند كانت الواقعة الفاصلة بين الفرس أتباع زردشت والمسلمين أتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والجنس الاخير الساساني الذي كان حاملا للبيرق العراقي القديم غرق أمام البيارق وعلامات النصر الخضر التي كانت مرفوعة أمام المغيرين عليه

ويعتبر اقليم يزد بأنه مبادي العراق لانه في الحقيقة قسم أو جهة من خراسان وهو واحة في صحراء واسعة واصلة من جبال البورز الى كرمان ومدينة يزدجرد واقعة في سهل رملي مشحون بتلال جبلية وهو قليل العمران من السكان ويوجد فيه عدة مدن وقرى منتشرة الى جهة أصبهان ومع ما كان عليه هذا الاقليم من جفاف الارض فانه يخرج منه محصولات جيدة مثل الحرير والحبوب الا أنها ليست كافية بشيء ومع كون مدينة يزدجرد خالية من الفوائد والمنافع الا أنها معدودة من ضمن المدائن العظيمة في مملكة فارس بالنظر لتجارتها ومشغولاتها وهي احدى المراكز التجارية المشهورة بين الشرق والغرب وتتقابل فيها القوافل الواردة من قاين وكشمير وبخارى وهراة ومشهد وكرمان مع التجار الواردين من أصبهان وشيراز وقاشان وطهران ويتبادلون تجاراتهم مع بعضهم وبها من السكان نحو من ٥٠٠٠٠ نفس من ضمنها ٣٠٠٠ نفس جبرية أو مجوس

وأما اقليم أذربيجان الواقع في حدود فارس فانه عظيم جيد الخصوبة ومفصول من أرمينية من جهة الشمال بنهر عراس ومن العراق بقزل أوزون ويحده من الجهة الشمالية الشرقية بحر الخزر وغيلان ومن الجهة الجنوبية كوردستان وداخل في هذا الاقليم اروان وقره بوق وقره طاغ ومنقسم الى اثنتي عشرة كورة وعاصمته تبريز وأهلها الآن ١٦٥٠٠٠ وكانت الموقع المحبوب لهارون الرشيد وقيل ان الذي أسس هذه المدينة زوجته زبيدة وهذا الاقليم أحد الاقاليم الكثيرة المحصولات في المملكة الفارسية ويوجد في هذا الاقليم بحيرة شاهي أو أرمينية ذات المياه المالحة ودائر هذه البحيرة ٣٠٠ ميل وهي محاطة بجبال وأودية كانت في السابق خصبة جيدة الزراعة وكان في ضواحيها عدة مدائن

منها

منها مدينة مراغة كانت مقر سلطنة هولاكوخان ودفن فيها مع زوجته وكان اقليم أذربيجان في الاصل مركز جميع مذاهب العبادة التي كانت جارية في مملكة فارس ولم يزل به مغارات وكهوف ومحاريب مثل الكهوف الهندية وبالقرب من هذه البحيرة قرية ظابرنه التي هي مسقط رأس زردشت نبي المجوس

ويوجد في الجهة الشمالية من بحيرة شاهي كورتان ظريفتان وهما موزند وخوى واقليم خوى خصب جيد الزراعة ومدينة خوى من أعظم مدن فارس وبها ٣٠٠٠٠ نفس وسهل هذا الاقليم مشهور بكونه كان ميدان محاربة مهولة حصلت بين الشاه اسماعيل وسليم الاول العثماني

ويشتمل القسم الشمالي الشرقي من أذربيجان على جهات الخلخال ومسكين وأردبيل ومدينة أردبيل كانت مشهورة بكونها وطن العائلة الملوكية الصوفية وبها قبر الشيخ الصوفي وقبر الشاه اسماعيل وكان يوجد بها ٣٠٠ خان و ٢٥٠٠ مسجد وتعداد أهلها ٥٠٠٠٠ نفس الا أنها خربت وعضها الدهر بنابه وصارت الآن قليلة العمران والسكان

ويتبع اقليم أذربيجان ثلاث جهات وهي غيلان ومازندران واستراباذ فعاصمة غيلان وهي مملكة غيلي القديمة مدينة ريشت ومدينة بلفروش واقعتين في داخل السهول الحارة المنخفضة المجاورة لبحر الخزر وبها من السكان من ستين ألف نفس الى ٨٠٠٠٠ نفس ولها تجارة عظيمة واسعة في صنف الحرير وأصناف أخر وأسواقها كبيرة نظيفة وأما مازندران وهي هرقانية القديمة فهي أقل من غيلان في المحصولات الا أنها أكثر شهرة ومدنها الاصلية سارى وعمول وبلفروش ومدينة سارى هي العاصمة وأسوارها أى أسوار مدينة سارى مبنية من الطين وعليها أبراج مربعة الشكل مبنية من الطوب ودائرها ينوف عن ميلين ولا تزيد سكانها عن ٤٠٠٠٠ نفس وبها قبر حسام الدولة أحد العائلة الديلمية وكذا مدينة عمول مشهورة بمقام السيد قوام الدين وهو ملك ناسك من مازندران ظهر في القرن الثامن من الهجرة وشيد مقامه شاه عباس وسكان عمول مثل سكان سارى الا أنهم يذهبون في فصل الصيف الى مساكن لهم في الجبال وأما بلفروش فانها مدينة تجارية أهلها مشغولون بالتجارة خاصة ولا يوجد بها خانات ولا مبان مزخرفة وتعداد أهلها غير محقق

وأما اقليم استراباذ فانه صغير ومفصول من خراسان من جهة الجنوب بجبال البورز ومن جهة الشمال ببحر الخزر والصحراء الواسعة الى سواحله وعاصمته مدينة استراباذ وعلى ما قيل ان الذى بناها يزيد بن محلوب وهو قائد عربي كان ظهر في القرن الاول من الهجرة ودائرها ثلاثة أميال ونصف ومحفوفة بآثار أسوار عريضة وشوارعها مبلطة عموما وسوقها واسع الا أنه قليل التجارة ويوجد على مسافة ستة أميال منها الاشرف مقر عباس شاه والقسم الشرقي من استراباذ يسمى جورجان وهو سهل بعضه أورمانات وبعضه مستور بالكلا والحشائش ويسقى بعدة غدران صغيرة وكان في السابق كثير العمران الا ان التركمان خربوه وهو الآن ميدان لرعى مواشيهم وأنعامهم

وكان اقليم خراسان الشاسع في الازمان القديمة مقر مملكة عظيمة غنية بالرجال والزراعة وهي في هذه الايام سهول مخلخلة متوالية لا نهاية لها مجدبة قليلة العمران مفصولة عن بعضها بجبال ويوجد بها مدائن كثيرة مثل مشهد وسمنون ودمغان وبسطام وسبزوار ونيسابور وما يتبعها والبعض من جهات هذه المدائن خصب جيد الزراعة ونيسابور أقدم مدينة في خراسان وأجلها والذى أسسها سابور ذوالاكاف

وكانت مركز اقليم يحتوي على ١٤٠٠٠ قرية ويسقى بواسطة ١٢٠٠٠ ترعة خلاف الغدران الطبيعية ثم ابتدأ فيه الخراب من النهب والسلب وتمم خرابه الافغانية عند تغلبهم على مملكة فارس حتى صار كاما من الآثار والاطلال وسكانه الآن نحو ٥٠٠٠ نفس

وعاصمة اقليم خراسان الفارسي مدينة مشهد وهي على مسافة سبعة عشر ميلا من طوس القديمة والذي رسمها الامبراطور هيماون حال ما كان نزيلا عند طماسب شاه الآن عظمها وسعة حجمها منسوب من غير ريب لذهاب القوافل وتوجههم لزيارة قبر الامام الرضى الموجود بها وأهل مشهد نحو ١٠٠٠٠٠ نفس وبها كثير من الجوامع والعلماء وبها ست عشرة مدرسة أكثرها في غاية الاتقان ومزار الامام الرضى موجود في موقع في وسط الشارع الاكبر للمدينة وأنفق عباس شاه على هذا المزار مبالغ جسيمة من النقود حتى زخرفه وزينه وحلاه بالنقوش المذهبة والابنية الفاخرة ولا يجوز لليهود والنصارى الدخول في هذا المزار

وأما مدينة مرو التي كانت في السابق مقر مملكة ومحل رفاهية فهي الآن تلول خربة ولم تكن في داخل الحدود المقررة لمملكة فارس لانها على مسافة واحدة بين مشهد وبخارى وموجودة في واحة في الصحراء وبها حاكم من طرف أمير بخارى وحول أسوارها قبائل التركمان وزال عنها مجدها الاولي حتى لا يعرف الآن فيها قبر الب ارسلان وبها من السكان ٣٠٠٠ نفس وهي مركز توزيع تجارات كبيرة واردة من الهند الى مدائن فارس

وأما مدينة هراة وكانت المقر الملوكي لذرية تيمور شاه فهي واقعة في واد خصب طوله ٣٠ ميلا وعرضه ١٥ ميلا مشحون بالقرى والضياع وقد زال مجد هذه المدينة عنها وأما المدينة الحالية فان مساحة أرضها ٤ أميال مسطحة ومحيطة بسور من الطين وخندق مبلول ومن ضمن مبانيها العمومية جامعها الجامع كانت قبابه ومناراته على غاية من الابهة والفخر لكنه الآن على غاية من الدمار والخراب وهي كثيرة السكان قليلة التجارة ومن بعد جملة أدوار تعاقبت عليها وقعة في سنة ١٧٤٩ تحت يد أحمد شاه عبد الله وهي تابعة الآن لحكومة قاين

وأما كرمان أو كرمانية القديمة فيوجد في شمالها سيستان وخرسان وفي جنوبها مكران والخليج الفارسي وفي غربها لوريستان وفارس والعراق وهي اقليم جبلي مجدب لاماء به ولا منبع غير أنه يوجد بعض منابع قليلة جدا في الكور الجبلية ويوجد على الساحل كثير من أشجار النخيل والعاصمة موجودة في سهل متسع بعيد الزراعة ومدينة كرمان من المدن القديمة التي كانت مزهرة في المملكة القديمة وهي واقعة على الطريق الاعظم الموصل من أكبر المدائن الشمالية الى هرمز وبندر عباس وهي محط التجارة الشرقية وكانت كثيرة الغنية في السابق ومن ثم توالى عليها السلب والخطف حتى اضمحل حالها وذاقت وبال الخسارات في الحروب التي حصلت بين عائلتي زند وقجور ومن بعد أن دافع فيها لطف علي خان زند آخر هذه العائلة وحفظها من تغلب العدو تغلب عليها آغا محمد خان بالخيانة وسبى جميع نسائها وأطفالها وباعهم وقتل جميع رجالها وهدم أبنيتها وأسوارها ومن بعد مدة أعيدت على سياق أقل مما كانت عليه قبل وبها الآن من السكان ٣٠٠٠٠ نفس وهي مركز حكومة وأسواقها ظريفة معمورة وعادت اليها تجارتها التي كانت سببا في دمارها في الاول

واقليم سيستان الصغير ويسمى بنيمروز ويشمل مملكة سرنغيان القديمة يوجد على شماله وشماله

الغربي

الغربي خراسان وفي شرقيه قندهار وفي جنوبه وجنوبه الغربي مكران وكرمان وهو صحراء رملية حجرية يمر منها نهر لطيف اسمه هيرموند يتشكل في مجراه أرض خصبة على كل من شاطئيه بعرض ميلين وفي كل ناحية صخور وعرة قائمة وغالب هذه الاراضي مراع وبها قليل من المزارع ويوجد بها كثير من أطلال المدن وآثارها وعاصمة هذا الاقليم دوشاخ أو جلالباد وهي مدينة صغيرة مبنية على أطلال وآثار مدينة كبيرة هيئتها مثل هيئة أصبهان ومساكنها مصنوعة من الآجر بعلو دورين وسقوفها معقودة واقليم سيستان الآن مسكون بقبائل من الافغانية وبطون من البلوجستانية يظعنون من جهة وينزلون في أخرى وليس لهم قرار ثابت ورؤساء هذه القبائل متوطنون في قرى محصنة على نهر هيرموند ومن دأبهم الاغارة على بعضهم كما هو دأب القبائل والبطون من السلب والنهب والخطف وأما مكران الاصلية فهي جبلية خالية يوجد فيها بعض جهات قليلة الجدب عن الجهات المجاورة للصحراء المحيطة بها وينتج من بعض الجهات قليل من الحبوب والغلال والمراعي وفي بعض جهات الساحل كثير من أشجار النخيل وبعض محصول من الحبوب الا أن جهة الساحل والاقليم حار جدا حتى ان الاهالي لا تتجاسر في فصل الصيف على أن تخرج من أخصاصها وأعشاشها وتهلك الارياح جميع النباتات وهذا الاقليم مقسوم الى كورتين كل كورة محكومة بحاكم تابع لخان كلات في الاسم الملوكي على جميع المملكة الا انه لا سلطة للخان المذكور على أقاليم بلاده الجنوبية وهذا الاقليم الشاسع مختلف في الطقس أو المناخ وسواحل مكران رملية وأشد حرا وسخونة ومداومة الثلوج المغطية لأسنان جبالها كاسرة شدة الحرارة وحاصل منها لطيف للهواء نوعا

ومن هنا نشرع في ذكر تاريخ مملكة فارس الاخيرة فنقول وعلى الله التوكل وحسن القبول قد ذكرنا الحوادث التاريخية للمملكة الفارسية من ابتداء تأسيسها الى حد سقوطها وخرابها بواسطة اسكندر الاكبر في الكتاب التاسع وكذا ذكرنا ما بعدها من تاريخ فارس تحت حكم الملوك الفارطية والمملكة الفارطية في الكتاب العاشر ثم نقول الآن ان المملكة الفارسية الاخيرة انتصبت على أطلال وخرائب المملكة الفارطية وان أرصيص الثلاثين أو أردوان اخر ملوك الفارطيين ابتدأت سلطنته في سنة ٢١٣ بعد الميلاد ومن بعد جلوسه بمدة قليلة جدد قرقالا امبراطور رومة الحرب مع فارطية وفي سنة ٢١٦ بعد الميلاد عبر الفرات وتقدم من وسط ميزوبوتاميه أي جزيرة النهرين الى نهر الدجلة وتغلب على اربل وأرغم الفارطيين على الهرب الى الجبال وقتل في السنة التالية فشرع خليفته مقرينوس في استمرار الحرب فهزمه أرصيص مرتين في واقعتين كبيرتين فالتزم على مشترى صلح دفع في ثمنه جميع الفتوحات الرومانية التي كانت موجودة في شرق الفرات وتولد من هذه المظفرات عود الحدود القديمة للمملكة الفارطية وظهر عليها رونق عنفوانها الاول الا انه في هذا الوقت جاءتها قوة صادمة أعدمتها الحياة وانقضى نحبها

وذلك أن أهل فارس كانوا قلقين غير راضين بوجودهم تحت القانون الفارطي من مدة طويلة جدا ومع انه حصلت هزيمة الرومانيين الآن المملكة كانت لم تزل في اختلال وارتجاج وزلزلة من دعوى المدعين المزاحمين لأرصيص على تاج المملكة وكانوا فرعين من العائلة الملوكية الارصيصية أو الاشكانية وكانوا متوطنين في نواحي بلخ أشبه بمقاطعين مع الملك المتسلطن فتولد من هذه المنازعات الاهلية حالة أدتهم أخيرا الى الانقياد الى أجنبي أولى لهم وأحسن من انقيادهم الى رئيس من أهل بيتهم وما حصل

من مظفرات ارطيابانيس أوارصيص الثالث أوار دوان مع الحروب معروفة أدنى تأثير على أعداء بيته فنشأ من هذه الاعمال تقوية الفرس على خلع طاعتهم للفارطيين واعادة استقلالية أنفسهم كما كانت سابقا وكان للفرس من أصل نظامات المملكة الفارطية امتيازات معلومة محترمة عند الملوك الفارطيين وكانوا مخصصين ببقاء ملوكهم الوطنية وهى منحة جعلت لهم استمرار شرائعهم وعوائدهم وأحاديثهم وخرافاتهم وما كان حصل التعدى من الفارطيين على ديانتهم التى انجذب اليها قلوب ملوك فارس فى الزمن السالف الا أنه يحتمل أن امتيازات هذه الامة كان قل عملها فى آخر الامر وتعدى العمال عليها حتى أوغروا صدور الفرس فى نبذ طاعة الفارطيين وراءهم ظهريا وكان ملك فارس الخراجى الموجود تحت سلطنة فارطية أردشير بن بابكان بن ساسان وكان يدعى نسبه الى ذرية كيرش الاكبر أو كيخسرو فتقوى فى وقت حصول الاختلالات والزعازع فى المملكة الفارطية وحمل السلاح فى وجه مليكه فى سنة ٢٢٠ بعد الميلاد أو أقل من ذلك بقليل وفى ظرف مدة قليلة فاز بتشييد استقلالية فارس الاصلية أو اقليم فارستان الاخير ثم وجه جيشه نحو الشرق على كرمان فأخضعها ومن بعدها تغلب على ميديا فأجبر ملك فارطية على البروز الى ميدان الحرب على عبده العاصى فانهزم وقتل فى واقعة كبيرة حصلت فى هرمز سنة ٢٢٦ بعد الميلاد فاستمر الحرب جاريا بواسطة أولاده بمساعدة ملك أرمينية الا أن الفرس كان لهم الظفر فى كل جهة وصلوا اليها ومن بعد حصول حرب استمر بضع سنين خضعت المملكة الفارطية القديمة وصار أردشير بابكان من غير مزاحم ولا مضاد ولا مشاحن مستحوذا على مملكة فارس الاخيرة فاشتغل بتقرير قواعد مملكته وأعاد ديانة زرداشت القديمة وسلطة المجوس وعرفت العائلة التى أسسها أردشير بابكان بالعائلة الساسانية واستمرت هذه العائلة على تخت فارس مدة تنوف عن أربعمائة سنة وكان عدد ملوكها تسعة وعشرين ملكا وقليل من هذه الملوك من يستحق الذكر فى التاريخ وهذه أسماء ملوكهم ومدة سلطنتهم مذكورة فى الجدول الآتى بيانه

﴿ جدول ملوك الفرس الطبقة الرابعة الساسانية ومدة سلطنة كل منهم ﴾

عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر	عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر	عدد	أسماء الملوك	سنة	شهر
١	اردشير بابكان	١٤	..	١١	سابور	٥	٠٠	٢١	هرمز	١٢	٠٠
٢	سابور	٣١	٠٠	١٢	بهرام كرمنشاه	١٣	٠٠	٢٢	خسرو أبرويز	٣٢	٠٠
٣	هرمز	٣١	٠٠	١٣	يزد جرد	٢١	٠٠	٢٣	شيرويه	٠٠	٦
٤	بهرام	٣	٣	١٤	بهرام جور	٢٣	٠٠	٢٤	أردشير	١	٦
٥	بهرام	٧٠	٠٠	١٥	يزدجرد	١٨	٠٠	٢٥	شهريار	٢	١
٦	بهرام	٣٠	٤	١٦	هرمز	١	٠٠	٢٦	نوران دخت	٠٠	٢
٧	نرسى	٩	٠٠	١٧	فيروز	٢٨	٠٠	٢٧	ارزميدوخت	١	٤
٨	هرمز	٧	٥	١٨	بلاش	١٤	٠٠	٢٨	فروخذاره	٠٠	١
٩	سابورذوالاكتاف	٧٢	٠٠	١٩	قباد	٤٣	٠٠	٢٩	يزد جرد	٢٠	٠٠
١٠	اردشير	٤	٠٠	٢٠	أنوشروان	٤٨	٠٠				

وقد

وقد قيل ان أردشير بابكان كان أحد الضباط الصغيرى الرتبة فى دوان السلطنة الفارطية وهو من ذرية ساسان حفيد اسفنديار وترقى بسرعة فى الخدمات العمومية فأدّته حدة عقله وما سوّلت له نفسه الى توليد مطامع اماله على تأكيد رغبته ونواله ولما طرد من الديوان استقبله أشراف فارس مع السرور والترحاب وتقوى على حل مقصده فى تشكيله سلطنة قوية بضعف الجيوش الملوكية ومعاضدة أهل بلده على السوية فسار من غير معارض الى أصبهان وتغلب على القسم الاعظم من العراق حذرا من أن يتمكن ارطابانيس من الخروج الى الميدان وتمم آماله ومقاصد أحواله فى ثلاث وقائع أجراها وقتل الملك المتسلطن ولقب أهل فارس بأردشير فى ميدان الحرب بصفة شاهنشاه أى ملك الملوك وفى مدة سلطنته أعاد الديانة القديمة لمملكته وقد جمع لذلك مجلسا مؤلفا من ٤٠٠٠٠ نفس من الموابذة والقسس من المجوس وانتخب من هذا الجم الغفير ٤٠٠ نفس ومن هؤلاء صار انتخاب ٤٠ نفس ومن هؤلاء صار انتخاب سبعة عهد اليهم تنقيح وتهذيب الديانة وعودها الى ما كانت عليه لان ملوك القارطيين كانوا أهملوها أو أمروا بعدم التمسك بها وكان هذا المحفل مجموعا من عموم أطراف وجهات المملكة ولبث سلطنته أربع عشرة سنة قاوم فيها أردشير بنصرات متباينة جيوش الامبراطور اسكندر الرومانى ثم ربط علاقات مملكته وشرع قوانينها وأحكم قواعدها وذكر الفردوسى أنه وعظ ابنه وحثه على الالتفات الى الديانة وواجبات السلطنة وما يعود منه النفع على الامة الفارسية والمملكة الايرانية وابتنى كثيرا من المدن فى جهات شتى من المملكة ولم يزل محمود السيرة مظفرا منصورا الى أن هلك بعد أن تسلطن أربع عشرة سنة فى سنة ٢٤٢ بعد الميلاد

ولما هلك أردشير بن بابكان قام بالملك بعده ابنه شابور أو سابور الاول فى سنة ٢٤٢ بعد الميلاد وكان ملكا شديد البأس عالى الهمة مقداما فى الحروب ساق جيوشه الى داخل الاقاليم الرومانية فى آسيا فاستعد الامبراطور الشاب عوردبان لملاقاته ومعاقبته على ما أجراه من هذه الوقاحة الا أنه قبل سيره قتل فجأة فعزم من بعده الامبراطور فاليريان على خلاص ادسا فحاصره فيها ابن أردشير وأسره وعامله بمعاملات مختلفة من العذاب والآلام وروى انه كان يصب عليه كل يوم أشكال العذاب ويؤتى به فجعل سابور رقبته موطأ قدمه وقت ركوبه على حصانه ومن بعد أن حبسه حبسا شديدا وعذبه عذابا مؤلما وجيعا أمر بقتله فشنع فى حقه مؤرخو الغرب وذموه وقالوا انه كان رجلا جبارا ظلوما مجردا عن الشرف والانسانية لا رحمة عنده ولا حنية وأما مؤرخو الشرق فانهم وصفوه بانه أنموذج الحكمة والعقل والعدل ومن بعد أن ابتنى سابور المدائن المختلفة فى مملكته منها مدينة نيسابور ومدينة سابور ومدينة فيروزسابور وهى الانبار وجنديسابور وفتح كثيرا من الاقاليم والبلدان تنازل عن مملكته الى هرمز ابنه وقيل انه أوصى بها اليه قبل موته فى سنة ٢٧٣ بعد الميلاد

ومن بعد أن تسلطن هرمز بن سابور احدى وثلاثين سنة خلفه بهرام وذكر فى الكامل لابن الاثير أن أباه كان ولاه خراسان وسيره اليها فقهر الاعداء واستقل بالامر فوشى به الوشاة الى أبيه سابور على أنه عزم أن يأخذ الملك منه وسمع هرمز بذلك فقيل انه قطع يده وأرسلها الى أبيه فكتب اليه بما بلغه وانه فعل ذلك ازالة للتهمة فلما وصلت يده الى سابور تقطع أسفا وأرسل الى هرمز يعلمه بما ناله من ذلك وعقد له على الملك وملكه ولما ملك عدل فى رعيته وكان صادقا وسلك سبيل آبائه

وخلفه بهرام الاول ابن هرمز وكان حسن السيرة وقتل مانى مؤسس المذهب المانيانى فى مملكة فارس

وكان مانى هذا الحزم على أن يجمع العقائد الزردشتية وعقائد تناسخ الارواح الهندية ومذاهب الديانة المسيحية فى شريعة واحدة ديانية فطرد من فارس فى مدة سلطنة سابور ثم خاطر بنفسه وعاد ثانيا فى مدة سلطنة بهرام فقبض على هذا الكذاب بعلة أن رغب أن يسمع مذهبه وطرائق شريعته فقتله وحشى جلده تبنا وعلقه على باب مدينة جنديسابور و يسمى هذا الباب باب مانى وكان ملكه ثلاث سنين وثلاثة أشهر

ومن هذا البيت نرسى الملك السابع اشتهر بهزيمته الامبراطور غاليريوس فى نفس الميدان الذى انهزم فيه قراصوص وقتل وذلك من بعد أن هزم الجيوش الفارسية مرتين بالقرب من أنطاكية وكان ملكه تسع سنين

ومن الملوك الساسانية المستحقين للذكر فى التاريخ سابور الثانى وهو الملك التاسع ويلقب بذى الاكتاف وسبب تسميته بهذا الاسم ما كان يوقعه من العذاب الشديد من نزع أكتاف رؤساء القبائل الذين يتجاسرون على العصيان عليه وكذا قطاع الطرق واللصوص وكانت ولادته فى سنة ٣٠٩ بعد الميلاد وتسلطن اثنتين وسبعين سنة أو من يوم ولادته واشتبك فى حروب دموية مع الامبراطور قسطنطين والامبراطور جوليان الرومانيين وهزم جوليان وقتله فى سنة ٣٦٣ بعد الميلاد وبنى سابور ذو الاكتاف ايوان الاكاسرة بالمدائن الشرقية وانتقل اليه وصار هو دار الملك من بعده ثم ان خليفة جوليان وهو يوويان رضى بعقد صلح مع سابور ذى الاكتاف واشترى هذا الصلح بكونه تنازل عن جميع الاقاليم والجهات الواقعة فى شرق القرجلة التى كانت تنازلت عنها أسلاف ذى الاكتاف للممالك الرومانية ومنهم بهرام جور أو بهرام الخامس عند الجريق وهو الملك الرابع عشر من هذه العائلة تسلطن ثلاثا وعشرين سنة وكان مشهورا بجدد دوانه وكثرة سخائه وكرمه وطرد قبائل التتار الذين كانوا عزموا على التغلب على فارس وكانت سلطنته تماثل فى طريقة أحكامها سلطنة رجل عربى لاملك مستبد فى أحكامه وكان كثير المحبة للصيد فكان ذات يوم فى ميدان الصيد اذ ظهر له كورخر أو جورخر أى حمار وحشى فما زال سائقا خلفه متشوقا لقبضه ومن هذا الوقت سمى بهرام جور وكان محل هذا الصيد فى سهل اسمه سهل أوجان فجعل هذا السهل محل صيد الملوك تذكرة لبهرام جور وسماه الفرس وادى الشجعان وما زال هذا الملك سائقا خلف هذا الحمار الوحشى حتى عدمت حياته وهلك

ومنهم خسرو أنوشروان الملك العشرون جلس على التخت فى سنة ٥٣١ بعد الميلاد وتسلطن الى سنة ٥٧٩ بعد الميلاد أى ثمانيا وأربعين سنة وهو ملك مشهور الاسم والاحترام وحزم الرأى والتدبير عند كافة المؤرخين ولم يزل لحد الآن فى فم كل فارسى أن أنوشروان معدن الحكمة والعدل والكرم وقيل ان مولده منسوب الى أبيه قباد الملك التاسع عشر من هذه العائلة عشق امرأة جميلة من نيسابور وقت ما كان فارا من أخيه فيروز وبات فى مدينة نيسابور ليلة واحدة ومن بعد مضى أربع سنوات عند عوده من هذه الطريق فى رأس جيش قواه به خاقان الترك أتت اليه معشوقته الجميلة ومعها ولد ثمرة محبتهما وأعلمته انه ابنه وبينما هو يتأمل فيه اذ وردت الاخبار له بموت أخيه وانتظار التخت له فتيمن بالمولود وحمله وأمه على مراكب نساء الملوك ورباه أعظم تربية وجعله ولى عهده ووارث ملكه ولما تولى من بعد قباد كان أعظم ملوك فارس واعتبره أهل بلاده بأنه معدن العدل والحكمة والكرم والسياسة ولقبوه بالملك العادل ووجد هذا الملك مملكته تبكى تحت أحمال ثقيلة قبيحة محملة

فوقها

فوقها وذلك أنه كان ظهر في أيام أبيه على ماذكره ابن الاثير في الكامل وكذلك بعض التواريخ غير العربية مزدك وابتدع ووافق زرادشت في بعض ماجاء به وزاد ونقص وزعم أنه يدعو الى شريعة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حسبما دعا اليه زرادشت واستحل المحارم والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء حتى لايكون لاحد على أحد فضل في شئ البتة فكثرت أتباعه من السفلة والاوباش فصاروا عشرات ألوف فكان مزدك يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى الآخر وكذا في الاموال والعبيد والاماء وغيرها من الضياع والعقار فاستولى وعظم شأنه وتبعه الملك قباد وحواشيه ومافي داخل سرايته فقال يوما لقباد اليوم نوبتي من امرأتك أم أنوشروان فأجابه الى ذلك فقام أنوشروان اليه ونزع خفيه بيديه وقبل رجليه وشفع اليه حتى لايتعرض لامه وله حكمه في سائر ملكه فتركها

ولما جلس أنوشروان على التخت أذن للناس بالدخول عليه اذنا عاما فدخل عليه المنذر بن ماء السماء وكان يومئذ عاملا على الحيرة ونواحيها ودخل عليه مزدك فقال اني كنت تمنيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما الي فقال مزدك وماهما أيها الملك قال تمنيت أن أملك وأستعمل هذا الرجل الشريف يعني المنذر بن ماء السماء وان أقتل هذه الزنادقة فقال مزدك أوتستطيع أن تقتل الناس كلهم فقال أنوشروان وانك ههنا يا ابن الزانية والله ماذهب نتن ريح خفيك من أنفي منذ قبلت رجلك الى يومي هذا وأمر به فقتل وصلب وقتل منهم مابين جاذر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة نحو مائة ألف زنديق وقسمت أموالهم في أهل الحاجة وأمر بقتل جماعة ممن دخل على الناس في أموالهم ورد الاموال الى أهلها وأمر بكل مولود اختلفوا فيه أن يلحق بمن هو منهم اذا لم يعرف أبوه وأن يعطى نصيبا من ملك الرجل الذي يسنده اليه اذا قبله الرجل وبكل امرأة غلبت على نفسها أن يؤخذ مهرها من الغالب ثم تخير المرأة بين الاقامة عنده وبين فراقه الا أن يكون لها زوج فترد اليه وأمر بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فأنكح بناتهم الاكفاء وجهزهن من بيت المال وأنكح نساءهم من الاشراف واستعان بأبنائهم في أعماله وكانت مملكته مشتبكة في حرب مع الرومانيين وكان غسطيانوس على رغبة زائدة من عقد الصلح فاشتراه من أنوشروان بثمن مقداره ١١٠٠٠ دينار من الذهب في سنة ٥٣٣ بعد الميلاد وشرط الملكان على بعضهما أن يكون هذا صلحا لانهائي الا انه في سنة ٥٤٠ حصل لأنوشروان الغيرة والحمية من المظفرات الكبيرة التي نالها غسطيانوس في افريقية وسيسيليا وايطاليا فجدد الحرب بغتة وأغار على سوريا وفلسطين في رأس جيش كثيف وتغلب على هذه الممالك بسرعة زائدة فأرسلت رومة القائد الاكبر بليصاريوس لقيادة الجيش الروماني وفي حربين متعاقبين حصلا في سنة ٥٤١ وسنة ٥٤٢ بعد الميلاد أرغم بليصاريوس ملك الفرس على العود الى بلاده والقهقرة من الاراضي الرومانية ثم انفصل بليصاريوس من قيادة الجيوش الرومانية وأرسل لمباشرة الحروب في ايطاليا فحصل الظفر للجيوش الفارسية مرة ثانية ودام الحرب الى سنة ٥٦١ بعد الميلاد حتى انجبر الرومانيون على عقد صلح بشرط أن يدفعوا الفارس مبلغا سنويا مقداره ٣٠٠٠٠ قطعة من الفضة وهذا خلاف الحروب التي كانت جارية مع الرومانيين فان خسرو أنوشروان ساق جيوشه وفتوحاته الى ماوراء نهر جيحون والسند من الجهة الشرقية وفي داخل بلاد العرب من الجهة الجنوبية وكانت سلطنته مرعية في فارس بأنها العصر المذهب وابتنى الخانات والاسواق والقناطر ورمم ماتداعت

أركانهمنها وأنشأ مباني عمومية وأسس المكاتب والمدارس وحث على التعليم ودعا الى دوانه فلاسفة الجريس وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر ملكه وقيل ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لاربع وعشرين سنة مضت من ملك أنوشروان وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة اثنتين وأربعين في آخر ملكه وأرسله الله تعالى لمضي اثنتين وعشرين سنة من ملك خسرو أبرويز وهاجر لاثنتين وثلاثين سنة مضت من ملك أبرويز والله أعلم

ومن بعد موت أنوشروان خلفه ابنه هرمز الثالث وكان ملكا عاجز التدبير فاجرا قبيح السلوك وكان ملكه اثنتي عشرة سنة قال ابن الاثير في تاريخه الكامل ان هرمز بن خسرو أنوشروان كان أديبا راغبا في الاحسان الى الضعفاء والحمل على الاشراف فعادوه وأبغضوه وكان داهيا رديء النية قد نزع الى أخواله الترك لان أمه كانت ابنة خاقان الاكبر ملك الترك وقتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستمائة رجل ولم يكن له رأى الا في تألف السفلة وحبس كثيرا من العظماء وأسقطهم وحط مراتبهم ففسد عليه كثير ممن كان حوله وقتله أحد قواده في سنة ٥٩٠ بعد الميلاد فدخل الامبراطور موريس الروماني في أمر خسرو أبرويز ابن الملك المقتول وأجلسه على تخت أبيه فشكر خسرو صنيع هذه المساعدة واستمر في ارتباطات وديه وصداقة قلبية مع المملكة الرومانية مدة حياة موريس الا أنه بمجرد قتل الامبراطور موريس حول خسرو أبرويز جيوشه على المملكة الرومانية وأخذ بعضا من أقاليمها العظيمة وخضعت سوريا وفلسطين ومصر وقرطاجنه وطرابلس ولبثت هذه الممالك مدة من الزمن خاضعة لمملكة فارس وأوقع المصائب وأعظم البلايا على أورشليم وقال جبون ان جميع النذور الديانية التي كانت وفدت الى أورشليم في مدة ثلاثمائة سنة سلبت في يوم واحد انتهكت فيه حرمة أورشليم ونقل البطريرك زكريا دخشبة الصليب الى فارس وذبح من المسيحيين في هذه الواقعة نحو من ٩٠٠٠٠ نفس نسبت مذبحتهم لليهود والعرب الذين زادوا في ارتباك ملك فارس ونفس مصر التي كانت ابالة وحيدة مستثناة من عهد دوقلطيانوس من الحروب الاجنبية والداخلية أخضعها أيضا خلفاء كيرش الاول وأقيمت بيارق الظفر والنصر في الجهات الغربية لا على أسوار قرطاجنة فقط بل وفي جميع ما جاور طرابلس الغرب وتدمرت المستعمرات اليونانية التي كانت في نواحي صرفى (طرابلس الغرب) وسار هذا الفاتح على قدم اسكندر الاكبر وعاد في أبهة وطنطنة من وسط رمال صحراء ليبيا أي صحراء برقة وأخضع في حرب آخر كامل الاقاليم الكائن بين نهر الفرات وبوغاز البوسفور أي بوغاز القسطنطينية وفتح كالشدون بعد حصار طويل واستمر الجيش الفارسي معسكرا عشر سنوات على مرأى من القسطنطينية وكان خسرو أبرويز مشهورا بأبهة دوانه ورفاهية حياته وكان أمام باب سرايته ستة الاف فارس خفر راكبين على خيولهم يتعاقبون بعضهم بعضا في نوبات الخفر وكانت خدمة الجهات الداخلية من السراية معهودة الى ١٢٠٠٠ من العبيد وكانت الكنوز المختلفة من الذهب والفضة والجواهر والحرير وأنواع العطريات مخزونة في مائة قبوة تحت الارض ولا علينا من العار والفضيحة أن يقال على سبيل التملق أو الكذب انه كان يوجد ٣٠٠٠٠ ستارة ثمينة غالية القيمة مزين بها حوائط السراية و ٤٠٠٠٠ عمود من الفضة حاملة سقف السراية و ١٠٠٠ كرة من الذهب معلقة في القبة على هيئة حركات الكواكب وسيارات منطقة فلك البروج وكان يوجد في مجلس الملك الاعظم أمهر الشعراء وأجودهم قريحة النادر وجود أمثالهم وفي اسطبلاته ٥٠٠٠٠

حصان

حصان من جياد الخيول وفي حريمه ٣٠٠٠ من أحسن النساء وأجملهن وكان أجملهن وأظرفهن شيرين وكانت جريقية نصرانية ألف الشعراء في جمالها وظرفها وهيام الملك بحبها وخضوعه لها في سكناتهم وحكاياتهم وأشعارهم التآليف العجيبة والاشعار الغريبة وبينما كان ملك الفرس متمتعا بما هو فيه من النعم الوافرة والشوكة الظافرة اذ وردت عليه رسالة من أحد أهالي مكة مع شخص اسمه عبد الله بن حذافة فمزق الكتاب ورفض الدعوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيمزق ملك خسرو كما مزق كتابنا ولا يقبل توبته ولا توسله كما رفض دعوتنا وكانت صورة الكتاب الذي أرسل اليه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واني أدعوك بدعاء الله واني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فأسلم تسلم وان توليت فانما اثم المجوس عليك فلما قرأه شقه وقال يكتب الي بهذا وهو عبدي ثم كتب خسرو أبرويز الى باذان عامله باليمن أن ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به فبعث باذان بابويه وكان كاتبا حاسبا ورجلا اخر من الفرس اسمه خرخسرو وكتب معهما كتابا يأمره بالمسير معهما الى كسرى وسمعت قريش بذلك ففرحوا وقالوا أبشروا فقد نصب له كسرى ملك الفرس أو ملك الملوك كفيتم الرجل فخرجا حتى قدما على محمد صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وشواربهما فاكره النظر اليهما وقال ويلكما من أمركما بهذا قالا ربنا يعنون الملك فقال لكن ربي أمرني أن أعفي لحيتي وأقص شاربي فاعلماه بما قد قاله وقالا ان فعلت كتب باذان فيك الى خسرو وان أبيت يهلكك ويهلك قومك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعا حتى تأتياني غدا وأتى رسول الله الخبر من السماء ان الله قد سلط على خسرو ابنه شيرويه فقتله فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرهما بقتل خسرو وقال لهما ان ديني وسلطاني سيبلغ ملك خسرو وينتهي منتهى الخف والحافر وأمرهما أن يقولا لباذان ذلك ويسلم فان أسلم أقره على ما تحت يده وملكه على قومه ثم أعطى خرخسره منطقة ذهب وفضة أهداها له بعض الملوك وخرجا فقدما على باذان وأخبراه الخبر فقال ماهذا كلام ملك واني لاراه نبيا ولننظرن فان كان ما قال حقا فهو رسول نبي وان لم يكن فنرى فيه رأينا فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل خسرو وأن قتله غضبا لله للفرس لما استحل من قتل أشرافهم ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن وبالكف عن محمد صلى الله عليه وسلم فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم وحققت السنون الاخيرة من سلطنة خسرو نبأ محمد صلى الله عليه وسلم وحصل تمزيق المملكة كما أنبأ وذلك أن الامبراطور هرقل استيقظ من غفلته ووضع مبادي سني سلطنته بطرد الفرس من البوسفور في سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وفي ظرف ست سنوات طرد خسرو من جميع فتوحاته البرابية وأغار على فارس وأخذ سراياه في مدينة دستجرد ونهبها وحرقها وقبض ابنه البكري شيرويه على ثمانية عشر ولدا من أولاده وهو في وسط المصائب التي حلت به وقتلهم أمام عينيه ورماه هو في سرداب تحت الارض ثم أمر بقتله من بعد مضي خمسة أيام في سنة ٦٢٨ بعد الميلاد

وجلس شيرويه بن أبرويز على تخت المملكة بعد أن حبس أباه في سرداب تحت الارض وقال ابن الاثير في الكامل انه دخل على شيرويه الاشراف والعظماء من أهل مملكته وقالوا له لا يستقيم أن يكون لنا ملكان فاما أن تقتل كسرى أبرويز ونحن عبيدك واما أن نخلعك ونطيعه فأرسل له رسولا من

طرفه وقال له قل لابينا الملك عن رسالتنا ان سوء أعمالك فعل بك ماترى منها جراءتك على أبيك وسملك عينيه وقتلك اياه ومنها سوء صنيعك الينا معشر أبنائك فى منعنا من مجالسة الناس ومنها اساءتك الى من خلدت فى السجون ومنها اساءتك الى النساء تأخذهن لنفسك وتركك العطف عليهن ومنعهن ممن يعاشرهن و يرزقن منه الولد ومنها معاملة رعيتك بالعنف والغلظة والفظاظة ومنها جمع الاموال فى شدة وعنف من أربابها وعدد اليه أمورا أخرى فان كان لك حجة تذكرها فافعل وان لم يكن لك حجة فتب الى الله تعالى حتى يأمر فيك بأمره فجاء الرسول الى أبرويز فأدى اليه الرسالة فقال أبرويز قل عنى لشيرويه القصير العمر لو كنا كما تقول لم يكن لك أيها الجاهل أن تنشر عنا مثل هذا العظيم الذى يوجب علينا القتل لما يلزمك فى ذلك من العيوب فانه قضاء أهل مملكتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه و ينفونه من مضامة الاخيار ومجالستهم فضلا عن أن علمك مع انه قد بلغ من اصلاحنا أنفسنا وأبناءنا ورعيتنا ماليس فى شئ منه تقصير ونحن نشرح الحال فيما لزمنا من الذنوب لتزداد علما بجهالتك فمن جوابنا ان الاشرار أغروا كسرى هرمز والدنا بنا حتى اتهمنا فسر أينا من سوء رأيه فينا ما يخوفنا منه فاعتزلنا بابه الى أذربيجان فلما انتهك منا ما انتهك شخصنا الى بابه فهجم المنافق بهرام علينا فاجلانا عن المملكة فسرنا الى الروم وعدنا الى ملكنا واستحكم أمرنا فبدأنا بأخذ الثأر ممن قتل أبانا أو اشترك فى دمه وأما ماذكرت فى أبنائنا فانا وكلنا بكم من يكفكم عن الانتشار فيما لا يعنيكم فتتأذى بكم الرعية والبلاد وكنا أقمنا لكم النفقات الواسعة وجميع ما تحتاجون اليه وأما ماذكرت عمن خلدناه فى السجون فاننا لم نحبس الا من وجب عليه القتل أو قطع بعض الاطراف وقد كان الموكلون بهم والوزراء يأمروننا بقتل من وجب قتله قبل أن يحتالوا لانفسهم فكنا نحب الاستبقاء وكراهتنا لسفك الدماء تتأنى بهم ونكل أمرهم الى الله فان أخرجتهم من محبسهم فقد عصيت ربك وأما جمع الاموال وأنواع الجواهر والامتعة بأعنف جمع وأشد الحاح فاعلم أيها الجاهل أنه انما يقيم الملك بعد الله الاموال والجنود وخاصة ملك فارس الذى قد اكتنفه الاعداء ولا يقدر على كفهم وردعهم عما يريدونه الا بالجنود والاسلحة والعدد ولا سبيل الى ذلك الا بالمال وقد كان أسلافنا جمعوا الاموال والسلاح وغير ذلك فأغار المنافق بهرام ومن معه على ذلك الا اليسير فلما ارتجعنا ملكنا وأذعن لنا الرعية بالطاعة أرسلنا الى نواحى بلادنا جيوشنا فكفوا الاعداء وأغاروا على بلادهم ووصل الينا غنائم بلادهم من أصناف الاموال والامتعة الكثيرة الحد وقد بلغنا أنك هممت بتفريقها فاعلم أن هذه الاموال لم تجتمع الا بعد الكد والتعب والمخاطرة بالنفوس فلا تفعل ذلك فانها كهف ملكك وبلادك وقوة على عدوك ولما انصرف الرسول الى شيرويه قص عليه جواب أبيه ثم ان عظماء الفرس عادوا الى شيرويه اما أن تأمر بقتل أبيك واما أن نطيعه ونخلعك فأمر بقتل أبيه واخوته و يقال انه أباد من قدر عليه من أهل بيته

ولما جلس شيرويه عقد صلحا مع الامبراطور هرقل وتسلطن ست شهور أو ثمانية وفى ظرف الاربع سنوات التى جاءت عقب موته جلس على تخت مملكة فارس خمس ملوك كان آخرهم يزدجرد بن شهريار ابن أبرويز وكانت حالة هذه الملوك المضاربة بالسيوف أو الخناجر من أجل سلطنة كثيبة الحال مشوش البال كل أقاليم فيها حتى ان كل مدينة فى غاية الارتباك والقلقلة بشأن الاستقلال وما كان فى المملكة الا نزاع وسفك دماء

وفي سنة ٦٣٢ بعد الميلاد قام يزدجرد الثالث بن شهريار وضم هذه الاحزاب تحت حكمه ومع هذا فانه لم يتم له خلاص السلطنة الفارسية القديمة لان المسلمين دخلوا بلادهم ودهموهم بجيوشهم التي لا تقهر واجتهد يزدجرد في طردهم وردهم على أعقابهم الى بلادهم فكان على غير طائل من اجتهاده وهزمه العرب في واقعة كبيرة حصلت في القارسية سنة ٦٣٦ بعد الميلاد وفي واقعة أخرى حصلت في نهاوند سنة ٦٤١ بعد الميلاد وقيل انه هلك من الفرس في واقعة نهاوند ١٠٠٠٠٠ نفس وكانت هذه الواقعة ختام المملكة وانقضاء نحبها والتزم يزدجرد على أن يجد سلامة نفسه في الهرب فسار متنقلا من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد في الاقاليم الشرقية حتى انه في سنة ٦٥١ بعد الميلاد رأى رجل طحان ما عليه من الملابس الثمينة فقتله وأخذ ما عليه وما معه ورمى جثته في النهر وبموته انقرضت السلالة الساسانية والديانة المجوسية

ولما تغلب المسلمون على المملكة الفارسية من بعد واقعة نهاوند شرعوا في استئصال المجوس فقتلوا كل من كان داخلا في هذا الدين القديم من دون استبقاء أحد منهم ولا رحمة بهم ماعدا القليل منهم فانهم جازفوا وتجاسروا في بقائهم على دين آبائهم وما حصل من الفرس أدنى مقاومة بعد واقعة نهاوند لاهل بلاد العرب أهل القوة والحماس وتغلبوا على المملكة من الفرات الى نهر جيحون ودمروا كل ما كان نافعا فيها من الاشياء المقدسة وغيرها التي كانت موجودة في المملكة وكانت تقدمات المسلمين في فتوحاتهم فارس على غاية العجلة المستغربة وأينع قبائل الصحارى المحرقة في الجهة الجنوبية من آسيا في البلاد الباردة لخراسان وبلخ ونبتوا في الاراضي التي انغرسوا فيها وانتشروا حولها وأتم العرب خضوع المملكة الفارسية واستمرت اقليما من مملكة الخلفاء نحوا من مائتي سنة أو قرنين وفي ظرف هذه المدة اعتنق الامة الفارسية الديانة الاسلامية وبما أنهم اختاروا ديانة هؤلاء الفاتحين كانوا بالطبع راضين بأحكامهم الا أن الامم صاروا لا طاقة لهم بعد على مداومتهم على هذا الرق والاستعباد ومن كثرة شدة توالي الحروب والذبح والقتل من حصول الثورات والخروج من الطاعة هبطت الامة عن طلب حقوقها الا أن الرؤساء أعيدت لهم شوكتهم شيأ فشيأ ولما انحطت حمية الغيرة الدينية وانقرض احترام الخلفاء حصل النفور أولا ثم بعده العصيان ثم امتدت الايدي الى قضيب الخلافة وبما أنه صار لا طاقة للخلفاء على المحافظة على هذا القضيب صار جائزة لاول مجازف ومخاطر في القبض عليه مع الشجاعة والبسالة

مبادى دولة يعقوب ابن الليث الصفار أول ملوك فارس

وفي سنة ٨٦٨ بعد الميلاد الموافقة لسنة ٢٥٣ من الهجرة قام يعقوب بن الليث الصفار ورفع بيرق العصيان على الخلفاء وشرع في استقلال مملكة فارس وكان يعقوب بن الليث وأخوه عمرو يعملان الصفر المركب من القصدير والنحاس بسجستان ويظهران الزهد والتقشف وكان في أيامهما رجل من سجستان يظهر التطوع بقتال الخوارج فصحبه يعقوب وقاتل معه فحظي عنده ثم هلك وقام مقامه انسان آخر اسمه درهم فانضم يعقوب الى درهم ولما عظم شأن درهم وكثرت أتباعه احتال عليه صاحب خراسان حتى ظفر به وأرسله الى بغداد فحبسه بها وعظم أمر يعقوب بعد أخذ درهم وصار متولي أمر المتطوعة مكانه وقام بمحاربة الشراة فظفر بهم وأكثر القتل فيهم حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم وأطاعه أصحابه بمكره وحسن حاله ورأيه طاعة لم يطيعوها أحدا كان قبله واشتدت شوكته فغلب على سجستان وأظهر التمسك بطاعة الخليفة وكاتبه وصدر عن أمره وأظهر انه أمره بقتال

الشراة وملك سجستان وضبط الطرق وحفظها وكثرت أتباعه ثم سار من سجستان الى هراة من أعمال خراسان وتغلب عليها وعلى بوشنج وعظم أمره وهابه أمير خراسان وغيره من أمراء الاطراف ثم ساق جيشه على اقليم كرمان وتغلب عليه وأسر عامله طوق بن المغلس وكان صاحب ارساله من طرف على بن الحسين بن شبل عامل فارس بعد مدافعة قليلة ثم ساق الى فارس وجرى بينه وبين عاملها على بن الحسين ابن شبل حروب كانت نتيجتها هزيمة عامل فارس ودخل يعقوب شيراز وطاف بالمدينة ونادى بالامان وكان على بن الحسين جرح فى الحرب ثلاث جراحات وأخذ أسيرا وكان القتلى فى الحرب خمسة آلاف قتيل واطمأن الناس فى المدينة وعذب الصفار على بن الحسين بأنواع العذاب وأخذ جميع أمواله وسلاحه وخيله وكتب الى الخليفة بطاعته اسميا لا رسميا وأهدى له هدية جليلة منها عشر بازات بيض وباز أبلق صينى ومائة من مسك وغيرها من الطرائف وعاد الى سجستان ومعه على وطوق ولما فارس بلاد فارس أرسل الخليفة عماله اليها

وفى سنة ٢٥٧ من الهجرة سار يعقوب بن الليث الى فارس فأرسل اليه المعتمد ينكر ذلك عليه فلما أتى رسول الخليفة كان يعقوب أصابته حمى شديدة ألزمته الفراش فقال للرسول وهو يتألم من أثر الحمى قل للخليفة انى أنا مديون لسيفى هذا بشأن الاراضى التى أحسنها الىّ من كرمه فان عشت فالسيف حكم بيننا وان مت تخلص من أفكاره بسببى وان كنت تنتصر فالانسان الذى يقدر على عيشة وحياة بالعيش الاسود والبصل لا يخشى عواقب الحرب وما تؤول اليه حالته بعد ثم كتب اليه الموفق بولاية بلخ وطخارستان وسجستان والسند فقبل ذلك وعاد وسار الى بلخ وطخارستان فلما وصل الى بلخ نزل بظاهرها وخرب نوشاد ثم سار من بلخ الى كابل واستولى عليها وسار الى بست فأقام بها سنة ثم عاد الى سجستان ورجع الى هراة وحاصر مدينة كروخ حتى أخذها وسار الى بوشنج وقبض على الحسين ابن طاهر عاملها ثم سار الى نيسابور وتغلب عليها فى سنة ٢٥٩ من الهجرة واستولى على كافة خراسان ورتب فيها عماله ونوابه وفى سنة ٢٦٠ من الهجرة واقع يعقوب بن الليث الحسن بن زيد العلوى فى طبرستان فهزمه ودخل طبرستان وهرب الحسن نحو السر وأرض الديلم ودخل يعقوب سارية وآمل وجبى من أهلها خراج سنة وعاد الى سجستان ثم جدد طمعه فى ملك بلاد فارس فأغار عليها وسلبها من ابن واصل ورتب بها أصحابه وأصلح أحوالها وحدثته نفسه بالاستيلاء على الاهواز وغيرها

وفى سنة ٢٦٢ من الهجرة سار يعقوب بن الليث من فارس الى الاهواز فلما بلغ المعتمد سار بعسا كره لمقابلة يعقوب وكان قائد جيشه الموفق ولما تقابل الجيشان تحاربا حربا شديدا وثبتت عساكر يعقوب وهزموا ميمنة الموفق وقتلوا جماعة من قوادها ثم تراجع المنهزمون وكشف أبو أحمد الموفق رأسه وقال أنا الغلام الهاشمى واشتد الحرب وحملوا حملة منكرة وأصاب يعقوب ثلاثة أسهم فى حلقه ويديه واستمر الحرب الى قريب العصر وقد ظهر من أصحاب يعقوب كراهة القتال معه اذ رأوا الخليفة يقاتله فحملوا على يعقوب ومن قد ثبت معه للقتال فانهزم أصحاب يعقوب وثبت يعقوب فى خاصة أصحابه حتى فارقوا ميدان الحرب وتبعهم أصحاب الموفق فغنموا ما فى معسكرهم وكان فيه من الدواب والبغال ما ينوف عن عشرة الاف ومن الاموال ما يكل عن حمله ومن أجربة المسك أمر عظيم وسار يعقوب من الهزيمة الى خوزستان فنزل جنديسابور وراسله العلوى البصرى يحثه على

الرجوع الى بغداد و بعده المساعدة فقال الكاتبه اكتب اليه قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الى آخر السورة وسير الكتاب اليه وكتب المعتمد الى ابن واصل بتولية فارس وكان قد سار اليها وجمع جماعة فغلب فسير اليه يعقوب عسكرا عظيما تحت قيادة ابن عزيز بن السرى فغلب على فارس وطرد منها ابن واصل

وفى سنة ٢٦٥ من الهجرة الموافقة ٨٧٧ بعد الميلاد مات يعقوب بن الليث الصفار بجند يسابور من كور الاهواز وكانت علته القولنج فأمره الاطباء بالاحتقان بالدواء فلم يفعل واختار الموت وكان المعتمد قد أنفذ اليه رسولا وكتابا يستميله ويترضاه ويقلده أعمال فارس فوصل الرسول ويعقوب مريض راقد فى فراشه فجلس له وجعل عنده سيفا ورغيفا من الخبز الخشكار ومعه بصل وأحضر الرسول فأدّى الرسالة فقال له قل للخليفة انى عليل فان مت فقد استرحت منك واسترحت منى وان عوفيت فليس بينى وبينك الا هذا السيف حتى اخذ بثارى أو تكسرنى وتفقرنى وأعود الى هذا الخبز والبصل وأعاد الرسول فلم يلبث يعقوب أن مات وقام بالامر بعده أخوه عمرو بن الليث وكتب الى الخليفة بطاعته فولاه الموفق خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان والشرطة ببغداد وأشهد بذلك وسيره اليه مع الخلع

وفى سنة ٢٧١ بعد الهجرة أدخل المعتمد اليه حاج خراسان وأعلمهم بانه قد عزل عمرو بن الليث عما كان قلده ولعنه بحضرتهم وأخبرهم أنه قد قلد خراسان محمد بن طاهر وأمر أيضا بلعن عمرو على المنابر فلعن فسار صاعد بن مخلد الى فارس لحرب عمرو فاستخلف محمد بن طاهر رافع بن هرثمة على خراسان فلم يغير السامانية عما وراء النهر وحصلت الواقعة بين عسكر الخليفة وبين عمرو بن الليث ودامت الحرب من أول النهار الى الظهر فانهزم عمرو وعساكره وكانوا ١٥٠٠٠ نفس بين فارس وراجل وغنموا من معسكر عمرو من الدواب والبقر والحمير بلاثين ألف رأس وما سوى ذلك خارج عن الحد

وفى سنة ٢٧٤ من الهجرة سار الموفق الى فارس لحرب عمرو بن الليث الصفار فبلغ الخبر الى عمرو فسير جيشه تحت قيادة العباس بن اسحاق وأرسل ابنه الى أرجان وأرسل أبا طلحة على مقدمته فاستأمن أبو طلحة الى الموفق وسمع عمرو ذلك فتوقف عن قصده الموفق وعاد الى كرمان ومنها الى سجستان على الصحراء ولم يقدر الموفق على أخذ كرمان وسجستان من عمرو فهادعنه وفى سنة ٢٨٧ من الهجرة أسر عمرو بن الليث الصفار وكان أرسل الى المعتضد برأس رافع بن هرثمة وطلب منه أن يوليه ماوراء النهر فوجه اليه الخلع واللواء لذلك وهو بنيسابور ووجهه لمحاربة اسماعيل بن أحمد الساماني صاحب ماوراء النهر محمد بن بشير وكان خليفته وحاجبه فى رأس جيش فعبر اليهم اسماعيل جيحون وحاربهم فهزمهم وقتل محمد بن بشير فى نحو ستة آلاف رجل وبلغ المنهزمون الى عمرو وهو بنيسابور وعاد اسماعيل الى بخارا فتجهز عمرو للاقاة اسماعيل وسار من نيسابور نحو بلخ فسار اسماعيل نحوه وعبر النهر الى الجانب الغربى وجاء عمرو فنزل بلخ وأخذ اسماعيل عليه الجهات لكثرة جمعه وصار عمرو كالمحاصر وندم على ما فعل ثم حصلت الواقعة وكانت نتيجتها هزيمة عمرو فولى هاربا ومر باجمة فى طريقه فقيل له انها أقرب الطرق فدخل فيها فضلت دابته وتركه أصحابه وجاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيرا فسيره اسماعيل الى سمرقند ثم خيره اسماعيل بين مقامه عنده أو انفاذه الى المعتضد فاختار المقام عند المعتضد فوصل الى بغداد موثقا فى الحديد سنة ٢٨٨ من الهجرة فلما وصل أركب على جمل

وأدخل بغداد وحبس فيها وفي سنة ٢٨٩ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٠١ بعد الميلاد أمر الخليفة المعتضد بقتل عمرو بن الليث الصفار وقيل انه حالما أخذ أسيرا كان قاعدا في ميدان الواقعة وعليه الخفر اللازم من طرف اسماعيل فاحضر اليه أحد عساكره لقمة طعام خشنة سملك مصلوق في قدر صغيرة فجاء كلب على غاية من الجوع واللهث ووضع رأسه في القدر ولما لم يقدر أن يخرجها من القدر أخذها في رأسه بما فيها وجرى فضحك عمرو بن الليث ضحكا عاليا من فعل الكلب فقال له أحد الخفر الواقفين عليه أي شيء على الارض حث رجلا واقعا في موقعك هذا على الضحك فقال له عمرو أنظر في مثل هذا اليوم اشتكى أمين بيتي وتضرر من أن ٣٠٠ جمل ليست كافية لجهاز مطبخي والان هذا الكلب أخذ جميع جهاز المطبخ وجرى فأي شيء هذا حال الدنيا

وبموت عمرو زالت سعادة بيت الصفار ولو أن اثنين من هذا البيت كانا مستمرين في السلطنة الا أن سلطنتهم كانت مرتجة مضطربة وانقسمت مملكة فارس في مدة القرن العاشر من التاريخ المسيحي بين عائلتين هما عائلة الساماني وعائلة الديلمي فأما العائلة السامانية وكانت متسلطنة فيما وراء النهر وخراسان وبلخ وسيستان وأما عائلة الديلمي وان كانوا عادين أنفسهم عبيدا للخليفة الا أنهم كانوا سلاطين في أنفسهم ولهم شوكة كبيرة وقوة عظيمة في القسم الاعظم من العراق وفارس وكرمان وخوزستان ولارستان

مطلب لعائلة السامانية

وكان أول العائلة السامانية نصر بن أحمد الساماني وذلك أن الخليفة المعتمد استعمل نصر بن أحمد سنة ٢٦١ من الهجرة على ماوراء النهر وكان جده سامان منسوبا الى بهرام جوبين ولما ولي المأمون خراسان واصطنع أولاد أسد بن سامان وهم نوح وأحمد ويحيي والياس قربهم المأمون ورفع درجاتهم واستعملهم ورعى حق سلفهم فلما رجع المأمون الى العراق استخلف على خراسان غسان بن عباد فولى غسان نوح بن أسد سنة ٢٠٤ من الهجرة سمرقند وأحمد بن أسد فرغانة ويحيي بن أسد الشاش وأشروسنة والياس بن أسد هراة ثم توفي نوح بن أحمد فتولى عمله أخواه يحيي وأحمد ولما مات الياس بهراة تولى ابنه أبو اسحق محمد بن الياس عمله وأقام بهراة وكان لاحمد بن أسد سبعة بنين وهم نصر وأبو يوسف يعقوب وأبو زكريا يحيي وأبو الاشعث أسد واسماعيل واسحاق وأبو غانم حميد ولما توفي أحمد بن أسد استخلف ابنه نصرا على أعماله بسمرقند وماوراءها وكان اسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا فولاه نصر بخارا سنة ٢٦١ من الهجرة وكان سبب استعماله اسماعيل أنه لما استولى يعقوب بن الليث على خراسان أنفذ نصر جيشا الى شط جيحون ليأمن عبور يعقوب واستعمل اسماعيل على بخارا ولما تولى رافع بن هرثمة على خراسان تعاقد معه اسماعيل على التعاون والتعاضد فطلب منه اسماعيل أعمال خوارزم فولاه اياها ثم سعت السعاة بين نصر وأخيه اسماعيل فأفسدوا ما بينهما وصارا على شرف الحرب ثم اصطلحا ثم عادت السعاة فأفسدوا ما بينهما ثانية حتى تحاربا سنة ٢٧٥ من الهجرة وظفر اسماعيل بأخيه نصر فلما حمل اليه ترجل له اسماعيل وقبل يديه ورده من موضعه الى سمرقند وتصرف على النيابة عنه ببخارا هكذا ذكر ابن الاثير في الكامل

وفي سنة ٢٧٩ بعد الهجرة مات نصر بن أحمد الساماني وقام بما كان اليه من العمل بما وراء النهر أخوه اسماعيل بن أحمد وكان نصر دينا عاقلا له شعر حسن منه ما قاله في رافع بن هرثمة

أخوك فيك على خبر ومعرفة   ان الذليل ذليل حيثما كانا

لولا زمان خؤن فى تصرفـه * ودولة ظلمت ما كنت انسانا

وكان هرثمة بن رافع عامل خراسان وقد تقدم ذكر تغلب اسماعيل على خراسان وأسره عمرو بن الليث الصفار

وفى سنة ٢٩٥ من الهجرة الموافقة لسنة ٩٠٧ بعد الميلاد توفى اسماعيل بن أحمد أمير خراسان وماوراء النهر ببخارا بعد أن بلغ من العمر ستين سنة وولى بعده ابنه أبونصر أحمد وأرسل اليه المكتفى عهده بالولاية وعقد لواءه بيده وكان اسماعيل عاقلا حسن السيرة فى رعيته حليما حكى عنه انه كان لأحمد مؤدب يؤدبه فمر به الامير اسماعيل يوما والمؤدب لا يعلم به فسمعه وهو يسب ابنه ويقول له لابارك الله فيك ولا فيمن ولدك فدخل اليه وقال له ياهذا نحن لم نذنب ذنبا فتسبنا فهل ترى أن تعفينا من سبك وتخص المذنب بشتمك وذمك فارتاع المؤدب فخرج اسماعيل عنه وأمر له بصلة جزاء لخوفه منه ولما ولى بعد أخيه كان يكاتب أصحابه وأصدقاءه بما كان يكاتبهم أولا فقيل له فى ذلك فقال يجب علينا اذا زادنا الله رفعة أن لا ننقص أخواننا بل نزيدهم رفعة وعلاوجاها ليزيدوا لنا اخلاصا وشكرا

ولما ولى بعده ابنه أبونصر أحمد واستوثق أمره أراد الخروج الى الرى فأشار عليه ابراهيم بن زيدويه بالخروج الى سمرقند والقبض على عمه اسحق بن أحمد لئلا يخرج عليه ويشغله ففعل ذلك واستدعى عمه الى بخارا لحضر فاعتقله بها ثم عبر الى خراسان وتوجه الى نيسابور وفى سنة ٢٩٨ من الهجرة استولى أبونصر أحمد بن اسماعيل الساماني على سجستان وكان بها صاحبها المعدل بن الليث بن الصفار فأخذه أسيرا وكان أخو المعدل محمد بن على بن الليث فى نواحى بست والرخج بعساكر ليحفظها فأرسل اليه أحمد بن اسماعيل جيشا فقهره وأخذه أسيرا ولما تغلب السامانية على سجستان بلغهم خبر مسير سبكرى فى الصحراء من فارس الى سجستان فسيروا اليه جيشا فلقوه هو وعسكره وقد أهلكهم التعب فأخذوه أسيرا واستولوا على عسكره وأرسل الامير أحمد سبكرى ومحمد بن على بن الليث الى بغداد وأدخلا فيها مشهورين على فيلين وأعاد المقتدر رسل أحمد صاحب خراسان ومعهم الهدايا والخلع

ثم عصت سجستان على الامير أحمد وخالف من بها وذلك أن محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلى كان خارجى المذهب وكان قد أقام ببخارا وهو من أهل سجستان وكان شيخا كبيرا فجاء يوما الى الحسين ابن على بن العارض أمير بخارا من طرف أحمد الساماني يطلب رزقه فقال له على ان الاصلح لمثلك من الشيوخ أن يلزم رباطا يعبد الله فيه حتى يوافيه أجله فغاظه ذلك فانصرف الى سجستان والوالى عليها منصور بن اسحق فاستمال جماعة من الخوارج ودعا الى الصفار وبايع فى السر لعمرو بن يعقوب بن محمد ابن عمرو بن الليث وكان رئيسهم محمد بن العباس المعروف بابن الحفار وكان شديد الحيل والقوة فخرجوا وقبضوا على منصور بن اسحق أميرهم ورموه فى السجن وخطبوا لعمرو بن يعقوب وسلموا اليه سجستان فلما وصل الخبر الى الامير أحمد بن اسمعيل سير الجيوش تحت قيادة الحسين بن على مرة ثانية الى زرنج فى سنة ٣٠٠ من الهجرة فحصرها تسعة أشهر فصعد يوما محمد بن هرمز الصندلى الى السور وقال ما حاجتكم الى أذى شيخ لا يصلح الا للزوم رباط يذكرهم بما قال العارض ببخارا واتفق موت الصندلى فاستأمن عمرو بن يعقوب الصفار وابن الحفار الى الحسين بن على وأطلقوا منصور بن اسحق ولما بلغ الامير أحمد فتح سجستان استعمل عليها سيمجور الدواتى وأمر الحسين بن على بالرجوع اليه فرجع

ومعه عمرو بن يعقوب وابن الحفار وغيرهما

وفى سنة ٣٠١ من الهجرة مات الامير أحمد مقتولا على سريره فى عسكره فحمل الى بخارا ودفن بها وطلب الذين قتلوه فقتلوا عن آخرهم وولى بعده نصر بن أحمد وكان عمره ثمان سنين وكانت ولاية أحمد ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما ولقب نصر بالسعيد وبايعه أصحاب أبيه ببخارا وتولى أمور دولته وتدبيرها أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى فأمضى الامور وضبط المملكة ومع هذا فان أصحاب الاطراف طمعوا فى البلاد فخرجوا من النواحى وممن خرج عن طاعته أهل سجستان وعم أبيه اسحق ابن أحمد بن أسد بسمرقند وخرج عليه الكثير وكان السعيد مظفرا منصورا عليهم وفى سنة ٣١٠ من الهجرة خرج الياس بن اسحق وكان خرج مع أبيه فى السابق وانهزم هو وأبوه فأما الياس فانه كان انهزم الى فرغانة وأقام بها الى أن خرج ثانيا وهى هذه المرة وجمع من الترك ثلاثين ألف عنان وقصد سمرقند مشاقا فالسعيد نصر فسير اليه السعيد ألفين وخمسمائة مقاتل تحت قيادة محمد بن أسد فكمنوا خارج سمرقند يوم ورود الياس فلما وردها واشتغل هو ومن معه بالنزول خرج الكمين عليه من بين الشجر ووضع السيوف فيهم فانهزم الياس وأصحابه الى فرغانة وخرج مرة ثالثة ورابعة فانهزم وتوجه الى كاشغر فكاتبه محمد بن المظفر واستماله ولطف به فأمن الياس اليه وحضر الى بخارا فأكرمه السعيد وصاهره وقام معه وفى سنة ٣١٤ من الهجرة استولى السامانية على الرى وأقام بها السعيد شهرين وولى عليها من طرفه سيمجور الدواتى وعاد منها ومازال مظفرا فى دولته منصورا على أعدائه حتى توفى سنة ٣٣١ من الهجرة بعد أن مرض ثلاثة عشر شهرا ولم يكن بقى من مشايخ دولتهم أحد فانهم كانوا قد سعى بعضهم ببعض فهلك بعضهم ومات بعضهم وكان مرضه السل ولما مات دفن عند والده وكان حليما كريما عاقلا فمن حلمه أن بعض الخدم سرق جوهرا نفيسا وباعه على بعض التجار بثلاثة عشر ألف درهم فحضر التاجر عند السعيد وأعلمه أنه قد اشترى جوهرا نفيسا لا يصلح الا للسلطان وأحضر الجوهر عنده فحين راه عرفه انه كان له وقد سرق فسأله عن ثمنه ومن أين اشتراه فذكر له الخادم والثمن فأمر فأحضر ثمنه فى الحال وأربحه ألفى درهم زيادة ثم ان التاجر سأله فى دم الخادم فقال لابد من تأديبه وأما دمه فهو لك فأحضره وأدبه ثم أنفذه الى التاجر وقال كنا قد وهبنالك دمه فقد أنفذناه اليك وله نوادر وحكايات ملوكية عجيبة

وتولى نوح بن نصر بعد أبيه خراسان وماوراء النهر وبايعه الناس وحلفوا له ولقب بالامير الحميد وفوض أمره وتدبير مملكته الى أبى الفضل محمد بن أحمد الحاكم وفى سنة ٣٣٢ من الهجرة خالف عبد الله ابن اشكام على الامير نوح وتحصن بخوارزم فسار نوح من بخارا الى مرو وسير اليه جيشا تحت قيادة ابراهيم بن بارس فمات هذا القائد فى الطريق وكاتب ابن اشكام ملك الترك وراسله واحتمى به وكان لملك الترك ولد فى يد نوح محبوس ببخارا فراسل نوح أباه فى اطلاقه ليقبض على ابن اشكام وأجابه ملك الترك الى ذلك فلما علم ابن اشكام الحال عاد الى طاعة نوح وفارق خوارزم فأحسن اليه نوح وعفا عنه وأكرمه

ولما استقر الامير نوح فى ولايته بماوراء النهر وخراسان أمر أبا على بن محتاج وكان عاملا على نيسابور أن يسير فى عساكر خراسان الى الرى ويستنقذها من يد ركن الدولة بن بويه (وسنذكر بعد السامانية دولة بنى بويه) فسار فى جمع كثير فلقيه وشمكير بخراسان وهو مقصد الامير نوح فسيره اليه وكان نوح

حينئذ

حينئذ بمرو فلما قدم عليه أكرمه وأنزله وبالغ في اكرامه والاحسان اليه وأما أبو علي فانه سار نحو الري فلما نزل ببسطام خالف عليه بعض من معه وعادوا عنه مع منصور بن قراتكين وهو من أكابر أصحاب نوح وخواصه وساروا الى جرجان فصدوا عنها فانصرفوا الى نيسابور وساق أبو علي نحو الري فخرج اليه ركن الدولة فانهزم أبو علي وعاد الى نيسابور وغنموا بعض أثقاله

ولما عاد أبو علي الى نيسابور راقبه وشمكير وقد سيره الامير نوح في رأس جيش وأرسل الى أبي علي يأمره بمساعدة وشمكير فوجه فيمن معه الى جرجان وبها الحسن بن الفيرزان فالتقوا واقتتلوا فانهزم الحسن وتغلب وشمكير على جرجان ثم سار أبو علي من نيسابور الى مرو وبها الامير نوح فاجتمع به فأعاده الى نيسابور وأمره بقصد الري وأمده بجيش كثير فعاد الى نيسابور وسار منها الى الري واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل وأنفذ نوابه الى الاعمال ثم ان الامير نوحا سار من مرو الى نيسابور فأقام بها خمسين يوما فوضع أعداء أبي علي جماعة من الغوغاء والاوباش فاجتمعوا واستغاثوا عليه وشكوا سوء سيرته وسيرة نوابه فاستعمل الامير نوح على نيسابور ابراهيم بن سيمجور وعاد عنها الى بخارا فاستوحش أبو علي لذلك فانه كان يعتقد أن يحسن اليه بسبب فتح الري فلما عزل شق ذلك عليه ووجه أخاه الفضل بن محمد الى كور الجبال وولاه همذان وجعله خليفة على من معه من العساكر فقصد الفضل نهاوند والدينور وغيرهما واستولى عليها واستأمن اليه رؤساء الاكراد من تلك الناحية وأنفذوا اليه رهائنهم

وفي سنة ٣٣٤ من الهجرة خالف أبو علي على الامير نوح وحرض الناس على القيام معه وكان بهمذان واتفق أبو علي مع من انضم اليه من الجند على مكاتبة ابراهيم بن أحمد بن اسمعيل عم نوح واستقدامه اليهم ومبايعته وتمليكه البلاد وكان ابراهيم هذا بالموصل في خدمة ناصر الدولة فسار اليهم في تسعين فارسا ولما بلغ الخبر نوحا تجهز وسار من بخارا الى مرو وساق في البلاد حتى أصلحها وعاد الى بخارا وولى جيوش خراسان منصور بن قراتكين وأقام أبو علي بالصغانيان وبلغه أن الامير نوحا قد عزم على تسيير عسكر اليه فجمع أبو علي الجيوش وخرج الى بلخ وأقام بها وأتاه رسول الامير نوح في الصلح فأجاب اليه فأبى عليه جماعة ممن معه من قواد نوح الذين انتقلوا اليه وقالوا نحب أن تردنا الى منازلنا ثم صالح فخرج أبو علي نحو بخارا فخرج عليه الامير نوح في عساكره فانهزم عسكر أبي علي وتفرقوا عنه ورجع الى الصغانيان ثم بلغه ان الامير نوحا قد أمر العساكر بالمسير اليه من بخارا وبلخ وغيرهما وسار أبو علي في جيشه الى ترمذ وعبر جيحون وسار الى بلخ فنازلها واستولى عليها وعلى طخارستان وجبى مال تلك النواحي وسار من بخارا عسكر جرار الى الصغانيان فأقاموا بنسف ومعهم الفضل بن محمد أخو أبي علي وكان قد نفر من أخيه وسار الى الامير نوح فأكرمه وأغدق عليه فكتب جماعة من قواد العسكر الى الامير نوح بأن الفضل قد اتهموه بالميل الى أخيه فأمرهم بالقبض عليه فقبضوا عليه وسيروه الى بخارا ووقع بين عسكر أبي علي وعساكر الامير نوح حروب كبيرة ودخل عسكر نوح الى الصغانيان وحرقوا قصور أبي علي ومساكنه وآل أمر هذه الحروب أخيرا الى الصلح وأرسل أبو علي ابنه أبا المظفر عبد الله رهينة الى الامير نوح واستقر الصلح بينهما في سنة ٣٣٧ بعد الهجرة وزال الخلف من بينهما وفي أثناء هذا الخلاف رجع ركن الدولة الى الري واستولى عليها وعلى سائر أعمال الجبل وطرد منها الخراسانية ثم سار عساكر خراسان الى جرجان وتغلبوا عليها وكانوا تحت قيادة منصور بن قراتكين ووشمكير وكان بها الحسن بن الفيرزان فجلا منها وبقي بها وشمكير وفي سنة ٣٣٩ من الهجرة سار منصور بن

قراتكين من نيسابور الى الري بأمر الامير نوح فوصل اليها واستولى عليها وفرق العساكر في البلاد وأزالوا عنها نواب ركن الدولة واستولوا على همذان وغيرها فبلغ الخبر ركن الدولة وهو بفارس فكتب الى أخيه معز الدولة يأمره بانفاذ عسكر يدفع تلك العساكر عن النواحي المجاورة للعراق فسير سبكتكين الحاجب في عسكر ضخم من الاتراك والديلم والعرب فلما سار سبكتكين عن بغداد خلف أثقاله وسار في جريدة الى من بقي من الخراسانيين فكبسهم وهم غارون فقتل فيهم وأسر مقدمهم واسمه بحكم الخمارتكيني وأنفذه مع الاسرى الى معز الدولة فحبسه مدة في بغداد ثم أطلقه ولما بلغ الخراسانية ذلك اجتمعوا في همذان فسار نحوهم سبكتكين ففارقوا همذان ولم يحاربوه ودخل سبكتكين همذان وأقام بها حتى ورد عليه ركن الدولة وظفر ركن الدولة بالخراسانية ورد منصور بن قراتكين وعساكره الى بلاده وفي سنة ٣٤٠ بعد الهجرة مات منصور بن قراتكين قائد الجيوش الخراسانية ولما مات رجعت العساكر الخراسانية الى نيسابور وقال العراقيون انه أدمن الشرب عدة أيام بلياليها فمات فجأة وقال الخراسانيون انه مرض ومات وحمل تابوته ودفن الى جانب والده في مدينة اسبيجاب وأعيد أبو علي ابن محتاج الى قيادة الجيوش بخراسان وأمر بالعود الى نيسابور ولما حصل من الحروب بين ركن الدولة ووشمكير في جهات الري مضايقة وكتب وشمكير الى الامير نوح بسوء تقدمه كتب نوح الى أبي علي بن محتاج يأمره بالمسير في جيوش خراسان الى الري لمحاربة ركن الدولة فسار أبو علي في جيوش كثيرة واجتمع معه وشمكير فسارا الى الري وبلغ الخبر ركن الدولة فحارب الخراسانيين وأقام عليه أبو علي عدة شهور يحاربه فلم يظفر به وهلكت دواب الخراسانيين وأتاهم الشتاء وملوا فالتزم أبو علي الى الصلح فتراسلا في ذلك وتصالحا وقرر على ركن الدولة كل سنة مائتا ألف دينار وعاد أبو علي الى خراسان وكتب وشمكير الى الامير نوح ان أبا علي لم يصدق في الحرب وانه مال لركن الدولة فاغتاظ نوح من أبي علي ولما ترك أبو علي ركن الدولة سار الى وشمكير وهزمه واستولى على طبرستان وكتب نوح الى أبي علي بعزله عن خراسان وكتب الى القواد يعرفهم أنه قد عزله عنهم واستعمل على الجيوش بعده أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني فأرسل أبو علي يعتذر وراسل جماعة من أعيان نيسابور يقيمون عذره ويسألون أن لا يعزل عنهم فلم يجابوا فأظهر أبو علي الخلاف وخطب لنفسه بنيسابور وكتب نوح الى وشمكير والحسن بن فيرزان يأمرهما بالصلح وأن يتساعدا على من يخالف الدولة فلما علم أبو علي باتفاق الناس مع نوح كاتب ركن الدولة في المسير اليه لانه علم أنه لا يمكنه المقام بخراسان ولا يقدر على العود الى الصغانيان فاذن له ركن الدولة بالقدوم اليه فسار أبو علي الى الري وأكرمه ركن الدولة وأقام له ولمن معه الضيافات وطلب أبو علي أن يكتب له عهدا من جهة الخليفة بولاية خراسان فأرسل ركن الدولة الى معز الدولة فسير له عهدا بما طلب وسير له نجدة من عسكره فسار أبو علي الى خراسان واستولى على نيسابور وخطب للطيع بها وبما استولى عليه من خراسان

وفي سنة ٣٤٣ من الهجرة مات الامير نوح بن نصر الساماني وكان حسن السيرة كريم الاخلاق ولما توفي ملك بعده ابنه عبد الملك وكان قد استعمل بكر بن مالك على جيوش خراسان فقام بكر بأمر عبد الملك بن نوح وقرر أمره ولما استقر حاله وثبت ملكه أمر بكرا بالمسير الى خراسان وأمره باخراج أبي علي منها فسار في العساكر نحو أبي علي فتفرق عن أبي علي أصحابه وعسكره ولم يبق معه الا القليل فاضطر الى الهرب وسار نحو ركن الدولة فانزله معه في الري واستولى بكر على خراسان وأقام بنيسابور وتتبع

أصحاب أبي علي وفي سنة ٣٥٠ من الهجرة سقط الفرس تحت الامير عبد الملك بن نوح صاحب خراسان فوقع الى الارض فمات من سقطته وولي بعده أخوه منصور بن نوح وفي سنة ٣٦١ من الهجرة تم الصلح بين الامير منصور بن نوح الساماني وبين ركن الدولة وابنه عضد الدولة على أن يحمل ركن الدولة وعضد الدولة اليه كل سنة ١٥٠٠٠٠ دينار وتزوج نوح بابنة عضد الدولة وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه أعيان خراسان وفارس والعراق وفي سنة ٣٦٦ من الهجرة مات الامير منصور وكان موته ببخارا بعد أن تسلطن خمس عشرة سنة وولي الامر بعده ابنه أبو القاسم نوح وكان عمره حين ولي ثلاث عشرة سنة ولقب بالمنصور واستوزر أبا الحسين العتبي فقام في حفظ الدولة القيام المرضي وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان وطالت أيامه فيها فلا يطيع الا فيما يريد فعزله أبو الحسين العتبي عنها واستعمل مكانه حسام الدولة أبا العباس تاش وسيره من بخارا الى نيسابور فاستقر بها ودبر خراسان ونظر في أمورها وأطاعه جندها ثم ان ابن سيمجور وضع جماعة من المماليك على قتل أبي الحسين العتبي فقتلوه فكتب نوح الى حسام الدولة يستدعيه الى بخارا ليدبر دولته ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسين فسار عن نيسابور اليها وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين وقد حصل للامير نوح مضايقة شديدة من أمرائه فاستغاث بمساعدة سبكتكين فأرسل ابنه في رأس جيش لمساعدته وبواسطة هذه المساعدة تشتت حال العصاة ونال محمود مكافأة له حكومة خراسان فهذه كانت مبادي محمود الاكبر الغزنوي في فارس ومبادي مملكته التي امتدت في بضع سنين من بغداد الى كاشغر ومن جورجستان الى بنغاله بأرض الهند الا أنه قبل الدخول في هذه الفتوحات نتمم ذكر الدولة السامانية ثم نتبعها بالعائلة الديلمية التي غرقت تحت أمواج بحور محمود الغزنوي

وفي سنة ٣٨٧ مات الامير نوح وبموته اختل ملك آل سامان وضعف أمرهم ضعفا زائدا وطمع فيهم أصحاب الاطراف فزال ملكهم بعد مدة يسيرة ولما مات قام بالملك بعده ابنه أبو الحارث منصور بن نوح وبايعه الامراء والقواد وقام بأمر دولته وتدبيرها بكتوزون ثم بعد قليل صار القبض عليه وملك أخوه عبد الملك وكان هذا آخر سلاطين آل سامان وتغلب على ممالكهم محمود بن سبكتكين كما سنذكره في مدته فيما يأتي بعد ذكر العائلة الديلمية

قد ذكرنا فيما سلف أن مملكة فارس بعد موت عمرو بن الليث الصفار انقسمت بين عائلتين وهما العائلة السامانية وتقدم ذكرها والعائلة الديلمية وكانوا في القسم الاعظم من العراق وفارس وكرمان وخوزستان ولوريستان وهذه العائلة الديلمية هي عماد الدولة أبو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أبو الحسين أحمد أولاد رجل صياد سمك اسمه أبو شجاع بويه من ديلم من أعمال مازوندران نسبه الامير أبو نصر بن ماكولا رحمه الله الى سابور ذي الاكتاف ونسبه ابن مسكويه فقال انه من ولد يزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس ونسبوا الى الديلم لانهم طال مقامهم بها

(العائلة الديلمية) دولة بني بويه

وكان ابتداء أمر هؤلاء على ما هو مذكور في الكامل لابن الاثير أن والدهم أبا شجاع بويه كان صياد سمك وكان متوسط الحال فماتت زوجته وخلفت له ثلاث بنين المتقدم ذكرهم فلما ماتت اشتد حزنه عليها فحكى شهريار بن رستم الديلمي قال كنت صديقا لابي شجاع بويه فدخلت اليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تحتمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وربما مات أحدهم

فيجد ذلك من الاحزان ما ينسيك المرأة وسليته بجهدي وأخذته ففرحته وأدخلته ومعه أولاده الى منزلي ليأكلوا طعاما وشغلته عن حزنه فبينما هم كذلك اذ اجتاز بنا رجل يقول عن نفسه انه منجم ومعزم ومعبر للمنامات ويكتب الرقى والطلسمات فأحضره أبو شجاع وقال له رأيت في منامي كأنني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم انفجرت فصارت ثلاث شعب وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأضاءت الدنيا بتلك النيران ورأيت البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم ولا أفسره الا بخلعة وفرس ومركب فقال أبو شجاع والله ما أملك الا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عريان قال المنجم فعشرة دنانير قال والله ما أملك دينارا فكيف بعشرة فأعطاه شيأ فقال المنجم اعلم أنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ومن عليها ويعلو ذكرهم في الآفاق كما علت تلك النار ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع أما تستحي تسخر منا أنا رجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين كيف يصيرون ملوكا فقال المنجم أخبرني بوقت ميلادهم فأخبره فجعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن علي فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد ثم هذا من بعده وقبض على يد أخيه أبي علي الحسن فاغتاظ منه أبو شجاع وقال لاولاده اصفعوا هذا الحكيم فقد أفرط في السخرية بنا فصفعوه وهو يستغيث ونحن نضحك منه ثم أمسكوا عنه ثم قال لهم اذكروا لي هذا اذا قصدتكم وأنتم ملوك فضحكنا منه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم ثم خرج من بلاد الديلم جماعة ليملكوا البلاد منهم ما كان بن كالي وليلي بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويج بن زياد وخرج مع كل واحد منهم خلق كثير من الديلم وخرج أولاد أبي شجاع في جملة من خرج وكانوا من جملة قواد ما كان بن كالي ومن بعد أن تغلب ما كان على طبرستان وجرجان وعاد الى نيسابور مهزوما فلما رأى أولاد بويه ضعفه وعجزه قال له عماد الدولة وركن الدولة نحن في جماعة وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا وأنت مضيق والاصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا فاذا صلح أمرك عدنا اليك فأذن لهما فسارا الى مرداويج واقتدى بهما جماعة من قواد ما كان وتبعوهما فلما صاروا اليه قبلهم أحسن قبول وخلع على بني بويه وأكرمهم وقلد كل واحد من قواد ما كان الواصلين اليه ناحية من نواحي الجبل من جهات طبرستان وجرجان فأما علي بن بويه فانه قلده كرج وأخذ علي بن بويه في درجة الارتقاء والرفعة من بين القواد وكان سمحا حليما شجاعا فلما قلده مرداويج كرج وقلد جماعة القواد المستأمنة معه الاعمال وكتب لهم العهود ساروا الى الري وبها وشمكير بن زياد أخو مرداويج ومعه الحسين بن محمد الملقب بالعميد وكان العميد يومئذ وزير مرداويج وكان مع عماد الدولة بغلة تهباء من أحسن ما يكون فعرضها للبيع فبلغ ثمنها مائتي دينار فعرضت على العميد فأخذها وأنفذ ثمنها فلما حمل الثمن الى عماد الدولة أخذ منه عشرة دنانير ورد الباقي وجعل معه هدية جليلة ثم ان مرداويج ندم على ما فعل من توليته أولئك القواد البلاد فكتب الى أخيه وشمكير والى العميد يأمرهما بمنعهم من المسير الى أعمالهم وان كان بعضهم قد خرج يرد وكانت الكتب تصل الى العميد قبل وشمكير فيقرؤها ثم يعرضها على وشمكير فلما وقف العميد على هذا الكتاب أنفذ الى عماد الدولة يأمره بالمسير من ساعته الى عمله ويطوي المنازل فسار من وقته وكان ذلك وقت المغرب فلما أصبح العميد عرض الكتاب على وشمكير فمنع سائر القواد من الخروج من الري واستعاد التوقيعات التي معهم بالبلاد وأراد وشمكير أن ينفذ خلف عماد الدولة من يرده فقال العميد انه

لايرجع طوعا وربما قاتل من يقصده ويخرج عن طاعتنا فتركه وسار عماد الدولة الى كرج وأحسن الى الناس ولطف بعمال البلاد فكتبوا الى مرداويج يشكرونه ويصفون ضبطه البلد وسياسته وافتتح قلاعا كانت للخرمية وظفر منها بذخائر كثيرة صرفها جميعها فى استمالة الرجال والصلات والهبات فشاع ذكره فقصده الناس وأحبوه وكان مرداويج ذلك الوقت بطبرستان فلما عاد الى الرى أطلق مالا لجماعة من قواده على كرج فاستمالهم عماد الدولة ووصلهم وأحسن اليهم حتى مالوا اليه وحبوا طاعته وساروا معه وجبى مال كرج واستأمن اليه شيرزاد من قواد الديلم فقويت نفسه وازدادت شوكته فسار بقواده وعساكره الى أصبهان وبها المظفر بن ياقوت فى عشرة آلاف مقاتل (عامل من طرف الخليفة) فأرسل اليه عماد الدولة يستأذنه فى الانحياز اليه والدخول فى طاعة الخليفة ويتوجه الى بغداد فلم يجبه ابن ياقوت وبرز ابن ياقوت عن أصفهان ثلاثة فراسخ فاستأمن لعماد الدولة من عسكر ابن ياقوت ستمائة نفس من الديلم لما بلغهم من كرمه وضعف قلب ابن ياقوت وقويت شوكة عماد الدولة ثم اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم ابن ياقوت واستولى عماد الدولة على أصبهان وعظم فى عيون الناس لانه كان فى تسعمائة نفس وبلغ الخليفة فاستعظمه وبلغ خبر هذه الواقعة مرداويج فأقلقه وخاف على ما بيده من البلاد واستولى ابن بويه على أرجان وغيرها

وفى سنة ٣٢٢ من الهجرة استولى ابن بويه عماد الدولة على شيراز وهزم ابن ياقوت وأصحابه وكان أخوه معز الدولة أحمد بن بويه من أحسن الناس أثرا فى هذه الحروب وكان شابا لم تنبت لحيته وكان عمره تسع عشرة سنة وأحسن عماد الدولة الى الاسارى وأطلقهم وخيرهم بين اللحوق بابن ياقوت أو المقام عنده فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم وأحسن اليهم ودخل شيراز ونادى فى الناس بالامان وطلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم فكاد ينحل أمره فقعد فى غرفة فى دار الامارة يفكر فى أمره فرأى حية خرجت من موضع فى سقف تلك الغرفة ودخلت فى ثقب فى السقف فخاف أن تسقط عليه فدعا الفراشين ففتحوا الموضع فرأوا خلفه بابا فدخلوه الى غرفة أخرى فيها عشرة صناديق مملوءة بالاموال والجواهر قيمة خمسمائة ألف دينار فأنفقها وثبت ملكه وروى أنه أراد أن يفصل ثيابا فدلوه على خياط كان لابن ياقوت فأحضره وكان أصم وخاف من عماد الدولة فقال له لا تخف فانما أحضرناك لتفصل ثيابا فلم يسمع ما قال فحلف بالبراءة من دين الاسلام والطلاق أن الصناديق التى عنده لابن ياقوت ما فتحها ولا يعلم ما فيها فتعجب عماد الدولة من هذا الامر الغريب وأمر باحضارها فكانت ثمانية صناديق فيها مال وثياب قيمته ٣٠٠٠٠٠ دينار ثم ظهر له من ودائع ابن ياقوت وذخائر يعقوب وعمرو ابنى الليث الصفار جمل كثيرة فامتلأت خزائنه وثبت ملكه ولما تمكن من شيراز وفارس كتب الى الخليفة الراضى بالله والى وزيره ابن مقلة يعرفهما أنه على الطاعة ويطلب أقطاعا على ما بيده من البلاد وبذل ألف ألف درهم فأجيب الى ذلك وأنفذ له التقليد والخلع واللواء فخرج عماد الدولة لمقابلة الرسول وأخذ منه الخلع واللواء ولبس الخلع ونشر اللواء بين يديه ودخل البلد وعظم شأنه وقصده الرجال من الاطراف ولما سمع مرداويج بما ناله ابن بويه اصطاد اغتم وسار الى أصبهان فلما وصلها ارد أخاه وشمكير الى الرى وأرسل عسكرا الى الاهواز ليستولى عليها ويسد الطريق على عماد الدولة بن بويه اذا قصده فلا يبقى له طريق الى الخليفة ويقصده هو من ناحية أصبهان وعسكره من ناحية الاهواز وقلد الخليفة ابن ياقوت الاهواز وصار أخو عماد الدولة وهو معز الدولة أبو الحسين يخادع ابن ياقوت ببغداد

ولما بلغ عماد الدولة استيلاء مرداويج على الاهواز كاتب نائب مرداويج يستميله ويطلب منه أن يتوسط بينه وبين مرداويج ففعل فأجابه مرداويج الى ذلك على أن يطيعه ويخطب له فاستقر الحال بينهما وأهدى له ابن بويه هدية جليلة وأنفذ أخاه ركن الدولة رهينة وبهذا اقوى أمر ابن بويه

وفي سنة ٣٢٣ من الهجرة قتل الغلمان الاتراك مرداويج شر قتلة في الحمام لانه كان يكرههم فتتبع الديلم الاتراك وفتكوا بهم وحملوا تابوت مرداويج وساروا نحو الرى فخرج من بها من أصحابه مع أخيه وشمكير فالتقوه على أربعة فراسخ مشاة حفاة وأما أصحابه الذين كانوا بالاهواز وأعمالها فانهم لما بلغهم الخبر كتموه وساروا نحو الرى فأطاعوا وشمكير واجتمعوا عليه وكان ركن الدولة بن بويه رهينة عند مرداويج فنجا الى أخيه عماد الدولة بفارس وفي سنة ٣٢٤ من الهجرة سار معز الدولة بن بويه الى كرمان واستولى عليها وهو أبو الحسين أحمد بن بويه وسبب ذلك أن عماد الدولة بن بويه وأخاه ركن الدولة لما تمكنا من بلاد فارس وبلاد الجبل وبقى أخوهما الاصغر أبو الحسين أحمد بغير ولاية يستبد بها رأيا أن يسيراه الى كرمان ففعلا ذلك وسار الى كرمان في عسكر ضخم شجعان واستولى عليها واستبد بحكومتها حتى أنفذ اليه أخوه قائدا من قواده وأمره بالعود اليه الى فارس فعاد الى أخيه وأقام عنده باصطخر ثم أرسله مع أبي عبد الله البريدى لاجل التغلب على العراق فسار معز الدولة الى الاهواز مع البريدى بعد أن ترك ولديه أبا الحسن محمدا وأبا جعفر الفياض رهينة عند عماد الدولة وتغلب عليها

وفي سنة ٣٣١ من الهجرة استولى ركن الدولة بن بويه على الرى وطرد منها وشمكير بعد حرب انهزم فيه وسار الى طبرستان فقصده الحسن بن الفيرزان فانهزم وشمكير الى خراسان ثم ان الحسن بن الفيرزان راسل ركن الدولة وواصله فتزوج ركن الدولة بنتا للحسن فولدت له ولده فخر الدولة عليا

وفي سنة ٣٣٤ من الهجرة استولى معز الدولة على بغداد وخلع الخليفة المستكفي بالله الخلع على معز الدولة ولقبه بهذا الاسم ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب أخاه الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم ونزل معز الدولة بدار مؤنس ونزل أصحابه في دور الناس وأقام للمستكفي بالله كل يوم خمسة آلاف درهم لنفقاته وكانت ربما تأخرت عنه فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت اليه تولاها أبو أحمد الشيرازى كاتبه واستمر معز الدولة أشبه بوزير للخليفة الا أنه في الحقيقة هو المتغلب على الخلافة وأمرها والخليفة تحت يده وفي سنة ٣٣٦ من الهجرة اجتمع ركن الدولة بن بويه والحسن بن الفيرزان وقصدوا بلاد وشمكير وملك ركن الدولة طبرستان وجرجان واستأمن اليه من قواد وشمكير مائة وثلاثة عشر قائدا وهرب وشمكير الى خراسان مستجيرا ومستنجدا لاعادة بلاده وملك معز الدولة الموصل

وفي سنة ٣٣٨ من الهجرة مات عماد الدولة أبو الحسن على بن بويه بمدينة شيراز بقرحة في كلاه طالت به وتوالت عليه الاسقام والامراض فلما أحس بالموت أنفذ الى أخيه ركن الدولة يطلب منه أن ينفذ اليه ابنه عضد الدولة ليجعله ولى عهده ووارث مملكته بفارس لان عماد الدولة لم يكن له ولد فأنفذ ركن الدولة ولده عضد الدولة فوصل في حياة عمه قبل موته بسنة في جملة من ثقات ركن الدولة فخرج عماد الدولة الى لقائه في جميع عسكره وأجلسه في داره على السرير ووقف هو بين يديه وأمر الناس بالسلام على عضد الدولة وكان يوما مشهودا ومات عماد الدولة فاختلف أصحابه على عضد الدولة فكتب معز

الدولة الى وزيره الصيمري بالمسير الى شيراز فوصل الى فارس ووصل ركن الدولة أيضا واتفقا على تقرير قاعدة عضد الدولة ولما وصل ركن الدولة الى شيراز ابتدأ بزيارة قبر أخيه باصطخر فمشى حافيا حاسرا ومعه العساكر على حاله ولزم القبر ثلاثة أيام حتى سأله القواد العود الى المدينة فرجع اليها وأقام تسعة أشهر وأرسل الى أخيه معز الدولة شيأ كثيرا من المال والسلاح وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الامراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أمير الامراء وكان معز الدولة هو المستولى على العراق والخلافة وهو كالنائب عنهما وكان عماد الدولة كريما حليما عاقلا حسن السياسة للملك والرعية وما زال معز الدولة في حروب ومدسلطة وقوة حتى مات في سنة ٣٥٦ من الهجرة بعلة الذرب وكان بواسط وقد جهز الجيوش لمحاربة عمران بن شاهين وكانت طالت المحاربات بينهما فابتدأ به الاسهال وقوى عليه فسار نحو بغداد وخلف أصحابه ووعدهم أنه يعود اليهم فلما وصل الى بغداد اشتد مرضه وصار لا يثبت في معدته شيء فلما أحس بالموت عهد الى ابنه عز الدولة بختيار وأظهر التوبة وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد شيأ كثيرا على أصحابه وتوفى ودفن بباب التبن في مقابر قريش فكانت امارته احدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وكان حليما كريما عاقلا ولما مات معز الدولة وجلس ابنه عز الدولة في الامارة مطر الناس ثلاثة أيام بلياليها مطرا مستمرا منع الناس من الحركة فأرسل الى القواد فأرضاهم فانجلت السماء وقد رضوا فسكنوا ولم يتحرك أحد وكتب عز الدولة الى العسكر بمصالحة عمران بن شاهين ففعلوا وعادوا وكانت احدى يدى معز الدولة مقطوعة فقيل انها قطعت بكرمان لما سار الى قتال من بها وقيل غير ذلك وهو الذي أحدث أمر السعاة وأعطاهم عليه الجرايات الكثيرة لانه أراد أن يصل خبره الى أخيه ركن الدولة سريعا فنشأ في أيامه شخص اسمه فضل وآخر اسمه مرعوش وفاقا جميع السعاة وكان كل واحد منهما يسير في اليوم نيفا وأربعين فرسخا وكان أحدهما ساعي أهل السنة والآخر ساعي الشيعة

ولما حضر معز الدولة الوفاة وصى ولده بختيار بطاعة عمه ركن الدولة واستشارته في كل ما يفعله وبطاعة عضد الدولة ابن عمه لانه أكبر منه سنا وأقوم بالسياسة ووصاه بتقرير كاتبيه أبي الفضل العباس بن الحسين وأبي الفرج محمد بن العباس لكفايتهما وأمانتهما ووصاه بالديلم والاتراك وبالحاجب سبكتكين فخالف هذه الوصايا جميعها واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين وشرع في ايحاش كاتبيه وسبكتكين فاستوحشوا وانقطع سبكتكين عنه فلم يحضر داره ونفى كبار الديلم عن مملكته طمعا في اقطاعاتهم وأموالهم وأموال المتصلين بهم وعصى عليه أخوه حبشى بن معز الدولة في البصرة فسير بختيار وزيره أبا الفضل العباس بن الحسين اليه وأمر بأخذه كيف أمكن فوصل الوزير على حين غفلة من حبشى فظفر به وأخذه أسيرا وحبسه برامهرمز فأرسل عمه ركن الدولة وخلصه فسار الى عضد الدولة فأقطعه اقطاعا وافرا وأقام عنده الى أن مات في آخر سنة ٣٦٩ من الهجرة وفي سنة ٣٥٧ من الهجرة تغلب عضد الدولة على كرمان وأخذها من أبي علي بن الياس وفي سنة ٣٦٢ من الهجرة عزل الوزير أبو الفضل العباس ابن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار واستوزر محمد بن بقية وفي وزارته زاد الاختلاف بين الاتراك وبين بختيار فشرع ابن بقية في اصلاح الحال مع بختيار وسبكتكين فانصلح وكان على غش وركب سبكتكين الى بختيار ومعه الاتراك فاجتمع به ثم عاد الحال الى ما كان عليه من الفساد وذلك أن ديلميا اجتاز بدار سبكتكين وكان سكران فرمى الروشن بسهم فثبت فيه وأحس

به سبكتكين فصاح بغلمانه فأخذوه وظن سبكتكين أنه قد وضع على قتله فقرره فلم يعترف وأنفذه الى بختيار وعرفه الحال فأمر به فقتل فقوى ظن سبكتكين انه كان وضعه عليه وانما قتله لئلا يفشى ذلك وتحرك الديلم لقتله وحملوا السلاح فأرضاهم بختيار فرجعوا ثم توجه بختيار نحو الموصل لاجل الاستيلاء عليها ثم عاد عنها الى بغداد من بعد أن سعى فى الغلبة وكان سعيه على غير طائل

وفى سنة ٣٦٣ من الهجرة كانت مبادى الفتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز وكان بختيار بالاهواز فاجتهد فى اطفاء الفتنة فلم يمكنه فاستشار الديلم فيما يفعله وكان أذنا يتبع كل قائل فأشاروا عليه بقبض رؤساء الاتراك لتصفوله البلاد فأحضر بعضا من قواد الترك واعتقلهم وأطلق الديلم فى الاتراك فنهبوا أموالهم ودوابهم وقتل بينهم قتلى وهرب الاتراك واستولى بختيار على اقطاع سبكتكين وأمر فنودى فى البصرة باباحة دم الاتراك

وكان بختيار قد واطأ والدته واخوته أنه اذا كتب اليهم بالقبض على الاتراك يظهرون أن بختيار قد مات ويجلسون للعزاء فاذا حضر سبكتكين عندهم قبضوا عليه فلما قبض بختيار على الاتراك كتب اليهم على أجنحة الطير يعرفهم ذلك فلما وقفوا على الكتب وقع الصراخ فى داره وأشاعوا موته ظنا منهم أن سبكتكين يحضر عندهم ساعة يبلغه الخبر فلما سمع الصراخ أرسل يسأل عن الخبر فأعلموه فأرسل يسأل عن الذى أخبرهم وكيف أتاهم الخبر فلم يجد ثقة يثق القلب به فارتاب بذلك ثم وصله رسله الاتراك بما جرى فعلم أن ذلك كان مكيدة عليه ودعاه الاتراك الى أن يتأمر عليهم فتوقف وأرسل الى أبى اسحق ابن معز الدولة يعلمه أن الحال قد انفسد بينه وبين أخيه فلا يرجى صلاحه وانه لا يرى العدول عن طاعة مواليه وان أساؤا اليه ويدعوه الى أن يعقد الامر له فعرض قوله على والدته فمنعته فلما رأى سبكتكين ذلك ركب فى الحال فى الاتراك وحاصر دار بختيار يومين ثم أحرقها ودخلها وأخذ أبا اسحق وأبا طاهر ابنى معز الدولة ووالدتهما ومن كان معهما فسألوه أن يمكنهم من الانحدار الى واسط ففعل وانحدروا وانحدر معهم المطيع لله الخليفة فأنفذ سبكتكين فأعاده ورده الى داره واستولى على ما كان لبختيار جميعه ببغداد ونزل الاتراك فى دور الديلم وتتبعوا أموالهم وأخذوها وثارت العامة من أهل السنة ينصرون سبكتكين لانه كان يتسنن فخلع عليهم وجعل لهم العرفاء والقواد فثاروا بالشيعة وحاربوهم وسفكت بينهم الدماء وظهرت أهل السنة على الشيعة

ولما بلغ ذلك بختيار فى جهة واسط كتب الى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة يستنجدانه ويساعدانه على ما حل به من المصائب من جهة سبكتكين الحاجب التركى والاتراك فأرسلا له الجيوش مساعدة له وسار سبكتكين من بغداد بالاتراك ومعه الخليفة فتوفى سبكتكين فى الطريق وكذا الخليفة وانحل أمر الاتراك وعاد بختيار الى أملاكه

وفى سنة ٣٦٦ من الهجرة توفى ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه واستخلف على ممالكه ابنه عضد الدولة وجعل لولده فخر الدولة أبى الحسن على همذان وأعمال الجبل ولولده مؤيد الدولة أصبهان وأعمالها وجعلهما فى هذه البلاد بحكم أخيهما عضد الدولة وخلع عضد الدولة على سائر الناس ذلك اليوم الاقبية والاكسية على زى الديلم وحياه القواد واخوته بالريحان على عادتهم مع ملوكهم وأوصى ركن الدولة أولاده بالاتفاق وترك الاختلاف وخلع عليهم ثم سار من أصبهان نحو الرى فدام مرضه الى أن توفى فأصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع خلال الخير فيه وكان عمره قد زاد على سبعين سنة

وكانت امارته أربعا وأربعين سنة وكان حليما كريما واسع الكرم كثير البذل حسن السياسة لرعاياه وجنده مرؤفا بهم عادلا فى الحكم بينهم وكان بعيد الهمة عظيم الجد والسعادة متحرجا عن الظلم مانعا لاصحابه منه عفيفا عن الدماء يرى حقنها واجبا الافيما لابد منه وكان يحامى على أهل البيوتات وكان يجرى عليهم الارزاق ويصونهم عن التبذل وكان يقصد المساجد الجامعة فى شهر الصيام للصلاة وينتصب لرد المظالم وكان فيه جميع الخصال المحمودة رحمه الله تعالى ولما مات معز الدولة وركن الدولة لم يستحصل عز الدولة بختيار على كافة ممالك عائلة بيته الا أنه ارتقى الى درجة وزير واستمر فيها نحوا من أربع وثلاثين سنة ولما مات صلى عليه الخليفة بنفسه وكانت أحواله صلحت فى أواخر أمره وصار معتبر الاسم محمود المدة والعاقبة وكان عز الدولة أكبر ملوك الديلم وأجلهم الذين غرقوا تحت أمواج بحور محمود الغزنوى

ومن بعد أن تسلطن البيت السامانى نحو مائة سنة على ماوراء النهر وفارس مع العدل والانصاف والخير والذكر الجميل أخذ أخيرا فى الاضمحلال والهبوط حتى صارت جميع ممالك هذا البيت عرضة للخطف والنهب والاستقلال وازداد ضعفه بواسطة كثرة المشاحنات التى توالت فى الممالك حتى ان أبا اسحاق حاكم نصف اقليم التتار الخراسانى الشاسع الاطراف نجحت أموره ورفع بيرق عصيانه وكان صاحب جيش غزنة لهذا البيت السامانى وخرج عن طاعة السامانية وصار ملكا مستقلا فى نفسه ولما استقل أضاف الى مملكته الاراضى العالية لجبال كابل وقندهار وهذا الاقليم الكائن فى ذيل جبال الهند مسكون بالامة الافغانية وهم جنس أرباب مهارة فى الزراعة وأرباب مواش وأهل حرب مدّوا سلطنة ملوكهم وأمرائهم على الممالك المجاورة لهم وانتخب أبو اسحاق غزنة عاصمة مملكته

وفى سنة ٣٦٦ من الهجرة الموافقة ٩٧٧ من بعد الميلاد توفى أبو اسحاق ولم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم وكان سبكتكين من غلمانه ومقدما عنده وعليه مدار أمره قدم الى بخارا أيام الامير منصور بن نوح مع أبى اسحاق فعرفه أرباب تلك الدولة بالعقل والعفة وجودة الرأى والصرامة وعاد معه الى غزنة ولما مات أبو اسحاق اجتمع عسكره ونظروا فيمن يلى أمرهم ويجمع كلمتهم فاختلفوا ثم اتفقوا على سبكتكين لما عرفوه من عقله ودينه ومروأته وكمال خلال الخير فيه فقدموه عليهم وولوه أمرهم فقرر قواعد مملكته الجديدة وصار مؤسسا فى الحقيقة لعائلة ذات مجد وشوكة وكان عادلا خيرا كثير الجهاد حسن الاعتقاد ذا مروءة تامة وحسن عهد ووفاء لاجرم بارك الله فى بيته ودام ملكهم مدة طويلة جاوزت مدة ملك السامانية والسلجوقية وغيرهم وكان خالص النية حسن الطوية فيه اللطف واللين * روى أنه كان ذات يوم فى أجمة يصطاد فيها فلمح ظبيا مع أمه فى سهل فحمل على الظبى وقبض عليه وهربت أمه فربط الظبى من رجليه ووضعه على سرج حصانه وسار ثم نظر خلفه فرأى أم الظبى تابعة له على بعد وعينها مغرورقة بالدموع فذابت روحه من هذا المنظر العجيب ففك الظبى وقال له الحق بأهلك فانقلب الظبى يجرى وعين سبكتكين تقطر دموعا من شدة الفرح وتولد من هذه الافكار المرضية أن رأى سبكتكين رؤيا فى المنام فى تلك الليلة أنه صار ملكا فأنه على صنيع مروأته هذه مملكة موعودة له وكان يقول يجب على الانسان أن يزرع الاشياء التى يكتسب بها الاسم الطيب الذى يخلده الى الابد

وقد أغار سبكتكين مرتين على مولتان ولاهور فى بلاد الهند وحصل له الظفر فى كل من الحملتين

مطلب
ابتداء دولة آل سبكتكين بغزنة

وهزم جيبال ملك لاهور شر هزيمة وأضاف اقليم بيشاور الطريف الى مملكته ومد سلطنته الى نهر السند ومازال سبكتكين مؤيدا منصورا حتى توفى سنة ٣٨٧ من الهجرة وكان مقامه بغزنة وقيل ببلخ وقد ابتنى بها دورا ومساكن فمرض وطال مرضه ونزع الى هواء غزنة فسار عن بلخ اليها فمات فى الطريق فنقل الى غزنة ودفن فيها ولما حضرته الوفاة عهد الى ابنه اسماعيل بالملك بعده فلما مات بايع الجند لاسماعيل وحلفوا له وأطلق لهم الاموال وكان أصغر من أخيه محمود فاستضعفه الجند فاشتطوا فى الطلب حتى أفنى الخزائن التى خلفها أبوه

ولما توفى سبكتكين وبلغ الخبر الى ولده يمين الدولة محمود وهو بنيسابور جلس للعزاء ثم أرسل الى أخيه اسماعيل يعزيه بابيه ويعرفه ان أباه انما عهد اليه لبعده عنه ويذكره ما يتعين من تقديم الكبير ويطلب منه الوفاق وارسال ما يخصه من تركة أبيه فلم يفعل وترددت الرسل بينهما فلم تستقر القاعدة فسار محمود من نيسابور الى هراة عازما على قصد أخيه بغزنة واجتمع بعمه بغراجق بهراة فساعده على أخيه وسار نحو بست وبها أخوه نصر فتبعه وأعانه وسار معه الى غزنة وبلغ الخبر الى اسماعيل وهو ببلخ فسار عنها مجدا فسبق أخاه محمودا الى غزنة وكان الامراء الذين مع اسماعيل كاتبوا محمودا يستدعونه ووعدوه الميل اليه فجد فى المسير والتقى هو واسماعيل بظاهر غزنة واقتتلوا قتالا شديدا فانهزم اسماعيل وصعد الى قلعة غزنة فاعتصم بها فحصره أخوه محمود واستنزله بامان فلما نزل اليه أكرمه وأحسن اليه وأعلى منزلته وشركه فى ملكه وعاد الى بلخ واستقامت الممالك لمحمود وكانت مدة ملك اسماعيل سبعة أشهر وقيل ان محمودا لم يشرك اسماعيل فى الاحكام بل سجنه حتى مات فى السجن وخلف أباه سبكتكين أو سبكتاجى فى سنة ٣٨٧ هجرية الموافقة سنة ٩٩٧ بعد الميلاد ومد محمود ممالكه واتسعت سلطنته حتى صارت مشتملة على جميع آسيا من سواحل بحر الخزر الى نهر السند بما فيها مملكة بخارا وما وراء النهر كما سيرد من أخباره على وجه الاختصار وهو أنه لما فرغ محمود من أمر أخيه وملك غزنة وعاد الى بلخ رأى بكتوزون قد ولى خراسان من طرف الامير منصور بن نوح الساماني فارسل محمود للامير منصور يذكر طاعته والمحاماة عن دولته ويطلب خراسان فاعاد الجواب يعتذر عن خراسان ويأمره بأخذ ترمذ وبلخ وما وراءها من أعمال بست وهراة فلم يقنع بذلك وأعاد الطلب فلم يجبه الامير منصور ولما تيقن محمود المنع سار الى نيسابور وبها بكتوزون فلما بلغه خبر مسيره نحوه رحل عنها فدخلها محمود وملكها فلما سمع الامير منصور سار من بخارا نحو نيسابور فلما علم محمود سار عن نيسابور الى مرو الروذ ونزل بالقرب منها ينتظر ما يكون ولما بلغه وهو فى هذا الموقع أن بكتوزون وفائق القائدين قبضا على ملكهما منصور بن نوح وسملا عينيه ولم يراقبا الله فيه أرسل الى فائق وبكتوزون يلومهما ويقبح فعلهما وقويت نفسه على لقائهما وطمع فى الاستقلال بالملك فسار عنهما عازما على القتال وتغلب على خراسان وذلك انه سار نحو فائق وبكتوزون فلما سمعوا بمسيره ساروا اليه فالتقوا بمرو واقتتلوا أشد قتال رآه الناس فى سنة ٣٨٩ من الهجرة فانهزم بكتوزون وفائق ومن معهما أما فائق فانه لحق ببخارا وأما بكتوزون فانه قصد نيسابور وقصد أبا القاسم بن سيمجور قهستان فرأى محمود أن يسير خلف بكتوزون وأبى القاسم ويمنعهما من الاجتماع والاحتشاد فسار الى طوس فهرب منه بكتوزون الى نواحى جرجان فارسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه وهو أرسلان الجاذب فى عسكر جرار فاتبعه حتى لحقه بجرجان وعاد فاستخلفه محمود

على طوس وسار هو الى هراة فلما علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد اليها فلملكها فقصدها محمود
فاجفل من بين يديه واجتاز بمرو فسار عنها بعد أن نهبها الى بخارا واستقر ملك محمود بخراسان فازال
عنها اسم السامانية واستقل بملكها منفردا وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصرا وجعل
نيسابور على ما كان يليه السيمجورية للسامانية وسار هو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك واتفق
أصحاب الاطراف بخراسان على طاعته وفي هذه السنة انقرضت دولة السامانية وملك الترك ماوراء
النهر ولما اقر محمود بن سبكتكين أحوال رعيته وقواعد مملكته على قدم الثبات وبث فيها العدل
وجودة الاحكام وصار لا منازع له ولا مضارب واشتهر اسمه وعلا ذكره حتى ذكر مؤرخو الشرق عنه
ان الذئب والخروف كانا يشربان من مجراة واحدة في مدة سلطنته الا أن الاحوال الجارية التي
لا تخلو عن خطف وسلب كانت لا تخلو عن الاثم وكان مشهورا باللين والدين وحسن السياسة في رعيته
وقد ذكر الفردوسي أن محمودا كان يميل في مبادي أمره وأول حياته الى الشك والابهام فكان متردد
العقل والفكر في حالتين مختلفتين الاولى هل توجد آخرة أم لا والثانية هل هو ابن سبكتكين أم لا وأما
أمه فانه لا معارضة فيها فرأى ليلة في منامه النبي صلى الله عليه وسلم فازال عنه هاتين الحالتين وكان
في قلق شديد منهما وقال له لا شك من وجود الآخرة ولا شك من انه ابن سبكتكين فاعترف هذا
الملك الكبير بالدين وصار على اعتراف واقرار نقي من الديانة الاسلامية وغيرة وحمية تامة عليها حتى
جلبت عليه هذه الغيرة الاسلامية كثرة الشوكة وزيادة الهمة وكثرة الاموال وزيادة السعادة وكان
جامعا للاموال خازنا لها على بخل وشح لطخ اسمه في آخر حياته ومن كثرة حرصه على جمع الاموال
وزيادة شوقه على ذكر وتخليد اسمه شرع في الحملة على البلاد الهندية وكان بلغه أن بها كنوزا وأموالا
لا تحصى موجودة في المزارات والمعابد المقدسة الهندية وكان قبل هذا في تردد بال من غزوها حتى استعمل
الوسائط والطرق التي انتهكت بها حرمة هذه الهياكل وسلب خزائنها وكنوزها وحلى بها سراية غزنة
وكان ملوك الهند متمكنين فيها من مدة قرون وعصور ومكثت أربعمائة سنة الشوكة الاسلامية
لا تجد مسلكا لهذه الاقاليم الشاسعة الاطراف والاكناف فانقلب هذا التوطيد واختل نظام
أحوال الممالك الهندية عندما صار تشييد مملكة قوية في حدودها فقد ذكرنا فيما سبق ان
سبكتكين أغار على مولتان ولاهور مرتين وفي كل منهما حصل له الظفر وأضاف اقليم بشاور
الظريف الى مملكته ومدها الى حدود نهر السند وأما محمود الذي أظهر في حروبه وغزواته وتغلباته
على بلاد فارس وما وراء النهر دلائل شجاعته الشخصية وعلو همته الحربية فانه جعل تلك المملكة
الموجودة وراء ذلك النهر أي نهر السند ميدانا كبيرا لحركاته العسكرية وجعل علة توجهه اليها
اخماد ثورات حصلت في الملحقات القاصية من مملكته وتوطيد الارتباكات والقلاقل الحاصلة
من هجوم قبائل التتار وقد أورد المؤرخون الى محمود بن سبكتكين اثنتي عشرة حملة حملها على البلاد
الهندية وبعضهم ذكر لهست عشرة غزوة كان في جميعها ظافرا وعاد الى غزنة مؤيدا منصورا محملا
بأثقال غنائم البلاد الهندية فكانت غزوته الاولى بمجرد عبوره نهر السند والثانية كانت ضد جيبال
صاحب لاهور لانه كان خراجيا لابيه سبكتكين ثم قام يبرق عصيانه واستقل بنفسه ومملكة لاهور هذه
عبارة عن جبال وصحار مشتملة على جهات جيدة الخصوبة وهي من عهد اسكندر الى هذا الوقت يعني
وقت محمود وطن أمة حربية ونفس المملكة حصن حصين ضد حملات الاعداء القريبة من

حدودها وجهز جيبال جيشاً مهولاً لمقابلة محمود فهزمه محمود وأسره مع خمسة عشر من كبار قواده ففدوا أنفسهم بكثير من الاموال والجواهر وأطلقهم محمود على أن جيبال تابع له ولما رأى جيبال المنحوس انه صار أسره مرتين راعى حقارة شرفه وعدم بخته وانحطاط رفعة قدره وفعل أفعال عوائد أهل بلاده البربرية وأعدّ لنفسه عمود الموت والحرق وقذف بنفسه فى لهيب النيران وجلس من بعده ابنه أنندبال على تخت أبيه واعترف بتبعة مملكته الى سلطان غزنة

وأما الثلاث غزوات التى أجراها محمود بعد ذلك فكانت بعلة جمع الخراج واخماد عصيان بعض الاحزاب وكانت الخامسة فى سنة ١٠٠٩ بعد الميلاد صار البدء فيها بهجوم حصل من ناحية أنندبال وذلك أن انندبال عقد محالفات ومعاهدات مع جميع الملوك الكبيرة الممدودة فى داخل البلاد الهندية مثل ملك دلهى وملوك كانوج وأوجين وجواليور وكالنجير وغيرهم وجمع أكبر جيش ما سمع بمثله فى هذا الاقليم من عدة قرون مضت وعبر نهر السند ودخل هذا الجيش الكثيف سهول بيشاور وكان فيها المسلمون فارتاع المسلمون من مقابلة جيش عرمرم كثيف مثل هذا فى ميدان مكشوف فحصن محمود عساكره بالمتاريس واستمر الجيشان فى مواجهة بعضهما أربعين يوما ومن بعد هذه المدة حصل البدء فى الواقعة من جهة أهل البلاد وذلك أن قبيلة اسمها قبيلة الجو يكواريين وهى أمة وحشية قاطنة فى نواحى الجبال الموجودة فى شمال لاهور أمطرت مطرا من النبال والحراب على عساكر محمود فأثرت تأثيرا شديدا الا أن الجيش الاصلى ما كان له طاقة على اجراء هجوم أو كبس على أهل القوة والمنعة عساكر محمود المتحصنين فى متاريسهم وأهلك المسلمون منهم عددا كثيرا وفى أثناء الواقعة خاف الفيل الراكب عليه انندبال ملك لاهور من فرقعة كلة نارية وقعت أمامه فقفز وبرطع ورمى براكبه من فوقه فى ميدان الواقعة فظن عساكر انندبال فى هذا الوقت فى أنفسهم أن قائدهم تركهم وهرب فوقع فيهم الارتباك والفشل وابتدأ جميع هذا الجيش المهول فى الهرب من ميدان الحرب مع الخوف والفشل الاكبر وكانت هذه الواقعة مثل واقعة أردشير الاول ملك فارس مع الجريس الا أن محمودا بدل أن يقابل أمة حربية لها اقدام وشجاعة فى الحروب قابل نساء فى حركة محاجة حربية فسار محمود خلفهم بعساكره وقتل منهم نحوا من ٢٠٠٠٠ نفس وأخذ ما لا يحصى من الفيلة المحملة بنفائس الجواهر والاموال ولما رأى محمود من لا يصدّه فى تقدمه سار مباشرة على قلعة بيى أو بهجهور وهى قلعة شاهقة فى الجو لا يمكن الوصول اليها وكانت مخزنا عاما لجميع أموال الهياكل المقدسة الموجودة حولها ولما سار ملوك الهند الى الامام نحو محمود متمنين حصول الظفر لهم بأسهل حالة أخذوا معهم كافة المحافظين الذين كانوا فى المدائن والقلاع لاجل تقوية عساكرهم وكثرة عددها وتركوا القسس يحفظون المزارات والهياكل فلما رأى القسس ما حل بهم من عساكر الاسلام فتحوا أبواب القلاع والهياكل للفاتح وخروا ساجدين على وجوههم فى الارض أمام الملك المنصور فأخذ محمود من القلعة ما كان بها من الذهب والفضة والاحجار الثمينة ما قدره فرشته بانه لا يوجد مثله ولا نظيره فى خزائن أى ملك من ملوك الارض الا أن القولونيل بريجس قدّر قيمة هذه الغنيمة بغاية الدقة الى مبلغ ٣٠٠٠٠٠ ليرة من النقود عدا ما فى ذلك أثمان الالماس والجواهر النفيسة وهذه المكاسب التى عادت جميعها على محمود فرق منها على عساكره وأحسن بقسم منها على فقراء غزنة وعلمائها وأصلح مساجدها

ومن هذه الحالة الشديدة كشف ملوك الهند الى محمود عاقبة سر ضعفهم وعدم طاقتهم على الحروب

وعلى

وعلى مقدار الخزائن والكنوز والجواهر الموجودة فى مملكتهم وهذه حالة مكسب لا يلزم السير فيها
مع التوانى ثم وردت الى محمود الاخبار بشأن مزار طنسار وهو محل مشحون بالذخائر والاموال
مقدس عند الهنود وهذا المزار كائن بالقرب من ميدان الواقعة الكبرى المعروفة عند الهنود
بواقعة المهابرات ولما مر محمود فى حال سيره من أراضى لاهور أرسل له اندبال يلتمس منه مع التلهف
والخضوع أن الهنود صبروا ورضوا بما أخذ من قلعة بيمى من أموال المعابد والهيا كل التى كانت
بها والآن يرغب منه أن لا يقرب ما يخص مزار طنسار الجليل القدر عند الهنود ويتركه لهم فلم
يقبل محمود ما التمسه منه اندبال مع الشدة والثبات وأعاد عليه جوابه بانه يتعين عليه أن يمحو أثر
الاصنام من بلاد الهندستان ووصل محمود الى المحل المعهود قبل أن تمكن اندبال من أن يأتى
اليه ولو بمساعدة قليلة من ملك دلهى واستحوذ من دون حصول أدنى مقاومة على جميع الكنوز
التى كانت مجموعة فى مزار طنسار من عهد قرون وعصور مضت وكسر جميع الاصنام ورماها على
قارعة الطريق ما عدا صنما ضخم الجثة اسمه بوجسوم حمله الى غزنة وكسره قطعا وتغلب هذا
الفاتح على دلهى وعزم أن يضيف هذا الاقليم الظريف الى ممالكه الا أنه تفكر فى نفسه وتدبر فى
أمره ورأى أنه تستحيل المواصلة مع الانتظام بين عاصمة دلهى وعاصمة غزنة بسبب صعوبة اقليم
لاهور المسكون بامم أهل بسالة وشجاعة وكذا صعوبة عبور الاقليم ووجد أنه يجب خضوع اندبال
قبل كل شئ فبهذا صرف محمود النظر عن وقوع العداوة ورأى أنه من الحزم عدم السعى فى استجداد
حروب ومن ثم عزم على عدم التغلب على البلاد الهندية الا أنه صار ينقض من وقت الى آخر مثل
انقضاض العقاب من عشه العالى فى وسط ثلوج الجبال ويخطف صيده ويطير الى جبال مملكته
وفى سنة من السنين صرف هذا الملك الجليل والسلطان النبيل فصل صيف فى التغلب على وادى كشمير
الجميل وتولد من تغلبه عليه فتح طريق له الى داخل البلاد الهندية من دون أن يمر على أرض اندبال أو
يتخابر معه فى شئ وفى سنة ١٠١٧ بعد الميلاد جمع جميع قواه وعساكره من أقاليم التتار وسار
فى رأس ١٠٠٠٠٠ فارس و ٣٠٠٠٠ راجل فى طول منابع الانهر الكبيرة متوجها الى مدينة
كانوج وكانت أجل وأعظم مدينة فى بلاد الهند ووصف مورخو الشرق مجد هذه المدينة وفخامتها
وعظمها وشماخة أبراجها وذكروا أنه كان يوجد بها ٣٠٠٠٠ دكان يباع فيها البتل (وهو ورق
أخضر ينبت شجره فى أرض الهند وسيلان يستعمل مضغة عند أهل البلاد مع معجون الجير مثل
مضغ الدخان والنطرون فى مصر) وفيها أيضا ٦٠٠٠٠ نفس آلاتية يضربون على آلات
الموسيقى فمثل هذه المدينة التى أهلها كانوا منعكفين على الرفاهية ولذة العيشة ما كان عند أهلها
استعداد لمقابلة كتائب صبت عليها من الافغانستان ولم يجد مليكها حيلة فى المدافعة عن المدينة
وأهلها الا فى كونه سار وقدم طاعته الى الملك الفاتح فمن ثم صار معاملة كانوج وأهلها مع الرفق
واللين وأقام بها محمود وعساكره ثلاثة أيام ومن بعد أن أخضع عدة جهات أخر وردت اليه الاخبار
بوجود مدينة جليلة مشحونة بالجواهر والاموال وهى مدينة ماطرة أوماطورة محل معبد كرشنة
المقدس وتحتوى هذه المدينة على مزارات ومعابد ثروتها وغنيتها تزيد عن ثروة أى اقليم متمول
فسار اليها محمود بعساكره ودخلها من بعد أن لاقى من أهلها مقاومة ضعيفة ووجد هياكلها أفخر
هيا كل لم ير مثلها قبل ملآنة بالاصنام الهائلة المصنوعة من الذهب الخالص وعيونها من الزمرد

الاحمر النقى وعينا كبيرهـذه الاصنام من الزمرد الازرق الخالص فلم يضع هـذا الفاتح أدنى لحظة من الزمن فى فك هـذه الاشياء النفيسة المقدسة عند الوثنيين وجمعها جميعها كل صنف على حدته من الذهب والجواهـر والاحجار الكريمة وحملها على قطر طويل من الجمال وأخضع بعض المدائن بمحاربات شـديدة الا أنها كانت قليلة المكسب وعاد من طريق لاهور الى غزنة وكانت غنيمته هـذه زائدة بكثير عن غنيمة طنسار وصار تقـديرها الى نصف مليون من النقود بما فيها من الجواهر واللآلئ ويضاف الى هـذه الغنيمة ثمن ٥٣٠٠٠ أسير صار تقدير قيمة كل رأس خمسة شلنات وأما الاموال التى أخذتها قواد العساكر فى السر وكذا التى أخذتها العساكر فكانت تعادل قيمة ما اكتسب الملك

وبواسطة ما أرسل محمود من الغنائم والاسلاب الى غزنة صارت أحسن موقع لمهاجرى رعاة الافغانية وشرع محمود يشيد فى غزنة بواسطة الاموال والكنوز التى جلبها من كانوج وما طورة مبانى عمومية فاخرة ذات أبهة حتى يجعلها أحسن مدينة وأجل عواصم الدنيا الموجودة فى مدته فابتنى فيها مسجدا رحبا من الصوان والرخام الغالى الثمن ونقشه بأبدع النقوش وذهبه بأحسن الصناعات حتى فاق وساد فى أبهته وفخر بنائه على جميع مبانى آسيا وسماه العروسة السماوية وقلده الامراء فى هـذا العمل العظيم مليكهم وشيدوا لانفسهم مبانى مفتخرة وعمارات جليلة حتى فاقت غزنة فى الفخر والفخامة مدائن البلاد الهندية وفى هـذه الاثناء وردت الاخبار الى محمود بأن انقياد ملك كانوج لطاعته وتعاهده معه كانت عاقبتها مشؤمة على هـذا الملك وعلى مدينته وذلك أن نونده ملك كالنجهر اغتم واشتد فى وجهه الغضب من مفارقة ملك كانوج الاتحاد العام العائد على البلاد الهندية بالنفع والفائدة وتعاون بالملوك المجاورين له وأشعل حربا مهولا على ملك كانوج كانت نتيجته هزيمة هـذا الملك وموته واستلام عاصمته وخرابها بعد هلاك أهلها فتأهب ملك غزنة وسار مجدا فى سيره عابرا المحلات الصعبة الشامخة والواطية والسهلة والصعبة ومن بعد أن عبر نهر جمنة بالقوة والاقتدار وجد نونده ملك كالنجهر محصنا نفسه فى متاريس بالقرب من مدينة كانوج ومن المحتمل انه كان منتظرا هجوم محمود عليه الا أنه من بعد مناوشات قليلة تقهقر الملك الهندى وترك المملكة عرضة لسلب ونهب الهاجمين ومع هذا فان مدينة كانوج ومملكتها لم يعد اليهما مجدهما القديم مرة ثانية ومدينة لاهور وان كانت قريبة من الاراضى الغزنوية الا أنها استمرت مستقلة مدة ثلاثين سنة التى هى مدة سلطنة محمود الغزنوى ومن بعد موت انند بال سعى محمود السعى الثابت فى الحصول على استحواذ هـذه المملكة المهمة المعتبرة بأنها مفتاح الهند وجمع قوة كبيرة وسار نحو عاصمتها ولما كان ملكها الشاب لا طاقة له على مقابلة جيش عريض مثل جيش محمود الغزنوى ترك المدينة ومملكته وهرب والتجأ فى اجمير وبهذا دخلت مملكة لاهور فى ضمن الاراضى الغزنوية

ومن بعد أن أجرى محمود غارات قليلة على البلاد الهندية شرع فى سنة ١٠٢٤ بعد الميلاد فى حملته الاخيرة المهولة على بلاد الهندستان وكان أدخل جيشه فى انتظام وترتيب جديد وبدل هيئته القديمة بهيئة أحسن منها وكان سبب ذلك أنه سمع بأنه يوجد فى اقليم الجوزيرات من ممالك الهند وعلى ساحل البحر المحيط الهندى سومنات وهو مزار أعلى من جميع المزارات التى خربها وجردها وكان موقوفا على هـذا المزار ألف قرية يرسل خراجها اليه خلاف الهدايا والنذور التى كانت ترد اليه من الاقاليم

والاقطار

والاقطار المحيطة به وأما سومنات نفسه فكان مرعى عند الهنود بأنه القاضي العمومي للموت وكان يغسل تمثاله المصنوع من الذهب الخالص كل يوم بماء يجلب من نهر الكنج وهو على مسافة ألف ميل من قلعة سومنات وهو نهر مقدس عند الهنود يلقون فيه بعضا من رماد حريق ملوكهم في زجاج مغلوق وكذا من يموت من أعيانهم وأمرائهم معتقدين سوقهم الى جنات النعيم وبه من الخدم البراهمة ما ينوف عن ألفي نفس وخمسمائة من البنات المغنين الراقصات وثلاثمائة يضربون على آلات الموسيقي وثلاثمائة نفس من الحلاقين وقد بلغ السلطان محمود أن قسس سومنات يعتقدون أنهم في حفظ وحصن حصين من شوكته وحملته ويعتقدون أن الجرائم والذنوب التي حصلت من دلهي وكانوج كانت هي السبب الوحيد في دمار وخراب هذه المدائن وأما هم فانهم على طهارة ولا طاقة لهذا الملك المستعبد في تغلبه عليهم فلما سمع الملك بذلك اجتهد في حطم هؤلاء القسس وجمع عساكره وساقهم الى داخل مولتان وجمع ٢٠٠٠٠ جمل حمل عليها الذخائر والمؤن وعبر الصحراء الكبيرة الشاسعة فرأى أن أهل مدينة أجمير تركوا مدينتهم وقلعتهم الحصينة التي لا يمكن الوصول اليها وكذا نهر والى عاصمة الجوزيرات تركها اهلها ومن بعد أن عبر صحارى أخرى وصار على مرأى من سومنات رأى قلعة شامخة على بحيث جزيرة داخلة في البحر محيط جميعها بماء البحر ما عدا نقطة واحدة منها محفوظة باسوار قوية مرصوص على كرانكها وشرفاتها محافظون كثير والعدد فأرسل اليهم محمود رسولا قال انهم ان الههم سومنات هو الذي جلب المسلمين هنا لاجل أن يخربوا هذا البناء المهول الموجود فيه الآلهة بيلطهم وفوسهم ويسووا به الارض ثم تقدم المسلمون مع سرعة شديدة أذهلت عقول الهنود حتى أسرعوا الى آلهتهم وبكوا وأنوا واشتكوا أمام الآلهة ولما رأوا السلالم وضعت على الاسوار دافع الهنود مدافعة شديدة مع الغضب والحنق واستمر هذا الحرب طول النهار وفي آخر النهار لما كل الهاجمون وتعبوا اجبروا على التقهقر الى معسكرهم وفي صباح اليوم الثاني بكر المسلمون وشرع محمود في الهجوم وكان هذا الحرب في هذا اليوم أحسن من حرب أمس

وفي اليوم الثالث شاهد محمود جيشا كبيرا واردا على بعد متقدما في سيره لخلاص سومنات نعني محمود عساكره للحرب واشتبك الحرب لان أهل هذه الجهة من البلاد الهندية أهل بسالة وشجاعة واقدام وصبر على الحروب فاشتدت الواقعة وعظم المصاب وظن هنود سومنات أنهم نالوا السعادة عندما رأوا قدوم هذا الجيش اليهم تحت قيادة بيرم ديو ودابيساليمه من رؤساء الهنود المشهورين في اقليم الجوزيرات وزادت الواقعة شدة على شدتها وعظم الخطب ورأى محمود أن هذه أول مرة في أرض الهند صار عرضة فيها للخطر والبلاء والكرب العظيم فذكر عساكره بالغيرة الاسلامية وخر ساجدا على الارض وتضرع الى الله سبحانه وتعالى لمساعدته في هذا الحرب المقدس ونادى بصوته في عساكره وقواده أن تقدموا واقتحموا القتال فاما النصر واما التتويج بتاج الشهادة ومن ثم اكتسب أخيرا نصرة كاملة وهزم الهنود شر هزيمة وهربوا من ميدان المعركة ولما رأى محافظو سومنات هزيمة الجيش الاعظم الذين كانوا معتمدين عليه في خلاص أنفسهم حصل فيهم الارتباع والارتباك والفشل وتركوا القلعة وفروا هاربين فدخل محمود التامة وسار برابه الى المعبد فوجده بناء عجيبا قديما وفي داخله فسحة وايوان كبير جليل القدر محمول على ستة وخمسين عمودا مرصوص في جهاته تماثيل الآلهة الهندية وصورها مصنوعة من الذهب الخالص وأما سومنات نفسه فكان مثل

البرج ضخم الجرم أعلى من كافة الاصنام وأول ماوقع بصر محمود على هذا الصنم المهول ثارت فيه نار الغيرة الاسلامية والديانة المحمدية وقلع أنفه وأمر بقلع جميع هذه الصور وتكسيرها ولما رأى البراهمة ما حل بآلهتهم من هذه المصيبة خروا على ركبهم ساجدين أمام محمود وقدموا له مبالغ جسيمة فداء على ترك الباقى فلم يقبل فعرض الامر على أهله بأن قبول الفداء من حزم الرأى فقال لهم أنا لا أكون بياع أصنام وأمر بكسرها جميعها ووجد داخل الهيكل براميل ملآنة بالاحجار الكريمة من أنواع الزمرذ والالماس وغيرهما مما يتعسر تقدير قيمته ثم انشرح صدر محمود من اقليم الجوزرات وتردد فى نفسه هل يجعل هذا الاقليم المقر أو المركز الاصلى لحكومته أو يضيف مجده وثروته الى ممالكه فرأى من بعد تردد أن المسافة بين ممالكه وبين الجوزرات بعيدة والوصول اليها صعب جدا فعزم على أن يوظف فى هذه المملكة الجميلة سلطانا برهمى المولد يكون تحت سلطته ومن بعد سفره بقليل قام أهل الجوزرات ودخلوا تحت طاعة أهل بيت ملوكهم القديمة وكانت هذه الحادثة فى سنة ٤١٠ من الهجرة ولما رجع المنصور محمود متوجها الى غزنة تحمل أكدار الآلام والمصاعب فى أثناء عبوره الصحارى والبرارى الواسعة وحصل له خوف شديد وارتباك مزيد من الجوت وهم قبيلة متوطنة فى مولتان حاكمون على ملاحة نهر السند بواسطة قوارب حربية تحت أيديهم ولما عاد محمود الى غزنة شرع فى السنة التالية فى حملة على هذه الامة بغاية الحنق والغضب وأعد لها ألوفا من القوارب الصغيرة المحفوظة بسهام وحرب من الحديد وسار اليها ومن بعد أن حصل بينه وبينهم مبارزات ووقائع شديدة هزمهم شر هزيمة وقتل معظمهم وباع ما بقى منهم فى أسواق ممالكه

وفاة محمود بن سبكتكين

ولما عاد الى غزنة من هذه الغزوة غزا عدة غزوات فى خراسان وعند عوده منها الى غزنة فى سنة ١٠٣٠ بعد الميلاد أصابه مرض ومات بعد أن بلغ من العمر ثلاثا وستين سنة وكان مرضه سوء مزاج واسمها الاوبقى كذلك نحو سنتين وكان قوى النفس لم يضع جنبه فى مرضه على الارض بل كان يستند الى مخدته فأشار عليه الاطباء بالراحة وكان يجلس للناس بكرة وعشيا فقال أتريدون أن أعتزل الامارة فلم يزل كذلك حتى توفى قاعدا ولما حضره الموت أوصى بالملك لابنه محمد وكان أصغر من مسعود وكان ببلخ فسار الى غزنة ووصلها بعد موت أبيه بأربعين يوما فاجتمعت العساكر على طاعته

وكان محمود بن سبكتكين عاقلا دينا خيرا حليما عدلا خاضعا فى أحكامه فمما دل على حلمه أن جاءت امرأة اليه تشكو لصوصا قتلوا ابنها فى صحارى العراق ونهبوا مالها فقال لها ان هذه محلات قاصية بعيدة علينا لا يمكننا أن نمنع منها مثل هذه الاحوال فأجابته المرأة بغضب وحدة لاى شئ تتغلب على ممالك لا طاقة لك بحفظها ولا خبرة لك بنظامها وبماذا تجاوب عند الله يوم القيامة وصارت توبخه فقال لها انه على أسف وحزن شديد من موت ابنها وهذه الملامة لا يمكن حصولها للملك الا اذا كان حليما متواضعا ومما دل على عدله أن واحدا من أهل غزنة عرض له أن سيدا كبيرا من حواشى الملك اغتصب منه امرأته ويأتى اليها ويخرجه من بيته ويحل محله غصبا فاشتد الغضب فى وجه محمود وقال له بينى وبينك هذا وأول ما يدخل هذا المجرم بيتك أخبرنى فى الحال فجاء الرجل بعد ثلاث ليال وكان محمود فى انتظاره وأخبره بدخول الرجل داره فأخذ محمود خنجرا من عساكره وسار مسرعا الى بيت الشخص وأمر باطفاء جميع النور وتقدم ومعه جميته وخنجره وقبض فى الظلام على الجانى وخلع رأسه من بين كتفيه وأمر بتوليع النور فلما نظر الى أضحيته خر ساجدا لله

سبحانه وتعالى فسئل عن معنى اطفاء النور فقال خشية أن يكون الجانى من المقربين الى" كأحد أولادى مثلا فاتركه فيضيع العدل وأمر بارسال عساكر ومحافظين فى الصحارى والطرقات لحفظ المارين فيهما من اللصوص وقطاع الطرق

وكان عنده علم ومعرفة وصنف له كثير من الكتب فى فنون العلوم وقصده العلماء من أقطار البلاد وكان يكرمهم ويقبل عليهم ويعظمهم ويحسن اليهم فكان من ضمن الذين وفدوا على ديوانه الفردوسى شاعر مملكة فارس وكان فى عصره مثل عمير الشاعر فى بلاد اليونان أو الجريس فطلب منه محمود أن يصنف له كتابا بالشعر فى سلاطين فارس فاتبع الفردوسى فى طريقة تصنيفه هذا الكتاب طريقة سلفه الدقيقى ولبث مدة قدرها ثلاثون سنة حتى أتم كتابه وكان محمود وعده أن يكافئه على كل بيت من الشعر بدرهم من الذهب فاستمر الفردوسى فى تصنيف كتابه حتى بلغ الى ٦٠٠٠٠ بيت من الشعر وسماه بالشاهنامه أى تاريخ الملوك وقدمه للملك وطلب مكافأته فأمر له محمود بمبلغ ٦٠٠٠٠ درهم من الفضة بدل ٦٠٠٠٠ من الذهب فثار الغضب فى وجه الفردوسى وخرج من ديوان الملك وتوجه الى مدينته وشرع فى تصنيف كتاب يقدح فيه على محمود وعلى خسة مولده من ابتداء أمره الى الحالة الموجود هو عليها فلما بلغ الملك سامحه فى ذمه وأمر بمكافأته بمبلغ ١٠٠,٠٠٠ درهم من الذهب الآن هذه المكافأة مضى وقتها لانه بمجرد وصول رسول الملك الى مدينة الفردوسى بأكياس الذهب ودخوله من أحد أبوابها كانت جنازة الفردوسى خارجة من باب آخر

وبموت محمود انحط مجد عائلته وانهزم وارثه مسعود من بعد مضى عشر سنوات بواسطة التركمان السلجوقية فى نواحى خراسان ومن بعد مضى مدة قليلة أخذ أسيرا بواسطة ثورة حصلت فى جيشه وقتله ابن أخيه محمود وكان سمل عينيه وفى مدة سلطنة مودود اغتصب السلجوقية جميع ممالك محمود الفارسية وطردوا منها العائلة الغزنوية

مطلب العائلة السلجوقية

وأصل هؤلاء السلجوقية من التركمان من ذرية سلجوق بن تقاق وكان تقاق هذا (ومعناه القوس) مستخدما تحت يد ملك الترك ولما كبر سلجوق فى بيت أبيه وظهرت عليه أمارات النجابة ومخايل التقدم قربه ملك الترك وقدمه ولقبه سباشى (ومعناه مقدم الجيش أو قائده) فدخل أعداء سلجوق حتى أفسدوا بينه وبين ملك الترك فلما رأى ذلك سلجوق هاجر بقومه من منحدرات كيجوق الى سهول بخارا وتوالدوا واستولدوا وقامت منهم عائلة قوية جلست على كرسى فارس لم يجلس نظيرها قبلها وكانت هذه العائلة استوطنت فى نواحى خراسان وكثر عددهم فى زمن سلطنة محمد بن سبكتكين حتى خاف هذا الملك منهم ومن كثرة عددهم فقال ذات يوم النائب عنهم اسمعيل بن سلجوق وكان يحضر ديوان الملك كل يوم ويجلس أمام الملك متقلدا سيفه ورمحه وجعبته حسب العوائد الجارية عندهم وقال له محمد ما مقدار الذى يمكننى أن آخذه من قبيلتكم لمساعدتى فى وقت الاحتياج فأجابه اسمعيل لو أرسلت هذا الرمح الى قبيلتى ورميا آخر من تحت أقدام الملك لبى الدعوة ٥٠,٠٠٠ فارس خيال فقال له السلطان كل هذا قوتكم فأجابه أيضا لو أرسلت هذا ورمى آخر لبى الدعوة ١٠٠,٠٠٠ خيال فقال السلطان اذا كنت فى حالة ضيق جدا وأطلب مساعدتكم فما مقدار ما تساعدونى به فقال له لو أرسلت جعبتى هذه الى قبيلتى لبى الدعوة ٢٠٠,٠٠٠ خيال طائعين مختارين فارتاع محمد من ذلك وتيقن دمار مملكته من بعده فى المستقبل

وفى سنة ١٠٤٢ بعد الميلاد صار طغرول بك محمد بن سلجوق رئيس السلجوقية وجعل نفسه أستاذ خراسان واشتدّ ملكه ووطأته وقلد نفسه فى هيئة سلطان أوملك فى نيسابور . وفى مدة أقل من عشرين سنة تغلب على فارس ودخل بغداد باذن من الخليفة وخطب له فى مساجدها من بعد الخليفة وزادت العلاقة والمحبة بين الخليفة وطغرول بك بواسطة رواج حصل وكان ذلك إشعار زوال العائلة الديلمية من بغداد ودخل تحت طاعة طغرول بك جميع الجهات وتزوج الخليفة القائم بأمر الله ابنة داود أخى طغرول بك وكذا تزوج طغرول بك بنت الخليفة .

وفى سنة ٤٥٥ من الهجرة سار السلطان طغرول بك من بغداد الى بلد الجبل فوصل الى الرى وكان مستصحبا معه أرسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فأخذها معه فمرض وتوفى وكان عمره سبعين سنة تقريبا حكى عنه أنه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأنى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيأ غيرانى أشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى أسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فكررتها فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عمره بوجه التقريب فوجد سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وكان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا تقع فى يده مكاتبات من حواشيه بذمه والقدح فيه ولا يظهر غضبا ولا يظهرها لهم وكان يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البيض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأيديهم مطلقة فى ذلك ليلا ونهارا وكان كريما فمن كرمه أن أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوك فبذل فى نفسه أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه ذلك وحمله الى طغرول بك فأرسل ملك الروم الى نصر الدولة بن مروان حتى يخاطب طغرول بك فى فكاكه فلما سمع طغرول بك رسالته أرسل ملك الروم الى نصر الدولة بغير فداء وسيرمعه رجلا علويا فأرسل ملك الروم الى طغرول بك مالم يحمل فى الزمان المتقدم وهو ألف ثوب من الديباج وخمسمائة ثوب أصنافا وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأهدى مائتى ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلاثمائة حمار مصرى وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون

ولما مات طغرول بك جلس من بعده ابنه الب ارسلان على كرسى أبيه (ومعنى الب ارسلان الاسد الكاسر) وقال بعض العلماء من الافرنج ان الب أرسلان جارطبائع هذا الحيوان فى الشجاعة والبسالة وكان من أنجب الاولاد ومن دأبه العدل والكرم وكانت الفضائل من سجيته ومما يدل على ما كان عليه من الكرم والحلم والمروأة وعلو الهمة انه لما التقى بأرمانوس ديوجينيس وكان رومانوس أغار على بلاده وهدده مع الوقاحة بالدمار والخراب ولما أسره الب أرسلان أظهر عزة النفس وشرفها وأقامه من على الارض وضرب كفا على كف وقال لايجب نقص شرف الامبراطور ولا حصول أدنى ضرر ولا ألم يحل بحياته وصار يستقبح خسة الذين تركوا قائدا شجاعا مثل هذا فى وقت الخطر وعامله معاملة الملوك مدة ثمانية أيام ثم سأله أمام مجلس عقد له من بعد مضى المدة وقال له ماذا كانت أيامك السعيدة لو وقعت أنا فى يدك وما كانت حالة أيامى عندك فأجابه رومانوس كنت أصرمك ضربا سؤلما وأحرب بلادك ولا أقبل منك دية فقال له الب أرسلان وماذا تظن منى الآن بعد أن تبسم فى وجهه من معاملتى قبلك فأجابه رومانوس ان كنت جبارا فتقتلنى وان كنت مغرورا مع أنفسك فتصحبنى فى

عن مثلك أجرها مثل رقيق وان كنت كريما حازم الرأى فهبنى حريق وأقبل فداى فاتفقا على الفداء

وفى المدة التى كان فيها رومانوس مأسورا عند الب أرسلان صار اغتصاب تخته ولما خلى سبيله صار لا طاقة له على دفع مبلغ الفداء وايفاء ما وعد به الب ارسلان ومع هذا فانه أرسل ما قدر عليه من النقود على قدر امكانه فاستعد الب أرسلان فى غزوة لاجل أن يعيد سلطنة رومانوس اليه ومن بعد استعداده سمع بموته فتوقف عن حركة مسيره

ولقب الب أرسلان بعضد الدولة وكان صاحب خراسان فى سلطنة أبيه ووزيره نظام الملك فدخل عميد الملك وزير طغرلبك على نظام الملك وزير الب أرسلان قاصدا خدمته وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف فسار أكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأرسله الى مرو الروذ واعتقله فيها ومن بعد مضى سنة أرسل له غلامين فدخلا عليه وهو محبوس فقتلاه وأنف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وحملت جثته الى كندر بلده ودفن عند أبيه وكان سبب اتصال عميد الملك بالسلطان طغرلبك أن السلطان لما ورد نيسابور وطلب رجلا يكتب له يكون فصيحا بالعربية فدل عليه وأعطته السعادة وكان فصيحا فاضلا وانتشر من شعره ما قاله فى غلام تركى صغير السن كان واقفا على رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه * وهو مشغول بلعبه * لو أراد الله خيرا * وصلاحا لمحبه

نقلت رقة خديـ * ـه الى قسوة قلبه * صانه الله فما أكـ * ـثر اعجابى بعجبه

ومن شعره

ان كان بالناس ضيق من منافستى * فالموت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعنى * كل لكأس المنايا شارب حاسى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لانه أرسله يخطب عليه امرأة ليتزوجها فتزوجها هو وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته

ثم ان الخليفة القائم بأمر الله لقب عضد الدولة الب أرسلان بضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما وشافه الرسل المرسولين من طرف ألب أرسلان بتقليده السلطنة وسلمت الخلع عشيرة من الخلق وأرسل اليه من ديوان الخليفة النقيب طراد الزينبى فوصلوا اليه وهو بنقجوان من أعمال أذربيجان فلبس الخلع وبايع للخليفة وفى سنة ٤٥٦ من الهجرة غزا الب أرسلان فى بلاد الروم وفتح منها مدينة انى ومدينة الكرج وجهات أخرى وعاد من الروم الى أصبهان ومنها الى كرمان وكان بها أخوه قاورت ثم منها الى مرو وزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ما وراء النهر وزفت اليه وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقى والبيت المحمودى واتفقت الكلمة وفى سنة ٤٥٨ من الهجرة سار الب أرسلان من مرو الى رايكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة أمراء دولته فأخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بأنه السلطان بعده وأركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وأمرهم بالخطبة له فى جميع البلاد التى يحكم عليها ففعل ذلك وأقطع البلاد فأقطع مازندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان وخوارزم لاخيه أرسلان أرغو ومرو لابنه الآخر أرسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من أقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

قتل ألب أرسلان

وفي سنة ٤٦٥ من الهجرة قصد في مبادئها ألب أرسلان ما وراء النهر فعقد على نهر جيحون جسرا من المراكب وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وكان عسكره يزيد على مائتي ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي وحمل الى قرب سريره مع غلامين فأمر أن تضرب له أربعة أوتاد في الارض وتشد أطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان ألب أرسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فأخطأه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر ووقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف جراحات ونهض السلطان الى خيمة أخرى وقال وا أسفاه قد عرفت الآن أن التجربة حقيقة الدروس والنصائح التي تلقيتها من محترم عاقل قال لا تحتقر بصغر عدوك وكن منه على حذر وكن خاضعا لله ولا تركن الى مهارتك وبسالتك ومكنتك فأنا نسيت نصيحته ومجلس علمه ثم قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي أنا ملك الدنيا وما يقدر أحد علي فعجزني الله تعالى بأضعف خلقه أواه وا أسفاه ما قوة المرء وشوكة الملوك عند معارضتهم قدرة الخالق سبحانه وتعالى وأنا أستغفر الله تعالى وأستقيله من ذلك الخاطر وتوفي ونقل الى مرو ودفن فيها بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة وشهورا وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى أن قتل تسع سنين وستة أشهر وأما يوسف فان أحد الفراشين ضربه بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك

نسب ألب أرسلان وصفته

وأما نسبه فهو ألب أرسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما أنعم الله به عليه وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان في ديوانه أسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادرارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جباية ولا مصادرة فقد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها وقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب أخلاقك وأصلح أحوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم وأشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وكان شديد العناية بكف الجند عن أموال الرعية وبلغه أن بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فأخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم

سلطنة ملكشاه بن ألب أرسلان ١٠٧٢ بعد الميلاد

وجلس من بعده ابنه ملكشاه على كرسي أبيه وكان لما جرح السلطان ألب أرسلان أوصى بالسلطنة لابنه هذا وكان معه وأمر أن يحلف له العسكر فحلف جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وأرسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها وأوصى ألب أرسلان ابنه ملكشاه أن يعطي أخاه قاورت بك بن داود أعمال فارس وكرمان وشيأ عينه من المال وأن يزوج بزوجته وأوصى أن يعطى ابنه اياز بن ألب أرسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة ألف دينار وقال كل من لم يرض بما أوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة أيام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وعادوا الى خراسان

وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك أصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه
وأقام ايار أرسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه من نيسابور الى الري

وكان ملكشاه مثل أبيه نادرة عصره ووحيد دهره ذا شجاعة ومهارة وعلو همة واقدام على المصاعب
وكذا وزيره ووزير أبيه من قبله وهو نظام الملك كان على غاية من السياسة والتدبير وحسن العاقبة
وكان السلطان من أكبر الفاتحين في الدرجة خضعت لسلطنته سوريا ومصر وجرجستان في الجهة
الغربية وبخارا وسمرقند وخوارزم في الجهات الشرقية ودفع له الخراج القبائل المتبربرة الموجودة
فيما وراء النهر أي نهر سيحون وكان الملوك والسلاطين والخانات من امتداد سواحل البحر الابيض
المتوسط الى السد الصيني يقدمون له طاعته وواجبات احترامه وخطب له على منابر جوامع بيت المقدس
ومكة والمدينة وبغداد وأصفهان وبخارا وسمرقند وأورجنج والرها وكاشغر ولما بلغ قاورت بك وهو
بكرمان وفاة أخيه ألب ارسلان سار طالبا الري يريد الاستيلاء عليها وعلى الممالك فسبقه اليها السلطان
ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فهزماه وهرب قاورت بك فجاء رجل من أهل السواد الى السلطان
ملكشاه وأخبره أن عمه قاورت بك في قرية من بعض القرى فأرسل من أخذه وأحضره وأمر بخنقه
وأقر كرمان بيد أولاده وسير اليهم الخلع ثم ان السلطان ملكشاه فوض الامور الى نظام الملك وزيره
وذلك أن عسكره بسطوا أيديهم ومدوها الى أموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الاموال
الا نظام الملك فنال الرعية أذى شديد فذكر ذلك نظام الملك للسلطان وبين له ما في هذا الفعل من الوهن
وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا ما تراه موافقا وما فيه مصلحة فقال له نظام الملك
لا يمكنني أن أفعل الا بأمرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها اليك كبيرها وصغيرها فأنت الوالد
وحلف له وأقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه ألقابا
منها أتابك فأظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما حمد له الذكر الجميل فمن ذلك ان امرأة ضعيفة
استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فأنكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال
هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجابته

ثم سار ملكشاه الى الري وعرض عليه عساكره فأسقط منهم ٧٠٠ رجل لم يرض حالهم فمضوا الى
أخيه تكش وهو ببوشنج فقوي بهم وأظهر العصيان على أخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو
الشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا في ملك خراسان وقيل ان نظام الملك قال للسلطان لما
أمر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير العسكرية فاذا اسقطوا
لا نأمن أن يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن أيدينا أضعاف
ما لهم من الجاري الى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى أخيه وأظهروا العصيان ندم على
مخالفة وزيره واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان ووصل نيسابور قبل أن يستولي
تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فتحصن بها وكان تكش
قد أسر جماعة من أصحاب السلطان فأطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى أخيه السلطان
ملكشاه ونزل عن ترمذ في سنة ٤٧٣ من الهجرة

وفي سنة ٤٧٤ من الهجرة أرسل الخليفة المقتدي بأمر الله وزيره فخر الدولة الى السلطان ملكشاه
يخطب ابنته لنفسه فسار الى أصبهان الى السلطان فأمر نظام الملك أن يمضي معه الى خاتون زوجته

السلطان فى المعنى فمضيا اليها فخطباها منها فقالت ان ملك غزنة وملوك الخانية بما وراء النهر طلبوها وخطبوها لاولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فان حمل الخليفة هذا المال فهو أحق منهم فعرفتها أرسلان خاتون التى كانت زوجة الخليفة القائم بأمر الله بما يحصل لها من الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وان هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه هذا المال فأجابت الى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته الا عندها فأجيبت الى ذلك فأعطى السلطان يده وعاد الوزير الى بغداد

وفى سنة ٤٧٩ من الهجرة قدم السلطان ملكشاه بغداد بعد أن فتح حلب وغيرها من بلاد الشام وعراق الجزيرة وكانت هذه أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها وأرسل نظام الملك الى الخليفة خدمات كثيرة فقبلها وزار السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر معروف الكرخى وأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرها من القبور المعروفة وقال ابن زكرويه الواسطى يهنى نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * أرضت مضاجع من بها مدفون
فكأنك الغيث استهل بتربها * وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وكان السلطان ملكشاه مغرما بالصيد وكان حشمه الذين يصطادون معه ٤٧٠٠٠ فارس وتوجه مع نظام الملك الى الصيد فى البرية فزار المشهدين مشهد أمير المؤمنين على ومشهد الحسين رضى الله عنهما واصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وعاد الى بغداد

وفى محرم سنة ٤٨٠ من الهجرة نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومى وكان أكثر الاحمال من الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بأنواع الديباج الملكى وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلى وبين أيدى البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيل الرائعة عليها مراكب الذهب مرصعة بأنواع الجواهر ومن عظيما كبير الذهب وسار بين يدى الجهاز الوزراء وكان السلطان قد خرج من بغداد متصيدا فأرسل الخليفة وزيره الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلاثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق فى الحريم مكان الا وقد أشعل فيه الشمعة والشمعتان وأكثر وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن فى نقل الوديعة الى داره فأجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة فى جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع فى محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شئ وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة فلما كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لوليمة أمر بعملها وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى تركان خاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين ومن بعد ذلك عاد السلطان

من

مقتل الوزير نظام الملك

من الصيد وفي الكامل لابن الاثير قال انه في سنة ٤٨٥ من الهجرة أو سنة ١٠٩٢ بعد الميلاد
قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من نهاوند وكان هو والسلطان في أصبهان
وقد عاد الى بغداد فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه أتاه
صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميحت فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فأدركوه
فقتلوه وركب السلطان الى خيمته فسكن عسكره وأصحابه ومكث وزير السلطان ثلاثين سنة
سوى ما وزر للسلطان الب أرسلان قبل أن يتولى السلطنة مدة ما كان صاحب خراسان وكان قد كبر
سنه وكان سبب قتله أن عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان ولاه جده نظام الملك رياسة مرو
وأرسل السلطان اليها شحنا يقال له قودن وهو من أكبر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولته فجرى
بينه وبين عثمان منازعة في شيء فحملت عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على أن قبض عليه
وأهانه ثم أطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فأرسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة
ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولته يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي
في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب أن تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك
قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر
السياسة وطمعوا الى أن فعلوا كذا وكذا وأرسل معهم واحدا من خواصه وثقاته وقال له تعرفني
ما يقول فربما كتم هؤلاء شيئا فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان
ان كنت ما علمت اني شريكك في الملك فاعلم بانك ما نلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي أما يذكر حين
قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه من أهله وغيرهم وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني
ولا يخالفني فلما قدت الامور اليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة وأطاعه
القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعايات قولوا له عني ان ثبات تلك القلنسوة معدوق
بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم
على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه ثم قال لهم قولوا
للسلطان عني مهما أردتم وقد أهمني ما لقيت من توبيخه وفت في عضدي فلما خرجوا من عنده اتفقوا
على كتمان ما جرى عن السلطان وأن يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم
وكان الليل قد انتصف ومضى رسول السلطان السري فأعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو
ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليه فقال لهم السلطان انه لم يقل هذا
وانما قال كيت وكيت فأشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التدبير عليه
حتى تم عليه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السيف
وكان قول نظام الملك شبه الكرامة وأكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة
مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

وأما أخباره فانه كان عالما دينا جوادا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت كان مجلسه عامرا
بالقراء والفقهاء وأئمة المسلمين وأهل الخير والصلاح وأمر ببناء المدارس في سائر الامصار والبلاد وأجرى

عليها الرواتب العظيمة وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان وغيرها وكان يقول انى لست من أهل هذا الشأن لما تولاه ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطار نقلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن أمسك عن كل ما هو فيه وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشئ قبل الصلاة وأسقط المكوس والضرائب وكان يحل العلماء ويجلسهم فى صدر مجلسه وأخباره مشهورة ومحاسنه مأثورة قد ألفوا لها كتبا كثيرة وروايات خطيرة

موت ملكشاه وصفاته

وفى سنة ٤٨٥ من الهجرة أو سنة ١٠٩٢ من الميلاد سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد واستوزر من بعد نظام الملك تاج الملك وكان هو الذى سعى بنظام الملك وقد أمر السلطان ملكشاه بتفصيل خلع الوزارة له فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس فى الدست اتفق أن السلطان خرج الى الصيد وعاد مريضا وأشرف على الموت لطول مرضه وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة ولما ثقل نقل أرباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفى سترت زوجته تركان خاتون موته وكتمه وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا فى محفة وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها ولم يسمع أحد من أقاليمه وممالكه بموته وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام أو سوريا ومن أقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الخراج وانقضت أيامه على أمن عام وسكون شامل وعدل مستمر ومن أفعاله أنه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد على بن موسى الرضا بطوس وزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأى شئ دعوت قال دعوت الله أن ينصرك فقال أما أنا فلم أدع بهذا بل قلت اللهم انصر أصلحنا للمسلمين وأنفعنا للرعية وحكى عنه أن سواديا لقيه وهو يبكى فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا أملك سواها فغلبنى عليه ثلاثة أنفار من الاتراك فأخذوه منى فقال له السلطان اقعد ثم أحضر فراشا وقال له قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فأمره باحضار من وجده عنده فأحضره فسأله السلطان من أين لك ذلك البطيخ فقال غلمانى جاؤنى به فأمر أن يجئ بهم اليه فمضى وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادى خذ هذا مملوكى قد وهبته لك عوضا عن بطيخك أو يحضر الذين أخذوه والله ان أطلقته لاضربن عنقك فأخذه السوادى فاشترى الغلام منه نفسه بثلاثمائة دينار فعاد السوادى الى السلطان وقال قد بعته نفسه بثلاثمائة دينار فقال أرضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا بالسلامة وقيل انه مر فى ممالكه الواسعة اثنتى عشرة مرة وكان له وكرة سامية وفادة فى الحروب الداخلية واجادها والغلبة على من يقوم بها واتفق فى غزوه من جيحون الى ماوراء النهر أن رئيس المعداوية الذين كانوا ينقلون العساكر من شاطئ الى آخر تشكى من تحويل صرف أجرته على ما بأنطاكية من خراج فغضب السلطان وأخذه الزعل وسأل نظام الملك فى ذلك فقال نظام الملك المتصنع فى الكلام لست أقصد بوقف أجرته بل ذكرت له هذه الجهات القاصية ربما أتيا الفخر من عند الله حتى ان أنطاكية وجيحون يكونان تحت سلطة واحدة فتبسم الملك لذلك وانصرف عن المعداوى الزعل ولم يمض الا القليل حتى ورد الخراج من سوريا واستوفى المعداوى حقه وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات وأسقط المكوس والمؤن من جميع

البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الانهار الخربة وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد بأصبهان وكان يتصدق بكثير من الاموال

ومن بعد موت السلطان ملكشاه استمرت المملكة الفارسية في حروب داخلية وارتباكات وقلاقل بين أولاده مدة ثلاثين سنة وفي مدة سلطنته كان ظهر مذهب القرامطة القديم تحت قيادة شيخ الجبل حسن الصباح وهو ابن واحد من العرب من حمير ولقبوا بالباطنية أو الزنادقة أو الاسماعيلية فجاسوا خلال الديار وتغلبوا على بعض جهات من المملكة وأذاعوا الدين القرمطي أو دين الزندقة وغلبوا على أكثر مدائن بلاد العجم وصار بينهم وبين أولاد السلطان ملكشاه حروب استمرت المدة المتقدمة وكانت نتيجة هذه الحروب جلوس سنجر الولد الثالث من أولاد السلطان ملكشاه الاربعة وكان سنجر هذا وبركيارق ومحمد ومحمود الاربعة أولاد السلطان محمد ملكشاه وكان بركيارق أكبر أولاد السلطان وكان في أصبهان ولما مات السلطان وأخفت زوجته تركان خاتون موته أرسلت في الحال الى أصبهان بالقبض على بركيارق مخافة أن ينازع ولدها في السلطنة فصار القبض عليه ولما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك في أصبهان فأخذوه وثاروا في البلد وأخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق ابنة عم ملكشاه وقتل الوزير تاج الملك واستوزر بركيارق عز الملك بن نظام الملك وفي سنة ٤٨٧ من الهجرة خطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه في بغداد وكان قدمها وأرسل الى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب الخطبة فأجيب الى ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحملت اليه الخلع والتواقيع وفي سنة ٤٩٠ من الهجرة ملك بركيارق خراسان وسلمها الى أخيه سنجر وجعل الامير قماج أتابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي ابن الحسين الطغرائي وفي هذه السنة كان ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه وفي سنة ٤٩١ من الهجرة كانت الحروب بين سنجر ودولة شاه وهو من أبناء الملوك السلجوقية فهزم سنجر في نواحي بلخ وعفا عنه من القتل وحبسه ثم سمل عينيه وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وفي سنة ٤٩٤ من الهجرة أمر سنجر بقتل جميع الزنادقة الباطنية بسبب ما فعلوه من الفظائع في بلاده والخروج عن الدين وما ارتكبوه من الاثم والعدوان وكانوا استولوا على قلاع كثيرة في بلاد مملكة فارس

وفي سنة ٤٩٨ من الهجرة مات السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض بأصبهان بداء السل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فاشتد مرضه في الطريق فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وجعل الامير اياز أتابكه وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم أنه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وأمرهم بالطاعة له ولاتابكه وساعدتهما على حفظ السلطنة وكان عمر بركيارق لما توفي خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع السلطنة عليه اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد وفي سنة ٥٠٨ من الهجرة تغلب سنجر على ما كان لبيت محمود بن سبكتكين في نواحي غزنة وأعمالها من بعد وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وخطب له بنواحي غزنة وفي نفس المدينة وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يعد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان في دور ملوكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقي مياه البساتين من الفضة فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما علم سنجر ما يفعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس ومن جملة ما حصل لسنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفي ألف دينار وألف

مطلب
سلطنة سنجر

وثلاثمائة قطعة من المصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما وقرر فيها بهرامشاه ورجع الى خراسان

وفي المدة التي بين سنة ٥٠٨ وسنة ٥٣٦ من الهجرة حصلت وقائع وحروب بين سنجر واخوته وأولاد اخوته وبينه وبين الباطنية كان جميعها النصر فيها لسنجر بن ملكشاه وفي سنة ٥٣٦ من الهجرة كان انهزام سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ماوراء النهر وسبب ذلك أن سنجر كان قتل ابنا لخوارزم شاه أتز بن محمد فبعث خوارزم شاه الى الخطا وهم بما وراء النهر يطمعهم في البلاد ويزوج عليهم أمرها وحثهم على قصد مملكة سنجر فساروا في ٣٠٠٠٠٠ فارس وسار اليهم سنجر في عساكره فالتقوا بما وراء النهر واقتتلوا أشد قتال وانهزم سنجر وعساكره وقتل منهم ١٠٠٠٠٠ قتيل وأسرت زوجة السلطان سنجر واستمر سنجر منهزما الى ترمذ وسار منها الى بلخ ولما انهزم سنجر قصد خوارزم شاه خراسان وجاس فيها وقتل أهل كل مدينة توقفوا في تسليمها اليه مثل مرو ونيسابور وغيرهما وكان السلطان سنجر لم يزل مسعودا الى هذا الوقت لم تنهزم له راية ولما تمت عليه الهزيمة أرسل الى السلطان مسعود ابن أخيه وأذن له في التصرف في الري وما يجري معها على قاعدة أبيه السلطان محمد وأمره أن يكون مقيما فيها بالعساكر بحيث ان دعت حاجة استدعاه لاجل هذه الهزيمة ووصل عباس صاحب الري الى بغداد بالعساكر وخدم السلطان مسعود خدمة عظيمة وسار الى الري امتثالا لامر عمه سنجر ثم بعد قليل عاد سنجر الى بلاده وصار له قوة كما سيذكر بعد

وفي سنة ٥٤٨ من الهجرة في أولها انهزم السلطان سنجر من الاتراك الغز وهم طائفة من الترك مسلمون كانوا بما وراء النهر فلما ملك الخطا وكانوا كفارا أخرجوهم من البلاد التي تغلبوا عليها فقصدوا خراسان وكانوا خلقا كثيرا وأقاموا بنواحي بلخ يرعون في نواحيها ومراعيها وكان لهم أمراء منهم دينار وبختيار وطوطي وأرسلان وغيرهم فأراد الامير قماج مقطع بلخ ابعادهم من بلاده فصانعوه وبذلوا له بذلا فعاد عنهم فأقاموا على حالة حسنة لا يؤذون أحدا ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ثم ان قماج عاودهم وأمرهم بالانتقال من بلده فامتنعوا وانضم بعضهم الى بعض واجتمع معهم غيرهم من طوائف الترك فسار قماج اليهم في رأس ١٠٠٠٠ فارس فجاء اليه أمراؤهم وسألوه أن يكف عنهم ويتركهم في مراعيهم ويعطونه من كل بيت مائتي درهم فلم يجبهم الى ذلك وشدد عليهم في الخروج من بلده فعادوا عنه واجتمعوا وقاتلوه فانهزم قماج ونهبوا ماله ومال عسكره وأكثروا القتل في العسكر والرعايا واسترقوا النساء والاطفال وعملوا كل عظيمة وقتلوا الفقهاء وخربوا المدارس وانتهت الهزيمة بقماج الى مرو وبها سنجر فأعلمه بالحال فراسلهم سنجر يتهددهم وأمرهم بمفارقة بلاده فاعتذروا وبذلوا له بذلا كثيرا ليكف عنهم ويتركهم في مراعيهم فلم يجبهم الى ذلك وجمع عساكره من أطراف البلاد واجتمع معه ما ينوف عن ١٠٠٠٠٠ فارس وقصدهم ووقع بينهم حرب شديد فانهزمت عساكر سنجر وانهزم هو أيضا وتبعهم الغز قتلا وأسرا وقتل قماج وأسر السلطان سنجر ومن معه من الامراء فأما الامراء فضربوا أعناقهم وأما السلطان سنجر فان أمراء الغز اجتمعوا وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له نحن عبيدك ولا نخرج عن طاعتك فقد علمنا أنك لم ترد قتالنا وانما حملت عليه فأنت السلطان ونحن العبيد فمضى على ذلك ثلاثة أشهر ودخلوا معه مرو وهي كرسي ملك خراسان فطلبها منه بختيار اقطاعا فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز أن تكون اقطاعا لاحد فضحكوا منه وحبق له بختيار فلما رأى ذلك نزل عن

مطلب
تغلب الغز

سرير الملك واستولى الغز على البلاد وظهر منهم من الجور ما لم يسمع بمثله وفي هذه المدة غلب كل واحد
من الغز على ناحية من خراسان يأكل من دخلها ولا رئيس لهم يجمعهم فهرب السلطان سنجر من أسر
الغز من بعد أن لبث في الأسر أربع سنوات في ضيق حال هو وجماعة من الأمراء الذين معه وساروا الى
قلعة ترمذ واستظهروا بها على الغز وسار سنجر من ترمذ الى جيحون يريد الغور وأقبل عليه الاتراك
القارغلية من بعد موت أميرهم على بك وكان أشد شئ على سنجر وكذلك غيرهم من الامم من أقاصي
البلاد ودانيها وعاد الى ملكه بمرو وفي سنة ٥٥٢ من الهجرة توفي السلطان سنجر أي في سنة ١١٧٥
بعد الميلاد أصابه قولنج ثم بعده اسهال فمات منه واستوطن مدينة مرو ودخل بغداد مع أخيه
السلطان محمد واجتمع معه بالخليفة المستظهر بالله فعهد الى محمد بالسلطنة وجعل سنجر ولي عهده فلما
مات محمد خوطب سنجر بالسلطان واستقام أمره وأطاعه السلاطين وخطب له على أكثر منابر
الاسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة ولم يزل أمره عاليا وجده
مترقيا الى أن أسره الغز كما سبق ذكره ثم انه خلص بعد مدة وجمع اليه أطرافه وكاد يعود اليه ملكه
فأدركه أجله وكان مهيبا كريما رفيقا بالرعية وكانت البلاد في زمانه آمنة ولما مات دفن في قبة بناها
لنفسه سماها دار الآخرة وكان سنجر آخر ملوك البيت السلجوقي وأما طغرول الثالث الذي بموته انقرض
الفرع السلجوقي الفارسي فقتله خوارزم شاه وكان اقتحم في ميدان المحاربة وهو سكران الآن هذه
القبيلة كانت انتشرت في آسيا الصغرى ومنهم ملوك قونية المعروفون في التاريخ العربي لا سيما من
بعد سقوط العائلة السلجوقية الى أن فتح مملكة فارس هلاكو خان حفيد جنكيزخان مدة تنيف
عن نصف قرن تدمر القسم الاعظم من هذه المملكة بواسطة محاربات جرت بين ملوك صغيرة أطلق
عليهم اسم الاتابكية وهذه اللفظة مركبة من كلمتين أتا ومعناها وصي أو مربي وبك ومعناها سيد
أو أمير وكان هؤلاء شيدوا أنفسهم وأقاموا لهم سلطنات عندما رأوا أن المملكة آخذة في الهبوط
والظاهر أن هؤلاء هم الغز المتقدم ذكرهم وكانت مدتهم محزنة كئيبة وكانت حالة المملكة كل يوم
في حال وتغير أحوال من تسلط الزعازع والعواصف وخراب البلاد وهلاك العباد وازداد ذلك وخامة

خروج جنكيزخان

على وخامة خروج جنكيزخان كصواعق انقضت على آسيا حتى غرق أراضيها بدماء أهلها ولا يمكن وصف
ما أوقعه جنكيزخان من خراب مدائن فارس وتبعه السلطان محمد سلطان خوارزم وكان جنكيزخان
هذا ابن خان صغيرا وكان فارق بلاده وسار الى نواحي تركستان وسير جماعة من التجار والاتراك
ومعهم شئ كثير من النقود والنقرة الى بلاد ما وراء النهر سمرقند وبخارا ليشتروا له ثيابا للكسوة
فوصلوا الى مدينة من بلاد الترك تسمى أوترار وهي آخر ولاية خوارزم شاه وكان له نائب فيها فلما
وردت عليه هذه الطائفة من التتر أرسل الى خوارزم شاه يعلمه بوصولهم ويذكر له ما معهم من الاموال
فبعث اليه خوارزم شاه يأمره بقتلهم وأخذ ما معهم من الاموال وانفاذه اليه فقتلهم وسير ما معهم
وكان شيأ كثيرا فلما وصل الى خوارزم شاه فرقه على تجار بخارا وسمرقند وأخذ ثمنه منهم ولما وصل
الخبر الى جنكيزخان انقض في رأس ٧٠٠٠٠٠ من عساكر المغول على البلاد مثل سحاب
استدبرته الريح وكنسوا وادي الصغد الغني الثروة وأخذوا وأحرقوا وهدموا في أثناء سيرهم مدائن بخارا
وسمرقند وخوقند وأوترار ومرو وبلخ ومدائن أخرى كثيرة وخربوا خراسان وسووا مدائنها وذبحوا
أهلها وهدموا بنيانها وسووا بيوتها بالارض وسفكوا دماء أهلها وقد روي أن الخصان ما كان يمشي

فى شوارعها خطوة الا وبها مر من كثرة الرمم وصار تقدير الذين قتلوا فيها عما فيهم من أهالى البلاد والقرى المجاورين لها الذين التجؤا فى داخل أسوارها فبلغ عددهم نحو من ١٧٤٧٠٠٠ نفس وأما عدد الذين قتلوا فى مرو وهراة وبغداد فقد ذكر مؤرخو الشرق أعدادا لا يمكن التصديق بها حتى صارت أقاليم فارس من ابتداء بحر الخزر الى الخليج الجنوبى ومن نهر تيحان الى نهر الدجلة متسلطا فيها الدمار والخراب وعاقب جنكيزخان الممالك التى تأخرت عن فتح أبوابها عند أول اعلان لهم بأشد العقاب والعذاب ومن قبل توقيف حركته هذه بالموت ومن بعد أن شبع بالدماء استيقظ من منام جنونه الذى تولد منه دمار هذه البلاد وقتل أهلها من العباد رغب فى اعادة ما أمر بتدميره الا أنه لم يجد وقتا يساعده على مرغوبه ووصى لاولاده بالممالك القفرة التى حربها فوقع من قسم هولاكو حفيده مملكة فارس وتمام خضوعها فسار حفيده رأس المغول فى رأس جيش قدره ١٢٠٠٠٠ فارس و ١٠٠٠ عائلة من الصينيين من أرباب الصنائع والمهندسين من قلعة الموت وأصلها قلعة الهموت ومعناه تعليم العقاب وكان تغلب على هذه القلعة نحو القسطنطينية وكان معه نصير الدين الفلكى المشهور فلما قرب من بغداد استشاره نصير الدين فى عدم العلبة على مدينة المؤمنين وهى الوطن الباهر لعائلة العباس فلم يلتفت هولاكو الى قوله ومحق الطيف الخيالى الذى كان باقيا فى هذه العائلة التى كانت صاحبة الشوكة والمجد والسعادة وأرسل عليها سيل الدمار وغرقت أطلال بغداد بدماء أهلها وسكانها وانتقلت مملكة الخلفاء الى أيدى أحد المتوحشين وتغلب على فارس وأقاليمها فى سنة ١٢٥٨ بعد الميلاد

ومع أن هولاكو ما كان معدودا من المتبربرين المتوحشين الذين كانت أيامهم مشحونة بالدمار والخراب والقتل والنهب الا أنه ما كان له طاقة على اغماد سيفه فى قمع المعارضين له وجعل هولاكو مركز مملكته ومقر سلطنته مراغة من أعمال أذربيجان ومن هذا الوقت صار تاريخ المملكة خاليا من الحوادث والوقائع وتمتع هولاكو بسلطنته وبالآداب والعلوم وصرف أوقاته وساعات راحته فى محادثة الفلاسفة والعلماء وأما العالم نصير الدين وكان خلصه من حبوس الاسماعيلية فانه حثه على بناء محل رصد للكواكب فانشأ هولاكو دار الرصد فى مدينة مراغة وصار له دراية تامة ومعلومية كاملة فى علم الفلك مع نصير الدين حتى حسبوا الجداول الفلكية المعروفة بجداول الخانى وهو لقب هولاكو حفيد جنكيزخان وصارت جداول نصير الدين وأولغ بك مرعية لحد الآن وبها درج أطوال وعروض الجهات لم يصل أرباب الرصد من أهل أوروبا الى تعميمها لحد الآن ومات هولاكو ودفن فى مدينة مراغة وجلس من بعده ابنه ابغا خان وكان مشهورا بالذكاء والعدل والعقل وكان كريما حليما رؤوفا على رعيته ومازالت أحوال السلاطين جارية على حالة من الهدو والسكون وفى هذه المدة ظهر غازان خان مدون القوانين والشرائع المشهورة لحد الآن فى الشرق ومن بعده ابنه محمد خدابنده واشتهر هذا بأنه أول ملوك فارس وأشهر نفسه أنه من شيعة على رضى الله عنه وانشأ مدينة سلطانية ولم يزل قبره بها لحد الآن ومن ابتداء موته لحد فتوح تيمور كان تاريخ مملكة فارس لا يشتمل الا على ثورات وغاغات وجرائم وفظائع وقتل وانما كانت تولد منها دمار المملكة وخرابها

وفى سنة ١٣٩٣ بعد الميلاد سبق الفاتح الكبير تيمور أو تيمورلنك فى مملكة فارس وأخضع المملكة مع السرعة لطاعته وكان ظهور تيمور من الاقاليم الصيطيانيه (المنار) التى هى محل مسقط رأس الشجعان والفرسان وكان ينسب نفسه للفرع الذى منه جنكيزخان الا أن عمود نسبه منسوب الى

قرة قدار ناويانى وزير زغطاى خان بن جنكيزخان وتوادر من شجاعته وشهامته فى مبدأ شبابه كونه اشترك فى حروب الوقت حتى تقلد بالنسبة لشرف مولده وانه هو الامير الوارث على قبيلة البكيش وطبقة قائد ١٠٠٠ فارس من طرف الخان الاكبر وما كان عمره بلغ خمسا وعشرين سنة لهذا الوقت ولما ألزم خلفاء تيمور طغليق ملك كاشغر وتركستان فيما وراء النهر كافة الامراء بالحروب أو الانقياد لهم ظهرت شجاعة الفاتح فى المستقبل فى ميدان الحروب ومن ابتداء هذا الوقت عرض حياته لميدان مشروعات الاخطار والاهوال أو النصر والظفر واستمر فى حروبه حتى أخرج أعداءه من بلاده وديار قومه ولما بلغ عمره أربعا وثلاثين سنة دعى مخلص بلاده ومنقذ قومه الى أن صار هو الحاكم الاكبر والسلطان الاعظم فى مجلس عام عقد فى عاصمة زغطاى من كافة أهل المملكة الزغطائية ووضع بيديه على رأسه تاجه الذهب وتمنطق بالمنطقة الملوكية ونثر عليه الامراء والاعيان وحكام المملكة الذهب والجواهر وحيوه تحية ملك الوقت وفاتح الدنيا فلم يقبل تيمور مع الادب وحزم الرأى والخضوع هذه الالقاب واكتفى بلقب أمير وصار معروفا الى الآن فى الشرق بهذا اللقب ومن صبره وتيقظه وأخذه الاحترازات فى مدة الحروب صار على دراية تامة فى سوق الجيوش وتدبير الحركات الحربية والشجاعة وحزم الرأى والاقدام على مصاعب الامور وانتهاز الفرص فى الاعمال اللازمة لزيادة شوكته واحكام مملكته ونقل عنه أهل بلاده أن تيمور قال بنفسه فى مجلسه انى كنت ذات يوم أخفيت نفسى عن أعدائى فى خرابات بناء قديم وبينما أنا جالس بمفردى فى هذا المكان أدير فكرى فيما يحصل لى من عدم المساعدة وقطع الامل من حالى اذ حققت نظرى فى نملة كانت حاملة حبة قمح الذرة أكبر منها صاعدة بها الى قمة حائط فوقعت الحبة منها فعادت وأخذتها وصعدت بها فوقعت منها فعادت اليها فعددت لها تسعا وستين مرة وفى المرة السبعين أخذت الحبة وتمكنت منها وصعدت بها الى أعلى الحائط فلما رأيت ذلك قويت نفسى ولم أنس مدة حياتى هذه التذكرة التى أرسلت الى من عند الله

وقال تيمور كنت معسكرا فى ضواحى بلخ مع قوة قليلة معى ومن بعد أن استمريت فى الفكر طول الليل محييا الباقى بالقراءة والصلاة والذكر والاشتغال انقضى الليل ولاح الفجر فقمت وصليت ودعوت الله سبحانه وتعالى أن ينقذنى ويخلصنى من هذه العيشة التى أنا فيها من رحيل ونزول وسفر وأتعاب ومشاق ومن قبل أن أتم دعائى رأيت على بعد جماعة من الناس مروا على صف واحد فى طول الجبل فركبت حصانى وسقت خلفهم لاعرف حالتهم ومن أى الجهات هم وكانوا سبعين فارسا فسألتهم وقلت لهم من أنتم أيها الفوارس ومن أى الجهات أنتم فقالوا انا نحن خدم الامير تيمور ونحن مجدون البحث عليه فما استدللنا عليه ولا وقفنا على مكانه فقلت لهم ماذا تقولون لو دللتكم عليه وأوصلتكم اليه فركض واحد منهم حصانه بسرعة وذهب وأخبر القواد وقال لهم نحن وجدنا من يدلنا على الامير تيمور ويوصلنا اليه فدار القواد بسرعة خيلهم وأمروا بأن أحضر أمامهم وكانوا ثلاثة عساكر فكان القائد الاول منهم طغليق خوجه والثانى الامير سيف الدين والثالث توبهادر وبمجرد ما وقع بصرهم على انشرحت صدورهم ونزلوا جميعا من فوق خيولهم وجثوا على ركبهم وقبلوا ركابى فى السرج فنزلت أنا أيضا من فوق حصانى وأخذتهم بالحضن والاعتناق ووضعت عمامتى على رأس طغليق خوجه ومنطقتى المرصعة بالجواهر فى وسط الامير سيف الدين ورعت ملابسى وألبستها توبهادر فبكوا جميعا وأنا بكيت معهم أيضا ولما حضر وقت الصلاة صلينا جماعة وجمعت قومى وعملت لهم وليمة عظيمة

وبواسطة ما حازه تيمورلنك من الخصال الحميدة التي جلبت اليه قلوب العساكر التركمانية الخشنة استحوذ على حقيقة نجاحه ومقصده ونواله ولما ازداد ثناء أهل بلاده عليه علت سطوته وازدادت شوكته وساق عساكره من اقليم الى اقليم ومن بلد الى بلد حتى داس الملوك تحت رجليه وأباد جيوشهم وشتت شملهم وهدم المدائن وجعل السهول الخصبة صحارى قفرة وسار من شطوط نهر الارطيش الى أبواب مدينة موسكو وأخضع جميع بلاد التتار وتسلق جبال الهند وانقضت عساكر المغول من فوق رؤس هذه المناطق الارضية كانقضاض النسور على الاقاليم العظيمة الهندية وغرقوا أرضها بدماء أهلها وحرقوا الهياكل وكسروا الاصنام وغيروا حالة البلاد ولما أوقع تيمور بالبلاد الهندية المصائب والدمار عاد عنها راجعا مع السرعة تاركا خلفه أرضها الخربة وصحاريها المقفرة وكان تغلبه بعد الهند على فارس وأرمينية وسوريا وآسيا الصغرى وجرجستان والقوقاس من أشد الاحوال وأصعب الاهوال وكان السلطان بايزيد جالس على تخت أبيه عثمان وكان ملكا مستحوذا على أقاليم شاسعة فحصل بينه وبين هذا الجبار واقعة في نواحي أنقرة كانت نتيجتها هزيمة عساكر بايزيد وأسره تحت يد تيمور ورأى تيمور نفسه في الدنيا العربية من غير عدو ولا خصم حالما أسر عدوه بايزيد العثماني

وكانت مملكة فارس في هذا الوقت مقسومة الى ايالات صغيرة ليس لها طاقة على مقاومة تيمور وعساكر التتار فخضع غياث الدين سلطان خراسان من بعد أن صارت محاصرته في هراة وفتحت نيسابور وسبزوار أبوابها ونجت من مصائبها وعذابها ونهب تيمور المدائن الاخرى التي حصل منها مقاومة له في تسليمها اياه ودمرها وقتل أهلها وفتح قلاع كلات الحصينة ومال سلطان مازندران الى الطاعة والخضوع وأرغم تيمور خراسان وسيستان الى الطاعة والانقياد الا أن الاهالي لما وجدوا أول فرصة لهم قاموا في ثورة وخرجوا عن الطاعة فسار اليهم تيمور وعاملهم بكل فظاعة وشناعة وتولد من تيمور وعساكره التتارية خسارة البلاد وقتل العباد وصارت الرمم أكواما والرؤس أهراما وأرسل الملك والامراء والاعيان أسارى الى سمرقند وأسر من كان عاصيا عليه في مكران وتغلب على قندهار وكلات بالهجوم عنوة وأما الافغانية القاطنون في جبال سليمان فانهم من بعد أن أطاعوه وخضعوا له نقضوا طاعته وخرجوا عن سلطته فتوجه اليهم ودمر بلادهم وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأطفالهم ونهب الرها وتحت مدينة سلطانية بنفسها اندفع خراج قدرته له وخضعت مدينة سارى وعمول فنجت أهاليهما من عذاب تيمور وبطشه وأخضع العراق وهدم قلاعها وصارت أذربيجان ميدانا لسفك الدماء والنهب والسلب وذكر بعض المؤرخين أن تيمور وعساكره لما قربوا من مدينة بغداد لاجل التغلب عليها أرسلت بطاقة مع حمامة من القبة الاراملقمة وهي محل مزار على مسافة سبعة وسبعين فرسخا من مدينة بغداد في الجهة الشمالية الغربية منها وكانت هذه البطاقة من طرف حاكم الجهة يخبر السلطان ومن معه بحصول الخطر والضرر فنقل السلطان أحمد الجلايري عائلته وسار الى الجهة الجنوبية من نهر الدجلة وكسر الجسر المصنوع من المراكب على الدجلة وأمر بتغريق المراكب ولما كشف تيمور حالة البطاقة أمر حاكم الجهة بارسال بطاقة أخرى للسلطان بأن ما حصلت الاشاعة به لا صحة له وتولد من هذه الحيلة اهمال السلطان عن المراقبة وان لم يغفل عنها عساكره وجد تيمور مسرعا في سيره وسار نحوا من ثمانين ميلا من دون أن يقف برهة لاخذ الراحة حتى وصل هو وعساكره الى شواطئ نهر الدجلة في صباح يوم ٥ سبتمبر سنة ١٣٩٣ بعد الميلاد وكان السلطان مستعدا راكبا على ظهر حصانه ناظرا الى جهة الشرق

فسمع نعيق القرون وضرب الطبول ورأى كثرة عساكر لا يحصى عددها سدّت منها السهل والوعر وتتابعت طوابير العساكر بعضها وراء بعض ودخلوا في النهر السريع الجريان من دون وقوف كانهم في حركة على الارض واقتحموا النهر من فوق المدينة ومن أسفل منها ومن كل منفذ وصار لا فرق بين المياه والارض الجافة واستترت المياه والارض بازدحام هذا الجيش الكثيف ووقف الاهالي ينظرون ويستغربون ويعضون على أصابعهم ويسأل بعضهم بعضا ما هذا العالم وما شأنه ويطلبون من الله العون والحماية من مثل هؤلاء الناس أهل الجراءة والاقدام ولما رأى السلطان هذه الحالة التي أورعته هرب في الحال وتبعه قسم عظيم من عسكر تيمور تحت قيادة شجعان ضباطهم وطاردوا السلطان طول النهار والليل وفي صباح اليوم التالي رأى الطاردون من عساكر تيمور أنفسهم على شواطئ نهر الفرات فعبره بعضهم بالقوارب وبعضهم بالعوم غير أن قوة الخيل ما كانت معادلة لخفة راكبها وتعب جميعها ما عدا خمسة وخمسين من أجود الخيول كان راكبوها الامراء والقواد والافاضل من الشجعان أدركوا السلطان ومن معه في مرج كربلاء المشهور فوقف لهم السلطان وعساكره وصاروا يضربون عليهم بالنشاب والحراب واستمروا معهم في حرب وضرب حتى صار الضرب بدا بيد وقتل كثير من الطرفين ورجع التتار وهرب السلطان مع حمره ونجا بسلامة نفسه وترك ميدان الحرب وسفك الدماء الى التتار ولا لزوم في هذا المختصر لتتبع مفصلات حكايات تيمور ولما أحس تيمور باشرافه على الموت في سنة ١٤٠٥ بعد الميلاد وصى بممالكه لعطاى الى حفيده بير محمد بن جهانكير ميرزه الابن الاكبر لتيمور فحصل بين هذا الامير وبين ابن عمه السلطان خليل بن ميرانشاه ميرزه الابن الثالث لتيمور مشاحنات وحروب انتهت بموت بير محمد ووقع خليل أضحية في حب وغرام الجميلة شاه الملك وكانت امرأة من أجمل النساء خصالا وجمالا وصرف عليها خليل الاموال والخزائن الكثيرة التي كان جمعها جده وكانت أعظم صديق له ومحبة فيه ولما مات ضربت نفسها بخنجر فماتت ودفنت معه في قبر واحد في الرها وذلك أن الميرزا شاه ميرزه أصغر أولاد تيمور وكان في مدة حياة أبيه حاكم خراسان قتله وصار سلطانا وما كان لهذا السلطان غرام في الفتوحات والحروب بل عكف نفسه على اصلاح ما دمرته وخربته حروب السلطنة الاولى وأعاد بناء هراة ومرو وصار ديوانه الجميل مركز الفلاسفة ومقر العلماء والشعراء وكانت حروبه المهمة مع عصاة التركمان في آسيا الصغرى حتى أخضعهم لطاعته وقادهم لحكومة سلطنته

ومن بعد أن جلس أولغ بك بن شاه رخ وكان على دراية من العلم وعلى الخصوص العلوم الفلكية فكانت سلطنته مشهورة بجمعيات علماء الفلك الذين كان يدعوهم الى ديوانه من أقصى البلاد وحسب الجداول الفلكية المشهورة باسمه ولم تزل مرعية لحد الآن ثم خلع وقتل في سنة ١٤٤٩ بعد الميلاد وخلفه ابنه عبد اللطيف وهذا قتله عسكره من بعده في ستة شهور من سلطنته وصارت مملكة فارس مرة أخرى عرضة للقلاقل والاختلالات الداخلية الحاصل وقوعها بعدهم وشيوخة وسقوط كل عائلة أو دولة وآلت النتيجة في آخر الامر الى أن وقعت المملكة الفارسية في أيدي ثلاثة ملوك كل منهم على حدة من الآخر فمنهم السلطان حسين ميرزه من ذرية تيمور كان له ديوان مفتخر في هراة وكان سلطانا على خراسان وقره يوسف ويلقب برئيس تركمان النعاج السود وكان مستحوذا على أذربيجان والعراق الفارسي وفارس وكرمان وأوزون حسن الملقب برئيس تركمان النعاج البيض وكان مستحوذا على

أرمينية وعراق الجزيرة وقسم من آسيا الصغرى ولما صار له جميع فارس العربية هجم على السلطان العثماني محمد الثاني فانهزم شر هزيمة وانتهى مشروع مطامعه واكتفى أولاده وأولاد أولاده وأولاد اخوته بأراضيهم وممالكهم الا أن مدة سلطنتهم كانت قصيرة بواسطة قيام دولة جديدة أقوى منهم شوكة ولما خربت مملكة فارس الخراب الطويل من المظالم والجور الحاصل من الاجانب ومن الاختلالات الداخلية حصل لها أخيرا الظفر والنجاح والتوفيق بأن صارت تحت شوكة وسلطنة واحد من أهلها وذلك أنه كان بمدينة أردبيل من أعمال أذربيجان ولي من أولياء الله اسمه الشيخ صفي الدين كان تقيا نقيا زاهدا من ذرية الامام موسى الكاظم الامام السابع فبعد موته جلس على سجادته ابنه صدر الدين وازداد اعتقاد الناس فيه حتى زاره الملوك والسلاطين في خلوته ولما وصل تيمور الى هذه الجهات توجه أيضا لزيارته والتماس بركته فقال له الشيخ صدر الدين أملا استكفيت بما أعطيت أعطني هؤلاء الاتراك الذين أخذتهم أسرى فما كان لتيمور جواب الا أن سمح خاطره بقبول طلب الشيخ وأمر بتسليمهم الى خدمته فكساهم الشيخ وفرق فيهم هدايا من بعض خيراته وأخلى سبيلهم فجعل القبائل الذين كان هؤلاء الاسرى ينسبون اليهم أنفسهم أتباع الشيخ وحماة داره وذكر في زينة الطريق أن أسماء السبع قبائل الذين غيروا أثوابهم بغطاء الرأس بعمامة أو ملبوس مخصوص ولقبوا بلقب قزلباشية هم قبائل أوتاجلو والشاملو وبيكالو وبهارلو وذوالقدر وكجر والافشر واستمر أولادهم على ما كان عليه آباؤهم من الخضوع والخشوع والاحترام وصارت ذراري أسرى تيمور معاضدين لعائلة الشيخ صفي الدين حتى أمكن لولد متعبد في خلوة أن يجلس على أعظم التخوت الباهرة في الدنيا

وكان السلطان حيدر النسل الخامس من ذرية الشيخ الصوفي ودمه مخلوط من دم صاحب الشوكة أرون حسن رئيس تركمان النعاج البيض هو أول من نال الدولة والشوكة الدنيوية الا انه مات في مشروع كان أجراه على شيروان وقبره مشهور يزار لحد الآن في مدينة أردبيل وقتل يعقوب من ذرية أرون حسن السلطان على خليفة حيدر وفي سنة ١٤٩٩ بعد الميلاد وقال آخرون في سنة ١٥٠٤ من موت يعقوب ببضع سنين قام اسماعيل الابن الثالث لحيدر من بنت أزون حسن وساق أتباعه وعمره أربع عشرة سنة وهزم العدو المتغلب على مملكة بيته وهو السلطان شيروان ولازمته السعادة هو وعسكره في واقعتين مع ملوك النعاج البيض حتى جعل نفسه سيد أذربيجان ثم في حرب ثالثة تغلب على العراق وفي طرف أربع سنوات من ابتداء خروجه الى ميدان الحروب خضعت الى سلطنته كامل مملكة فارس ولما كان اسماعيل ليس من أبناء أحد رؤساء القبائل حتى تكون عرضة لحروب ومشاحنات انتقامية تقع عليه من أي قبيلة وما كان تحت غرض عدو أمكن من هذا أن صار موقرا محترما عند عموم القبائل والعشائر ولما دخل في عقائد الشيعة وكان أهلها أقل شوكة وأقل اعتبارا في المذهبين الكبيرين الاسلاميين اتحد الشيعة وصاروا جامعة واحدة وقويت في التعصب شوكتهم الا أن اسماعيل تحت تعصب أتباعه وجعل المحافظة على نفسه في الاعتكاف والعبادة تحت ملازمة القبائل السابعة القزلباشية وأعد أهل هذه القبيلة رجالهم وسيوفهم في سبيل المدافعة عن مليكهم ودينهم ومن ثم سار ابن الشيخ الصوفي من غير مبالاة في اجراء أعماله المصورة واستمرت السعادة ملازمة له ولعساكره وجيوشه مدة خمس عشرة سنة خضعت له بغداد وتوابعها وطرد

الازبكية

الازابكة من خراسان وقتل أميرهم الفارس شاهبالى خان واعترفت بلخ بسلطنته وما بقى له الا عدو
واحد مهول يلزمه الثبات أمامه فى ميدان الحرب (وهو السلطان سليم العثمانى) وهذا السلطان عند
ما اشتعلت فى رأسه نار الغيرة سار من القسطنطينية بخصوص هشم وحطم الشوكة والدولة القائمة فى
مملكة فارس فتقابل الجيشان على حدود أذربيجان ومع ما كان فيه اسماعيل من الاحتراز وتدبير
الحركات العسكرية فانه انهزم ولو أن خصمه لم يستحصل منه على ما كان عازما عليه من نصرته نصرا
حقيقيا على اسماعيل الا أن الهزيمة كانت من أصعب الامور على اسماعيل حتى انه ما رؤى بعدها
يضحك أو يتبسم بالضحك

وبمجرد موت السلطان سليم عبر ابن حيدر نهر عراس وأدخل جورجستان فى طاعته ومن بعد ذلك
بقليل مات سنة ١٥٢٣ من بعد الميلاد فى مدينة أردبيل تاركا لنفسه الذكر الجميل عند الفرس
لانهم جعلوا أنه هو المخلص لبلادهم والمؤسس لعائلات ملوكهم الكبيرة الاسلامية ومعيد دينهم وهى
العقائد الشيعية

وخلف طهماسب أباه على كرسى السلطنة وكان عمره وقتئذ عشر سنوات وتمكنت سلطنته مدة طويلة
قدرها ثلاث وخمسون سنة وكانت على غاية من الفلاح والنجاح ولو أنها كانت مضطربة الاحوال فى
مبادى أمرها بواسطة ما حصل من الثورات التعصبية من رؤساء القزلباشية وكبرائهم والغارة على
المملكة بالازابكة من الجهة الشرقية وبالعثمانيين من الجهة الغربية فانتصر طهماسب على كل من
هؤلاء المغيرين والثائرين ووطد مملكته وأثبت قواعد أساساتها واستقبل مع الاحترام والاجلال
السلطان همايون سلطان الهند عندما التزم الهرب من قيام أشراف مملكته عليه وسنذكر همايون
هذا فى تاريخ الممالك الهندية فى الجزء السابع من هذا التاريخ ان شاء الله تعالى وبمساعدة طهماسب
للسلطان همايون صار له قدرة على عود تخته اليه مرة ثانية وكذا اقدم فى مدة سلطنته انطونى رنكنسن
أقدم واحد انكليزى تجاسر ودخل مملكة فارس وزار ديوان طهماسب أشبه سفير من طرف الملكة
اليزابث ملكة انكلترة الا أن تعصب هذا السلطان فى دينه ألزمه طرد هذا النصرانى من حضوره
أمامه

وكانت أولاد السلطان طهماسب وعائلته كثيرى العدد وكل واحد من أولاده سعى وكدّ فى تيسر الحصول
على التاج ومن ثم كان لا يوجد فى مدة سلطنتهم الا مخطوطات قليلة الاهمية فأما حيدر واسماعيل
ومحمد أولاده فقد انقضى حكمهم وأما حمزة مرزا ابنه فانه قتل مذبوحا وفى آخر الامر ظهر طالب
جديد للتخت معضد بأيدى من أرباب الشوكة من رؤساء القزلباشية وهو عباس الاخ الاصغر لحمزة مرزه
المقتول وكان عباس هذا فى مدة صغره موظف حاكم فى خراسان وأتابكه على قولى خان شاملو وفى هذه
الاثناء حرضه الامراء بجهة خراسان بعد أن جعلوه ملكا عليهم فى سنة ١٥٨٢ بعد الميلاد وألزموه
بحمل السلاح وقود الجيوش لمحاربة أبيه حتى جلس على كرسى المملكة فى سنة ١٥٨٧ بعد الميلاد
وسار نحو العراق لمحاربة أخيه السلطان محمد فخضعت له قزوين وترك عساكر السلطان محمد سلطانهم
وصار محمد هذا لا ذكر له فى التاريخ ومازالت تعديات الاجانب والارتباكات الداخلية متسلطة فى
المملكة بحرب الازابكة من جهة والعثمانيون من جهة أطراف المملكة ودمروها وازداد الرؤساء
الواقعون فى عداوات فيما بينهم ومشاحنات وحروب باسم مليكهم ولما رأى ذلك عباس أظهر همته

الاكرام والالتفات الزائد ومن ابتداء هذا الوقت صار تاريخ فارس خاليا الحوادث والوقائع وفي سنة ١٨٨٩ زار الشاه أيضا بلاد أوروبا وتوجه منها الى مصر وأحسن فيها على بعض مستخدميها بنيشان الحكومة الفارسية والى يومنا هذا وهو ٤ سبتمبر سنة ١٨٩١ لم يحصل في مملكة فارس وقائع ولا حوادث

فصل . وأما ديانة الجبرية أو المجوس الموجودين عليها الآن فانهم يؤمنون بالله واحد فقط ولا يشركون به شيأ وهو الذي خلق السموات والارض والملائكة والكواكب والشمس والقمر والنار والماء والعناصر الاربعة وكل من في السموات والارض وبه يؤمنون وله يسجدون وبه يستعينون ومن يؤمن بالله غيره فهو كافر يعذب في جهنم عذابا أليما ويعتقدون أن الاله ليس له وجه ولا شكل ولا صورة ولا لون ولا محل يحل فيه ولم يكن له كفوا أحد ولا يقدرون على وصفه ولا تدركه العقول ويعتقدون أن النبي الذي جاءهم بهذا الدين من عند الله هو زرداشت وهو نبي حق مرسل من عند الله وهو أصبهانطمانى أنوشروان ويعتقدون أنهم متناسلون من جيومرث ومن جيومرث تشعبت الاعجام وقالوا ان جيومرث أول بني الانسان على حسب ديانتهم الا أن علماء الملة الآن والصينيين والهنود وملا أخرى تجادلوا في هذا الامر وقالوا ان الانسان والارض كانا موجودين قبل وجود جيومرث

وأما العقائد التي جاء بها زرداشت التي أرسلها الله لهم على لسان نبيهم هذا فهم يعتقدون بان الله واحد وأن نبيه الاكرم زرداشت هو نبي حق ويؤمنون بالملائكة وان أوسطا (جبريل) كان يوحي اليه كل ماهو حق لاريب فيه ويؤمنون بكرم الله سبحانه وتعالى ولا ينقضون أي أمر من أوامر مذهب مارديشنا ويجتنبون أعمال الشيطان ويعودون أنفسهم على فعل الخير وعمل الطيبات ويصلون خمسة أوقات في اليوم والليلة ويؤمنون بالحساب والقصاص في صباح رابع يوم بعد الموت ويرجون الجنة ويخشون النار وعذابها ويعتقدون المعاد والحشر ويعتقدون أن الله فعل ما أراد ويفعل ما يريد ويدعون بعد كل صلاة عما يقربهم الى الله سبحانه وتعالى

ويعتقدون أن الانسان اذا كسب سيئة أو خطيئة واعتقد أن أحدا من الناس ينجيه منها فالعاش والمغشوش بلعان يوم راستا كهير يعني يوم القيامة يوم لا شفيع ولا مخلص الا الله وحده وان الانسان يجازى يوم القيامة بحسب أعماله وان الله هو الذي ينجيه فقط وهو الذي يعفو عنه وهو العفو الرحيم واذا كفر الانسان عن ذنوبه وخطاياه وقبل الله سبحانه وتعالى توبته وعفا عنه بفضل منه ورحمة فهو ينجيه من دون واسطة أحد   هذه هي العقائد الدينية عندهم الجاري تعليم أطفالهم عليها



﴿ الكتاب الثاني عشر ﴾

﴿ تاريخ قرطاجنة ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء تأسيس قرطاجنة الى الحروب مع رومة ﴾

تأسيس قرطاجنة بواسطة ديدو ـ موقع المدينة ـ عدم معرفة حقيقة تاريخها القديم ـ تقدم قرطاجنة على التدريج ـ امتداد أراضيها ـ امتداد سلطتها وحكومتها على القبائل الافريقية ـ عيوب الطريقة القرطاجنية ـ المستعمرات القرطاجنية ـ القوى البرية والبحرية للجمهورية ـ المدخولات ـ التجارة ـ صفة الجمهورية ـ طريقة الحكومة ـ الديانة ـ السعي في التغلب على سيسيليا ـ حروب في أفريقه ـ تجديد السعي في التغلب على سيسيليا ـ حروب مع صيراقوس أوسرقوسه ـ حملة السرقوسيين على مملكة قرطاجنة ـ تداخل رومة في الاعمال القرطاجنية

قد ذكرنا تاريخ هرب ديدو وحزب الاشراف من مدينة صور في كلامنا على تاريخ فينقيه وسار هؤلاء الفارون حتى نزلوا على الساحل الافريقي وكان مقامًا عليه من قبل عدة مستعمرات فينقيه مثل أوطيقه وحضرميتوم وغيرهما وصار انتخاب موقع هذه المستعمرة الجديدة في رأس بحيث جزيرة ممتدة نحو الشرق الى خليج تونس على الخط الثاني العاشر للطول ومتصلة مع البر الاصلي ببرزخ أو رقبة عرضها نحو ثلاثة أميال ويشكل هذا الموقع ميناءان طبيعيتان يكتنفهما البر ويمكن حفظ الرقبة الضيقة بطريقة تسهل من أي هجوم يقع من البر الاصلي ورغب الوطنيون الذين يحبون المنافع التجارية في قبول تأجير هذه الارض للذين يريدون أن يشيدوا عليها لانفسهم مدينة واتفق الطرفان على دفع مبلغ مقرر يدفع سنويا قيمة ايجارها ومن ثم تأسست قرطاجنة في سنة ٨٦٩ قبل الميلاد

وكان تقدم هذه المستعمرة في مبادي أمرها بطيء الحركة جدا الى أن صار جليلا على التدريج ومن مدة قرنين كان تاريخ قرطاجنة غامضا لاحقيقة له وفي القرن التاسع والثامن والسابع قبل التاريخ المسيحي تغيرت حالة قرطاجنة بواسطة هذا التقدم التدريجي ومدت شوكتها على البر الاصيل ولما ابتدأ تاريخ قرطاجنة في الظهور في القرن السادس قبل الميلاد برعت المدينة من الظلام التي كانت محجوبة تحته لهذا الوقت الى صورة مدينة قوية طريفة تابعة لها شوكة سائدة معروفة على الساحل الشمالي الافريقي من ابتداء عمد هرقل (جبل طارق) الى أراضي صربيه (طرابلس الغرب) ومن البحر الى بركة تريطون في الجهة الجنوبية

ومن الصعب ان لم يكن من المستحيل ذكر الاحوال المتوالية التي جاءت عقب بعضها حتى تم بها هذا التقدم والشوكة الا أنه من الظاهر أنه من قديم الزمن من عهد تأسيس المدينة كان عزم القرطاجنيين ورغبتهم في تشييد مملكة في البحر والبر ومن ثم كانت مساعيهم الاولية التغلب على القبائل الرحالة النزالة المجاورين لهم على البر الاصيل واشغالهم بطرائق الزراعة ولما تم لهم ذلك انتشرت المستعمرات

والمساكن القرطاجنية بينهم مع الكثرة وتواصلوا مع بعضهم بالنسب والمصاهرات وازدادت الالفة بينهم وتولد منهم جنس مخلوط الدم في طول الساحل نحو الجنوب والى الجنوب والغرب كان على غاية من الاستعداد والانقياد قلبا ولسانا القرطاجنة واختار لسان وعوائد أهل المدينة وكذا كان يوجد خلف خط هذه المستعمرات الداخلة قبائل وطنية افريقية حثوا بعضهم على الزراعة ومع هذا كان معظمهم حالته العيشة الرحلوية حسب عوائدهم القديمة وكان لهذه القبائل عوائد وطبائع جارية عليها مثل عوائد وطبائع أهل بلاد الجزائر الآن وكانوا تحت خضوع اسمي فقط الا أنهم كانوا يرون خضوعهم لقرطاجنة أنه حقيقي ويعتقدون في أنفسهم أنهم منسوبون لهذه المملكة وكانت أراضي قرطاجنة الاصلية معتبرة أنها ممتدة الى الجنوب بلد بحيرة تريطون والى الغرب بلد نهر توسقه الذي يفصل روجيطانه من نوميديا وهذا الاقليم هو اقليم تونس الآن

ومع هذا كانت هذه الحدود غير كافية للقرطاجنيين وذلك أنهم بمجرد ما صار لهم قدرة شرعوا في اقامة شوكتهم وسيادتهم على الاقاليم الموجودة في الجهة الشرقية منهم والجهة الغربية أيضا ونالوا كاد كرنا توطيد حكومتهم بين نهر توسقه وعمد هرقل وبين بركة تريطون وأراضي صيرنيه

وكان يوجد في وقت تأسيس قرطاجنة عدة مستعمرات فينيقية موجودة في طول ساحل الاقليم صارت جميعها فيما بعد أراضي قرطاجنية الا أنه كان من أصعب المشاكل وأشق الاشغال على هذه المدينة الجديدة اقامة سيادتها على تلك المدائن والمستعمرات لان هذه المدائن ما تنازلت مطلقا عن استقلاليتها لاحد وكان الواجب على قرطاجنه أن تراعيهم لانهم أصل الموقع الذي استوطنت عليه صور واصالح المدائن الفنيقية وأن تكون قرطاجنة هي الجامعة الاصلية لهم أو رئيسة الاتحاد وكانت قرطاجنة من مبادي أمرها أقوى من مدائن أوطيقه وحصرميتوم والمستعمرات الاخر الفنيقية ولما توطدت دواتها وعظمت شوكتها صار لا قدرة لواحدة من هذه المدن على مقاومتها أو اجراء الاعمال اللازمة لصد سياستها ولو أن ما وصلت اليه من الاعمال كان غاية الا أنها ما بلغت درجة النفوذ المطلق في السلطنة عن كثير من الجهات الداخلة في حدودها لكنها قاربت بأن شيدت سلطتها على القسم الغربي من سيسيليا في مبادي أيامها وشرعت بعد ذلك في الالتفات الى سردينة وتغلبت عليها بعد حروب شديدة دموية قريبا من تمام القرن السادس قبل الميلاد وفي نحو هذا الوقت أو قبله احتلت جزائر ابالبريك وماجورقه ومينورقه وايفاقه واستعمرتها استعمراتها ومن بعد مضي قليل أقامت مستعمرات في كورسيكا واسبانيا وفي جزائر ماديره وكنارير ومالطه وغولوس وكذا تغلبت على سرسينه وفي آخر القرن السادس قبل الميلاد امتدت الشوكة القرطاجنية من صرطيس الكبرى الى جزائر الفورطونات ومن كورسيكا الى سفوح جبال الاطلس وأنشأت بين كل من هذه المستعمرات علاقات تجارية ومعاملات كانت الحكومة المحلية هي الكافلة لضبطها والحاذرة عليها ومن ثم وردت اليها الاموال من كل جهة وحصلت لها السعادة والثروة

وكان لتغلبات قرطاجنة تأثير شديد تولد من استخدامها عساكر ورتبت لها الرواتب الكافية من العساكر الاجنبية وجندت قوة كبيرة نظامية من عساكرها الوطنية وجعلت هذه القوة أساس الجيش القرطاجني الا أن عساكرها من الاغراب كانوا كثيري العدد وكانوا من النوميديا بين والموريطانيين ومن أمم أخرى مستقلة في افريقة وكذا من ابرلان اسبانيا ومن جزر سلاس في علية ومن

ليغوريين فى شمال ايطاليا وأما الزمن الحقيقى الذى استخدمت فيه هذه المملكة العساكر الاجرية الاغراب فانه غير معلوم ومن المحتمل أن حصول ذلك كان فى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد

ولقد أنشأت قرطاجنة أيضاً أسطولاً بحرياً قوياً وكان هذا الاسطول ضرورياً لها لأن جمهوريتها عهدت على نفسها من ابتداء أمرها حفظ تجارتها من اللصوص وقطاع الطريق الذين يسعون على ظهر مياه البحر الابيض المتوسط وكان ملاحو هذا الاسطول من العبيد أو عبيد اعيرت لهذه الخصوص من طرف الحكومة الا أن القواد كانوا من وطنى القرطاجنيين وكانت الحكومة على غاية من الالتفات الى الجيش البرى والاسطول البحرى مع أن عليه مدار سقوط شوكة الجمهورية والحكومة وكانوا يعطونهم لوازمهم من طرف الحكومة ولهم روات مقررة سنوياً تؤخذ من أملاك المملكة وعلى الخصوص من محال استخراج المعادن التى كانت موجودة فى اسبانيا ومن بعض مستعمرات أخر ومن بعض الخراج الجارى دفعه سنوياً من طرف المدن الخاضعة لقرطاجنة مثل أوطيقه وحضرميتوم وغيرهما ومن مستعمرات فنيقيه ومن القبائل الافريقية الرحالة ومن مستعمرات مثل سردينة وسيسيليا وبعضه من عوائد الجمارك المضروبة فى كل جهة من جهات المملكة القرطاجنية وكان خراج المملكة القرطاجنية يختلف مقداره بحسب احتياج المملكة فيبلغ أحياناً نصف محصول المقرر عليهم دفع الخراج أو أقل منه

ومع أن قرطاجنة كان لها الطمع الزائد فى مد حدودها الا أن فتوحاتها كانت مقررة على قواعد أساسية سياسية عظيمة وذلك أنها لا تتغلب على أراض ليس فى طاقتها المحافظة عليها وبهذا الفكر النير حفظت داخليتها وحدودها ولو أن كافة قارة افريقية جعلت لها ميداناً واسعاً لا تساع مطامعها حتى فى اسبانيا لكنها لم تلتفت لمشروع فتوحات كبيرة حتى انجبرت على ذلك بالنسبة لضرورة حركات جيوشها فى الحروب مع الرومانيين ثم رأت هذه الامة التجارية البحرية من مباشرتها الاعمال أنه لا يوجد لها أسلم عاقبة ولا أنفع فائدة من استحواذها على جزائر وتأكد لها من الامثلة التاريخية أن الاراضى القارية الواسعة لا يمكن حفظها بالاسطول البحرى فقط حتى لو كانت جميع أبوابها مقفولة أو محصورة فانه يأتيها لوازمها الواسعة من نواحى الجزائر واستصوبت قرطاجنة هذا المشروع حتى فى مدة نجاحها وعلو شوكتها وحصرت أملاكها من بعد أراضيها الاصلية فى الاستحواذ والغلبة على الجزائر وكان لا يوجد لها عدو تخشاه واستمرت شوكتها فى البحر محافظة على ممالكها وكانت تحمل تجاراتها فى أى وقت تريده من دون مراعاة أدنى خطر يحصل فى العصر الذى ما كان ظهر فيه عدو بحرى ذو شوكة أعظم من شوكتها وكان الجزء الغربى من البحر الابيض المتوسط ملآن بجزائر كبيرة وصغيرة فصار هذا ميداناً مكشوفاً واسعاً لقرطاجنة ومعادلاً فى كل من المواقع والمحصولات الخارجة منها لها

ومن المعلوم أن تجارة قرطاجنة كانت فى سعة زائدة الا أن مقدار امتدادها كان غير محقق وقال روليس انه كان لا يوجد أدنى ريب فى سعة تجارة القرطاجنيين لانهم وصلوا فى تجاراتهم الى الجهات الآتية فكانت تجارتهم فى الجهة الشمالية فى كرنوال وجزائر شيلى وفى جهة الشرق فنيقيه وفى الجهات الغربية ماديره وجزائر كنارير وساحل غينا وفى الجهة الجنوبية فيزان وبهذه الوسائط التجارية كانت قرطاجنة تتحصل بسهولة على لوازمها واحتياج أهلها مثل العرقى أو النبيذ والزيت والتمر والملح والسمك والسلعيوم والذهب والقصدير والرصاص وسن الفيل أو العاج والاحجار الكريمة

والرقيق وكانت تستعوض بهذه المواد كل ما كان يخرج من مشغولاتها ومنسوجاتها والخردة والفخار وأنواع الزينة وطقومة الخيول والآلات والعدد وبواسطة هذه التجارة الواسعة أمكن القرطاجنة أيضا الحصول على محصولات وتصديرات الامم القاطنة فى غربى أوروبا وغربى اسيا وداخل أفريقة وكان يحمل قسم من هذه التجارة فى البر وآخر يحمل فى البحر ولما كان تجار القرطاجنيين آمنين على تجاراتهم البحرية بواسطة مراكبهم التجارية وجهوا القوافل وأمروهم بالتجول فى داخل الصحراء الكبرى بجلب هذه القوافل الى قرطاجنة من الجهات الجنوبية والجهات الجنوبية الشرقية محصولات الاقاليم القاصية وكذا مصر وصحرنيه العليا وواحات الصحراء وفيران واتيوبية وبرنيو كل هؤلاء دخلوا فى معاملات تجارية وجعلوا قرطاجنة المركز العمومى لهم وأما تجارة قرطاجنة فى البحر فكانت جارية بالخصوص مع مدينة صور ومستعمراتها ومع الامم العربية من البحر الابيض المتوسط وقبائل الساحل الافريقى من عمد هرقل الى خليج نبس ومع الامم المتوحشة القاصية الموجودة فى الجنوب الغربى من جبال الالب

وكانت حكومة قرطاجنة على الدوام جمهورية مشكلة من حزب الاشراف وكان النفوذ الاكبر محصورا فى أيدى جماعة من وطنى القرطاجنيين المقيمين فى المدينة أو فى ضواحيها وكانت قوانين الحكومة ونظاماتها جارية مع حسن الانقياد والطاعة للحكومة المحلية فى جميع أقاليم المملكة وكان الامتياز الاصلى الذى كانت تمتاز به كل طائفة عن أخرى فى الدرجات هو الزيادة فى الثروة والغنية وكان القرطاجنيون هم الموظفين فى الوظائف الا أنه لا راتب لاحد منهم فمن ثم ما كان يمكن توظيف الفقير فى مصلحة من المصالح ومن هذا كان كامل الشوكة والسلطة فى أيدى الاغنياء عالما انهم مستحوذون على نقود وعندهم أوقات وأزمان يلازمون فيها على مباشرة الاعمال العمومية وتقرر عند القرطاجنيين عدم توظيف أى فقير ما فى مصلحة ما من المصالح

وكان الموظف فى رأس الحكومة اثنان من القضاة الذين كانوا فى مبادى أمرهم قواد جيوش الامة لا من الذين دخلوا فى المصالح المدنية وبعلوم أنهم ملكية صرف وليس لهم دراية بالعسكرية وكان القضاة ينتخبون بمعرفة الامة وأهل المدينة من عائلات محصور فيها الشرف وعلو النسب ويراعى فيهم اللياقة لهذا المسند طول حياتهم ومن بعد القضاة مجلس مركب من مئات من الاعضاء يأخذ منه جميع حكام المملكة مثل مجلس الاعيان المركب من مائة عضو وهى جمعية من أصل المجلس الاكبر تدير جميع اجراآته وأوامر ومنه مجالس صغيرة مركبة من خمسة أعضاء منوطة بمباشرة أشغال الاقاليم المختلفة من المملكة ومن هذه المجالس الصغيرة كانت تتوظف أعضاء مجلس الاعيان وأما مجلس المائة أو المائة وأربعة فاغلبهم من القاصيين واثنين من كبار القسس والقضاة وأرباب المحكمة العدلية فكان انتخابهم بمعرفة الامة هو أول مادة مرعية الاجراء فى النظامات الداخلية الا أنه وان كانت أعضاؤه منتخبة من الطوائف العالية لم يكن لهم سلطة توعاق صد المطامع الشخصية الحاصلة من حزب الاشراف فى زيادة الحقوق المدنية أو عدم صلاح حالة الجمعية المعقدة من طرف الامة ومع هذا فكان الامة على رضا من ذلك وكان القضاة ينتخبون تحت قواعد وحدود معلومة وحرية تامة وكان مجلس المائة تام الاعضاء على الدوام لا ينقص منه أحد وفى الاحوال التى يقع فيها خلاف بين القضاة وأرباب المجلس كان يجرى قطع الحكم فى هذا الخلاف باجراء طرق سياسية وأما مسائل الصلح والحرب والمعاهدات وما ماثل ذلك فكانت تعرض عليهم ولو لم تكن ضرورية وكان يبت الحكم فيها بواسطة أغلبية

آراء أعضاء المجلس حسبما يجوّزه نظام المملكة نظر الصالح أحوالها وبواسطة ما حصل من افتتاح المشروعات التجارية صارت لا تعرف عند القرطاجنيين فاقة الفقر وكذا من عهد ما شيدوا المستعمرات في أنحاء الجهات وزرعوا فيها رعاياهم ووزعوا عليهم الاراضي الكافية لمعاشهم

وكانت ديانة القرطاجنيين في الهيئة والشعائر والاجراآت مطابقة بالكلية للديانة الفنيقية ومن بعد أن تغلب الرومانيون عليهم أرغموهم بقطع هذه العوائد العاكفين فيها على هذه الديانة وعلى الخصوص تقريبهم النوع البشري قربانا لالهتهم

وأول شيء من الطمع المذموم الذي فعلته قرطاجنة بعد أن صار لها قوة قوية هو سعيها في الحصول على دولة رياسة باستحواذها على جزيرة سيسيليا فسارت في هذا المشروع واحتلت الركن العربي من الجزيرة وكان يلزم القرطاجنيين من مبادي أمرهم أن يطردوا متوطني الجريق من جزيرة سيسيليا أي صقلية حالما كان لهم قوة كافية يمكنهم بواسطتها فعل ذلك لكنهم تساهلوا ولم يحصل منهم أدنى سعي في مثل هذا الموضوع لحد القرن الخامس قبل الميلاد ولما أغار أردشير ملك فارس على الجريس وأشغل جميع الجنس الهليني بحروبه ظنت قرطاجنة أن وقتها جاء في السعي على التغلب على المدائن الجريقية في سيسيليا عالمة أن هذه المدائن لا عشم لها في أن تأتيهم مساعدة من حكومتهم أو من أهل بلادهم في مثل هذا الوقت ففي هذا جندت جيشا كثيفا تحت قيادة حملقار بن ماجو وأرسلته للتغلب على سيسيليا فهزم جيلو هذا الجيش في نواحي الجيرة والتزمت قرطاجنة على أن تترك هذا المشروع واكتفت بعقد صلح قبيح في سنة ٤٨٠ قبل الميلاد

ومن بعد هذا وجهت قرطاجنة جيشها على قبائل ليبيا وأخضعتهم حتى صاروا من تبعتها وامتنعت عن دفع الخراج الذي كانت لحد هذا الوقت جارية بدفعه من طرفها اعترافا بأن الارض المبنية عليها المدينة هي أرض أهل ليبيا وانتصر الجيش في حروبه مع المدينة الجريقية الموجودة في صربيه وكان قواد هذه الغارات المظفرة حنبال وحاصدروبال وصافو حفدة ماجو وأولاد أخي حملكار ولما خشي القرطاجنيون من أن مظفرات هذه العائلة ربما يعود منهم الضرر على المملكة عقدوا مجلس المائة وألزموا كل قائد بالحضور أمام هذا المجلس وقت عوده مباشرة من حملته ليقص أمام المجلس أعمال اجرآآته

وفي سنة ٤٠٩ قبل الميلاد من بعد مضي سبعين سنة من خيبة القرطاجنيين في حربهم الاولى في سيسيليا رجعوا الى الحملة على هذه الجزيرة وطلبوا في هذا الوقت مساعدة مدينة اجيسطه في الحرب مع مدينة سيلنوس وجهزوا أسطولا كبيرا وجيشا كثيفا تحت قيادة حنبال حفيد حملكار وأرسل لهذه الحملة فانهزم الجريق في عدة وقائع وخرب الجيش القرطاجني مدينة سيلنوس والجيرة وعاد القرطاجنيون الى بلادهم متوجين بالنصر والظفر وتولد من هذه النصرات حث القرطاجنيين على أن يبذلوا كل ما في طاقتهم في التغلب على سيسيليا فامتدت حروبهم ذلك الوقت في كل القرن الرابع قبل الميلاد المسيحي وفي سنة ٤٠٥ قبل الميلاد أغار حنبال وحملقو على سيسيليا بقوة قوية فتغلبوا على اجريجنتم وجيلا وقرنسة فارتاع ديونيشس ملك سراقوصه لما رأى من تقدمات القرطاجنيين فعقد صلحا معهم ومن ثم وقفت حروبهم مدة من الزمن ولما صار لديونيشس قوة كافية لمقاومة القرطاجنيين نقض المعاهدة في سنة ٣٩٧ قبل الميلاد وأسرع في عدة حركات وحاصر مدائنه التي

كانت فقدت منه وتغلب على مدينة موتيه وفي السنة التالية أرسلت الحكومة القرطاجنية حملة والى سيسيليا فاستردموتية وتغلب على مسينه وفي نفس هذه السنة أي ٣٩٦ قبل الميلاد اكتسب ماجون قائد الاسطول القرطاجني نصرة عظيمة على السيسيليين على مسافة من كاتانة واتحد القوتان البرية والبحرية مع بعضهما في حصار سراقوص وفي سنة ٣٩٥ قبل الميلاد وقع في الجيش القرطاجني وباء عفن فضعفت عزائم حملة من هذه المصيبة ولما خاب من تغلبه على المدينة ترك جيشه وقتل نفسه بنفسه فأغار السراقوصيون وأهلكوا ما بقي من الجيش القرطاجني ثم ان ماجون خلف حملقو الا ان الحرب حصل فيه توقيف وفي سنة ٣٩٣ قبل الميلاد صار عقد الصلح مع سراقوص وفي سنة ٣٨٣ وسنة ٣٦٨ قبل الميلاد اجتهد دونيسس في طرد القرطاجنيين من الجزيرة الا انه كان يحصل له انهزام كل مرة فالتزم على عقد الصلح

وفي سنة ٣٤٦ قبل الميلاد جددت قرطاجنه الحرب عندما انتهزت الفرصة وقت حصول الارتباكات الداخلية في سراقوص عقب موت دونيسس الاول واجتهدت في مد شوكتها على عموم سيسيليا فانهزمت في مساعيها وأرغمت على عقد صلح في سنة ٣٤٠ قبل الميلاد

وفي سنة ٣١١ قبل الميلاد شرع أغاثوكليس ملك سراقوسه في حرب على القرطاجنيين الموجودين في سيسيليا فهزمه حملقار شر هزيمة في نواحي الجيرة سنة ٣١٠ قبل الميلاد وحاصر القائد المنصور في الحال مدينة سراقوص فاجتهد أغاثوكليس في خلاص عاصمته بكونه نقل الحرب بغتة في افريقه وذلك أنه أقلع الى تلك القارة في جزء عظيم من جيشه تاركا مملكته في حصارة وكفالة ولده ونزل بالقرب من قرطاجنه وهجم على أراضي مملكة الجمهورية فحصل له الظفر مدة من الزمن بواسطة ما حصل من الاختلاس بينه وبين القائد القرطاجني بوميلكار الا انه أرغم أخيرا على سحب جيشه من افريقه وعوده الى سراقوص وكان انه انهزم فيها مرتين فانضرب الملك ضربة قوية في حرب حصلت بعد عوده فالتزم على عقد صلح في سنة ٣٠٤ قبل الميلاد

وتكلفت هذه الحروب على قرطاجنة كثيرا من الانفس ونقودا جمة من دون ثمرة عادت عليها ومن ثم ضبطت الجمهورية أملاكها الاصلية في سيسيليا وقدرها ثلث أملاك الجزيرة ولما لم يحصل من القرطاجنيين عقد شروط مع الجريسيين حصلت لهم الهزيمة وكانت هذه موعظة عظيمة لقرطاجنة عرفت منها أيضا أن أراضيها عرضة للغارة وان رعاياه في افريقه يشتهون مساعدة المحاربين كما أنهم يبقون على صداقة معها

ومع ما رأت قرطاجنه من هذه المواعظ فانها ما زالت متمسكة على مرغوبها في التغلب على سيسيليا ثم مات اغاثوكليس في سنة ٢٨٩ قبل الميلاد ومن هذا الوقت أحدث الشوكة الهلينية في سيسيليا في الضعف فجددت قرطاجنه الحرب وتغلبت على أجريجنتم واحتلت القسم الجنوبي من الجزيرة وهددت سراقوص فدعا أهل سراقوص برهوس لمساعدتهم فأقلع هذا الملك في الحال وخلص المدينة وأرغم القرطاجنيين بالقهقرة الى الجهة الجنوبية في سنة ٢٧٩ قبل الميلاد وضايقهم أشد مضايقة ولما عاد الى ايطاليا فجأة تغيرت سعادة الحرب فانعقد صلح بشروط موافقة بين قرطاجنة وهيرو ملك سراقوص ثم ظهرت دولة جديدة في هذا الوقت وهي رومة في الميدان ومن هذا الوقت صار تاريخ قرطاجنه ملحقا بتاريخ رومة ومتحدا معه في الحركات والانقلابات ولهذا صرفنا النظر عنهما وسنذكره مع تاريخ رومة ان شاء الله تعالى

﴿الكتاب الثالث عشر﴾

﴿تاريخ اليونان أو الجريس﴾

﴿الباب الاول﴾

﴿عصر الشجاعة﴾

موقع الجريس الجغرافى ـ وصف المملكة أو الاراضى ـ أوصافها الطبيعية ـ أوصاف جبلية ـ حكم هذه على الجريس ـ التقسيمات السياسية الجريسية ـ الجزائر الجريسية ـ عدم معرفة التاريخ الجريسى القديم ـ السكان الاصلية ـ البلاسجى ـ عصر الشجاعة ـ الثلاثة الشجعان الكبار الذين كانوا موجودين فى هذا العصر ـ المدائن ـ دخول حروف الهجاء أو الكتابة فى الجريس ـ الحرب الطروجانى ـ استكشافات الحكيم صشليمان ـ النظام الاتحادى والسياسى الجريسى فى دور الشجاعة ـ مهاجرة العشائر الجريسية ـ العود الهراقليدى ـ استيطان جزائر الارخبيل وسواحل اسيا الصغرى ـ ديانة الجريق ـ ايجاز القول فى عقيدتهم ـ الاسرار الالوسانية ـ كلام الكهانة أى وحى الاصنام ـ تقدم المواطن الجديدة الجريسية على التدريج ـ تقدم المدينة وأوصافها السياسية ـ محبة الجريق لدرجة الاستقلال ـ نتائجها ـ الارتباطات العامة للممالك الجريقية

الجريس أو كما كانوا يسمونها فى الزمن القديم بالهلاس شاغلة للقسم الجنوبى من المحيط جزيرة الشرقية من قارة أوروبا وطولها الاكبر من جبل أولمبوس فى الجهة الشمالية الى رأس تنريم فى الجهة الجنوبية نحو ٢٥٠ ميلا وعرضها الاكبر من الشرق الى الغرب نحو ١٨٠ ميلا ومساحة سطحها نحو من ٣٥٬٠٠٠ ميل مسطح وتحد القارة الجريسية من جهة الشمال بسلسلة جبل قامبونى ومن جهة الشرق بالبحر الايجيانى أو بحر الارخبيل ومن جهة الجنوب بالبحر الابيض المتوسط ومن جهة الغرب بالخليج اليونيانى أو البحر الادرياتيقى

وأعظم امتياز للهيئات الجغرافية الجريسية هو تعدد جبالها وعظم امتداد ساحلها المكسر بواسطة عدة أحوار عميقة وليس للبحر فى طول هذا الساحل مدولا جزر وهو موضع جزائر ساحلية جميلة حصينة الارض ومن ثم صارت المواصلة بين الجهات المختلفة من المملكة سهلة جدا بطريق المياه ومناخ الجريس متوسط الحالة وخصوبة الارض عجيبة وموافقة للاستيطان وتعيش أمة كبيرة ذات نشاط فى الاشغال وكذا فى الاعمال وبواسطة كثرة الجزائر الموجودة فى البحر الابيض المتوسط تسهل الملاحة فيه وتشبه مواقع هذه الجزائر مراسى عديدة بين الجريس وساحل آسيا الصغرى أو الاناضول والبحر الاسود وأما بحيث جزيرة ايطاليا فهى على مسافة ثلاثين ميلا فقط من الساحل الغربى للجريس وتنقسم بحيث جزيرة الجريس الى ثلاثة أقسام أصلية بواسطة خلجانها الطويلة الداخلة فى سواحلها وذلك أن خليجى امبراسيان وماليان يفصلان القسم الشمالى من الجريس الوسطى وتنفصل الجريس الوسطى من الجريس الجنوبية المسماة بلوبونيزه أو موره بخليج قورنثه وخليج صارونيك

ثم ان الحيث جزيرة متماوجة أو متجعدة جدا بسلاسل جبال تقسمها الى عدة كور ممتازة عن بعضها صالحة لان تكون مواطن ملل أو طوائف مستقلة عن بعضها وليست هذه الصفة الجبلية قاصرة على حفظ الاراضى من هجومات مظفرة تقع عليها من أمم أجنبية فقط بل وتجعلها صعبة على كل كورة جريسية تشتهى التغلب على الاخرى المجاورة لها ومن هذه الجبال تتولد صعوبة المواصلات الداخلية والمعابر الجبلية القليلة يمكن حفظها بشرذمة قليلة من الناس ضد تقدم جيش حاكم ويحدث من البحر سهولات عظيمة فيما يختص بالاحوال السلمية والمعاملات الودية ومن ثم جمع الجريق الصفتين المتضادتين الجبلية والبحرية المتولد من أحدهما شدة حب العتق والحرية ومن الاخرى شدة الجسارة الحربية

وكان أعظم محصولات الجريس القديمة القمح والشعير والنيل والنبيذ والزيت والانعام والاغنام وهذه موجودة فيها بكثرة ولها فى الجبال والتلال مراع وافرة وكلأ مباح شاسع وكانت الجبال فى الازمنة القديمة معمورة بالاورمانات الكثيفة الاشجار الا أنها الآن عارية عنها ومع أن سعة المملكة الجريسية قليلة الا أنها كانت مشتملة على أربع وعشرين مملكة كل منها مستقلة فى نفسها عن الاخرى فكانت الجريس الشمالية مشتملة على مملكتين أصليتين وهما تساليا وابروس وفى شمال هاتين المملكتين موقع مملكة مقدونيا وكان ملوك مقدونيا يزعمون أنهم من النسل الهلينى الا أن مقدونيا ما كانت مرعية انها قسم من المملكة الجريسية الا من بعد مدة مضت عليها

وكانت الجريس الوسطى مشتملة على احدى عشرة مملكة هى أكرنانية وعطوليه ولوكريس الغربية وعنيانية ودوريس وماليس ولوكريس الشرقية وفوسيس وبيوطيه وأطيقه ومجاريس والوصف العمومى لهذه الكورة أو الاقليم هو كونه أقل خصوبة من باقى المملكة الجريسية وكانت أطيقة الشاغلة للرأس الشرقى من الحيث جزيرة هى المملكة الاصلية وكانت مدينتها الاصلية أثينة أجل من كافة المدائن الجريسية وأعظمها

وأما بلوبونيزه أو موره أو الجريس الجنوبية فكانت مشتملة على احدى عشرة مملكة هى قورنثه وصكيون واخايه وعليس واركادية ومسينه ولاقونية وارغوليس وعيدروريا وطريزنية وحرميونيس ومن تلك الممالك كانت مملكة لاقونية المسماة أحيانا باسم لاسيدمون أجل مملكة وكانت عاصمتها مدينة اسبرطه المشهورة

وخلاف القارة الجريسية كان داخلا فى الهلاس القديمة عدة جزائر واقعة بالقرب من الساحل وفى البحر الابيض المتوسط وكان أكبر هذه الجزائر الساحلية جزيرة عوبه وهى على مسافة من الساحل الشرقى وطولها ١٠٠ ميل وجزيرة قورثيرة وهى على مسافة من الساحل الغربى وكانت أجل الجزائر وطولها أربعون ميلا وجزيرة كريد على مسافة من الساحل الجنوبى وطولها ١٥٠ ميلا ويوجد خلاف هذه الجزائر جزائر السكلاده وجزائر اسبوراده وهى واقعة جميعها فى بحر الارخبيل كراقئ بين الجريس وآسيا الصغرى ويطلق أيضا اسم الهلاس على المساكن والمواطن الجريقية الموجودة بالقرب من سواحل أوروبا وسواحل آسيا وبالجملة فان هذا الاسم يطلق على كافة الجهات التى وضع الجريقيون فيها أقدامهم وقطنوها

ثم

ثم ان التاريخ الجريسى القديم مشحون جميعه بالخرافات والخزعبلات حتى يكاد لا يعرف له حقيقة ويعتقد الجريق فى أنفسهم أنهم من ذرية هلان بن دوقاليون وبيرها ومن ثم يسمون أنفسهم باسم هلانيس ومملكتهم باسم هلاس وأما اسما جريس وجريق فهما غير معروفين عندهم مأخوذ أصلهما من الرومانيين فانهم كانوا يطلقون على الجيث جزيرة الشرقية من أوروبا اسم جريس وسكانها جريق ولم يكن للجريقيين فى الازمان القديمة معلومية بهجرة أجدادهم من اسيا بل يعتقدون أن أجدادهم كانوا قاطنين بالارض من أصل الخلقة البشرية وان كان لا يطلق عليهم اسم الهلانيس

والصحيح المحقق أن السكان الاصلية لهذه المملكة فرع من الجنس الكبير الهندى الاوروباوى وفى وقت أو فى عصر ما كانت جميع الفروع المتفرع هذا الجنس عنها قاطنة جميعها فى محل يجمعها فى الاصل أمة واحدة كانت هذه الامة متوطنة فى الصحن العالى من آسيا الوسطى رحل فى مدة قاصية جدا الجدود القديمة للجريق نحو الجهة الغربية ودخلوا أوروبا واستوطنوا الجيث جزيرة وكان متوطنا فى الجريس فى الزمن القديم جنس يعرف بالبلاسجى مقسوم الى عدة شعوب تعرف بالهلانيس والجيس وكوكونيس وآخرين وكان هذا الجنس البلاسجى مستحوذا على درجة تامة من المدنية وعشائره قاطنة فى مدائن محصنة بأسوارها كفين على زراعة الارض وكانت ديانتهم مقصورة على عبادة زوس اله الجريق المتأخرين وكان معبد هذا الاله المشهور موجودا فى مدينة دودونه من اقليم ابروس وكانت الكهانة فى هذا المحل مرعية باسم أقدم كهانة فى الجريس ومن توالى الازمان والعصور ما صار طرد هذه الشعوب أو قرضتها الهلانيس ولما الهج الهلانيون باللهجة البلاسجية صار هذا اللسان لسان الجريس وتولد من عبادة زوس الدودونى عبادة زوس الاولمبانى المعروف عند الجريقيين بأنه أقدم اله أيضا

وكانت تعرف هذه المدة بعصر الشجاعة أو دور الفروسية حتى صارت فى الازمان التالية مبحثا وموضوعا للشعراء وكان يعتقد فى هذه المدة بأنهم جنس متوسط بين الآلهة والبشر وهم وان لم يعدوا كانوا أعلى وأشرف من الامم التى جاءت بعدهم فى عظم النفس وصلابة القوة الطبيعية ونتائج هؤلاء الشجعان وحوادثهم مقصورة على خرافات وثنية ومن الضرورى أن نذكر فى هذا المحل الثلاثة الفوارس الذين تصور الناس أنهم حازوا القوة والشجاعة الخارقة للعادة وهم هرقول أكر شجاع وطى وطيسوس وكان الجريق يرون أنه أول ملك مهذب فى أطيقة وأنه المؤسس للحكومة المطامية ومينوس ملك كريد أول من شرع الشرائع ودون القوانين وتعتقد الجريق بأنهم مدايون الامم الاجانب فى كونهم نشروا عليهم تمدنهم وهذا ممكن لا ريب فيه لانه ما عدا ادخال استعمال الحروف الهجائية والكتابة كان التمدن الجريقى محصورا فى المحصولات الارضية والاعمال الشاقة التى كانت تعملها الامة الجريقية ومن اعتقادات قدماء الجريق أن أثينة صار تأسيسها واقامة شعائر ديانتها بواسطة صقروس من أهل تبس القديمة بمصر وأما متأخرو المؤرخين فانهم يجعلون صقروس فارسا بلاسجابيا وكذا يقولون ان أرغوس صار تأسيسها بواسطة داوس من أهل مصر أيضا كان هرب على ما قيل مع بناته الخمسين الى الجريس ايجوس قصد ظلم عشاقهن وهذا القول خرافى لا شك فيه ويقولون ان كادموس الفنيقى هو الذى أسس طيبة فى بوطية وانه أول من أدخل الحروف الهجائية واستعمل الكتابة فى الجريس ورجح متأخرو المؤرخين هذا القول وساروا عليه وجعلوه حقيق

الاصل ولهما كان يوجد شخص كدموس الفنيقى وهو الذى بنى مدينة كادميا التى صارت فيما بعد قلعة طيبة فانه لا يمكن الآن الجزم بهذا القول اذ انه من المحقق أن الفينيقيين أقاموا مستعمرات فى الجزائر الجريقية فى مدة قديمة جدا و يوجد سبب يعتقد منه أنهم أيضا أنشؤا مستعمرات ومواطن على البر الاصيل وكذا من المحقق أن الحروف الجريقية مشتقة من الحروف الفنيقية وكلاهما فى الاسم والرسم واحد فثبت من هذا بداهة أنه كان يوجد معاملة قديمة بين الجريس وفنيقية

وأما المدة الخرافية للجريس فانها مقصورة على حكايات حرب السبعة على طيبة وايحونى وحصار تروى وكان حرب تروى أعظم مشروع فى عصر الفروسية وقد ذكره عمير الشاعر الوطنى الجريقى المشهور فى أشعاره وسجعاته فعلى حسب الحكاية الخرافية أن باريس بن بريام ملك تروى فى آسيا الصغرى لما نزل ضيفا عند منلوس ملك اسبرطة أكرم وفادته وأجل قراه فخان نزله وهرب مع زوجته الجميلة هلينه فعظم على ملوك الجريق ما حصل من هذه الوقاحة وقلة الادب وقدموا أنفسهم لمساعدة منلوس وجمعوا قواهم وعبروا بحر الارخبيل فى مراكب يبلغ عددها ١٢٠٠ سفينة وحاصروا تروى وكان قائد هذه الحملة أغاممنون سلف منيلوس وكان جميع شجعان الهلاس موجودين فى هذه الغزوة ولبث الحصار عشر سنوات متتالية كانت نتيجته التغلب على تروى وخرابها وذكر عمير فى روايته أن الآلهة اشتركوا فى هذا الحرب وحفظوا الجهات التى كان أخلاؤهم موجودين فيها وأما متأخروا المؤرخين فانهم يشكون حتى فى انه كان يوجد مدينة مثل مدينة تروى وما قيل من انه حصل فيها حرب يعدونه من باب الخرافات الا أنه فى السنين الاخيرة ظهر من بعض استكشافات عملت فى اثبات الحكم القطعى فى هذه المسئلة التى كانت جارية تحت المداولة والمجادلة وذلك أن العالم شليمان عمل استكشافات عظيمة فى المحل المقول فيه ان أصله موضع مدينة تروى القديمة ولم يزل جاريا فى أنواع الحفر حتى كشف أساسات مدينة كان وجودها قبل التاريخ المسيحى بمدة تنوف عن ١٤٠٠ أو ١٥٠٠ سنة وكانت هذه الاطلال تحت سطح الارض بعمق يختلف من ٢٣ الى ٣٣ قدما وعليها دلالات احتراق شديد واستخرج العالم المذكور أشياء كثيرة من الاوانى الجارى استعمالها فى المنازل والمساكن وأسلحة وربات كثيرة وغيرها واتضح وجود مدينة حقيقية قديمة على الوصف الذى وصفه بها عمير وثبت وجود المدينة القديمة التى ذكر أن أطلالها احرقت بالنار الا أنه لم يثبت لحد الآن أكانت هذه المدينة هى مدينة تروى القديمة أم غيرها من مدن آسيا الصغرى

ووصف عمير فى أشعاره وسجعاته حالة الالف والسياسة الجريسية فى مدة عصر الشجاعة وصناديقها وكانت المملكة مقسومة الى عدة ممالك مستقلة كل منها محكوم علاش من أهلها وكانت حكومة الملك فى الغالب مثل حكومة الاب وليست حكومة ملوكية وكان الملك مسؤلا عن اجرآته وأحكامه عند يوف الاله فقط لانه منسوب انه من ذرية الآلهة ويتلقى منهم أوامر سلطنته وكان الملك فى الحرب هو قائد الامة لاحلافه وكان هو أيضا فى السلم قاضيهم وقسيسهم ومدبر العدل بينهم ويقدم صلواتهم وقربانهم الى الآلهة وان كانت حكومته على حدود مقررة الا أن له على أمته سيادة وعزة شخصية وكان ذلك شرطا قانونيا عليهم وكان يظهر شجاعة وبسالة شخصية فى الحرب ومهارة وحذاقة فى المجالس وفصاحة وبلاغة فى المحاورات والمجادلات وكل من كان مستحوذا على هذه الصفات العالية كان حقه فى الحكم والسلطنة مقررا ثابتا والامة تنقاد له حتى فى أغراضه وشدة حدته وتتعدى سلطنته فى

الضعف والهبوط اذا ظهر عليه ضعف فى الجسم أو نقص فى العقل

وكانت الرعية فى هذا العصر مقسومة الى ثلاث طوائف الامراء أو الوجوه والعوام الاحرار والارقاء العبيد فأما الامراء فكانوا مثل الملك يسمون أنفسهم أنهم من نسل الآلهة وكانوا ذوى شوكة وثروة حائزين اقطاعات عريضة وعبيدا كثيرة وكانوا قوادا الامة فى الحرب وذكر عمير فى قطع أوراقه التى تركها لنا ان هؤلاء الرؤساء كانوا هم الذين يجرون الحروب فى الحقيقة وكان العساكر المعتادة يقفون فى ميدان الحرب مثل متفرجين على هيئة الحرب فى مدة الاخطار المهولة الواقعة فى أى محاربة تحصل وأما الاحرار فكانوا حائزين أراضى لانفسهم يزرعونها بمعرفتهم وأما طائفة الفقراء الذين كانوا لا يملكون أرضا يزرعونها فكانوا يشتغلون فى أراضى الغير بالاجرة وكان المغنى والشاعر والرسول أو الساعى من طائفة الاحرار الا أن فطانتهم وذكاءهم كان يجعلهم درجات فوق أمثالهم ويوطد احترامهم عند الامراء ومن هذه الطائفة أيضا طوائف النجارين والحدادين وكان هؤلاء حائزين درجة الاحترام بسبب ما هم عليه من معلومية شغل الآلات الا أن احترامهم كان قليلا وان كان لهم ذكر وشهرة وأما الارقاء فكانوا مملوكة للامراء فقط وما كانوا كثيرى العدد مثل الازمان التى جاءت بعد وما كانوا يعاملون بالقساوة ولا الرداءة والظاهر فى الحقيقة انه كان يوجد ارتباط شفقة ورحمة كبيرة بين السيد والعبد فى أثناء هذا العصر

وصارت الارتباطات الاهلية أرقى درجات الكمال فى طريقة التألف الجريسى الاولى وكان حكم الآباء على غاية من الوقار والاحترام وما كان يحصل شئ اذا كان الاب يحصل منه زجر أو سفاهة وكان جميع أعضاء العائلة أو القبيلة الواحدة مرتبطة مع بعضها ارتباطا قويا ومتحدين اتحادا كليا فى أخذ الثار أو البطش بمن يحصل منه أدنى ضرر أو أذى لابناء عشيرتهم وكان النساء فى أرقى درجة من المراتب ولهن الحرية التامة زيادة عن غيرهن فى التاريخ الجريسى وكان للزوجة والام أعلى درجات العز والنفوذ مع ما كانت عليه عوائدهم من شراء الازواج زوجاتهم وكان الكرم وقرى الضيف من مزاياهم ومن الواجبات الجليلة عند كافة الطوائف فكانوا يؤهلون بالغريب واذا طلب شيأ من المنزل يقدمونه له باسمه وان كان له شغل صار قضاؤه وان كان حضوره من أجل التجاء أو حماية يحافظ عليه على غاية من الحفظ والصيانة وان تسبب من ذلك قلاقل وارتباكات وأما بوقف الالهة فكانوا يعاقبون كل انسان تكاسل عن عبادته أو لم يتوسل اليه بعطاويه معاقبة لا رحمة فيها

وكانت عادات هذا العصر القديم وعوائده سهلة بسيطة وكان الشغل محترما وما كان ينظر للملك نظرا أقل من العزة والشرف الواجب أداؤها اليهم وقد ذكر أن عوليس الملك كان يشجع رعاياه على الاشغال والاعمال بكونه بنى القاعة التى كانت معدة لنفسه بنفسه وأنشأ زورقه فى البحر وتفاخر بمهارته وعقله فى كار الزراعة والحصاد وكان غذاء الامة وطعامها بسيطا جدا مقصورا على اللحم الخشن والضان والمعز والجبن والخبز وتارة الفواكه وكان الخمر مستعملا عندهم الا أنهم كانوا لا يعرفون السكر المفرط وكان الامراء والوجوه يتفاخرون فى أطعمتهم الفكيهة وكان نساء الملوك والوجوه وبناتهم يشتغلن بالحياكة والخياطة والتطريز وكن يجلبن المياه من الآبار أيضا ويساعدن الارقاء فى غسل الملابس فى الانهر

ومن جهة أخرى كان هذا العصر فى الفروسية عصيا قاسيا فى الحرب وذلك أن الرئيس ذا القوة

ينهب جاره الضعيف في القوة ويعاملونه باقبح المعاملات وكان اللصوص وقطاع الطريق في حالة قبيحة وكان سفك الدماء عاما وما كانوا يرجحون العدو اذا وقع في أيديهم وتكون أسلحة المغلوب غنيمة للغالبين وكانوا يرمون برمم الاجسام عرضة للطيور والصيد وقد زعم بريان أحيلوس قرب أحد عشر آدميا على قبر بطروقلوس

ولقد قيل ان جريق هذا العصر كانوا يسكنون في مدائن حصينة محيطة باسوار وبها محلات بالسرايات والهياكل وكانت مساكن الامراء مقصورة مكلفة مزينة بالذهب والفضة والبرنز وكانت ملابس الامراء في هذه الاحوال السلمية مكلفة وطريفة ويلبسون في أثناء الحرب الدروع المفتخرة وكان الميقيون يجلبون لهم كل ما لا يمكنهم الحصول عليه من أنفسهم ونسب المؤرخون الاطلال الضخمة لمدينة ميسينه ومدينة طيرنس لهذا العصر ويستدل من أطلال وآثار هاتين المدينتين قطعيا على متانة وقوة مدائن عصر الشجاعة ونخرها وكان فن النقش والرسم عندهم في درجة عظيمة وكان فن الشعر معروفا بينهم الا أنه لحد الآن مشكوك في الكتابة هل كانت معلومة أولا

وقد انتهى عصر الشجاعة بحركة عمومية حصلت من قيام القبائل والعشائر نحو الجهة الجنوبية وهؤلاء العشائر هم المحصورون بهم أجداد تاريخ الاوقات والازمان الجريسية ومن الممكن أن حصول هذه الحركة كان من ضغط حصل على الامة الايليريانية التي كانت قاطنة في الشمال الغربي للجريس فدخلت هذه الامة في ابروس (نحو سنة ١٢٠٠ بعد الميلاد أو قريبا من هذا التاريخ بما أنه على وجه الظن) ويولد من ذلك حركة عمومية في السكان الشمالية للجريس الوسطى وترك التساليون تسمر وطينه من أعمال ابروس وعبروا جبال بندوس وطردوا السوطيانيين من مساكنهم من وادي بنوس المخصب واحتلوه ولقبوا هذا الاقليم باسم تساليا وأما من جهة السوطيانيين فانهم أيضا عبروا جبال آثريس وعوطه وتغلبوا على صيفسوس وطردوا الكادميون والميناهيون منه وعرف هذا الاقليم باسم اقليم بيوطيه وأما الكادميون والميناهيون فانهم تشتتوا في أطيقه ولاسيدمون والممالك المجاورة لهما وفي نحو هذا الوقت سار الدوريانيون من مواطنهم القديمة التي كانت موجودة في الجهة الشمالية وتغلبوا على دريوبس وهو وادضيق كائن بين عوطه وبرناسوس يعرف باسم دوريس وهرب الدريوبيانيون من طريق البحر وسكنوا في عوبياوسيدوس وبلوبونيزه أي موره

ولم تمض مدة طويلة حتى ظهرت حركة أخرى كانت أكبر من الحركة الاولى وذلك أن الدوريانيين رأوا أن الوادي الضيق الذي قطنوا فيه صغير جدا عليهم فعقدوا محالفة مع العوطوليانيين وعبر هؤلاء العشائر خليج قورنثه من أضيق محل فيه بين رهوم ورهيوم الصغيرة وأخذوا لهم مواطن في بلوبونيزه أي موره ومن هذه المواطن تغلبوا بوجه التعاقب على عليس ومسينه ولاقونيا وأرغوليس وأما سكان أخايا القديمة فان قسما منهم خضع وقسم سار الى الجهة الشمالية وتغلب على الساحل الشمالي لموره والتجأ السكان الذين كانوا موجودين فيه من قبل في أطيقة مؤقتا ودخلت عليس تحت يد العوطوليانيين وأقام الدوريانيون ممالك لانفسهم في الاراضي الاخر وعرف تغلب الدوريانيين على موره باسم العود الهراقليدي لان الدوريانيين زعموا أنهم استعودوا مرة ثانية على أملاك جدهم الاكبر هراقوليس وكان صار طرده من الجيش جزيرة الجنوبية قبل ذلك بقرن

وتولد من هذه المهاجرات والتغلبات حركات في الجريس وذلك أنهم لما رأوا أن ما استحوذوا عليه من

الارض

الارض القارة غير كاف لهم فى المسكن والمعاش سار بعض العشائر منهم الى جزائر البحر الابيض المتوسط والى سواحل آسيا الصغرى وكذا تولد من تغلب البيوطيا بين على سهل صفسوس عمار جزيرة لسبوس ومبادى عمار المواطن القاصية الشمالية فى آسيا الصغرى بين هرموس وبوغاز الهلسبونت أى الدردانيل وعبر اليونانيون الذين طردوا من الساحل الشمالى لموره من بعد أن أقاموا فى أطيقه مدة قليلة الى جزائر السكلاده ومنها الى خيوس وساموس وسواحل آسيا المقابلة لها مباشرة بين الهرموس ومبندر ومن بعد أن طرد الدوريانيون الاخائيين من موره هاجر الاخائيون بعضهم سار الى ايطاليا تحت قيادة رؤساء من الدوريانيين وبعضهم سار الى جزائر كوس ورودس والى الساحل الجنوبى الغربى من آسيا الصغرى وكان للعوليانيين اثنتا عشرة مدينة مبنية فوق أرض جزائرهم وعلى سواحل آسيا وكانت ميطيله أو جزيرة لسبوس مرعية عندهم باسم عاصمتهم وكان لليونانيين أيضا اثنتا عشرة مدينة وتلك المدائن مستقلة عن بعضها الا أنها كانت فى ارتباط مستحكم فيما بينها بواسطة العبادة العامة وكان معبدهم الاصلى مخصوصا الى بوسيدون ومبنى على قطعة من الارض داخلة فى البحر اسمها ميكالى وكان للدوريانيين ست مدائن وكان لتلك المدائن أيضا معبد مشترك وهو معبد اكسابولس الدريانى

ولما كان الجريق أهل ديانة كانت معرفة حقائقهم فى الديانة التى كانوا عليها واجبة وضرورية لاجل جودة فهم تاريخهم ومما نشرحه هنا تعرف هيئات وصور مذاهبهم فعلى مقتضى الخرافات الجريقية ان العالم كان فى الاصل همجيا وكان على غاية من الاضطراب والارتباك فانفصل منه السماء أو اورانوس والارض أو جيا وصارا آلهة معبودة مستقلة وخرج من هذين الجنس الاول من الالهة المعروف باسم الاورانيديون يعنى أولاد السماء والارض ونسب لهذا القسم الطيطانيون الاشد قوة وبأسا وكان حاكم الجنس الثانى كرونوس فأنشب طوس حربا عليه وانتصر طوس على كرونوس وشيد دولته بعد حروب كبيرة مع الطيطانيين والجبابرة الذين كان حاصلا منهم الارتباك والقلاقل فى العالم وصار طوس من ابتداء هذه النصرة الاله الاعظم ورأس جميع المذهب الديانى وملك الآلهة والعالم الانسانى وأبوهم وكرسيه موجود فوق رأس جبال أوليمبوس فى تساليا وأوليمبوس أيضا مسكن الآلهة الاخر ورؤس الجبل مغشاة على الدوام بالسحب وجعل الجريق فوق هذه السحب مسكن آلهتهم فى اقليم مستمر فيه ضوء الشمس خاليا جدا خاليا من عواصف وزعازع الدنيا السفلى وباب السحب واقف عليه حفر من الآلهة النساء أو المعبودات يؤدون ما يلزم من المواصلات بين الآلهة والارض وكل اله قاطن فى مسكن مخصوص له الا أنه ملزم بالتوجه لسراية طوس وقت طلبه اليها وتعمل لهم فيها ضيافات الولائم من طعام الآلهة وشراب الرحيق ويتداولون فيما يختص بأعمال السماء والارض ويسمعون الات الطرب والموسيقى وترنمات موسى وان طوس قاسم ممالكه مع بوصيدون وأعطى له قيادة البحر وحكومته وعهد الى بلوطو حكم الدنيا السفلى ومسكن أرواح الموتى

وكان المجلس الاولمبى الذى رئيسه الاكبر طوس مركبا من أحد عشر الها من الالهة الكبرى هم بوصيدون اله البحر وأبولو اله الشمس ومحب الشعر والموسيقى والملاعب وأرس اله الحرب وهفوسطس اله النار والفنون النافعة وهرمس رسول الالهة ومحب التجارة والثروة وهيرا المعبودة الكبرى وأثينا أناقطوس الهة التمدن والعلوم والفنون وارطميس الهة القمر والصيد واوروديط الهة الجمال والعشق ودمطير الهة الحصاد والمحصولات الوافرة وهستيا الهة الحياة

ويوجد خلاف هذه الآلهة آلهة كثيرة أخرى بعضها معادل تقريبا فى القوة الى بلوطو إله الدنيا
السفلى وهيليوس وهيقاط وديونوصوص ولاطو وديونى وبرصفون وصلنى وطميس وعوس والوس
ونيموصيس وغراصيس وموصيص وسورى أو الجنت ويوميسد أوموريس وأوشيادس والنيريدس
والنمف والهورس وآلهة أخرى صورتها مخفية مثل اطى وليطيا وادريس وشاطوس وهينوس
وكراطوس وبيا وآلهة أخرى مهولة الشكل والهيئة متفرعة من الآلهة السابق ذكرها مثل هاربس
وبرجون وجرايا وبجاسوص وقربسور وأحيند وشميره وصربيروس وغريون ولرنيان حيدرا
وبين الاسد والسنطور والصيرين وأبو الهول والصيلا والقرنديس وكل هذه الآلهة فى الارض
والبحر والعالم والدنيا الجهنمية ولهم صفات وخصال وطبائع وقوى مختلفة مشروحة فى المطولات من
الكتب الافرنكية يضيق علينا أن نذكرها

فأما بوصيدون فجلسه امفطريط وطيطيس وبريدس وطريطوس وأما اومينيد فانه تابع المجرمين
بالعذاب الشديد وأما برصفونى فانه حاكم الهادس مع بلوطو وأما صربروس فهو خفير الطريق
الموصل الى أقاليم جهنم وأما مينوس وايا كوس ورهادامنطوس فهم قضاة أرواح الموتى وأما بان
وفونس فهما حاكما الغيطان والبرور وأما عفس فهو حاكم الجبال والمنابع والغدران وأما
الدريادس والهمادريادس فهما حاكما الغابات والاورمانات وأما الموسس وغراسس فهما ملهما
الشعر والجمال والفصاحة وأما أيوس الفجر فهو ساكن على شواطئ البحر المحيط فى سراية أبوابها
من ذهب يخرج الفجر كل يوم منها وقت الصباح ويخبر بقرب حضور أخيه الاكبر أبولو وهو الشمس
وأما عولوس فهو حابس الرياح فى مغارات وكهوف يرسلها وقت حاجتها وأما اريس فانه رسول الآلهة
وقوس قزح جسر تعبر عليه الملائكة وقت أن ترسل الى أسفارها وأما ديونطيس فهو سبب الخمر
والنبيذ وكانت تعمل شعائره مع الجنون وله العقل وأما نمصيس اله العدل فانه يعاقب المجرمين على
جرائمهم

والعقيدة الكبرى الموجودة فى الديانة الجريقية هى الانقياد والطاعة لحاكم الدنيا الموجود فيها على
الدوام بفعل وعلمه النافذ بعبارة قطاع على الافعال البشرية وهذه الطاعة متسلطة على الافكار والكلام
والاعمال وكان تقريب القربان فى عصر الشجاعة بصفة شكر وثناء للآلهة أولا جل اكتساب الجود
والكرم الذى يتفضل به الآلهة عليهم ويعتقدون أنه لا يمكن لأى شخص مجرم أن ينجو من عذاب
يوميد واعتقدوا فى المدة الاخيرة أن خاصية القربان تكفير السيئات واحتجاب غضب الآلهة ومحو أثر
الخطيئة يكون بواسطة تقريب القربان

وكان من جملة الشعائر المقدسة الكبيرة عند الجريق الاسرار الالوسيانية أو الالوسينانية وهى
الاحتفالات التى كانت تعمل فى علبس تعظيما الى دمطير وبرصفونى وكان الذين يجرون هذه
الاحتفالات هم الملازمون لها من الاصل وكان من الكبائر العظيمة عندهم الكلام معهم من غير أن
يكون له معرفة بهم من الاصل وكان الذين يخدمون هؤلاء يراعون أنهم محفوظون تحت حماية مخصوصة
من طرف الآلهة

وكانت تعرف مطالب الآلهة ومرغوبها بواسطة الكهانة والعرافة وكان أقدم الكهان كاهن
طوس أو بوف فى مدينة دودونه من أعمال ابروس وكانوا يعتقدون أن الاله يتكلم فى صرير أوراق

شجرة البلوط المقدس وتفسر أقواله أو تترجمه القسس أو القسيسات وكان ابولو رئيس متكلمى الالهة وله أربعة وعشرون كاهنا فى الجريس وفى المستعمرات الجريقية فى اسيا الصغرى وأجل هؤلاء الكهان شهرة كان قاطنا فى مدينة دلفى من أعمال مملكة فوسيس وكان لابولو هيكل أو معبد مخصوص فيه تمثاله مصنوعا من الذهب ونار موقدة على الاستمرار من حطب الوقود وكان يوجد خرق فى وسط أرضية المعبد خارجة منه أبخرة مخصوصة يعتقدون أنها نفس الاله ولاجل معرفة مقصد الاله وطلبه كانت القسيسة تقعد على هذا الخرق وتملأ نفسها بالابخرة وتستنشقها ومن ثم يعتقدون انه أوحى اليها ومتى قل صعود البخار تنطق بما أجاب به ابولو بسجعات مقفاة فتأخذ القسس الملازمون لها كلامها ويخلطوه أو يعموه بحيث لا تفهم معانيه ويلقوه على الناس وما كان يحصل مشاورة كاهن دلفى من الجريق فقط بل ومن الليديانيين والفريجانيين حتى الرومانيين

ومن ابتداء غلاق عصر الشجاعة الى حدمدة الاولمبيا الاول كانت الحوادث التاريخية للجريس مجهولة لم يعلم منها الا بعض حوادث عمومية تختص بسير الحوادث فى هذه المدة الطويلة وأول حادثة نوجه التفاتنا اليها هى نتيجة التأثير الذى حصل على المملكة من المهاجرات التى ذكرناها فيما سبق ثم بعدها مباشرة وقوف التمدنات المدنية فى الجريس وكان الاجناس الذين استحوذوا على الاراضى ذوى قوة وخشونة وعموا بزائد عن الامم الضعيفة المهذبة الذين كانوا طردوهم من أرضهم ومن بعد مدة من الزمن جددتهم الخصال الطبيعية الى الاستعداد على التهذيب والزراعة وأما السكان الجديدة الذين قطنوا الممالك الجريقية من بعدهم فانهم لم يكتفوا بتدمير نظامات الاعمال القديمة فقط بل زدوا بدلا منها أساسات أمة صعبة المراس والجراءة لها تحمل على مكابدة الاخطار والمشاق حتى خسفت فخر عصر الشجاعة وتولد من الحروب والحركات خصال وخواص شخصية عند كل انسان بالنسبة لتقدم عظمة نفسه وعلوه بامته وسلطته ومن بين الكد والاهوال والاخطار التى اشتركت فيها عموم السكان قام الفكر السياسى أيضا وأحدثه محلا فى البلاد وانتقلت أحوال الناس واستبطوا الاعمال السياسية وخصوا فى كثير من الاشياء وازداد فرع الافكار السياسية مع سرعة عظيمة وكانت السلطة الوراثية متتالية العمل والاجرا فى عصر الشجاعة فى كل جهة من الجهات الجريقية ما عدا ارجوس فانها كانت على طريقة غير منتظمة فى الحكم وكان البعض من حكامها على طرائق غير موافقة للتجربة والتهذيبات الشخصية واجتهد الناس فى توطيد نظامات جديدة غيروا بها الاحوال القديمة التى كانت متسلطة عندهم حتى اكتسبت المدائن عزها وشرفها المخصوصين بها مع جلالة أهميتها واستوطن الفاتحون مدائن حصينة فوبدوا وانطووا على ائتلافات ودية مع بعضهم خشية من حصول ثورات تقع عليهم ومن ثم صار كل محل حصين مملكة مستقلة يحكم على بعض جهات من البلاد الموجودة حوله مباشرة

ويلزم أن نتذكر فى وقت ممارسة التاريخ الجريسى بان المادة الاساسية فى الطريقة السياسية الجريقية هى سيادة كل مدينة وكمال استقلالها وكان من الفرائض الواجبة على كل جريقى بذل طاعته لمدينة مسقط رأسه ومن هذا تأكدت محبة الوطن وظهرت الدرجة الحقيقية للاحساسات البشرية التى أظهرت تاريخ تلك الامم وكان من تمام هذا الاستقلال الاقرار والاعتراف بان كل واحد من أى مدينة ما يعد نفسه أجنبيا فى المدائن الاخر وكل مدينة من المدن كانت تدفع عن نفسها حركة المدائن

الاخرعنها مع الثبات والقوة وكان الغرض الاصلي من ذلك هو توجيه احساس كل مدني الى ملته وقومه ومن ثم تولد عند الجريق الصعوبة الزائدة في اتحادهم مع بعضهم في أوقات حلول الاخطار العمومية عليهم وتوجيه جيوش الاعداء اليهم وصاروا في حالة مستعدة مستمرة الدوام في توجيه جيوشهم على بعضهم ومن تجربتهم بهذه الحالة تغلب عليهم ملوك المقدونيين بغاية السهولة وكان حكم مدينة على أخرى مبغوضا بالكلية عند الجريق في مدة تاريخهم المعروف وأما من جهة حكم طيبة على المدائن البيوطيانية وحكم أثينة على رعاياها المخالفين لها فانه كان خضوعا مع الكراهة والبغضاء وعند انتهازهم أول فرصة تحصل عندهم ينكثون طاعتهم وخضوعهم وأما من قال من مطالعي التاريخ بان أراضي الجريس كانت مقسومة الى عدة من الايالات الصغيرة والممالك المستقلة مثل اطيقة واركاديا و بيوطية وفوسيس ولوكريس وما يماثل ذلك فقولهم هذا من دون تأمل وهو خطأ فاحش تولد منه عدم فهم التاريخ الجريقي بالكلية والذي عليه الحقيقة أن كل مدينة كانت مملكة مستقلة في نفسها وبهذا كان كل من الاراضي الواقع عليها اسم اركاديا و بيوطيه وفوسيس ولوكريس مشتملة على ممالك سياسية عديدة مستقلة عن بعضها الا أن اطيقة كانت في الحقيقة مشكلة مملكة واحدة ومدائنها الاصلية معترفة بأن أثينة عاصمتها ومع شوكتها وذلك استثناء في القاعدة العمومية ومع هذا كانت توجد روابط مرتبط بها الجريق مع بعضهم وهي رابطة الدم واللسان ورابطة الدين والمواسم وروابط العوائد والطبائع ويراعون أنفسهم بانهم من نسل وذرية هلين ويسمون الامم الاخرى من العالم باسم متبربرين وهم فكانوا يطلقون هذا اللفظ على المصريين المتمدنين وعلى الصيطيا بين الخشنين

وتولد من اتحادهم في الديانة واجتماعاتهم في المواسم والاعياد تشكيل جمعيات ممن جاورهم من العشائر والمدائن الذين تعودوا على الاجتماع في أوقات معلومة لاجل تقرب القربان لاله مخصوص عندهم في معبد معلوم مشترك بينهم في العبادة وتحت محافظة الجميع وكان الاكثر شهرة من هذه الجمعيات هو الجمعية الامفيقطيونيقية وكانت هذه الجمعية التي لا عبرة بها ولا معنى في ذاتها جليلة عندهم بسبب اهتمامها لحفظ معبد دلفى وهو أكبر المزارات الملية الجريسية وكانت مدة مباديها غير معلومة الا انه يظهر أنها كانت احدى الاساسات التي كانت تحيي عصر الشجاعة وكانت هذه الجمعية تلتئم في السنة مرتين في فصل الربيع في معبد أبولون في دلفى وفي فصل الخريف في هيكل دمطير في ترموبيلي وكانت أعضاء هذه الجمعية مركبة من مبعوثين مقدسين من طرف احدى عشرة قبيلة تشتمل على عدة ممالك مستقلة أو مدائن وكان نواب كل قبيلة أو عشيرة أو مدينة حصر في رئيس اسمه هرممون وتوابع معه يسمونه بيلاغوري وكانت الواجبات الاصلية المفروضة التي كانت تجريها هذه الجمعية هي منع التعدي والجور ضد أعضائها وتوطيد حقوق الآلهة وشرف المعابد والهياكل وما كانت هذه الجمعية ملية يؤدون ما يجب عليهم في حفظ وصيانة ما يعود منه المنفعة العامة على البلاد والعباد في الاراضي الجريسية وأن تستعمل سلطتها في المقاصد السياسية فقط عندما يحكم ضد واحد أي مملكة من الممالك توجه مطامعها على غيرها من الممالك الاخرى

(الباب الثاني)

﴿ من التاريخ القديم الى الاولمبياد الاول ﴾

تقدم أرغوس ـ المستعمرات الدوريانية ـ قيام اسبرطة ـ الحرب مع مدينة اسيقلي ـ تاريخ

أثينة القديم ـ موت كودروس ـ ابطال السلطنة ـ انشاء قانون ارخونس ـ الارخونس السنوى ـ مبادى حقيقة تاريخ المدة فى التاريخ الاثينى ـ سرعة تقدم اسبرطة ـ قسمة الاهالى الى طوائف ـ الهلوطيون (العبيد) ـ شرائع ليكورغس ـ تهذيب وأهل اسبرطة ـ الرغبة فى نفى ليكورغس ـ عمير الشاعر ـ تأثيره على التاريخ الجريسى ـ نجاح ارغوس وفلاحها ـ الحرب الاول المسينى ـ احياء الالعاب الاولمبيقية ـ صفاتها ـ الاولمبياد الاول

أول مملكة بلغت الدرجة العظمى فى السياسة والحكومة الادارية بعد عصر الشجاعة مملكة أرغوس وثبت من الروايات والاحاديث انه خرج من ارغوس عشائر الدوريانيين لاجل التوطن والاقامة فى ابيدروس وطروزين وفليوس وصكيون وقورنثه وعلى ماقيل ان الدوريانيين من ابيدروس توطنوا فى ايجينة وايميرة وابيدروس واندروس ومعاره من أعمال قورنثه وكانت هذه المستعمرات تحت حماية مملكة ارغوس ومن بعد مضى عدة قرون صارت هى المملكة الرئيسة فى بولوبونيزه أى موره

وأما التاريخ القديم لمدينة اسبرطة فكان ابتداؤه حصول الكد والسعى من فاتحى الدوريانيين لمد سلطتهم ودولتهم فانهم وطنوا أنفسهم فى مبادى أمرهم الى حد القسم العلوى من الوادى المحصور بين سلاسل طايغوتس وپارنون وهو ناحية طولها نحو خمسة وعشرين ميلا وعرضها نحو عشرين ميلا وتغلب الاخائيون على الوادى السفلى وشيدوا عاصمتهم اميقلى على نهر عوروطاس وعلى مسافة ميلين من جنوب مدينة اسبرطة فاستمر الحرب بين اسبرطة واميقلى مدة ثلاثة قرون الا أنه لم يحصل من اسبرطة أدنى تقدم نحو الجهة الجنوبية وصدت الاستحكامات القوية لمدينة اميقلى شوكة الاسبرطيين وأضعفت مساعيهم بخصوص توسيع أراضيهم ثم التفتت اسبرطة بعد هذا لاخضاع اركاديا الا أن مساعيها كانت على غير طائل ثم تحولت على مسافة بعيدة وشنت غاراتها الحربية على مسينه وأرغوس الا أن حوادثها وحروبها كانت قليلة الاهمية بالكلية

وأما التاريخ القديم لاثينة فانه يبتدئ بالمدة الملوكية وذلك انه من نحو سنة ١٣٠٠ الى سنة ١٠٥٠ قبل الميلاد كانت أطيقة محكومة بملوك مطلقة التصرف والاستبداد وكان آخر هذه الملوك كودروس وعلى ماروى أنه قاسى الشدائد والاهوال فى مقاومة غارة الدوريانيين وكانوا أغاروا على أطيقة من الدوريانيين الذين تغلبوا جديدا على موره وفى أثناء هذه المدة انقسمت الامة الى أربعة عشائر طليونطيس وهبوليطس وايجيكوريس وارغاديس وكل من هؤلاء انقسم الى قسمين الاول احوان وأقارب والثانى طرديلين وبوقرارين وأما القسم الاول فهو مقصور على القرابة وأما الآخر فمقصور على الترتيبات الصناعية للمملكة فيما يختص بالضرائب والعوائد والخدمات العسكرية وطوائف هؤلاء التبعة على ثلاثة أصناف الوجوه والمزارعين وأرباب الصنائع وأما الصنف الاول فكان محصورا فيه كل مايختص بالشوكة السياسية وكانوا متمتعين بالحق الوحيد للتوظف فى المصالح العامة وكان مجلس الاعيان أو السناتو ماخوذا من هذا الصنف ومقره على جبل مارث ومن المستحيل أن يكون للمزارعين وأرباب الصنائع دخل فى حصول الشقاق والخلاف فيما يختص بقسمة الاراضى أو الاملاك

وكان تاريخ الجريس فى مدة القرن الحادى عشر قبل التاريخ المسيحى غير مؤكد ولم تزل مدة

الحوادث التاريخية الحقيقية بعيدة المسافة بعدة قرون وانقضى هذا القرن فى توطين الدوريانيين أنفسهم فى الجهات التى تغلبوا عليها فى بلوبونيزه واستمرت اسبرطة فى حربها مع مدينة اميقلى بخصوص الاستحواذ على وادى غوروطاس وبواسطة الاغانيسين استحوذت على القسم العلوى من الوادى المذكور وكانت ارغوس هى الدولة السائدة فى بلوبونيزه (موره) وانتشرت مستعمراتها فى الجهة الشمالية من الجيت جزيرة وكانت حكومة ارغوس ملوكية على سياق عصر الشجاعة وكان التاج فيها وراثيا فى بيت طمنيدى وهذا البيت منسوب الى طمينوس الابن الاكبر لارسطوماخوس أحد الهرقليديين والصحيح أن هذا القرن فى التاريخ شاهد تغيير هيئة الحكومة من الملوكية الى حكم الارخونيين مدة حياة كل منهم وعرو ما من الحوادث الخرافية المختصة بشأن هذا التغيير أن الدوريانيين أغاروا على أطيقة من بعد مدة قليلة من توطنهم فى بلوبونيزه وقال لهم الكاهن بانهم يمكنهم التغلب على هذه المملكة ان كانوا يحافظون على سلامة ملك أثينة ولما أخبر كودروس بهذا الخبر وكان هو فى هذا الوقت ملك أثينة صمم على كونه يجعل نفسه قربانا لنجاة بلاده من مثل هذه الغارة فدخل مستخفيا فى معسكر الدوريانيين وتنازع مع أحد العساكر الدوريانية حتى تولد منها قتله وبمجرد ما عرف الدوريانيون موت الملك تقهقروا من أطيقة الى بلادهم وكفى أهل أثينة شر الدوريانيين ومن ثم أبطل الاثينيون وظيفة ملك احتراما لذكر هذا الملك الذى مات من أجل بلادهم شهيدا واستبدلوها بوظيفة أرخن يحكم مدة حياته وكان حصول هذه الحادثة فى سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد وكان أول أرخن يجلس فى الحكم مدة حياته هو ميدون بن كودروس الملك وأعقبه اثنا عشر من ذرية كودروس وانحصر الشرف والسمو فى هذه العائلة ولما مات علقميون الارخن الثالث عشر وهو آخر الذين تملكوا الحكم مدة حياتهم حدد وحوه الاثينيين لفظة ارخن فى الوظيفة لمدة عشر سنوات وكان هذا فى نحو سنة ٧٥٢ قبل الميلاد ومازال السمو محصورا فى ذرية كودروس وميدون الا أنه فى سنة ٧١٤ قبل الميلاد صار فتح هذه الوظيفة لكافة الوجوه الموجودة فى المملكة وفى سنة ٦٨٣ قبل الميلاد صار ترتيب الارخن الذى يحكم المدة سنة واحدة فقط وانقسمت واجبات الوظيفة الملوكية على تسعة أشخاص كل منهم لقب بلقب أرخن وكل أرخن كان يجعل اسم نفسه للسنة ومن هنا كان تغيير الحكومة على حسب الوقائع والحوادث الخرافية الجريقية من الملوكية الى الجمهورية وأما الشوكة السياسية أى الادارية للمملكة فكانت محصورة على الخصوص فى الوجوه وكان يصير انتخاب التسعة ارخن السنوية منهم ويكونون تحت المسؤلية لديهم فقط وأما الامة فما كان لها نصيب فى الاحكام والاجراآت الخاصة باموال المملكة

ويبتدئ التاريخ الحقيقى للاثينيين بتنصيب التسعة أرخن السنوية فى سنة ٦٨٣ قبل الميلاد وهذا هو أول مدة تاريخها الحقيقى وفى أثناء هذه المدة أخذت اسبرطة فى التقدم بسرعة فى الشوكة والجلالة وصارت الحكومة الاسبرطية ملوكية وكان يحكم المملكة ملكان على السوية وكانت السلطة على مثال عصر الشجاعة وكانت أعمال الملكين مانعة بعضهما ومن ثم أخذت الشوكة الملوكية فى الضعف والاضمحلال حتى صارت فى وسط القرن التاسع لا معنى لها فى ذاتها ولا فى صفاتها وكانت الامة منقسمة الى ثلاث طوائف فأما الطائفة الاولى فهم الاسبرطيون وعددهم نحو ٩٠٠٠ نفس وهم سكان العاصمة وكانوا من ذرية الدوريانيين الذين تغلبوا على البلاد والاراضى وأمرائها

والشوكة الادارية محصورة فيهم على الخصوص وكانوا مالكين معظم الاراضي الزراعية فالشين في اسبرطة على الاجارات التي يأخذونها من مزارعيهم وأما الطائفة الثانية فهم الاهالى الحرة القاطنون في مدائن المملكة وقراها وكان هؤلاء تبعة في المعنى الحقيقي وما كان لهم سلطة سياسية وكانوا مختلطين بالدم الدوريانى والاخائى منتشرين في جميع أنحاء المملكة وجهاتها مالكين للاراضي العاطلة ومشتغلون بالبيع والشراء والتجارة والصنائع ويحاربون الجيوش الاسبرطية كعسا كر ثقيلة الا أنهم ليسوا تحت القوانين التي كان الاسبرطيون يتعلمونها من أجل الحروب خاصة وأما الطائفة الثالثة فهي طائفة الهلوطيين وهم الارقاء والعبيد من سكان المملكة وكانوا في الاصل من الدم الاخائى الا انه من بعد الحروب المسينية ازداد عددهم من الاسارى الذين أخذوا في الوقائع وامتزج الجنس بعضه ببعض وكانوا مستخدمين في زراعة أراضي أسيادهم الاسبرطيين ويدفعون لهم أجرة مقدرة مقدارها نصف محصول الارض وكانت هذه الطائفة مهانة في الاصل والجنس فكانوا قليلين جدا وكان لهم احساس تام من الشفقة حتى صاروا في درجة متوسطة بين الارقاء والاسبرطيين ثم صار الهلوط المسينيون هم الطائفة الاكثر عددا في المملكة ومن هذا الوقت نظر اليهم أسيادهم بعين الخوف والارتياب ولبسوا لهم ملابس مخصوصة وشرعوا في انحطاطهم وضعفهم وصارت اسبرطة مع الهيجان والثوران الحاصل من العبيد أي الهلوط فشرعت اسبرطة لاجل قمع هذه الطائفة العبيدة في انتخاب عدد من شبانها على التدريج وسلحتهم من أجل هذا القمع بالخناجر والسكاكين وأرسلتهم في مأموريات الدورية والطواف في أنحاء البلاد ومعهم أوامر سرية من الحكومة بقتل الهلوط أينما تمكنوا منهم بالنظر لكثرة ما هو حاصل منهم من الاذى والخطر ومن جهة أخرى فان الهلوط لما أظهروا شجاعتهم في حروب التزموا فيها على أن يكونوا عساكر خفيفة من طرف اسبرطة فتحتهم الحكومة حرية أنفسهم ومن ثم تولدت طائفة ممتازة عرفت باسم المعتوقين حديثا

ومما حصل في الحكومة الملوكية من الضعف والاضمحلال ارتاع الاسبرطيون حتى انهم صمموا على ضرورة تغيير في طريقتهم الادارية السياسية وفي نحو سنة ٨٥٠ قبل الميلاد أعد ليكورغس قانون شرائع دره لحكومة المملكة وتهذيب التبعة وكان من أعضاء العائلة الملوكية الا انه ما كان من عمود الذين يجلسون على التخت وكان صرف عدة سنين في سياحاته وأسفاره في كريد ومصر والهند ونظر في قوانين وشرائع هذه البلاد واجتمع في مجالس أهلها واكتسب فوائد وعلوما من كل فن حتى درر قانونه هذا لاسبرطة وكانت قوانينه عامة على كل فرع من فروع الادارة والائتلاف الداعي لاهل اسبرطة وأجرى العمل على موجبها من بعد أن حصل فيها شدة المناقشات والمجادلات وعدم القبول حتى استحسنت أخيرا وسارت عليها أحكام اسبرطة ورعوها حق رعايتها

وكان المقصد الاصلي من قوانين ليكورغس بقاء سلطة المملكة في أيدي الاسبرطيين وهذه الطائفة البالغ عددها ٩ ٠ نفس فقط تحصل حكومتها وادارتها بقوة واجتهاد يحصل من سن قوانين تربطهم بعضهم ببعض رابطة واحدة متينة وقوية لا انفكاك لها ولا انصرام فيها وتجعلهم جسما واحدا وتهديهم الى درجات المعالي وتقودهم الى عوائد الشجاعة وتحمل المشاق والانقياد العسكري وأن يكونوا على الدوام مستعدين لحفظ درجات مقدارهم كلما اكتسبوها بالسيف والرمح فقابل الاسبرطيون في الابتداء هذه النظامات بوجوه مقطبة وصدود وتذمر لم يرمثله في عصر من العصور

وذكر ليكورغس في القانون الذي سنه والنظامات التي شرعها أنه يلزم أن تكون الشوكة في يد ملكين وحدد شوكة هذين الملكين وجعلها ما فوق مجلس أعيان وأن يكون انتخابهما بطريق الاصوات وأغلبية الآراء وإذا تساوت الآراء عملت قرعة بين المنتخبين في مجلس الاعيان ومن مجلس مركب من ثلاثين عضوا منهم الملكان ويطلق على هذا المجلس اسم مجلس الشيوخ أو الاعيان وكل من أعضائه لا يكون عمرهم أقل من ستين سنة وانتخابهم لمدة حياتهم ولهم حق الاشتراك في الادارة العمومية للملكة ويناقشون الاعمال والاجراآت التي يجب تقديمها لهم من مجلس الملة ويحضرونها ويبتون الحكم فيها وكذا يعملون أحكام الجرائم المؤثر فعلها على التبعة ويقررون فيها أحكامهم بطريق العرف اذا لم يوجد قانون مدون في شأنها ولمجلس الملة السلطة والنفوذ في انتخاب مجلس الاعيان حسب القوانين وله قطع الحكم في حالة السلم والحرب والظاهر أن هذه السلطات كانت مجرد اسم فقط لان هذا كان القصد منه المصادقة فقط على الاجراآت التي صار الحكم فيها بواسطة مجلس الاعيان وما وجد مناقشات أو مجادلات في الاجراآت العمومية التي حصلت في اسبرطة كما كان جاريا في أثينة ثم توظف بعض من الحكام كل سنة اسمهم عفورس أي مفتشين من طرف المجلس العمومي فكانت وظائفهم المراقبة والمحافظة على السير على حسب قوانين وشرائع ليكورغس ويعاقبون كل من خالفها بأشد العقاب ومن توالي الزمن ومروره انحصر النفوذ السياسي في أيدي هؤلاء المفتشين وصاروا هم الحكام في المملكة في الحقيقة وخضعت لطاعتهم جميع طوائف الاسبرطيين وانقادوا لاوامرهم وأحكامهم واستبدوا في شوكتهم وصاروا مطلقي التصرف في الرعايا من غير مانع يمنعهم ومن ثم آلت نهاية الحكومة الاسبرطية الى حكومة أعيان صار فيها الملك ومجلس الشيوخ والامة رعايا أو تبعة لخمسة عفورس أو مفتشين في الاصل ليس لهم حدود معلومة في أحكامهم وليسوا مسؤلين عن شيء لدى أحد

وفي حالة ما كانت هذه الحالة جارية في المملكة كان العمل جاريا في تهذيب على حسب قانون وشرائع ليكورغس وذلك أن كل مولود يولد في اسبرطة يفحص عنه في المجلس فان وجد ضعيفا أو مشوه الخلقة أمر بقتله على جبل طايغطوس ومتى بلغ عمر المولود سبع سنين أخذ من حضانة أمه وكفالتها وشرعوا في تربيته وتهذيبه تحت نظارة مربين ومعلمين أو حكام موظفين من طرف الحكومة فكانوا يعلمون الطفل جميع تمرينات الالعاب الرياضية السريعة الحركة مثل الجري لاجل توليد القوة والنشاط في جسمه ويعلمونه جميع الحركات والتعليمات اللازمة للعسكرية الاسبرطية في الميادين وكذا يعلمونه من الصيد ويعودونه على تحمل الآلام والمتاعب والاخطار من دون أن يتأوه أو يتضجر وكان يفحص عن عزمه وثباته بواسطة ضرب وجيع وفظيع بحضور عموم أهل المدينة في جهة محراب أرطميس (أي ديانا) ومات كثير من الشبان تحت هذا الضرب الوجيع من دون حصول تأوه ولا تضجر وكان الولد يلبس في الشتاء والصيف ملبوسا واحدا ويتحمل مكابدة الجوع والعطش والحر والبرد ويأكل على المائدة العمومية ولا يسمح له في الاكل الا على قدر ما يسد به رمق جوعه وينام مع أقرانه في محلات النوم العمومية ومتى بلغ عمرا معلوما سمح له بعدد ضروري فان سرق زيادة عن ذلك وضبط حال سرقته عذب عذابا شديدا وكان تعليم الكتابة ومن الموسيقى داخلا في تربية الطفل الا أنه كان يهذب في هذه على حسب ذهنه الطبيعي وكان يتعلم علم الالحان بالضرب على العود والمعاني الا أن معانيه وترنماته اما أن تكون مخصوصة بوقائع حربية أو بصفات الهمة وكانت الآداب والفلسفة

مهانة فى اسبرطة وكان الاسبرطيون يكبسون على أنفسهم حتى يتعودوا على الايجاز فى الكلام والاختصار فى الاقوال والالفاظ ومن ثم كانوا يكرهون كثرة الكلام

وبمجرد ما يبلغ الطفل مبالغ الرجال يتمتع قليلا بما نفعه من التهذيبات والتعليمات الشاقة المضروبة عليه من طرف الحكومة ويأكل فى الموائد العمومية وينام فى محال النوم العمومية ومتى بلغ عمره ثلاثين سنة سمح له بالزواج وكل من بلغ هذا العمر ولم يتزوج يعاقبونه اذا استمر على غير زواج ومع هذا فما كان لهم حالة خاصة بمعيشتهم وكان الرجل الواحد يصرف معظم حياته فى العسكرية والالعاب الرياضية والصيد والذين عمرهم ستون سنة يزال عنهم جميع ما كان مربوطا عليهم من الاعمال الاسبرطية ويسمح لهم من هذا الوقت فى التمتع بما يعود عليهم من الراحة فى بيوتهم

وكان البنات يتعلمن أيضا تعليمات المصارعة العنيفة وكن مرعيات فى حالة أنهن قسم من المملكة ومن واجباتهن أن ينتجن أو يلدن أولادا أهل شدة وشهامة ومتى بلغ بنات الاسبرطيين عشرين سنة صار زواجهن والزوجة وان كانت متمتعة بائتلاف قليل مع زوجها الا انه كان يعاملها بأحسن المعاملات ويمنحها أعظم الحرية زيادة عن الممنوح بها أى زوجة فى الممالك الاخرى الجريسية وكانت المرأة تتهذب بما يعود منه الشرف والسمو لبلادها مدة حياتها وكانت الشهامة العظمى لنساء الاسبرطيين هى تهييج الرجال فى الحصول على أعمال الفروسية والشجاعة والاقدام على الاهوال والاخطار وكان الجبان يلاقى أرذل الاهانة والاحتقار من النساء ويكافأ الشجاع منهن بالمدح والثناء الزائد وكن يقلن لاولادهن حال توجههم الى القتال تعال امامى حاملا حيثك أو محمولا عليها وكان موت الزوج أو الابن فى الوقائع الحربية من أسباب الشكر والثناء للآلهة

ولقد أكد بعض المؤرخين أن ليكورغس قسم أراضى المملكة ووزعها على أهلها الا أن أغلب المؤلفين المعول عليهم شككوا فى هذا القول وكذا قالوا ان ليكورغس أبطل جميع نقود الذهب والفضة من اسبرطة واستبدلها بحديد ثقيل فى المعاملة لاجل حرمان أهل اسبرطة من حبهم جمع هذه النقود وتكاثرها عندهم حتى لا يكون لجامعها نفوذ عظيم على الاسبرطيين وهذا يحتمل الشك فيه أيضا لان النقود الفضية لم تضرب فى الجريس الى زمن فيدون صاحب ارغوس فى القرن الذى جاء عقب هذا وان ابتداء ضرب النقود الذهبية كان فى اسيا وما كانت معروفة فى الجريس الا نادرا حتى فى الحرب الاخير الذى حصل فى بلوبونيزه ومنع ليكورغس حالة التلذذ والترفه فى المعيشة وسهل الاسلوب اللازم اجراؤه فى معيشة الانسان وكان لا يسمح للاغراب بالتوطن فى اسبرطة من دون رخصة من حكامها ولا يرخص لتبعة اسبرطة بالتحول فى الجهات الاجنبية من غير رخصة من الحكام أيضا

وأخيرا لما قبل أهل اسبرطة قوانين وشرائع ليكورغس عزم هذا المشرع على أن يجعل نفسه أضحية أو قربانا من أجل بلاده ورفاهيتها ولما استحصل من أهل اسبرطة والملكين بقسم أكيد وثيق على أن لا يبدلوا شيئا من قوانينه حتى يرجع اليهم وكذا لوطدا ستتباب الراحة والسكون الى الابد فى اسبرطة توجه ليكورغس ابتداء الى دلفى وأوحى اليه صنم دلفى بواسطة الكاهن أنه حافظ أهل اسبرطة فى جميع أفعالهم وأعمالهم ووعده بالفوز والنجاح لاهلها ما داموا متمسكين بشرائعه وقوانينه ثم سافر الى جهات غير معلومة ومن بعدها لم يظهر له خبر ولا جلية أثر واستمر الاسبرطيون متمسكين بقسمهم

صادقين في اجرا آتهم على قوانين وشرائع ليكورغس وظهرت نتائج هـذه القوانين مع السرعة وصار الاسبرطيون على حالة حسنة من التهذيب والتعليم والتدريب في فنون العسكرية في وقت ما كانت فيه الممالك الجريسية فليس لهم خبرة ولا دراية بمعرفة النظامات العسكرية ولا التهذيبات المدنية ولا في أى فرع من معارف القوانين والشرائع التي عليها مدار الاحكام وشوكة المملكة ومن ثم صار الاسبرطيون لا يغلبون في الحروب والوقائع وتغلبت اسبرطة مع العجلة على الممالك المجاورة لها وجعلت لنفسها السيادة العظمى على بلوبونيره وفي اخر القرن تغلبت على مدينة اميقلى وصار الاسبرطيون أسيادكافة وادى عوروطاس وخضع الاخائيون أوهربوا الى ايطاليا

واشتهر القرن التاسع قبل التاريخ المسيحي في التاريخ الجريسي بانه عصر عمير الشاعر وذكر في مدة ظهوره تواريخ مختلفة الا أنه من المحتمل أن تاريخ ظهوره كان في سنة ٨٥٠ قبل الميلاد ولا أقل من سبع مدائن كل منها زعم أنها مسقط رأسه ومحل مولده وأما متأخرو المؤرخين فانهم يعتبرون أنه من أهل أزميرمن أعمال آسيا الصغرى ومن ثم كان من جريق آسيا وكانت أشعاره وقصائده الشعرية من أجود الاشعار الوطنية الجريسية فكانوا يعنون ويترنمون بها في المواسم والاعياد والمحافل العمومية والائتلافات المدنية في كل مملكة من الممالك الجريسية ويفرقونها عند الدفايات أى كوانين النار المجموع حولها العائلة الواحدة لاجل الدفا والعشاء وبواسطتها توصل الجنس الهلينيقى الى أعلى درجات الاتحاد وصارت أشعار عمير احدى العقد القوية في الجامعة العمومية للاعضاء المختلفة لجنس الهلينيقى وأما ارعوس فانها استمرت المملكة الاصلية لبلوبونيره مدة القرن الثامن قبل التاريخ المسيحي وفي نحو ٧٨٠ قبل الميلاد جلس فيدون أعظم ملوكها على التخت وكانت الحكومة الملوكية ضعفت شوكتها بالكلية في السلطنات السابقة وآلت الحكومة في الحقيقة الى حكومة جمهورية لا ملوكية وكان الملك صورة وكان فيدون رجلا شهما مقداما في جميع أفعاله دا بسالة في أعماله واجرا آته وأعاد في مدة سلطنته شوكة السلطنة وسودها وصارت ارعوس أقوى مما كانت عليه قبل في بلوبونيره وفي مدة سلطنته استوطن الارجيفيون جزائر كريد ورودس وكوس وكنيدوس وهليكارناسوس ومات في نحو سنة ٧٤٤ قبل الميلاد وأحدث ارغوس في ضعف شوكتها حالا واضمحلت حالة الحكومة حتى وصلت الى الحالة التي كان فيدون وجدها عليها وصار تاريخ مملكة ارغوس لا معنى له في ذاته ولا في صفاته

واستمرت اسبرطة مجرية حكومتها على حسب قوانين ليكورغس وشرائعه وكانت سلطة هذه القوانين جارية بأحسن مما كانت عليه في القرن السالف ومن ثم صارت اسبرطة مملكة كثيرة العمران واسطعت ادارتها وهيئة أحكامها ومدت سلطنتها على كل لاقونيا ولما استحوذت على كامل النظامات العسكرية من بين الممالك الجريسية شرعت في الحروب مع ما جاورها من الممالك فتغلبت على كامل وادى عوروطاس وأعقبه الحروب مع اركاديا وأرعوس وفي هذه الحروب اكتسبت اسبرطة بعض الفوائد والمنافع لنفسها ووقفت أرعوس جميع أراضيها التي كانت موجودة في حدود ثيروريا ولما تقوت بهذه النصرة شرعت في اجراء تعديات كثيرة على مملكة مسينيه الملاصقة لها واحتجت تارة بأن مقصدها توسيع أراضيها وتارة بالظلم والجور الحاصل من فلاحي الدوريانيين في مسينة على رعاياها الاخائيين وأعقب هذه المنازعات والتعديات الشروع في الحرب المعروف باسم الحرب المسيني وكان

ذلك

ذلك في سنة ٧٤٣ قبل الميلاد وما كان لاسبرطة في هذه الحرب الا حليف واحد وهو قورنثة وانضم الى مسينة ارغوس واركاديا وصكيون واستمر الحرب بينهم تسع عشرة سنة وكان سبب امتداده طول المدافعة التي كانت جارية من مدينة أتومي في شأن حماية نفسها وفي أثناء سير الحرب ضعفت شهامة أهل مسينة على التدريج وفي السنة العشرين من هذه الحرب أرغمهم اسبرطة على اخلاء مدينة أتومي وكملت الغلبة على المملكة وهرب كثير من السكان الى أرغوليس واركاديا والذين بقوا آلت حالتهم الى أن صاروا جميعا تحت يد الاسبرطيين وهدمت أتومي وتساوت مبانيها بالارض وحكمت اسبرطة ممالكها التي تغلبت عليها بنفوذ شديد وحكم ثابت عتيد واستمر المسينيون تسعا وثلاثين سنة في ضيق شديد وظلم عنيف مديد

واشتهر القرن الثامن قبل الميلاد في التاريخ الجريسي بأنه تاريخ الاولمبياد أو احياء الالعاب الاولمبيادية وكان مبادي وجودها وسن قوانين اجرائها في الجريس في عهد عصر الشجاعة وكانت تشهر هذه الالعاب في الاراضي المقدسة في عليس من أعمال أولمبيا على شواطئ نهر الفوس تعظيما ليوف الاولمبي وهرقوليس وكانت تركت قبل في رواية الاهمال في أثناء التغيير والتبديل والغلبة التي كانت حصلت عقب عصر الشجاعة الى أن صار احياؤها في سنة ٧٧٦ قبل الميلاد والذي أحياها أفيطوس ملك عليس وهذه هي الرواية وان كان بعض المؤرخين جعل تاريخ أفيطوس متقدما عن هذا التاريخ بقرن واحد ومن بعد مضي مدة قليلة ابتدأ الجريسيون في حساب مدد وقائعهم وحوادثهم وانقلاباتهم من ابتداء هذه الالعاب فاعتبروا أن الالعاب التي حصلت في سنة ٧٧٦ قبل الميلاد هي الالعاب الاولمبيادية الاولى واستمر اشتهار هذه الالعاب جاريا الى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد وكانت تشهر في اخر كل أربع سنوات والمسافة المحصورة بين كل شهرتين سموها أولمبياد ومازالت جارية حتى أبطلها الامبراطور طيودوسيوس وعهد عمل هذه المواسم الى العلياسيين فانتخب هؤلاء جماعة من أنفسهم ليكونوا رؤساء على مثل هذه الملاهي كقضاة وحكام وأطلقوا عليهم اسم هيلانوديين وحدد لكل موسم في الابتداء يوما واحدا فقط ثم امتدت هذه الالعاب بعد وكثر عددها حتى وصلت أيامها خمسة أيام وكان أصل هذه الالعاب مقصورا على السباق بالجري بالارجل على مسافة فرسخ واحد وأربعين قصبة بمعنى استادية الا أنه أضيف عليها ألعاب أخرى مختلفة تختص بالقوة والشجاعة والبسالة والاقدام مثل الضرب باللكم والتي والاعوجاج والعصر والضرب واللكم مع الالتواء والقفز والسطو والجري وضرب دبابيس من الحديد ورميها ورمي النشاب والمصارعة والمطاردة وكان يدخل في هذه الالعاب أيضا سباق الخيل والعربات الا أنه ما كان مرخصا لاحد أن يلبس درعا أو شيأ من ملابس الحروب بأي حالة كانت وفي مدة الشهر التي كانت تشهر فيه هذه الالعاب تنقطع أعمال الحروب واجراآتها من جميع الجهات والممالك الجريسية ماعدا حالة ما اذا كان الحرب جاريا مع أمة أجنبية محاربة للمملكة تمام الممالك الجريسية وما كان يرخص للعساكر والجيوش بالدخول في حدود عليس لان دخولهم كانوا يعدونه انتهاك حرمة ونجاسة وكانت المكافئات التي تعطى للمنصورين أو الذين اكتسبوا الالعاب أكاليل من الزيتون الجبلي وكان هذا من أجود الامتيازات الباهرة في الجريس وكانوا يعتبرون الغالب وينظرون اليه بأنه أشجع الشبان في الجيش الهلمني في هذه الالعاب الاولمبيادية ويقيمون له تمثاله في الايكة المقدسة المخصوصة الجيوف في نواحي أولمبيا وعند عوده الى بلده ينال باعظم درجات الاحترام

والشرف ويدخل مدينته فى موكب حافل من شرم يعمل لدخوله فى سور المدينة بالقول على أن حفظ شرف المدينة منوط باولادها وليس باسوارها المصنوعة من الاحجار وتمدحه الشعراء فى قصائدهم وأشعارهم وله حق الجلوس فى الصدر فى كافة الجمعيات العمومية وبماله فى العادة من دفع الضرائب والعوائد وأما فى أثينة فكانوا يكافؤن مكتسب الاكليل الاولمبى بجائزة مقدارها ٥٠٠ درهم وله الحق فى أن يكون له محل على مائدة النواب فى ميدان المدينة وأما فى اسبرطه فكان له الحق فى أن يحارب وهو بجانب الملك فى الوقائع الحربية وكانت الالعاب الاولمبادية مفروضة على كل شخص جريقى من دون امتياز فى الدرجة والغنية وكانوا يطردون الذين ليسوا من الجنس الجريقى من ميدان الالعاب مع الشدة والعنف وكانوا يأتون اليها أفواجا مزدحمين من كل فج عميق من كافة الممالك الجريقية لانه خلاف هذه الالعاب التى كانت مسنونة لمنافع معلومة أولموادر عرسية كان التاجر يجد فرصة لبيع تجارته وينشد الشعراء قصائدهم وأشعارهم فى هذه الميادين وتشرح الفلاسفة ما عندهم من العلوم والمعارف الفلسفية لكافة أهل الجريق وكان الاولمبياد الاول من سنة ٧٧٦ الى سنة ٧٧٢ قبل الميلاد ومن ابتداء هذا الوقت أرخ الجريقيون مدة حوادثهم التاريخية الى حد المدة الاخيرة من سلطنتهم واضمحلال دولتهم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من ابتداء الاولمبياد الاول الى الحرب الفارسى ﴾

الحرب المسينى الثانى ـ استنتاجات اريسطوميس ـ خراب المملكة المسينية ودمارها ـ وصف الحكومة الاثينية ـ صيرورة شوكة المملكة فى أيدى الاشراف ـ قانون دراكو ـ مساعى صولون فى القبض على الحكومة ـ اتهام الحكومة قداسة ميغاقليس ـ طرد القمبوسيدى ـ تغلب اسبرطة على طجيا ـ وجود سيادتها فى بلوپونيزه ـ طلبها حق التداخل فى أعمال الممالك الجريقية ـ الطاعون فى أثينة ـ تطهيرايميندس ـ القلاقل والارتباكات السياسية فى أثينة ـ شرائع سولون وقوانينه ـ السبعة الحكماء فى الجريق ـ عدم قبول البعض من اصلاحات سولون الا أنها قبلت جميعها فى أثينة ـ وضعها تحت المداولة والمباحثة ـ منازعات الاحزاب الاثينية ـ موت سولون ـ صيرورة بزيسطراطوس الآمر الناهى ـ طرده من أثينة ـ عوده اليها ثانيا ـ المصاهرة مع ميغاقليس ـ طرده مرة ثانية وعوده الى تخته ـ فضله وكرمه ـ صدور أمره بجمع أشعار هومير وقصائده ـ موته ـ الاثنان الطاغيان ـ سلطنة هيپياس ـ طرده من أثينة ـ عود القمبوسيدى ـ وجود كليسطنس فى السلطنة ـ تغييراته فى القانون الاثينى ـ كراهة الاشراف له ـ طرده وسرعة عوده ـ المنازعات بين أثينة واسبرطه ـ التغلب على عوبيا ـ مساعدة أثينة للجريقيين اليونانيين فى قيامهم وعصيانهم على فارس

قضى المسينيون التسع والثلاثين سنة التى جاءت عقب ختام الحرب المسينى الاول فى رق عنيف وظلم راعق حريف وفى ختام هذه المدة قاموا فى ثورة على الاسبرطيين تحت قيادة واحد منهم اسمه اريسطوميس من اندانيا ومن ثم كان ابتداء الحرب المسينى الثانى فى سنة ٦٨٥ قبل الميلاد وجاء

الارجيميون

الارجيفيون والاركاديون والصيكيون والبيزاطونيون لاجل مساعدة المسينيين وما كان مع اسبرطة الاقورنثه حليفتها كما كانت معها فى الحرب الاول فكانت الواقعة الاولى التى وقعت قبل وصول المحالفين غير فاصلة الا ان ما احتجبه اريسطومينس من الاعمال أضعف قوة الاسبرطيين وهو احتى استغاثوا بكاهن لهم ليكون قائدهم فى الحرب فأمرهم أن يبعثوا على قائد لهم من أثينة وما اخشى الاثينيون من عدم طاعتهم أمر الكاهن تداركوا الحاز أمره وأرسلوا للاسبرطيين واحدا أعرج من معلمى المكاتب اسمه طيرطوس لاجل قيادتهم فهيج باشعاره وترنماته احياء الشهامة العاجزة للاسبرطيين وقواهم على الاجتهاد مرة أخرى فى انشاب حرب وفى واقعة وقعت دخل فيها المحالفون فى جهة كل من المتحاربين بالقرب من قبر نوعار فى سهل صطنقليروس انهزم الاسبرطيون شر هزيمة وخسروا خسارات جسيمة واجبروا على الانسحاب الى بلادهم وحصل فى السنة الثالثة من الحرب وقعة أخرى شديدة انهزم فيها المسينيون بخيانة حصلت من اريسطوقراطيس ملك أرخوميوس من اركادى وتولد من هذه الهزيمة أن صار لا طاقة لاريسطومينس على الخروج الى ميدان الحرب مرة ثانية وسحب نفسه وتوجه الى قلعة ايرا فى الجبل ومنها استمر الحرب احدى عشرة سنة وكان الاسبرطيون معسكرين تحت ذيل الجبل فكان اريسطومينس يخرج أحيانا من معقله ويغير على لاقونيا ويخرب بلادها بالسيف والنار وكان مظهرا فى أعماله هذه وقرب ثلاث مرات الى يوف الاثومى قربانا اسمه هيكاطومفسه وكان لا يقرب الا بمعرفة الفارس الذى ذبح بيده مائة من الاعداء ثم قبض عليه ذات يوم مع جملة من أصحابه وأرسل الى اسبرطة فرموه مع أصحابه فى جب عميق فمات جميع أصحابه بمجرد رميهم فى الجب وأما اريسطومينس فانه لما وقع فى الجب لم يحصل له ضرر ولا أذى فانتظر موته من الجوع وشدة الضنك اذ لم ير خلاصه لنفسه من ضيق ما هو فيه وفى اليوم الثالث رأى ثعلبا يتلمس بين رمم الموتى فى الجب فقبض على ذيل الثعلب وصار يروغ معه من أجل خلاص نفسه فدله الثعلب على منفذ مفتوح فى الجبل فخرج اريسطومينس منه ونجا بنفسه وعاد الى قلعة ايرا فاستغرب واندهش أصدقاؤه وأعداؤه من طريقة خلاصه هذه الا أنه مع ما كان فيه من الشجاعة والظرف فان الحرب آل أمر نصره الى الاسبرطيين وهجموا على قلعة ايرا ذات ليلة من ثلم عملوه فى سورها وكان اريسطومينس فى هذا الوقت مجروحا جرحا بليغا وصار لا طاقة له على محافظة القلعة فانقطع أمل الاعداء منه بواسطة شجاعة أصحابه فأخذوه ونجوا به وبأنفسهم وما زال سائرا فى طريقه حتى التجأ فى اركاديا وصمم على الهجوم على اسبرطة فأفشى اريسطوقراطيس أمره هذا الى اسبرطة فرجمه أهل بلاده بالاحجار فى نظير افشائه هذا السر ومن أجل هذا سار اريسطومينس الى رودس وقضى أيام حياته فيها وترك كثير من المسينيين بلادهم وهربوا الى رهجيوم من أعمال ايطاليا والآخرون أخضعهم الاسبرطيون وجعلوهم عبيدا وأرقاء هلوط واختار سكان بعض المدائن موقع نيربوصى

وانتهى الحرب فى سنة ٦٦٨ قبل الميلاد ولغاية سنة ٣٦٩ قبل الميلاد اختفت مسينة من وجه التاريخ وصارت أراضيها فى أثناء هذه المدة قسما من لاقونيا وكان ذكر اريسطومينس عزيزا جدا عند أهل بلاده ونشرت خرافات الازمان الاخيرة انه فى الواقعة الكبيرة التى حصلت فى نواحى لوقطره وفيها انحطت الشوكة اللاسيدمونية شوهدت روحه منعشة لاهل بلاده وأوقع الدمار والخراب والتشتيت فى أعدائه

ثم جاء عقب الحرب المسينى حرب مع اركاديا الا انها كانت خفيفة هينة ويظهر أن نتائج هذا الحرب كان تغلب اسبرطة على القسم الجنوبى من اركاديا وأما المساعى التى أجراها الاسبرطيون فى التغلب على طجيا فكانت قليلة الفائدة جدا وكان موقع طجيا على غاية من الحصانة والمقاومة حتى قاومت فيه القوى الاسبرطية نحوا من ثلاثة قرون

وكان ابتداء التاريخ الحقيقى لاثينة فى سنة ٦٨٣ قبل الميلاد وفى هذه السنة حصل تغيير فى طريقة الارخونيين من عشر سنين الى سنة واحدة ومعنى الارخون الحاكم العمومى فى كل شئ وازداد عددهم من واحد الى تسعة وعمل انتخابهم لمدة حياتهم وكان الاول منهم ملقبا بالارخون أى الوصى العمومى على حقوق أملاك الامة والارخون الثانى فى هيئة ملك يحكم على الاحتفالات الدينية والثالث قائد الجيوش فى الحرب والستة الباقون متشرعون يجرون الادارة العدلية وكان يوجد بالاضافة على الارخنة مجلس اريوباغوس أو مجلس الشيوخ واسمه هذا مشتق من المحل الذى يجتمع فيه على جبل عال اتجاه اكروبوليس ويقال له جبل اريس أو تل مارث وكان هذا المجلس مركبا من العوباطريديين أى الاشراف فقط وجميع الارخونيين من بعد تمام سنى وظيفتهم يصيرون أعضاء فى هذا المجلس وكان يطلق عليه فى الاصل اسم سناتو أو مجلس ومن بعد مدة شكل سولون مجلسا آخر (سناتو) ولقب المجلس الاصلى أريوباغوس لاجل تمييزه عن المجلس الآخر

واستمرت شوكة المملكة جميعها فى يد الاشراف وآلت الحالة كما هى العادة فى حكومة الاعيان الى استعمال التعدى والجور الفاحش على الامة واستحوذ الارخونيون على شوكة الاستبداد ومطلق التصرف حيث لا يوجد قوانين مدونة تمنعهم ولا أمة تصدهم وتمنعهم وازدادوا فى الاوامر والاجراآت التى يعود منها النفع عليهم بظلمهم البلاد وضررهم العباد وفى ظرف ست سنوات من تنصيب الارخونيين السنوية ازداد ضجر الاهالى وتذامروا فيما بينهم وكابدوا الآلام ونفروا كل النفور مما هو حاصل وطلبوا سن قوانين قاطعة وشرائع حاكمة تردع هؤلاء الاشراف ولا تجوز لهم الظلم والاسراف ولا يمكنهم أن يحيدوا عنها ولا يخالفوا قواعدها وأصولها ولا يقاوموها بأى حالة كانت وفى سنة ٦٢٤ قبل الميلاد صار تعيين دراقو لاجل سن قانون مدنى فسن دراقو القانون وقدمه فكان فى غاية من السلاطة وحكم فيه بالموت على كل مجرم ومذنب وعلى كل لص وقاتل حتى قالوا ان قوانين دراقو وشرائعه ما كتبت بالحبر بل كتبت بالدم وجعل حياة الامة بكمالها فى قانونه هذا تحت رحمة الاشراف فازداد نفور الامة وازداد الوجل وحل الويل بدل الهدو والاطمئنان وازداد النفور والهيجان وفى هذه الاثناء سعى واحد من الاشراف اسمه صيلون وانتهز الفرصة فى مدة حصول هذه القلقلة وجعل نفسه طاغية أثينه فى سنة ٦١٢ قبل الميلاد وكان من قبل حاز الاكليل الزيتونى فى الالعاب الاولمبيقية وتزوج بابنة طغينس وكان هذا أيضا جعل نفسه طاغية ميغاره ثم تخابر صيلون فى مقصده وعزمه مع كاهن دلفى وقال له اضبط أكروبولى فى الموسم الاكبر لجوف فظن صيلون أن ديانسيا كانت هى الموسم الاكبر لجوف فى أثينة وفهم أن الكاهن عناه بالالعاب الاولمبيقية وبناء على فهمه ضبط أكروبولس عند اشتهار الالعاب فى المرة التى جاءت بعد وكان معه جماعة كثيرة من الناس بعضهم من أحزابه وبعضهم عساكر كان جهزها له حموه ومع هذا فانه لم يجد مسعفا ولو كان معه كثير من الناس وأحاطت به عساكر الحكومة فى اكروبولى ولما رأى صيلون ذلك فر هاربا مع أخيه واشتد الجوع على أتباعه

وصار

وصار لا طاقة لهم على مقاومة هجوم عساكر الحكومة فالتجؤا الى معبد أثينى وهو معبد منيروه (الزهرة) ثم ان الارخن ميغاقليس أحد أعضاء العائلة القميونيدية المشهورة وجدهم فى المعبد فخشى من أن موتهم فيه ينجس طهارة معبد المعبودة منيروه فألزمهم بالخروج منه والحضور عنده ووعدهم بسلامة حياتهم وأسرع أناس منهم اليه وتركوا المعبد وعند خروجهم صفهم وقتلهم والذين هربوا منه التجؤا فى معبد عومينيديس فذبحهم على أرض هذه البقعة
وتولد من وساخة هذه النصرة انتهاك الارخونيين حرمة المحلات الطاهرة فنشأ من ذلك قيام فلاقل وارتباكات فى المملكة وصاروا يرون أن كافة العائلة القميونيدية مدهونة بانتهاك الحرمات التى فعلها ميغاقليس وطلب أصدقاء الناس الذين قتلوا الانتقام وأخذ الثأر من هذه العائلة الملعونة وكان هؤلاء الاصدقاء على غاية من الثروة والنفوذ الزائد وصاروا متمسكين فى أمرهم ضد أعدائهم فى المدة التى كانت باقية من القرن وأخيرا صار نفيهم من أطيقه بقرار حصل الاقرار عليه من مجلس عقد لهذا الشأن مركب من ثلاثمائة عضو فى سنة ٥٩٧ بعد الميلاد
وانتهى الحرب بين اسبرطه واركاديا فى نحو سنة ٥٥٤ قبل الميلاد بواسطة خضوع طيجيا الى اسبرطة وكان لا معنى لانتهاء حرب طالت مدته مثل هذا وفى نفس هذا الوقت صار اغتصاب طرباطيس من أرغوس وقام النفوذ الاسبرطى على ثلثى بلوبونيره ولم تزل السياسة الاسبرطية مقصورة على الاعمال الداخلية اللاسيديمونية مكدة على توسيع أراضيها وابتدأت فى كونها تأخذ لها مجالا عريضا وفى سنة ٥٥٥ قبل الميلاد وصل الى اسبرطة رسول من طرف قروصوص ملك ليديا معترفا بأن اسبرطة هى المملكة الرئيسة فى الجريس ويطلب محالفتها والاجتهاد فى مساعدته على هزيمة الفرس فقبل الاسبرطيون رسول قروصوص وما جاء به من طرف قروصوص وأعدوا حملة لمساعدته ومن قبل تسفير هذه الحملة تغلب كيرش أو كيخسرو ملك فارس على ليديا وصار لا فائدة فى هذه الحملة وكانت هذه المحالفة مبادى سياسة اسبرطة فى الممالك البرانية وأعقب هذه الحملة حملات أخرى فيما وراء حدودها وفى سنة ٥٢٥ قبل الميلاد أرسلت اسبرطة وقورنثة حملة متحدة من الاثنين الى ساحل آسيا لاجل خلع وعزل بوليقراط صاحب ساموس فكانت هذه الحملة على غير طائل ولقد أدى طمع اسبرطة عاقبته من هذه النصرة والمخاطرات أن طلبت فى سنة ٥١٠ قبل الميلاد أن يكون لها الحق فى التداخل فى أعمال الممالك الجريقية الموجودة فى ما وراء حدود بلوبونيره أشبه بأنها محافظة على حقوق العالم وتولد من مساعيها ضد أطيقة أن نظروا اليها بعين الوجل الشديد والكراهة والبغض العنيد مدة قرن ونصف تقريبا ولم يحصل من طرد القميونيديين فى سنة ٥٩٧ قبل الميلاد سكون الارتباكات الخرافية التى تسلطت فى أثينة من انتهاك الحرمات التى فعلها ميغاقليس وبينما كان الاهالى على وجل شديد وتردد من وقوع الخوف والمصائب اذ حصل طاعون فى المدينة ظنوه آفة سماوية أرسلت لاعدامهم وعقابهم من أجل هذه الجريمة فحاروا فيما كان هو دائم فأشار عليهم بأن يدعوا النبى قريطان المشهور والحكيم ابيمانيديس للحضور من أجل زيارة أثينة ويطهر ويصد بيتهم من النجاسات القذرة وانتهاك الحرمات وكان ابيمانيديس له الدرجة العالية فى معرفة التأثيرات الطبيعية للصحة فزار أثينة وأقام بعض شعائر وقرب قربانا واعتقد أهل أثينة من أعماله أنه سكن عنهم غضب الآلهة وانقطع الوباء وزال فقدم الاثينيون شكرا على خلاصهم من هذه الآفة ثروة من الذهب فلم يقبلها

ابيمانديس منهم وما أقبل منهم الا أن يعطوه فرعا من شجرة مقدسة من الزيتون مغروسة في اكروبولي وكان تاريخ هذا التطهير في سنة ٥٩٦ قبل الميلاد

ثم ان الارخونيين استشعروا باخطار حقيقية مهددة للملكة فاستيقظوا لهاوهي أسفر بان ابيمانديس وطهارته المدينة لم تفد فائدة في ازالة الآفة أو الوباء من المدينة ولم يحصل منها تأثير على النفور الحاصل من الاهالي وتولد من هذا النفور أن انقسم أهل أثينة الى ثلاثة أحزاب هي أهل السواد ويتركب من أعيان الاشراف وأهل الساحل وهم التجار وأهل الجبال ويدخل فيهم فقراء فلاحي أطيقه وازدادت هذه الشحناء الحاصلة بين الاهالي على القيام على بعضهم بكونه يوجد كثير من الحزب الثالث التزموا الضرورة احتياجاتهم أن يقترضوا نقودا من الاشراف باسعار مفرطة في الارباح ولما صار لا طاقة لهم على سداد هذه الارباح صاروا أرقاء لهم ولما رأى الارخونيون هذه الحالة المفزعة طلبوا من سولون أزكى أعضائهم سن قانون شرائع لاثينة بدل قانون دراقو

وكان سولون أحد الاشراف الكبار في المدينة الا أن سعادته كانت وهنت جدا في مبادي حياته فاجبر على أن يشتغل بالتجارة لترميم ما فقد من سعادته فجال في مشروعاته التجارية وزار على التوالي الاقاليم المشهورة من الدنيا الجديدة ومارس شرائعها وعوائدها وجالس أهلها ومن ثم صار أعدل شخص في العقل والذكاء في أثينة للشغل الذي عهد اليه وكان ينتسب نسبه الى درية العارس كودروس وكان ابن عم بيسسطراطوس الذي سيأتي الكلام عليه وكان له شهرة بالعلم والحكم الطبيعية حتى عد من ضمن السبعة رجال الحكماء في الجريس وأما الستة الآخرون فكانوا بريندر صاحب قورنثه وقوليوبولص صاحب لندوس وبياس من برين وبطاقوس من ميتيلينة وطاليس صاحب ملطيس وشيلون من اسبرطة وفي نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد كان سولون حرض الاثينيين وحثهم على السعي والاجتهاد في استرداد جزيرة سلميس وكان تغلب عليها المغاريون وقادهم بنفسه الى المحاربة واسترد المدينة لجهة أثينة وفي سنة ٥٩٤ قبل الميلاد صار انتخابه أرخونا وعهد اليه سن قوانين وشرائع جديدة مع الحرية وسلطة الشوكة المطلقة ورضي جميع الاحزاب باحالة سن هذه القوانين اليه

وكان المقصد الاصلي من قوانين سولون الغاء الحكومة الطاغية الظالمة المستبدة المتشكلة من الاعيان واستبدالها بحكومة متوسطة يكون فيها لجميع أرباب الطوائف التبعة صوت ولو كان نفوذ الحكم باقيا في يد الاشراف فلاجل اتمام مرغوب هذا قسم الامة الى أربعة طوائف على حسب مدخولهم السنوي فأما الطائفة الاولى فهي البانطاقوصيوميدمني وهم المستحوذون على مدخول ٥٠٠ اردب سويا أي ميدمني من الغلال وأما الطائفة الثانية فهم الهيبيس أو الفرسان وهم الذين مدخولهم سنويا ٣٠٠ ميدمني من الغلال والثالثة الطوغيطي الذين مدخولهم يوف عن ١٥٠ ميدمني في السنة من الغلال والرابعة الطيطس الذين مدخولهم لا يقل عن ١٥٠ ميدمني وكان للطائفة الاخيرة حق الصوت في الانتخاب الا أنه لا يوجد في أحد منهم صلاحية لتوظيفه في أي وظيفة من المصالح وكانت أعلى وظيفة هي وظيفة الارخونية ومقصورة في أول طبقة من الامة أو الاكثر غنى فيهم ورتب سولون مجلس سنوي يدعى ديدامس كامس ٤٠٠ عضو منهم ١٠٠ عضو من الاربع القبائل أو العشائر القديمة في أثينة وكان انتخاب أعضاء هذا المجلس سنويا بواسطة أصوات الامة والواجبات الخاصة بهذا المجلس تحضير المواد الطامية واللوائح القانونية

وارسال

وارسال نتائجه الى مجلس العموم وكان هذا المجلس أى مجلس العموم مركبا من جميع أصناف طوائف التبعة وفيه الارخونات وأرباب مجلس السناتو أو الاعيان ويوقع الحكم على الارخونية عند فراغ سنة توظيفهم ويقرر أو يرفض جميع اللوائح وأوراق القوانين التى تقدم اليه من مجلس الاعيان أو السناتو ورتب محاكم شرعية محلية لاجل سماع القضايا الواجب استئنافها الواردة من محاكم أخرى وهذه الحالة هى التى أدخلت فى أثينة البحث فى القضايا بواسطة وكلاء دعاوى وأما مجلس اريوباغوس فكان باقيا على ما كان عليه الا أنه كان منوطا بالمراقبة العمومية على سير القوانين والعمل بمقتضاها وله السلطة القوية فى الجبر على السير بواسطتها ومنع المخالفة لها أو المعاقبة على من يخالفها

ولما رتب سولون المملكة بهذه المثابة شرع فى معالجة الامراض الحاصلة عند الاهالى المتولدة من حالة الفقر العام ومداواة المصائب المتسلطة فى أثينة عاما فى حكومة الاعيان زادت ثروة الغنى وانحطت حالة الفقير زيادة عن أصلها فأبطل سولون جميع صكوك الاوراق أو المعاقدات المكفول فيها الارض أو نفس المديون للدائن ومنع الاستقراضات فى المستقبل التى يدخل فيها نفس الشخص رهنا على دينه للدائن ومن ثم أعتق جميع المديونين من الرق وخلص الاراضى من المستحوذين عليها بأوراق دين وأزال الاثقال والاحمال التى كان الاهالى متضجرين منها وأبطل بالكلية وجود العادة القبيحة وهى حالة الرق من أجل الدين وبواسطة هذه الاصلاحات خلصت طوائف الفقراء مما كانوا فيه من المشاكل والمصاعب الا أنه لم يزل موجودا أشخاص تركوا وليس لهم طاقة على سداد ما عليهم من الديون فلمساعدة هؤلاء زاد قيمة سعر النقود الجارى المعاملة بها بحيث ان كل مديون أزال عنه قيمة ربع ما عليه من الديون وبالطبع تولد من هذه الاصلاحات خسائر جمة للاغنياء وخسر سولون نفسه خمس وزنات وقال هذا المشرع مع الذكاء والعقل ان وقوع الخسارة على الطائفة يلزم أن تكون قادرة على تحملها وقرر أيضا لاجل منع حالة الفقر أن كل والد أو أب يلزمه أن يعلم ابنه صنعة نافعة له ولو فى البيع والشراء يحفظ بها حياته وان لم يفعل صار الولد خالصا من جبره على مساعدة أبيه وفى وقت شيخوخته وكبر سنه

ورتب سولون أيضا مكافآت وعقابات على أمل انه يحرك العفة والشرف فى التبعة ويمنعهم من فعل الجرائم والخبائث وأبطل القانون الدموى الذى كان سنه دراقو وكان من ضمن المكافآت التى قررها لاصدقاء التبعة أن تمنحهم تيجانا فى جمعيات العموم من طرف مجلس السناتو أو الامة فى دعوات عامة فى ميدان المدينة ومحلات الشرف فى محلات الملاعب والاحتفالات العمومية وتماثيل فى أغوره أو فى شوارع المدينة وقوى الاعراب على الاقامة فى أثينة الا أنهم يجبرون على أن يشتغلوا ببعض صنائع أو حرف نافعة وان مجلس اريوباغوس له الحق فى أن يعاقب المهمل والكسلان والعاكف على الموبقات والخلاعات أشد العقاب وأما السارق فعقابه أن يلزم برد ضعف قيمة ما سرقه من الاشياء وحرم كلام الغيبة فى الناس أحياء وأمواتا وكان سولون من أعظم رجال السياسة الا أن قوانينه ونظاماته ولدت له العداوة عند طائفة الاشراف وتضجر الطوائف من كونه لم يمنحهم ما يكفيهم فقال لهم وأوجز فى قوله وزاد فى شهامته ان قوانينه ليست جيدة الانشاء ولكن الاحسن قبولها عند الامة ويولد من المقام العالى الذى احترمه كافة الاحزاب عدم حصول شغب وهياج برهة ما وأخيرا حصل له الملل وسوء الحال من تشكيات وأسئلة فوثق من الاثينيين بقسم أكيد على أنهم يحترمون قوانينه لمدة عشر سنوات وسافر الى البلاد الاجنبية فى سنة ٥٧٠ قبل الميلاد

ولما عاد الى أثينة فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد رأى حالة المملكة تمزقت بواسطة ما أنشأه الاحزاب من أغراضهم وعاد أهل السواد تحت قيادة ليكورغس وأهل الساحل تحت قيادة ميغاقليس وأهل الجبل تحت قيادة بيزيسطراطوس ابن عم سولون الى عداوتهم القديمة وكان أحسن الثلاثة القواد بيزيسطراطوس لما كانت فيه من جمال الصورة والفروسية والسخاوة والبلاغة ومع هذا فانه كان منشارا لطيفا مثل سولون وكان لا نظير له فى الطمع وجمع الاموال وصمم فى نفسه على أن يكون أستاذ أثينة ونجح فى هذه المادة لانه لما ظفر الجبليون على الحزبين الآخرين جعل هذه النصرة وسيلة فى أن جعل نفسه صاحب الامر والنهى المطلق أو كما سماه اليونان طاغية وقبض على زمام الشوكة العالية فى سنة ٥٦٠ قبل الميلاد ومن بعد هذه الحادثة بقليل مات سولون بعد أن جاهد وقاوم الفعل الذى صدر من قريبه وعلى حسب وصيته أحرقوه وذروا رماده حول جزيرة سلميس التى كان رده الى أثينة

ثم ان بيزيسطراطوس استمر فى طرف الست سنوات الاول من بعد جلوسه على مراعاة شرائع سولون مع الصداقة والوفاء وفى سنة ٥٥٤ قبل الميلاد صار طرده من المدينة باتحاد الحزبين السوادى والسواحلى ومن بعد مضى بضع سنين تنازع الحزبان فطلب ميغاقليس رئيس حزب الساحل بيزيسطراطوس ثانيا الى سلطنته وتحمل شوكته على شرط أن بيزيسطراطوس يتزوج بابنة ميغاقليس فقبل بيزيسطراطوس هذا الشرط واستولى على تخته ثانيا فى سنة ٥٤٨ قبل الميلاد ثم تزوج ابنة ميغاقليس حسبما كان عليه من الاتفاق الا أنه لما كان لبيزيسطراطوس أولاد من زوجته الاولى وكان لا رغبة له فى امتزاج دمه بدم عائلة مرعية أنها ملعونة بسبب ما حصل من صيلون من انتهاك حرمة الاشياء المقدسة فعاملها بأنها زوجة له ولما استشعر ميغاقليس بهذا العمل جدد محالفته مع ليكورغس قائد حزب السواد وطرد بيزيسطراطوس ثانيا من أثينة سنة ٥٤٧ قبل الميلاد فقضى عشر سنوات منفيا من أثينة واشتغل فى هذه المدة بتجنيد عساكر وجمع نقود من الجهات المختلفة من الجريس وفى سنة ٥٣٧ قبل الميلاد نزل فى مراثون بجيش جرار ولما انضم اليه أصدقاؤه زحف على أثينة وهزم أعداءه وجعل نفسه سيد المدينة مرة أخرى فتسلطن عشر سنوات أيضا سيرفيها الادارة على حسب قوانين سولون مع العدل والانصاف ونسى الاهالى ضياع حريتهم بسبب معاملته اياهم بأحسن المعاملات وفتح دار كتبه وبساتينه الظريفة الموجودة على نهر الهصوص ومع الامة الدخول فيها وأمر بجمع أشعار عمير وقصائده وكانت موجودة لحد الآن مدشتة فى أوراق وأن توضع فى قالب منظوم حتى يمكن للمغنين والمنشدين أن يغنوها وينشدوها فى العيد الاكبر والموسم الجامع وهذا العيد اثنا عشر يوما احتفالية لموسم أثينى مستحفظ أثينة وكانت سلطنته مطابقة بالتمام لقوانين وآراء سولون فكان أحسن الطغاة الذين حكموا فى الجريس الا أن طمعه كان عيبه الاكبر ومات فى سنة ٥٢٧ قبل الميلاد

ومن بعد موت بيزيسطراطوس خلفه ولداه هيبياس وهيبارخوس وكانا يعرفان بالطاغيين فتسلطنا مدة أربع عشرة سنة فى أمن وطمأنينة سائرين فى أحكامهما على ما كان أبوهما جاريا عليه فى حكمه ولما انقاصرت الارض من العشر الى واحد من اثنى عشر أخذت أثينة فى التقدم والفلاح بسرعة حتى ان أهاليها كانوا يعتبرون مدة سلطنتهما من أسعد المدد فى التاريخ الاثينى

وفى

وفى سلطنة ٥١٤ قبل الميلاد حصل تغيير فى هيئة السلطنة وذلك أن واحدا من أهل أثينة اسمه هرموديوس وقعت بينه وبين هيباس الطاغية كراهة شديدة فشدد هيباس تشديدا زائدا على أخته فى العموم وقذفها بالسب فتساعد هرموديوس بصديق له عنده اسمه ارسطوعيطون ورتب ثورة لاجل قتل الطاغيتين فتولد من هذه الثورة قتل هيبارخوس وأما هيباس فانه تجاوز لم يتدبر عقله الحاضر الآن أحواله تغيرت من ابتداء هذا الوقت ونفرت طباعه من الناس وظن فى كل واحد أنه عدو له وقتل كثيرا من التبعة وأهل المدينة وضرب عوائد وضرائب باهظة على الرعية فنفرت طبيعة الاهالى منه وبغضوه وأحس هو فى نفسه بأن خلعه وسقوطه لم يكن الا شيأ وقتيا فلاجل استعداده لمحل أمين يلتجئ اليه وقت نزول هذا الكرب شرع فى غرس ارتباطات الود والحب مع الفرس

ثم ان القميونيدى وكان على قيد الحياة فى المنفى من عهد العود الثالث أى الاخير لبيسسطراطوس أغار على أطيقة مؤملا فى ذلك طرد الطاغية الآن هيباس هزمه وكسر جيشه ثم ان كليسثيس رئيس العائلة استحصل على وصاية من كاهن دلفى يدعو بها الاسبرطيون للمساعدة فى خلاص أثينة من الطاغية وكان كليسثينس هذا رشى الدلفيين بهدية نفيسة وهى انه بنى لهم معبدا مفتخرا فى مكان المعبد القديم الذى كان جميعه أحرق من نار شبت فيه ودمرته فكانت نتيجة هذه الوصية أن أغار الاسبرطيون على أطيقة الا أنها كانت على غير طائل ثم غزاها مرة ثانية وتغلب على أثينة ونفى هيباس مع جميع أقاربه مدة حياتهم سنة ٥١٠ قبل الميلاد

ولما صار كليسثيس رئيس المملكة اتحد مع الحزب الاهلى وقسم الامة الى عشرة عشائر وقسم المملكة كورا وجعل فى كل كورة عاملا له ومجلسا من أهلها واستصوب جميع السكان الحرة الموجودين فى أطيقة الامتيازات المدنية التى أعطيت للتبعة وأولا انه المذكور زاد مجلس السنا والى ٥٠٠ عضو يعنى من كل عشيرة خمسون عضوا ولاجل الاحتراز والمحافظة من فوقة غاصبة ربما يحصل وقوعها من آحاد الناس سن كليسثيس قانون النفى وأمر أنه لا يمكن نفى مدنى أو واحد من التبعة الا من بعد محاكمته أو يدافع عن نفسه فان قرر مجلس السنا وضرورة نفيه يكتب كل مدنى وكل واحد من التبعة اسم اللازم نفيه على شقفة أو محارة فان وجد هذا مكتوبا من ستة آلاف نفس ألزم الشخص بترك أثينة مدة عشرة أيام وكانت مدة النفى مقررة لحد عشر سنوات فآلت حسب هذه الاحوال الى خمس سنوات فقط

وتولد من اجراآت وأحكام كليسثيس بغض الاشراف له وكراهتهم له وطلب رئيس الاشراف المسمى ايساغورس تداخل الاسبرطيين فى أشغال أثينة وأن يطردوا القميونيدى الذين أخلوه ونفى ايساغورس سبعمائة عائلة من أثينة بمساعدة كليومنس ملك اسبرطة لاجل ابطال مجلس السنا وشرع فى تغييرات تولد منها الثوران والهياج فقامت الامة بالسلاح وحصروا ايساغورس والاسبرطيين فى القلعة فقبل ايساغورس أن يسلم نفسه اليهم على شرط ان يترك البلاد فخرج منها مع الاسبرطيين خائفا يترقب وطلبوا كليسثيس مرة ثانية وأعادوا قوانينه واجراآته فى أثينة

وفى غضون ذلك جمع كليومنس ملك اسبرطة جيشا كثيفا فى بلوبونيزه وعقد محالفة مع طيبة وأهل كالسيدويقسكان عزموا على اخضاع أثينة وارغامها الى الانقياد لطاعة ايساغورس والاعتراف بأنه طاغيتها فارتاع الاثينيون من كثرة قوى أعدائهم وطلبوا المساعدة من فارس فاتفق الفرس على

مساعدتهم بشرط أن يكونوا خراجيين لهم فلم تقبل أثينة هذا الشرط مع شدة الغضب والحنق واستعدت لملاقاة الخطب الذي سيقع عليها بمفردها وفي أثناء ذلك دخل الجيش المتحد أطيقة وبعد هذا الوقت كان كليومنس يخفي عن مخالفيه البلوبونيزيين المقصد الاصلي لهذه الحملة ولما استيقظوا لمنه رفضوا اشتراكهم وتداخلهم في هزيمة الاثينيين وهشم حريتهم فاجبر بهذا ملك اسبرطة على أن يترك ما كان في عزمه ونيته وعاد الى بلاده

ولما خلص الاثينيون من هذا الكرب العظيم زحفوا على أهل طيبة وبلادها وهزموهم وعبروا الى عوبيا وأوقعوا بالكالسيدونيين وأذاقوهم أشد العقاب واستحوذوا على جميع أملاك الجزيرة ووزعوا الاملاك العظيمة التي كانت للكالسيدونيين على ٤٠٠٠ نفس من تبعتهم سكنوا عوبيا تحت اسم أصحاب البخت أو النصيب

ثم ان اسبرطة اجتهدت وكدت في ايقاد نار حرب آخر ضد أثينة وكانت هذه الحملة في هذه الدفعة تمس أجل المرام أثينة في قبولها هيباس طاغية لها وعوده الى تخته كما كان فلم تقبل ممالك بلوبونيزه الاشتراك والسعي في الدخول في هذا المقصد فالتزمت اسبرطة على اطفاء نار مرغوبها وصار هيباس مقطوع اليأس من مشروع الاسبرطيين وطاعنا في السن ولما خابت آماله في اسبرطة وآمال اسبرطة في أثينة سار هيباس الى الديوان الفارسي وأشغل نفسه بتحريض دارا وحثه على اعادته الى تخته مرة أخرى

ثم ان أثينة دخلت في مشروع أعمال كبيرة ونالت بظفراتها وعظيم شوكتها في بلادها وخاطرت بنفسها في مساعدة يونان الجريق على العصيان على مملكة فارس ومع هذا فما كانت مساعدتها لهم فلمية بل استحقت من هذا التحالف عند ما رأت أول مصيبة حصلت لهم وأما في بلادها فكانت ادارتها وحكومتها على غاية من النجاح والفلاح ونشرت قوانين كليستنس على التبعة وأولاد البلد وجعلت لهم المنافع الشخصية والاعمال العمومية الوطنية حتى صاروا ثابتي النظام في الحروب الشديدة التي أنشبتها عليهم فارس وكابدوا محنها ومشاقها في القرن التالي

الباب الرابع

﴿الحروب الفارسية﴾

السعي في الغلبة على الجريس — واقعة بلاطية — ابادة الجيش الفارسي — النصرة البحرية في نواحي ميخالي — مظفرات أخرى للجريق

ثم تولد من مداخلة جريق أوروبا في العصيان اليوناني في آسيا غضب دارا ملك فارس عليهم وجعل هذه حجة قطعية على قواد الجريق بأن أرضهم هي المشروع الثاني من مشروعات الملك الاعظم والبطش بهم والانتقام منهم وقد علم الجريق صراحة بأن الفرس لا يكتفون بالغلبة على مملكتي أثينة وارطريا المبغوضتين عندهم بل وربما يبحثون على الطرق اللازمة في جلب الجريس جميعها تحت سلطنتهم فمن ثم كان الخطب والكرب عاما على جميع الهلاس ومن هنا حصل السعي والكد في جلب كافة الممالك الجريقية في جامعة واحدة لاجل اجراء المدافعة العمومية عن بلادهم وأموالهم وأولادهم وكانت اسبرطة أقوى مملكة وأشد شوكة في القوى العسكرية فجعلت لها القيادة العمومية ومع هذا فان هذا الاتحاد لم يتم أمره الى أن اشتعلت نيران الحرب وسرى من سياق هذه الحكاية أن الميل الى الجامعة العمومية تحت قيادة مملكة واحدة استمر وجوده مدة طويلة بين الجريق حتى من بعد زوال الخطر الذي كان سببا في حصوله ومن ابتداء هذا الوقت تظهر لنا درجة رابطة حقيقية في الاعمال الجريسية لم تستحوذ عليها هذه المملكة من قبل في التاريخ القديم لها

ولم ينس دارا وعده في الانتقام والبطش بالجريق فانه في سنة ٤٩٢ قبل الميلاد وجه زوج ابنته أي صهره مردونيوس قائدا اسطول قوي وجيش الى الجريس وأمره بأن يجلب الى فارس الاثينيين والارطريانيين الذين تجاسروا على انتهاك حرمات الملك الاعظم فعبر مردونيوس بوغاز الهلسبون (الدردانيل) مع جيشه وسار من وسط تراسة فلاقى في سيره مقاومات صعبة وجرح باشد يده من البريغيانيين وهم قبيلة من اقليم تراسة فهو وان كان قهرهم وقادهم الى الطاعة والانقياد الا أن قوة جيشه ضعفت وصار لا طاقة له على استمرار سيره نحو الجريس وأقام الزعازع والرياح على أسطوله في البحر في هذا الوقت واصطدمت سفائنه على صخور رأس جبل أتوس وانكسر منها عدد كثير وهلك نحو ٢٠٠٠٠ نفس من هذه العواصف وضعفت حالة مردونيوس بالكلية فعاد متقهقرا الى اسيا وتمت على حملته الخيبة وعدم النجاح

ومع ما حصل من هذه الخيبة فان دارا لم تحبط أعماله بل قويت عزائمه زيادة عن الاول فأرسل رسلا الى عموم الممالك الجريسية يطلب منهم التراب والماء اشارة الى خضوعهم له فارتاع معظم الممالك الجريسية من سطوة هذا الملك الكبير وأجابوا طلبه الا أن الرسل الذين صار ارسالهم الى أثينة رماهم الاثينيون في جب عميق نظرا لما حصل عند أهل المدينة من الغضب والحنق وأما الاسبرطيون فانهم طرحوا الرسل الذين أرسلوا اليهم في بئر وأمروهم أن يأخذوا منها التراب والماء

وفي سنة ٤٩٠ قبل الميلاد وجه دارا جيشا قويا واسطولا مؤلفا من ٦٠٠ سفينة حربية وكثيرا من سفائن النقل تحت قيادة داطيس من أهل ميديا لاجل التغلب على الجريس وخصوصا خراب أثينة وارطريا من جزيرة عوبيا وبسترق أهلها فاقلع داطيس باسطوله مباشرة وعبر بحر الارخبيل وأخضع في طريقه جزائر السكلاده ووصل عوبيا وتغلب على ارطريا بعد أن حاصرها ستة أيام بواسطة خيانة حصلت من اثنين من حزب الاشراف ونهب المدينة وحرقها وساق أهلها الى السلاسل والاغلال الى

المراكب الفارسية ثم عبر داطيس عوريبوس ونزل فى مرثون من أطيقة قاصدا البطش بأثينة وأهلها فبذل الاثينيون جهدهم وجمعوا قوة تحت قيادة ملتياد وتمتقل وارسطيد وقواد آخر وكان ملتياد من بين هؤلاء أشجعهم وأفرسهم وكان فى مبادى أمره مخدم دارا حالما كان دارا بن ناقى خرسونس وأرسلوا ساعيا سريع الجرى الى اسبرطة يعلم أهلها نزول الفرس فى مرثون فوعد الاسبرطيون مساعدتهم الا أن طبيعة حبهم النفس الذاتية أبطأت ورود المساعدة وأجلت الوعد الذى وعدوه وجمع الاثينيون قواهم وعساكرهم فوق العلالى والمرتفعات المطلة على سهل مرثون المعسكر فيه الجيش الفارسى العريض فانقسم قوادهم فى الرأى وقال بعضهم ان الاوفق حصول الحرب فى هذا الوقت ورجح آخرون الانتظار لحين ورود الامداد من اسبرطه حسبما وعدت به وأخيرا غلب عليهم رأى ملتياد فى الهجوم على العدو فى الحال ولاجل انتظام حركاتهم الحربية وأن لا يكون للجيش الا قائد واحد تنازل كل من القواد عن اليوم الذى يحكم الجيش فيه الى ملتياد وجعلوا قيادة الجيش وتدبير حركات الهجوم والحرب تحت امرة ملتياد واستقرت الرابطة بينهم ووافى فى هذا الوقت ورود ١٠٠٠ من العساكر الثقيلة وهم كافة فوارس سكان مدينة بلاطية الصغيرة من أعمال بيوطيا مشتركين فى عاقبة ما تؤول اليه حالة أصدقائهم الاثينيين شكرا لهم على ما فعلوه من معروفهم السابق عليهم فعشم الاثينيون بالنصر والظفر ومع هذا فكانت المخاوف حائقة بهم وكان تعداد الجريق ١٠٠٠٠ نفس من العساكر الثقيلة وقليل من العساكر الخفيفة والرفيق وأما تعداد عساكر الفرس فكان ١١٠٠٠٠ نفس فى النهاية الصغرى فاما ملتياد فانه لم يبال بكثرة هذا الفرق الكبير وهجم مع الشدة والبسالة على الفرس وبددهم وطردهم الى مراكبهم بخسارة قدرها ٦٤٠٠ قتيل ولم يقتل من الجريق فى هذه الواقعة الا ١٩٢ نفس وقيل ان الطاغية هيياس قتل فى هذه المعركة ودخل داطيس مراكبه فى البحر وأقلع عازما على الهجوم على أثينة فجأة لكونه بلغه من ثنية رأس سونيوم حال غياب مدافعيها عنها ولما عرف ملتياد من هيئة حركته وعزمه على الانقلاع الى أثينة جد فى السير بجيشه ليلا حتى وصل الى أثينة وقطع آمال داطيس مما كان ساعيا فيه فاقلع داطيس بالاسطول الفارسى الى آسيا ومعه أسرى ارطريا

وكانت واقعة مرثون من أعظم الوقائع التى لم يظفر الجيش الجريقى بنصرة مثلها فى السابق وكانت أول حاجز منيع وصد شديد لكل ما يحصل من أى جهة من ناحية الفرس وعرف الجريق كيفية أحوالهم النظامية والوقائع الحربية وكيف يقاومون الجيوش الكثيفة من آسيا وجعلت هذه النصرة لهم وقتا كافيا يستعدون فيه من أجل اشغالهم آخر حرب يحاصرون به حرية بلادهم وشجعتهم على اجراء الجد والكد حال وقوع الخطر الاكبر عليهم

وبواسطة هذه النصرة صار التأهل بملتياد فى المدينة مع الاحتفال الزائد واستمر مدة ما جليل القدر سامى الدرجة محبوبا عند العموم وكان الفرس جلبوا معهم كتلة من الرخام الابيض يقيمونها علامة نصرهم فى ميدان مرثون حسبما طرأ فى عقلهم من الاول من أن الغلبة والنصر لهم فقشها فيدياس على صورة غيس الجبار وأما الجعب والتروس الدرع وطقومة الدرع التى استحوذ عليها الاثينيون من الفرس فانهم سبكوها جميعها تمثالا واحدا جسيما على صورة آثينى برومآخوس وأقاموا هذا التمثال فى

اكروپولى لايمكن مشاهدته من البحر على مسافة بعيدة خلف رأس سونيوم وأما ١٩٢ فارس الذين قتلوا فى ميدان الحرب من الجريق فانهم دفنوهم فى وسط الميدان وشيدوا عليهم قبة حسية وأما ملتياد فكانت له السعادة الكبرى لو كان مات فى ميدان عزه ومجده لان العمل الجميل الذى فعله لبلاده وأهل مملكته عاد عليه بالذم القبيح من أهل المدينة وآلت حالته الى أسوء الاحوال وأقبح الاعمال بما صدر منه من الاجراآت التى قدرت أعماله وتممت بالتكدير على حياته وذلك أنه طلب اسطولا مركبا من سبعين سفينة ومبلغا وافرا من النقود ووعد الاثينيين بان يضيف أملاكا عظيمة الى أملاكهم لكنه لم يصرح لهم بالمطلوب من الغزوة التى سيغزوها ولما كان الجميع واثقين باقواله معتمدين على أفعاله قبلوا طلباته من غير تردد فيها ولا اهمال فاستعمل غزوته هذه فى الانتقام والبطش بجزيرة پاروس وكان على كراهة شديدة من أهلها العداوة قديمة بينهم فقاومت پاروس أنواع هجومه عليها وأصيب بجرح بليغ وقت معاناته وكده فى التغلب على المدينة ولما ضعفت قوته رفع الحصار عن مدينة پاروس ورجع عائدا الى أثينة غير محمود العاقبة فوجه اجزنطيپوس قائد الاشراف لومه على قبيح أفعاله من كونه غش الامة ووضعه تحت المحاكمة ولما كان لا طاقة له على المشى أحضر أمام قضاته فى عربته وما كان له قدرة على أن يدافع عن نفسه الا حكاية حكاها عن أعماله فى خدمته الامة الاثينية وهو وان كان يستحق الموت حسب القوانين الا أن الامة ما قبلت موت فاتح مرثون فحكموا عليه بغرامة مبلغ خمسين وزنة ومن المحتمل أن هذا المبلغ قيمة تكاليف الحملة على وجه التقريب ولما لم يكن له طاقة على دفع هذه الغرامة فى الحال دفعها عنه ابنه سيمون على وجه التقسيط ومات ملتياد بعد ذلك بقليل من شدة آلام جرحه

ومن بعد موت ملتياد صار ارسطيدس القائد المدنى فى أثينة وهو وان كان غير شريف المولد الا أنه كان عاكفا بنفسه على أشغال منفعة الامة مع حزم الرأى وذكاء العقل وأكسبه كمال عفته وحسن معاملته اسم الرجل العادل وكان خصمه الاكبر تمستقل أحد مشاهير شجعان الجريق ويحتج تمستقل أخيرا فى كونه أوقع النفى والطرد على أرسطيدس وهو مجرد حكم نفى فقط لان الاثينيين ما كان فى امكانهم توقيع أى عمل على ارسطيدس بسبب منه توقيع مثل هذا العقاب عليه

ومن بعد نفى ارسطيدس صار تمستقل صاحب السيادة والشوكة فى أثينة من دون أن يكون له منازع ولا معارض وكان رجلا على غاية من المكنة والبسالة وذكاء العقل وكان يخفى فى نفسه رأيه فى أن يحمل أثينة على استعداد لمقابلة الخطب الاكبر المؤكد عنده وقوعه من أن مملكة فارس لابد لها من حركة كبيرة على الجريس ومن مبدا النصرة التى حصلت فى مرثون كان الحرب بين أثينة وايجينة وقفت حركته بالنسبة لما حصل من زيادة المشاجرات والحروب بين فارس وأثينة الا أن العداوة والمضادة لم تزل موجودة بين هاتين المملكتين وتولد من هذا الحرب فى آخر الامر البناء الرائد الذى به لا يمكن سقوط الجمهورية وكانت مملكة ايجينة فى هذا الوقت أقوى دولة بحرية فى الجريس وأما أثينة فكانت بعكسها لا اسطول عندها ولا قوة بحرية لها ولما عرف تمستقل أهمية وجود اسطول قوى وقت اقتراب الملاحمة مع فارس صمم على أن يجعل الحرب الايجينى وسيلة الى استعداد أسطول لاثينة لانه لو عرض لهم مقصوده الحقيقى ربما ينفرون منه ويضحكون عليه لانه لا يوجد الا قليل من أهل بلاده يعرف ما آرب فارس فمن ثم طلب من الاثينيين انشاء اسطول يعوق على أسطول ايجينة وان

يخصص لتكاليفه المدخولات الجاري جمعها من معادن الفضة فى لوريوم فأجيبت مشورته وصدرت الاوامر اللازمة فى انشاء اسطول مركب من ٢٠٠ سفينة حربية وكذلك أصدر المجلس أمرا بتشغيل عشرين سفينة جديدة كل سنة ومن تبصر غتمتقل هذا الرجل السياسى فى العواقب حصل الظفر والنصر فى الواقعة الكبيرة التى حصلت فى نواحى سلمين واكتسبها الجريق ولما كانت استقامة تمستقل معادلة لمباهته ومكنته صيرت اسمه أشهر الاسماء وابين الاسماء العالية الشرف من الهلاس وذلك أن ذكاءه فى تدبيراته الآراء التى أعدها الاعداء بلادهم واوغته بحذاقة وفطنة حتى استحوذ على جريان الاشغال فى محورها اللازم له فى أصعب الاحوال وسرعة أشغاله بشهامة لا تكل ولا تتعب بحيث انه وضع بها تدبيراته وآراءه فى ميدان العمل جعلته أعظم رجال السياسة فى عصره

وكانت تبصرات تمستقل وذكاؤه مشبوتا بواسطة الاجراآت الكبيرة والاستعدادات المهولة الحاصلة من اردشير بشأن الغارة على الجريس ولما عرفت أسباب هذه التحضيرات فى الجريس شرعت أثينة واسبرطة واجتهدتا فى جمع جميع الممالك الجريقية فى جامعة واحدة من أجل المدافعة العمومية عن ممالكهم وكان أشهر هذه الاجتهادات والمساعى التى حصلت هو عقد مجلس من عموم الممالك الجريسية فى برزخ قورنثة دعاهم فيه أثينة واسبرطة وكان مقدار من هذه الممالك لم يقبل الدخول فى الجامعة العمومية خوفا من فارس ورجحوا ضياع حريتهم على سفك دمائهم فى الحروب المقبلة عليهم الا أن المجلس نجح فى مقصده الذى عقد من أجله وشرعوا فى أخذ الاحتياطات اللازمة بخصوص حمايات شديدة وعهدت القيادة العسكرية الى اسبرطة وقد ذكرنا استعدادات أردشير بن دارا وخليفته من أجل الغارة على الجريس فى كلامنا على تاريخ مملكة فارس فى الجزء الاول وفى فصل ربيع سنة ٤٨٠ قبل الميلاد دخل أردشير الجريس فى رأس جيش عريض تابعا له اسطوله المفتخر بالقرب منه فى البحر فى طول الساحل وسار من وسط تراسة ومقدونيا ودخل فى تساليا ولم يحصل من الجريق أدنى اهتمام فى ضبط تساليا والمحافظة عليها بل رتبوا قوة قليلة تحت قيادة ليونيداس ملك اسبرطة فى بوغاز ترموبيلى مفتاح الجريس الوسطى لاجل ضبطه لحين تيسر الحصول على جمع الجيش الاصلى ورتبوا فرقة قوية من أسطول الاتحاد فى بوغاز أرطميسيوم لاجل محافظة هذا البوغاز الضيق ومنع العدو من أن ينزل عساكره فى النهاية الجنوبية من البوغاز وكانت قوة ليونيداس محصورة فى ٧٠٠٠ نفس منها ٣٠٠ من الاسبرطيين و ٣٠٠٠ من عساكر قليلة من الممالك الاخرى من جهات بلوبونيز و ٧٠٠ طسبيانيين و ٤٠٠ من طيبة كان ليونيداس أرغم أهل طيبة باستمدادهم وارسالهم و ١٠٠٠ من فوسيسة وشرذمة كبيرة من لوقريس عوبنطى وبمجرد وصول ليونيداس فى ترموبيلى عرف من أول وهلة أنه يوجد طريق يوصل الى رأس الجبل ومنه يمكن الالتف والدوران حول الدرب أو البوغاز فرتب ليونيداس القوسيانيين على رأس الجبل حسب رغبتهم لاجل المحافظة على هذا الطريق

وانتظر اردشير أربعة أيام تقهقر القوى الجريسية من البوغاز وما كان يظن جراءتهم على مقاومته فى هذا الدرب وفى اليوم الخامس أرسل فرقة من العساكر المديية الثابتة من أجل الهجوم بغتة على الدرب فصدهم الجريق وطردوهم على أعقابهم وأرسل مرة ثانية القوى الثابتة لاجل الهجوم أيضا فكانت على غير طائل مثل الاولى وحصل له تلفيات مهولة من الجريق وانتهى ومتفكر فى قطع آماله

من تغلبه على هذا البوغاز إذ حضر اليه واحد ماليانى اسمه افيالطيس وأخبره بأن فارس بسكة سرية
توصل الى أعلى الجبل فانتظر أردشير حتى دخل الليل وأرسل القوى الثابتة لاجل عبور الجبل من هذه
الطريق بدلالة خائن بلاده ويلفون موقع الجريق ويهجمون عليهم من خلفهم حالما يجرى الهجوم
من أمامهم فسار الفواسا ترين طول الليل حتى لاح فجر اليوم الثانى ووصلوا موقع الفوسيانيين وبدلا من
أن الفوسيانيين يهجمون عليهم ويصدونهم ويحفظون الطريق تقهقروا الى رأس الجبل ولم يحصل
من الفرس التفات اليهم بل ساروا ونزلوا الى الجهة الجنوبية من الجبل خلف الجريق
ولما تحقق ليونيداس من وقوع الخطر الذى حل به عقد مجلسا حربيا تقرر فيه من حيث ان البوغاز
صار دورانه ميتة بقهر الجيش أمام عسكر الفرس لئلا يقطعون خط رجعتهم ووجود حياة الجيش
ضرورى لاجل المدافعة عن الجريس فى الاحوال القابلة فأمر ليونيداس بأن كل من رغب القهقرة
فليرجع وأما هو فانه قال انه رجل اسبرطى وان قوانين بلاده تلزمه اما النصر واما الموت فى ميدان
الواقعة وانه من ضروريات الاحوال بقاؤه فى هذا الموقع فكان هو فى الحقيقة الرجل الذى باع حياته كما
أن أنبأك كاهن دلفى بأنه يلزم اما سقوط اسبرطة أو موت ملكها ولم تقبل الثلاثمائة نفس اسبرطى
مفارقة ملكهم الفارس وكذا السبعمائة نفس طسبيانى صمموا على أن يقاسموا اخوانهم فيما تؤول
اليه حالتهم وأرغم ليونيداس الاربعمائة نفس من طيبة على البقاء معه
ولما استشعر أردشير فى وقت الظهر بوصول القوى الثابتة خلف الدرب أمر بالهجوم عنوة على الدرب
وكان ليونيداس حصن طريقه فى مبادى أمره بمتاريس قاطعة له الا أن الجريق خرجوا من خلف
المتاريس وهجموا هجوما عنيفا على الفرس وأوقعوا فيهم خسارات جسيمة وكذا حصل فيهم مقتلة
شديدة وكان سبب وجود هذا الكرب الاكبر على هذه الشرذمة القليلة الباسلة هو الخيانة الحاصلة
من أهل البلاد وصار الفرس لا طاقة لهم على ملاحمتهم الا بالشدة فيهم والزامهم الحرب بالقوة جبرا
عنهم ومادام الجريق حافظين محلاتهم فى داخل مواقعهم كان الفرس لا يغلبونهم وأخيرا تكسرت
رماحهم وطوارقهم وصاروا لا يملكون فى أيديهم الا السيوف فقط فابتدأ الفرس فى التغلب
على الموقع وقتل ليونيداس وزحف الفرس أربع مرات زحفا شديدا لاجل أخذ جثة ليونيداس
فما قدروا لان الجريس كانوا يصدونهم كل مرة صدا عنيفا مع تلفيات وخسارات جسيمة ثم ظهرت
القوى الثابتة الفارسية من النهاية الاخرى للممر فاستغاث بهم عساكر طيبة وقالوا لهم نحن مغصوبون
على أنفسنا فى الحرب فأعتقوهم ونجوا بحياتهم وأما الذين وصلوا على قيد الحياة من الاسبرطيين ومن
الطسبيانيين فان الفرس تغلبوا عليهم وقتلوهم ولم ينج منهم أحد الا واحد هرب الى اسبرطة وأخبر
بالواقعة فقابلوه بالاهانة لانه لم يشارك اخوانه فى عاقبة أمرهم ولما أخذ الجريسيون راحتهم وحريتهم
أقاموا تمثال أسد من الرخام فوق أعلى الدرب اجلالا لشأن ليونيداس وشيدوا أثرين عظيمين تذكارا
لشجاعة أتباعه ونقشوا على الاثر الاول ان أربعة آلاف بلوبونيزى حاربوا فى هذا المحل ثلاثين ألفا
من أعدائهم وكان الثانى تذكارا لشأن الثلاثمائة اسبرطى ونقشوا عليه أيها المار من هنا اذهب
الى اسبرطة وقل لاهلها اننا أطعنا قوانينها ورقدنا هنا
وفى غضون ذلك أجرى الاسطول الجريسى ما يجب عليه من الاشغال وحارب عدة وقائع كانت جميعها
بالنجاح لجهة الجريس وأظهر من الجسارة والبسالة ما أدهش به عقول الفرس وأما الاسطول الفارسى

فضعفت حالته لوقتها وخسر الفرس أربعمائة سفينة من سفائنهم الحربية وانصدع عدد وافر من سفائن الحمولة المشحونة بالذخائر والاموال على الشاطئ فوق الصخور من عواصف شديدة وزلازل هائلة هبت عليها ثلاثة أيام وثلاث ليال حسوما وكذا هبت عواصف ثانية أتلفت من القوة الاصلية للاسطول الفارسي فرقة من السفن مقدارها مائتا سفينة كانت أرسلت من أجل الاحاطة بعبوبة وقطع خط رجعة الاسطول الجريقي من نواحي ارطميسيوم وحصل للاسطول الجريقي بعض تلفيات في نواحي بوغاز ترمو بيلي فانجبر على القهقرة الى الجهة الجنوبية وتوجه في الحال ورمى مخاطيفه في ثنية رأس سنيوم في خليج سلميس وأما الجيش الفارسي فانه تقدم في الحال في داخل الجريس الوسطى تابعا له اسطوله الا أنهم مهما كان من شجاعة تمستقل وثبات أهل اسبرطة ضاع الجريس ورضوا أن يرسلوا قوة برية لمساعدة أثينة وطلبوا جيشهم لمباشرة أشغال تحصين برزخ قورنثة بخصوص حماية بلادهم وشق كثيرا على تمستقل الزام الاميرال الاسبرطي في البقاء في سلميس حتى يأخذ الاحتياطات اللازم اجراؤها من أجل سلامة الاثينيين ولما رأى تمستقل أن أثينة لا يمكن المحافظة عليها من هجوم أردشير عليها بذل جهده في نقل الاهالي قاصدا بذلك خلاصهم من الاسر وبما أنه كان لا رغبة للاثينيين في ترك مدينتهم المحبوبة عندهم التزم تمستقل في عمل حيلة من أجل انتقالهم وذلك انه أرسل الشيوخ والكهول من الرجال وكذا النساء والولدان الى نواحي سلميس والجيسة وطربورين وأما الذين فيهم قدرة وقوة فأرسلهم على ظهر سفن الاسطول ولما وصل الفرس أثينة وجدوها خاوية على عروشها وما وجدوا فيها الا بعض متعصبين في الدين واثقين في حمايتهم بأثينى والتجؤا في قلعة المدينة فتغلب الفرس عليهم ووضعوا السيف فيهم وقتلوهم عن آخرهم وحرقوا أثينة وجعلوها آكاما وأطلالا وخرائب وفي هذا الوقت كان الاسطول الفارسي راميا مخاطيفه في جون فالبروم

ثم وقع على الجريس مصاب جديد هو أن قواد الاسطول صمموا من غير مخابرة تمستقل على السير من سلميس وأن يأخذوا موقعهم بالقرب من البرزخ لاجل اشتراكهم مع القوى البرية في المدافعة عن الجهات البلوبونيزية فيتولد من هذه الحركة أن نساء وعائلات أثينة يكونون في هذا المشروع عرضة لغارات العدو وتحت رحمة المحاربين ولما بلغ ذلك تمستقل عارض هذا المشروع وبذل جهده في منع القواد الحربية من التوجه من سلميس من وجهين الاول تعرض العائلات الاثينية والثاني انه كان مضمرا في نفسه انه من الواجب على الجريس أن تجرى واقعة فاصلة في هذا البوغاز الضيق بحيث تكون منافع هذه الواقعة عائدة عليها ولما وجد أن القواد ماراوا مصممين على ما هم عليه عمل تدبيرا آخر وأرسل رسولا الى أردشير يقول له ان المجلس الجريقي انقسم الى حزبين ويحثه على الهجوم على أسطولهم في الحال وهدد المخالفين بأنه الزمهم على البقاء في سلميس الى أن يشرع ملك فارس في اجراء ما عرضه عليه ومن هذا استدرأى المخالفين الذى كان يتولد منه قتل الانفس وضياع الاموال والارواح لو فعلوا ما كانوا عازمين عليه ثم ان أردشير استحسن اشارة تمستقل وحصر اسطول الجريق في سلميس وجعل اسطوله في البوغاز من جهة أطيقة وصار لا طاقة للاسطول الجريقي في حركة الانتقال وكان عدد سفن الفرس وافرا جدا وكانت نسبتها الى سفن الجريس كنسبة ٣ . ١ الا انه بمجرد وصول أخبار حركة هذه السفن الى القواد الجريقية استعدوا للحرب وكانت هذه الاخبار أرسلت لهم بواسطة ارسطيدس وكان رجع من محل نفيه ليشترك مع أهل بلاده في عاقبة أمرهم وفي صباح اليوم الثاني

استعد

استعد الاسطولان لمواجهة بعضهما البعض وكانت نتيجة هذا الحرب نصرة الاسطول الجريسي على الاسطول الفارسي وذلك انه قام ريح في صباح اليوم تولد منه انتفاخ ثقيل في البوغاز ونجم عنه تنقل في تأخيره الحرب حتى وصل هذا الانتفاخ الى أن جعل المراكب الكبيرة الفارسية على خطر وتهلكة فأمر بالهجوم فاسرعت المراكب الجريقية الخفيفة عما لم يحصل لها أذى من هذا الانتفاخ مهما كانت درجته واقتحمت على أعدائها بسهولة ومكنت بروتها النحاس من أجنابها حتى خرقتها وعرقتها واصطدم الاثينيون بالفينقيين والبلوبونيزيون باليونانيين حالفي الفرس واستمر الحرب طول النهار وعند قرب المساء انهزم الاسطول الفارسي وضعفت قوته فترك مضايق سلميس وأقلع في البحر بعد أن فقد منه مائتا سفينة وتغلب الجريق على مقدار وافر من السفن مع بحريتها وكان أردشير رتب فرقة من العساكر في جزيرة بسيطاليا الصغيرة لمساعدة سفائن الفرس وتدمير السفن الجريقية وطردها على قدر امكانهم من ناحية الجزيرة ولما تمت الهزيمة على الاسطول الفارسي عبر اريسطيدس مع جماعة من الاثينيين الى الجزيرة ووضعوا السيف في الفرس وخسر الجريق أربعين سفينة حربية في هذه الواقعة البحرية

ثم تولد من هزيمة الاسطول الفارسي ضعف قوة أردشير بالكلية واستقل كادكرباي تاريخ فارس من شماحة عتوه الذي كان واثقا به الى قطع الامل بالكلية فترك مباشرة حرب الجريس وتقهقر الى الهلسبون وأرسل الاسطول في هذا الوقت الى اسيا وترك مردونيوس بقصد التغلب على الجريس في السنة القادمة

وفي فصل ربيع سنة ٤٧٩ قبل الميلاد بذل مردونيوس جهده في فصل الاثينيين من الجامعة الجريسية ولما خاب في سعيه أغار على أطيقة فالتجأ الاثينيون ثانيا الى سلميس وتركوا مدينتهم فاحتل الفرس المدينة وطلب الاثينيون مساعدة اسبرطة فتأخر الجواب عنهم عشرة أيام فأخذهم الغضب والحنق وأرسلوا ارسالا الى اسبرطة المحترمة بنفسهم يقولون لاهلها ان لم يرسلوا المساعدة حالا الاهل بلادهم والا يكونوا ملزمين بعقد معاهدة مع العدو ويتركوا اسبرطة لما يؤل اليه أمرها فاهتم حكام اسبرطة وحصل فيهم الغيرة والحماس وأرسلوا قوة مقدارها ٤٥٠٠٠ مقاتل منها ٥٠٠٠ نفس من أهل اسبرطة خاصة وعموم هذه القوة تحت قيادة بوسانياس ولما رأى مردونيوس ذلك ترك أثينة في الحال وتقهقر الى نواحي سوطية واتخذ له موقعا فيها بالقرب من مدينة بوطية ولما تقوى بوسانياس بالعساكر الاثينية وبقوى أخرى وردت اليه من الممالك الجريقية الاخرى أجرى مع مردونيوس واقعة فاصلة تحت أسوار مدينة بلاطية انهزم فيها الفرس وحالفوهم من الجريس الشمالية وخسر الفرس خسارات مهولة وقتل مردونيوس ولم ينج من جيشه الكثير المهول الا نحو ٤٠٠٠٠ نفس وتغلب الجريق على معسكره واستحوذوا على مافيه من الذخائر والكنوز والمؤنات وجعل الجريق ميدان هذه الواقعة مقدسا وعهدوا بمحافظته الى البلاطيين بحيث يعرف كل من كان يعلن بانتهاك حرمة هذا الميدان المقدس

وفي نفس هذا اليوم تتوجت الجيوش الجريقية بنصرة أخرى وذلك أن الاسطول الفارسي وقوة برية كبيرة كسرها الاسطول الجريقي في جهة ميكالي في يونانية من آسيا الصغرى

وبهذه الوقائع والمظفرات خلصت الجريس من الاخطار التي كانت واقعة عليها من الفرس وتولد من

نصرة سلميس ودمار جيش مردونيوس ضعف قوى أردشير وافتكر فى نفسه انه لا فائدة ولا فخر فى الاعمال الحربية الا الخسارة وضعف القوة فعكف نفسه على اللذات والراحة وكان يمكنه ربما أصيب فيه وما حصل له من الخسار لو بذل جهده فى الكد والسعى فى اجرا آته العسكرية الا انه تركها من أول وهلة ومن أول مصيبة حصلت له وتغيرت أحواله بالكلية من هاتين الحادثتين ومن هذا الوقت عزم على عدم معاداة الجريس واتحدت شوكة هذا الملك الاعظم من البحر الابيض المتوسط قاطبة حتى صار فى مدة اثنتى عشرة سنة لا يمكن لاى سفينة من السفن الفارسية أن تخاطر بنفسها وتظهر على مياه هذا البحر وأخذ الجريق ثارهم من عدوهم فى نظير المضار التى كانت حلت بهم منه وأعدوا أسطولا مؤلفا من خمسين سفينة وأمروه بالتوجه والسفر لمساعدة كل مدينة جريقية فى أوروبا وفى آسيا وخلاصها من أيدى الفرس وكانت أثينة أعدت معظم هذه السفن الا أن قيادة هذا الاسطول كانت معهودة الى بوسانياس الاسبرطى فطرد بوسانياس الفرس من جزيرة قبرص وعبر الهلسبونت وتغلب على بيزانطيوم وهى القسطنطينية الآن وجعلها مقرا لاقامته مدة عشر سنوات واستحوذ الاثينيون على صيصطوس من بعد حصار طويل وهى مستعمرة كانت أسست فى خرسونس من تراسة والذى أسسها ملتيادس عم الفارس مرثون

(الباب الخامس)

﴿ سلطة أثينة وسيادتها ﴾

الفائدة الحقيقية لاثينة من الحرب الفارسى — تشييد المدينة ثانية على منوال عظيم وسياق عراض — تحصينها وتقويتها — غيرة اسبرطة وحسدها — هزيمة تمستقل الاسبرطيين — أهمية أثينة وشهرتها فى الاعمال البحرية — عزل بوسانياس من قيادة الاسطول الجريقى — توظيف قائد أثينى — تشكيل اتحاد الديلوسى وتقرير رياسة أثينة — صيرورة صكيروس خراجية لاثينة — صيرورة أثينة المملكة الرئيسة فى الجريس — خيانة بوسانياس — موته — سقوط تمستقل وموته — موت أريسطيدس — سيمون — تغيير فى الاتحاد الديلوسى — نجاح سيمون وفوزه — عصيان الرقيق — طلب اسبرطة مساعدة أثينة — قبح أعمال الجيش الاثينى — سقوط سيمون — قيام حرب الاشراف فى أثينة — شوكة بيركلس — أشغاله ضد اسبرطة — استمرار الحرب مع فارس — مظفرات أثينة على قورنثة وايپيدروس وايجينة — انشاء الاسوار الطويلة فى أثينة — مساعى اسبرطة ضد أثينة — محبة سيمون الوطنية — طلبه العود الى وطنه — واقعة تناجره — اذلال اسبرطة — مشاحنة بخصوص كاهن دلفى — تجديد الحرب مع اسبرطة — ضياع بيوطية من أثينة — وجود معظم الاثينيين مع بيركليس — تحلية المدينة وزخرفتها — بناء الميدان — نهوض السلطة العقلية لاثينة — نفور أعضاء الاتحاد الديلوسى — عصيان ساموس — حطم العصيان

الحرب الفارسى وان كان مصيبة عظمى فى الظاهر على أثينة الا انه جعلها فى آخر أمره منبع العظم وسعادتها وتولد من قتل الانفس التى طابت منهم قيام حب الوطن فى أثينة وأسبل على الاثينيين شعائر الاستحواذ على شوكة ما كانت تخطر لهم على بال من قبل وكان خلاص الامة الاثينية بواسطة تمستقل

بكونه أمرهم أن يتركوا مدينتهم وما تؤول اليه عاقبة أمرها ووثق فى خلاصهم بواسطة مراكبهم وبالنصرة العظيمة التى حصلت فى سلميس ونتائج الظفر على مملكة فارس ثبت لهذا الرجل الجليل السياسى أنه هو الرجل الحقيقى الذى يمكن التعويل عليه فى المستقبل وجلب الامة الاثينية الى حالة بها صارت أثينة ذات قوة قوية بحرية بعد أن كانت لا تملك لنفسها سفينة واحدة وخضعت لاعماله جميع طوائف الامة الاثينية

ولما عاد الاثينيون الى وطنهم من جهات مفاهم التى ألزموا بالتوجه اليها فى نواحى سلميس وايجينة وطروزين وجدوا مدينتهم كوما من الاطلال والخرائب والاحجار فأعدوا ملاجئ وقتية لعائلاتهم وشرعوا فى بناء مدينتهم مرة ثانية على منوال عريض وهيئة أظرف من الهيئة الاولى وأقروا رأيهم على تحصينها بسور فتولد من بناء هذا السور قلق كبير وكراهة عظيمة عند المتحالفين معها خشية من أن يحصل لها أدنى زيادة فى قوتها وعظمة فى شوكتها وتمارس الايجيون مع الاسبرطيين فى توقيف هذا الشغل الا أن اسبرطة ما كان لها طاقة على الزام الاثينيين وجبرهم بالقوة والاقتدار على مثل هذه الاعمال لكنها على أنها كانت على غيرة وحسد منها اجتهدت فى كونها تمنع عسكرها وخديعتها الا يمكنها أن تجريه بطريقة قهرية مفتوحة ورأت مناسبة أفعالها مع تمستقل من كثرة حذاقته ومهارته فى المحاورات معها بشأن بناء الاسوار وجد زمن للاثينيين أمكنهم فيه تشغيل واتمام أسوارهم الطويلة حتى صار لا يمكن لاسبرطة بأى حالة كانت توقيف هذا الشغل من دون اعلان حرب جهرى وحفظ تمستقل مع البسالة والسماحة مشروع أهل بلده والتزمت اسبرطة بالتصديق على تمام بناء الاسوار من بعد أن عرفت أن لا حيلة لها فى نفسها ولما صارت أثينة فى حالة جيدة من المحافظة بأسوارها أحاط تمستقل بيروس ومونيخيا بأسوار قوية التحصين وأصلح الميناء وعرّضها حتى صارت محلا أمينا وملجأ رحبا للاسطول السامى المقدار الذى كان شرع فى انشائه من أجل حفظ أهل بلاده وتم اعادة بناء المدينة فى أوقات قليلة وأدخل أيضا تمستقل بعض تغييرات مهمة فى النظامات والقوانين بواسطتها ارتقى صنعاء المدينة الى درجة الشرف فى المملكة وتقدمت أثينة تقدما رائدا عن الحالة الرديئة التى وجدها عليها الحرب الفارسى ودخلت فى الاعمال السياسية حتى صارت هى المملكة الرئيسة فى الجريس وجهزت ثلاثين سفينة للاسطول الذى أرسل لمساعدة المدائن الجريقية من أجل خلاص اخوانهم الموجودين فى آسيا من أيدى الفرس من بعد واقعة بلاطيه وميكالى وعهدت قيادة هذه الحملة الى بوسانياس كما تقدم ذكر هذا فتعالى بوسانياس وتفاخر نفسه بما حصل له من الظفر فى بلاطيه ورأى فى منامه أنه صار رجلا جليل القدر سامى المنصب فرغب أن يجعل أهل بلاده قربانا لمطامعه وطموحه ودخل فى محاورة سرية مع فارس وصار سيره وأعماله نحو أهل بلاده من أقبح الاشياء وتولد منه أن قواد الجريق ارتاعوا من أعماله وارتابوا فى أفعاله وأغراضه الحقيقية وطلبوا رجوعه وعوده الى بلاده ومن قبل حضور القائد الاسبرطى الجديد ارتاب يونان الجريق من اسبرطة وخطر ببالهم أنه اذا كانت السيادة البحرية فى يد الاثينيين فانهم يكونون فى أول درجة فى المحاربات البحرية وطلبوا ارسطيدس وسيمون من أجل تقليد رياسة القيادة البحرية فى اسطول المتحالفين فحصل طلبهم على الفور ولما وصل دورسيس القائد الجديد الاسبرطى لم يتجاسر على المداخلة فى هذه التدبيرات

وما حصل من الاسطول هذا الفعل فقط بل حصل أيضا تعصب فى كامل النظامات الجريقية وقرروا

لاثينة الشوكة والسيادة في الجزائر وبواسطة ارشاد الحاذق اريسطيدس وكان مثل البرق في احكام هذه المنفعة التي تقررت لاثينة صار تشكيل تحالف أو جامعة دخل فيها الاثينيون واليونانيون وجزائر رودس وكوس ولسبوس وطندوس وملطوس وكافة المدائن الجريقية الموجودة في بحيث جزيرة كالثيدونيه وبيزانطيوم (القسطنطينية) وربطوا أنفسهم في عقدة واحدة على الاشتراك في مساعدة بعضهم بعضا بما يلزم من المقاومة ضد ما يحصل من التعدي من مملكة فارس عليهم وكان التحالف مشتملا على أن كامل ما يكون عند أثينة من القوة البحرية هو من أجل المحافظة من فارس وصار تنظيم وترتيب مواد مفصلات التحالف بواسطة اريسطيدس فأثبت القيادة لاثينة ورضي بذلك كافة أعضاء الاتحاد رضاء قلبيا وشكروا أريسطيدس على استقامته وخلوص نيته وحسن طويته وضربوا ضرائب على كل واحد من أعضاء الاتحاد سموها بالضرائب الفورية وعينوا حكاما لتقرير هذه الضرائب وتقسيطها وجبايتها وتقرر محل ماليتها ومحل التئام مجلس الاتحاد في جزيرة ديلوس المقدسة ومن ثم عرف هذا الاتحاد باسم الاتحاد الديلوسي

ومن بعد تشكيل هذا التحالف بقليل رجع اريسطيدس الى أثينة وخلفه في قيادة الاسطول سيمون وفي نحو سنة ٤٧٥ قبل الميلاد تغلب سيمون على مدينة عيون الموجودة على نهر صطريمون وفي نحو سنة ٤٧٠ قبل الميلاد طرد سكان جزيرة صكيروس من جزيرتهم لما أعلنوا بجريمة قطعهم طرق البحر وأسكن هذه الجزيرة بالاثينيين ومن ثم نالت أثينة موقعا بحريا جليلا وحازت الدرجة الاولى القاطعة في الاعمال ودخل الاثينيون في ميدان شاسع من الاشغال ثم ان اسبرطة استقبحت جدا تشكيل هذا الاتحاد الديلوسي مع تجرع الغصص من قبلها واعتبرته انه تعدي على حقوق سلطتها وسيادتها الا أن خوفها من فارس في كونها ربما تجتهد في الغلبة على الجزائر حثها وجربها بأن تسمح للاثينيين في سيرهم فيما شرعوا فيه موقتا ثم من بعد مدة قليلة ضاع أثر سيادة اسبرطة وشوكتها بواسطة قبح سلوك قوادها وامسكها المهرة الماهرين من الاثينيين وأقامت الاعمال العظيمة التي شيدها تمستوكل في أثينة حتى جعلتها في أرقى موقع في الجزائر وكذا تولد من نباهة اريسطيدس وعفته أن صار لاثينة طاقة على اكتساب هذا الموقع الجليل من دون أن يحصل نفور من محالفيها في أي وقت من الاوقات طالما تكون صداقتهم ووداده لها ضروريا عندها وفي هذا الوقت صار نفوذ اريسطيدس وشوكته زيادة عن شوكة خصمه تمستوكل في أثينة وسبب ذلك ان تمستوكل أشيع عليه بعدم وثاقة الاثينيين به لانه تناثرت في حقه أقوال أوجبت غضب الاثينيين عليه من كونه كان يقبل الرشوة والبرطيل في فصل القضايا والدعاوي المتعلقة بالجزائر اليونانية وتصدى له حزب الاشراف تحت قيادة سيمون بسبب ما كان يصدر عنه من الاوامر التي بها زادت سلطة العوام على مصاريفهم فمن هنا ضعفت شوكته وزادت اهانته ولما صار طلب بوسانياس من بيزانطيوم اتهم تمستوكل في ذنب الخيانة التي حصلت من بوسانياس الا أنه وجد بريئا في التحقيقات التي حصلت ومع هذا اشتد عليه غضب حزب الاشراف حتى صار نفيه نفيا مكرما من أثينة فذهب الى أرغوس ساخطا من مثل هذه المعاملة ثم أعيد الى أشغاله ووظائفه العالية مع الاسف على ما حصل له ومن بعد مضي خمس سنوات لما ظهرت على بوسانياس الخيانة في مخابرته مع ملك الفرس هرب بوسانياس المذكور الى معبد أثينى ودخل في المحل المصنوع من النحاس واختفى فيه ولما صار لا طاقة لاحد على اخراجه من هذا المعبد خوفا من الوقوع في جريمة انتهاك الحرمة المقدسة سد

الحكام قد اختل المعبد وكشفوا سقفه وتركوه فيه يموت جوعا معرضا للحوادث الجوية ثم نقلوه من المعبد لما وجدوه صار على شرف الموت خيفة من أن رمته تنجس طهارة المعبد ومات قائم بالاطلية بهذه الحالة الشنيعة

ومن بعد موت بوسانياس وجد في ضمن أوراقه أوراق استدلوا منها على ان تميستوكل الذي كانت ظهرت براءته عند تهمته الاولى في الخيانة له يد ورجل في الدسيسة مع فارس فالتأم الاثنان مجلس الحالفين في اسبرطة وأمر بالقبض عليه فهرب ناجيا بنفسه حتى وصل الى الديوان الفارسي من بعد أن قاسى الاهوال وتحمل مكابد الاسفار وقبل في الديوان بأجل ترحاب وعين لاقامته محل في مدينة مغنيسيا وقطنها حتى مات في سنة ٤٤٩ قبل الميلاد

وتولد من موت اريستيدس في سنة ٤٦٨ قبل الميلاد أن صار النفوذ الاكبر في أثينة الى سيمون وقائد حزب الاشراف وكان سيمون كثير الثروة والاموال وكان يصرف نقوده مع الحرية التامة في ظرافة وتحلية مدينته ويوزعها على مصروفات المملكة ثم ان جزيرة ناكسوس أكبر جزيرة في جزائر السكلادة خافت من الاعمال الجارية بواسطة أثينة في كونها مستعملة نقود الاتحاد الديلوسي وسطوة نفوذه في توسيع أعمالها وأشغالها فخرجت من الاتحاد فتوجه اليها سيمون في رأس الاسطول الاتحادي وأخضعها وجعلها خراجية لاثينة وفي نحو عين هذا الوقت طلب جميع الممالك الصغيرة الداخلة في الاتحاد الديلوسي أن يدفعوا خراجا سنويا مقررا من النقود الى مالية الاتحاد بدل تجهيزهم ما يخصهم من المراكب اللازمة للاسطول فأجيبوا في طلبهم هذا ومن ثم جردوا أنفسهم من مقاومتهم أثينة وهذه أوصلت درجة أسطولها الى أعظم نهاية في المنعة والرصانة وفي نفس هذه السنة سار سيمون في أسطول مؤلف من ٣٠٠ سفينة منها ٢٠٠ سفينة من السفن الاثينية وطرد جميع الفرس من عدة مدن في كاريا وليسيا من جهات آسيا الصغرى وهزمهم في البحر والبر عند نهر أوريمدون في بمفيليا وفي حال رجوعه الى بلاده قابل ثمانين مركبا كانت آتية لتقوية الاسطول الفارسي وكان لا معلومية لتلك المراكب بهزيمة الاسطول الفارسي فأبادها سيمون جميعها وتولد من هذه كسر شوكة المملكة الفارسية بالكلية وطرد الفرس من البحر الابيض المتوسط ومن سواحل آسيا الصغرى وعد ذلك من أعظم المكاسب التي تحصل عليها الجريق ولو أن سيمون كان الخصم السياسي الى تميستوكل لكنه سار في سياسته الداخلية والخارجية على منهاج هذا الرجل السياسي مع شدة العزم ثم ان الاثينيين شرعوا في غرس خط من المستعمرات في نواحي تراسة فعارضهم في ذلك أهل جزيرة طاسوس وكان لهم أملاك كثيرة جليلة القدر في نواحي تراسة فمن ثم انتشب حرب بين أثينة وأهل جزيرة طاسوس وفي نحو سنة ٤٦٣ قبل الميلاد خضعت طاسوس وصارت خراجية لاثينة ومنها استحوذت أثينة أيضا على الاسطول الطاسوسي وعلى كل ما كانت تملكه هذه المملكة من الاملاك في تراسة

ولما اشتد الكرب على الطاسوسيين وصاروا على آخر درجة من جهد أعمالهم طلبوا من اسبرطة مساعدتها لهم فمع أن اسبرطة كانت في محالفة مع أثينة الا أنها لم تتردد في الاستعداد للهجوم والغارة على أثينة فأتاها الصد الذي منعها من توجيه أغراضها وذلك انه حصل زلزلة مهولة هدمت مدينة اسبرطة وهلك من سكانها نحو من ٢٠ نفس في سنة ٤٦٤ قبل الميلاد فانتهز العبيد أو الرقيق الفرصة في أثناء المصائب التي حلت بأسيادهم وقاموا في ثورة وانضم اليهم المسينيون

وحصنوا أنفسهم فى جبل إثومى فى مدينة وكبسوا على الاسبرطيين بشدة وقوة حتى ألزموهم طلب المساعدة من محالفيهم وكان من ضمن المحالفين لاسبرطة أثينة التى كان الاسبرطيون مصممين على خرابها وقت نزول المصائب عليهم وما كانت هذه الزلزلة الحادثة من جملة حوادث عديدة ومصائب شديدة حلت باسبرطة حتى أضعفت قوتها ونزعت منها شوكتها

فأجاب سيمون وحزب الاشراف طلب مساعدة الاسبرطيين وبذلوا جهدهم فى ذلك وكان نفوذ هذا القائد سيمون على وشك الزوال لان غزوته على الطاسوسيين تسبب منها عدم اعتماد أهل بلاده عليه إذ أنه لم يحصل لهم شئ لا فتح ولا تغلب على تراسة أو مقدونيا ومن المحقق أن بيركليس اتهمه فى كونه أخذ رشوة من ملك مقدونيا وتركه فى حالة سلم مطمئنا فى مملكته ومع هذا فان سيمون نجح فى مساعدته اسبرطة وساق لمساعدتها قوة قدرها ٤٠٠ نفس من العساكر الثقيلة ولما عرف الاسبرطيون الغش من جهة محالفيهم ارتابوا فى وثوقهم واعتمادهم بالاثينيين فانتهزوا أول فرصة وطردوهم من عندهم وقالوا انه لا لزوم لهم عندنا فى الخدمة وكانت حجتهم فى ذلك أن الاثينيين الذين أظهروا مهارتهم فى أنواع الحصارات لم يحصل منهم أدنى نجاح فى التغلب على إثومى القاطن فيه رقيق العصاة وفى نفس هذا الوقت أبقى الاسبرطيون العساكر الذين جهزها لهم محالفوهم الآخر وعاد سيمون الى بلده متوجا بتاج الخيبة وعدم النجاح تحت حجب الاهانة والعار الذى انحط على أهل بلاده من الحالة التى استحوذ عليها فى خدمته اسبرطة فمن ثم صار انحطاط نفوذه وصار على شرف الزوال ومن هذا الوقت نهض حزب الاشراف الى شوكة عالية تحت قيادة بيركليس وكان بيركليس شريف المولد وعمود نسب أمه من برنسان صكيون وعائلة القميونيدى وأما أبوه اجزنطيبوس فكان متصلا مع بيزيسطراطوس وكان يشابهه على ما قيل فى الذات والصفات وكان بيركليس رزين العقل كثير الصمت جيد الطبع شريف الاخلاق حسن الطلعة معتزلا ومنعكفا على أشغاله وأعماله بعيدا عن الجمعيات والمجالس وما ظهر الا فى العموم فقط بسبب ما شوهد فيه من الذكاء والنباهة ورأى الناس فيه ذكاء فى العقل وفصاحة فى المنطق الا أنه كان فى القيادة العسكرية أقل من تمستقل وسيمون وكانت ادراكاته العقلية حادة جدا وتهذب مع الدقة والاعتناء ولازم مجالس الفلسفة وواظب على ممارستها مع أنكساغوراس وبروتاغوراس وطينو والفلاسفة الاخر وكان أستاذ الفصاحة والبلاغة وتعرفيها وقالوا انه كان أول واحد من الاثينيين استحسنت مخاطباته واكتسب الانشاء فى الكتابة والتحريرات فانتهز بيركليس الفرصة بسرعة من نجاح سيمون فى نواحى إثومى وضرب حزب الاشراف ضربة حط بها قدره وأزال عنه مجده وسعده وكانت هذه ضربة قاطعة له وغير بعض تغييرات مهمة فى قانون النظامات العمومية أضعف بها ناموس الاشراف ونفوذهم وزاد فى سلطة العوام وكانت نتيجة المداولات والمناقشات أن حكم على سيمون بالنفى والطرد من أثينة لمدة عشر سنوات نفيا مكرما بصوت الامة

ومن ثم انفرد بيركليس فى أثينة من دون منازع ولا معارض وكانت سياسته مقصورة على محافظة السيادة فى البر والبحر لاثينة وبهذا صار متقدما فى السياسة عن سياسة تمستقل وأحكم موقع أثينة السياسى وجعل هو قائد الحروب ضد مملكة فارس الا أنه جعل هذا مادة ثانوية ووجه التفاتات أثينة ومساعيها الاصلية الى اكتساب سلطة ونفوذ فى الجريس الوسطى والجريس الشمالية وأن يكون لها السيادة البرية على اسبرطة ولاجل اتمامه هذا المشروع العائد نفعه على أثينة غرس

ارتباطات

ارتباطات ودية ومحالفات حبية مع بعض الممالك البلوبونيزية وكانوا فى ثغور مخالفة مع اسبرطة واحتج فى مشروعه هذا أيضا بالمعاملة القبيحة والاهانة الفظيعة التى حصلت لاثينة من اللاسيديمونيين فى طردهم عساكرها وحث أهل بلده على فسخ محالفة اسبرطة وأما أرغوس فانها لما تمكنت من وقوع الارتباك فى اسبرطة تغلبت على ميسينة وطيرنس وبعض من المدائن المجاورة لها وعقدت أثينة معاهدة مع هذه المملكة التى تقوت بهذه الحالة ومن بعد مضى قليل عقدت محالفة أيضا مع معارة وبواسطة معاهدة معارة استحوذت أثينة على حكم المعابر والدروب التى يتيسر منها للجيش البلوبونيزى الدخول فى الجريس الوسطى وكذا صار لها الحكم على خليج قريصيين فتولد من هذه الاحوال عند اسبرطة البغض الشديد والعداوة الكبرى لاثينة ولاجل تقوية معارة وصلها الاثينيون مع مينتها بخطى استحكامات متوازيين ورتبوا فيهما عساكر محافظين من عساكرهم

وفى غضون ذلك كانت المحاربات والمجادلات مستمرة مع فارس وكان اسطول الاتحاد الديلوسى محافظا فى سواحل آسيا وفى نحو سنة ٤٦٠ قبل الميلاد تولد من عصيان اناروس فى مصر انتهاز الفرصة للحربى فى ضعف شوكة فارس فى تلك الجهة بمساعدة عصيان احداً فالمها المهمة حتى اعدها وأرسل الجريق المساعدة لمصر وكانت نتيجة ذلك ما ذكرناه سابقا فى تاريخ مصر فى الجزء الاول

ثم خاف كل من قورنثه وايبيدوروس وايجينه من ازدياد شوكة الاثينيين وعلى الخصوص من انقياد الاتحاد الى مقاصد أثينة فعزموا على توقيف ما هو مرعى عندهم أنه من المضار والاخطار فى الطمع فيهم فانهزم هؤلاء المتعاهدون فى واقعة بحرية حصلت بالقرب من ايجينه وخسر الايجينيون جزأ عظيما من اسطولهم وانهزم القورنثيون فى البر شر هزيمة وكانت هذه الهزيمة فاصلة فى الحرب وتقوت أثينة بهذه النصرات التى حصلت لها وأما اسبرطة فانها لم تزل مشغولة فى حصار إتومى ومحاربتها مع الرقيق وان كان شوقها ورغبتها والها أن تشاهد نعيها تكسيح خصيمتها الا أنها انجبرت على البقاء فى مركزها تنظر ما هو حاصل من المنازعات والمضاربات

ولما رأى بيركليس القلاقل والارتباكات المهملة على بلده أمر بانشاء الاسوار الطويلة فوصل بها أثينة الى مينتيها بيروس وفاليروم وكان طول السور من أثينة الى فاليروم أربعة أميال ومن فاليروم الى بيروس أربعة أميال ونصف وكانت هذه الاشغال المهولة تعد من عجائب الوقت ومما حصل عند الاثينيين الشماحة العالية

ثم ان اسبرطة صممت على أن تضرب أثينة ضربة قوية وتوقفها عند حدها مهما كان حاصل عندها من أشغال حرب الرقيق فاحتجت فى ذلك بمساعدة الدوريانيين وكان الفوسيانيون أغاروا على أراضيهم وبلادهم وأرسلت قوة مقدارها ١٥٠٠ نفس اسبرطى من عساكرها الثقيلة و ١٠٠٠٠ من عساكر محالفيها الى جهة دوريسه فتقهقر الفوسيانيون وابتدأ الجيش الاسبرطى فى اجراء الحركات الحقيقية من أصل هذه الحالة وهى تدمير شوكة الاثينيين فى بيوطيه وأما نفس اسبرطة فانها أجمعت على عقاب طيبة فى نظير محالفتها مع فارس فى واقعة بلاطية ثم ان الجيش الاسبرطى شرع فى مساعدة ما عزمت عليه اسبرطة بكونه أعاد بناء أسوار طيبة ثانيا وأخضع لقيادتها مدائن بيوطيه ودعا حزب الاشراف فى أثينة الاسبرطيين للحملة على أطيقة وتوقيف شغل بناء الاسوار الطويلة عما أنهم أجهدوا أنفسهم فى ابطاله ولم يمكنهم تدمير الحكم الديمقراطى فقبل الاسبرطيون هذه الدعوة وأخذوا لهم موقعا

في طنغره على حدود أطيقة فارتابت الحكومة الاثينية من هذا القصد وأسرعت في جمع قوة من العساكر على قدر امكانها وبالمكن توفيره من حصار ايجينه وكان لم يزل هذا الحصار آخذا في التقدم وسارت هذه القوة على الاسبرطيين في سنة ٤٥٧ قبل الميلاد وانتشب بين العسكرين واقعة دموية وترك التساليانيون في ثوارة حرب اللاسيذيمين فتولد لاسبرطة من هذا الترك حصول النصر ومع هذا فان ما حصل عندهم من الخسائر والتلفيات منعهم من الغارة على أطيقة وتقهقروا الى نواحي بلوبونيزه
وقبل الواقعة كان سيمون حصل عنه الارتياب الشديد من تداخل حزبه في دسيسة حيابية لاثينة فاسرع الى معسكر الاثينيين من دار منفاه وخضع لهم بكل حمية وغيرة في أن يسمحوا له في المحاربة مع أعداء بلاده فلم يقبلوا منه هذا الطلب فخرج من المعسكر الا أنه كفل شرذمة كبيرة من أعز أحبابه وأصدقائه الخاضعين لاوامره وكانوا موجودين في المعسكر يبذلون ما في طاقتهم في خلاص أنفسهم من عار تهمة الخيانة التي نسبت اليهم فحملوا بانفسهم مع البسالة والشجاعة في الواقعة حتى أزالوا جميع الشبهات التي كانت راكبة فوق ظهورهم وظهر فائدهم وبمجرد عود الجيش الى أثينة أصدر بيركليس أمرا نافيا لامر نفي سيمون
وفي السنة التالية أي في سنة ٤٥٦ قبل الميلاد سار الاثينيون الى داخل بيوطيه وهزموا البيوطيين في نواحي عينوفيطه وخربوا جميع ما فعله الاسبرطيون وردوا شوكتهم كما كانت ورتبوا حكومة ديمقراطية ومن بعد مضي قليل صار اضافة فوسيس ولوكريس الى ما تغلب عليه الاثينيون وفي سنة ٤٥٥ قبل الميلاد خضعت ايجينة وصارت حليفة خراجية وتم بناء الاسوار الطويلة ثم أقلع اسطول أثيني وسار حول بلوبونيزه وحرق مين اللاسيذيمونيين في بطوني وعطيوم وفي هذه السنة خلت إتومي من الرقيق والمسينيين فصار توطن هؤلاء بمعرفة الاميرال الاثيني في نوباقطوس وهي مدينة في لوكريان أوطالي بالقرب من فم خليج قورنثة وبواسطة هذه الحالة التزمت أتصاخر تاطابيطوس وسيفالونيا بوصل محالفتهم مع الاثينيين فمن ثم صارت أثينة صاحبة السلطة السامية في الجريس الوسطى والجريس الشمالية وفي البحر الابيض المتوسط
ثم انه لم يحصل من جهة اسبرطة أدنى كد ولا سعي في مقاومة تقدم أثينة الا انه في سنة ٤٥٢ قبل الميلاد عقدت هدنة مع أثينة لمدة خمس سنوات وفي نفس هذه السنة أقلع سيمون بالاسطول الى جزيرة قبرص لاجل التغلب على هذه الجزيرة من أيدي الفرس فحاصر سطيوم ثم ارسل قسما من أسطوله الى مصر لاجل مساعدة عصيان الملك أميرطوس وكان لم يزل محصورا عليه في نواحي مستنقعات الدلتا ومات سيمون من بعد المدة في الحصار بقليل وعهدت قيادة الاسطول الى اناكسيقراطس وهذا المار أى قلة المؤنة والذخائر عنده رفع الحصار عن سطيوم وأقلع بالاسطول الى سلميس وفي نواحي هذه الجزيرة هزم اسطول الفينيقيين والسلسيابيين وأباده وكان هذا الاسطول موجودا تحت خدمة مملكة فارس ثم أعقب هذه النصرة عقد الصلح مع فارس كما ذكرنا في تاريخ هذه المملكة
ثم قامت القلاقل والارتباكات مرة أخرى بين أثينة واسبرطة وذلك أن سكان دلفي الذين أصلهم من الدوريانيين أنشوا حقهم في تدبير أعمال مدينتهم المقدسة من دون تداخل الفوسيانيين الموجودين على أرضهم بناء مدينتهم فتداخلت اسبرطة في أمرهم وطردت الفوسيانيين من المدينة وأعادت للدلفيين امتيازاتهم الاولية وأعلنت دلفي نفسها في حالة الاستقلال وكافأت الاسبرطيين من أجل

مساعدتهم لها بنصهم الحق السابق في استشارة الوحي الدلفي وأقاموا في وسط المدينة تمثالا من النحاس ونقشوا عليه هذا الامر وهو أن الامتياز في تيسر الحصول على أول تلبية من الوحي هو من أكبر الفخامات حيث ان سلطته على أهل الديانة من الجمريق أقوى سلطة وأعظم شوكة وكانت أثينة متمتعة بهذا الامتياز من قبل فارغمت التنازل عنه ثم ترك الاسبرطيون دلفي رغم أنفهم حالما سار بيركليس اليها وأعاد الهيكل الى الفوسيانيين ونقش على الذئب النحاس أمرا يثبت لاثينة حق امتيازها القديم ولما تحقق كثير من منفي بيوطيه أن اسبرطة استقبحت هذا الفعل ودخلت في أمرهم وكانوا طردوا منها من أجل نزعهم السيادة الاثينية مرة ثانية من بلادهم وضبطوا أورخومينوس وخيرونيه وعدة مدائن غير مهمة في بيوطيه فقامت حرارة الحرب في رؤس الاثينيين الا أن بيركليس نصح أهل بلاده في أن يكونوا في حالة هدو وسكون في هذا الوقت لان الفصل غير موافق للاعمال العسكرية لكن استعد ألف نفس من شبان الاثينيين تحت قيادة طولميديس وساروا الى بيوطيا محتقرين شوكة أعدائهم ومارعوا ما قاله بيركليس فتغلبوا على خيرونيه وحفظوها بالاثينيين وبمجرد ما ترك هذا الجيش القليل المحل هجم عليه البيوطيون وقطعوه اربا وقتل طولميديس نفسه وأسر البيوطيون ما بقي من الاثينيين فالتزمت أثينة من أجل المحافظة على الاسرى وعودهم اليها رجوع المنفيين واخلاء بيوطية ورضيت باعادة حكومة الاعيان ثانيا من بعد أن كانت ألغتها وتسبب من خفة عقل الاثينيين وطيشهم ضياع سيادتهم في بيوطيه وصارت بيوطيه تعد أثينة من ضمن ألد الاعداء اليها ما عدا بلاطيه وأما فوسيه ولوكريس فانهما صاعا من أثينة أيضا وكذا عصى عليها عيوبيا ومغارا وفي هذا الوقت كان تمام نهاية هدنة الخمس سنوات بين أثينة واسبرطة فاستعد الاسبرطيون لاجل الاخذ بثار الاهانة التي حصلت لهم في دلفي وكان بيركليس سار في حملة لاجل اخضاع عيوبيا ثم عاد على الاثر حال تقدم الاسبرطيين وكانوا ساروا الى ضواحي علوسيس وهددوا أثينة فقيل ان بيركليس أنقذ العاصمة من الاسبرطيين بكونه رشى بليسطونيا كس ملك اسبرطة وكليدريديس وصيه ونائبه وكذا بخصوص انجلائهم عن المملكة وعاد بيركليس الى غزوته في عيوبيا وأرغم الجزيرة الى الطاعة والانقياد ومع هذا فان الاثينيين لم يكتسبوا أدنى فائدة من النجاح ولما خافوا من الاخطار المهددة لهم عقدوا في سنة ٤٤٥ قبل الميلاد هدنة لمدة ثلاثين سنة مع اسبرطة وبواسطة هذه الهدنة تنازلوا عن جميع ما استحوذوا عليه في بلوبونيزه ورضوا أن مغارا تكون حليفة لاسبرطة وصار بيركليس الذي كان غير معتمد عند أهل بلاده بخصوص ما حصل من اجراآته في نتائج الحرب على غاية من الوثوق والاعتماد زيادة عن الاول عند أهل بلاده

ووصلت أثينة في مدة بيركليس الى أعلى درجات مجدها وشوكتها وأعظم مدة كانت في تاريخها هي المدة التي مضت بين نصرة عيوبيا في سنة ٤٥٦ قبل الميلاد وبين الهزيمة التي حصلت في خيرونيا سنة ٤٤٧ قبل الميلاد وبعد مضي هدنة الثلاثين سنة شرع بيركليس في اجراء سياسة جعل بها أثينة أشهر مدينة وأعظمها في الممالك الجريكية وحصلت مشاغبات وربما كانت فارالها وأحمدها وعدته حزب الاشراف بأنه أحد الرجال المشهورين الذين لا تخدش أوامرهم واكتسب الثقة العظيمة مع طوائف أرباب التجارة وكان يدافع عنهم ويقويهم على الاعمال التجارية وبواسطة سيره العادل مع جميع الطوائف فيما يختص بالفوائد العائدة منه المعمم عليهم صار لهم الثقة العظيمة به وقواهم على حالة معيشتهم بنشره بينهم الاشغال والحرف والصنائع ثم شرع في أن يجعل أثينة أشهر مدينة وأجلها في

الدنيا وأن تكون مركز الفنون والصنائع ومشعاعد باتسل منه جميع النظامات العالية الشرف على جميع الامم الاخر فتساعد على ذلك بالاشغال الغريبة والفيض العميم من تبعته ورعايا مملكته وبكثرة المدخولات حسبما يطلب وفي ظرف المدة القليلة التي مضت بين هدنة الثلاثين سنة ومبادي الحرب البلوبونيزي صارت أثينة أعجوبة الدنيا القديمة وعجيبة العصور المتوسطة وكانت المدينة مزينة ومحلاة بأنواع الابنية العمومية الظريفة وبني البارثينون المفتخر أو هيكل أثيني على أكروبوليس على مقتضى تصميمات ورسم اقطينوس وقاليقراطيس وكان فيدياس ناظرا على بنائه وتشييده وحلاه بأعظم النقوش الجميلة مع تمثال أثيني المصنوع من العاج وعلوه سبعة وأربعون قدما وكذا صار بناء الاوديوم وهو تياترو أو محل الملاعب الموسيقية في الجهة الجنوبية الشرقية من ذيل اكروبولي وشرع في اعادة بناء ارخطيوم أو المعبد القديم لاثيني بولياس الا انه توقف من حصول الحرب البلوبونيزي توقيف الشغل في هذا المعبد وتحلت أكروبوليس عند خلهم في الجهة الغربية بروبيليا وكانت المدينة ظريفة مسعا للصنائع والحرف وبني سور ثالث موازا للاسوار الطويلة بين أثينة وبيروس ومن ثم صارت المواصلة مع المينة على غاية من المحافظة وكانت بيروس نفسها جميلة منتظمة فانشأ فيها رصيفا وترسانة للتعمير

ولاجل مد وتوسيع نفوذ أثينة وسيادتها وعلو شوكتها شرعت في انشاء مستعمرات في خرصوس من أعمال تراسة وفي ناكسوس واندروس حتى على سواحل البحر الاسود وفي لموس وامبروس وصكيروس وفي الجهة الشمالية من عيوبيا غرست فيها أيضا مستعمرات

وأقامت أثينة في مدة بيركليس مملكة حقيقية بحيث ان الاختلافات والمصائب التي وقعت عليها لم تحرم أثينة من مملكتها أبدا وما زالت هذه المملكة تقاسي المصاعب والمتاعب حتى استراحت في الايام الحاضرة من بعد أن خرجت من الاستعباد التركي وملكت حرية نفسها وكذا انتشرت فيها الآداب الخالية من العوارض القديمة على منوال عظيم وكانت هذه المدة مزينة باسم اصقيلوس الاب الحقيقي للروايات الهليقية والاحاديث الجريقية وصوفوكليس وأوريبيديس أكبر خلفائه وأريسطوفانيس مخترع الروايات التشخيصية في أثينة وألف صديديس وكسنوفون تاريخا في حقيقة مجدها ورمى سقراطيس أساس الفلسفة الجريسية الدقيقة الغامضة التأليف وكذا الاشغال المفتخرة التي اخترعها فيدياس والنقوش الجميلة التي لم تزل لحد الآن أنموذجا في الصنائع والاشغال منسوبة لهذه المدة واخترع طوكسيس وبراسيوس في النقش بالمونة وأوصلاه الى أعلى درجات الطراوة وكانت الاشغال الاختراعية في هذه المدة من أغرب ما يكون من البساطة ومن مدة طويلة كانت أعضاء الاتحاد الديلوسي ينظرون الى الاحوال الجارية عند أثينة بعين النفور وعدم القبول والخوف واستمرت هذه المملكة في استعمالها شوكة الاتحاد ونفوذه في تقدم منافعها الخاصة بها وجعلت جميع أعضاء الاتحاد خراجية لها ما عدا جزيرة خيوس وساموس ولسبوس وكان مدخول الاتحاد ٦٠٠ وزنة سنويا وهذا يزيد عن نصف المدخول الكلي لاثينة وكان الاثينيون يثبتون في استعمالهم هذه المبالغ على أنه متى كانت أثينة قوية الشوكة كما هو مطلوب الاتحاد فيكون لها استعداد حاضر كاف في الخروج الى ميدان الحروب للمدافعة عن الاتحاد في أي وقت وكانت مالية الاتحاد الديلوسي صار نقلها من ديلوس الى أثينة واعتقد أعضاء الاتحاد بأنهم يدفعون خراجا فقط

لاسيادهم وان بيركليس يوفرسنويا من هذا الخراج مقدارا احتياطيا لأجل لزوم استعماله فيما يتعلق باحتياجات الاتحاد ووصل هذا المبلغ الى ٦٠٠٠ وزنة أو ٧٠٠٠٠٠٠ دولر الى حد اشتعال الحرب البلوبونيزى

ولما اشتبكت ساموس فى منازعة مع المليسيانيين حول المليسيا بيون فصل مادتهم بواسطة عقد مجلس عرفى فى أثينة وكانت ساموس أكبر وأعظم أعضاء الاتحاد لهذا الوقت فلم تقبل ساموس الفصل بواسطة المجلس العرفى فعزمت أثينة على ارغامها وقبولها ذلك بالقوة الجبرية وأرسلت حملة مؤلفة من أربعين سفينة تحت قيادة بيركليس على هذه الجزيرة وأرغمها على الانقياد والطاعة ورتب فى الجزيرة حكومة ديمقراطية بدل هيئة حكومة الاعيان التى كانت موجودة فيها من قديم الزمان ولما سار بيركليس من الجزيرة طرد أهل ساموس هيئة الحكومة التى رتبها بيركليس وأعادوا هيئة حكومتهم الاصلية ولما انضموا الى بيزانطيوم عصوا وجاهروا على أثينة فى سنة ٤٤٠ قبل الميلاد فأخمد هذا العصيان من بعد حرب استمرت تسعة أشهر وبطش بيركليس بساموس و بيزانطيوم وأوقع عليهم العقاب الشديد وتولد من نصرة أثينة زيادة درجة العداوة التى كان ينظر بها اليها كثير من الممالك الجريقية وكان من الواضح انه على أى حالة ولو صغيرة حدثت يقوم عليها حرب أو جمع أقوى شوكة تكون اسبرطة هى القائدة له

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ الحرب البلوبونيزى أو المورى ﴾

عصيان قورصيره على قورنثه ـ مساعدة أثينة قورصيره ـ طلبات اسبرطة ـ استعداد أثينة للحرب ـ مبادى الحرب البلوبونيزى ـ حرب العشر سنوات ـ اغارة الاسبرطيين على أطيقه ـ الازدحام فى أثينة ـ حزم بيركليس ووطانته ـ الهجوم عليه ـ كليون الدباغ ـ الطاعون فى أثينة ـ سقوط بيركليس ـ موته ـ حداد الاثينيين عليه ـ خراب بلاطيه ـ ثورة مطلينه ـ أوامر كليون بالحكم على موت الاهالى ـ ابطال الامر ـ تقدم الحرب ـ نصرة الاسطول الاثينى فى بيلوس ـ ميل اسبرطة للصلح ـ منع كليون الفصل فى الحكم ـ البحث الطيب للدباغ ـ هزيمة الاسبرطيين فى سفاكطريا ـ مصائب أثينة ـ محاربات فى الصلح ـ موت كليون و براسيداس ـ صلح نسياس ـ الشبيادس ـ خضوع أرغوس لاسبرطه ـ الحالة السيسليانيه ـ حصار سراقوسه ـ خسارات الجيش الاثنى والاسطول ـ وقوع الرعب فى أثينة ـ الحرب الدسليانى ـ خيانة الشبيادس ـ دور الاثينيين على أخصامهم ـ وثوق ساموس ـ نجاح أثينة فى الشرق تحت الشبيادس فى عوده الى أثينة ـ مساعدته أهل بلده ـ احتيادات أثينة القويه ـ سياسة الفرس نحو الجريقى ـ واقعة صيوصمه ـ عود الشبيادس الى أثينة ـ اعطاء فارس مساعدة قويه لاسبرطة ـ ليساندر ـ سقوط الشبيادس ـ واقعة أرغينوسى ـ واقعة اغوسبوطماى ـ انحطاط سيادة أثينة ودمارها ـ تسليم أثينة للاسبرطيين ـ الثلاثون طاغيه ـ تسلطن الفزع ـ قتل الشبيادس ـ رجوع الاعمال ضد الثلاثين ـ رجوع المنفيين تحت طراسيبولوس ـ سقوط الثلاثين ـ عود القانون والنظام فى أثينة

ولما انكشفت حقيقة الاحوال للقواد الاثينية أو الرؤساء انفجرت منازعة بين قورنثه ومستعمراتها قورصيرة في سنة ٤٣٥ قبل الميلاد فدخلت فيها أثينة معضدة للقورصيريين ومن ثم حصل عقد المشاكل على القورنثيين فانعقد مجلس في اسبرطة مؤلف من عموم نواب الممالك البولوبونيزية واستقر رأى هذا المجلس على اشعال حرب على أثينة تحت قيادة اسبرطة في سنة ٤٣١ قبل الميلاد فطلبت اسبرطة بصفة كونها مدافعة عن الاتحاد الدوريانى من أثينة بعض طلبات أومنع من ضمنها نفى بيركليس من أثينة ثم تنازل أثينة عن قيادتها الاتحاد الديلوسى فلم تسمح أثينة بتنفيذ هذه الطلبات ورفضتها بالكلية فمع أن أثينة ما كانت عازمة على اجراء حرب الا أنها استعدت للاقاته

وأسرعت المبارزات وانتشبت الحروب بواسطة عمل هجوم خيانى حصل من الطيبيين على مدينة بلاطية الصغيرة وكانت على صداقتها مع أثينة فانهزم هذا الهجوم وأسر أهل بلاطيه الطيبيين وبخيانة مثل هذه الخيانة التى حصلت فى الهجوم ذبح البلاطيون أسراهم وجلبوا على أنفسهم انتقام وبطش أعداء أثينة

ثم ان جميع الجهات شرعوا فى الاستعدادات الحربية مع الشدة والعزم ودخل مع اسبرطة فى هذه المادة جميع الممالك البولوبونيزية مع مغارة وبيوطية وفوسيس وأونظيان لوكريس وامبراثيا ولوكاديا وأنقطوريا ماعدا أخايا وأرغوس وكانت جيوشهم قوية على غاية من الاستعداد الا أن أسطولهم كان أقل من أسطول أثينة ومع هذا فكان للمحالفين أمل فى أن يكون لهم طاقة على تطقيم أسطول مؤلف من ٥٠٠ سفينة حربية ويتقوون بمساعدة الاسطول الفنيقى بواسطة محالفة تعقد مع فارس وكان محالفو أثينة الموجودون على البر الاصيل تساليا وأكرنانيا ومداين نوباقطوس وبلاطيه ويضاف الى هذه ممالكها الخراجية على ساحل تراسة وساحل آسيا الصغرى وجزائر السكلادة وكذا الجزائر الصغيرة المجاورة لها مثل خيوس واسبوس وقورصيرة وطاكنطوس وفى المدة الاخيرة دخلت معها سقالونيا وجمع الاسبرطيون وما والاهم من المحالفين جيشا يختلف مقداره فى العدد من ٦٠٠٠٠ الى ١٠٠٠٠٠ نفس فى برزخ قورنثه وعهدت قيادة هذا الجيش الى ارشيداموس ملك اسبرطة فزحف على أطيقة فى نحو منتصف يونيه من سنة ٤٣١ قبل الميلاد

وامتد الحرب البلوبونيزى الذى ابتدأ من هذه الحالة سبعا وعشرين سنة وانقسم الى ثلاث مدد ممتازة فالاولى حرب العشر سنوات والثانية حملة سيسيليا والثالثة الحرب الدسليالى وتولد من هذه الحروب أيام منحوسة وأوقات منعوسة على الممالك الجريسة ماطرأت فى الجنس جزيرة أبدا قبل ذلك

وأما المدة الاولى وهى مدة حرب العشر سنوات فان الحرب انتشب بينهما من سنة ٤٣١ الى سنة ٤٢١ قبل الميلاد وذلك أنه بمجرد اغارة البلوبونيزيين على أطيقة هرب سكان المداين المفتوحة والقرى المكشوفة العديمة الحصانة والتجؤا فى داخل أسوار أثينة وازدحمت المدينة وغصت بسكانها وامتلأت محلات الاسواق والميادين العمومية والخلال الكائنة بين الاسوار الطويلة بالاخصاص والخيام وصار لا يوجد موضع من الارض يسع الانسان فيه قدمه من ازدحام أهل السواد والارياف فى سكناهم الوقتية حتى ان الناس سكنوا فى محلات بجوار الاسوار الطويلة

وفى غضون ذلك زحف الجيش البلوبونيزى على أخرنيسة بعد أن خرب سهل ثراسية وعسكر فوق أرض عالية على مرأى من أثينة وعلى مسافة سبعة أميال منها وحصل منه الدمار والخراب فى كل جهة

من جهات المملكة وكانت أفعالهم هذه على مشاهدة من أعين الجيش الاثيني وكان في داخل أسوار المدينة فصارت عساكره تزعق بصوت عال ودعونا نخرج اليهم وأما بيركليس فما كان في رغبته أن يخاطر على الخروج في الميدان الى الحرب مع قوة قليلة مثل قوته بل كان مقصده ورغبته خروج العدو من أطيقة بواسطة اجرائه هجوما على بلوبونيزه فسار في هذا التدبير مع الثبات وحزم الرأي وأجرى هجومات متواصلة أثبتت له شجاعته وحب وطنه واشتهر بين قواد تلك الهجومات على السياسي الاكبر كليون وكان كليون هذا زعيما من أرباب العبارات وكان دباغا من المفسدين في الارض فأراد أن يعمل عملا جليلا يشتهر به في عصره فدخل في الحروب وأطلق عليه اسم أبو العبارات وأسرع بيركليس في جمع أسطول مؤلف من ١٠٠ سفينة من السفن الاثينية وخمسين سفينة من سفن قورصيرة وأرسل هذا الاسطول لاجل تخريب سواحل بلوبونيزه وأرسل أسطولا صغيرا مؤلفا من ٣٠ سفينة لاجل الهجوم على فوسيس ولوكريس فكانت هذه الغزوات على غاية من الظفر حتى التزم البلوبونيزيون على ترك أطيقة من بعد حروب غير قاطعة امتدت ثلاثة أسابيع لانهم اجبروا على حفظ بلادهم وحمايتها

وفي فصل ربيع سنة ٤٣٠ قبل الميلاد أغار البلوبونيزيون على أطيقة مرة أخرى تحت قيادة أرشيداموس وفي هذا الوقت انفجر الطاعون في أثينة وتسبب منه موت مفزع في الاهالي المزدحمة على بعضها فقام جميع الطوائف مخالفين على بيركليس ورفضوا أعماله واجراءاته لانه كان أصلا لحصول الغم والاكدار التي حاقت بهم مع أن عزمه في الحقيقة وحزمه على حفظهم ونجاة أنفسهم ومع هذا فان بيركليس سار في مشروعه مع الثبات من دون صد ولا منع ولا تزعزع لانه كان متحققا أن أثينة لا طاقة لها على أعدائها في البروات المخاطرة من غير تدبير في انتشاب واقعة ربما يحصل منها عاقبة خطرة على بلاده فلاجل خلاص أطيقة جهز غزوة بحرية أخرى وقادها بنفسه لاجل خراب سواحل بلوبونيزه ولما رجع الى أثينة وجد الحنق عليه ازداد قوة وتجاسروا في مدة غيابه حتى أرسلوا رسلا الى اسبرطة في طلب الصلح فطرد الاسبرطيون الرسل مع الاهانة والذل من دون أن يسمعوا منهم شيئا وهذه الحالة كانت على بيركليس من أشد الاحوال فطلب السياسي الاكبر في الحال التئام مجلس عام وجمع في تحريض وحث أهل بلده على الحرب الا أنه لم يتيسر له الحصول على أن يزيل ما زرع في قلوبهم من عدم الثقة به حتى اتهمه كليون أبو العبارات مجاهرة أمام المجلس باختلاس أموال المالية وسرقتها فأمل أعداء بيركليس بأن اثبات هذه التهمة عليه موجب لخلعه وعزله من الوظيفة العمومية ومن ثم صار محاكمته أمام الجمهور بشأن هذه التهمة وحكم عليه بدفع غرامة كبيرة ثم ظهر من الدلائل لعموم الناس أنهم كانوا قادوا أنفسهم الى ظلم وجور بغير عدل وانصاف على عظيم قوادهم وأقاموا أعماله كما كانت وانتخب في الانتخاب العام والظاهر أنه نال مرة ثانية ثقة أهل بلاده ومحبتهم له ومع هذا فان مثل هذا العدل جاء في وقت متأخر وهو آخر حياته

ومات في الطاعون كثير من أصدقائه وأحبائه الذين كان يثق بهم ويثقون به من أرباب السياسة وأهل المعارف وماتت أخته وولدان له شرعيان وفي أثناء احتفالات جنازة ولده الاصغر ذهب عزم بيركليس وثباته وسكب عبراته على حدوده أمام الامة وصار بيته القديم خاليا من وارث يرثه وان ابنه الباقي على قيد الحياة وهو ابن اسباسيا ابن غير شرعي ثم ان الاثينيين جعلوا هذا الابن شرعيا تكفيرا لما حصل منهم

من الظلم والجور الذى عاملوا به آباه وسموه بيركليس ومن بعد مضى سنة اضطجع القائد الاكبر على فراش موته ولما تذكر أصدقاؤه حسن مساعيه ومشروعاته وقت نعيهم عليه حسرة على فراقه أدار وجهه اليهم وقال لهم كل ما تثنون به على جزء من السعادة العظيمة وكنت أنا مشتركا فى جميع الوقائع العمومية مع قواد أخر فبأى شئ أنا أفتخر بنفسى فى شئ لم تتذكره أهل أثينة فى حقى حتى ولا الطرن على أو قال بيركليس ان كثيرا من القواد حصل لهم النجاح وان المدح الذى أطلبه هو أنى لا امر أحدا من الاثينيين بلبس الحداد على ومات فى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد هذا الرجل العظيم الجريء السياسى المدبر ولبس عليه الحداد كامل الامة ونعوه وقت موته وكان يوم موته حزنا عاما فى أثينة عند جميع طوائف أهلها

وفى أثناء ذلك كان الحرب جاريا مجراه وفى الحرب الثانى سنة ٤٣٠ قبل الميلاد حزب البلوبونيزيون جميع جهات أطيقة حتى نهبوا معادن الفضة الموجودة فى لوريوم وخرب أسطوا لهم معاصات اللؤلؤ ومحلات صيد الاسماك وخرب جزيرة طاكسطوس وأما النجاح الوحيد الذى حصل للاثينيين فهو تغلبهم على بوطيديه وهذه سلمت من بعد حصار استمر سنتين وكانت محتلة بمستعمرة أثينية مؤلفة من ألف شخص

وفى سنة ٤٢٩ قبل الميلاد سار الاسبرطيون الى بلاطية ووضعوا حصارهم عليها فاجتهد البلاطيون فى رجوعهم عنها وذكروهم بالقسم الجليل الذى حلفه النائب الاسبرطى بوسانياس من بعد النصرة الكبيرة التى كانت حصلت فى بلاطية بان هذه المدينة الصغيرة يلزم أن تكون مقدسة الى الابد ولا يحصل فيها محاربات فأجاب الاسبرطيون بانهم يحترمون هذا القسم لو تركت بلاطية محالفة أثينة فافتكر أهل المدينة أنهم الآن صاروا عرضة للانتقام والبطش بهم من هؤلاء المعاهدين فى نظير ذبحهم الاسرى من الطيبيين فلم يقبل البلاطيون ترك محالفتهم أثينة فتعلدوا على مدينتهم بعد أن دافع البلاطيون عنها مدافعة قوية وبذلوا جهدهم فيها مدة امتدت نحو سنتين وقتل الاسبرطيون كل من كان فيها من السكان ودمروا المدينة بالكلية وأعطوا أراضيها الاهل طيبة وفى سنة ٤٢٧ قبل الميلاد هزم أسطول أثينى مؤلف من عشرين سفينة أسطولا اسبرطيا مؤلفا من سبع وأربعين سفينة ونال هذا الاسطول نصرة ثانية على أسطول اسبرطى تألف جديدا وكان مركبا من سبع وسبعين سفينة وهاتان الواقعتان حصلتا فى خليج قورنثه

وفى السنة الرابعة من الحرب عصت مطلينه عاصمة جزيرة لسبوس على أثينة وطلبت من اسبرطة حمايتها فاقتصار قبولها فى الاتحاد البلوبونيزى وأرسل أسطول اسبرطى لمساعدة عصيان هذه المدينة فى فصل ربيع سنة ٤٢٧ قبل الميلاد الا أن الاثينيين استردوا المدينة قبل وصول الاسطول الاسبرطى اليها وكان الاثينيون حاصروا مدينة مطلينه بمجرد عصيانها من دون اهمال وان معظم الاهالى الذين رجحوا حكم الاثينيين على حكم هيئة الاعيان عندهم قاموا فى ثورة وأرغموا حاكم المدينة على التسليم والانقياد للاسطول الاثينى واحتل الاثينيون المدينة وآلت عاقبة أمرها الى ما تختاره أثينة فى أمرها وأهلها وبواسطة ما كان لكليون من النفوذ والسلطة فى المجلس أصدر المجلس أمرا بقتل رجال مطلينه واسترقاق النساء والاولاد وخيفة من رد هذا الحكم البربرى القطعى أمر كليون بتسيير سفينة حربية فى الحال الى لسبوس بأوامر المجلس ثم تفكر الاثينيون ليلا وفى صباح اليوم الثانى

طلبوا انعقاد المجلس ثانيا فتيح لهم بانعقاده من طرف القائد العمومى ولما كان انعقاده بهذه الحالة مخالفا لمواد القانون المدنى ألغى فى المجلس الامر الذى صدر منه فى اليوم السابق بشأن أهل مطلينة وصدر أمر بخلافه بابطاله وتعين لذلك مركب حربى سريع الجرى على ظهر الماء وصار تجهيزه بحرية من أقوى وأجود البحرية وأمر واقائده فى الحال بالسفر والاسعاف بتوصيل الامر الى حاكم لسبوس قبل أن يقضى تنفيذ الامر الذى أرسل اليه أمس وأن تبذل البحرية جهدهم ووعدوهم بالمكافأة وحسن الالتفات اليهم لو وصلوا فى الوقت الى لسبوس بالامر القاضى بالغاء أمر قتل رجال أهل مطلينة فاجتذبت قوى البحرية الى المجاديف وكانوا ينامون عليها ويأكلون ويشربون وهم يشتغلون على مجاديفهم ومن السعادة أنه كان الطقس صحوا جدا فوصلوا لسبوس فى الوقت الذى كان فيه القائد الاثينى مستعدا لتنفيذ حكم ما فى الامر الاول وعوقبت المدينة بهدم أسوارها وتسليم أسطولها الى الاثينيين وقتل رؤساء هيئة حكومة الاعيان التى كانت بها

ثم ان قورنته عزمت على الاستحواذ على جزيرة قورصيره وخروجها من معاهدة أثينة على شرط أن تسلم للقورصيريين أسراهم الذين كانت قورنته أسرتهم فى سنة ٤٣٢ قبل الميلاد ولما وصلت هذه الاخبار الى قورصيرة تولد منها حرب داخلى كانت نتيجته هلاك ودمار هيئة حكومة أعيان قورصيرة

وكانت سنة ٤٢٦ قبل الميلاد خالية من الوقائع والحوادث الحربية الا أن كثرة الحرائق المتسببة من حصول البراكين وكذا الغرق الذى حصل من طوفان المياه فى جميع جهات الممالك الجريسية زعزع هذه المملكة من جميع نواحيها الشاسعة وزار الطاعون مرة ثانية أثينة وفى السنة التالية حصلت واقعة فى أطيقة من الاسبرطيين تحت قيادة ملكهم أغيس الا أن الاسبرطيين انسحبوا من أطيقة على وجه السرعة خائفين من نجاح الاثينيين فى انشائهم موقعا بحريا فى جهة بيلوس على ساحل مسينة ومنه يجتهدون ويسعون فى تهييج ثورة الرقيق من الاهالى وسار الجيش الاسبرطى فى الحال على بيلوس وكان صار التغلب عليها بفرقة صغيرة من الاثينيين تحت قيادة ديموسطنس وهجم الجيش الاسبرطى مرتين على بيلوس وجرى صده من القوة الصغيرة ثم امتنع الجيش من اجراء هجوم ثالث لما رأى سرعة وصول الاسطول الاثينى وفى اليوم الثالث هجم الاميرال الاثينى على الاسبرطيين فى مينة بيلوس وأوقع عليهم هزيمة شديدة فخسر البلوبونيزيون كثيرا من مراكبهم ولم ينج منها الا ما كان قريبا من البر ثم ان الاسطول الاثينى حاصر جزيرة سفاكطريا وكان زهرة الجيش الاسبرطى معسكرا فيها فحصل الخطب الجسيم والفزع الكبير المهدد لهؤلاء العساكر وكان أكثرهم من أهل مدينة اسبرطة من أولاد الامراء والوجوه حتى وصل اليهم حكام اسبرطة وجاؤا الى بيلوس واختبروا الموقع بأنفسهم ورأوا أنه لا يوجد أسلم عاقبة فى خلاص هؤلاء العساكر من عقد صلح فحرروا فى بيلوس هدنة وسفروا سفيرا الى أثينة من أجل طلب الصلح

فنعى الاثينيون عندما رأوا اسبرطة مع كبريائها مائلة الى الصلح وتعشم العقلاء من أهل مدينة أثينة فى فصل هذه المادة من الحرب بطريقة سلمية الا أن النتيجة كانت بعيدة عما أملوا وذلك أن كليون أثار العداوات والشقاق وحث أهل بلده وحرضهم على اجراء الصلح على حسب الشروط التى ما كانت قبلتها اسبرطة فى الابتداء وهى فى حالة عظمتها وشمامختها ثم تجددت المشاحنات والمباررات ثانية ولما خاف ديموسطنس من فصل الشتاء الذى قرب حلوله رغما يلزمه رفع الحصار عن جزيرة سفاكطريا

ويتولد من ذلك نجاة الاسبرطيين وخلاصهم الى البر الاصيل عزم على اجراء هجوم فى الحال لكنه لاحظ أن قوته ضعيفة جدا عن اجراء هجوم مثل هذا فأرسل الى أثينة توضيح رأيه وطلب منها مددا يساعده على الهجوم فضعف ثبات وعزم المجلس من هذا التقرير ولعنوا كليون لانه كان سببا فى ضياع الفرصة من عقد صلح شريف فأجاب أبو الغارات كليون بان رسل ديموسطنس لم يقابلوا حوادث الواقعة بالصدق وصرف النظر عن حجة الامداد وشرع يذم القواد ويقدح فى حقهم ويقول انهم ليسوا كفؤا لمثل هذه الاشغال ولو كان هو القائد الاكبر لامكنه أخذ الجزيرة والتغلب عليها فى الوقت فسأله خصمه السياسى نسياس مع الاستهزاء والازدراء وقال له لماذا لم تتوجه حينئذ فضحك المجلس مع القهقهة من تماحك كليون وعجبه فتأثر الدباغ من كلام نسياس وأقواله وقرر المجلس أن كليون يلزم أن يأخذ قيادة بيلوس ويظهر فخر كبريائه ومن بعد أن حاول كليون بغير طائل فى خلاص نفسه من توجهه الى هذا الشرف المصر بحالته اتفق على أن يشرع فى هذا الشغل فسار ولم يأخذ معه من التقويات الاثينية أحدا بل أخذ معه قوة قليلة من الطرية ووعد أهل أثينة فى وقت سفره بانه يأخذ الجزيرة فى طرف عشرين يوما وأنه فى طرف هذه المدة اما أن يبيد القوة الاسبرطية أو يجلبها مغلولة فى السلاسل والاغلال الى أثينة ولما وصل بيلوس كان ديموسطنس أعد فيها جميع استعدادات الهجوم وكان منتظرا ورود الامداد من طرف أثينة فاستلم كليون قيادة الاسطول وعلى حسب ماله من السعادة الازلية نجح فى هجومه الذى أجراه وتغلب على جزيرة سفاكطريا وأسر جميع محافظيها الذين بقوا على قيد الحياة وصار تحصين مينة بيلوس تحصينا قويا وحفظت بعساكر من المسينيين وجعلت أساس الحركات الحربية القابلة ضد اسبرطه وسافر كليون وديموسطنس الى أثينة مع الاسرى وكان ذهابه وايابه عشرين يوما ولما نال كليون احدى المظفرات الجليلة فى الحروب صار له نفوذ زائد فى المملكة وكان ذلك من سعادته الكبرى ومن حزم رأى ديموسطنس وتولد من التغلب على أسرى الاسبرطيين أن صار للاثينيين طاقة على صد حركات أعدائهم مع الثبات ومنعهم من الغارة على أراضيهم وهددوهم بقتل الاسرى ان فعلوا أدنى حركة مغايرة لاثينة ولما رأى الاسبرطيون عدم فائدة فيما كانوا ساعين فيه كرروا تجديد عقد الصلح وأعرض الاثينيون عن كل طلبات اسبرطه وأعاروهم أذنا صماء

وفى السنة الثامنة من الحرب أى فى سنة ٤٢٤ قبل الميلاد فتح للاثينيين باب القوة والنشاط ومن ثم اتجهت نحوهم نتائج المظفرات وذلك أنه فى مبادى القسم الاول من السنة تحسن نجاح أحوالهم بواسطة التغلب على جزيرة سيطيرة بواسطة نسياس ورتب محافظين من الاثينيين فى عاصمتها الاصليتين ومن بعد هذا خرب ساحل لاقونيا وتغلب على مدينة طيريا وكان متوطنا فيها الايجيناطيون بمعرفة الاسبرطيين من بعد ضياع جزيرتهم وقتل الاثينيون جميع من كان موجودا على قيد الحياة من أهل ايجينه بطرائق بربرية وحشية

ثم ان الاثينيين تعالوا وتعاظموا بما حصل لهم من هذه المظفرات وشرعوا فى استرداد عموم الاراضى التى كانت تحت أيديهم قبل هدنة الثلاثين سنة فنالوا بعض نصرات فى نواحى معارة لكنهم هزموا هزيمة شديدة فى بيوطية وفى نحو هذا الوقت صار التغلب على بعض التبعة التراسيانية والبعض دخل فى الاتحاد البلوبونيزى بواسطة القائد براسيداس الاسبرطى وأحرز هذا القائد أيضا غالب الجهة

الشرقية من بحيث جزيرة كالثيدونه ثم حصل الضعف الموجع لاثينة واشتاق الاسبرطيون لخلاص أهلهم الذين كانوا أسيروا في سفاكطريا بمعرفة الاثينيين ورغب كل من الفريقين في الصلح فعقد والهدنة لمدة سنة في سنة ٤٢٣ قبل الميلاد وشرعوا في محاورات من أجل عقد صلح دائمي فتأخر هذا المشروع بضع أيام بسبب ما حصل من عصيان مدينة سكيونى وكان أهلها مالوا الى جهة براسيداس وبما أن مواد الهدنة تمنع حصول التغيير في أي شئ من اجراآت الاعمال طلب الاثينيون استردادها المدينة فلم يقبل براسيداس هذا الطلب وبواسطة تحريض كليون سار تسفير حملة تحت قيادته لاسترداد مدينة سكيونى وقتل أهلها فتغلب كليون على مدينتى طورونى وغاليبصوص وزحف على امفيبوليس فوجد براسيداس شادا عليه طرائق مسالكه وتقدماته فانتشبت بينهما واقعة شديدة انهزم فيها الاثينيون وقتل كليون وأراح الله منه بلده من أعماله الفاسدة وجرح براسيداس جرحا بليغا هلك منه

وبوالمن بعد موت كليون وبراسيداس زوال جميع المصاعب والعوائق الاصلية من أجل حصول الصلح فعقد صلح عام في فصل ربيع سنة ٤٢١ قبل الميلاد بين اسبرطة وأثينة يتضمن هذا العقد سلما مدة خمسين سنة وعرف هذا الصلح بمعاهدة نسياس ثم ان البعض من محالفي اسبرطة تضرروا وأذاعوا بان اسبرطة مجرية صرف مكاسبها فيما يعود منه النفع على خاصة نفسها وسحبوا أنفسهم من الاتحاد البلوبونيزى وشكلوا اتحادا جديدا تحت قيادة ارغوس فعقدت أثينة في الحال معاهدة مع أرغوس وعليس ومنطينة لمدة مائة سنة وكان هذا في سنة ٤٢٠ قبل الميلاد وكان توصيل الاثينيين الى هذه الدرجة بمساعى الثيبادس وكان في الابتداء صديق اسبرطة الا أنه تغير حاله حتى صار العدو الالد لهذه المملكة نظير ما حصل له منها من الخسة والازدراء في عدم تقدم سيره وكان كامل الاوصاف في القيادة العسكرية والشجاعة والاقدام من بين القواد الحربية الا أنه كان زنيما فاسد الطبع فظا غليظا وبمجرد موت كليون صار هو قائد ورئيس الحرب الوطنى ليس محبة في الامة بل واسطة لمطامعه البعيدة ثم نشأ من المنازعات التى حصلت بين اسبرطة وأرغوس أن كانت نتيجتها اشتعال حرب نال فيه أغيس ملك اسبرطة نصرة جليلة في منطينة سنة ٤١٨ قبل الميلاد فقوت هذه النصرة حزب الاعيان وهم هيئة الحكومة في أرغوس فأبطل هذا الحزب الحكومة ونكث معاهدة أثينة وعقد معاهدة مع اسبرطة ثم قام الاهالى أخيرا بطرد هذا الحزب واخراجه من أرغوس وطلبوا مساعدتهم من أثينة فسافر من أثينة أسطول وجيش لمساعدتهم تحت قيادة الثيبادس ولم يحصل من هذه الحملة نتيجة قاطعة واستمر الصلح بين أثينة واسبرطة مرعيا في الاسم لا في الجسم وكل هذا جار في مدة تخريب محافظى پيلوس لاقونيا وارسال الاسبرطيين غير ذلك سفنا مخصوصة تغير في البحر على التجارة الاثينية وتسلبها

وأما المدة الثانية وهى الحملة السيسيلياية فكانت من سنة ٤١٥ الى سنة ٤١٣ قبل الميلاد وذلك أنه في نحو سنة ٤١٦ قبل الميلاد نشأ من منازعات المستعمرات الجريقية في سيسيليا احياء الحرب الاكبر بين الجنس اليونانى والجنس الدوريانى واشتبكت مدينتا أغسطه وسلنوس في محاربة بينهما فاستعانت مدينة أغسطه باثينة في مساعدتها على سلنوس ومحاطلتها ولما غش الاغسطاسيون الاثينيين في عدم اعطائهم حقهم من المصاريف الحربية مع أنهم قادرون على دفعها ووصلوا الامر في عدم الدفع سافر اسطول أثينى الى أغسطه تحت قيادة نسياس والثيبادس ولماخوس في

سنة ٤١٥ قبل الميلاد وكان الثيبادس لعن مجاهرة من أجل انتهاكه الحرمات فسافر متوجها من هذا اللعن والنم الذى تعلق برقبته وبمجرد الوصول الى ساحل سيسيليا عرف القواد الاثينيون الخديعة التى غشهم بها الاغسطانيون أهل بلادهم وتحيروا فيما يجب اجراؤه فقال كل واحد منهم رأيا ومع هذا فانهم استحسنوا ما قاله الثيبادس من الرأى وهو أنهم يعقدون محالفات جديدة بين المدائن الحربية الموجودة فى سيسيليا وبمساعدة هذه المدائن يصير الهجوم على كل من مدينتى سيلنوس وسراقوسة وكان هذا آخر رأى صار الاتفاق عليه بين الثلاثة القواد ثم سارت الى ساحل سيسيليا وتغلبوا على كتنه وجعلوها أس العمليات الحربية اللازم اجراؤها على سراقوسة ثم سار طالب الثيبادس الى أثينة لاجل المجاوبة عما فعله من انتهاك الحرمات فبدل أن يتوجه الى أثينة هرب ناجيا بنفسه الى ايطاليا ومنها الى اسبرطة وأفشى سر تصميمات أهل بلاده ولما كانت أعمال نسياس الحربية لاثمرة فيها وعلى غير نجاح توجه لقضاء فصل الشتاء فى ناكسوس وأما أهل سراقوسة فانهم صرفوا فصل الشتاء فى تقوية استحكامات مدينتهم

وفى فصل ربيع سنة ٤١٤ قبل الميلاد شرع الاثينيون فى حصار سراقوسة الا أنه لاح لهم بعض احتياطات يلزمهم أخذها وذلك أنه يلزم لاجل التغلب على المدينة اجراء أعمال خطرت على بال نسياس فشرع فى اجراء الاشغال التى خطرت على باله بشدة وحزم رأى ومن تردداته فى فعل هذا وعدم فعل هذا وجد أهل سراقوسة زمنا فى وصول المساعدة لهم من الاتحاد البلوبونيزى ووصل غيليوس الامير ال الاسبرطى وكان قائدا ذا شجاعة وحمية فى أعماله فلما وصل سيسيليا جمع جيشا من المدائن الدوريانية الموجودة فى الجزيرة وزحف بنفسه على سراقوسة مع هذه القوة وبواسطة حركاته القوية تجددت القوة والثبات عند السراقوسيين ورجعت اليهم سعادة الحرب فانكسرت احاطة الاثينيين وفى نحو هذا الوقت وصل الى غيليوس امداد وهو عمارة بحرية مؤلفة من ثلاثين سفينة من سفن البلوبونيزيين ودخلت المدائن السيسيليانية وكانت لحد الآن باقية على الحيادة مع سراقوسة فأجبر نسياس على ترك السعى فى احاطة سراقوسة واحتل بعد ذلك بحيث جزيرة بليميريوم وأنشأ فيها محطة بحرية ولما صارت أعماله على غاية من عدم الفوز والنجاح كتب الى أثينة فى ارسال امداد وتقوية وطلب عوده وكانت جميع الاحوال مرتبكة فى أثينة وكان الاسبرطيون أغاروا على أطيقة فى فصل ربيع السنة المذكورة أى سنة ٤١٣ قبل الميلاد وشيدوا معسكرا قويا فى ديسيليه على ظهر جبل بارنس وعلى نحو أربعة عشر ميلا من العاصمة مطل على السهل الاثينى وعزت المؤنات وضعفت حالة المدحول جدا ومع هذا فان الاثينيين لم يقبلوا عود نسياس وأرسلوا له امدادا مؤلفا من خمس وسبعين سفينة تحت قيادة ديموسطنس وعوريمدون فوصل هذا الاسطول فى وقت فيه يصير خلاص نسياس من الموقع الصعب الموجود فى المينة الكبرى الذى طرده اليه غيليوس ولما وجد ديموسطنس انه لا يمكنه تيسر الحصول على عود الاحوال تحت قاعدة مناسبة للاجراءات الحربية أشار على نسياس بكونه يترك السعى فى التغلب على سراقوسة ويعود معه الى المملكة لاجل طرد الاسبرطيين من أطيقة فلم يرغب نسياس العود الى الجريس بحالة حرى حصل له من الخيبة وعدم النجاح ورضى بالقهقرة الى كتنه وهو موقع أقل خطرا من الاول الا أنه أبطأ فى حركته هذه حتى بلغ السراقوسيين خبرها فهجموا عليه فى الحال فانهزم الاسطول الاثينى وأما الجيش فانه صد الهجوم الذى وقع عليه فاجتهد

السراقوسيون

السراقوسيون فى قطع خط رجعة الاثينيين بان غلقوا عليهم فم المينة الكبرى بمراكب صفوها على حذاء واحد مرتبطة فى بعضها بعرض الفم فاجتهد الاثينيون فى كسر هذا السد والخروج منه فانهزموا شر هزيمة وحصل لهم تلفيات جسيمة مقدارها نصف أسطولهم وضعفت قوة البحرية وعزائمها ولم يقبلوا لتجديد الهجوم مرة ثانية وكان جيش الاثينيين لم يزل قويا ومقداره ٤٠٠٠٠ نفس مقاتل فعزم هذا الجيش على ترك الاسطول والقهقرة من طريق البر الى احدى المدائن المحبة لاثينة ومنها يمكنهم أخذ مراكب للعود الى أثينة فابطأ نسياس عن هذا العزم الى أن مضى الوقت الموافق لهذه الحركة وفى أثناء سعيه فى خلاص الجيش انكسر وتشتت حاله وانجبر على التسليم وأسر الاثنان نسياس وديموسطس وحكم عليهما بالموت الا أن غيلبوس والقائد هرموقراطيس السراقوسى اجتهدا فى خلاصهما من القتل مجاهرة وأن يكون موتهما بالسر باهانتهما فى مدة حياتهما وأما الاسرى الاحر فانهم من بعد أن ذاقوا أشد العذاب والعقاب صار بيعهم مثل الرقيق على السراقوسيين

وأما المدة الثالثة فهى الحرب الدسليانى واضمحلال أثينة من سنة ٤١٣ الى سنة ٤٠٤ قبل الميلاد وذلك أنه لما وصلت الاخبار المكدرة بشأن ما حصل فى عاقبة الحملة السيسيليانية انتشر فيها الحزن الشديد والرعب الزائد وعلى ما قيل ان الذى نشر هذه الاخبار رجل من الاغراب فى حانوت رجل حلاق فى بيروس فارتعج الناس من هذه الحكاية وصاروا بين مصدق ومكذب حتى وضعوا الرجل الناقل لها تحت العذاب بكونه كذابا وناشرا أخبار الكذب ثم ثبتت أخيرا بواسطة وصول الفارين والهاربين من ميدان الواقعة أو ميدان المصيبة ورأت أثينة نفسها أنها فى بلية ومصيبة ما ألمت بها أبدا ولبس أهل المدينة الحداد والحزن على ما حل بهم من هلاك أولادهم وأقاربهم وأصدقائهم واختلطت هذه المصائب والاحزان بالرعب العمومى من أجل خلاص المملكة وسلامتها وكان تعسكر الاسبرطيين فى ديسيليا منبع المخاوف المستمرة فى أثينة ومأوى حصين لعساكرهم يغيرون منه ويجرون ما يجب عليهم من واجبات وطائفهم من الاعمال العسكرية ويضاف الى شدة الموقع وحصانته ابتداء تحالف أثينة فى تركها والتحول عنها وكان ألسيبيادس مشتغلا بتهييج الثورات فى خيوس ولسبوس وعوبية لمساعدة اسبرطة وقت طلبها ودخلت اسبرطة فى معاهدة تحالفية مع الذل والاهانة مع مملكة فارس التى هى العدوة الالد للحرية الجريسية لاجل حطم أثينة وعود السلطة الفارسية على جميع الممالك التى كانت سلطتها جارية عليها فى سابق الامر بما فى ذلك جزائر بحر الارخبيل وتساليا وبيوطية وتولد من صرف الذهب الفارسى الجارى صرفه من غير مبالاة من طرف فارس فى خصوص فوائدها أن صار لاسبرطة طاقة كافية على انشاء أسطول أعظم من أسطول أثينة وتقوى الاسطول البلوبونيزى تقوية عظيمة بواسطة ما أضيف اليه من المراكب الحربية القوية من نواحى سيسيليا

ثم ان الاثينيين بذلوا جهدهم ووجهوا أفكارهم أولا لترميم خسائرهم وكشف ما حل بهم من الخوف والرعب فأدخلوا الاقتصاد الكبير فى الخدمات العمومية وعزموا على انشاء أسطول جديد وأن يكون انشاؤه بسرعة من دون توان وطلبوا المحافظين الذين كانوا وضعوهم أخيرا على ساحل لاقونيا وحصنوا رأس سينيوم لاجل المحافظة على طريق المواصلة مع عوبيا وهى الجزيرة التى يجلب منها الاثينيون القسم الاعظم من مؤناتهم ولم يبق من عموم تبعة أثينة على صداقتها ووادها الا جزيرة

ساموس فقط ولما علم الساميون بحصول العصيان فى خيوس قاموا على هيئة حكومة أعيانهم وقتلوا جماعة كثيرة من هذا الحزب ونفوا الباقى وأقاموا حكومة ديمقراطية وأعانت أثينة بأن ساموس جلعتها مستقلة فى نفسها ولما المبلغ الاحتياطى وكان مقداره ألف وزنة الذى كان بيركليس وضعه على حدة لضرورة ما يلزم فى الحروب القابلة كان لحد الآن باقيا من دون أن أحدا يلمسه وكان هذا المبلغ موضوعا تحت قانون حكم الموت على كل من يتسبب فى أن يصرف منه شيأ أو يتجاسر على أخذ شيء منه الا فى حالة ما اذا حصلت نائبة عظمى أو طامة كبرى حلت على عموم المملكة ففى هذه الحالة يجب التصرف فيه أو الصرف منه فمن ثم ألغيت أحكام المحافظة عليه وأخذ هذا المبلغ وصرف فى انشاء الاسطول وتطقيمه ولما تم انشاؤه أقلع على الفور الى خيوس محاربا لها

وانتقل الحرب فى هذه الحالة الى النهاية الشرقية من البحر الابيض المتوسط والى آسيا الصغرى وان الشغل الذى ركب على عاتق أثينه ما كان لانحزام الجمع الذى تجمع عليها فقط بل لاخضاع أقاليمها التى ثارت عليها الى طاعتها ففى الحرب الاول الذى أشعلته أثينه نظهر أنها شفت علتها بما كان حصل لها من الخسائر والتلفيات فى سيسيليا وأعادت لسبوس وكلاظومنيه وهزمت الميلونيانيين وحربت بلادهم وأرضهم وصارت ساموس قاعدة الاسطول الاثينى وأمن الحركات العسكرية فى أثناء المدة التى كانت باقية من الحرب ثم حصلت واقعة بالقرب من ملطية فى آسيا الصغرى انهزم فيها نفس الاسبرطيين وتشتت شمل عسكرهم وحصل من أثينة اللين العريب المدهش الذى فاقت به مما حصل لها من المصائب بشجاعتها وصبرها ومحبة أهلها الوطن حتى انهم لم يتركوها فى وقت شدتها الاعدائها كل هذا جعلها على قدم ثابت حتى صار لها طاقة على اشعال حرب لاريب فيه مرة أخرى تستحق عليه الذكر وجميل الاحترام فى العصور المتوالية

وكان الكثير من هذه المظفرات منسوبا الى مهارة الشيادس وكان تقوى فى مرغوبه حتى استعوذ مرة ثانية على محله الذى كان ضاع منه فى أثينة فعرض نفسه لشغل فصل فارس من محالفة اسبرطة وأبطاله بمهارته وفار فى اغراء واغواء المرزبان طيسافرنيس بقوله انه لافائدة لفارس من كونها ترخص فى الغلبة على أثينة أو على اسبرطة فى مثل هذا الحرب بل تكون سياسة فارس الحقة هى كونها تترك الاثنين لبعضهما الى ان يضعف بعضهما بعضا ثم ضبط مما لك الاثنين وقت حصول الضعف عندهما فى مقاومة فارس عند حربهما معها فلما تحقق المرزبان من هذه المشورة التى أشار بها الشيادس عليه نكث فى الحال محالفته مع اسبرطة وكانت اسبرطة محتاجة لمساعدته فى هذا الوقت حتى يكون لها طاقة على غلاق الحرب وكذا تحيح بواسطة عدم صبر القواد الاسبرطية وقلقهم برشوات عظيمة قدمها اليهم سرا وابتدأت اسبرطة فى أن يصب عليها أنواع الخزى والكسوف فى دخولها فى محالفة مع العدو القديم لممالك اليونانية ثم اجتهد الشيادس فى توسيع الطرق الذى انفتح بين فارس واسبرطة ونجح فى خداع القواد الاثينيين الموجودين فى ساموس باعتقاد أن تدبيره وسياسته مع طيسافرنيس فيه الكفاية الوافية فى جلبه الى معاهدة مع أثينة وانه يمكنه اتمام هذا الشغل على شرط أن يسمح له بالعود الى أثينة والى مسنده الاول وبشرط أن يصير الغاء الجمهورية ويقام محلها حكومة أعيان بما أن الاثنين يبغضانها وانها مشيرة للاهالى ولما اعتقد القواد والرؤساء أن نجاحهم فى الحرب متوقف على مساعدة فارس قبل الاثينيون مع الكراهة والاشمئزاز هذه الشروط الصعبة وألغوا الحكومة

الديمقراطية

الديمقراطية وشكلوا مجلسا مركبا من ٤٠٠ نفس خصوصا من الذين يعول عليهم في ضبط إدارات الاعمال في المملكة ثم بعد قليل ظهر أن الشبيادس خدع أهل بلاده فأبطلوا مجلس الاربعمائة نفس وأعادوا الجمهورية على ما كانت عليه وأعقب هذا الانقلاب سرعة انحراف بجزيرة عوبيه نحو الاسبرطيين سنة ٤١١ قبل الميلاد فاجتبر الاثينيون على بذل ما في طاقتهم من القوة وحرم الرأي في بقاء وجود حياة جنسهم ولقد كسرتهم وأضعفتهم خسائرهم في مدة الحرب حتى أزمعوا على اجراء المدافعة عن أنفسهم في وقت الحرب لكن السياسة الفارسية في شأن مساعدتهم المحتاجين اليها حرمتهم من اجتناء أي فائدة تعود على مساعيهم ونجاحهم

ولما وجد منداروس القائد الاسبرطي في اسيا الصغرى أن لا خير في السياسة الفارسية عند الاسبرطيين والاثينيين ترك ملطية معاصبا الهامع الكراهة والزعل وأقلع الى الهلسبونت مؤملا انه يجد في المرزبان الآخر زيادة همة ونشاط في معاضدته فتبعه أسطول أثيني مؤلف من قوة قليلة تحت قيادة تراسيبولوس فهزمه في المضيق الكائن بين سسطوس وابيدوس فعزم الاميرال الاسبرطي على اللحوق بأسطول الاتحاد في عوبيه فضاعت مراكبه من عواصف شديدة نزلت عليها في نواحي جبل أثوس فنجا منداروس بنفسه وحصل للاسطول الاثيني فائدة تغلبه على كيظيكوس وكانت عصت على أثينة في السابق ومن بعد مضي شهر أو شهرين حصلت وقعة عظيمة بين الاسطولين الاثيني والبلوبونيزي في نواحي كينوصيما على مسافة من أبيدوس كانت نتيجة الحرب فيها انتصار الاسطول الاثيني وفي وقت حصول الشبيادس اليه في شدة حرارة الحرب بأسطول مؤلف من ثماني عشرة سفينة من ساموس في سنة ٤١٠ قبل الميلاد وكان سبب وصول الشبيادس أن هذا الاثيني المختال المصطنع اعتماد صداقة الفرس فيه لم يكتف ملك الفرس بالتدبيرات التي عرضها له طيسافرنيس فقط بل أمره أن يبذل جهده في مساعدة اسبرطة بالقوة الفعالة فكان أول الاعمال التي أجراها المرزبان هو كونه قبض على الشبيادس وسجنه في سرديس فهرب من بعد مضي شهر ناجيا بنفسه وما زال حتى وصل كلاظومينية وصمم على المخاطرة في كل شيء وبذل الجهد في عوده الى أثينة فجمع قوة من السفن قدرها ثمانية عشر مركبا في ساموس والتحق بالاسطول الاثيني في الوقت الذي انتصر فيه الاسطول المذكور ثم ان منداروس مع الاسطول الاسبرطي معضدا بالجيش الفارسي تحت قيادة فرنابطوس شرع في حصار كيظيكوس فعزم الاثينيون على خلاصها فاشتعلت نار حرب مرعبة طردتها الاسطول البلوبونيزي نحو الشاطئ فاجتهد الفرس في حماية السفن فسقط عليهم الشبيادس في رأس رجاله وبدد شمل الفرس وقت ما كان الاثينيون عابرين على الاسطول المطرود جهة الشاطئ وقتلوا منداروس وتغلبوا على جميع الاسطول البلوبونيزي ما عدا السفن السراقوسية فانه صار حرقها مع بحريتها وقوادها وفي هذه النصرة الكبيرة ما وجد أحد جاد بنفسه من أجل أهل بلاده زيادة عن الشبيادس وعما حصل للاثينيين من هذا الظفر صاروا أسيادا البروبنطس وتجارة البحر الاسود مرة أخرى وجمعوا كثيرا من الغلال والحبوب من جهات البحر الاسود وأرسلوها الى أثينة فعمت الناس حتى الاسبرطيين المقطوع الأمل منهم في ديسيليا وكانوا يؤملون وقوع القحط في المدينة وتسليم نصبها اليهم

وفي سنة ٤٠٩ قبل الميلاد نال الاثينيون نصرة عظيمة أيضا وذلك أنهم تغلبوا على كالشيدون رغما حصل من اهتمام فرنابطوس في خلاصها اياها وكذا أحد الشبيادس صلمبريا وفي سنة ٤٠٨ قبل الميلاد سلمت بيزانطيوم نفسها للشبيادس

ويؤاد من الخدمات الجليلة التي أجراها الشيادس لاثينة تكفير عن سيآ ته فيما مضى من قبيح سلوكه وأفعاله وفي سنة ٤٠٧ قبل الميلاد دعى الى العود الى أثينة فاحتفل به كامل الامة احتفالا عظيما وأبطل مجلس السنا توالاحكام التي كان سبق صدورها في حقه وأسقط ما كان عليه من اللعن والطرد ولما رؤى انه هو القائد الفريد الذي وجدت فيه الكفاءة على أن يعيد الى أثينة شوكتها ومجدها جعل قائدا عاما بنفوذ ليس تحت حدّ ولا حصر وصار قائدا على قوة قدرها ١٠٠ سفينة حربية و ١٥٠٠ من العساكر الثقيلة و ٥٠٠ من الفرسان ثم ان الشيادس من خفة عقله اعتقد في نفسه انه نال محبة أهل بلده ثانيا ووثوقهم به ونظر نظر الاعمى الى الشغل الذي سيجري الاثينيون محاكمته عليه محاكمة جديدة وان له كثيرين من الاعداء ذوي شوكة في أثينة في ريب كبير منه

وفي غضون ذلك تحوّلت ادارة أعمال الاشغال الفارسية الى أياد قوية الشوكة وهو أن كيرش الاصغر ابن دارا الثاني الملك المتسلطن في فارس تعين مرزبانا على الاقاليم الفارسية في اسيا الصغرى وكان على فطنة وذكاء وطمع لانهاية له فأول مشروع جعله واسطة لمشروعاته البعيدة أن عزم على مساعدة اسبرطة مساعدة ودية في حطم أثينة وحشمها وفي هذا الوقت عهدت قيادة الاسطول الاسبرطي الى ليصندر أحد مهرة الرجال المشهورين في اسبرطة وعقد هذان الذاتان علامات الصدق والوداد والاحترام بين بعضهما واتفقا على المعاضدة بالقوة وحزم الرأي بالاشتراك وصفاء القلب واللسان وكان وصول كيرش في سرديس في فصل ربيع سنة ٤٠٧ قبل الميلاد وفي سبتمبر من نفس هذه السنة أقلع الشيادس بالاسطول من أثينة الى اندروس وكانت محفوظة بقوة لاسيدمونية ولما رأى الشيادس شدّة المقاومة زيادة عما كان يعهده ويؤمله ترك كانون مع عشرين سفينة مستمرا في حصارها هذا وأقلع مع باقي الاسطول الى ساموس وفيها علم من أول وهلة أن فارس صارت العدو المبين لاثينة ولما قل ماعنده من النقود اجتهد في أن يجمع نقودا يوزعها على أهل كيمي وهي تبعة صادقة لاثينة ولما رفض أهلها هذا الطلب أوقع بهم وخرب مدينتهم فاشتكى سكانها وتضرروا من أفعاله الى أثينة وبينما كان الشيادس مكدا في هذا العمل انهزم أسطوله الذي كان تركه تحت الرئيس انطيوقوس وكانت هزيمته من طرف البلوبونيزيين على مسافة من نوطيوم وضاع منه خمس عشرة سفينة وقتل انطيوقوس وكانت حالة الشيادس في سيره في أعماله على الساحل في غاية الفجور والانهماك على الموبقات وابتدأت عساكره في أن يظهروا علامات النفور الاكبر من جهته ومع كونه قائد القوة جسيمة فانه قضى مدّة ثلاث شهور في البطالة والرخاء والانهماك على اللذات وظهر للاثينيين من أحوال الشيادس انه لم يغير طبعه ولا فائدة ولا ضرر في مخاصمته ومن بعد مضي بضع سنين أحيا خصاله وصفاته القديمة فأجمع الاثينيون على عزله من قيادته واستبداله بعشرة قواد تحت رياسة كانون وفي نحو هذا الوقت انتقلت قيادة الاسطول الاسبرطي الى عهدة قاليقراطيداس وهذا المانخشى من عواقب اجتهادات ليصندر في انه ربما يعود لقيادة الاسطول ثانيا أظهر شهامة نفسه وحب ارتباطه بمحالفة الفرس حتى ان كيرش من بعد ما كان ندم على معاضدته ليصندر تحوّل بكليته لمساعدته بمبالغ جمة من النقود ومن قبل حصول هذا الشغل من كيرش أظهر قاليقراطيدس مهارته وأثبتها بهجومه على الاسطول الاثيني في مينة مطلينة وكسره وضيع منه ثلاثين سفينة وسلمت الاربعون الاخرى بكونها تحوّلت الى الساحل تحت حماية أسوار المدينة ومن ثم أحاط الاميرال الاسبرطي مينة مطلينة بحرا وبرا ولما صار موقع

كانون

كانون معلوما فى أثينة أخذت الاحتياطات العظيمة والاستعدادات الجسيمة فى مساعدته ورتب الاثينيون اسطولا موافقا للعمل والحركة وسفروه الى ساموس فانضم فيها مع أسطول المحالفين وزادت قوته الى أن بلغ ١٥٠ سفينة شراعية ثم شرعوا فى خلاص مطلينه وبمجرد اقتراب الاسطول الاثينى وفصل قاليقراطيداس خمسين سفينة ورتبها فى استمرار الحصار والاحاطة بالمينة وزحف بما بقى من قوته لمقابلة اسطول العدو وتقابل الاسطولان المتحاربان مع بعضهما على مسافة من جزيرة ارغنوسيا بالقرب من الرأس الشمالى الشرقى لجزيرة لسبوس وحصل بينهما واقعة شديدة كان مشكوكا فى نتيجة أمرها فى الابتداء الى أن سقط قاليقراطيداس فى البحر وغرق ولما صار الاسبرطيون لا قائد لهم يسوسهم انكسروا كسرة قبيحة وضيعوا اسبعا وسبعين سفينة وهربت عمارتهم الموجودة فى مطلينه فى الحال وصار لكانون طاقة على ترك المينة واللحوق باصحابه وأقلع الاسطول الاتحادى الاثينى الى ساموس

وفى مبادى سنة ٤٠٥ قبل الميلاد صار تعيين ليصندر مرة ثانية لقيادة الاسطول الاسبرطى ولما رأى ليصندر ضعف قوة هذا الاسطول عن الاسطول الاثينى تجنب الدخول فى أى مشروع من مشروعات الحرب وراوغ أسطول العدو وعبر بحر الارخبيل الى ساحل أطيقة وتقابل مع أغيس وكانت نتيجة مقابلتهما تفسير الاسطول الاسبرطى الى الهلسبون بما أن أخصامهم تركوه من غير محافظة فأقلع ليصندر باسطوله الى الدردانيل واتخذ له موقعا حصينا فى أبيدوس

وفى هذا الوقت خرب الاثينيون جزيرة خيوس ثم انسحبوا منها عند وصول أخبار ليصندر بتوجهه الى الهلسبون وحصاره لمصاقوس فارسلوا أسطولهم على الفور الى الهلسبون الا أن وصوله اليه من أجل خلاص لمصاقوس كان متأخرا جدا فأخذوا لهم موقعا فى أغوسبوطامى أونهر غوط من الجهة الشمالية من الهلسبون عازمين على جلب الاسطول الاسبرطى الى ميدان الحرب وكان الاسبرطيون مدخرين المؤن والذخائر وفى موقع قوى وكان تأخرهم عن الحرب لنجاحهم وأما من جهة الاثينيين وكانوا فى موقع ردىء عبارة عن شاطئ رملى بعيد من سسطوس وكانوا يجلبون منها مؤناتهم وليس عندهم من يجلبها اليهم فكان البحرية مجبورين على الخروج من السفن الى الشاطئ لاجل الحصول على مأكولاتهم ووصل النظام فى الاسطول الى الفشل ووقوع الرعب ولما رأى الشيادس ما الاثينيون عليه من الخطر الذى سيحل بهم وكان من منذ طرده من الخدمة مقيما فى قلعته فى الضاحية ورأى ان أهل بلاده لو بقوا فى هذا الموقع الخطر لضربحالتهم توجه اليهم ونصح قوادهم على الحركة والانتقال الى نواحى سسطوس لانها أشد حفظا على أنفسهم من هذا الموقع الخطر فقابلوا نصيحته بالسب واللعن ويحتمل أن هذه الحالة كانت مبنية على الارتكاب والاختلاس وان بعض قواد الاثينيين كان قدم اليهم كيرش الرشوات العظيمة على أن يجعلوا أعمالهم على الحالة التى وجدوا عليها فاستيقظ ليصندر لحصول عدم النظام فى الاسطول وخلوه من عساكره وتوجههم لاحتياجات مأكولاتهم وجدّ فى الحصول على الفائدة العائدة بالنفع اليه من وقوعهم فيما هم فيه من الخطا وفى اليوم الخامس من بعد وصول الاسطول الاثينى انتهز ليصندر الفرصة وقت ماسنحت له حال غياب البحرية الاثينيين من أسطولهم وكانوا توجهوا الى الساحل وانتشروا فى الجهات فعبر البوغاز بكامل قوته وهجم على سفن الاثينيين فوجد كامل الاسطول الاثينى ماعدا ثمانى أو عشر

سفائن حربية خاليا من الرجال وليس فيه من يحافظ عليه فقبض عليه قبضا باليد من غير طعن ولا صد وساق كامل المراكب ماعدا الثمانية أو العشرة ومن ضمنهم سفينة الامير ال كانون فانهم انحجت بنفسها ولما خاف كانون من عوده الى أثينة فر الى جزيرة قبرص وأما الاسبرطيون فانهم ضبطوا الاسطول الاثيني وأربعة آلاف أو خمسة آلاف أسير من الاثينيين وقتلوا الاسرى شر قتلة جزاء على فعل الاثينيين من قتل أسرى الاسبرطيين وكان نصر الاسبرطيين فى اغوسبوطامى طامة الموت الكبرى على المملكة الاثينية ووقعت جميع الممالك الاثينية فى أيدى المنصورين فألغوا الحكومات الديمقراطيه وحل محلها حكومات الاعيان وكانت هيئة كل حكومة مركبة من عشرة أنفس من أهل المدينة الواحدة تحت رياسة حاكم اسبرطى

وقد وصلت أخبار هذه المصيبة الحاطمة الى أثينة ليلا فقام أهل المدينة مرعوبين فزعين من نومهم من هذه الاخبار المفزعة ولم يحصل لاحد منهم نوم فى تلك الليلة وصار موقع المدينة على غاية من اليأس ووقعت كافة الجهات التى كان الاثينيون يجلبون منها مؤوناتهم فى أيدى الاسبرطيين وصارت المدينة سهلة التسليم بحصول القحط فيها ولو لم يهجم عدوها عليها فانعقد المجلس العام فى صباح اليوم الثانى واتفقوا على العفو عن جميع أرباب الجرائم الا ما كانت جريمته شديدة ويفرجوا عن جميع المسجونين فى الحبوس حتى يكون لهم طاقة على الاشتراك فى المدافعة العمومية وخاص المديونون والمذنبون بهذه الحالة واجتمعت الامة داخل المدينة وحلفوا ايمانا مؤكدة بين بعضهم فى العفو والسماح عن بعضهم ومع أن النتيجة كانت عامة بالطبع على الجميع فما أذعن أحد لما تقرر بينهم

وكان حصول واقعة أغوسبوطامى فى سبتمبر سنة ٤٠٥ قبل الميلاد الا أن ليصندر وكان صرف الزمن المتخلل فى هذه المدة فى اخضاع الملحقات الاثينية ورتب لها هيئة حكومات أعيان منهم ما ظهر على المياه الاثينية لحد شهر نوفمبر عندما وصل ايجينه باسطول مقداره ١٥٠ سفينة شراعية وشرع فى خراب سلميس والاحاطة ببيروس وفى هذا الوقت زحف الجيش البلوبونيزى فى داخل أطيقة وعسكر فى الاورمانات الاكدمية عند أبواب أثينة وصار سقوط المدينة مسئلة وقتية فقط لان الجوع والقحط ظهر عليها من داخل أسوارها الا أن أنفة الاثينيين وكبرياءهم ألزمهم عدم التسليم ثم بعد هذا عرضوا أنفسهم للتسليم على شرط بقاء الاسوار الطويلة وسينة بيروس فرفض حكام الاسبرطيين هذه الشروط وأصروا على هدم هذه الاسوار ولو بطول مسافة عشرة استاديات لاأقل ثم ان رئيس حزب الاعيان عارض فى قبول الشروط الاسبرطية فقام الغضب والحنق فى وجوه أهل المدينة وحبسوه وأوقعوا بحزبه وصلبوا كثيرا من أهل هذا الحزب وأخيرا عرض طيرامنيس وكان فى السابق واحدا من الاربعمائة نفس وكان يدعى أن له قبولا واحتراما ونفوذا عند ليصندر اثبات سعيه الحقيقى لنحو أثينة فأخذ من ليصندر مهلة ثلاثة شهور وكانت هذه الثلاثة شهور من أشد الحالات والمكابد والآلام المهولة على أهل بلده وأخيرا عاد الى أثينة بالجواب يقول لاهلها ان الحكام الاسبرطيين لهم السلطة والقدرة على عقد الصلح ولما عاد طيرامنيس الى المدينة ازدادت مصائب القحط زيادة عظيمة فأرسلوه ثانية فى عقد صلح على أحسن شروط يمكنه الاستحصال عليها بشأن خلاص بلده فانعقد لذلك مجلس المحالفين فى اسبرطة من أجل فصل الحكم فى عاقبة أثينة وما يؤول اليه أمرها فكان من رأى الطيبيين والقورنثيين

ضرورة هدم المدينة والغاء اسمها وبيع أهلها فظهر من الاسبرطيين فى هذا الوقت من الجود والكرم ما يضوا به صحف تواريخهم وقالوا معما كانوا عليه من عزة النفس التى كانوا مغرورين بها انهم لا يمكنهم الرضا مطلقا بدمار مدينة ورق أهلها وقد أدوا خدمات سامية للجريس وكان قولهم ذلك آخر رأى صدر منهم ومن المحتمل فى حقيقة هذا الرأى أنهم كانوا يرغبون توطيد ملحقة نافعة لهم فى أثينة وأخيرا دونوا الشروط التى حصل الاتفاق عليها وهى أن يصير هدم الاسوار الطويلة وكذا أسوار بيروس وتنزل الاثينيون عن جميع أملاكهم البرانية ويقيموا فى حدود أراضيهم الاصلية ويسلموا كامل ما بقى من أسطولهم ويردوا جميع منفييهم ويكونوا حلفاء اسبرطة وبالنسبة لما كان حاصلا عند الاثينيين من الجوع والقحط قبلوا هذه الشروط مع الشوق والرغبة وفى نحو منتصف شهر مارث سنة ٤٠٤ قبل الميلاد احتل ليصندر بيروس ودخل الجيش الاسبرطى أثينة وشرع ليصندر فى تنفيذ شروط المعاهدة واستلم كافة المراكب أو السفن الاثينية ماعدا اثنتى عشرة منها ودمر استحكامات بيروس والارصفة والترسانات والسفن التى كان جاريا الشغل فيها والاسوار الطويلة وكانت هذه الاشغال والاعمال جارية مع الافراح والسرور عند البلوبونيزيين وجعلوا لها أياما مواسم عندهم ولا حاجة فى توضيح ما كان من سبهم ولعنهم للمتغلبين عليهم

وبهذه الحالة كان سقوط المملكة الاثينية من بعد مضى سبع وعشرين سنة من مبدا الحرب البلوبونيزى ومن بعد مضى ثلاث وسبعين سنة من تشكيل الاتحاد الديلوسى وصار الاسبرطيون باتحادهم مع فارس فى درجة من السمو والشوكة فى الجريس وألغيت الحكومات الحرة من كامل الجهات وحل محلها حكومات الاعيان وجعلت أثينة تحت قانون اسبرطى عظيم مقولحكومة مؤقتة مركبة من خمسة قواد اسبرطيين تحت رياسة ليصندر ثم عهد ليصندر هذه الحكومات الى هيئة حكومة مركبة من ثلاثين يعرفون فى التاريخ باسم الثلاثين طاغية تحت رياسة قريطياس وكان صار نفيه من أثينة بصوت الامة وترخص له العود من نص شروط معاهدة التسليم فبذل شوكته فى الانتقام من أعدائه وأمر بقتل عظماء أشراف أهل المدينة وشرع فى سلطة مرعبة مهيجة للثورات فى أثينة ثم ان حزبا من متوسطى الناس تحت قيادة طيرامينس عزم على توقيف هذه الاشغال الشنيعة والاجراآت الفظيعة وقرر انتخاب ٣٠٠٠ من أهل المدينة يكونون كفؤا لما يطلب منهم من الاعمال فصار انتخابهم من أصدقاء وحلفاء الثلاثين طاغية وكان المقصود من هذه الطريقة هو استثناء هؤلاء الثلاثة الاف من الافعال الغير الشرعية الجارية بمعرفة الثلاثين طاغية وأما ما بقى من عموم الاثينيين فانهم صاروا خارجين عن حدود القانون فيمكن موتهم أو نفيهم حسب مرغوب الثلاثين طاغية وعملوا قائمة يكتب فيها المشبوهون من أهل المدينة والذين يعرمون على ثوران الفتن المتولد منها القتل فصار لكل واحد من المسوبين للحرب الحاكم طاقة على أن يضع اسم عدوه فى هذه القائمة وأخذت حالة القتل حدها حتى ان أول ضربة من ضربات القتل كانت فى الاغنياء وأهل الثروة ومن ثم ضيع الظلم والجور صفة الادارة والسياسة وحصل السعى فى توطيد السلب والنهب ولما صار تحريض وحث طيرامنيس على نهب رجل من الاجانب سامى القدر قاطن فى المدينة صاحب أموال وثروة ولم يقبل ذلك على نفسه مع الغضب والحدة أذاع قريطياس فى حقه بأنه العدو الالد للعموم وأمر بجره من فوق الدكة فى بيت مجلس السنا وقطهر نفسه وشرب كأس حمامه ومن ثم خلص قريطياس منه ومن جميع الموانع التى كانت أمامه وغرق حربه فى بحر جورهم القاسى

وكان الثيبادس من ضمن ذبائح اسبرطة وفيما سبق كان ترخص له من طرف فارس بالانعزال فى فريجيا من بعد حصول واقعة اغوسبوطامى فأرسلت أوامر من اسبرطة بقتله فأحاط الفرس بيته وحرقوه وقتل بحراب الهاجمين ونشابهم لما شمأز من مقابلة وجوههم

ثم تولد فى غضون ذلك من شدة الجور الحاصل من الثلاثين طاغية تجديد حوادث قوية فى الجريس ضدهم وضد ليصندر الذين هم آلته وذلك أن الاقورنثيين رأوا أن الثلاثين طاغية هم آلات لارتقاء مطامع الاسبرطيين الذين زعموا أنفسهم بأن يكونوا ملوكا فى الجريس لا أحرارا فقط وكذا عاد الجم الغفير من منفى الاثينيين وكانوا هربوا الى بيوطية فكان عودهم تحت قيادة طيراسيولوس معمو بين بناس من تبعة الطيبيين فضبط هؤلاء قلعة فيلى من الحدود وسار اليهم الثلاثون فى رأس محافظى الاسبرطيين والثلاثة آلاف فهزموهم وعرف الثلاثون أن سقوطهم صار قريبا فى اليد فأمسكوا اسليس وعلقوسيس ملجأ لهم وطردوا منهما سكانهما ورتبوا فيهما محافظين من أتباعهم ثم ان قريطياس جمع مجلسا من الثلاثة آلاف ومحافظى الاسبرطيين وألزمهم بصدور أمر بقتل الموجودين فى الحبوس فقتلوهم فى الحال وسار طيراسيولوس الى بيروس وهزم الثلاثين وأتباعهم وضبط الجبل الذى كان منشأ عليه قلعة المينة فى ابتداء الامر وقتل قريطياس فى الملحمة وألغى الحزب المتوسط الذى كان رئيسه طيرامنيس فى الابتداء وكذا ألغيت حكومة الثلاثين من بعد أن تسلطنوا ثمانية شهور واستبدلت بحكومة أعيان جديدة تعرف بحكومة العشرة ثم طلب كل من الاثنين وهما الثلاثون والعشرة مساعدة اسبرطة فدخل جيش جديد اسبرطى تحت قيادة ليصندر فى أثينة وقت ما حصر أسطولهم فى بيروس أسطولا تحت قيادة أخى ليصندر ومع ذلك فانه فى هذه الحالة لما علم الاسبرطيون أحوال ليصندر وسيره من جهة أثينة عزلوه من القيادة وقلدوها بوسانياس الملك الجديد فى اسبرطة ومن بعد بعض ملاحم انهزم فيها الاسبرطيون فى الابتداء بواسطة طيراسيولوس حصل لهم الظفر وعاد الصلح على شرط أن المنفيين فى بيروس يعودون الى أثينة وحصل عفو عام عن جميع الاثينيين ما عدا الثلاثين والعشرة والاحد عشر وكان آخرهم الجلادين المتقلدين الاوامر الفظيعة من طرف الثلاثين وعاد حكم الارخونيين والقضاة ومجلس الشيوخ المؤلف من خمسمائة نفس وأعيدت قوانين وشرائع دراقوا وسولون من مراجعتها واستعدادها وتصحيحها ومراجعتها تحت مجلس من الامة ثم بعد ذلك سار طيراسيولوس وحزبه الى المدينة فقابلهم أهلها وتوجوهم بورق الزيتون المقدس لكونهم كانوا سببا فى خلاص أثينة مما كانت فيه من الكرب العظيم والعذاب الاليم

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ سيادة الاسبرطيين والطيبيين وسلطتهم ﴾

حفظ رد الشغل والنفوذ فى أثينه ـ صدور الحكم على سقراطيس بالموت ـ صفته ـ الحرب بين اسبرطة وفارس ـ اغسيلاوس ـ اسبرطة وطيبة عند الحرب ـ الاتحاد على اسبرطة ـ توطيد كانون مساعدة فارس لأثينة ـ عود بناء الاسوار الطويلة ـ صلح انطالسيداس ـ صيرورة الحكم المطلق لفارس فى الاعمال الجريسية ـ سيادة اسبرطة فى الجريس ـ ضبط اسبرطة كادمية ـ

استرداد الطيبيين كادميـة ـ ابامنونداس ـ واقعة لوكتره ـ خطر اسبرطة ـ نهوض طيبة الى الشوكة ـ اضمحلال سيادة اسبرطة ـ جاسون ـ موته ـ الاتحاد الاركادى ـ عود بناء منطينه ـ استردادا بامنونداس مملكة المسينيين ثانيا ـ ظفره فى بلوبونيزه ـ واقعة صغيرة ـ معاضدة فارس للسلطة الطيبية ـ فسخ قداسة الالعاب الاولمبيقية بواسطة الاركاديين ـ نتائج هذه الحادثة ـ واقعة منطينة ـ موت ابامنونداس ـ توجه اغسيلوس الى مصر ـ مقابلته فيها ـ انتقامه وموته ـ حروب أثينة وفيريا ـ الحرب الاشتراكى أو حرب الاحزاب ـ الحرب المقدس ـ نهاية السيادة الطيبية

تولد من نصرة طراسيبولوس وحزبه عود قوانين أثينة وعوائدها القديمة اليها وصارت الافراح والابتهاجات التى تولدت من ذلك عظيمة جدا حتى عاد رد الفعل فى المدينة ثانيا الا أن الذى كدر على الامة وأشغل بالهم وغير خاطرهم ما حصل من توقيع الحكم بالموت على الفيلسوف سقراطيس أحد الرجال الحكماء الطاهرين فى بلاد الجريس وقبل ذلك بعشرين سنة كان اريسطوفنس فى أثناء تشخيصه روايات السحب اتهمه بان يكون عدو الديانة ومفسد الشبان الجريسية الا أن هذا السب والقذف ما حصل فى وقته ثم ظهر عليه اللعن والسب ووقع عليه السخط بانه غير معتقد فى الآلهة المعبودة فى المملكة وانه يعلم ديانة جديدة أفسد بها شبان أثينة فصدر عليه حكم الموت باتفاق ستة أنفس الا أن نفخة كلامه وكبرياءه فى المحاوبة للاعنين له والقائمين عليه أوصل حكم الموت عليه باتفاق ثمانين نفسا وكان السر الحقيقى فى تولد هذه العداوة التى صارت معاملته بها أنه كان مبغوضا مكروها عند كثيرين من الاثينيين لانه نشر أقوالا فى أكاذيبهم ومن طرق المجادلات التى كان يبديها لهم ألزمهم على كونهم تعدوه فى أشغالهم ولما كان المركب المقدس مقلعا الى ديلوس فى وقت توقيع الحكم عليه نزل فيها وسار الى ديلوس ومن ثم صار من عدم الامكان تنفيذ حكم الموت عليه فى حال غيابه وانتظروا حضوره وصرف سقراطيس الثلاثين يوما مدة غيابه فى حبس وفى كرم محادثات عقلية وحكم زكية مع أحبابه وشرح ما مضى من حياته من غير أسف ونصح الصحيح فى أزلية الروح حتى أتاه القدر المقدور وشرب كأس حنظل الموت وكان شربه له مع معزة عظيمة وخرجت روحه مع الراحة والسكون وكان آخر كلامه أنه ذكر لصديقه قريطو رغبته فى أنه يقدم له ديكا الى اسكولابيوس خاصا به لان ذلك عادة عند الذين يشفون من آلام الامراض الخطرة وكان من كلامه على الموت ان الموت لم يكن الا الدخول فى حياة حسنة جديدة ثم ان عقبه ألفوا ما كان عليه من العدل تذكارا له وذكر صديقه وتلميذه اكسنوفون ما كان عليه سقراطيس من الصفات الحسنة والاخلاق الطيبة المرضية فقال فيه أما من جهتى له فانى على غاية من الحزن والكآبة لانه كان على ما أصفه بهذه الصفات وذلك انه كان رجلا ورعا تقيا لانه ما كان يشرع فى شئ من دون مشورة الآلهة وعدلا حقا لانه ما حصل منه أدنى ضرر ولا أذى لانسان مهما كانت درجته بل كان الخادم الاكبر للذين يشتركون معه عفيف النفس جدا حتى انه ما كان يفضل الملاهى واللذات على الفضيلة والشرف وكان شديد الاحساس حتى انه ما كان يخطئ فى تمييز الطيب من الردئ من دون أن يتساعد برأى آخر بل كان يفصل بينهما بالعدل والكمال وكان فيه قابلية كبيرة للتبحر فى المواد والاعمال واستخراج بواطنها وكان حاذقا

ماهرا فى فرزه صفات الآخرين وكان مقنعا الذين هم فى ضلالهم سائرون ويدلهم على طرائق الفضائل
وعلى كل ما يكون فيه الشرف والخير وكان وحيد عصره وسعيد دهره ما كان فى عصره من يناظره
ولا يماثله مثيل

وفى سنة ٣٩٨ قبل الميلاد مات أغيس ملك اسبرطة وخلفه من بعده أخوه اغسيلاوس أشجع واحد
فى القواد اللاسيدعونية وأقربهم ووجد ميدانا موافقا لاجراء حركات شوكته واظهار سطوته وقوته
وتولد من مساعدة الاسبرطيين لكيرش الغيظ الشديد الموجع لفارس فلما عاد طيسافرنيس خليفة
كيرش من فارس الى الساحل جلب معه أوامر بالتضييق على المدائن الجريقية الموجودة فى آسيا
الصغرى والموجودة فى ذلك الوقت تحت حماية اسبرطة فعزم الاسبرطيون على أن يلطموا أول لطمة
مع فارس مهما كانت نتيجة فائدتها فاستمروا فى محاربة امتدت ست سنوات من سنة ٣٩٩ الى
سنة ٣٩٤ قبل الميلاد فى آسيا الصغرى وكان قوادهم على الدوام فى اختلاف عام بينهم الا أنه لما
صار ارسال اغسيلاوس الى آسيا الصغرى لاجل مباشرة الحرب وتدبيره من بعد أن تولى السلطنة مباشرة
ظهر فى الوقت تغيير بين ومن ابتداء هذا الوقت تعددت نصرات الاسبرطيين وظهر من حقائق
الاعمال ودقائق الاشغال أن فارس على شرف ضياع أقاليمها الموجودة فى آسيا الصغرى وكان الجيش
الاسبرطى مركبا من عشرة آلاف فارس الذين ذكرنا نتائج أعمالهم فى كلامنا على تاريخ فارس وكانوا
عادوا من غزوتهم التى كانوا فيها تحت قيادة كيرش الاصغر

وكانت فارس تدبرت أمورها وساست أعمالها مع حزم الرأى والتبصر فى العواقب من عهد أيام أردشير
فدخلت فى تحالف ضد اسبرطة مع الممالك الجريقية الثانوية وهى أثينة وطيبة وقورنثة فى سنة ٣٩٥
قبل الميلاد وكانت طيبة مشغولة فى حرب مع اسبرطه وهزمت الجيش اللاسيدعونى تحت قيادة
ليصندر فى نواحى هاليارطوس وفى هذه الواقعة قتل ليصندر وأما بوسانياس وكان قد جاء للخلاصه
متأخرا فانه هرب والتجأ فى هيكل أثينى فى طيجيا خائفا من العود الى اسبرطة من بعد خيبته هذه
فاستخلف ابنه على التخت بدلا منه وهو اغسيبوليس وفى هذه الحالة رأى اغسيلاوس توقيف تغلباته فى
آسيا الصغرى فعاد الى اسبرطة وفى نحو هذا الوقت تقوى الاتحاد ضد اسبرطة بواسطة انضمام عوبية
وا كارنانيه ولوكريس الغربية وامبراقية ولوكاديا وكالسيديس فى تراسة على التوالى

وفى فصل ربيع سنة ٣٩٤ قبل الميلاد صار عقد مجلس من المتحالفين فى قورنثة تقرر فيه السير على
اسبرطة حالا الا أنه صار توقيف هذه الحركة بواسطة سرعة زحف الاسبرطيين وهزم المتحالفين بالقرب
من قورنثة ومن بعد قليل وقعت وقعة ثانية تحت قيادة اغسيلاوس وكانت عهدت اليه قيادة
الاسبرطيين فانهزم المتحالفون فيها أيضا وحصلت هذه النصرات فى نفس هذه السنة بواسطة مظفرات
كانون وذلك أنه جاء من دار نفيه من جزيرة قبرص وجهزت له فارس أسطولا فهزم الاميرال بساندر
الاسبرطى على مسافة من بحيث جزيرة كنيدوس من أعمال كاريه فى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد وخلص
كامل جريق آسيا من تبعيتها الاسبرطة وبهذا ضاعت المملكة الساحلية الاسبرطية بسرعة أزيد من
السرعة التى كانت تغلبت فيها عليها ثم ان فارس أشركت أميرالا من قوادها مع كانون فى قيادة الاسطول
وكان هذا القائد فرنا باطوس تقابل مع قواد المحالفين فى قورنثة وحقق لهم معاضدته القلبية فعلى
حسب طلب كانون استعمل بحريه الاسطول فى تحصين بيروس وأعاد بناء الاسوار الطويلة فى أثينة

ومنح مبلغا وافرا من النقود من أجل هذه الاشغال النافعة وأثنى الاثينيون على كانون وعفوا عنه مما حصل منه من مصيبة اغوسبوطامى وقابلوه مع التبجيل والاحترام اشارة الى عوده الى وطنه

وفى هذه الحالة أجرى الحرب فى داخل أراضى قورنثة بما أنها كانت أصل الكدر والغم فكانت اسبرطة على غاية من الظفر والنصر فى هذه الحروب حتى ان طيبة قطعت الامل من كسرها وهزيمتها وسعت فى أن تعقد معها صلحا على حدتها وأرسلت رسلها فعامل اغسيلاوس رسل الطيبيين بالذل والاهانة الا أن آمالهم عادت اليهم لما سمعوا بخبر أن شرذمة من الاثينيين تحت قيادة عفقراطيس انتصروا على فرقة اسبرطية وتوقف فى الحال السعى والكد فى عمل الصلح ثم حصل للاثينيين نصرات أخرى حتى تسببت اسبرطة فى تجديد المساعى التى كانت أجرتها فيما سبق بخصوص تحريض أوحض مملكة فارس على عقد صلح عمومى بين الممالك الجريقية ونجحت مساعيها فى هذا الوقت نجاحا تاما عند ملك فارس فعقد هذا الملك الاكبر شروط المعاهدة المعروفة بصلح انطالسيداس ومن ابتداء هذه المعاهدة تمكن أردشير بن زرادشت من أعماله فى الممالك الجريقية حتى انه أوقف طلب الغلال والحبوب اللازمة للاثينيين من نواحى البحر الاسود وأرغم الاسطول الفارسى مدينة أثينة على عقد الصلح وصادق الممالك الاخر عليه فى الحال فى سنة ٣٨٧ قبل الميلاد وبواسطة شروط هذه المعاهدة المهينة صار تسليم جميع المدائن الجريقية الموجودة فى آسيا لمملكة فارس وصارت هى الحاكم المتصرف الفيصل فى الاعمال الجريسية الاوروباوية

وتولد من نتائج هذه المعاهدة انفصال قورنثة من أرغوس وضياع طيبة قيادتها الاتحاد البوطيانى وبما أن الاسبرطيين كانوا هم السبب فى ضعف طيبة أعادوا انشاء المدينة الصغيرة بلاطية وأعادوا اليها على قدر امكانهم سكانها القديمة ثانيا وساعدت أثينة بالطبع محبوبتها القديمة ورجوع البلاطيين الذين كانت صداقتهم لاثينة سببا فى مصيبتهم وخراب مدينتهم وصارت بعيدة عنها ثم ان اسبرطة بحجة انها ناظرة الى تقوية شروط المعاهدة مدت سلطتها ونفوذها على كامل الجهات وصار من البديهى للجريق أن مرغوبها ومقصدها جعل كامل الجيث جزيرة خاضعة لها وفى سنة ٣٨٢ قبل الميلاد وقت استتباب الصلح ضبطت قوة اسبرطة كادمية وهى قلعة طيبة ورفضت الحكومة الاسبرطية تسليمها كل ما حصل من طيبة من اقامة الحجج عليها فتولد من هذا الفعل كون المملكتين صارتا على شروط محبة اسمية فقط وبهذا نجحت اسبرطة بقباحتها ووقاحتها فى كونها جعلت طيبة العدو الالد لها

ولما لم تجد المملكة الاسيدعونية ذات الطمع المهيج للممالك مبدا ما صالحا لها فى الجيث جزيرة قد سلطتها فيه وسيادتها عليه وجهت نفسها ضد الاتحاد القوى الموجود على الحد الشمالى للجريس وهذا الاتحاد مركب بعضه من المدائن الجريقية وبعضه من المدائن المقدونية تحت حكم أولنطوس فاستمر الحرب الاولينطيانى أربع سنوات من سنة ٣٨٢ الى سنة ٣٧٩ قبل الميلاد وكانت نتائجه الظفر لاسبرطة ومن ثم فارت فى زوال عدوتها الالد مقدونيا وصارت هى المملكة الوحيدة التى أمكنها أن تشكل سدا حاجزا بين الجريس وفاتحى المقدونيين وفى هذه الحالة صارت شوكة اسبرطة فى أعلى درجات المجد والطنطنة وصار لها سيادة فى البحر والبر قوية مثل ما كانت عليه أثينة وبالت سموها بمساعيها ضد الحريات الجريسية ورغبت فى المحافظة على هذه السيادة بالحالة الجارية أعمالها عليها

الاأن عدم قبولها عند عموم الجريس المتولد من سوء ادارتها و بطش حكومتها ورذالة حكامها زادفى خلوص مودة اتحادها مع ألد الاعداء الحربية الجريسية وهم الفرس والمقدونيون والسرافوسيون ومن العجب وسعد السعود أنها لم تضبط شوكتها مدة طويلة وصار يؤم عقابها على شرف الوقوع

واستمرت طيبة مدة ثلاث سنوات تحت أيدى الحزب الاسبرطى وقلعتها مشحونة بمحافظى اللاسيدمونيين فشكلت طيبة ثورة علت بواسطتها الطريقة اللازمة فى خلاصها من يد اسبرطة وكانت هذه الثورة بواسطة بلوبيداس واخرين من منفيى الطيبيين الموجودين فى أثينة ونجحت بهذه الحالة فى أعمالها وتغلب منفيو الطيبيين على الحزب الاسبرطى فى طيبة وقتلوا رؤساءه وأعادوا الحزب الوطنى المدينة كما كانت على قديم أصلها وفى نفس هذا الوقت وصل ابامنونداس وكان أكبر أشراف طيبة فى طيبة واشترك مع أهل بلاده فى الحرب وحصروا محافظى الاسبرطيين فى القلعة حتى سلموا على شرط أن سمحوا لهم بالخروج الى بلادهم بشرف الحرب فاستعد الاسبرطيون فى الوقت لعقاب طيبة وتولد من أعمال رذيلة كانت أجرتها اسبرطة فى انتهاك حرمة أثينة كون الاثينيين دخلوا فى معاهدة مع طيبة وأخذت أثينة محلها فى رياسة الاتحاد ضد اسبرطة فى سنة ٣٧٨ قبل الميلاد وفى الحرب الذى حصل عدمت اسبرطة نجاحها وشوكتها بالكلية وصار لا طاقة لها على مقاومة الاسطول الاثينى وكان هزم أسطولها عدة هزيمات شديدة وأما الطيبيون فانهم تحت قيادة رئيسهم الاكبر ابامنونداس من بعد أن تحملوا عدة أهوال ومصائب فى مبادى أمرهم نجحوا فى تحرير بلادهم وعتقها من الاسبرطيين ثم حصل لاثينة الغيرة والحسد من نجاح طيبة فسعت سعيا كان على غير طائل فى عقد صلح على حدتها مع اسبرطة وفى سنة ٣٧١ قبل الميلاد انعقد مجلس عام من الممالك الجريقية فى اسبرطة واستقرت الحالة فيه على عقد صلح عمومى وأخرجت اسبرطة من هذا الصلح طيبة لان الكراهة الشديدة التى وقعت بين هاتين المملكتين لا تجوز الاصلاح بينهما وعرفت هذه المعاهدة بصلح كالياس وصار الحرب مشتركا بين اسبرطة وطيبة فقط وصارت طيبة مرعية عند الباقى من الجريس بانها على شرف الدمار والخراب الذى لابد منه لها وما رأت طيبة من نتائج الحرب صارت لا تصدق فى ان ابامنونداس فيه قابلية لما يلزمها من احتياجاتها فكان انها أعظم قائد وأجل واحد فى حسن الطباع والخصال ولم تلد الجريس مثله وعضده فى أعماله وأشغاله محبته لوطنه وبلاده زيادة عما كان يتصوره هو فى نفسه وأسرع الاسبرطيون فى الغارة على بيوطيه تحت قيادة قلمومبروطوس وكان هجومهم من ناحية فوسى فتغلبوا على مدينة قروصيس الموجودة على خليج قريصو وعلى ثمانى عشرة مركبا من السفن الحربية الطيبية واستمروا فى زحفهم على داخل بيوطيه فانهزموا شر هزيمة فاصلة بواسطة الجيش الطيبى تحت رياسة ابامنونداس فى واقعة كبيرة مهولة حصلت فى لوكتره وخسر الاسبرطيون خسارات جسيمة وانحصروا فى معسكرهم وكانوا حصنوه وما حصل قبل مثل هذه المصيبة الكبرى لاسبرطة فانها كانت عليها من أصعب الامور وأشدها من عهد واقعة ترموبيلى

ثم وصلت أخبار واقعة لوكتره فى اسبرطة بوجوه احتمالات مختلفة فأمرت الحكومة بمنع العويل ولبس الحداد والنوح وبذل الاسبرطيون كل ما فى طاقتهم ووسعهم فى خلاص الجيش المهزوم من موقعه الخطر الموجود فيه وسافر كامل الباقى من القوة العسكرية الموجودة فى المملكة من طريق الحرمس قورنثه الى قوروصيس ومن قبل امكان وصول هذه القوة الى بيوطية طلب الطيبيون مساعدة

بجاسون طاغيسة فيريا فى تساليا فنجحهم طلبهم بمساعدته اياهم وبواسطة ما أشار به جاسون ونصحوا للاسبرطيين المحصورين فى لوكترو بان يخلوا البلاد فسافرت هذه القوة الى فروصيس ومنها الى ميغاريد وقابلوا الجيش المسافر لخلاصهم وقت سيرهم وعادت كامل القوة الاسبرطية فى الحال الى بلادهم وكانت عاقبة لوكترو مشؤومة منحوسة على السيادة الاسبرطية حتى سقطت فى الحال وكانت هزيمة الجيش الطامة الكبرى والمصيبة العظمى على الاسبرطيين وهذه ما حصلت لاسبرطة قبل فانها دمرت سيادتها حتى على المدائن البلوبونيزية وضاع منها ملحقاتها الموجودة فى شمال الخليج القورنثى وصار تقسيم هذه الملحقات بين الطيبيين وجاسون ومن مدة أربع وثلاثين سنة من عهد نصرتها فى اغوسپوطامى كانت هى السائدة فى الجريس والفيصل فى الاعمال الجريسية فالتزمت بقبولها خسارة شوكتها وأخذت لها موقعا ثانويا من ضمن الممالك الثانوية الجريسية وفى السنة التالية أى سنة ٣٧٠ قبل الميلاد حصل للجريس مصيبة أخرى وهى المذابح التى أجراها الطماع جاسون فأسرع فى أن يظهر عزمه كى يجعل نفسه سيدا لجيش جزيرة فكان موته خلاصا لكامل الممالك الجريقية من هذا الكرب العظيم

وتولد من حسد أثينة لطيبة أن دعت اليها جميع الممالك لعقد تحالف جديد على نص شروط الصلح الذى كان حصل فى انطالسيداس فالتحق بالاتحاد معظم الممالك البلوبونيزية أى ممالك موره وكان يعرف هذا الاتحاد باسم الاتحاد الاركادى وتقرر فى هذا الاتحاد استقلال كل عضو من الاعضاء الداخلة فيه فلم تقبل عليس هذا القرار وتعللت بانها ربما تفقد سيادتها على المدائن الطرفيليانية ومن ثم صارت الممالك البلوبونيزية مستقلة من اسبرطة حتى الممالك التى لم يحصل منها أدنى مشاحنة فى سلطتها من عدة قرون مضت

ثم ان المنطينيين انتهزوا الفرصة فى هذا الوقت للاخذ بثارهم مما حصل لهم من ضرر الحروب والخسارات التى كانت اسبرطة سببا فيها فأعادوا بناء مدينتهم ودعوا ابامنونداس لمساعدتهم وفى نحو غلاق سنة ٣٧٠ قبل الميلاد دخل ابامنونداس اركاديا فى جيش من متطوعى ارجيفة وعيليا ينوف عن ٧٠٠٠٠ مقاتل وزحف على نفس اسبرطة فقابله اغسيلاوس وصده فى زحفه وتقدمه فاكتفى ابامنونداس بخراب وادى عوروطاس وعاد الى اركاديا وعكف على شغل تشييد الاتحاد الاركادى على قواعد ثابتة الاساس ولاجل تجنب الغيرة والحسد أشار على أعضاء الاتحاد الاركادى بناء مدينة جديدة سماها ميغالوپوليس وجعلها عاصمة الاتحاد وأسكنها من أربعين مدينة من مدن الاتحاد

وكمل ابامنونداس ذل اسبرطة واهانتها بكونه أعاد المملكة المسينية فأعيد بناء مدينة مسينة ووضعت قلعتها على رأس جبل اثومى وكان مطمعا للحروب الاصلية الاولى والثانية من الحروب المسينية ثم ان المسينيين الذين هم ذرية المسينيين الذين صار نفيهم من مدة ثلاثة قرون مضت بواسطة اسبرطة عادوا ثانيا بدعوة من ابامنونداس وعادت الاراضى المسينية على نحو ما كانت موجودة عليه فى الزمن الاول فتولد من الاهانة الكبرى التى حصلت لاسبرطة كونها دخلت فى معاهدة مع أثينة ولما كانت أثينة خائفة من تقدم شوكة طيبة وسيادتها دخلت أيضا فى مساعدة عدوتها القديمة وعسكروا جيوشهم بالاتحاد فى معابر ودروب جبل برزخ قورنته لاجل صد الطيبيين عن وصولهم الى الجريس ابسوسة الا أن ابامنونداس هزم فرقة اسبرطية واغتصب منها حذاءها وشكل مواصلة مع مواصليه ومحالفيه

فى بلوبونيزه وفى هذا الوقت تركت صكيون مخالفة اسبرطة والتحقت بالاتحاد الطيبى واجتهدت طيبة فى التغلب على قورنثه الأنها صدّت عن هجومها وفى نحو هذا الوقت وصل اسطول حامل نحو من ٢٠٠٠ نفس من مستأجرى الغلية واسبانيا وكان الذى أرسله ديونصيوس صاحب سراقوسة لاجل مساعدة أثينة واسبرطة فى سنة ٣٦٩ قبل الميلاد وفى سنة ٣٦٨ قبل الميلاد شرع الاركاديون فى التغلب على الاراضى المسينية التى كانت باقية تحت أيدى اسبرطة فانهزموا فى واقعة تعرف بالواقعة الصغيرة أى غير السافكة للدماء وسموها بهذا الاسم لان الاسبرطيين نالوا النصر فيها من دون أن يفقد منهم شخص واحد ونظرت طيبة لهزيمة مخالفيها بعين الفرح والسرور لانهم عرفوا أن تبعتهم لها هى من أجل حمايتهم فقصروا مساعيهم فى هذه السنة فى ترتيب اتحاد مؤلف من مدائن تسالياودخلوا فى معاهدة مع مقدونيا وكان من ضمن الرهائن التى أرسلها ملك مقدونيا أمنطاس الثانى الى طيبة ابنه فيليب وهو شاب عمره خمس عشرة سنة كان يظهر عليه علامات أن يكون سيد الجريس فاستمر متوطنا فى طيبة بضع سنين

ثم ان طيبة دخلت فى سنة ٣٦٧ وسنة ٣٦٦ قبل الميلاد فى مخابرة مع ملك فارس وكان المعروف من عهد صلح أنطالسيداس أن الحاكم المطلق فى عواقب ماتؤل اليه الجريس هو ملك فارس فنجحت فى الحصول على مصادقة أردشير بن زرادشت على سيادتها وسلطتها وقررأيضا ملك فارس استقلالية مسينة وامفيبوليس وأمر الاثينيين باعدادأسطولهم كما كان ودخلت عليس فى سلطة المدائن الطرفلبانية وشق كثيرا على أهل طيبة قبول ملك الفرس معروضات هذه الممالك فلما وصل بلوبيداس فى تساليا لاجل توطيد تقويتها وضعه اسكندر صاحب فيريا فى السجن وهزم القوّة الطيبية التى أرسلوها لخلاص بلوبيداس فسار أپامنونداس وخلص بلوبيداس الاانه لم يحصل منه أدنى أذى خشية من عدم خلاص صديقه من يد اسكندر وفى سنة ٣٦٣ قبل الميلاد غزا الطيبيون تساليا مرة أخرى تحت قيادة بلوبيداس فهزم اسكندر شرهزيمة الاانه قتل فى وقت النصر فرأى أهل بلاده بأن فقده لاشئ من بعد كسبهم الظفر وتغلبوا على جميع ممالك اسكندر ماعدا مدينة فيريا ودخل كامل الجريس الشمالية تحت أحكام طيبة

ومن سوء ماحصل من هذه الاجراآت والاشغال تقسيم بلوبونيزه وارسال الاركاديين ومخالفيهم جيشا الى عليس فى زمن اشهار الالعاب الاولمبيقية فضبطوا الايكة المقدّسة وطردوا العلبانيين من عملهم موسم الالعاب وساوها للبيساطانيين فهجم العلبانيون والاخائيون على المحاربين فى منتصف الالعاب الاولمبيقية ووقعت واقعتهم فى البقعة المقدّسة فصدّ الاركاديون الهجوم ونهبوا معبد أولمبيه وسلبوا خزائنه وما كان فيه من الكنوز والذخائر وغضب المجلس المطنيانى من سوء هذا الفعل وأعلن بانتهاك حرمة الارض المقدّسة ولم يقبل الاشتراك ولا المداخلة فى الغنائم والمسلوبات المقدّسة فنشر المخالفون الآخراعلانا بأن المنطنيانيين خانوا الاتحاد الاركادى وكانت نتيجة هذا الشغل العاء الاتحاد وابطال مفعوله وعقد صلح مع عليس وصارت منطينة حليفة لاسبرطة وأما طجيا وباقى الاتحاد فانهم استمروا على صداقة طيبة وانتشب الحرب بين الحزبين وطلب أصدقاء طيبة دخولهم فى مساعدتهم وطلب المنطنيانيون مساعدة اسبرطة اياهم

وفى فصل صيف سنة ٣٦٢ قبل الميلاد غزا أپامنوداس بلوبونيزه وانضم اليه فى طجيا مخالفوه ووقت

ماسار أغسيلاوس بالجيش الاسبرطي لمساعدة منطينة وما أمكن اغسيلاوس في حركته هذه أن يرد عاصمة منطينة وجعل أبامينونداس قريبا منها زيادة عن قرب نفسه منها فانتهز القائد الطيبي فرصة وقوع خصمه في الخطا وسار مسرعا الى اسبرطة ولما بلغ اغسيلاوس خبر هذه الحركة بذل جهده في السير حتى وصل اسبرطة في وقت هجوم أبامينونداس عليها مع الجيش الطيبي فكانت الواقعة في شوارع العاصمة وأرغم أغسيلاوس أبامينونداس وعسكره على الانجلاء من المدينة والانسحاب عنها وسار الطيبيون مسرعين في سيرهم على الغارة على منطينة وكان أهلها في حالة استتباب مشتغلين في حصاد من روعاتهم فكان ولا بد من سقوط منطينة في أيدي أبامينونداس والجيش الطيبي الا انه تصادف وصول فرقة من خيالة أثينة وهذه الفرقة وان كانت على غاية من تعب السفر وشدة الجوع الا أنها قابلت هجوم الطيبيين وصدوهم عن المدينة حتى وصل الجيش الاسبرطي بعد قليل فانجبر أبامينونداس على العود الى طيبا وفي هذا اليوم التحم الجيشان على سهل من الارض مرتفع عن سطح البحر بقدر ٢٠٠٠ قدم بين طيبا ومنطينة وفي هذه الواقعة الدموية التي حصلت انهزم المنطينيون والاسبرطيون وسارت بنصرة الطيبيين الركبان الا أن أبامينونداس انجرح جرحا قتالا في مدة النصر ولما خاص أهل بلاده من خسائرهم تكبدوا الام موته وصرف أبامينونداس آخر أقواله وتنهداته في المشورة على أهل بلاده في عقد صلح ومرت السيادة الطيبية بموت فارسها الاعظم كأن لم تغن بالامس ولما لم تجد طيبة أحدا يقوم مقامه عادت في الحال حالتها الى القهقرة حتى وصلت موقعها العادي وعلى حسب مشورة أبامينونداس عقدت طيبة صلحا بشرط ترك الاشياء على ما كانت موجودة عليه في وقت الحرب فرفضت اسبرطة التوقيع على هذه المعاهدة لانها كانت غير معضدة من طرف محالفيها فما حصل من عدم توقيعها ضرر ولا أذى

ثم ان أغسيلاوس ملك اسبرطة وقد بلغ من العمر ثمانين سنة الا أنه سافر الى مصر في رأس ١٠٠٠ من العساكر الثقيلة لاجل مساعدة طاقوس فرعون مصر وقت عصيانه على مملكة فارس فاستغرب المصريون عند ما رأوا رجلا قصيرا أعرج طاعنا جدا في السن وشاهدوا في ذاته أنا أقبح ملك فأهانوه واستهزؤا به ولم يقبلوا أن يكون قائد جيشهم فبطش بهم وانتقم لنفسه منهم بواسطة مساعدة عصيان نقطانب وتغلب على التخت المصري لنفسه ثم رد هذا الملك المنصور هذه الخدمة بمقدار ٢٥٠ وزنة من الذهب وعاد اغسيلاوس الى اسبرطة ومات في طريق عوده الى وطنه فصبر واجثته بالشمع وجاؤا بها الى اسبرطة ودفن مع الاحتفال الزائد وعلى ما قيل انه كان أكمل رجل مدني اسبرطي وعلى كل حال فكان رجل اسبرطة وشجاعها

واستمر صلح سنة ٣٦٢ قبل الميلاد بغير نقض ولا ابرام في القارة الجريسية مدة ست سنوات وفي هذه المدة حصل بين أثينة واسكندر صاحب فيرياحروب في البحر ووقائع خلف الحدود الاصلية للجريس وكذا بين أثينة وامفيبوليس من جهة وبين مقدونيا وملوك تراسة من جهة أخرى وفي سنة ٣٥٨ قبل الميلاد خضعت عوبية وأمفيبوليس وخرصونة ثانيا الى أثينة وصارت أثينة مرة أخرى مملكة ذات شوكة عظيمة في الجريس وبوشحت هذه السنة بعلو نقطة مجدها في المرة الثانية وكذا بمبادي اضمحلالها وفي هذه السنة ابتدأ ما يعرف بالحرب الاشتراكي وذلك أن رودس وخوس وخيوس وبيزانطيوم عصوا على أثينة وانضم اليهم سسطوس والمدائن الاخرى الهلسبونية التي كانت موجودة

تحت طاعية أثينة وأرسلت عساكر بالامداد للثائرين وعجز الحرب الجزيرية الاثينية مع ما حصل منه من عدم الفائدة ونحليت النقود اللازم دفعها أوصرفها من أجل مرتبات البحرية الموجودين في الاسطول الاثيني لحفظ القواد الاثينية البحرية والاسطول تحت مساعدة فرنابازوس حال عصيانه على مملكة فارس فاستبعد الملك الاكبر الدخول في الحرب على أثينة فالتزمت جمهورية أثينة على اطفاء شره وغضبه ورضيت باستقلال الاربع ممالك العاصية عليها وعقدوا من أجل ذلك صلحا وبينما كانت أثينة مشغولة بما يعود منه النفع عليها أسرع فيليب صاحب مقدونيا وضبط ملحقاتها الموجودة على خليج تراسة وجعل نفسه سيدا على كامل الكورة الموجودة بين نهر نسطوس و بتوس ووطدله رجلا في الجريس

وفي سنة ٣٥٧ قبل الميلاد ثار في أثناء غلبة الحرب الاشتراكي حرب آخر في الجريس اسمه الحرب المقدس وذلك أنه تولد من كراهة طيبة للفوسيين حملهم على المحاربة لاجل حفظ وجود حياتهم فالتزم الفوسيون على ضبط خزائن هيكل دلفي وحزموا رأيهم في الصرف منه فجندوا جيشا كثيفا من العساكر الاجرية حتى اشتروا معاهدة أثينة أوحيادتها وخابا واسبرطة في مثل هذه الاوقات المشكلة فمع أن الفوسيين انهزموا في مبادي أعمالهم الا أنه صار لهم طاقة فيما بعد تحت قيادة أونومارخوس على التغلب على سوكريس ودوريس وعلى محاربة بيوطية والتغلب على أورخنوس في سنة ٣٥٣ قبل الميلاد

الباب الثامن

(السيادة المقدونية)

وصف مقدونيا ـ أصل الامة المقدونية ـ تأسيس السلطنة المقدونية ـ صيرورتها خراجية لفارس ـ عود استقلاليتها ـ تاريخ مقدونيا القديم ـ فيليب الثاني ـ تغلبه على الالبريابين ـ تدبيراته في اخضاع الجريس ـ اجراآته الشديدة في مملكته ـ تعديه على الاملاك الاثينية ـ تداخله في الاعمال الجريسية ـ طلب طيبة مساعدة فيليب ـ جعل نفسه سيد الجريس ـ ديموسطنس ـ تكذيبه ـ تدمير فيليب الاتحاد الاولنطياني ـ الحرب الثاني المقدس ـ واقعة خيرونية ـ سيادة فيليب في الجريس ـ حض الممالك الجريقية على اعلان الحرب ضد فارس ـ ذل اسبرطة وهوانها ـ موت فيليب ـ صيرورة اسكندر الاكبر ملك مقدونيا ـ مبادي تربيته وتهذيبه ـ أعمال اسكندر الشديدة ـ تعينه قائد الغزوة الفارسية ـ حروبه مع القبائل المتبربرة ـ عصيان طيبه ـ تغلب الاسكندر على المدينة ودمارها ـ عبور اسكندر الهلسبون أو الدردانيل ومبادي الحرب الفارسي ـ واقعة غرانيقوس ـ فتح آسيا الصغرى ـ قطع الاسكندر العقدة الغورديانية ـ واقعة عصوص ـ فتح سوريا وفنيقيه ومصر وتأسيس الاسكندرية ـ واقعة اربل ـ سقوط المملكة الفارسية ـ موت دارا ـ تغلب الاسكندر على بابل والسوس ـ فتوحات الاسكندر في الشرق ـ زيادة الافراط الذي حصل من الفاتح ـ قتل قواده ـ دفع الاسكندر فتوحاته الى الهند ـ انتصاره على بوروس ملك الهند ـ وصوله الى الهيفاسيس أو الغور ـ عدم قبول عساكره التقدم الى قدام ـ

عوده الى السوس ـ سيره الصعب ـ اشتراك الاسكندر فى المشاق مع رجاله ـ ديوان الاسكندر فى الشرق ـ زوجاته ـ تصميماته ـ صحة ادعائه السودد والعظمة ـ استعداده لفتح بلاد العرب ـ العلة الاخيرة لاسكندر وموته

أخذ الحرب يمتد اتساعا وجلب على الجريس عواقب مستجدة محسوسة تولدت من المنازعات التى حصلت فيها وما كانت هذه الحروب أعظم من الحرب الآخر المقدونى الذى حصل فى الجريس من مملكة مقدونيا وكانت هذه المملكة من عدة قرون مضت باذلة همتها ومكدة فى سعيها فى تقوية نفسها وحفظ دولتها وشوكتها على الحدود الجريسية ولها الرغبة التامة من قديم الزمان فى تسلطها وسلطنتها على المملكة الجريسية

ومقدونيا هذه واقعة خلف الحدود الاصلية للجريس وفى شمال تساليا مباشرة وتختلف حدودها باختلاف الازمان الى الآن ماسنذكره هنا يمكن أن يؤخذ منه الوصف الحقيقى لحدودها وذلك أنها مفصولة من الجهة الشمالية من مويسيا بواسطة الجبال المسماة أوربلوس وأسكوميوس ومن جهة الشرق من تراسة بنهر استريمون ومن جهة الجنوب من تساليا بسلسلة جبال كامبونى ومن جهة الغرب من السيريا باستمرار السلسلة الكبيرة لجبال بندوس المعروفة هنا باسم اسكردوس وبرنوس وتشتمل مقدونيا الاصلية على مساحة قدرها ٦٠٠٠ ميل مسطح وهى خصبة الارض على العموم ومختلفة الوصف بالكلية فان سلاسل الجبال الشامخة المغطاة بالثلج فى مدة القسم الاكبر من السنة تقطع المملكة فى جميع جهاتها وتحصر بينها كثيرا من حياض ممتازة عن بعضها بحيث تجعل لهذه المملكة وصفا خاصا بها وبعض من هذه الحياض فى وسطه بركة معدة لتلقى مياه السيول وأخرى من السيول تجرى على صورة أنهار لا فرق بين بعضها فى الامتياز نحو الجهة الشرقية وتصب فى بحر الارخبيل وفى كلتا الحالتين فالحياض ذات الامتداد الواسع يظهر منها للرائى أنها سهول متوالية خلف بعضها والجهات الاكثر علوا من غيرها مشحونة فى معظم نواحيها باورمانات كثيرة الاخشاب الموافقة للصناعة وبكثير من الجداول والغدران والخيران والحلوق والشلالات ويتغير هذا الوصف فى بعض جهات باراض خالية بصفة واحدة يسير المسافر فيها أميالا على أراض مكشوفة متعاقبة وأراض صلبة حجرية خالية عن النبات لا هيئة لها ولا هندام

ومن المحتمل ان أصل المقدونيين من الجنس الاليريانى القديم وأنهم مميزون عن الخلق أو الامم بكونهم من الامم المتبربرة أو أمة من النسل الهلانيقى وأما نفس ملوك المقدونيين فانهم يدعون أن أصلهم من الدم النقى الهلالى وينسبون سلالتهم الى طمنوس صاحب أرغوس

والتاريخ القديم لمقدونيا مجهول جدا ومظلم بالكلية الا أن الصحيح المعول عليه أن أصل مؤسس الحكومة المقدونية هو برديكاس الاول فى نحو سنة ٧٠٠ قبل الميلاد الا أنه لا حقيقة لشئ من تاريخها الى سلطنة امنطاس الاول وكان معاصرا لبيطرطيديا فى أثينة ولدارا الاول صاحب فارس وانه فى سنة ٥٠٧ قبل الميلاد خضع الى دارا الاول وان مردونيوس فى غارته الاولى على الجريس فى سنة ٤٩٢ قبل الميلاد أخضع مقدونيا وجعلها اقليما من المملكة الفارسية وكان ملوكها الوطنيون يحكمونها بصفة ملوك خراجية لملك فارس ومن بعد هزيمة أردشير فى الجريس صارت

مستقلة فى نفسها مرة أخرى وابتدأت فى مد أراضيها على التدريج فى طول الساحل الشمالى لبحر الارخبيل زاحفة مع الثبات والشدة نحو الجهة الشرقية ثم توقف زحفها وسيرها بسبب حصول خصمين قويين عنها فى تلك الجهة وهما المملكة التراسية وصاحبها سيطالسيس والاثينيون وكانوا عمروا بحيث جزيرة كالشيدونيه بالمدائن الجريقية وان أرخيلوس الاول وكانت سلطنته من سنة ٤١٣ الى سنة ٣٩٩ قبل الميلاد وضع الاصلاحات فى مملكته وأنشأ طرقا وقلاعا ومعاقل فى طول الحدود والثغور لاجل حفظ المملكة من غارات الامم المتبربرة وجعل مدينة بلا عاصمته واجتهد فى نشر الآداب والصنائع بين قومه ورعيته وكان محبا للهاومات مقتولا فى سنة ٣٩٩ قبل الميلاد وكان الملك الاكبر الذى جلس من بعده برديكاس الثالث فجلس على التخت فى سنة ٣٦٤ قبل الميلاد ومن بعد مضى خمس سنوات قتل فى واقعة حربية وترك ولدا طفلا اسمه امنطاس فناب أخوه فيليب عن ابن أخيه ولبس التاج فى سنة ٣٥٩ قبل الميلاد

وكان فيليب الثانى ابن امنطاس الثانى وأخو برديكاس عمره ثلاث وعشرون سنة وعندما وصلت اليه النيابة كانت مدة صعبة الاشكال كثيرة الارتباك فى تاريخ بلاده وذلك أنه حصل منازعته فى التخت من أربعة مدعين وتغلب الايريانيون على الاقاليم الغربية من مملكته وكانت الاقاليم الشرقية على خطر من تغلب تراسة وبيونيا عليها وقرر فيليب فى الابتداء خلافة ابن أخيه واسترد تراسة وأثينة وسار نحو الايريانيين واختار فى أعماله العسكرية وسوقه الجيوش قوانين أپامينونداس وكان فى أثناء اقامته فى طيبة فبارزهم وهزمهم فى عدة وقعات شديدة وكسر كامل قوتهم ودمر شوكتهم ثم عزل ابن أخيه عن السلطنة وكسر مساعى الذين كانوا يدعون التاج لانفسهم والى حد هذا الوقت كان مقرا بالمودة القلبية للاثينيين ولما خلص من الكرب الذى كان واقعا عليه من نواحى الايريانيين شرع فى التعدى على الاملاك الاثينية الموجودة فى الشرق حسبما ذكرنا وذلك أنه لما انتهز الفرصة فى أثناء الحرب الاشتراكى وكان الاثينيون مشغولين فيه هجم على حين غفلة منهم وتغلب على أمفى بوليس ثم تغلب على كامل الاقليم الساحلى الموجود بين نهر ستريمون ونهر نسطوس واستولى على معادن الذهب الجليلة الموجودة فى تراسة فكان يكتسب منها مدخولا سنويا قيمته ١٠٠٠ وزنة فنظم جيشه على القواعد والاصول التى كان مارسها فى طيبة وأدخل فى جيشه النظام الشديد حتى جعله لا يقهر ومن ثم صار له طاقة على تنفيذ أغراضه به وشوكته على أى قوة فى الجريس وآسيا ولما صار سيدا على الاملاك الاثينية الموجودة على بحر الارخبيل وضع تصميماته القلبية موضع العمل بالفعل وكان مصمما عليها من قبل وذلك أنه يجعل نفسه السيد الاعظم للجريس وجعل علة أغراضه فى هذا العمل المشاحنات الجارية بين طاغيتى تساليا والوادى صاحب لاريسا فطلب طاغيتا تساليا وهما خلفتا اسكندر صاحب فيريا مساعدة فيليب فأسرع وسمع لهم بما طلبوه ودخل تساليا فى رأس جيشه وسار على فيريا وكانت محصورة نحو فيرون طاغية تلك المدينة وطلب فيرون المساعدة من أونومارخوس فأرسل له جيشا لمساعدته فهزم فيليب هذا الجيش ثم ان أونومارخوس ساق جيشا آخر تحت قيادة نفسه على تساليا فهزمه فيليب فى واقعتين دمويتين وأرغمه على الانسحاب من تساليا ثم عاد فيليب على بيوطيه وتغلب على خيرونيه وأغار مرة ثانية على تساليا فسار أونومارخوس لمقابلته فهزمه فيليب وقتله وأصبح فيليب ملك تساليا فى سنة ٣٥٢ قبل الميلاد وسار نحو الجهة الجنوبية حتى وصل بوغاز

ثرمو بيلي ولما وجده في حالة جيدة من الحصانة والرصانة بواسطة فرقة من العساكر الاثينية ارتد على أعقابه ومن ثم جعل نفسه مالك تراسة وخرصون وفي أثناء ذلك كان الحرب المقدس جاريا على ما كان عليه حتى فنيت كنوز معبد دلفي وظهر على الفوسيانيين علامات الضعف وفي السنة الثانية عشرة من الحرب أي سنة ٣٤٦ قبل الميلاد دعت طيبة من دون أن تتبصر في عواقب الامور فيليب لاجل حطم وهشم الفوسيانيين فمن عهد هذه الدعوة مكث مدة طويلة متقلدا اجابة الاله الدلفي وأسرع الملك المقدوني في اجابة الدعوة التي يتيسر له منها الحصول على فوائد أغراضه الشارع فيها ولما وطد حيادة أثينة سار من بوغاز ثرمو بيلي من دون أن يحصل له أدنى مقاومة وفي ظرف حرب قصيرة أخضع فوسيا وقهرها وسلمها الى المجلس الانفيقطيونيقي بدل ما كانوا عليه من السلطنة وصار فيليب سيد الجريس في الحقيقة وكانت أثينة وحدها قادرة على مقاومته الا أنه لم يوجد في الاثينيين قائد له طاقة على مقارنته وزيادة على هذا ظهر حزب مقدوني في مدينة أثينة نفسها وكان الخطيب الاكبر ديموسطنس يتوقع من مدة طويلة الخطر الذي يحصل من الحروب الجريسية فلما شرع فيليب في اجراء مقاصده المرسومة بالطمع في قلبه ظهرت جليا نتائج ما كان يتوقعه الخطيب ويذكر في خطبه وقوعها ومن ثم اجتهد ديموسطنس وحض أهل بلاده وأجهد نفسه في قيامهم لملاقاة هذا الخطر وجعلهم في درجة قوية لمقاومة أهل مقدونيا وكانت خطاباته وطعنه في فيليب مرعية بأنها من أعظم البلاغات في الحض والحث وأعظم شوكة في الاعلان على الجور والظلم فيما لا يملكه الانسان ولما هجم فيليب على الاتحاد الاولنطياني وكان آخر حاجز مانع بينه وبين الجريس أجهد ديموسطنس نفسه مع غاية الشرف على حث أثينة بشأن اعانة أولنطوس فعزموا على استعداد غزوة لخلاصها الا أن وقتها كان انقضى بحبسه وتغلب فيليب على أولنطوس باختلاس اثنين من رؤساء المدينة في سنة ٣٤٧ قبل الميلاد وهدمها فيليب الى الارض وباع أهلها في سوق الرقيق ومن حيث انه تغلب على جميع المدائن الاخر الكالسيدونية قبل محاصرته أولنطوس فمن ثم صار سيدا على كامل الاتحاد ومن حذاقة فيليب ومهارته في حصول ثورة في أثينة بذل جهده في تقوية الحزب المقدوني الموجود فيها وفي جميع جهات الجريس الصالحة له وفاز في عقد صلح مع أثينة بما أنه كان لازما لتدبيراته في الوقت الحالي وقبل دعوة الطيبيين لحطم الفوسيين كما ذكرنا ولما تم الحرب المقدس صارت أثينة وحدها فيها الكفاية لمقاومة زحف المقدونيين الا أن مقدونيا أصبحت المملكة القائدة في الجريس وصار الاثينيون في حالة خطرة مع حالتهم الموجودين عليها ومن ثم ثبتت حكم ونصائح ديموسطنس بواسطة نتائج الحرب فازداد نفوذه جدا بين أهل بلاده

وتولد من تعديات فيليب وجوره في نواحي بوغاز البوسفور اشتعال الحرب بين أثينة ومقدونيا في سنة ٣٤٠ قبل الميلاد وفي السنة التالية ابتدأ الحرب المعروف بالحرب الثاني المقدس وسنحت الفرصة لفيليب في أن يضع مقاصده التي كان مصمما عليها من زمن طويل في جعل نفسه سيد الجريس ولما صار اللعن لوكريان امفيسية بسبب انتهاكهم حرمات الاشياء المقدسة عاقبهم المجلس الانفيقطيونيقي بكونه قرر عليهم غرامة يدفعونها فلم يقبلوا هذا الحكم ورفضوه ومن ثم تلقب فيليب صاحب مقدونيا بقائد قواهم بأمر الانفيقطيونيين وأصدروا له الاوامر بالسير ضد أمفيسية ولما دخل في قلب الجريس فبدل أن يسير على أمفيسية ضبط علاطية وهي أكبر مدينة في القسم الشرقي وظهر جليا

أن مقصده الحقيقى كان ضد بيوطية وأطيقة فشكل هاتان المملكتان اتحاد المقاومته وشق كثيرا على الاثينيين حض طيبة على عمل الاجراآت الاحتياطية اللازمة لحالة فاصلة بينها وبين مقدونيا وفى ٧ أغسطس قبل الميلاد هزم فيليب جيوش هذا الاتحاد الطيبية والاثينية فى نواحى خيرونية مهما كان من اجتهادهم فى مقاومته وصار هو صاحب الشوكة فى الجريس واعترف جميع الممالك الجريسية بسلطنته وأقرت عليها

وكانت سياسة فيليب وتدبيره هو اشتغال الجريقيين بمشروعات جليلة بالنسبة لما هو حاصل فى احساساتهم كى بواسطة هذه المشروعات يمتنعوا من الفكر فى ضياع حريتهم فكان يتفكر طويلا ويتبصر تبصرا جليلا فى تأديب مملكة فارس من أجل ما حصل منها من المصائب والآفات التى أوقعتها على أهل مقدونيا وعلى الجريس وعزم أن يضع مشروعه هذا موضع العمل بالفعل فطلب التئام مجلس من كافة الممالك الجريقية فى قورنثه ورفضت اسبرطة وحدها أن يكون لها حظ أو اشتراك فى هذا المجلس وكانت نتيجة هذا المجلس هو اعلان الحرب على فارس وعهد المجلس الى فيليب القيادة الكبرى للحرب وطلب من كل مملكة أن تجهز بعض فرق من العساكر والمراكب اللازمة لذلك

ومن قبل سفر فيليب فى هذا الحرب عزم على عقاب اسبرطة من أجل مبارزتها له بالعداوة فدخل بلاد بونيزه فى رأس جيش كثيف وسار منحدرا الى الساحل الشرقى وعاد من الجهة الغربية فما قابل فيها أدنى مقاومة بالكلية لان سيره فى الحقيقة كان سيرا ملوكيا فى تقدماته واجراآته تخضع له الممالك الغربية الجريسية الموجودة فى شمال البرزخ ورتب محافظة مقدونيا فى امبراسيا ولما صارت سلطنة فيليب فى الجريس لا منازع فيها عاد الى مقدونيا يستعد للغزوة الفارسية وفى سنة ٣٣٦ قبل الميلاد قتل مذبوحا والذى قتله شاب اسمه بوسانياس ادعى أنه حصل له ضرر جسيم وعذاب أليم من تحت يده

ومن بعد موت فيليب خلفه ابنه اسكندر الثالث الملقب بالاكبر وكان مولده فى سنة ٣٥٦ قبل الميلاد وكان عمره عشرين سنة وقت ما جلس على تخت المملكة وكانت تربيته وتهذيبه على غاية من الاعتناء بواسطة أجود الاساتذة وأحسن المعلمين فعلمه ليونيداس أحد أقارب أمه وهذبه على العوائد الاسبرطية فى تحمل الآلام والمشاق والاقدام والتجلد وكذا شديد ليصيماخوس شهرة مطامع هذا البرنس بواسطة تعليمه محبة الشجاعة والبراعة العبرية والمفاخرة بها وغرس فى عقله اعتقاد الحكايات والروايات فى دم الفارس الاكبر اخيليس حتى صار ذلك جاريا فى عروقه وشرايينه ولما بلغ عمره ثلاث عشرة سنة عهدت قيادة تعليمه الى الفيلسوف ارسطاطاليس فالتزم تهذيبه وتربيته عدة من السنين وبهذا تلقى الفاتح الاكبر الذى فتح الدنيا تعليماته التى أجراها على المملكة الشاسعة وكان اسكندر محبا على الدوام للفيلسوف الاكبر ارسطاطاليس ومنه اكتسب التدابير الواسعة والسياسات الشاسعة حتى ارتقى بها فوق كل فارس وفاتح وفاق كل مدبر وغارس وحازت خصلة جعلت له طاقة على التبسم والضحك فى الشدائد والمحن وورث من أبيه غرارة الطمع ومن أمه شراسة الخلق والميل الى الجبروت والشدة ولما بلغ عمره ست عشرة سنة جعل نائب مقدونيا فى مدة غياب أبيه ولما بلغ ثمان عشرة قاد أحد أجنحة الجيش المقدونى فى واقعة خيرونية وكان على يده حصول السعد والنصر فى ذلك اليوم

وجلس

وجلس على تخت مملكة أبيه فى وسط المصاعب والاخطار واستعد معظم الممالك الجريقية القوية الشوكة فى ريح وهز الناف المقدونى مراعين أن الملك الشاب فى غاية من الضعف عن استمرار رسيادة شديدة وتدابير غير مفيدة عاجز عن سير الاعمال التى كانت جارية بمعرفة أبيه وحقيقة فان طيبة قامت بشهامة قوية وقوة حربية وهددت مقدونية بمجاهرة العصيان وكان اسكندر معادلا لها فى عصيانها فهشم عصيانها وشهامتها وأمن نفسه أولا من جيرانه القساليين بضمهم بالميل والانعطاف وبعضهم بقوة السلاح وطلب التئام المجلس الانفيقطيونيقى فى ترموبيلى وأرغمه بان يعهد اليه القيادة التى كان عهدها الابيه من قبل ثم سار متوجها الى طيبة ومنعها من الثورة والعصيان وأما الممالك الاخر الجريقية فانهم أقنعوا نفوسهم فى مجلس عقدوه فى قورنته وعرفوا بعين اليقين عين السخط من رجل رأوا أنهم أساؤا فى عدم توظيفه قيادة أبيه بخصوص الحرب الفارسى واستمرت اسبرطة بمفردها على الحيادة وكانت لم تزل متعلقة بحبال السلطة والشوكة التى كانت نالتها مرة الاآن اسكندر لم ينظر اليها بعين العداوة الموجبة لعقابها من أجل انقيادها وطاعتها له وصرف ما بقى فى اخضاع التراسيين والطربالين وغيطيه والقبائل الدانوبية الموجودة فى الجهة الشرقية وكذا الالبريانيين والطولانطيين الموجودين فى الجهة الغربية واستحوذ اسكندر فى هذه الغزوات على غنائم كثيرة وأرغم هؤلاء الامم الذين كانوا على عزم الغارة على مقدونيا وأخذ ما كانوا عليه من الارتباكات التى كان حاصلا منها القلقلة للبلاد والعباد

وبينما كان مشغولا فى هذه الحروب اذحصلت اشاعة بموته وعم نشرها فى الجهات الجريقية فقامت طيبة فى الحال فى عصيانها وثوراتها واستعدت أثينة لمساعدتها ومن قبل تحققهم من موت اسكندر ظهر لهم على حين غفلة فى بيوطية وزحف على طيبة وأرسل لرؤساء الثائرين فى التسليم فأجابوه باللعن والشتم فمن ثم هجم على طيبة وتغلب عليها وخربها بالكلية ماعدا بيتا واحدا من بيوتها وهو بيت بندار الشاعر وأبقى كدميه على ما كانت عليه وحفظها بعساكر مقدونية وذبح الجم الغفير من أهل المدينة عند فتحها وباع من بقى على قيد الحياة فى أسواق الرقيق

ومن هذا الوقت صار لا يوجد أمام اسكندر شئ يخشاه من جهة الممالك الجريقية وضغط على الممالك الهلانيقية بيد ثابتة وقوة قوية حتى صار لا يتخيل لهم الاجتهاد ولا السعى فى حصول ثورات ولا وقوع ارتباكات ومن بعد أن وطد الممالك الجريقية صار له طاقة فى نفسه على أن يستعد لفتح الممالك الفارسية فعين انطيباطير نائباعنه فى مقدونيا والجريس وعبر بوغاز الهلسبون أى الدردانيل فى فصل ربيع سنة ٣٣٤ قبل الميلاد بجيش مقداره ٣٠٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٥٠٠٠ فارس خيال كان فيه من العساكر المقدونية ١٢٠٠٠ مقاتل من المشاة ولما عبر بجيشه البوغاز فمن قبل تقدمه وزحفه أسرع بنفسه فى التوجه الى سهل تروادة وشاهد المبانى والآثار التى كانت اتخذت تذكارا لجيبه الفارس عيلوس فارس واقعة تروادة ثم التحق بجيشه وكان بالقرب من أبيدوس وأما الفرس فانهم أعدوا جيشا تحت قيادة ممنون الرودسى وهو قائد قوى الجنان مقدام فى الحروب فاتخذ لنفسه ولجيشه موقعا بالقرب من زيلا لاجل منازعة اسكندر وصده عن تقدمه فى الممالك الفارسية وكان موقع الفرس على نهر غرانيقوس فعبر اسكندر النهر بالقوة والاقتدار كما سبق فى مفصلات هذه الواقعة فى تاريخ فارس وأوقع بالجيش الفارسى وشتت شمله وأسر

٢٠٠٠ نفس من مستأجرى الجريق ومن بعد تمام الواقعة زار الجروحين وأصدر أمراً بان يصير اعفاء عائلات العساكر الذين قتلوا فى الوقعة من دفع العوائد والضرائب المضروبة عليهم وسلمت له سرديس وافسوس ومغنيسيا وطرابلس عند قرب المنصورين منها وكذا سلمت له ملطية من بعد حصار قليل قاومته فيه ثم وقفت حركات اسكندر مدة من الزمن بواسطة مهارة ممنون وبسالته الا أنه مع ما أجراه هذا القائد الفارسى فقد نجح اسكندر وفاز فى أن جعل نفسه سيداً على قسم عظيم من اسيا الصغرى فى المدة الباقية من السنة ثم رأى له عدم الرغبة فى تحرك بجيشه بعيداً عن بحر الارخبيل مادام ممنون موجوداً على قيد الحياة ولما مات هذا القائد فى فصل ربيع سنة ٣٣٣ قبل الميلاد زال العائق القوى والصد المتين عن مظفرات اسكندر وجعل المملكة الفارسية تحت رحمته وعفوه

وقضى اسكندر فصل الشتاء فى مدينة غورديوم وهى العاصمة القديمة لمملكة فريجيا وكان محفوظاً فى قلعة هذه المدينة من الازمان القديمة عربة كان دخل فيها ميداس بن غورديوم أحد قدماء الملوك الفريجية هذه المدينة مع والديه وصار ملكاً فيها بارشاد من الوحى أو الكاهن وكان قد أنبأ من القديم بأن الذى يحل أو يفك عقدة العواء الرابطة ناف العربة بالقطب هو الذى يلزم أن يكون سيداً اسيا فتوجه اسكندر الى داخل القلعة اجتهد فى فك هذه العقدة فسحب سيفه وقطع العقدة الغوردديانية فاشتد على المدينة فى تلك الليلة زوابع وعواصف شديدة ورعد وبرق ففسر أهل الخرافات هذه بانها آفة نزلت من السماء أثبتت بان الفاتح توفر فيه النبأ وفى ربيع سنة ٣٣٣ قبل الميلاد سار اسكندر زاحفاً نحو الجهة الشرقية فخضعت له بفلاغونيا ولم يلق كيداً من قبادوسيه ثم عبر سلسلة جبال طوروس ودخل فى سهل سيليسيا وفى هذا الوقت وقف سير حركته من حمى خطرة أصابته تسببت من استحمامه بالماء البارد فلبث فى طرسوس حتى شفى وفصل بدمينيو أكبر قواده بقسم من الجيش لاجل ضبط دروب سوريا والمحافظة عليها حتى يعبر منها جيشه وأما هو فانه من بعد أن سار من طرسوس وصل فى اليوم الثانى الى انكياله وهى مدينة مدفون فيها سردنابال أحد ملوك الاشوريين وعلى ما قيل ان سردنابال هو الذى بنى طرسوس وانكياله وفى قول آخر ان الذى بنى طرسوس هو سنحاريب كما ذكرنا فى تاريخ المملكة الاشورية فى الجزء الاول وموجود فى انكياله قبر سردنابال وعليه مكتوب هذه الكتابة أيها المار من هنا كل واشرب وتمتع وما بعد التمتع والراحة شئ وسار من انكياله حتى وصل مدينة صولى وفيها قرب اسكندر القربان الى عسكولابيوس شكراً على ما حصل له من الشفاء وما زال مجداً فى سيره حتى وصل الى جهة اسمها كستباله فوردت اليه الاخبار فى هذه الجهة بان دارا ملك فارس زحف لمقابلته فى رأس ٦٠٠٠٠٠ نفس مقاتل وكان اسكندر ما زال فى سيره مسنداً على ساحل البحر وقيل ان هذه الاخبار وردت اليه وهو فى مالوس وان دارا معسكر بجيشه هذا فى سوخوس من أراضى أشوريا على مسافة يومين من سيليسيا فعلى حسب هذه الاخبار عقد اسكندر مجلساً حربياً قرر فيه جميع قواده وضباطه بان يسوقهم بمعرفته على عدوهم فسار فى اليوم الثانى لمقابلة الفرس وكان برمينيو تغلب على مدينة عصوص الصغيرة ومن بعد أن استحوذ على دروب سوريا ترك فيها ما يكفيها من العساكر اللازمة لمحافظتها وترك الملك المرضى فى مدينة عصوص وسار بجميع جيشه من الدروب وعسكر بالقرب من مدينة ميريندروس بسبب رداءة الطقس وفى أثناء ذلك كان دارا فى سهول أشوريا ذات الاراضى السهلة الشاسعة فأشار عليه قواد الجريس الموجودين فى خدمته وهم القوة القوية من جيشه

وتصوبا انتظاره مجيء العدو هذا ولا ينتقل من هذه الميادين المكشوفة من جميع جهاتها لانها مفيدة وصالحة لحركات الخيالة وفيها اتساع كاف لاشتمال هذا الجيش العرمرم والجلة والادوات التابعة له فنصحه حواشيه وأرباب دولته على عدم قبوله ما أشار به الجريقيون لانهم على كل حال أعداء لهم وأقنعوا الملك بان اسكندر متى شاهده ورأى كثرة عساكره هرب أمامه وفشل جيشه وأخذ قبضا باليد وما زالوا به حتى انه أرسل جميع كنوزه وخزائنه وجواهره وما كان عنده من الذخائر الى دمشق في خفارة ٣٠٠٠٠ نفس محملة على ٧٠٠٠ حيوان وسار هو بكامل جيشه نحو سيليسيا وكانت الملكة زوجته وأمه وابنتاه وابنه الطفل الصغير تابعين حركة الجيش على حسب عادة الفرس لانهن كن بالمعسكر في وقت الوقائع ولما تقدم قليلا في سيليسيا من المشرق الى المغرب انعطف في سيره نحو مدينة عصوص غير عالم بان اسكندر من خلفها لانه كان على يقين من نفسه هو وخواص دولته ان اسكندر هرب أمامه وتقهقر مع الفشل الى سوريا ولما دخل دارا مدينة عصوص أمر بقتل ما كان فيها من المرضى الذين كان اسكندر تركهم فيها وكان قتلهم بحالة شنيعة وأبقى قليلا من العساكر طردهم من عصوص بعد أن أراهم هيئة معسكره وعساكره حتى اذا وصلوا الى اسكندر يعلمونه بحالة دارا وما هو فيه من كثرة الجنود والعساكر الذين لا طاقة له على مقابلتهم فسار هؤلاء العساكر وأخبروا اسكندر بما رأوا عيانا وبقرب دارا منه وما صدق حتى شاهده هو بنفسه وأعد نفسه للحرب ولما خشي الاسكندر من أن الفرس ربما يهجمون معسكره بالنسبة لما هم عليه من كثرة العدد حصنه بالخنادق والشرمبولات أي خوازيق من الخشب مرصوصة في جانب بعضها ومغروسة غرسا متينا في الارض ولما أخذت عساكره راحة السفر والشغل أمرهم بالاستعداد في الغفرة الثالثة من الليل لحركة السفر نحو العدو وتوجه هو الى رأس جبل وقرّب القربان للآلهة على حسب عوائد بلاده في مشاعل من النور وبمجرد اعطاء الاشارة منه كان جيشه مستعدا للسير والحرب فجدّ في سيره الى محطة كان عينها لوقوف الجيش فوصلها في الفجر ثم جاءت اليه الجواسيس بان دارا على أقل من أربعة أميال منه فعبى جيشه في هيئة الحرب ووقع الخوف الشديد في قلوب أهل السواد فأسرعوا وأخبروا دارا بوصول العدو وكان لا يصدق ولا يتصور بان اسكندر يتجاسر على أن يظهر أمامه فتولد من هذه الاخبار وقوع الارتباك الكلي والذهول الشديد في عسكره حتى انهم أسرعوا مع الفشل وعدم النظام في لبس أسلحتهم وكان الميدان الذي حصلت فيه الواقعة بالقرب من عصوص محفوفا بالجبال من جهة وبالبحر من أخرى وكان يلزم أن يكون السهل الواقع بين ذلك كبيرا واسعا حتى تمكن العسكران من التعسكر فيه وقد ذكرنا أن جيش دارا كثير العدد وكان يشق هذا الميدان نهر بنروس من الجبل الى البحر ويقسمه الى قسمين متساويين تقريبا وأما الجبل فانه مشكل دخلة مثل الخليج ونهايته خط منحن يحدد قسما من السهل

فأما الاسكندر فانه عبى جيشه على هذا الوجه وهو أنه رتب في نهاية الجناح الايمن وكان بالقرب من الجبل عساكر الارجيراسبديين وهم نوع من عساكر المشاة لهم جعب من الفضة ذوو جراءة وشجاعة تحت قيادة القائد نكامور ثم فرقة تحت قيادة كونوس ويليها فرقة برديكاس وهي نهاية قلب الجيش ورتب في الجناح الايسر فرقة امنطاس ويليها فرقة بطلميوس وآخر هذا الجناح فرقة ملغر وبهذا كان تشكيل الفرق المقدونية وكانوا على ست فرق ممتازة كل فرقة تحت قيادة قائد ماهر

وكان اسكندر هو القائد الاكبر ومدبر حركة الحرب ورتب الخيالة في الجناحين فالمقدونيون والتساليون في الجناح الايمن والبلوبونيزيون وحلفوهم في الجناح الايسر وكان القائد كراطوس قائد مشاة الجناح الايسر وبرمينيو قائد الكل مشاة وفرسانا وأحال الاسكندر على نفسه قيادة الجناح الايمن وأمر برمينيو بان يكون منحازا الى جهة البحر على قدر امكانه كيلا تتمكن الفرس من الدوران خلفه وأمر نيكامور بعكس ذلك وهو أن يكون على مسافة كافية من الجبل حتى يحفظ نفسه من السهام المرمية عليه من نواحي أعلى الجبل الصادرة من عند العدو ومد الارجيانيين بامداد جديد وصل اليه من الجريس ليمنعوا عساكر دارا الموجودين فوق الجبال من القرب في أثناء الحرب وأما دارا فانه عبى جيشه على هذا الوجه وذلك أنه لما بلغه أن الاسكندر زاحف عليه على تعبية من جيشه أمر ٣٠٠٠٠ فارس من الخيالة و ٢٠٠٠٠ من النبالة بعبور نهر بنروس حتى لا يتمكن الاسكندر من عبور النهر الى جهته الاخرى بسهولة ورتب في القلب ٣٠٠٠٠ من الجريق الموجودين في خدمته وكانوا هم زهرة جيشه وقوته وما كانوا أقل شجاعة من القوى المقدونية و ٣٠٠٠٠ كاردانياني في الجناح الايمن ومثلهم في الجناح الايسر وما كان الميدان قابلا للزيادة بعد هذا وكامل هؤلاء العساكر كانوا من العساكر الثقيلة وما بقي من عساكر المشاة رتبهم خلف هؤلاء على حسب أممهم المختلفة ورتب دارا على الجبال من جهة الجناح الايسر لاسكندر ٢٠٠٠٠ نفس ومثلهم خلف جيش اسكندر ومن بعد أن عبى دارا جيشه أمر خيالته بعبور النهر أيضا وسير القسم الاعظم منهم نحو البحر ضد برمينيو لان حربهم في هذا الميدان ليس فيه فائدة تعود عليهم وأرسل الباقي من خيالته نحو الجهة اليسرى من الجبل وقوى القلب والاجنحة وحشد عساكره وجنوده حتى ضاق بهم الفضا جدا وأما دارا فانه جعل نفسه في القلب كما هي عادة ملوك الفرس

ولما عبى كل منهما جيشه زحف اسكندر بجيشه مع غاية المهل لتتمكن عساكره من أخذ راحتها وشم نفسها من دون أن يحصل لاحد منهم تعب وأما دارا فانه مازال مستمرا مع جيشه في الناحية الاخرى من النهر بقصد أن لا تضيع منه المواقع النافعة التي رتبها ولما صار الجيشان على مرأى من بعضهما مشى اسكندر راكبا على حصانه في طول طوابير عساكره ونادى باسماء ضباط معروفة من المقدونيين وغيرهم وحرض العساكر على اظهار شجاعتهم ومهارتهم وذكر كل أمة بأعمالها الجليلة ومزاياها الجميلة فقال للمقدونيين ان الظفر والنصر الذي نلتموه في أوروبا لا ينكر فضله وكذا النصر الذي حصل لكم أخيرا في واقعة غرانيقوس والمدائن الكثيرة والاقاليم الواسعة وما فيهما من الجبال والانهر والسهل والصعب التي أخضعتموها فانها مقيدة لكم في صحائف التواريخ وان نصرة واحدة تنتصرون فيها يتولد منها أن تكونوا أسياد المملكة الفارسية بل أسياد الدنيا قاطبة وتكون لكم غنائم الشرق كافة مكافأة لكم على شجاعتكم وبذل قوتكم واظهار جراءتكم وذكر الجريق بما حصل لهم من المصائب والآلام والاكدار وخراب الديار التي كانت حلت عليهم من الفرس وذكرهم بالوقائع المشهورة التي نالوا فيها الشهرة والنصر في مرتون وترمو بيلي وسلميس وبلاطيه ومالهم من المجد والفخر على أعدائهم وذكر لكل أمة ما يليق لها من مجدها ومازال سائرا بخطوة المهل لراحة العساكر ووقف عدة مرات حال سيره ولما وصل الى مواقع مرمى النشاب أمر جناحه الايمن

باقتحام النهر وعبوره من قبل حصول أدنى حركة من العدو فعبروا النهر والتحم القتال بين الجيشين حتى أشرف الفرس على الهزيمة فلما رأى دارا مبادى هزيمة الخيالة فرهاربا من ميدان الواقعة وكان راكبا في عربته لابسا الكسوة الملوكية ولما رأى العربة لا تسعفه في الهرب نزل منها وركب جوادا وساق راحا في هربه وكان الفرس على محاربة شديدة قوية مع المقدونيين الا أنهم لما شاهدوا هرب ملكهم تشتت شملهم وتبدد أمرهم وكانت هزيمة الخيالة تماما الهزيمة الجيش الكثيف وكابدت خيل الفرس في وقت رجعتها مصائب الاهوال بما عليها من ثقل ركابها من الزرد والاسلحة وحل بعساكر هذا الجيش الهول الاكبر في الدروب والبوغازات من هزيمتهم وأهلك بعضهم بعضا في الزحام وخسر الفرس خسارة جسيمة وهلك الجريق الذين كانوا في خدمة الفرس ولم يبق منهم الا ٨٠٠٠ نفس تقهقروا مع ضباطهم الى الجبال نحو طرابلس من سوريا ونزلوا في مراكب وساروا الى بلادهم وأما الفرس فمنهم من هرب الى الجبال ومن هرب الى الاورمانات ومن سلك الطريق السلطاني وسار الى فارس وسار الاسكندر معقبا دارا وعساكره معقبين للفرس حتى دخل الليل ولما رأى الاسكندر أن لا فائدة في تعقب هذا الملك الفار رجع بعساكره الى معسكره واستحوذ على كامل معسكر الفرس وما كان فيه من الذخائر والكنوز والمهمات والادوات

وأما سيسيغامبي أم دارا والملكة زوجته وأخته وابنتاه وولده الطفل فكن باقيات في المعسكر مع بعض من ستات الفرس لان الباقي من النساء كن حملن الى دمشق مع كنوز الملك وأمتعته وكانت على الاقل ٣٠٠٠ وزنة من الذهب عبارة عن ٤٠٠٠٠ استرلينه وجدت في معسكر دارا وأما جميع الامتعة والخزن التي كانت سارت الى دمشق فانها وقعت أخيرا في يد برمينيو عندما تغلب على دمشق فعلى ما قيل ان الفرس خسرت في هذه الواقعة ١٠٠٠٠٠ من المشاة و ١٠٠٠٠ من الخيالة وأما خسارات اسكندر فكانت خفيفة قالوا انها كانت ١٥٠ فارسا و ٣٠٠ من المشاة وهذا غير معقول وهذه حالة الواقعة المشهورة التي حصلت في عصوص في السنة الرابعة من سلطنة اسكندر وكنا وعدنا في الجزء الاول بذكر مفصلا تها هنا

ومن بعد تمام الواقعة أولم الاسكندر لقواده ورؤساء دولته وضباطه وليمة حافلة حضر فيها بنفسه ولما أخذ مجلسه من المائدة سمع في الخيام المجاورة له ضجة وغوغاء كبيرة مع أنين وبكاء وزفير فارتعبت الجمعية حتى العساكر الذين كانوا خلف خيمة الملك مرتبين في الخفر أسرعوا في حمل سلاحهم ظنوا أنها ثورة قامت عليهم ثم ظهر أن هذه الضجة من أم دارا وزوجته والستات الاخر المأسورين وكن يظنن ان الملك دارا مات فكن ينعينه حسب عادة الفرس وقالوا ان الاسكندر لما أخبر بحقيقة هذه الضجة سكب دموعه على خدوده أسفا على ما كان من دارا في حق هؤلاء المأسورات فأنساه ذلك كل ما كابده من الاتعاب والمصاعب وأرسل ليوناطوس أحد كبراء دولته لاجل تثبيت قلوبهن واطمئنانهن على حياة دارا ولا ينعينه فأخذ ليوناطوس بعض العساكر معه وتوجه الى الخيمة الموجود فيها الستات وأرسل لهن رسالة بانه جاء باسم الملك لزيارتهن فلما رأى الطواشي الموجود على باب الخيمة شرذمة متسلحة آتين الى الخيمة تصور أن ستاته انتهى أجلهن وأسرع اليهن صائحا اقتربت ساعة الموت وجاء العسكر لقتلكن فانكد النساء في نفوسهن وصار لا طاقة لاحد منهن على التلفظ باي كلمة فانتظر ليوناطوس مدة طويلة فلم يظهر له أحد بجواب من الخيمة فترك عسكره على باب الخيمة ودخل فيها فازداد رعبهن

لما رأين انه انا دخل عليهن من دون واسطة ولا خبر فأسرعن فى الانكباب على أقدامه وصرن يمرغن وجوههن عليها ويقلن قبل أن تقضي علينا وتقتلنا رخص بدفن دارا حسب عادة بلادنا ومن بعد اجراء هذا الواجب فى حق الملك اقتلونا كما تشاؤا فقال لهن ليوناطوس ان دارا على قيد الحياة وانه لا ضرر عليكن ولا أذى وستكون معاملتكن معاملة الملوك مادمتن على قيد الحياة فلما سمعت سيسيغامبي ذلك ردت اليها روحها وقالت له أعطني يدك وقومني من الارض ثم تركهن ليوناطوس وتوجه الى الاسكندر وأخبره بذلك

وفى اليوم الثانى من بعد أن عاد الاسكندر الجروحين وزارهم أمر بجمع المقتولين فى ميدان المعركة ودفنهم من بعد أن عبى عساكره فى هيئة الحرب احتفالا بدفنهم وتشريفا لقدرهم وعامل قتلى الفرس كما عامل قتلى عساكره ورخص لام دارا فى أنها تجرى أعمال الدفن وطرق الاحتفال بالموتى حسب عادة بلادها وتشكر الاسكندر لعموم الجيش وقواده وضباطه وأثنى على مساعيهم وشجاعتهم وأظهر لعمومهم ميله وانعطافه ومحبته القلبية لهم حتى مزج دمه بدمهم ومن بعد أن أدى جميع واجباته أرسل رسولا الى الملكة يعلمها بقدومه لزيارتها ثم صرف جميع ما كان معه من حواشيه ودخل الخيمة ومعه صفسطيون نديمه وكان على اطلاع زائد من أسرار اسكندر وكانا فى سن واحد تقريبا الا أن صفسطيون كان طويل القامة عن اسكندر فحسبته الملكة فى الابتداء أنه هو الملك فقدمت اليه احتراماتهن وكان الطواشية على معلومية من اسكندر فأخبروا سيسيغامبي أم دارا فسجدت أمامه واسترحمته بالعفو والسماح وقالت له انى ما رأته قط قبل هذا فرفعها الملك عن الارض وقال لها يا والدتى العزيزة أنت لست على خطأ فانه هو أيضا اسكندر وهل يا والدتى يفتكر اسكندر فى نفسه أن يجرى هذه الاعمال بحالة دوامية كلا ها أنا اليوم مستحق قليلا من العظم والسمو الا أن الايام لها تقلبات وللسعادة أحوال عند ضياع العقل وخسران النفس فانتشطت سيسيغامبي من التفات اسكندر ومروأته وأثنت عليه الثناء الجميل وقالت له أيها الملك الاعظم والسيد الافخم يكل لسانى وتعجز أقوالى عن شكرى وثنائى عليك ولا يمكنني أن أجاوب حلمك وجود امتنانك وعظيم همتك ورقة قلبك وانعطافك كيف تقول يا أمى وكيف تشرفنى بلقب الملك مع انى أعترف بنفسى أنى أسيرتك ورقيقتك أما أنا فانى أعرف ما كنت عليه من قبل وأعرف الآن ما أنا فيه أنا أعرف ما كنت فيه من السعادة والعظمة والسيادة والآن أزن كل ذلك بما أنا فيه من التعاسة فيكون لك الفخر الاكبر والمجد الازهر بما أنك مطلق التصرف فينا ان تعاملنا باحسانك وما جبلت عليه من علو الهمة وسمو المروأة فوطد الملك راحتهن وأوصى عليهن بمعاملتهن معاملة الملوك وأخذ ابن دارا على يديه وتعلق الولد به وحن اليه فالتفت الى صفسطيون وقال له فى هذا الولد شبه لدارا وتركهن وسار الى حال سبيله

وكانت واقعة عصوص فى نوفمبر سنة ٣٣٣ قبل الميلاد وأخذت نجابة اسكندر بالعقول مما أجراه من أعماله وتدبيراته ومباشرته الحرب فى هذه الواقعة المشهورة ولما تحقق أنه يلزم مدة طويلة من الزمن لمملكة فارس حتى تشفى مما حل بها من هذه الضربة التى أصابتها وأنزلت عليها المصائب الكبرى ويكون لها طاقة على العود الى ميدان الحرب مرة أخرى ترك دارا هاربا بنفسه وسار الى الجهة الجنوبية لاجل التغلب على ساحل البحر الابيض المتوسط وعلى مصر وقصده بذلك توطيد الامن

والمحافظة على مقدونيا والجريس فاخضع جميع المدن الفنيقية ماعدا صور فانها قاومته سبعة أشهر وكانت معضدة فى نجاحها بواسطة موقعها الداخل فى البحر فجمع اسكندر جميع أنقاض مدينة صور القديمة وردم بها طريقا عريضا واصلا من البر الاصلى الى أسوار المدينة وهجم عليها عنوة وهدمها فى يوليه سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وقتل من الصوريين ٨٠٠٠ نفس بالسيف وباع من أهلها ٣٠٠٠٠ نفس فى أسواق الرقيق وكذا قاومته مدينة غزة وسلمت اليه من بعد حصار استمر عليها شهرين وكذا سلمت أورشليم كما ذكرنا ذلك سابقا فى الجزء الاول واستمر مجدا فى سيره الى الجهة القبلية حتى دخل مصر وقابله فيها أهلها بالرحب والابتهال والوقار وكان المصريون على كراهة شديدة من الفرس من عهد أيام قمبيز أوكى لهراسب فأملوا بالجريقيين كأنهم خلصوهم من عبودية الفرس ونال اسكندر صداقتهم له وجذب محبتهم اليه بواسطة الاحترامات التى أجراها فى شأن ديانتهم وكانت الاحكام والادارات متباينة فيها بالكلية بواسطة قيام الثورات وأنواع الارتباكات والدمار والخراب الذى كومه عليهم الفرس وأسس مدينة الاسكندرية فى محلها الموجودة هى عليه الآن وانتخب موقعها مع الذكاء والفطنة انتخاب أعظم رجل سياسى فكان هذا الموقع صالحا للتجارة فى مصر ولا ريب أن صارت هذه المدينة الجديدة مقرا صالحا للبطليموسية فى الازمان التى جاءت بعد الا أنه من العجب أن هذه المدينة التى ابتناها وبذل جهده فى تشييدها وعمارها ما خاب تظره فى كونها صارت عاصمة كبيرة وجعلها اسكندر عاصمة الديار المصرية وبهذا أوصل هذه المملكة القديمة الى ارتباطات وعلاقات مع عالم الدنيا الاوروباوية

ومن ثم دخل كامل الاقاليم الساحلية الفارسية فى قبضة اسكندر وتم له بذلك رياسة البحر الابيض المتوسط ثم عاد الى عزمه الاول وتقدم الى الجهة الشرقية مرة أخرى لاجل اتمام فتح المملكة الفارسية فسار من وسط أرض سماريه وسوريا وعبر نهر الفرات من نواحى طابساكوس فى أواخر أغسطس سنة ٣٣١ قبل الميلاد ثم من بعد أن تغلب على الممالك السورية ودخل برمينيو دمشق وأخذ منها كامل ما فيها من خزائن دارا التى كان أرسلها اليها ووجد فيها ٣٢٩ جارية من جوارلهن دراية تامة بضرب الآلات الموسيقية والمغانى وكتب برمينيو بذلك الى الاسكندر فأمره بالمحافظة عليهن ولما وصل الاسكندر الى محل اسمه مرطوس ورد اليه كتاب من دارا يقول فيه من الملك دارا الى الاسكندر ويأمره فيه بان يطلب أى مبلغ من النقود على قدر ما يفتكره فى نفسه فداء عن أمه وزوجته وأولاده وأما المنازعة فى المملكة فانه يفتكر أن هذا حكم ينفصل فى واقعة واحدة الا أنه ينصحه أن الاصوب والاحسن له أن يقنع بملك أجداده ولا يغير على الممالك الاخر وأن يصير الاثنان من الان فصاعدا على صداقة تامة وارتباط أكيد ومحالفة ثابتة وانه مستعد لليمين والقسم على ذلك ومنتظر يمين الاسكندر فتولد من هذا الجواب المكتوب بالعظمة والكبرياء وعلو الانفة زيادة غضب الاسكندر فكتب له الاسكندر من اسكندر الملك الى دارا ان دارا القديم الذى أنت تقلدت اسمه خرب فى الازمان القديمة الجريقيين الذين كانوا قاطنين على سواحل الهلسبون وكذا اليونانيون مستعمراتنا القديمة وعبر البحر فى رأس جيش كثيف وأشعل الحرب فى قلب مقدونيا والجريس ومن بعده جاء أردشير بجنود لا حصر لها من الفرس والمتبربرين ودخل فى بلادنا قاصدا بذلك اخضاعنا واذلالنا فخرب فى سيره البلاد ودمر العباد ولما انهزم فى واقعة بحرية ترك فى الجريس

وهومتقهقرمنهاهردونيوس فنهب مدائننا وأقفرسهولنا وأراضينا ومن ذا الذى لم يسمع بأن فيليب أبى كان أصل ذبحه بدسيسة منك لاحزابك حتى تكافئهم على ذلك وهذه شيمة الفرس وعوائد ملوكها فانهم عندما يشرعون فى حروب جورية ويجمعون لها جيوشهم فى الميادين يقررون جوائز ومكافئات لمن يأتيهم برؤس أعدائهم حتى انك أنت تفكرت أنك فى رأس جيشك العريض الواسع ووعدت بألف وزنة من الذهب (٢٠٠,٠٠٠ استرلينه) لمن يقتلنى وأنا الآن أدافع عن نفسى فقط ولست بمعتد عليك فأنت الذى اعتديت على نفسك وانى محفوظ بالآلهة ومساعد باسعافهم كما انى أخضعت قسما عظيما من آسيا وهزمتك يادارا فى أكبر واقعة سافكة حصلت بيننا ومع هذا لم تسمح نفسى بأى طلب مما طلبت لانك غير صادق فى أقوالك وأفعالك فان كان لك رغبة فى الحضور أمامى بصفونية وخلاص طويه فانى أعطيك قولا بانى أعيد عليك أمك وزوجتك وأولادك من غير فداء واعلم انى أعرف كيف أغلب وأقهر وأرغم المغلوب فان كنت تخشى تسليم نفسك لى فانى أحقق لك بشرفى وذمتى انه لا يصل لك منى أدنى ضرر ولا أذى واعلم من الآن فصاعدا أنك ان كتبت لى مرة أخرى فلا تكتب باسم الملك فقط بل اكتب لى ملكك وسيدك ثم أرسل اسكندر هذا الجواب وسار الى فينقية وكان هذا الجواب قبل التغلب على مدينة صور ولما كان اسكندر مشغولا بحصار صور ورد عليه مكتوب ثان من دارا القبه فيه بلقب ملك وقدم له ١٠٠٠٠ وزنة من الذهب (٢٠٠٠٠٠٠ استرلينه) فداء الستات المأسورات ووعده بزواج ابنته سطاطيره وبجميع الممالك التى افتتحها لحد نهر الفرات وأخفى دارا عن اسكندر أفول سعده وزوال ملكه ومجده وذكر له ما هو عليه من العظمة والابهة وكثرة الجنود والعساكر الموجودة تحت يده وان اسكندر لا يظن فى نفسه أنه يكون على الدوام محشودا بين صخور الجبال ودروبها بل لا بد من جمعهم فى سهل مكشوف ويحصل له الخزى والعار عندما يظهر أمامه فى قلة رجاله وهدده بالكلام وكثرة الاقوال فلما قرأ اسكندر هذا المكتوب عقد مجلسا حربيا فكان أول من أعطى رأيه فى هذا المجلس برمنيو فقال من رأيى قبول هذه التقدمة وانى موافق عليها والصادق عليها اسكندر فقال اسكندر أيكن هذا لى ومازال سائرا فى جوابه يقول انى لا حاجة لى بالفلوس المقدمة من دارا وانه لا يجوز لدارا أن يحسن علينا بشئ استحوذنا عليه من مدة أو يكون له نصيب فى شئ ضاع منه بالكلية وان هذا الشخص الذى لا يعرف أيناأعلى من الآخر سوف يعرف ذلك فى واقعة أخرى وكيف يسد درجة لاعبر البحار بالانهار فأى محل يكون صالحا لان يقابلنى فيه فانه يجدنى أمامه ولما ورد هذا الجواب على دارا وقرأه قطع الامل واليأس من مسالمة تحصل واستعد للحرب مرة ثانية ومن بعد أن عبر دارا الفرات سار من وسط اقليم ميزوبوتاميه الخصب على يمينه نهر الدجلة وعلى شماله جبال كورديستان وأرسل أمامه الجواسيس يكشفون أخبار العدو فوردت اليه الاخبار بأن دارا سائر نحوه فى قوته فعبى عساكره فى الحال وجعل نفسه فى رأسهم ثم ظهر أنهم فرقة مقدارها ١٠٠٠ خيال كانت أرسلت للكشف وعادت مسرعة الى الجيش الفارسى ومن بعد هذا وردت الاخبار لاسكندر بان دارا على مسافة ١٥٠ استاديه من موقعه الموجود فيه وكان اسكندر ضبط من قبل مكاتيب واردة من دارا لبعض الجريق يحضهم على قتل اسكندر ويمنيهم ويعدهم الوعد الجميل فاراد اسكندر أن يقرأها على الجريق والمقدونيين فمنعه من ذلك برمينيو وقال

له أخف هذه المكاتيب ولا تظهرها حتى لا توقع فى قلوب العساكر الرعب والارتباك ولا تشغل خواطرهم بمثل هذا الآن فامتثل اسكندر ما قاله القائد برمينيو وأمر الجيش بالسير الى قدام ثم ان دارا وان كان أرسل مكتوبين من قبل واجتهد بلا طائل فى عقد صلح بينه وبين الاسكندر وبذل مجهوده فى خلاص عائلته لكنه أرسل مرة ثالثة عشرة من كبار أقاربه يقدمون لاسكندر شروط صلح جديد ذى فائدة عن الاول ويقدمون له جزيل الشكر على ما أولاه من الرفق والرحمة بعائلته وأولاده وكان دارا تنازل للاسكندر فى الاول عن كافة الاقاليم لحد نهر الهاليس فأضاف اليها فى هذا الوقت كافة الاراضى الواقعة بين الهلسبون (الدردانيل) ونهر الفرات يعنى كامل الاراضى التى تغلب عليها الاسكندر فى الحالة الراهنة فأجاب الاسكندر قولوا لملككم ان الشكر والثناء بين شخصين بينهما حرب يعد من زيادة الافراط وأما من خصوص الحالة التى أنا ناظر فيها بعين الشفقة والرحمة نحو عائلته فذلك من أجل خاطرى لا من أجل خاطره وهى محمدة لى وليست محمدة فيه وانى لا أفعل القبيح مع الذى ساعده بخته ولا أوجه غضبى الا على من يبارزنى وانى لا أضر بالاسرى وعلى الخصوص النساء والاطفال فان كان دارا صادقا فى طلب الصلح فأنا أخفض نفسى الى ما يجب على فعله لكن من حيث انه لم يزل مستمرا فى تحرير جواباته ومستعينا بصرف نقوده على قيام عساكرى فى خديعتى والوقوع بى وبأصحابى فقد عزمت على أن أسوق عسكرى وراءه بكل قوة وشدة ليس بصفة عدو فقط بل بصفة رجل سماوى قاتل فهل يليق به أن يسلم لى ما امتلكته واستحوذت عليه فان كان لا يرضى أن يكون أقل منى درجة ويدعى أن يساوينى أو يعادلنى فانه يستحيل ان أسمع له قولا قولوا له فكما أن الدنيا لا يكون فيها شمسان كذلك لا يلزم أن يكون فيها ملكان قولوا له يختار له حالة من اثنتين اما أن يسلم لى نفسه اليوم أو يحاربنى ويبارزنى غدا ولا يفتخر بنفسه بما سطره فى الجوابات المرسلة من طرفه فرجع الرسل من عند الاسكندر وأخبروا دارا بالاستعداد للحرب وكان دارا معسكرا بالقرب من قرية اسمها كوى جملا أى قرية الجمل على نهر بلوس فى سهل على مسافة كبيرة من مدينة اربلا فأمر بنظافة هذا السهل وأعده ميدانا للحرب كى تجد عربات الحرب والخيالة محلا للجال فى أثناء الواقعة وأشغل جميع دروب سيليسيا بأشغال محافظتها ونشر الاهرامات الفارغة المعدة لجرح خيول عدوه فى وقت اشتعال الحرب فى ميدان الواقعة

وأما الاسكندر فانه مكث أربعة أيام فى المحل الذى كان موجودا فيه لاجل راحة جيشه وأحاط معسكره بخنادق وشرمبولات لانه عزم على ترك الجلة والعساكر الذين لا طاقة لهم بالحرب فى هذا المعسكر ويسير بمن بقى من الجيش لملاقاة عدوه حتى لا يكون معه زيادة عما يحمله كل عسكرى لنفسه من مهماته ولما تم له ذلك سار بجيشه فى الساعة التاسعة من المساء حتى يبارز دارا فى الفجر ولما بلغ دارا هذه الاخبار عبى عساكره فى هيئة الحرب وكذا كان سير الاسكندر على تعبية من جيشه لان العسكرين كانا من بعضهما على مسافة فرسخين أو ثلاثة ولما وصل الاسكندر الى الجبل الذى يمكنه أن يكشف منه جيش العدو أوقف جيشه وجمع قواده من المقدونيين والاعراب واستشارهم فى مبارزة العدو حالا أو يركز المعسكر فى هيئة التعبية فى هذا المحل فاستقر رأيهم على اقامة المعسكر فى هذا المحل حتى يتحقق واجيدا من هيئة ميدان الحرب والحالة الداخل فيها العدو فعسكر الجيش على

الحالة التى كان سائرا بها فى هيئة التعبية وفى أثناء هذه المدة سار اسكندر فى رأس مشاته الخفيفة وعساكره الملوكية وطاف بالميدان اللازم وقوع المحاربة فيه ولما عاد جمع قواده مرة ثانية وقال لهم انه لا يوجد سبب لكلامى بما أن شجاعتهم ونشاطهم وبسالتهم كافية فى زيادة علو مجدهم وانما قصده أن يقولوا للعساكر ان حربهم ليس من أجل فنيقيه أو مصر بل من أجل كامل آسيا اللازم الاستحواذ عليها والتغلب على أرضها وبلادها وانهم من بعد أن قطعوا أقاليم وتركوا خلفهم كثيرا من الانهر والجبال الصعبة لا يمكنهم أن يوطدوا ويحفظوا خط عودهم ثانيا الا باكتساب النصر الكامل ومن بعد ما قال لهم ذلك وذكرهم بما فات من مجدهم وعلو قدرهم أمرهم باخذ الراحة وقيل ان برمينيو أشار عليه بالهجوم على العدو ليلا وقصده بذلك سهولة انهزام العدو اذا حصل الهجوم عليه بغتة فى ظلام الليل فاجابه اسكندر باعلى صوته انه لا يجوز ولا يليق لاسكندر أن يسرق نصرة من النصرات فى ظلام الليل وانما حربه وغلبته يكون فى ضوء النهار لا ظلام الليل ولما انتهت أشغال الاسكندر وترتيباته مع قواده فى النصف الاول من الليل ذهب لفراشه من أجل راحة بدنه المدة الباقية ولما رقد على فراشه تحول عليه فكر الواقعة والترتيبات وأحوال الحرب حتى انه تأخر فى نومه من اشتغال فكره ثم ثقل عليه النوم فنام نوما ثقيلا بخلاف عادته ولما اجتمع قواده فى الفجر على باب خيمته ليأخذوا الاوامر منه حصل لهم الاستغراب من كونهم وجدوه لم يستيقظ من النوم فصاروا يسألون العساكر عن أسباب عدم ايقاظه من النوم لحد هذا الوقت وأخيرا أيقظه برمينيو وعجب لما رآه فى نوم عميق وذلك خلاف عادته ولما أيقظه قال له كيف هذا النوم العميق أمام عدو ستلقاه اليوم فقال له اسكندر كيف لا ننام ونستريح وقد جاءنا العدو مسلما نفسه الينا ثم قام على الفور ولبس سلاحه وركب جواده وساق فى طول الصفوف وثبت جنان العساكر وقوى حركاتهم وكان يوجد فرق كبير بين العسكرين من جهة كثرة العدد الا أن النصر متوقف على الشجاعة والثبات والتدبير فى الحروب فكان جيش دارا مركبا بالاقل من ٦٠٠٫٠٠٠ مقاتل من المشاة و ٤٠٫٠٠٠ فارس خيال ورتب كل من دارا واسكندر جيوشهما على حذاء ين واحترز كل من الآخر وصدرت أوامر الاثنين بحركة الهجوم والتحم القتال وكانت نتيجة هذه الواقعة الدموية هزيمة الجيوش الفارسية مع ان اسكندر ما كان عنده من العساكر سوى ٤٠٠٠ من المشاة و ٨٠٠٠ من الخيالة وهرب دارا وترك معسكره غنيمة لعدوه ونجا بنفسه مع قليل من عساكره وكانت أمه وأولاده تابعين لجيش اسكندر فى حركته وكان حصول هذه الواقعة بعد واقعة عصوص بسنتين فى قرية كوى جملا من سهل أشوريا ولكن بما أنها قرية صغيرة لا شهرة لها سميت هذه الواقعة المشهورة بواقعة اربلا أقرب مدينة الى ميدان الحرب وكان أول اعتناء أجراه الاسكندر من بعد اكتسابه هذه النصرة تقريب قربانات لها قيمة الى الآلهة شكرا وثناء لهم ثم بعد هذا كافأ الذين ظهرت شجاعتهم وميزوا أنفسهم فى الحرب بالانعام عليهم بانعامات وافرة جليلة وأعطى كلا منهم مساكن ومنازل ووظائف وحكومات وأثنى كثيرا على الجريق ومنحهم جزيل العطاء لانهم شديدوا ربا سته وأقاموا دولته على الفرس ورفع عنهم المظالم العديدة والقوانين الشديدة التى كانت على أعناقهم فى الجريس وأعاد مدائنهم ومنحها الحرية والامتيازات وكتب من أجل أهل بلاطية بعود بناء مدينتهم وكافأهم على ما أظهروه من

غيرتهم وشرح قلوب قوّاده وعساكره بما كافأهم به من جزيل شكره عليهم وانعامات وافرة وصلت اليهم

وأما دارا فانه من بعد هزيمته أخذ في طريقه مع قليل من حواشيه حتى وصل في نصف الليل الى مدينة اربل وسار منها هاربا الى ميديا ومن بعد بضع أيام سلمت اربل نفسها الى الاسكندر فوجد فيها شيأ كثيرا يختص بدارا وعساكره من ملابس ثمينة ومواد نفيسة و ٤٠٠٠ وزنة من الذهب (٨٠٠,٠٠٠ استرلينه) وكافة مهمات الجيش وكان دارا ترك كل ذلك فيها وتوجه بجيشه لميدان المحاربة الذي انتخبه لنفسه

وقيل ان هجوم اسكندر على الجيش الفارسي في هذه الواقعة كان في مبادى شهر سبتمبر من سنة ٣٣١ قبل الميلاد في موقعه الذي انتخبه وأوقع على الفرس هزيمة حاطمة هاشمة حتى صار لا طاقة لهم على مقاومة الحرب وهرب دارا من ميدان الواقعة قبل انفصالها فاسرع جيشه في الهرب على منواله وتعقب اسكندر الفارين مع الشدة حتى غرق منهم الجم الغفير وقت عبورهم نهر ليكوص وكان فاض على ميدان الواقعة ومن بعد أن استراح اسكندر مع جيشه بضع ساعات اندفع الجيش نحو مدينة اربل وكان دارا هرب منها فأخذ اسكندر كامل المهمات والذخائر والنقود الملوكية التي كانت موجودة فيها ولما رأى اسكندر أنه لا فائدة في تعقب الملك الفار في أي جهة توجه اليها سار مع جيشه الى بابل فخرجت الامة الكلدانية لمقابلته وفي مقدمتهم قسسهم ونوابهم وحاكم القلعة ودخل المدينة في موكب حافل ومر جيشه من شوارع المدينة وكانت معطرة بروائح الازهار والابخرة في أوان من الفضة وكان القسس يترغون بجغانيهم وكانت خزائن ملوك فارس محفوظة في هذه المدينة فأمر اسكندر باعادة الهيا كل الكلدانية التي كان خربها أردشير فيما سبق وقربوا قربانهم الى بلوز وعهدت ادارة المدينة الى ماطوس وهو حاكم من الفرس والمحافظة وجمع الخراج الى حكام من الجريق والمقدونيين وفي تلك المدينة التي هي مرسح الرفاهية والخلاعة الشرقية غرق أشداء فاتحي الشمال مدة قليلة في الراحة والانهماك في اللذات ولما رتب اسكندر حكومة بابل ووضع فيها محافظين من جيشه تركها في شهر نوفمبر من السنة المذكورة وسار متوجها بجيشه الى السوس فوصلها في عشرين يوما وكانت السوس سلمت نفسها الفرقة من الجيش الفاتح كان اسكندر أرسلها لفتحها مباشرة من بعد واقعة اربل وكان من ضمن الآثار النفيسة الموجودة في خزائن السوس تماثيل النحاس المخصوصة بكل من هرموديوس واريسطوغيطون وكان أردشير أخذ هذين التمثالين دلالة على نصره في أثينة قبل ذلك بمائة وخمسين سنة فاهداهما اسكندر الى الاثينيين وكان ذهب السوس وفضتها أكثر وفرا مما كان موجودا في بابل واستلم اسكندر الخزينة الفارسية وكان يوجد بها نحو من ٥٠٠٠٠ وزنة عبارة عن ١٠٠٠٠٠٠٠ استرلينه و ٩٠٠٠ من سبائك الذهب أي ١٨٠٠٠٠٠ استرلينه والوزنة الواحدة هنا ٢٠٠ استرلينه

وحضر الى الاسكندر في السوس امداد مقداره ١٥٠٠٠ نفس مجموع من مقدونيا وثراسة وبلوبونيزه وبلغه أخبار ثورة اسبرطة على أنطيباطير نائبه في الجريس فأرسل اليه مبالغ وافرة لتساعده بها على اطفاء الارتباكات واخماد الفتن وكان يوم دخول اسكندر في مدينة السوس يوما عظيما خصوصا من أجل عود أم دارا وأولادها ودخولها في مراي أجدادهم وكانت أقدم مقر للعائلة الملوكية الفارسية وكانت

المدينة العتيقة للمملكة الفارسية عاصمة برسبوليس يقال انها اصطخر فسار اسكندر من السوس قاصدا هذه المدينة وعبر الجبال الاوكسيانية وكانت دروب هذه الجبال محفورة بعساكر ذوى قوة وشجاعة لهم رواتب سنوية على المملكة الفارسية ثم عبر المرتفعات العالية المتراكمة عليها الثلوج مستمرة الى أن وصل الدرب الصعب المسمى أبواب فارس حتى دخل بجيشه مدينة برسبوليس وكانت كثيرة الاموال والذخائر زيادة عن بابل والسوس وبلغ ما كان موجودا فى خزينتها ١٢٠٠٠٠ وزنة أى ٢٤٠٠٠٠٠ استرلينه ومن بعد أن أخذ اسكندر من أموالها وأمتعتها ما يكفيه أمر عساكره بنهبها فاوقعوا بالسكان الذين كانوا باقين فيها وأخذوا منها ما سدّ جوعة بخلهم وطمعهم ثم أعاد اسكندر النظام فيها من بعد أن قتل عساكره الجم الغفير من أهلها وكان يوجد فى الجهة الجنوبية من برسبوليس مدينة قديمة يقال ان البانى لها كان كيرش أو كيخسرو الاكبر مؤسس السلطنة الفارسية وان قبره موجود فيها فزار اسكندر قبر كيرش مع الوقار والاحترام وأمر ان حصل به خلل أو أذى يصير تعميره من الآن فصاعدا

وأما دارا فانه من بعد هربه من اربل توجه الى همذان وهى العاصمة القديمة لمملكة ميديا عازما على القهقرة أمام اسكندر الى أبعد جهة فى نواحى نهر جيحون ومن بعد أن أقام اسكندر بضع شهور فى برسبوليس لاجل راحة عساكره سار الى همذان ومن بعد أن وزع بعضا من عساكره الى بلادهم سافر منها خلف دارا الى أن وصل باب الابواب فى نواحى الخزر فى سلسلة جبال البورز وهى جبال غيلان وعبر من درب باب الابواب الى الصحراء فوجد دارا وضعه مرازبته فى الاغلال وقاموا عليه وكان اسكندر على غاية من السرعة خلفه وأثخنوه بالجراح حتى أغرقوه فى دمه وتركوه مرميا فى عربته فوجده قتيلا فيها فلما رآه على هذه الحالة ارتعج وقلع برنسه وغطى جثة عدوه به وأرسله ليدفن مع أجداده فى برسبوليس مع الاحتفال الزائد الملوكى وكان دارا آخر عمود الثلاثة عشر ملكا الذين كان أولهم كيرش الاكبر أو كيخسرو وحكموا فارس زيادة عن مائتى سنة ثم ان اسكندر لبث فى حيكاطومفيلوس من فارطية القديمة وسبب القسم الاعظم من قواه الجريقية وقال للمقدونيين ان الذين يختارون ترك ملكهم فى وسط مظفراته فلهم الحرية والعود الى بلادهم فعزم جميعهم على متابعته فى أى جهة يسوقهم اليها وبقوته هذه الخاضعة له تغلب على صرفانية وهى جهات مازوندران الآن على سواحل بحر الخزر وسار متجولا فى الاقليم الجبلى الموجود بين سهول خراسان والخزر الجنوبى وأخضع قطاع الطريق واللصوص الموجودين فى الغابات والاورمانات الماردبانية واحتفل بمظفراته وعمل له موكبا جليلا فى مدينة زادريارته عاصمة فارطية

ثم ان موت دارا أوعز الى اسكندر أن يعلن بانه خليفة ذلك الملك وبهذه الفكرة التى تولدت فى مخه شرع فيما كان فيه ملوك فارس من الطبائع والعوائد والاحكام واختار لنفسه عوائد الامم الشرقية من الاستبداد فى الاحكام وغيرها فهيج الوساوس والغيرة فى قلوب الجريقيين والمقدونيين وكان القائد الذى قتل دارا هو بسوص مرزبان بقطريانه وهى بلخ الآن وكان قريبا من العائلة الملوكية ومن بعد أن قتل أستاذه لقب نفسه باسم أردشير بن زرادشت ملك آسيا وجند جندا من البلجيز وكان منتظرا مساعدة القبائل الصيطيانية الموجودين فى حدود المملكة الحاكم عليها لاجل طرد هذا العدو المهول فجد اسكندر فى السير الى تلك الناحية ولما عبر جبال الثلج الهندية المسماة كوه الهند

ودخل فى وادى جيحون تضجر من شدة صعوبة المسير وشدة برد الاقليم واحتياج المؤنات اللازمة لعساكره فأخذ راحته وشتى فصل الشتاء فى مدينة زارياسبه سنة ٣٢٩ قبل الميلاد فى الاراضى العالية من بلخ ولما عرف بصوص بان اسكندر زاحف فى حركاته عليه عبر من نهر جيحون وحرق المراكب التى عدت بعسكره فنقل اسكندر عساكره فوق رو امس عملت على النهر من جلود خيامهم وحشيت بالقش والحشيش الناشف وأرسل اسكندر بطلميوس قدامه فقبض على بصوص وجاء به الى اسكندر فأمر بتوقيفه عريان على قارعة الطريق معلقا فى رقبته حجر ومر الجيش على هذا الاسير وهو واقف بالحالة التى أمر بها اسكندر ولما وصل الاسكندر اليه أوقف عربته وعنف بصوص ووبخه من أجل ما حصل منه من الخيانة وخسة الاصل التى عملها فى دارا وأمر أن يجلد بالسياط ويوضع تحت العذاب والعقاب ومن بعد خضوع بلخ والصغد أمر بقطع أذن بصوص وأنفه ثم صار تمزيقه عضوا عضوا فى نواحى همذان أمام المديين والفرس

وفى مدة هذا الحرب أظهر اسكندر بعض نتائج من التغييرات التى اتخذها فى سيره نحو رعاياه المقدونيين من بعد جلوسه على تخت آسيا ومن قبل تركه مصر كان ارتاب من صداقة فيلوطاس بن برمينيو وهو الباقى له على قيد الحياة من ثلاثة أولاد كانوا له وكان فيلوطاس قائد الحرس الملوكى فظهر فيلوطاس مع الكبرياء والعظمة وضع مع عدم الاحتراز ما لا يسوءه وله من المآثر الجميلة وانه لم يكن هو ولا أبوه على رأى التغييرات التى أظهرها اسكندر فى سير أحواله واجراآت أعماله فى الشرق واتفق أنه فى هذه الاثناء كاشف نخاموس وهو شاب قبيح السلوك دينوس من ضباط المقدونيين بتشكيل دسيسة على حياة الملك فقال أخو نخاموس لفيلوطاس ما يحصل من الخطر والاذى على حياة الملك فتأخر عن عرضه هذه الحكاية على الملك حتى مضى بعض أيام ثم وصل الخبر الى الاسكندر من واسطة أخرى غير فيلوطاس ولما سأل اسكندر فيلوطاس عن سبب السكوت على هذه الحالة حتى بلغ الملك خبرها من غيره مع أنه عارف بحقيقتها من قبل دافع عن نفسه بتقصيره وعجزه ومع ان اسكندر كان مستعدا للعفو عنه لو عرض عليه الحال الا أنه من سكاته وعدم غرضه أمر اسكندر بالقبض عليه ومحاكمته على خيانته أمام ضباط المقدونيين وحضر الملك الى المجلس وكان هو خصيمه وشرح كل ريبة وخيانة مكنونة فى قلب فيلوطاس وحركاته وأثبت للمجلس أن حياته منه فى خطر ولما أعطى اسكندر للمجلس براهين خيانة فيلوطاس تركه يدافع عن نفسه فأثبت على نفسه فى المجلس الخيانة بسكوته الذى أقر به قبل وأظهر انه ما كان داخلا مع دينوس فى هذه الخيانة وفى هذا اليوم وضع تحت العذاب فأقر واعترف بانه هو وأباه برمينيو داخلان فى جريمة الخيانة وفى اليوم الثالث قرئ هذا الاعتراف فى المحكمة الجنائية العسكرية فصدر حكم المحكمة بقتل فيلوطاس فى الميدان وأرسلوا رسولا معتمدا بقطع صحراء همذان ومعه أمر بقتل برمينيو وبينما كان القائد الطاعن فى السن برمينيو يقرأ مكتوبا من ابنه اذ قطع رأسه الرسول وأخذها وسار الى أستاذه ورتب اسكندر فى الوظيفة التى خلت بموت فيلوطاس حفسطيون الصادق العزيز لاسكندر وكليطوس بن دروبيداس وكان نجى حياة اسكندر فى واقعة غرانيقوس وتولد من عقاب فيلوطاس عقاب آخرين من حاشية اسكندر واتسعت فتوحات اسكندر وامتدت حتى وصلت نهر سيحون فعبر هذا النهر وأسس مدينة جديدة سماها باسمه فى الحد الشمالى لمملكته من اسيا ولما شرب المياه الغير الموافقة للصحة الموجودة فى الصحارى الشمالية من نهر سيحون أصيب بمرض شديد والتزم عبور

النهر ثانيا ورجع الى الجهة الغربية من نهر جيحون وقضى فصل الشتاء فى زاريا سبه وأجرى حركاته العسكرية على الصيطابانيين فحصل له خسارات جمة والتزم بان يقفل عليهم الدروب بالسور أو السد المشهور المذكور فى القرآن الشريف فى أقصى الجهات الشمالية الشرقية من نواحى جوشتبه من الجهة الشرقية لبحر الخزر ويبتدئ من شاطئ بحر الخزر فى شمال نهر غوركان ويمتد الى جهة الشرق قاطعا السهول والاراضى العالية بين ٥٤ و ٥٧ من الطول الشمالى وبين ٣٧ و ٣٨ من العرض الشرقى وبناه بالطوب والمونة وحصنه بالابراج ولم تزل آثاره موجودة لحد الآن فى نواحى جوشتبه مرتفعة عن الارض بمقدار يختلف من قدم الى ثلاثة أقدام فى الاراضى الواطية وأما فى الاراضى العالية فهو طريق مرور للمسافرين ومشهور هذا السور عند مسلمى أهل تلك البلاد بسد اسكندر ويأخذون منه الطوب اللازم لبناء مساكنهم وهو الآن فى وسط أراضى بلاد المسلمين من بلاد تركستان الموجودة فى شرق بحر الخزر وفى غرب نهر جيحون ودمر اسكندر أقاليم الصغد المخصبة انتقاما من أهلها بما حصل منهم وعاملهم بأسوء الاعمال ولما تغلب على قلعة فى أراضى الصغد يقال لها صغدا لجر تزوج روكشنه الجميلة بنت أوكسيارطيس ملك بلخ

وفى بلدة مركنده استعفى ارطابانطوس وكان طاعنا فى السن ومن أصحاب دارا وكان اسكندر قلده مرزبانية بلخ فعين بدله فى هذه الوظيفة كليطوس وكان مشاركا لحفسطيون فى وظيفة الحرس وكان أخا لانيسى مرضعة اسكندر ورفيقه من زمن الشبوبية وفى مساء اليوم قبل اليوم الذى سيتوجه فيه لمأموريته الجديدة عملت مأدبة حافلة حضرها شعراء الجريس وسفاسطتهم وهؤلاء بسبب كثرة تملقاتهم ومدحهم للاسكندر صار لهم المقام العالى والرحب الواسع فى ديوان اسكندر الشرقى واتفق أن المدح والثناء الذى كومه هؤلاء على اسكندر كاما عالية وربابا جسيمة كوم الغيظ والحنق الشديد فى قلب كليطوس حتى انه فى أثناء المأدبة لما امتلأ مخه من الشراب والسكر هاجت نفسه وصار يذم فى هذا المدح مع شدة العنف وبما هو حاصل له من شدة الحدة أسرع فى سب الملك ولعنه ونقم فى مشروعات فيليب وذكر اسكندر بواقعة غرانيقوس ورفع يده وقال هذه اليد يا اسكندر هى التى كانت سببا فى نجاة حياتك ذلك اليوم فنبت الملك أصدقاؤه بما حصل له من الغضب خشية بطشه بكليطوس وأسرع كليطوس فى الخروج من قاعة المأدبة فقام الاسكندر فى الحال وقبض على حربة فى يد واحد من الخفر وقابل كليطوس عائدا الى السراى فخرق بها جسمه وقتله الا أنه من بعد قتله ذهبت السكرة وجاءت الفكرة وتندم على ما فعل وتراكمت عليه الهموم والاكدار واشتدت عليه زوابع الاحزان وصار يلوم نفسه ومن ابتداء هذا الوقت صار لا يمكن صرف هذه الاحزان عنه لا بواسطة كذب المنجمين ولا أقوال المتملقين من عساكره وقواده ولا بالسفسطائيين من الفلاسفة الذين كانوا يعلمونه ويذكرونه بالنظر فى أشغاله مع العدل وأخيرا تدارك خلاص نفسه من هذه الاحزان بكونه شرع فى سرعته المعتادة الى نحو الثغور الغربية لممالكه ومن بعد حروب شديدة أخضع الذين كانوا ثاروا عليه من البلخيين جميعا الطاعته سنة ٣٢٨ قبل الميلاد وتولد من اخضاعه برابرة آسيا الشمالية توطيد استحواذه على المملكة الفارسية وصار تحت قيادته كثير من الجيوش من أشداء المحاربين وبها يمكنه تنفيذ أغراضه فى مشروعات فتحه البلاد الهندية فترك امنطاس مع قوة قوية مرزبانا تابعا عنه فى بلخ وعبر سلسلة جبال الكوة الهندية التى هى سور الهند الشمالية بجيش مؤلف من ١٢٠٠٠٠ مقاتل

من المشاة و ١٥٠٠٠ فارس واتبع فى سيره مسالك القوافل الكائنة بين فارس والهند فوصل الكفن فى سنة ٣٢٧ قبل الميلاد وهو نهر مشكل من مياه قابول مع مياه بنج شيرأو بنجشير وهذا النهر جار من الشمال الغربى وفى هذا المحل أرسل قسما من جيشه الى نواحى نهر السند لاجل نصب جسر عليه لمرور الجيش وسار هو بالباقى نحو الجهة الشرقية فاخضع القبائل الحربية التى كانت موجودة فى الجبال وكذا المدائن التى يتولد منها توقيف حركة سيره نحو الهند ومازال مجدا فى سيره فاجتاز بحر وبه المدائن والسهول والاوعار حتى وصل نهر السند ونزل فيه فى مراكب جلبها له أهل البلاد والتحق بالقسم الذى كان أرسله من جيشه الى نواحى السند وقرب قربانات جليلة وعزم على الاقامة بضع شهور فى طاكسيله وهى مدينة من أعظم مدن بنجاب أى مدينة مملكة الخمسة أنهار التى مياهها تصب فى نهر السند وفى مبادى دخول اسكندر فى هذه المملكة عقد معه ملك طاكسيله محالفة على ملك آخر هندى عدوه اسمه بوروس ولما علم اسكندر بأحوال المملكة وخضع له عدة رؤساء فى بنجاب من ضمنهم واحد من أقرباء بوروس اسمه أيضا بوروس سار اسكندر نحو الهيداسب الواقع فى أقصى الجهة الغربية من الخمسة الانهار وهو ما بين طاكسيله ومملكة عدو حليفه وكان بوروس أخذ جميع المراكب من نهر السند وأدخلها فى بلاده وأما اسكندر فكان مصحوبا بملك طاكسيله ومعه ١٠٠٠٠ من عساكر الهنود

ولما انتفخ النهر من أمطار الصيف صار عرضه نحو ميل وكان على شاطئه الآخر بوروس جامع جيشه ومعه ٣٠٠ أو ٤٠٠ من الفيلة لاجل منازعة اسكندر وصده من تعدية النهر ونزوله فى البر الشرقى فمن بعد أن بذل اسكندر مجهوده فى عمل الحيل التى كانت على غير طائل فى تعديته النهر غش عدوه أخيرا فى حركاته وذلك أنه فى أثناء شدة سقوط الامطار وكثرة الرعد والبرق وشدة الرياح عبر اسكندر النهر فى مركب مع بطليموس وبرديكاس وليسيماخوس وسلقوس ومعهم الخيالة وفرقة من الجيش فبذل الهنود أنفسهم فى الحرب وتتوامع قطع اليأس حتى ان الفيلة من كثرة ما أصابها من رمى النشاب والحراب ازدحمت على بعضها فى مسافة ضيقة ورمت ركابها وارتدت على أعقابها فداست العساكر المشاة تحت أقدامها وتوحش أمرها وهرب الهنود من شاطئ النهر ولما خلا الشاطئ من العدو عدت الفرق الاخرى وانضموا الى بعضهم واقتفوا أثر الفارين وتولد من ذلك هزيمة جيش بوروس فاسروا من جيش بوروس ٩٠٠٠ أسير و ٨٠ فيلا وقتل ١٢٠٠٠ نفس وكان من ضمن المقتولين كثير من أكبر قواد ورؤساء بوروس وأولاده وأما الملك بوروس فانه لما رأى هزيمة جيشه دور فيله وأراد الهرب فأخذ أسيرا فى ميدان الواقعة وجلب أمام اسكندر فسأله اسكندر فى أى شئ ترغب أن نعاملك به فأجابه بوروس بصفة ملك فسأله اسكندر ثانيا ألم يكن لك طلب آخر فأجابه حاشا كل طلب داخل فى لفظة ملك فاستغرب اسكندر من علو هذا الجواب المقنع وأعاد بوروس الى تخته وتبدلت العداوة بمحبة صادقة وصديق تابع له ورادله فى أراضيه وكمالكه بان أضاف له الاودية الخصبة المجاورة له من الجهة الشمالية ولاجل اشهار هذه النصرة أسس اسكندر بالقرب من ميدان الواقعة مدينة سماها نيخيا وأخرى جهة النهر فى المحل الذى عبر منه سماها بوسفاله على اسم حصانه وكان مات فى هذه الواقعة

وكان نهر شناب النهر الثانى فى العرض بعد نهر الهيداسب فى مملكة بنجاب ومن ورائه قفر من الاراضى فعبره اسكندر وأرسل حفسطيون خلف بوروس قريب ملك طاكسيله وكان هرب خلف هذا النهر

وأما هو فانه تقدم الى أعلى هذا النهر مع خيالته على الكاطيانيين وكانوا تجمعوا فى نواحى سنغالة بالقرب من لاهور الآن لاجل توقيف حركة سيره وتقدمه ومن بعد أن هجم على المدينة عنوة قتل ١٧٠٠٠ نفس وأسر ٧٠٠٠ نفس وانتقم من المدينة فى جراحات عدة من ضباطه و ١٢٠٠ من رجاله بكونه هدم المدينة ودمرها ووزع أراضيها على القبائل والعشائر المجاورة لها جزاء ومكافأة على قبولهم محافظين من عساكره فى مدائنهم وكان حد أواخر هذه الحملة الهندية هو الشاطئ الغربى لنهر الحيفاسيس أو نهر الغور الآن وفيه يصب نهر السوطليج والبيه وهو أقصى الجهة الشرقية للخمسة أنهار التى يتشكل من مياهها نهر السند

ولما كانت عساكره تعبت مما نالها من المشاق والمصاعب التى لاقتها فى أسفارها وحروبها رفضوا التقدم خطوة واحدة الى قدام وراء هذا النهر ولما رأى اسكندر أنه لا يمكنه قهر عساكره على استمرارهم فى السير سلم لهم فى ذلك وشيد اثنى عشر مذبحا ضخمة بالصورة المقدونية علامة على النصر والظفر وندر هذه المذابح للآلهة واحتفل عندها بمواكب الالعاب وتقريب القربان وأضاف كامل ما فتحه الى ممالك پوروس فصار پوروس ملك سبعة أمم وألفى مدينة ولما عاد اسكندر الى الجهة الغربية وجد أسطولا كان أمر باستعداده فى ينخيا و بوسفاله مستعدا له وهذا الاسطول جمع بعضه أهل البلاد و بعضه صار انشاؤه بواسطة أصحاب اسكندر من الارخبيليين من أخشاب الصناعة الموجودة فى الاورمانات القريبة من رأس النهر وهو مؤلف من ٢٠٠٠ سفينة وأمر اسكندر بسير ثلاث فرق من جيشه يمشون فى طول شواطئ النهر حتى يقابلهم فى نقطة أعدها لهم ونزل مع الباقى من قواه فى مراكب الاسطول فانحدر به فى النهر ولبث سبعة أشهر فى سيره فى هذا النهر ونزل فى أثنائها فى عدة سواقع مع جيشه لاجل الغارة على القبائل ولاجل ترميم وتصليح مراكبه وانشاء مراكب جديدة وأحيانا لاجل مقابلة مبعوثين وسفراء من طرف ملوك الهند يقدمون طاعتهم وعقد محالفتهم

وأعظم واقعة شديدة حصلت له كانت مع المليانيين فطردهم من الاراضى المكشوفة وأخذ مدائنهم ثم تقهقروا الى معاقلهم الحصينة الموجودة فى الجبال فزحف اسكندر عليهم وحاصر مدينة من مدائنهم الحصينة وكان اسكندر نفسه أول من تسلق على سور تلك المدينة ولبث فوقه بضع دقائق بمفرده عرضة لسهام الاعداء من قبل أن يتمكن أحد من أتباعه من تسلق السور والحضور لمساعدته ومن كثرة ازدحام عساكره على السلالم كسروها فقفز اسكندر على حين غفلة فى وسط المهجومين وانعطف على ثلاثة فقتل رئيسهم وواحدا منهم وحمى نفسه بنفسه حتى خلصه ثلاثة من شجعان ضباطه وقتل واحد منهم وأما اسكندر فانه لما سقط فى وسط المهجومين أصابه سهم فى جهة بزة الايمن ودخل سنان الرمح فى زرخه وخرق جسمه وسال الدم فقام الضابطان الموجودان على قيد الحياة عليه حتى جاء المقدونيون بعد تسلقهم الاسوار واغتصابهم الابواب وهجموا عنوة وخلصوا ملكهم وقتلوا جميع النساء والرجال والاطفال الذين كانوا بالمدينة ونهبوا ما فيها ولما وصل الاسكندر خيمته أمر برديكاس أن يشق الجرح بسيفه ويخرج منه سنان الرمح فنزل منه دم كثير حتى ظنوا موته وما كان عند المقدونيين أدنى فكر فى حياته حتى شفى من جرحه وخرج اليهم

وأنشأ أسطولا فى المدينة الكبيرة من الصعد وأسس فيها ترسانة ومن هذه المدينة سار نحو الجهة الجنوبية حتى وصل أراضى موسيكانوس العظيمة فبنى فيها قلاعا وحصونا ورتب فيها محافظين وفى

غربي هذه الاراضي استحوذ الاسكندر على خزائن وفيلة من سمبوس وهو من أكبر الرؤساء وكان هرب من مدينة ممالكه بمجرد وصول الفاتح اليها وبينما كان اسكندر مشغولا بانواع الهجوم عنوة على مدائن أوكسيكانوس وضبط مدائن أخر قامت عليه مملكة موسيكانوس في ثورة تولدت من البراهمانيين وكانت حصلت لهم شدة الغيرة والحمية واشتعلت في قلوبهم نيران الغضب من كون اسكندر وضع قدمه النجس ونجس أراضيهم المقدسة عندهم من الابد فشنق اسكندر كلا من الملك والبراهمانيين وتغلب على كافة الاراضي التي يسقيها نهر السند حتى سلم له أخيرا رئيس باتاله طوعا وكانت سلطنته ممتدة على الاراضي الجاري فيها عدة فروع من نهر السند تصب في البحر فانشأ في مدينة باتاله قلعة قوية وأمر حفسطيون بانشاء مينة بحرية ولما أخذت هذه الاشغال في التقدم نزل الاسكندر في الفرع الغربي من نهر السند ومن بعد أهوال وأخطار وصل الى البحر ومن بعد أن قرب قربانا الاله البحر الاوقيانوس رجع من النهر عينه الى باتاله ثم نزل في الفرع الشرقي من نهر السند وعاد الى باتاله أيضا وأرسل ينرخوس مع الاسطول الى الخليج الفارسي وسار هو بجيشه من طريق البر الى برسبوليس والسوس وكانت طريق سيره من وسط بلوجستان أو غيدروسيا وكرمانيا وكان سيره شديدا عنيفا لم يقع له نظيره قبل وفي أثناء عبوره من صحراء غيدروسيا هلك من عسكره زيادة عن هلك منهم في كامل غزوته وشارك الاسكندر عساكره ورجاله في التعب والصعوبة والخسران الذي حصل لهم وسار معهم على أقدامه وكابد كل ما تحملوه من المصاعب والاخطار ومع ما حصل له من الاتعاب والخسائر فقد وصل مدينة برسبوليس بالجم الغفير من جيشه وقوة كافية ليكون له طاقة على حفظ فتوحاته ويمكنه بها فتح فتوحات جديدة وكان وصوله الى برسبوليس في مبادي فصل الشتاء من سنة ٣٢٦ قبل الميلاد وفي السنة التالية عاد اسكندر الى السوس ورخص فيها لجيشه بالراحة عدة شهور وعكف نفسه على ترتيب مملكته وتنظيمها

وقد ذكرنا قبل أنه تزوج روكشنه بنت ملك بلخ ثم تزوج عليها سطاطيره البنت الكبرى لدارا الثالث أولابن دارا مؤملا انه بهذا الزواج يربط علاقات رعاياه الشرقية معه وزوج أختها دريطيس لحفسطيون وعدد زواج نحو المائة نفس من ضباطه بنساء من الشرقيين من أصحاب البيوتات وفي هذا الوقت تزوج نحو العشرة آلاف من عساكره بنساء من اسيا وأنعم الملك عليهم بالهدايا النفيسة وصرح بدخول ٢٠٠٠٠ نفس من الفرس في الجيش وتدريبهم على حسب النظامات العسكرية المقدونية ووظف كثيرا من مرازبة الفرس حكاما في الاقاليم وصار ديوان اسكندر مشكلا من رجال من الاوروباويين ومن الآسيويين على تعادل واحد ومالت طبائع وعادات الملك شيأ فشيأ لعادات ملوك الشرق في الاحكام المطلقة الاستبدادية ومن ثم تولدت من هذه التغييرات العداوة في قلوب المقدونيين المتدربين على الحروب حتى الجأهم الامر أخيرا الى الثورات جهارا حالما صدرت من الملك أوامر بطرد بعض المقدونيين المجروحين والذين لا طاقة لهم على الاشغال فأسرع اسكندر وقبض على ثلاثة عشر من رؤساء الثورة وقتلهم ولما رأى ذلك الآخرون تضرعوا اليه بتوسلات كبيرة وأذعنوا بتبعيتهم له وانقيادهم اليه فسامحهم وعفا عنهم وأرسل عشرة آلاف من المتدربين في الحروب الى بلادهم من طريق البحر

وما كان الاسكندر فاتحا مثل الفاتحين وما كان لقبه بالاكبر من شأن فتوحاته فقط بل كان من نواياه

تأسيس مملكة شاسعة مشتملة على معالم الدنيا المعروفة فى وقتها وما كانت رغبته ادخال هذه الممالك تحت سلطنته وحكومته فقط بل كان مقصده اصلاحها ونشر العدل فيها والانصاف فأمر أن تكون أنهار الممالك والاقاليم التى فتحها خالية من الاخطار والعوارض وقوى المشروعات التجارية وشجع قوة اجتهاد الشرقيين فى أشغالهم وترك فى كل جهة توجه اليها ومر من وسطها اللسان الجريقى وبعضا من العلوم والآداب الجريقية والمحصولات الارضية من دون أثمان وبواسطة النشر العمومى للغة الجريقية انضمت أمم الدنيا القديمة الى بعضها واتحدت اتحادا ودياقلبيا ببعضها وصار اللسان الجريقى لسان التجارة كأنه لسان الديوان الشرقى ومن بعد قليل صار ترجمة الكتب المقدسة العبرانية الى اللسان الجريقى وأمكن الحصول عليها فى كامل الدنيا القديمة ثم بعد ذلك عزم اسكندر على مد فتوحاته فى داخل بلاد العرب ومن بعد خضوع تلك المملكة يشرع فى فتح قرطاجنه ثم ايطاليا ثم أوروبا وان تكون بابل عاصمته وكرسى سلطنته فأمر بان تنشأ فيها مينة بحيث تنتقل هيئة هذه المدينة الداخلة فى الاراضى الى هيئة مينة أصلية للشرق

وفى فصل ربيع سنة ٣٢٤ قبل الميلاد توجه من همذان الى بابل وكانت الاستعدادات اللازمة لغزو بلاد العرب جارية مع تقدم الحركة فيها وفى ظرف استعدادها أشغل اسكندر نفسه بتصليح مجرى الفرات ووزع تصميماته وآراءه على اصلاحاته وحالما كان مشغولا بداخل الاراضى المستنقعة العفنة الغير الموافقة للصحة فى نواحى المستنقعات الكلدانية أصيب بحمى ظهرت عليه من بعد عوده الى بابل وفى وسط استعداداته الاخيرة لبلاد العرب وفى أثناء المأدبة التى عملت وقت سفره لتلك الجهة وفى أثناء حالة الشرب شرب الملك كثيرا من الشراب ولما فرغ من شرب آخر كاس أصابته الحمى فتجلد لها بعض أيام وأخيرا التزم فراشه وزاد عليه المرض وظهر للكل اقتراب أجله وصار فى حال نومه على فراش موته لا طاقة له على التلفظ باى كلمة فاستأذن ضباطه وقواده المحبون له فى الدخول عليه فما قدر أن يمد يده لهم بل كان ناظرا اليهم مع الصمت وهم سكارى من شدة الانين والنحيب وانصبت عليهم الاحزان ومات فى ٢٨ يونيه سنة ٣٢٣ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر اثنتين وثلاثين سنة فى السنة الثالثة عشرة من سلطنته

﴿ الباب التاسع ﴾

﴿ من موت الاسكندر الاكبر الى الفتح الرومانى ﴾

النتائج التى حصلت من موت الاسكندر ــ تدبير قواده ــ صيرورة فيليب ارهيديوس ملكا ــ تقسيم ممالك الاسكندر ــ ولادة ابن الاسكندر ــ منازعات خلفاء الاسكندر ــ حروبهم ــ واقعة ابسوس ــ التقسيم الاخير فى ممالك الاسكندر ــ هيئة الاحوال فى الجريس ــ اخر تغلب المقدونيين على أثينة ــ فيليب الرابع ملك مقدونيا ــ صيرورة ديمتريوس ملك مقدونيا والجريس ــ توجهه الى الحرب مع سوريا ــ ضياعه مقدونيا ــ صيرورة مقدونيا خاضعة لرئاسة ــ صيرورة سلقوس ملك مملكة الاسكندر ــ بطليموس ثيرونوس ملك مقدونيا ــ سلطنته الشديدة ــ كثرة ورود أهل الغالية فى الجريس ــ صيرورة انطجنوس غوناطوس ملك مقدونيا ــ الحروب مع برهوس موت برهوس ــ صيرورة انطجنوس ملك الجريس ــ الاتحاد الاخايانى ــ عتق البلوبونيزيين من

مقدونيا حسب نص الاتحاد ـ استخلاف ديمتريوس الثاني بواسطة فيليب الخامس ـ خيبة مساعيه في احياء شوكة اسبرطة ـ اجراء فيليب الحرب على العطوليانيين ـ مخالفته مع قرطاجنه ـ هجومه على الممالك الرومانية ـ هزيمته وارغامه على عقد الصلح ـ تجديدها الحرب ثانيا ـ هزيمته وارغامه على القهقرة الى مقدونيا ـ الاتحاد الاخايائي والعطولياني ـ صيرورة العطوليانيين رعية لرومة ـ هوان فيليب ـ موته ـ صيرورة برصيوص ملك مقدونيا ـ اعلان رومة بالحرب على مقدونيا ـ هزيمة برصيوص وأخذه أسيرا ـ فتح الرومانيين الجريس

هدد موت الاسكندر على حين غفلة مملكته الشاسعة بالتمزيق اذ أنه لم يعين خليفته بنفسه من بعده وفي يوم موته انعقد مجلس من قواده لاجل فصل الحكم والاقرار على الطريق الموافق للسير فيه على محور الاستقامة وكان الاسكندر أعطى خاتمه الى برديكاس وهو على فراش موته فكان لهذا القائد رياسة المجلس في المحاورات والمجادلات التي حصلت فيه وكانت روكشنه زوجة اسكندر حاملا منه وقت موته فاتفق كامل المجلس على أنها ان ولدت ولدا فهو الوارث لتخت أبيه وتاجه ومن بعد أن حصلت محاورات شديدة في المجلس حصل الاتفاق على اصلاح وترتيب حسبما هو آت وذلك أنه يجب أن يكون فيليب ارهيدوس أخو اسكندر الاكبر لابيه ملكا حافظا الطفل روكشنه حقوق السلطنة فان كان المولود ذكرا ضمت اليه السلطنة وكان فيليب هذا شابا ضعيف العقل والادراك وأن تقسم حكومة مقدونيا والجريس بين انطيباطير وكراطيروس وان بطليموس المشهور بكونه متصلا بالعائلة الملوكية يتولى حكم مصر وما جاورها من الممالك ويتولى انطيجنوس فريجيا الاصلية وليشيا وبمفيليا ويتولى ليوناطوس هلسبونطين فريجيا وأن يكون أومينوس مرزبانا في بفلاغونيا وقبدوسيا وان كان هذان الاقليمان لم يزالا تحت الخضوع وتعهد رياسة الى ليسيماخوس وتعهد الى برديكاس قيادة الحرس السواري وهذه الوظيفة كانت معهودة من قبل الى حفسطيون قبل موته وقد مات قبل الاسكندر في بابل ومن ثم صار برديكاس وصي فيليب وصاحب حرسه وكان فيليب ملكا بالاسم فقط ولما تم نظم هذه المواد والاتفاق عليها أجريت شعائر الاحتفال بجثة الاسكندر وأرسلت الى سوريا ومنها نقلت الى الاسكندرية في مصر وفيها وضع في قبر مفتخر شيده له بطليموس الاول وقبره هو المعروف الآن في الاسكندرية باسم النبي دانيال ولما كملت شهور رجل روكشنه وضعت ولدا ذكرا سموه الاسكندر على اسم أبيه وأعلنوا بملوكيته في المملكة وكان برديكاس هو الحاكم الحقيقي في المملكة فحفظها مع غاية الاتحاد والصداقة التامة لعائلة الاسكندر مدة سنتين وتعين أربعة نواب أوصياء في المملكة اثنان في اسيا واثنان في أوروبا ثم ان برديكاس قتل شريكه الموجود معه في اسيا وصار هو الحاكم المفرد فيها وأما انطيباطير وكراطيروس فكانا في حكومة واحدة في غرب الهلسبون ومع هذا فكان من الواضح والبين أن هؤلاء الرؤساء المختلفون الذين صار تعيينهم في الاقاليم لاجل البحث على الطرق التي يؤول منها ضبط الممالك التي تعينوا فيها لانفسهم ولم يمض على ذلك مدة طويلة حتى ظهر ما كان في نواياهم من الاغراض والمشروع ولما رأى برديكاس أنه استحيل عليه حفظ المملكة وتاجها لولد الاسكندر عزم على ضبط التاج لنفسه فصده عن ذلك انطيجنوس وبطليموس وكانا أكبر حكام الاقاليم وأجلهم وكان قصد انطيجنوس من صده برديكاس التغلب على شيء يأخذه لنفسه وأما بطليموس فكان

قصده جعل مملكته مستقلة وقتل ردبكاس مذبوحا بثورة قامت عليه في عساكره مدة حربه مع بطلميوس وهلك كراطيروس في واقعة مع أومنيس حصلت بينهما في نواحي قبدوسيا ومن ثم صار انطباطير منفردا في النيابة وأسكت الشابة عيوريديس زوجة الملك الهزؤ فيليب ارهيديوس فطلب فيليب أن يكون له نصيب في الحكومة وتسبب في اعمال قسمة جديدة في الممالك سنة ٣٢٠ قبل الميلاد وصار انطجنوس غير معتمد أو غير صادق في الحرب على أومنيس وأقام نفسه أستاذا على القسم الاعظم من آسيا الصغرى تحت علة تعضيده ومساعدته الحكومة

وفي سنة ٣١٩ قبل الميلاد مات انطباطير في مقدونيا وبدل أن يترك النيابة لابنه كاسندر جعل صديقه بولسبرخون خليفة من بعده فانضم كاسندر في الحال الى انطجنوس وكان مشتغلا بالحرب على أومنيس فصار أومنيس وبولسبرخون هما الشخصان المنفردان في الطرق اللازمة لحفظ كامل المملكة وكانت هذه رغبتهما وأما كاسندر وانطجنوس وبطلميوس فكانت عين رغبتهم دمارها وخرابها وقلبها لاجل توسيع ما تحت أيديهم من الممالك والاقاليم وهزم انطجنوس أسطولا ملوكيا بالقرب من بيزانطيوم وطرد أومنيس خلف نهر الدجلة فالتحق به كثير من مرازبة الشرق ومع ما كان فيه أومنيس من كثرة القوة قد انهزم وقبض عساكره عليه وسلموه الى انطجنوس فقتله في سنة ٣١٦ قبل الميلاد وفي نفس هذه السنة أمرت أولمبياس أم الاسكندر الاكبر بقتل فيليب ارهيديوس وزوجته ولم تمض مدة حتى وقعت هي نفسها في خرابيش كاسندر من بعد أن صار ملك مقدونيا والجريس وقتلت ووطد كاسندر نفسه وقواها بتزوجه تسالونيقه أخت اسكندر من أبيه وبنى على اسمها تشريفا لها مدينة تسالونيقه أو مدينة سلانيك الآن

وصار من الجلي الواضح أن أنطجنوس لم يكن في شيء من البحث سوى سلطنته على الشرق بأجمعه وبسيره في هذا المعرض طرد سلقوس من بابل فهرب سلقوس الى مصر ملتجئا الى بطلميوس فتشكل جمع جديد على انطجنوس مركب من بطلميوس وسلقوس وكاسندر وليسيماخوس واشتعل الحرب بينهم مدة أربع سنوات حتى عجز جميع الاحزاب وعقدوا اصلاحا في سنة ٣١١ قبل الميلاد تقرر فيه حرية المدائن الجريقية وأحكام كاسندر في أوروبا حتى يبلغ الاسكندر بن الاسكندر الاكبر العمر الموافق وكان عمره حين ذاك ست عشرة سنة ويستقر بطلميوس في مصر وليسيماخوس في تراسة ولم تمض مدة من بعد عام هذه المحالفة حتى أمر كاسندر بقتل روكشنه وابنها اسكندر في السر والخفية

وكان سلقوس أعاد لنفسه بابل فجعل نفسه أيضا أستاذ ميديا والسوس وفارس الا انه ما كان داخلا في شروط الصلح واتحد سلقوس مع محالفيه ورعيته حتى صار عنده قوة كافية لضبط فتوحاته ثم ان بطلميوس فسخ شروط الصلح في سنة ٣١٠ قبل الميلاد من أجل تضرره من انطجنوس حيث لم يعط المدائن الجريقية حريتها حسب نص شروط الصلح وكذا تضرر انطجنوس من كاسندر حيث لم يزل مبقيا محافظيه في المدائن الاوروباوية الجريقية ومن ثم تولد الحرب بينهم فحاز بطلميوس أجل نصرة وأعظم شهرة في الابتداء في نواحي سيليسيا الا أن ديمتريوس بن انطجنوس صده صدا كبيرا فحول أعماله العسكرية الى الجهة المقابلة من بحر الارخبيل واستحوذ على صكيون وقورنثه ورغب في توطيد نفسه بزواجه كليوبطره أخت اسكندر وهي آخر الموجودين على قيد الحياة من البيت الملوكي المقدوني الا أن كاسندر حرمه من هذا الزواج بكونه أمر بقتل كليوبطره في سنة ٣٠٨ قبل الميلاد ثم وصل

ديمتريوس باسطول كبير لمساعدة أثينة وما مكث فيها زمنا طويلا حتى دعى فى سنة ٣٠٦ قبل الميلاد لحصار قبرص وكان بطليموس تغلب عليها فأسرع بطليموس لخلاص الجزيرة ومعه ١٤٠ سفينة حربية و ١٠٠٠٠ عسكرى وجرت واقعة بحرية بينهما مهولة على مسافة من سلميس وكانت هذه الواقعة احدى الوقائع المشهورة فى تاريخ العالم انهزم فيها بطليموس شر هزيمة وخسر كامل أسطوله الاثمانية من السفن و ١٧٠٠٠ عسكرى برية وبحرية فرأى انطيغونوس أن هذه النصرة من أجل المظفرات حتى انه لقب نفسه بلقب ملك وتبعه على شاكلته بطليموس وكاسندر وليسيماخوس وسلقوس

ثم ان ديمتريوس شرع فى حصار جزيرة رودس وباشر هذا الحصار مع النباهة والشدة الا أنه من بعد أن مرت عليه سنة من اجتهاده على غير طائل فى التغلب على المدينة التزم على رفع الحصار والقهقرة ولم تتداخل رودس بعدها فيما بقى من الحرب وفى غضون هذه السنة ظفر كاسندر فى مساعيه بجلب الجريس تحت سلطنته فأخذ قورنته وفى أثناء محاصرته أثينة وصل ديمتريوس الى عوريبوس لمساعدة أثينة فأسرع كاسندر ورفع الحصار عنها وسار قاصدا ديمتريوس فهزمه ديمتريوس فى واقعة بالقرب من ترموبيلى ودخل ديمتريوس أثينة فقابلوه فيها مع الفرح والاجلال ولبث ديمتريوس فى الجريس سنتين أو ثلاثة وفى أثناء هذه المدة صار لا طاقة لكاسندر على اجراء حركة من حركاته ثم دعى ديمتريوس فى فصل ربيع سنة ٣٠١ قبل الميلاد لمساعدة أبيه وكانت هذه المدة القوى المتحدة من جهة ليسيماخوس وسلقوس فحصلت واقعة شديدة فاصلة لهذه الحروب فى نواحى ابصوص من أعمال فريجيا وتشتت فيها عساكر انطيغونوس وقتل هو فى ميدان المعركة وما بقى من آثار جيشه وصل تحت قيادة ابنه ديمتريوس الى أفسوس وأقلع من مينتها الى قبرص ثم طلب من بعد هذه التوجه الى أثينة فرفض الاثينيون قبوله عندهم وقسم المتغلبون فى ابصوص آسيا بينهم فخص بطليموس فلسطين وفينيقيا وقسم من سوريا الجنوبية ورخص له بان يضع محافظيه فى هذه الاقاليم وعسكها وأما ليسيماخوس فانه خصه القسم الاعظم من اسيا الصغرى مضافا الى مملكة تراسة وأخذ سلقوس جميع آسيا الغربية من ساحل سوريا الى الفرات وكانت غير داخلة فى قسم ليسيماخوس ولا فى قسم بطليموس وأما كاسندر فانه لم يحصل له تكدير فى مقدونيا بل استمر حاكما على هذه المملكة حتى وافاه الموت

وكانت الجريس لم تزل فى هذه المدة باقية فى حوزة الحكومة المقدونية وبمجرد موت الاسكندر عصى معظم الممالك على مقدونيا تحت رياسة أثينة فاجتهد انطباطير النائب فى اخماد هذه الثورة الا أنه انهزم وانحصر فى مدينة لاميا من أعمال تساليا فوجه أفكاره الى سياسة أخرى وهى كسر هذا الاتحاد الجريقى بحيث يعامل كل عضو من أعضائه على حدته ويمنح كل منهم بشروط لينة موافقة ماعدا الرؤساء وعاقب أثينة أشد العقاب ونفى من أهلها اثنى عشر ألفا الى جهات تراسة والبريا وايطاليا وافريقية وما بقى من أهلها انقاد مع الرغبة الى الحكومة المقدونية وقطعت رأس ديموسطنس مع قواد آخرين من حزبه ولم يترك لاثينة أثرا من الاستقلال وكان ذلك فى سنة ٣٢١ قبل الميلاد

ومات كاسندر فى سنة ٢٩٨ قبل الميلاد من بعد واقعة ابصوص بثلاث سنوات فخلفه ابنه الاكبر فيليب الرابع ومات هذا فى السنة المذكورة فقسمت تسالونيقه زوجة كاسندر مملكة مقدونيا بين الباقيين على قيد الحياة من أولادها وهما انطيباطير واسكندر فاشتاق انطيباطير وتلهف على كونه

يحكم المملكة بتمامها فقتل أمه ودعا حماه ليسيماخوس ملك تراسة الى مقدونيا المساعدته فى تغلبه على كامل المملكة وأما أخوه اسكندر فانه طلب مساعدة دمتريوس وكان ملك أثينة والقسم الاعظم من الجريس وكذا مساعدة برهوس ملك ابروس فقتل المخالفون الاخوين وصار دمتريوس ملك مقدونيا والجريس فى سنة ٢٩٤ قبل الميلاد وكان اسكندر تنازل عن عدة من الاقاليم الغربية الى برهوس فشرع دمتريوس فى ارجاعها فهزمه برهوس ثم ان دمتريوس غزا آسيا فى رأس جيش كثيف فى نحو سنة ٢٨٨ قبل الميلاد قاصدا بذلك استرداد ممالك أبيه انطيغنوس وبمجرد وصول خبر هذه الغزوة الى مسامع سلقوس وليسيماخوس حرضا برهوس على الهجوم على مقدونيا من الجهة الغربية وليسيماخوس يهجم عليها من جهة تراسة فتولد من اتحاد هذا الهجوم الزام دمتريوس على التنازل عن الحكومة المقدونية فى سنة ٢٨٧ قبل الميلاد ومن بعد مضى مدة أسر فى غزوة فى آسيا كان أجراها ضد سلقوس فاستمر فى الاسر حتى وافاه الموت من بعد مضى ثلاث سنوات فتنازع كل من برهوس وليسيماخوس فى قسمة مقدونيا بينهما فطرده ليسيماخوس منها الى بلاده وصارت مقدونيا قسما من المملكة التراسية ومن بعد مضى خمس سنوات قام الاشراف فى ثورة على ليسيماخوس وقدموا تاج المملكة الى سلقوس فهزم سلقوس ليسيماخوس وقتله فى واقعة حصلت بينهما فى نواحى كوروبيديوم واستحوذ على كامل مملكته ومن ثم صار سلقوس حاكما على جميع مملكة اسكندر الواسعة ماعدا مصر ومن بعد مضى بضع أسابيع ذبحه بطليموس ثيرونوس الابن المحروم من وراثة بطليموس الاول وكان التجأ فى ديوانه وضبط بطليموس ثيرونوس التاج المقدونى فكانت سلطنته القصيرة من أخبث الخبائث وأكبر الجرائم وذلك أنه تزوج باخته وكانت غير شقيقته المسماة أرصينوى أرملة ليسيماخوس وقتل أولادها أمام عينيها ثم نفاها الى صاموطراس فهربت منها الى مصر وتزوجت بأخيها بطليموس الثانى ثم انخمدت سلطنة بطليموس ثيرونوس على حين غفلة بغارة سقطت عليها فجأة من الغلية وكان ظهورهم فى داخل مقدونيا فى سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وقتل ثيرونوس وقت اجتهاده فى مقاومتهم وخربوا مملكته فى طولها والعرض ودخل الغليون فى السنة التالية فى تساليا بالقوة عنوة وعبروا فى داخل الجريس الوسطى فقاومهم الجريقيون مع الثبات والشدة وصدوا غاراتهم ومنعوهم التغلب على دلفى وهم ساعون فى أخذها فانقسموا الى مناسر سلابة نهابة وتولد مما حصل لهم من المصائب والخسارات فيما أجروه من الغارات دمار القسم الاعظم منهم والذين بقوا على قيد الحياة سكن بعضهم فى اقليم الدانوب وأسس بعضهم مملكة فى تراسة وانتقل آخرون الى آسيا واقبوا الارض التى سكنوها باسم غلطه ثم آل أمر مقدونيا الى حالة فوضوية فى الاحكام من بعد موت بطليموس ثيرونوس وتنازع فى التاج عدة مطالبين ومدعين فيه وفى سنة ٢٧٨ قبل الميلاد دخل انطيغنوس غوناطوس ابن دمتريوس وكان مستحوذا على مملكة الجريس الجنوبية والوسطى فى مقدونيا فى رأس جيش من مستأجرى الغلية وجعل نفسه ملكا عليها ثم ان انطيخوس سوطير ملك سوريا بذل جهده فى طرده منها ولما لم يمكنه اعترف له بملك مقدونيا وزوجه بأخته وما كان خضوع المقدونيين والجريقيين عن رغبة منهم الى انطيغنوس فانه بمجرد اغارة برهوس على مقدونيا فى سنة ٢٧٣ قبل الميلاد سمح الجيش المقدونى فى نفسه بالهزيمة مرتين لملك بروت فهرب انطيغنوس وصار برهوس أقوى فاتح وأعظم حاكم فى عصره واجتهد فى ربط وثبات فتوحاته من دون أن يسعى فى فتوحات غيرها وطد

مملكته الواسعة الذى صار أستاذا عليها فى الحالة الراهنة ومن بعد هذا بقليل داخله الطمع المزعزع للراحة حتى ساقه الى العزم على فتح الجريس الجنوبية فصدّق فى هجومه على اسبرطة وقتل فى ليلة هجوم كان أجراه على ارغوس وكان قتله من حجر سقط على رأسه رمته عليه امرأة ارجيفية من فوق سطح بيتها سنة ٢٧١ قبل الميلاد

فرجع انطجنوس واستلم تخته فى مقدونيا وحكم اثنتين وثلاثين سنة وزيادة وجعل نفسه ملكا على كامل بلوبونيزه تقريبا ورتب فى أحكامها طغاة نائبين عنه فى مدائنها المختلفة وحاصر أثينة بمساعدته باسطول مصرى وجيش اسبرطى فقاومته ست سنوات ثم اضمحلت حالة الاثينيين جدا حتى أخذت مدينتهم فى نحو سنة ٢٦٢ قبل الميلاد وفى أثناء حصار أثينة التزم انطجنوس على العود الى مقدونيا لمقابلة غارة اسكندر بن برهوس وكان نال عدة مظفرات حتى اعترف له بكونه ملك مقدونيا ثم ان ديمتريوس بن انطجنوس طرد اسكندر على أعقابه الى ابيروس الا انه ما صار فيه طاقة على أخذ مملكة ابيروس منه والتزم على ارجاعها الا أن اسكندر قوى نفسه وحفظ مملكته فى المستقبل وفى سنة ٢٤٢ قبل الميلاد تغلب انطجنوس على قورنثه وصار ملكا على عموم الجريس ماعدا اسبرطة

وفى هذه الحالة قامت شوكة جديدة فى الجريس وهى الاتحاد الاخايانى أو اتحاد مدائن اخايا وكان انعدم هذا الاتحاد مع تلك المدائن بسبب ماوقع عليها من الكبس الذى حصل لها من خلفاء اسكندر الاكبر فاستحيا هذا الاتحاد فى سنة ٢٥١ قبل الميلاد بواسطة أرطوس صاحب صكيون وذلك انه ضبط مدينته الاصلية وأضافها الى الاتحاد وفى سنة ٢٤٥ قبل الميلاد صار انتخاب أرطوس المذكور قائد الاتحاد وفى سنة ٢٤٣ قبل الميلاد تغلب على قورنثه وأخذها من المقدونيين وأضافها الى الاتحاد وكان المقصد من هذا الاتحاد عتق الجريس من الحكم المقدونى وعودة استقلالية ممالكها وبواسطة مساعيه واجتهاده تيسر الحصول على هذا الاتحاد بسرعة فضم جميع ممالك بلوبونيزه ماعدا اسبرطة وعليس وبعضا من المدائن الاركادية ولما طعن انطجنوس فى السن وصار لاطاقة له على الغارة بالهجوم على الاتحاد الاخايانى حض العيطوليانيين فى مقابلة هذا الفعل على الغارة والهجوم على الاتحاد ومات فى سنة ٢٣٩ قبل الميلاد وخلفه ابنه ديمتريوس الثانى

وعقد ديمتريوس محالفة مع ابيروس فتولد منها ابتعاد العيطوليانيين عنه بسبب عداوتهم لهذه المملكة وضموا افواههم الى قوى الاتحاد الاخايانى على مقدونيا ومع ان ديمتريوس نجح فى طرد الحريق المحالفين من تسالياومن بيوطية الا أنه ضيع بلوبونيزه ولما شرع العيطوليانيون فى تعديات عديدة على أكرنانية دخلت رومة فى الاعمال الجريسية وكان ذلك مبادى دخولها فارغمت العيطوليانيين على خلوص نيتهم لاكرنانية واحترام أحوالها وفى سنة ٢٢٨ قبل الميلاد تيسر الحصول للرومانيين على وضع رجلهم فى الجريس بكونهم تغلبوا على جزيرة قورصيره وابلونيا وابيدامنوس ومات ديمتريوس الثانى فى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد تاركا تاجه لابنه فيليب الخامس وكان طفلا عمره ثمان سنوات فتولى النيابة عن المملكة عنه انطجنوس دوسون شخص من أقارب هذا الملك الصغير

وفى ذلك كانت اسبرطة مستمرة على استقلالها الا أنها فقدت شوكتها وعظمتها الاولى فاجتهد اغيس الرابع وكان جلس على التخت فى سنة ٢٤٤ قبل الميلاد فى أن يعيد لبلاده ومملكته شوكتها ومجدها القديم بواسطة احياء وتجديد شرائع ليكورغس الا أنه فقد حياته فى هذا المشروع فشرع كليومنس

خليفته فى نشر قوانين وشرائع ليكورغه من بعد مضى بضع سنين ومن ثم شدت اسبرطة حيلها وصار لها طاقة على ايقاع هزيمة أخرى على قوى الاتحاد الاخايانى وتفصل منه المدائن الكبيرة الاخايانية من جهات بلوبونيزه وتجعلها حليفة لها ففى أرطوس قائد الاتحاد سعيا كبيرا حتى دعا لمساعدته انطجنوس دوسون نائب مقدونيا ومن ثم استعمل شوكة الاتحاد الذى كان شكله فى استرداد حرية الجريس لاجل كمال استرقاقها وصارت اسبرطة لا طاقة لها على الرياسة ضد هذا الجمع وفى سنة ٢٢١ قبل الميلاد انهزم كليومنس فى واقعة حصلت فى صلاسيا وانجبر على الهرب الى مصر عند بطلميوس الرابع وصار من الجلى الواضح الآن حصول الخيبة فى السعى فى احياء شوكة اسبرطة وأن تكون الجريس هدية عظيمة اما المقدونيا واما الرومه

وفى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد مات النائب انطجنوس وبلغ عمر الشاب فيليب الخامس الى سبع عشرة سنة فتقلد زمام حكومته وسلطنته ومع ما أجراه النائب انطجنوس من عظيم التدبير والاحتراس السياسى وجعله المقدونيا مزايا جليلة حاد فيليب عن الطريق التى كان سائرا فيها نائبه وابتدأ فى سلطنته بحرب على العيطوليانيين وكانوا يظنون أن جلوس مثل هذا الشاب على التخت يجعل لهم طاقة وقدرة من أجل تقدم منافعهم على مصاريف أعدائهم وأغاروا على مسينه فتوجه أرطوس لمساعدة مسينه مع الجيش الاخايانى فانهزم وتبدد شمله وتوسل الاخاثيون بمساعدة فيليب فاسرع فى مجاوبتهم وهزم العيطوليانيين فى عدة وقائع انتشبت بينهم وحصل له مظفرات كثيرة فى الجريس حتى تيسر له الحصول على اخضاع تلك المملكة لطاعته الا أنه من بعد مضى عدة من السنين مكافأة بنصره ونجاحه عقد بعتة صلح مع العيطوليانيين فى سنة ٢١٧ قبل الميلاد ووجه عزمه الى جهة أخرى فوصل فى تدبيره وفكره الى أكبر تصميم صمم عليه وهو طرد الرومانيين من الساحل الشرقى من البحر الادرياطيق والتغلب على ايطاليا وظهر له أيضا من النصرة التى حصلت لحنبال قائد قرطاجنه على الرومانيين فى نواحى بحيرة طراسمين نزول شوكة الجمهورية الى أسفل نقطة من الحضيض وانه لو اشترك مع القرطاجنيين لأمكنه توطيد ما عزم عليه من التصميمات والآراء وعلى هذا ابتدأ فى سنة ٢١٦ قبل الميلاد فى المخابرة مع حنبال فى شأن ما هو عازم عليه فقبض الرومانيون على رسله فى الطريق لكنه فى السنة التالية تمت المخابرة بينهما على خير وعقدت محالفة بين قرطاجنه ومقدونيا وفى سنة ٢١٤ قبل الميلاد ابتدأ فيليب فى مشروعه الطويل وهو اشتباكه فى الحرب مع رومة بكونه وضع الحصار على ابلونيا أعظم مينة بحرية رومانية فى البرقوم وتغلب على أوريكوم ومع هذا ظهر له ان ما خطر بباله من ضعف قوة رومة كان على غير حساب وصار خلاص ابلونيا من حصارها بواسطة فالبروس ليونوس فهجم على المعسكر المقدونى والزم فيليب بحرق السفن التى كانت موجودة عنده وضرب فيليب ضربة قوية أسرع منها فى القهقرة وحالما كان فيليب متعلقا بمشروعه ضد رومة قام عليه الجريق ونابذوه بالعداوة بما حصل لهم من استبداد أحكامه وقباحة معاملته لهم فتجاسر ارطوس على نعيه له فأمر فيليب بسمه ومات فى سنة ٢١٣ قبل الميلاد

وفى سنة ٢١١ قبل الميلاد لما زالت النوازل والمصائب عن الرومانيين فى نواحى ايطاليا عقدوا معاهدة مع العيطوليانيين والعليين والاسبرطيين والاليريانيين وكذا مع عطالوس ملك برجاموس

مساعدته فالتزم أن يطلب مساعدة من نفس قرطاجنة وتغلب الرومانيون على طاكيوطوس ونصوص وعناديه وانطيصرا فى لوكريس وجزيرة ايجينه وأعادوا كل ذلك الى العيطوليانيين ومرت السنتان الاوليان من الحرب فى مظفرات مختلفة وفى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد وضع فيلوبين القائد الاخايانى عدة تنظيمات قوية بين الاخايانيين ووعدهم باحياء المجد القديم الذى كان عليه الجريس من قبل فجعل لهم طاقة وقدرة على اكتسابهم النصرة الجليلة التى حصلت فى أمنطينه فى سنة ٢٠٧ قبل الميلاد على اللاسيدمونيين محالفى رومة وتولد من هذه النصرة أن صار فيليب فى موقع ألزمه على كتابة شروط معاهدة مع العيطوليانيين وعقد صلح معهم على حدته فعزم الرومانيون أن يبذلوا جهدهم ونفوذهم وقوتهم فى دمار قرطاجنه ورضوا بعقد معاهدة سلمية مع مقدونيا مع لائمة الشروط بين الطرفين فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد واستقبل الجريق فيلوبين مع الترحاب والاجلال كأنه هو المخلص لبلادهم مما كان حاصلا فيها من الآفات والبليات

ثم ان طمع فيليب وطيش عقله لم يسمح له فى انتهاز الفرصة فى وقت المهلة التى حصلت عنده فى أثناء هذه المعاهدة وذلك أنه بدل أن يوطد ويقرر قواعد شوكته فى مقدونيا والجريس ويستعد لآخر حرب مع رومة ابتدأ فى اجراء مشروعات عظيمة أوقعته فى الخراب والدمار وذلك أنه عقد محالفة فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد مع انطيخوس ملك سوريا بشأن تقسيم الممالك المصرية مؤملا فى ذلك استحصاله على رئاسة وقسم من اسيا الصغرى فاوقعه هذا المشروع فى حرب مع رودس وبرجاموس سنة ٢٠٣ قبل الميلاد ودخلا فى أمر مصر لاجل المحافظة على أنفسهم واتخذا ذلك الدخول وسيلة لهما وفى سنة ٢٠١ قبل الميلاد انهزم الاسطول المقدونى اشاعة بواسطة أسطول المخالفين على مسافة من خيوس ثم جاءه عقب ذلك أن فيليب اكتسب النصرة على لادى وجعل نفسه ملكا على طاسوس وساموس وخيوس فى كاريه وعدة جهات فى يونان آسيا ومن ثم حصل له النجاح الكلى فى الحرب وكان نجاحه هذا أكبر من معاداته كسبه العداوة الشديدة لدولتين بحريتين وكراهة العيطوليانيين له وعدم خلوص طويتهم من جهته وتولد من أعماله الشديدة هذه تجديد الحرب عليه مع رومة وكانت برجاموس محالفة لرومة ودخلت فى المعاهدة المدنية للصلح وفى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد أنذرت رومة فيليب بتركه محالفتها الا أن فيليب لم يكترث بهذا الانذار ولا بالى به وفى نفس هذه السنة لما تخلصت رومة من الحرب القرطاجنى الثانى وصارت خالصة لمقدونيا صار اعلانها بالحرب

وفى مدة اعلان الحرب من رومة على مقدونيا كان فيليب مشتغلا بحصار أثينة وعند وصول أسطول رومانى من أجل خلاص أثينة التزم فيليب على الانسحاب الا انه قبل انسحابه شرع بنفسه فى تخريب البساتين والمبانى التى كانت موجودة فى ضواحى المدينة بما فيها الليسيوم وقبور شجعان أطيقة وعاد على الفورسنة ويافى نفسه بما أجراه من الفظائع والقبائح فتجرأت الجريس فى بعض الممالك من ساعد رومة وعاضدها ومنهم من عاضد مقدونيا ومنهم من بقى على الحيادة وتولد مما حصل من ذلك عدم اكتساب فائدة فاصلة بين المتحاربين لكن فى سنة ١٩٨ قبل الميلاد نجح القنصل كنةطيوس فلامنوس فى تحريض الاتحاد الاخايانى على اللحاق بمعاهدة رومة والانضمام اليها وكان العيطوليانيين دخلوا فيها من قبل وفى نفس هذا الوقت أذاع فلامنوس انه حامى الممالك الجريقية المستقلة المفصولة عن بعضها فانضم اليه تقريبا كل مملكة جريسية وفى سنة ١٩٧ قبل الميلاد

انهزم الجيش المقدونى هزيمة فاصلة فى صنوصفالى بالقرب من صكوطاسا من تساليا وانحطت شوكة فيليب انحطاطا كليا وصارت مملكته مهددة من جهة اليريا بواسطة الجيش المتحد من الرومانيين والبريانيين والدردانيانيين ومن جهة البحر باساطيل رومة وبرجاموس ورودس فالتزم على الدخول فى الصلح وفى سنة ١٩٦ قبل الميلاد عقد معاهدة تنازل فيها عن جميع أملاكه فى الجريس وسحب محافظيه من المدائن الجريقية وسلم أسطوله الى الرومانيين ودفع غرامة حربية الى رومة قدرها ألف وزنة أى ٢٠٠٠٠٠ استرلينة ثم ان فلامننوس وعدوعدا جميلا بعود الحرية الجريسية فما جاءت سنة ١٩٤ قبل الميلاد حتى ان كامل الجيوش الرومانية انسحبت من الجبت جزيرة وفرض الرومانيون فى الاحكام النهائية للاعمال الجريسية للممالك الصغيرة حدودا أزيد مما كانت مستحوذة عليها فى الاصل وتركت الاتحاد الاخايانى والاتحاد العيطوليانى لصد بعضهما بعضا ورضى معظم الممالك بالاصلاحات الجديدة الضامنة للاستقلال والحرية كل منها على حدته ومع ذلك لم يكتف العيطوليانيون بذلك بل اجتهدوا فى عطف مقدونيا واسبرطة وسوريا لاجل مساعدتهم على فصل الحالة الاخيرة فخاطر انطيخوس ملك سوريا بعقره تحيا لطلبهم ودخل الجريس فى رأس جيش قليل من أجل الشغل الذى شرع فى انجازه فهزمه الرومانيون فى ترموبيلى فى سنة ١٩١ قبل الميلاد فترك العيطوليانيون فى الحرب لا مساعد ولا معاضد لهم وفى السنة التالية هزموا شر هزيمة فى واقعة حصلت فى مغنسيا وأرغموا على الانقياد لرومة من غير شروط فحرمتهم رومة من أراضيهم وجعلتهم رعية حليفة لها

ثم تولد من ذل واهانة العيطوليانيين جسامة الاتحاد الاخايانى وكان معضدا فى الشوكة والاجلال من طرف رومة وظهر عليه التقدم بارشاد الشهم البطل فيلوبين صاحب السير المستقيم وفى سنة ١٩٢ قبل الميلاد التحقت اسبرطة بالاتحاد وفى السنة التالية التحق به عليط ومسينة اللتان كانتا على انفراد منه وهما آخر الممالك البلوبونيزية ودخل فى أثناء هذا كامل بلوبونيزه ومغارة ونواح أخر من وراء الحدود الجنوبية الجريسية

وأما فيليب فانه استمر فى الصلح من عهد هزيمته فى صنوصفالى ماعدا مساعدة رومة على انطيخوس ملك سوريا وعطوليا ولما نظرت رومة له فى هذه المسئلة سمحت له أن يديم ملكته على قسم من تراسة وقسم من تساليا ومع هذا فان الرومانيين لما وجدوا أنه لا حاجة لمساعدته أمروه بتسليم كافة أملاكه ماعدا مقدونيا الاصلية وفى المخابرات التى جاءت عقب ذلك وكانت جارية بواسطة ديمتريوس الابن الثانى لفيليب بما أنه كان مقيما نزيلا فى رومة من مدة طويلة حصل الرضا من مجلس السناتو على الطلبات التى كان أبوه طلبها منفعة لذاته وراعى المجلس فى ذلك صداقة نزيلهم البرنس الشاب فتولد من ذلك كراهة برصوص الابن الاكبر لفيليب لاخيه وأكن له الخيانة والعدر فزور عليه مكاتيب اتهمه فيها بسوء مداخلاته فى رومة ضد أبيه حتى ان فيليب أمر فى الحال بقتل ديمتريوس ولما انكشفت له الحقائق من كراهة أخيه له أراد اعادة أمره الا أنه قضى الامر فيه فحاق بفيليب الاسف ونزلت عليه آفات الاكدار والمصائب فى سرعة أمره بقتل ابنه ومازال فى أكداره وأحزانه حتى وافاه حمامه ومات من بعد مضى سنتين أى فى سنة ١٧٩ قبل الميلاد وكذلك مات فيلوبين رئيس الاتحاد الاخايانى وكان حصل القبض عليه سنة ١٨٣ قبل الميلاد عند سعيه فى اخماد ثورة المسينيين على حكومة

الاتحاد

الاتحاد وكلة الذين أسروه

وكان من عزم فيليب أن يوصى بالتاج لواحد من أقاربه البعيدين عنه فى القرابة اسمه انطيغونس عقابا لبرصوص بما تسبب فيه من قتل أخيه الا أن انطيغونس كان غائبا من الديوان وقت موت فيليب فجلس برصوص على التخت من دون معارضة ولا مقابلة من عدوّ ما وانقضت السنون الاخيرة لفيليب فى الاستعدادات اللازمة لتجديد الحرب مع رومة وكان فيليب رأى أن الحرب لابد منه فاستمر برصوص فى هذه التجهيزات مع النباهة والشدة واشتغلت محلات استخراج المعادن مع الربح والفائدة وامتلأت الخزينة بالنقود وصلحت خسارات الاهالى بواسطة مجلوبات المستعمرات من تراسة وازداد الجيش وتقررت فيه قواعد الانتظام وعملت معاهدات مع الاليريانيين والغليين والجرمانيين وكان الامل من مساعدتهم تمتع ملك مقدونيا بالغلبة على رومة واستمرت اجراآت هذه الاعمال والتحضيرات مدة ثمان سنوات وصار فى امكان برصوص أن يجلب كافة الجريق تحت بيرقه لان غالب الامة فى الهلاس يرجحون سيادة مقدونيا على سيادة رومة الا أنه تردد فى ذلك واتبع طريق حب الذات وسار فى مجارى طرق الشح حتى انه فقد الفرصة التى كانت قريبة من يده وفى سنة ١٧٢ قبل الميلاد كان أومينس ملك برجاموس قدح فى حق برصوص وعابه أمام مجلس السناتو الرومانى لعداوة كانت بينهما وعند عوده الى بلاده قتل بالقرب من دلفى فتأكد عند الرومانيين أن برصوص هو المدان بقتله فاعلنوا الحرب عليه

وفى سنة ١٧١ قبل الميلاد نزل الرومانيون فى ابروس ومن بعد مضى بضع شهور من نزولهم نجحوا فى ادخال الممالك الجريقية وانضمامهم نحوهم وأبطلوا الاتحاد البيوطى وكان على صداقة لمقدونيا وتغلبوا على تساليا واخايا وهشموا كل جهة مائلة لبرصوص وأما نفس برصوص فانه ألزم بقبول هدنة فى مدة هذه الشهور ولما استعد الرومانيون فيما تقدموا فى داخل تساليا قابلهم برصوص وهزمهم الا أنه لم يجتهد فى تعقبهم لاتمام نصرته وفى سنة ١٦٨ قبل الميلاد تولى اميليوس بولوس قيادة الجيش فهزم برصوص هزيمة فاصلة بالقرب من بيدنه فهرب الى جزيرة ساموتراس المقدسة وأخيرا التزم على تسليم نفسه الى عمارة رومانية فأخذوه الى رومة ماشيا على أقدامه فى موكب احتفال بولوس ثم رموه فى سجن فشفع فيه بولوس من كرمه فنحوا له أن يصرف الباقى من حياته فى أسر خفيف فى نواحى البا وكانت نصرة بيدنه ختاما لحياة مقدونيا وانقسمت المملكة الى أربعة ايالات خاضعة لرومة ومنعت هذه الايالات من أن يكون بين بعضها علاقات ومعاملات وكافأ الرومانيون المقدونيين فى نظير ضياعهم حريتهم بأن يدفعوا لرومة خراجا نصف الخراج الذى كانوا يدفعونه لملوكهم فى السابق

وكانت النتيجة الاخرى من الحرب هى تقرير سلطة الرومانيين على أربعة أخماس الجريس وأبطلت جميع الاتحادات ماعدا الاتحاد الاخايانى ومع هذا فان رومة فهمت حقيقة لرومة فلا بد أن لا يكون لها عدو فى الجريس فقررت أن اخايا يلزم أن تدخل فى طاعتها من غير شروط تطلبها طوعا أو كرها وفى سنة ١٦٧ قبل الميلاد طلبت الجمهورية من الاتحاد محاكمة ألف نفس من أكابر مدائنه أوقعت عليهم التهمة فى مساعدتهم برصوص خفية فما كان للمجلس الاخايانى طاقة على رفض هذا الطلب فأرسل جميع المسجونين الى ايطاليا وحبسهم فى مدائن اتروسكانه ومن ثم صار الحزب الرومانى هو الحاكم فى اخايا واستمر المأسورون فى الحبوس سبع عشرة سنة من دون أن يسمعوا خبرا عن تحريض

أصدقائهم فى خلاصهم ولما وصل عددهم الى ثلاثمائة من كثرة مانزل بهم من البلاء والموت خلص الموجودون على قيد الحياة على حين غفلة وعادوا الى بلادهم فغضبت رومة غضبا مهولا لما علمت بعودهم على نية الانتقام منها الا انها لم تهتم بشأن ذلك وكان يوجد من ضمن الاحياء ثلاثة فى غاية الحقد والبغض لرومة وبواسطة هؤلاء الثلاثة وصل المجلس الاخايانى الى درجة من الشوكة والنفوذ فتسبب من كراهة هؤلاء كراهة الجمهورية أيضا وتولد من ذلك اشتعال الحرب فاعلن الجمهورية الحرب فى سنة ١٤٦ قبل الميلاد وفى بضع سنين تغلبت رومة على الجريس الجنوبية وأضافتها الى ممالكها والله أعلم

﴿ الباب العاشر ﴾

﴿ من الفتح الرومانى الى الوقت الحالى ﴾

المملكة الجريسية الاخيرة ـ الجريس تحت الحكم الرومانى ـ المصائب والآفات مدة الحروب الداخلية ـ المساعى فى عود حرية الجريس ـ حسن معاملتها بالامبراطورات ـ غارات الغوطيين ـ نهب أثينة ـ انتشار الديانة المسيحية فى الجريس ـ تقرير النصرانية بواسطة قسطنطين ـ تشييد القسطنطينية ـ الجريس تحت حكم المملكة الشرقية ـ الايالات اللاتينية الجريسية ـ المملكة الفنيزيانية ـ تغلب الترك العثمانية على القسطنطينية ـ الحروب بين الترك العثمانية والفنيزيانيين بخصوص الاملاك الجريسية ـ مصائب الجريق ونكباتهم ـ دمار البارثنون ـ الجريس تحت الحكم العثمانى ـ أجود طريقة فى الحكم ـ كيفية المحافظة على الامة الجريقية ـ عدم التغلب على سكان الجبال ـ ثورات الجريق ـ ثورة سنة ١٨٢١ بعد الميلاد ـ قيام الجريق ـ نجاحهم ومظفراتهم الابتدائية ـ ترتيب حكومة ثوريه ـ اعلان استقلال الجريس ـ مذبحة صكيو ـ طرد الاسطول التركى بواسطة ميوليص ـ حصار مصولنغى ـ ماركو بوظاريس ـ موت اللورد بيرون ـ تغلب ابراهيم باشا على كريد ـ اغارة ابراهيم باشا على بلوبونيزة أى موره ـ سقوط مصولنغى ـ تخريب ابراهيم باشا موره ـ تداخل الدول الاوروباوية ـ واقعة نفرينو ـ انجلاء ابراهيم باشا عن موره ـ معاهدة أدرنه ـ صيرورة الجريس حرة مرة أخرى ـ انتخاب أوطو ملكا ـ منح نظامات وقوانين ـ ثورة سنة ١٨٦٢ ـ طرد أوطو ـ صيرورة جورج الدانيمارقى ملكا ـ ملحقات تاريخية

استمرت الجريس فى حوزة الاملاك الرومانية مدة تنيف عن أربع قرون أى من سنة ١٤٦ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٤ بعد الميلاد المسيحى ولبثت فى الابتداء متمتعة بنوع حرية مدنية لان كل مدينة جاليه كان يحكمها واحد من أهلها وكان الرومانيون يؤدون ما يجب عليهم من الاحترامات عن طيب نفس الى رعاياهم المتغلبين عليهم اكراما لنباهتهم وعلو مقدارهم فى الحضارة والتمدن وماهم عليه من الآداب والمعارف وكان أجل واحد من الرومانيين من يفتخر بمعرفة اللسان الجريقى والآداب الجريقية ونظروا للجريس بعين الوقار والحب وجعلوها أم معارفهم وآدابهم وتمدناتهم حتى ان الامبراطورات فى الازمان الاخيرة كانوا يفتخرون بكونهم من أولاد أثينة فتولد من هذا فى آخر الامر الغيرة والحسد فى قلوب

الامة الرومانية حتى ان اصطلاح لفظة غروقولوس التى كانت مرعية فى الابتداء بانها علامة امتياز وشرف صارت علامة نقص واهانة

ومن قرب الجريس الى ايطاليا جعلها ميدانا لكثير من الحروب بين اختلاف الفاتحين من الاحزاب المختلفة وبين الرومانيين وأمم أخرى فنشأ من ذلك كثرة نزول المصائب وتوالى مواسم الاهوال والآفات على المملكة الجريسية فى كثير من هذه الحروب وانضم الجريق الى الاغراب أعداء رومة تحت أمل لا طائل تحته وهو عتقهم من النافال رومانى كى يعودوا الى استقلاليتهم وفى مبادى القسم الاول من القرن الاول قبل الميلاد اشتبك متريداطس ملك بونطوس فى حرب مع الرومانيين وطردهم من آسيا الصغرى وأغار على ايالاتهم الاوروباوية وعقد محالفة مع الجريق وأرسل عدة جيوش الى داخل الجريس فانضم اليها الاثينيون والاسبرطيون والطيبيون والاخايانيون واستمر المحالفون هؤلاء فى نجاح وظفر مدة ما وفى ظرف مدة قليلة صارت الجريس حرة فى نفسها مرة أخرى وفى سنة ٨٧ بعد الميلاد رجع عليها المد وردالرومانيون جميع المدائن الجريقية وشدوا الحصار على أثينة وفى السنة التالية ألزمها الجوع والقحط على التسليم الى الرومانيين فوطد الرومانيون نصراتهم بمذابح أجروها لا فرق فيها بين كبير وصغير وغنى وحقير فى أثينة وطيبة ومدائن أخرى وباعوا كثيرا من الجريق المغلوبين فى أسواق الرقيق ونهبوا هيا كل دلفى وأولمبيا وابيدوروس وسلبوها من خزائنها وكنوزها وجردوا المملكة من كافة أشغالها العظيمة الغنية الاختراعية وأرسلوها الى رومة

وكذا تولد من حروب القيصر مع بومبى اشتباك الجريس ووقوعها فى ارتباكات وقلاقل جديدة فكان الاثينيون والبيوطيون والباو بونيزيون فى جهة بومبى وكان الاخارنانيون والعيطوليانيون وقسم من أهل ابروس فى جهة القيصر وكذا تولد من الواقعة الكبيرة الدموية التى حصلت فى نواحى فرساليا من أعمال تساليا فى سنة ٤٨ بعد الميلاد أن صار القيصر سيدا على كامل الجريس فأوقع بأسه وجوره على المغاريانيين وحدهم وعامل باقى الجريس بالرفق واللين وأما أثينة فانه راعاها بالنظر لمجدها القديم وشرفها العظيم فنالت منه جزيل الاحترام وأمر ببناء مدينة قورنثه ثانيا وكانت دمرت فى الفتح الرومانى الاولى وكان ذلك فى سنة ٤٦ بعد الميلاد

وبمجرد ما قتل القيصر اشتعل حرب جديد داخلى فى الجريس وكان هذا الحرب فى هذا الوقت بين انطونى وأوكطافيان من جهة وبروطوس وكاسيوس من أخرى وانضم الاثينيون الى حزب بروطوس وكاسيوس واللاسيديمونيون اشتركوا مع حزب انطونى وأوكطافيان ونشأ من الوقائع التى حصلت فى فلبى فى سنة ٤٢ بعد الميلاد أن صار أنطونى وأوكطافيان سيدا الدنيا الرومانية وتقاسماها بينهم فوقعت الجريس من نصيب أنطونى فجعل أثينة دار حكومته وسلطنته وكان تربى وتهذب فيها من قبل وعامل الجريق بأحسن المعاملات وأجلها حتى ظهر على بلادهم أنها أصبحت على شرف المجد القديم ولما اشتعل الحرب الداخلى بين أنطونى وأوكطافيان عضد كامل الجريس أنطونى وسندوه وأخيرا انهزم أنطونى وتدمر حاله فى واقعة حصلت فى اكطيوم سنة ٣١ بعد الميلاد الا أن أوكطافيان عامل الجريس وأهلها بأعظم شفقة وأجل مرحمة وأمر بعود بناء مدينة بطره وتشييد مدينة نقوبوليس فى الميدان الذى نال فيه نصرته الكبيرة

وعلى العموم فان الجريس تمتعت بالراحة التامة والتوفيق والنجاح الكامل تحت أحكام الامبراطورات

الرومانية وترخص لكثير من مدائنها وعلى الخصوص مدينة أثينة بيقاء حكامها من أهلها ومع ان قاليجوله ونيرو أخذا كثيرا من أجل صنائعها وذخائرها وجلاها الى رومة الا أن آخرين مثل طراجان وهادريان لم يحصل منهم أدنى خدش فى علامات محبتهم لاثينة وحلى هادريان هذه المدينة وزخرفها بأظرف الاشغال وكان كثيرا ما يزورها حتى لقب نفسه بلقب ارخن ابو نيموس اثينة ومع هذا فان صفات الجريق وطبائعهم كانت آخذة فى الانحطاط على الدوام تحت الحكم الرومانى وتولد من العوائد الخشنة وألعاب المصارعات التى كان الفاتحون يجرونها فساد آداب الامة الجريقية وأخرجتهم مما كانو فيه من الفنون والآداب ولما غرقت المملكة فى عميق بحار الفساد حل بالجريس كثير من المصائب والآفات واشتد الجزع وقل الامن وتسلطن الهول وكذا تولد من زيادة احتياجات الرومانيين وعوزاتهم سلب ونهب المدائن المتمولة عند سنوح الفرصة لهم فى هذه الاحوال ومن كثرة ايقاد الحروب الدموية قل تعداد الاهالى والسكان وصار كثير من أقاليم المملكة خاليا من السكان والعمران

وازدادت الاحوال وحلا على وحلها بكون الغوطيين الذين ابتدؤا فى غاراتهم على الممالك الرومانية هددوا الجريس بالاغارة عليها فى سنة ٢٥٣ بعد الميلاد فاحتل الجريق وغازثرموبيلى وأصلحوا استحكامات أثينة وأسوارها وجعلوا برزخ قورنثه على غاية من الحصانة والرصانة وتولد من نصرات الرومانيين على الغوطيين فى ثراسة خلاص الجريس من غارات هؤلاء المتبربرين فى هذه المرة الا أنه فى سنة ٢٦٢ بعد الميلاد نزل الغوطيون فى المملكة من طريق البحر وتغلبوا على قورنثه وارغوس وكثير من المدائن الموجودة على البر الاصيل وعلى الجزائر وخربوها وأما أثينة فانها سقطت من بعد مقاومات شديدة وغرقت مساكنها وأرضها من دماء أهلها وسكانها ودمروا المبانى والهياكل والآثار واشتركت الكتب الموجودة فى دارها وخزائنها فى هذه المصائب والبلايا العظمى وكان اعتقاد الغوطيين أن عدم ممارسة الآداب والعلوم يضعف قوة الجريق ويورث بينهم الانوثة وبذلك يسهل عليهم التغلب على الجريس وفى هذه الحالة المهولة جمع ديكسيبوس المؤرخ وكان أحد قواد الاثينيين ما بقى من قوى عسكره وهجم على الغوطيين وهزمهم فتقهقروا الى البر يقوم فبدد الامبراطور جالينوس شملهم وفرقهم وهزمهم شر هزيمة وفى مدة سلطنة الامبراطور كاوديوس أغار الغوطيون مرة أخرى غارة فظيعة على ثراسة ومقدونيا وتساليا وأقاليم أخرى جريقية الا أن كلوديوس هزمهم أيضا فى هذه الوقائع وانتهت هذه الحالة من بعد أن لبثت قرنين والغوطيون عازمون على التغلب على الجريس ومن بعد هذه الحوادث أصيبت المملكة بالضنك والعناء الشديد فتسبب من ذلك زيادة الضعف وعم الاضمحلال

وبينما كانت الجريس مشغولة فى أثناء هذه الحوادث والمشاكل بتغيير فى أصل حكومتها اذ انتشرت الديانة المسيحية بين أهلها وعمت سيادتها وشوكتها جميع جهات المملكة وأطرافها وذلك أنه فى نحو منتصف القرن الاول من ميلاد المسيح عبر الرسول بواص البحر فى نواحى آسيا الصغرى الى مقدونيا وشرع فى خطابة انجيل المسيح عليه السلام فيما بين الجريق وأدخل الكثير منهم فى ديانة الانجيل خصوصا فى نواحى تسالونيقه وشيد فيها كنيسة ثم لما لاقى من الجور والظلم الذى وقع عليه توجه منها الى أثينة وجدد فيها مساعيه وخطب بالانجيل فى حضور مجمع من أهل المدينة على جبل مارس ولما وجد مساعيه على غير نجاح تام فى أثينة قام منها الى قورنثه وشيد فيها كنيسة ومن ابتداء هذا

الوقت

الوقت انتشرت الديانة المسيحية بوجه العجلة فى الجهات الاخرى من الجريس ومع ما حصل من الجور والتعدى الذى وقع من الحكومة الرومانية فى صدد أعمال الرسول بولص وتقدماته رغما عما أجرته الديانة الوثنية من الرقى والتعاويذ التى كانت محيطة بالديانة القديمة فان الديانة المسيحية انتشرت مع الثبات على وجه التدريج حتى أثرت على عقول وطبائع عموم الامة الجريقية وعاداتها

ولما صار قسطنطين امبراطور رومة جعل الديانة المسيحية ديانة المملكة وكان عمله التالى لذلك هو جعل عاصمة فى المدينة الجديدة التى أمر بابتنائها على جدران بيزانطوم القديمة وسماها القسطنطينية أى مدينة قسطنطين وذلك أنه رأى أن حزب القسم الغربى من المملكة الرومانية لابد منه فشرع فى تشييد مملكة قوية تحتمل دوامها فى ممالك الجريقية وجعل عاصمتها المدينة الجديدة التى سماها باسمه وكان تشييد العاصمة الجديدة فى الاراضى الجريقية القديمة سببا حقيقيا لاستيفاء استقلالية الجريس وكانت الجريس معضدة قلبا ولسانا للامبراطورات فى القسطنطينية وسنشرح تاريخ هذه المملكة الجريقية فى محل آخر غير هذا الا أنه يلزمنا الآن أن نذكر هنا ما يلزم مما نذكر من الوقائع والحوادث الخاصة بنفس الجريس فنقول

ان الجريس استمرت لحد القرن الحادى عشر قسما لانزاع فيه من المملكة البزانطية وفى سنة ١٠٨٠ بعد الميلاد أغار روبرت غيسكارد وهو برنس نورمانى من ايطاليا السفلى وهجم على ايروس وتساليا واجتهد فى التغلب عليهما فطرده علكسيس قومننوس على أعقابه وفى سنة ١١٤٦ بعد الميلاد ضبط روبرت الثانى صاحب سيسيليا جزيرة قورصيره ونهب قورنثه وبعض مدائن أخرى جريقية ومن بعد قليل أعيدت قورصيره بواسطة العساكر الامبراطورية وفى سنة ١٢٠٤ بعد الميلاد هجم الفينيزيانيون باتحادهم مع أهل الصليب من الفرنساوية وتغلبوا على القسطنطينية وقسموا الجريس بين بعضهم وصار المار كيز مونفراط ملك سلانيك (تسالونيقة) واخاى ومورة (بلوبونيزه) وصارت بلوبونيزه امارة تحت حكومة غيلاوى دوشمبلت وغيوفروا فيلاهر دوين وانتظمت جزائر بحر الارخبيل فى صورة دوقيات أى امارات صغيرة وجعلت ناكسوس عاصمتها وصارت أثينة دوقة أى امارة أيضا واستمرت على هذه الحالة من سنة ١٢٠٥ الى سنة ١٤٥٦ بعد الميلاد ثم ان الجريق استردوا القسطنطينية من الفينيزيانيين سنة ١٢٦١ بعد الميلاد الا أن الايالات الاخرى البرانية لبثت عدة قرون وتغلب الفينيزيانيون على قسم عظيم من مورة وبعض أقسام وجهات أخرى من الجريس وكذا على جزيرة كريد وجزائر أخرى حتى صار تغلب الترك على المملكة الشرقية الجريقية

وفى سنة ١٤٥٣ تغلب الترك العثمانية فى زمن سلطنة السلطان أبى الفتح محمد خان على القسطنطينية وكانوا اسلبوا من الامبراطورات الجريقية كامل مملكتهم وخلصوا على انقراض المملكة الشرقية وانقضت الثلاثة قرون التى جاءت بعده فى حروب بين الترك العثمانية والفينيزيانيين من شأن الغلبة على الجريس ولما وقعت الجريس الشمالية فى أيدى الترك العثمانية ظفروا بعد ذلك بالغلبة على جزيرة عوبية وأطيقة ووقعت أثينة فى أيدى المسلمين فحولوا البارثنون الى مسجد جامع ثم وجهوا السلطان مساعيه وعزمه نحو بلوبونيزه (مورة) وهى القسم الاكبر الذى كان تحت يد الفينيزيانيين ووقعت الجريس فى شر أعمالها وحل باهلها المصائب والآفات وتكدرت عليهم عيشتهم بين الدولتين المتحاربتين لانهم لو التجؤوا مع الفينيزيانيين أوقع بهم العثمانيون وأذاقوهم أشد العذاب وان ساعدوا الترك نكلهم

الفنيزيانيون باشد النكال على قدر امكانهم الا أن ميل الجريق الى الفنيزيانيين كان أقرب لانهم على ديانة واحدة وهي الديانة المسيحية فضلا عن أنهم مؤملون منهم اعطاءهم حريتهم واستقلاليتهم وكانت احدى نتائج هذه الحروب نقل معامل تشغيل الحرير الى فنيزه وجنوه وكانت أزهرت فى أثينة وقورنثه من عهد جوسطانيان وفى سنة ١٥٢٢ بعد الميلاد أى فى مدة سلطنة سليم خان الاول تغلب الترك على جزيرة رودس من بعد حرب بمقطوع اليأس ومن بعد ذلك بقليل أخضعوا ما بقى من الايالات الفنيزيانية الموجودة فى بلوبونيزه وفى سنة ١٥٧١ بعد الميلاد فى مدة سلطنة سليم خان الثانى وقعت جزيرة قبرص فى يد السلطان ولم تمض مدة من بعد ذلك حتى انهزم كامل الاسطول التركى وكان مؤلفا من ٢٠٠ سفينة وتبدد حاله على مسافة من نوباقطوس بواسطة الاساطيل المتحدة من طرف الفنيزيانيين وبابا رومه والامبراطور وكانت هذه الاساطيل تحت قيادة الدون يوحنا صاحب أوستريا وكان كامل خدمة الاسطول الفنيزيانى من الجريق وفى سنة ١٦٧٠ بعد الميلاد فى زمن سلطنة محمد خان الرابع طرد العثمانيون الفنيزيانيين من جزيرة كريد من بعد حروب استمرت ثلاثين سنة وفى سنة ١٦٨٥ أى فى مدة سلطنة محمد خان الرابع استرد الفنيزيانيون كامل موره وكانوا تحت قيادة الشهير موروسينى متساعدين بالجريق وفى السنة التالية تغلبوا على أثينة وفى أثناء حصارها استعمل الترك محل البارثنون مخزنا للبارود فسقط فيه قنبلة من جهة الفنيزيانيين فالتهب المخزن وفرقعت أبنيته وتفتت بناؤه الظريف وفى سنة ١٦٩٩ بعد الميلاد انجبر الفنيزيانيون على ترك كامل ما تغلبوا عليه ما عدا بلوبونيزه وفى ١٧١٥ بعد الميلاد اغتصب السلطان أحمد الثالث هذه البحث جزيرة منهم أيضا وصارت الترك العثمانية فى هذه الحالة أسياد جميع الممالك الجريقية ما عدا الجزائر اليونانية

ثم ان الترك رتبوا الاراضى الجريقية وقسموها الى ايالات واستحسنوا طريقة عظيمة تختص بحكومة هذه الايالات وأهلها من الجريق وقرر السلطان بأن بطريقية القسطنطينية التى هى رأس الديانة الجريقية تكون رأس الامة الجريقية وأن يكون لها سلطة الحكم المدنى الداخلى والحكم الرومانى الكنائسى فى الجريق ورتب فى كل ايالة أوقسم أسقفا له الحكم المدنى والكنائسى على الجريق وتقرر له القضاء والفصل فى جميع الدعاوى والقضايا المخصوصة وأحيلت على عهدته مباشرة المكاتب والمدارس المعدة لتوطيد ووقاية اللسان الجريقى والحكم على الكنائس المخصوصة بالمحافظة على ديانة الامة وعوائدها وأن تكون البطريقية مسؤلة فى أعمالها لدى السلطان ومن تحت يدها من الاساقفة الموجودين فى الايالات مسؤلون لديها فى أعمالهم وأحكامهم وتقرر للقسس الواطية الدرجة وظائف مدنية حسب نص هذه الاصلاحات وهم تابعون لاسقف الايالة الواحدة فى أعمالهم يأخذون منه الاوامر اللازمة لهم فيما يختص باحوال الادارة والحكومة ومن المعلوم أن هذه الطريقة كانت ممنوحة للجريق فقط ورتب فى كل ايالة نائبا عن السلطان وحكاما أخر ملكية الا أن الجريق ما كان منهم أحد داخلا فى هذه الوظائف الا القليل ومن ثم صار على حسب هذه الطريقة التى ترتب اجراؤها على الجريق كان اذا حصل بينهم مشاكل أو مشاحنات فما كانوا يتوجهون الى دواوين المحاكم القضائية العدلية التركية بل كانوا يرفعون ما هم واقعون فيه من المشاكل والمخاصمات أمام المحاكم الكنائسية ويقبلون فصل الحكم فيها بمعرفتها وكان الاساقفة يجمعون الخراج والعوائد المضروبة على الامة الجريقية الجريسية ويدفعونها للادارة التركية ويدافعون أو يحافظون على عدم دخول

احد

أحد من الامة فى الوظائف العسكرية باعطاء الباشوات حكام الايالات الرشاوى والبراطيل وكانوا يسوّون مدخول كل طائفة من الطوائف الجريقية ويباشرون ما يلزم منها من المصاريف الضرورية فكانت هذه الطريقة هى التى لابد منها فى حفظ حياة الامة الجريقية من الظلم الواقع من الترك وحفظ الجريق أنفسهم وعرفوا أنه لامداخلة لهم فى الاشتراك مع المتغلبين عليهم وحفظت الكنيسة الخاضعين لها والمرتبطين بأوامرها حقوق حياة شهامة وطنهم وحفظت لهم المكاتب والمدارس لسانهم وآدابهم القديمة وكانت العقدة العظيمة فى ذلك هى اتحاد الامة الهلانيقية مع بعضهم فكانوا يصلون يوميا فى كنائسهم ويبتهلون بالتضرع والدعاء الى الله أن يبعد عنهم الترك وينقذهم من تحت أحكامهم ويعيد لهم حرية الجريس بلادهم وما قبل أحد منهم الدخول فى الدين الاسلامى وما حصل تناكح أو زواج أبدا بين الجنسين وكانت كراهتهما لبعضهما غزيرة ومتعادلة بين الجنسين

ثم بعد ذلك ظهر سبب آخر لاحياء شهامة الامة الجريقية وهو انتشاب الحرب على الترك من سكان الجبال الموجودة فى نواحى ابروس وتساليا واكرنانيا وعيطوليا واركاديه ومينة أولاقونيه وكان هؤلاء الجبليون الاشداء ما خضعوا أبدا للحكومة التركية وانضم اليهم من عهد فتوح الترك بلادهم كثير ممن لم يقبل الطاعة والخضوع للمسلمين فأسرع هؤلاء من جبالهم وحملوا على الترك بحروبات شديدة تسبب لهم منها خسارات جسيمة فسار الجريق على منوالهم الا أنهم حافظوا على أنفسهم حتى يأتيهم اليوم الموعود لخلاصهم من أيدى الترك أعدائهم

ثم تحرك الجريق فى النصف الاخير من القرن الثامن عشر مع العزم الثابت مؤملين سرعة عودا استقلالهم وكان السلاطين العثمانية أصدروا أوامر من بعد فتح الجريس بمدة باستخدام الجريق فى بعض المصالح فكانوا دخلوا بكثرة فى المصالح الخارجية وديوان الخارجية وفى دواوين مالية أقاليم المملكة وكثرت بيوت التجارة وصار لها السلطة على مباشرة تجارة الشرق ولها فروع فى المدائن المختلفة من نواحى أوروبا وكان للجريق فى الخدامات التركية فرص كبيرة فى مساعدة أهل بلادهم وعمل الطرق اللازمة فيما يعود منها النفع عليهم وكذا استحثت آمال الجريق بزيادة انحطاط وضعف المملكة التركية وكان كامل الامة على تيقظ فى كل ناحية من سنوح أول فرصة تحصل لهم فى القيام على أعدائهم

وفى سنة ١٧٦٩ بعد الميلاد فى مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الثالث عندما اشتبكت الترك فى حرب مع الروسيا قام الجريق فى ثورة العصيان فى نواحى موره ولاقونيه ووصل اليهم وعد من الروسيا بحضهم وحثهم ومساعدتهم الا أنه ظهر لهم بعد ذلك خداع مواعيد روسيا وغشها وأخمدت الدولة التركية الثورة مع العنف والشدة

وفى سنة ١٧٨٧ بعد الميلاد فى مدة سلطنة سليم خان الثالث انفجرت ثورة جديدة فى جهات من الجريس وعلى الخصوص فى النواحى الجبلية وكان الجريق من ابتداء أمرهم ومن مدة قرون مضت أنشؤا أسطولا صغيرا تحت قيادة لمبروس كاتسونيس فأوقع هذا الاسطول الصغير تلفيات جسيمة فى المراكب التركية ثم خمدت هذه الثورة ثم ان صاليوطس ابروس باشروا الحرب الى حد سنة ١٨٠٣ بعد الميلاد الا أنهم طردوا من جبلهم الذى كانوا مرطدين فيه أنفسهم فهربوا والتجؤا الى الجزائر

اليونانية وفى أثناء هذه المدة قريبا جدا من القرن الحالى وهو القرن التاسع عشر استمرت أمراء رجال الجريس مكدين على استعداد الامة لعزم عود حريتهم وتشجعت المدارس فى تهذيب أولادها ومارسوا تواريخ أجدادهم وقرؤها وتجمعت مجالس سرية كانت غاية رغبتهم عتق البلاد والعباد من رق الترك وكان تشكيل هذه المجالس والجمعيات فى جهات مختلفة من الجريس فكان ريغاس فيريوس ومن بعده كوراى من كبار المؤرخين بدسان للجريق ما يذكرهم بشهرة أجدادهم ويتفاخرون عليهم بهم وفى سنة ١٧٩٧ بعد الميلاد توجه ريغاس الى ايطاليا مجتهدا فى حث نابليون بونابارت على التداخل فى الاعمال الجريقية فضبطه الاوستريانيون فى تريسته وسلمه للترك فقطعوا رأسه فى بلغراد وكان آخر أقواله ستأخذ الجريس بثار قتلى هذه عاجلا

وأخيرا جاء الوقت الذى كانت تنتظره الجريس من مدة طويلة وذلك انه فى سنة ١٨٢١ بعد الميلاد فى مدة سلطنة السلطان محمود خان الثانى لما صح عند المجالس السرية والرؤساء الجريقية مجىء الوقت وصار لا حاجة لتوطيد الحكم التركى أعطوا اشارة الثورة وعلاماتها فانتشرت فى جميع أنحاء الجريس حتى وصلت هذه الحركة الى اقليمى البغدان والافلاق (أى ملدافيه ولاخيه) فأسرع الترك بحركات شديدة فى حطم هذه الثورات وأصبحت المدائن الجريقية ميدانا للمذابح فظيعة ووقع الكشف على دسيسة من الجريق الذين كانوا قاطنين فى القسطنطينية على شرف ضبط المدينة وقتل السلطان وكانت هذه الدسيسة معقودة للثورة فقبض على البطريرك فى يوم أحد الفصح من سنة ١٨٢١ وصلب على باب سرايته ثم رميت رمته فى البحر وذبح كثير من الاساقفة والقسس ومائة من رؤساء جريق القسطنطينية وضبطت أملاكهم لجهة الحكومة التركية

وأما الثورة فى نفس الجريق الاصلية فكانت على غاية من النجاح وفى ٦ ابريل سنة ١٨٢١ اجتمع كبار رجال موره فى دير القديس لوره فى اركاديه وعاهدوا أنفسهم وحلفوا بالايمان بين بعضهم على تحرير بلادهم من أحكام الترك أو الموت فى هذا الكد والسعى وقام جميع أهل موره بالسلاح وظفروا فى هزيمة قوة تركية كانت مؤلفة من ٦٠٠٠ نفس من العساكر التركية كانت أرسلت لاخماد الثورة وتغلب الوطنيون على عدة أماكن من الجهات الكبيرة الا أن القوى التركية أوقعت المصائب الكبرى والبلايا العظمى على البلاد والعباد وخربتها بالنار والسيف وفى ٥ و ٦ سبتمبر التحق كامل قارة الجريس بالثورة وفى يوم ٦ من الشهر أقلع أسطول قوى من القسطنطينية لاجل اخضاع الجزائر الجريقية فجمع الوطنيون لمقابلة هذه القوة أسطولا صغيرا خصوصا من هيدره وسبتزيا وبصاره وقرب سكان هذه الجزائر القربانات وتداركوا هذه المراكب وطقموها ومع هذا كانت أقل عددا بكثير من المراكب التركية وتقابل السفن الجريقية مع السفن التركية على مسافة من جزيرة لسبوس فى يوم ٨ يونيه فرمت المراكب الجريقية نارا مع غاية الجسارة على السفن التركية فاحرقت فرقاطة تركية بها ٦٠٠ نفر بحرى فقطع الاسطول التركى نيرانه فى الحال وأقلع الى الهلسبون أو الدردانيل فتولد من هذا قيام امال الجريق بواسطة ما حصل لهم من الظفر والنجاح فى البر والبحر وعزموا جميعا على اجراء الفصل الاخير بين الترك وبين بلادهم وفى مبادى سنة ١٨٢٢ بعد الميلاد عقد الجريق مجلسا أهليا فى ايبدروس فنشر هذا المجلس اعلانا فيه من بعد ذكر المصائب والاهوال التى حصلت لهم من الترك الاغاثة بانصاف وانعطاف وعدل وميل الممالك المسيحية نحوهم

ثم أعلن باستقلال الامة الجريقية من الدولة التركية وكان المشروع الثانى لهذا المجلس تنظيم وترتيب حكومة مؤقتة ومن هذا الوقت أخذت أعمال المملكة واجرا آتها فى النجاح وباشرت الامة أحوال نفسها مع الشهامة والسير فى الاعمال التى يعود منها النفع والظفر على البلاد وبذلت تركية جل مجهودها ومافى طاقتها فى حطم هذه الثورة وأرسلت ٠٠٠٠٤ من عساكرها تحت قيادة درامه على الى بلوبونيزه أى موره لاجل خلاص قلعة نوبليا وكانت محصورة بالجريق فانهزموا بقوة من الجريق مقدارها ٠٠٠٠١ نفس وطردوا من موره وكانت هذه احدى المظفرات الكبرى التى ماحصلت أبدا للجيش الهلانيق

وفى شهر ابريل سنة ١٨٢٢ أنزل الاسطول التركى عساكره على جزيرة خيو أى صكيو فخربوا الجزيرة الظريفة وقتلوا ألوفا من أهلها من غير رحمة وأرسلوا كثيرا منهم الى أسواق الرقيق فى نواحى اسيا ومصر وعاملوا الرجال والنساء والاولاد والطاعنين فى السن والعجائز معاملة لافرق فيها واستمرت الجزيرة عدة أيام مرتع الجرائم والآثام من ذبح وحرق وسلب ونهب ولم يحصل لهؤلاء السكان الذين لامساعد لهم ولامعين مصائب وبلايا مهولة انصبت عليهم قبل ذلك مثل هذه المرة ولما انتشرت أخبار مذابح جزيرة صكيو أقلع الاسطول الجريقى مع الجراءة لمقابلة الترك وكان هذا الاسطول تحت قيادة ادرياس ميوليس أكبر شجعان البحرية فى الجريس الاخيرة وكان رجلا مثل الحديد لايبتسم ولايبكى وكان معروف القدر عند الخاص والعام فصد ميوليس هذا الاسطول التركى ومنعه من السير الى الجزائر الاخرى الجريقية وبهذا خلص الجزائر ممالت اليه صكيو وفى ليلة ٦ يونيه سنة ١٨٢٢ بعد الميلاد نجح ضابط شاب جريقى اسمه قسطنطين كاريس مع مركب صغيرة طقمها ثلاثة وثلاثون بحريا فى كونه وضع نارا فى فرقاطة تركية فرفعت الفرقاطة بجميع بحريتها على مسافة من جزيرة صكيو وكانت هذه سفينة الاميرال فهلك الاميرال ومعه ٢٠٠٠ نفر بحرى من الترك فوقع الرعب لباقى المراكب الاخر التركية وتركوا ما كانوا ساعين فيه من خلاص نوبليا وأقلعوا مع العجلة الى جهة الدردانيل وفى مدة سير الاسطول نزل عليه عاصف شديد على مسافة من طندوس وفى مدة هذا العاصف فاز الجريق بابادة فرقاطة تركية فيها ١٦٠٠ نفس ونولد من هذا عود الترك الى القسطنطينية ولما ترك الترك نوبليا سلمت الى الجريق فى ١٢ ديسمبر من السنة المذكورة

وبينما كانت هذه الوقائع جارية فى جهات أخرى من الجريس احتل اسكندر ماقر وكورداطوس مصولنغى الموجودة على رأس خليج باطراس وذلك أنه لما عرف أهمية هذا الموقع صمم على ضبطه والاقامة به مضادا للاجرا آت التركية ومباشرا المحافظة ومقاومة كرتانية وعيطولياوساعيا فى مساعدة الصوليوطيين وكانوا عادوا الى جبالهم فى ابروس من دار نفيهم من الجزائر اليونانية ومع هذا كان على غير نجاح من أمره والتزم على الانسحاب الى داخل استحكامات مصولنغى وانطرد الصوليوطيون من ابروس والتجؤا الى جزيرة سفالونيا ثم بعد قليل أقلعوا منها الى مصولنغى وانضموا الى الشرذمة القليلة الموجودة فيها تحت قيادة ماقر وكورداطوس فوجه الترك كل اجتهادهم على هذا المحل وكان ضعيف التحصين وبه من المحافظين قوة قليلة وفى ٦ ينايرسنة ١٨٢٣ اجتهد الترك فى التغلب على المدينة عنوة فصدوا مع تلفيات جسيمة وطردوا من موقعهم الذى كانوا فيه

وفي مبادي سنة ١٨٢٣ أرسل جيش تركي قوي على مصولنغي فشدد الحصار على هذه المدينة وضايقها حتى أشرفت على السقوط والتسليم لولا أن تداركها الشجاع ماركو بوطاريس رئيس الصوليوطيين وكان معه قوة قليلة من أهل بلاده فهجم ليلا على الموقع التركي ونال نصرة عظيمة على أعدائه اشتراها بحياته وفي آخر السنة اعتمد الترك على غير طائل في الغلبة على مصولنغي فتولد مما حصل من شجاعة الجريق ميل كافة أهل أوروبا اليهم وأسرع كثير من أهل الرغبة والخير الى الجريس لاجل مساعدة الوطنيين فكان من ضمن الذين توجهوا اليها الشاعر الانكليزي لورد بيرون ورتب جيشا من الصوليوطيين على مصاريف نفسه وسار نحو مصولنغي فمنعه موته الذي حصل على الفور من بعد وصوله مصولنغي من الاشتراك في أي واقعة في الحرب

ولما خاب سعي السلطان محمود الثاني من أعماله في خضوع الجريق وحطم ثورتهم طلب مساعدة من محمد علي باشا صاحب مصر وكان في هذه المدة على الاريكة المصرية وكان كما ذكرنا في تاريخ مصر حاكما بارعا خبيرا معضدا بابنه هبة الله ابراهيم فأحسن السلطان الى محمد علي بجزيرة كريد الداخلة في تعضيد أمر الجريق وأمره باحتلالها وهشم ما فيها من العصاة فحصل ذلك في أواخر سنة ١٨٢٣ بعد الميلاد بواسطة القوة المصرية تحت قيادة الشهم ابراهيم باشا ثم ان السلطان عين ابراهيم باشا والي موره أي بلوبونيزه مع أوامر أرسلت اليه بفتح تلك البجيث جزيرة

فابتدأ ابراهيم باشا باجراء أعماله على حسب نص الاوامر السلطانية التي صدرت اليه في فصل صيف سنة ١٨٢٤ ووجه سعيه الاولى على عدة جزائر جريقيه كانت على غاية من الشوق الاكبر في أمر وطني الجريق ورغما عما حصل من المقاومات الشديدة من الجريق نالت القوى المصرية نصرات عديدة وتغلبوا على كاسوس وبساره وفتحوا جزائر أخرى وذبحوا سكانها وباعوا كثيرا منهم في أسواق الرقيق ولما اشتدت بالجريق المصائب والاهوال أبرزوا أسطولهم فنالوا عدة مظفرات على الاسطول التركي وأخيرا طردوه نحو الدردانيل

وفي سنة ١٨٢٥ دخل ابراهيم باشا موره في رأس جيش كبير من المصريين على غاية من جودة النظام وفيه كثير من الضباط الاوروباوية فحاصر بيلوس وفي ٨ من شهر مايه تغلب على جزيرة سفاكطريا وقتل كافة محافظيها بالسيف الا أنه ما أمكنه أن يمنع الاسطول الجريقي من الهرب وكان مؤلفا من ثمان مراكب فقطع هذا الاسطول مواصلة ابراهيم باشا من الاسطول المصري وكان مؤلفا من اثنتين وخمسين سفينة حربية وبعد ذا بقليل وقعت بيلوس في يد ابراهيم باشا فأخرب هذا الفاتح مسينة بالنار والسيف وأخضع ابراهيم باشا القسم الاعظم من موره وصار يتغلب على كل جهة توجه اليها وذيق أهلها الوبال والنكال فنشأ من ذلك امتلاء قلوب كافة أهل أوروبا بالغضب والحنق من الافعال الوحشية الجارية في بلوبونيزه بمعرفة ابراهيم باشا وفي مبادي سنة ١٨٢٦ انضم الى القوى التركية تجاه مصولنغي وبذل الترك جميع جهدهم في التغلب على هذا المحل وامتد الحصار نحوا من ستة أشهر وكان المحافظون الموجودون فيه مع قلة عددهم ضابطين محلهم مع الشجاعة والمهارة الا أنه لما حضر ابراهيم باشا ابتدأ فيهم العناء الشديد مما حل بهم من الامراض والجوع وعجزت الحكومة الوطنية الموجودة في نوبليا عن اسعافهم بأي طريقة تخلصهم بها وخابت مساعي العمارة البحرية الجريقية التي هي تحت قيادة ميوليس في توصيل الذخائر والمؤونات اليهم من أجل وجود الاسطولين التركي والمصري ولما قطع محافظو

مصولنغى اليأس من أنفسهم عزموا على الخروج منها وأن يخرقوا لانفسهم طريقا من وسط الجيش التركى وصمموا على اجراء هذه الحركة فى ليلة ٢٢ ابريل سنة ١٨٢٦ فرد الترك والمصريون الجريق على أعقابهم ودخلوا معهم المدينة ولما رأى الجريق ما حل بهم من الخسائر وضعوا النار فى مخازن بارودهم وفى المخازن الموجودة فى استحكاماتهم وطوابيهم فأهلكوا كثيرا من الترك والمصريين مما حصل من فرقعة هذه المخازن وصار ابراهيم باشا فى صباح يوم ٢٣ ابريل سيد مصولنغى وتغلب على أكوام من الخراب والرماد الاسود اشتراها من أهله بأثمان غالية القيمة وأعقب هذه النصرة فى مبادى سنة ١٨٢٧ استيلاء الجيوش التركية على أثينة وكانت تحت قيادة رشيد باشا وأوقع الترك والمصريون بالجريق وأنزلوا بهم أشد الاهوال والمصائب وخربوا البلاد وأهلكوا العباد ورغب ابراهيم باشا فى تدمير واهلاك وطنى موره عن آخرهم وعزم على اسكان واستعمار هذه الاراضى بالمصريين والعرب

ونتج فى هذا الوقت مما أجرته الجيوش التركية والمصرية من هذه الاعمال الفظيعة الشديدة القساوة قيام الغيظ وشدة الحنق عند عموم أهل أوروبا وسكانها واكتسب الجريق بشجاعتهم ميل كافة الدنيا اليهم وكان الدول الاوروباوية فى الابتداء تظروا أن الجريق كانوا عاصين على ملكهم الشرعى حتى ان الدولة الاوستريانية كانت متوجهة بكل رغبتها مع الترك وكذا لم تقبل روسيا أى طلب من الجريق فى شأن مساعدتهم وأمرتهم بالاوامر الباردة فى شأن عود طاعتهم الى سلطانهم الا أنه من سعد الجريس أن مات اسكندر الاول قيصر الروسيا فى أول ديسمبر من سنة ١٨٢٥ وخلفه القيصر نيقولا فسار فى سياسة مخالفة لسياسة أبيه وعزم على مساعدة الجريق بالقوة الفعالة وفى نفس هذا الوقت مالت الامة الانكليزية والفرنساوية نحو الجريق وألزموا حكوماتهم على السير فيما سارت فيه روسيا فقررت بريطانيا الكبرى بأن الجريق أمة محاربة وعقدوا اتفاقا وقعوا عليه فى لوندرة فى ٦ يوليه من سنة ١٨٢٧ من نواب انكلترا وفرانسا وروسيا واتفقوا فى هذا القرار على طلب منحة من تركية باعطاء هدنة للجريق وان لم يقبل السلطان يقرروا استقلالية الجريس ويلزموا السلطان بتوقيف الحرب وأعطوا السلطان مهلة فى ذلك مدة شهر لاعطاء الجواب وأرسلوا أسطولا متحدا مؤلفا من سفن انكليزية وفرنساوية وروسية الى البحر الابيض المتوسط بأوامر تختص بابطال الفظائع والاعمال الوحشية الجارية من ابراهيم باشا فى نواحى موره والجريس ولما عرض القرار على السلطان رفضه ولم يقبل اعطاء هدنة للجريق واستمر الحرب على ما كان جاريا وفى ٢٠ اقطوبر سنة ١٨٢٧ دخل أسطول المتعاهدين تحت قيادة الاميرال الانكليزى كودرنجتون فى مينة نفرينو (پيلوس القديمة) وكانت مشغولة بالاسطولين التركى والمصرى وكان أسطول المتعاهدين مركبا من ١٠ سفائن حربية من الدرجة الاولى و ١٠ فرقاطات وكثير من الاباريق وأما الاسطول التركى والمصرى فكان مؤلفا من خمس مراكب حربية من الدرجة الاولى و ١٩ فرقاطة وعدد كبير من الاباريق وكانت رغبة المتعاهدين الزام ابراهيم باشا بالكف عن الكراهة العدوانية الحاصلة عنده للجريق وبمجرد دخول أسطول المتعاهدين فى مينة نفرينو أطلق عليه الاسطول التركى والمصرى النيران فى الحال فالتحم معهم القتال وانتشب بينهم واقعة دموية مهولة لبثت مدة طويلة من النهار كانت نتيجتها اخراب الاسطول السلطانى ودماره وكانت هذه النصرة الكبيرة هى الفاصلة فى الحقيقة لمسئلة الحرب ولما تجرد ابراهيم باشا من أسطوله

رضى بالانجلاء عن موره وانسحابه الى مصر مع القسم الاعظم من جيشه وتكلفت مصر فى هذا الحرب
٢٠٠٠٠٠٠٠ فرنك و ٣٠٠٠٠ نفس
ثم نزلت فرقة من العساكر الفرنساوية مقدارها ١٤٠٠٠ نفس فى الجريس تحت قيادة المارشال
ميسون وأسرعت فى زوال الترك من الجريس واكتسب الجريق فى هذا الوقت عدة نصرات على الترك
فى البر والبحر وفى غضون ذلك شرعت روسيا فى حربها مع تركية وضيقت عليها ضيقا شديدا حتى ان
السلطان محمود الثانى التزم بتقرير شروط المعاهدة والتصديق عليها وفى ٢٨ أغسطس سنة ١٨٢٩
صار التوقيع على معاهدة أدرنه وكانت هذه المعاهدة متضمنة فضلا عما فيها من عدة منح للروسيا
الاقرار باستقلال الجريس فدخل فى هذه المملكة الجديدة كامل قارة الجريس الموجودة فى جنوب
خط مرسوم من خليج أرطه الى خليج فولو وصارت الباتيا وتساليا من ضمن المملكة التركية وأما جزائر
عوبية وجزائر اسبورادس الشمالية وجزائر السكلاده فانها دخلت فى الحدود الجديدة للجريس وبقيت
الجزائر اليونانية تحت يد حكومة بريطانيا الكبرى وأما جزيرة كريد والجزائر البعيدة على ساحل
تراسة وآسيا الصغرى فانها استمرت باقية فى حوزة الدولة التركية
وفى مبادى سنة ١٨٢٨ صار نقل مركز الحكومة الاهلية الجريقية الى جزيرة ايجينة وصار
انتخاب الكونت كابوديستريا وهو رجل سياسى جريقى مشهور بعقله وكماله وكان فى الخدمة الروسية رئيسا
للحكومة الوقتية الجريقية فكانت أعماله غير مرضية عند الامة ودخل بين الجريق النزاع والشقاق
وانقسموا أحزابا حتى صارت حالة استقلالية البلاد صعبة جدا الى أن رأوا أن الاصلاح الذى يستمر
بقاؤه فى المملكة هو الذى تتفق عليه الدول الذين هم سبب فى حصول الحرية الجريقية ومن ثم حصل
الكد والسعى فى تمام هذا المشروع وصاروا يغيرون ويبدلون حتى ظفروا أخيرا بترتيب موافق للجريس
على صورة مملكة وفى فصل ربيع سنة ١٨٣٢ بعد الميلاد صار انتخاب البرنس أوطو ابن ملك باقاريه
وكان أول صادق غيور على استقلال الجريس ملكا عليهم وحصل التصديق على هذا الانتخاب من المجلس
الاهلى الجريقى فى ٨ أغسطس سنة ١٨٣٢ من بعد الميلاد
وكان عمر الملك أوطو ثمان عشرة سنة ووصل نوبليا فى ٦ فبراير سنة ١٨٣٣ وفى سنة ١٨٣٥
انتقل مركز الحكومة الى أثينة ومن بعد أن بلغ الملك السن الزائد صارت الحكومة فى هذا الوقت
تحت يده بواسطة وزراء مسؤلين لديه معضدين بمجلس أهلى وكانت المعاهدة التى قامت بواسطتها
المملكة الجريقية وصارت دولة من الدول غير متضمنة ترتيب قانون أو نظام لاجل سير أحوال المملكة
وكان الجريق منتظرين مع وثوقهم عمل قانون يجرون ادارتهم وأحكامهم وأشغالهم على نص بنوده
وكانت حكومة أوطو مستبدة فى حد ذاتها على العموم فنفرت الامة من أحكامه وصارت أوامره غير
مرعية عندهم وأخذ النفور فى الزيادة الى أن انفجرت فى ليلة ١٤ سبتمبر سنة ١٨٤٣ ثورة وأحاط
الجند والامة بالسراى الملوكية فى أثينة وطلبوا قانونا شاملا لنظام المملكة فتردد الملك برهة من الزمن
وأخيرا سلم لهم فى ذلك وأمر بعقد مجلس من الامة أحال عليه تدوين قانون المملكة ولما تم نظام هذا
القانون صدق الملك عليه فى ٦ مارث سنة ١٨٤٤
وكان تاريخ العشر سنوات التى جاءت عقب استصواب القانون الجريقى مشحونا بالقلاقل
والارتباكات المستمرة وحصل للوطنيين النافرين المخالفين لاحكام الملك حدة غيظ شديدة وأخذ هذا

الغيظ فى الزيادة بالدسائس البرانية وكثر التغيير والانقلاب فى الوزارة وزاد الثوران والهياج من أسباب كبيرة وقعت فى المملكة والجبر الحزب الوطنى على أن يكون فى منازعات مع الاعضاء الاجنبية لما انهم تغلبوا على الاعمال التى صارت فيها الجريس وصار لهم طاقة على نفوذ أحكامهم القوية على المملكة الجريسية وفى أثناء حصول هذه المشاحنات وقع أهل البلاد فى أشد العناء والضرر وحاقت بهم البلايا والآفات

وفى سنة ١٨٤٧ تباعدت الجريس عن وقوع حرب آخر مع تركية كانت تركية هددتها به نظير ما حصل منها من قلة الادب والوقاحة فى حق سفيرها فى أثينة وفى سنة ١٨٤٨ حصل عند الجريق الغضب وشدة الحنق مع انكلتره وكانت طلبت من الجريس قيمة التلفيات التى خسرتها تبعتها البريطانيون واستمرت هذه المسئلة من دون قطع حكم فيها عدة سنوات ثم صارت صعبة الحل وفى سنة ١٨٥٠ رسا أسطول بريطانى على مسافة من بيروس وحاصر أثينة وضبط عدة مراكب جريقية ولما صارت الجريس أمام بريطانيا فى الحرب وجها لوجه أذعنت بأداء مطاليبها وانفصلت المسئلة بهذا الوجه وفى سنة ١٨٥٢ خاب موسم العنب فى الجريس فتكبد الاهالى عناء وشدة وفى سنة ١٨٥٣ وقعت زلزلة شديدة هدمت كثيرا من الاملاك ذات قيم كبيرة فى جهات مختلفة من المملكة وأضيفت هذه الى المصائب العامة ووقعت المملكة فى ارتباكات وقلاقل شديدة وانتشرت اللصوص وقطاع الطريق فى موره والجريس الوسطى وصار لا أمان على الاملاك والارواح وضعفت الحكومة ضعفا كليا عن تداركها وازالة هذا الضرر

ولما اشتعل حرب القرم بين روسيا وتركية فى عهد السلطان عبد المجيد خان كانت الرغبة الكبرى للجريس مساعدتها واجتهادها فى الانضمام الى الروسيا لاجل مساعدتها الا أن فرانسا وانكلتره هدداها وأرغماها أن تلزم نفسها وتعرف حدها وتحافظ جيدا على الحيادة وأرسلت عمارة انكليزية وفرنساوية فى بيروس لملاحظة هذا الامر وما تحركت هذه العمارة الا سنة ١٨٥٧ بعد غلاق الحرب بسنتين وبعد أن أقامت الحكومة الجريقية بجنبها عدة مرار

وفى غضون ذلك أخذت المعارضات الحاصلة للملك أوطو والعائلة الملوكية فى الزيادة من سنة الى سنة وفى ديسمبر سنة ١٨٦١ اجتهد دوسيوس رجل من طلبة العلم فى قتل الملكة ومع ما حصل من سوء تدبيره فى أن يكون قتيله امرأة قد دافعت الاهالى عنه مجاهرة وفى ٢٢ اقطوبر سنة ١٨٦٢ التهبت فى أثينة ثورة وبواسطة نفور الجيش وميله للامة نجحت هذه الثورة

وفى اليوم الثانى تشكلت حكومة وقتية بمعرفة زعماء الثورة وأعلن هذا المجلس بخلع الملك أوطو وانعقد المجلس الاهلى وكان الملك فى هذا الوقت غائبا فى الفرجة على مينات نواحى موره فأخذ أخبار خلعه عند عوده الى بيروس فلم يحصل منه أدنى سعى فى النزول على البر وعقد مجلسا مع الوزراء الاجنبيين الموجودين فى أثينة وهو على ظهر السفينة وعلى حسب ما قدمه له الوزراء من النصائح أعلن بهذا القرار فى يوم ٢٤ من الشهر المذكور وترك الجريس وتوجه لحال سبيله ومع هذا فانه ما تنازل نزولا رسميا وسافر فى الحال الى جرمانيا على فرقاطة انكليزية وفى أول ديسمبر صدر قرار من الحكومة الوقتية بانتخاب ملك جديد فسعت انكلتره فى أثناء الانتخاب بانتخاب ملك يكون ممنوع الاعراض عنها ويحول الى الجريس سلطنتها على الجزائر اليونانية فالتأم المجلس الاهلى فى أثينة فى يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٦٢

وفى ١٦ فبراير من سنة ١٨٦٣ تقرر خلع العائلة البافاريانية وفى ٣٠ مارث انتخب البرنس جورج ابن ملك دانيمارقه ملكا على الجريس وصدق على هذا الانتخاب الدول المعظمة فى يوم ١٦ يوليه ووصل الملك جورج أثينة فى شهر اقطوبر سنة ١٨٦٣ وفى ١٣ من الشهر المذكور أخذ عليه اليمين والعهد بمعاضدة قانون النظام وفى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٦٣ حصل التوقيع على محالفة بين انكلتره والجريس بواسطتها صارت الجزائر اليونانية قسما من المملكة الجريقية ومن ثم استوفى الأمل الذى كان أهل هذه الجزائر ينتظرونه من مدة طويلة جدا

وفى سنة ١٨٦٦ عصت جزيرة كريد على الدولة التركية وتداخل الجريق مجاهرة فى الميل مع الثائرين ومع ما أجرته الحكومة من الاحتياطات فانهم أعدوا لهم مساعدات عظيمة وأخذ الترك هذه الثورة وخرج الكثير من جزيرة كريد نحو من ٣٠٠٠٠ نفس معظمهم نساء وأولاد فقطنوا فى الجريس فتولد من المساعدات التى أجرتها الجريق مع ثائرى كريد وكذا مما أعانوا به المنسحبين من كريد وقوع المملكة فى حرب مع الترك ومع ذلك حصل البعد عن هذا الخطر المضر بالبلاد والعباد ولم تزل كريد لحد الآن فى ارتباك وثورات وقلاقل وعصيان على الدولة العلية ومع ما منحتها الترك من راحة أهلها وبلادها فان دسائس الجريق مؤثرة على عقولهم ولم يسكنوا ويهدؤا حتى ينقرضوا أو يستقلوا

وفى سنة ١٨٧٠ ساح أربعة أشخاص من الانكليز فى المملكة الجريسية وتوجهوا لمشاهدة ميدان واقعة مراتون فضبطهم فرقة من الجريق وقتلوهم من بعد أن يئسوا من المخابرة معهم فى فداء أنفسهم فأقامت انكلترا الحجة على الجريس بسبب أن القتل حصل داخل أرضها وشددت بريطانيا الكبرى فى هذه المسئلة وهددت الجريس باعلان الحرب ثم انفصلت هذه المسئلة بأن دفعت الحكومة الجريقية مبلغ ١٠٠٠٠ استرلينه لعائلة كل واحد من المقتولين بطريق المخابرات

ولما انتشب الحرب بين روسيا وتركيا فى سنة ١٨٧٧ فى عهد السلطان عبد الحميد خان السلطان الحالى نهضت الجريق للانضمام الى روسيا فى أمل تحرير جميع الممالك الجريقية من الحكم الاسلامى الآن حكومتها أذعنت لانذار بريطانيا اليها وبقيت مستمرة على الحيادة وفى سنة ١٨٨١ طلب الجريس من الدولة التركية قطعة أرض من البانيا مقدارها ٥١٧٠ ميلا مسطحا فاستولت عليها وصارت مساحة المملكة الجريسية ٢٥٠٠٠ ميل مسطح وتعداد سكانها نحو من ٢٠٠٠٠٠٠ نفس وبعد ذلك اجتهدت الجريس فى أخذ مقدونيا وتساليا وما جاورها من الاراضى والبلاد الجريقية القديمة الا انه لم يحصل من الدولة التركية اقرار على ذلك فاستعدت الجريس للحرب ضد الترك وجندت جنودها على حدودها من جهة تركية فقابلتها الجيوش التركية وهزموهم فى أول ملحمة وشتتوا شملهم ولزمت الجريس حدها وعرفت قيمة نفسها وقعدت فى أدبها لحد يومنا هذا وهو أول نوفمبر سنة ١٨٩١ بعد الميلاد

﴿ الكتاب الرابع عشر ﴾

﴿ تاريخ المملكة الجريقية فى سوريا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ من ابتداء انقسام المملكة الى الفتح الرومانى ﴾

تقسيم مملكة اسكندر — وقوع سوريا فى حصة سلقوس — تشييد أو قيام المملكة — نجاحها

الاولى ـ تأسيس انطاكيه ـ سلطنة انطيخوس الاول ـ حروبه ـ انطيخوس الثانى ـ خلفاؤه ـ سلطنة انطيخوس الاكبر ـ الحرب مع مصر ـ مصائب انطيخوس ـ غارته على فارطية ـ حروبه مع رومة ـ هزيمته ـ انطيخوس الرابع ـ جبر اليهود على الثورة والعصيان ـ ضعف سلطنة انطيخوس الخامس ـ ديمتريوس الاول ـ صيرورته فى حروب مع رومة ـ اسكندر بلاس ديمتريوس الثانى ـ أسره بواسطة الفارطيين ـ عبوديته ـ سلطنة انطيخوس السابع ـ ضعف المملكة السوريانية ـ حروب داخلية ـ صيرورة سوريا رعية لارمينية ـ تغلب بومبى عليها ـ صيرورتها ايالة رومانية

فقد ذكرنا فيما سبق تقسيم مملكة اسكندر الاكبر من بعد موته بين قواده وذكرنا تشييد المملكة المصرية تحت سلطنة بطليموس لاغوس وسعادة كل من مقدونيا والجريس تحت أحكام خلفاء اسكندر ونذكر الآن قيام المملكة الجريقية السوريانية بواسطة سلقوس

وهذه المملكة مؤرخة من ابتداء ٣١٢ قبل الميلاد وقد ذكرنا ان سلقوس انتهز فرصة الصد الذى حصل لانطيخوس من انتصار بطليموس لاغوس على ديمتريوس بالقرب من غزة وأعاد سلقوس استحواذه على بابل ومد سلطنته على كامل أقاليم مملكة اسكندر الكائنة بين الفرات ونهر السند من جهة وبين نهر سيحون والبحر المحيط الهندى من جهة أخرى وأنشب حربا على أحد الملوك الهندية وكانت مملكة هذا الملك واقعة على رأس مياه نهر الكنج وأرغمه على عقد معاهدة نال فيها سلقوس فوائد تجارية جليلة و ٥٠٠ فيل أضافها الى جيشه ومن بعد نصرة انطيخوس فى سلميس تلقب سلقوس باللقب الملوكى ومن بعد واقعة ابسوس فى سنة ٣٠١ قبل الميلاد أخذ سلقوس قبدوسيا وقسما من فريجيا وسوريا العليا والشط الايمن من وسط نهر الفرات من نصيبه فى تقسيم الاراضى بين الفاتحين

وصرف سلقوس السنين الباقية من القرن فى ترتيب وتنظيم كافة ممالكه حتى صارت مملكته أجل الممالك التى تشكلت من رفع ممالك اسكندر وأظهر فى هذا الشغل جودة قريحته وذكاء عقله وأخطأ فى كونه لم يداوم على بقاء بابل عاصمة مملكته لانه بها كان يمكن اسوريا ضبط الشرق وحرمان المملكة الفارطية من القيام بالعصيان وقسم سلقوس مملكته الى اثنين وسبعين ايالة جميعها كانت تحت القانون الجريقى وحكام من مقدونيا وجند جيشا ثابتا من العساكر الوطنية وجعل قواده وضباطه من المقدونيين والجريقيين وابتنى مدائن جديدة فى كل ايالة وهى ستة عشر من هذه المدائن باسم انطاكيا على اسم أبيه وخمسة باسم لادسيا على اسم أمه وسبعة باسم سلوسيا باسم نفسه وعدة مدائن باسم زوجتيه أباميا واستراطونيس فأما انطاكيا الموجودة على نهر أورونطيس وكانت احدى هذه المدائن فانها صارت عاصمة المملكة وصرف سلقوس الباقى من عمره فى بنائها وزخرفتها وابتنى سلوسيا وجعلها مينة لها وصارت أنطاكيا أكبر وأشهر مدن الشرق واستمرت على موقعها ودامت على مركزها نحو ألف سنة

وفى سنة ٢٩٣ قبل الميلاد قسم سلقوس مملكته مع ابنه انطيخوس فأعطاه كامل الاقاليم الواقعة فى شرق نهر الفرات وفى سنة ٢٨٧ قبل الميلاد أغار ديمتريوس وكان تغلب على مقدونيا ثم ضيعها على

الاقاليم الآسياوية التابعة الى ليسيماخوس مؤملا تشييد مملكة جديدة لنفسه بواسطة سيفه ولما لم يكتسب أدنى فائدة من هذا الجهة عبر الى سيليسيا وأغار على الاملاك السورية فهزمه سلقوس وأسره عند المدة الباقية من حياته وفى سنة ٢٨١ قبل الميلاد قتل ليسيماخوس ابنه باغراء من زوجته أرصينوى المصرية وأخيها بطليموس شيرونوس فهربت أرملة هذا البرنس المقتول الى ديوان سلقوس فأخذ بنصرها وأغار على ممالك ليسيماخوس فانهزم ليسيماخوس وقتل فى واقعة كروبيديون وصار سلقوس سيدا على كامل مملكة اسكندر الاكبر وأسرع فى الغلبة على عاصمة ليسيماخوس فقتل فى يوم جلى أى ان بطليموس شيرونوس قتله جهرة وكان ملك مقدونيا وقت ذاك

وجلس انطيخوس الاول الملقب سوطير على كرسى مملكة سوريا بمجرد موت أبيه سلقوس وكانت مملكته مقصورة فى آسيا ومن بعد جلوسه بقليل اشتبك فى حرب مع الملوك الوطنية فى بثينيا وفى أثناء هذا الحرب خسر الاقليمين الذين عرفا فيما بعد باقليمى غلاطيا وبرجاموس ثم شرع بعد فى حروب مع مصر فكان هذا الحرب لا طائل تحته وكان معضدا فيه بصهره ماغاص زوج ابنته وكان ملك صرنى وهى الآن طرابلس الغرب وعاصيا على مصر مع انه كان تحت سلطنتها وانهزم انطيخوس فى واقعة مع العلميين بالقرب من أفسوس وقتل فى سنة ٢٦١ قبل الميلاد

ثم استخلف من بعده انطيخوس الثانى وتلقب باللقب الكفرى أى انه لقب نفسه بلقب طيوس ومعناه الله من بعد موت أبيه وكان ملكا ضعيفا فاجرا قبيح السلوك فانه ترك أشغال حكومة مملكته لازواجه وندمائه فأسرعت سوريا فى الضعف والاضمحلال تحت حكمه وكان كل من مملكتى بقطريا (بلخ) وفارطية تشيدا فى نحو سنة ٢٥٥ قبل الميلاد فتغلبا على معظم أراضى مملكة سوريا وكسرا شوكتها ولما اشتبك فى حرب مع مصر قفل هذا الحرب بطلاق زوجته وتزوج برنيس بنت ملك مصر ولما مات ملك مصر بعد انطيخوس وحصلت الغيرة لزوجته الاولى ليودسيا قتلته مع برنيس وابنهما الطفل الصغير فى سنة ٢٤٦ قبل الميلاد

وخلف سلقوس الثانى ابن ليودسيا أباه على كرسى المملكة وفى السنة التالية خسر نحو كامل ممالكه من غارة أغارها عليه بطليموس الثالث وكان سبب غارته هذه هو الانتقام لاخته برنيس والاخذ بثارها نظير ما حصل من قتلها وساق بطليموس جيوشه المظفرة حتى وصل نهر السند الا أنه رجع مسرعا على أعقابه الى بلاده من ثورة حصلت فيها فخسر جميع ما كان استحوذ عليه وفاز سلقوس بتشييد سلطنته ثانيا من ابتداء نهر السند الى بحر الارخبيل ومن بعد مضى قليل ابتدأ انطيخوس هيراكس وهو الاخ الاصغر لسلقوس فى ثورة مهولة وفى نفس هذا الوقت اكتسب الفارطيون مظفرات جليلة فى نواحى الحد الشرقى من المملكة وهزموا سلقوس فى واقعة كبيرة فى سنة ٢٣٧ قبل الميلاد ثم استمر الحرب الداخلى الى سنة ٢٢٩ قبل الميلاد حتى انهزم أنطيخوس وهرب هائما على وجهه مدة حياته وقتل سلقوس فى سنة ٢٢٦ قبل الميلاد من وقعة وقعها من فوق حصانه

ثم جلس سلقوس الثالث على التخت وشرع فى السنة الثالثة من سلطنته فى حملة على برجاموس فقتل فيها بواسطة ثورة قامت عليه من عسكره فى سنة ٢٢٣ قبل الميلاد فجلس من بعده على تخت المملكة انطيخوس الثالث الملقب بالاكبر ابن ابن سلقوس مؤسس هذه العائلة وكانت سلطنته حاوية جميع المدة المشحونة بوقائع وحوادث تاريخ سوريا وابتدأ فيها باخماد ثورة مولوأمهر القواد السورية وكان

جعل نفسه سيد الناحية الشرقية من نهر الفرات وهزم كل جيش صار ارساله لصده واخماده وفى مدة غياب انطيخوس فى اخماد هذه الثورة تقلد أحد أقاربه أخيوس لقب الملك وصورته وكان انطيخوس أعلن الحرب على مصر واشتاق لتوجيه حربه عليها فاكتفى بتعنيف هذا العاصى وسار الى فلسطين وفينقيه وتغلب عليهما وكانت فلسطين انفصلت من مصر بسبب ما حصل من بطليموس الرابع من انتهاك حرمة معبد اليهود فخضعت لملك سوريا على رغبة منها ثم سار انطيخوس نحو الجهة الجنوبية والتقى مع الجيش المصرى فى نواحى رافية (العريش الآن) على الحد الشرقى من الصحراء فانهزم فى سنة ٢١٧ قبل الميلاد وخسر كامل ما تغلب عليه ما عدا اسيلوسيا مينة انطاكية ثم عقد صلحا مع مصر وعاد الى اخيوس وبمساعدة عطالوس ملك برجاموس هزمه وحصره فى سرديس وفى سنة ٢١٤ قبل الميلاد تيسر له الحصول على القبض على نفس اخيوس بالخديعة وانتهى أمر العصيان ثم توجه انطيخوس الى القسم الشرقى من مملكته لاقاة ارصاسيس الثالث ملك فارطيه (أحد ملوك الطوائف) وكان هددميديا وأرعب جانبها فسار على وجه السرعة نحوهمذان عابرا من صحراء هيكاطوميبلوس ودخل همذان وضبطها فى سنة ٢١٣ قبل الميلاد ومنها عبر الجبال ودخل فى أرض حركانيا (مازوندران الان) وفيها أشعل واقعة مع الفارطيين حصل الشك فى نتيجتها هل كان انطيخوس رضى بعقد صلح وأقر على استقلالية فارطيه وحركانية مملكة تحت سلطنة ارصاسيس أولا ثم بعد هادخل فى حرب مع بقطريا (بلخ) الا أنه من بعد أن نال بعض مظفرات عقد صلحا مع ملك باقطريا عونيديموس وتركه مستحوذا على بقطريا والصغد وعقد عقد الزواج بين ابنة ملك بقطريا وديمتريوس ابن انطيخوس ثم ان انطيخوس عبر سلسلة كوه الهند ودخل فى الأراضى الافغانية وجدد المعاهدة القديمة بين سوريا والمملكة الهندية من تلك الجهات وعاد الى بلاده من وسط أرغوسيا (بلوجستان) ودرنغيانه وكرمانيا وقضى فصل الشتاء فى اقليم كرمانيا وفى السنة التالية شرع فى غزوة بحرية فى الخليج الفارسى على عرب الشاطئ العربى من الخليج المذكور وهم لصوص مياه الخليج وأنزل بهم وأذاقهم أشد العذاب ثم عاد الى بلاده فى سنة ٢٠٥ قبل الميلاد

ثم ان انطيخوس عاد لما كان عليه من الغارة على مصر وتقوى على شغله بأن هذه المملكة صارت فى هذا الوقت تحت أحكام الولد الصغير بطليموس الخامس وتحت نيابة عاجزة عن ادارة أحكامها فظفر بكونه أعاد لنفسه سوريا السفلى وفينقيه وفلسطين بنصرة انتصر هافى نواحى بانياس سنة ١٩٨ قبل الميلاد ووعد انطيخوس باقليم سوريا السفلى وفلسطين مهرا لابنته كليوبطره وكان زوجها الى بطليموس الخامس الا أنه لم يوف بهذا الوعد لا هو ولا من جاء بعده من خلفائه ثم أخضع آسيا الصغرى وتغلب على خرسونه من أعمال تراسة وفى سنة ١٩٦ قبل الميلاد طلب الرومانيون من سوريا تسليم جميع الاراضى التى أخذتها من مصر ومقدونيا وكان الرومانيون هزموا فيليب صاحب مقدونيا واستولوا على حماية مصر فلم يقبل انطيخوس اجابة هذا الطلب وتساعد بحنبال القائد الاكبر القرطاجنى وكان هرب والتجأ الى ديوانه واستعد للحرب وفى سنة ١٩٢ قبل الميلاد أغار على الجريس الا أنه من بعد أن نال بعض المظفرات هزمه الرومانيون هزيمة فاصلة فى ترموبيلى فالتجأ على الانسحاب الى بلاده وأعقب الرومانيون انهزامهم بحملتين بحريتين اغتصبوا بهما كامل الساحل الغربى لآسيا الصغرى من سوريا وعبر الجيش الرومانى بوغاز الدردانيل تحت قيادة كل من الاثنين سكيبوس وعجز انطيخوس

بالكلية فى الواقعة الكبرى التى حصلت فى مغنيسيا من أعمال ليديا حتى انه التزم على عقد صلح أرغم فيه على التنازل عن كامل آسيا الصغرى ماعدا سيليسيا واتفق على دفع غرامة حربية مقدارها ١٢٠٠٠ وزنة أى ١٤٤٠٠٠٠٠ دولر أى ٢٤٠٠٠٠٠ استرلينه والاراضى التى سلمها انطيخوس أعطاها الرومانيون الى برجاموس ومن ثم صار لها قوة كافية لصد أعمال سوريا وأعقب هذه الخسائر وقوع ثورة فى أرمينية وكانت هذه المملكة نجحت فى تشييد استقلاليتها وسلب أنطيخوس هيا كل اسياومعابدها من جميع كنوزها وخزائنها فى أثناء قمعه هذه الثورة وجمع النقود اللازم دفعها فى الغرامة التى ضربها عليه الرومانيون فتولد من ذلك ثورة فى علماى قتل فيها فى سنة ١٨٧ قبل الميلاد وخلف سلقوس الرابع الملقب فيلوباطير أباه على تخت المملكة فتسلطن احدى عشرة سنة كانت مدتها خالية الوقائع والحوادث وقتله خزندارة هليودوروس وقبض على التخت من بعد قتله فى سنة ١٧٦ قبل الميلاد الا أن انطيخوس الرابع ابيفانيس خلعه على الفور بمساعدة برجاموس له وكان انطيخوس هذا هو الابن الثانى لانطيخوس الاكبر وورث قسما عظيما من مهارة أبيه وشجاعته وبما أنه كان قام أربع عشرة سنة فى رومه نزيلا فيها فادخل كثيرا من العوائد الرومانية فى مملكته وأنشب حربا على أرمينية وحصل له الغضب الشديد لما طلبت مصر استلام سوريا السفلى وفلسطين التى كان أبوه وعدبهما مهرا لزوجة بطليموس الخامس وأغار على مصر ولما صار على شرف التغلب عليها أرغمه الرومانيون على الانسحاب منها فغار على اليهود وأخذ مدينتهم المقدسة بالهجوم عليها عنوة ونهب المعبد وأفسد حاله ونجسه ومن بعد مضى قليل عزم على أن يقيم عبادة باهواه (الله) فتولد من هذا وقوع الحريس فى الحرب المقبيانى الاستقلالى وانهزم جيشه عدة مرات بواسطة يهودا مقابيوس فسار انطيخوس لمعاقبة يهود انفسها وفى مدة سيره وقف فى الطريق لاجل سلب معبد علماى فاصيب بجنون حاد كان سببا فى موته سنة ١٦٤ قبل الميلاد

وخلف انطيخوس الخامس عوباطير ابن ابيفانيس أباه وكان عمره اثنتى عشرة سنة فانتقلت المملكة الى أيدى لصياص الوصى عليه والنائب فى المملكة عنه فتوجه النائب والملك الشاب الى يهودا المباشرة الحرب فارغما يهودا مقابيوس على حصر نفسه فى مدينة أورشليم ثم ظهر فيليب فى انطاكيا بالمرسوم الملوكى وكان اقامة أبيفانيس وصيا على ولده من بعد موته وقبض على الحكومة فأمر لصياص الملك فى الحال بعقد الصلح والعود الى انطاكيا وهزم لصياص فيليب وقبض عليه وقتله ثم ان لصياص رأى فى نفسه انه لم يفعل شيأ يعود منه النفع على المملكة لانه لم يشرع فى طريقة من الطرق اللازمة لمقاومة الفارطيين وكانوا فى هذا الوقت تغلبوا على الاقاليم الشرقية ولا أجرى الاحتياطات اللازمة فى صد الرومانيين وكانوا قووا شروط معاهدتهم مع انطيخوس الاكبر باعمال شديدة خارقة العادة فمن ثم صار الخطر المهدد للمملكة شديدا جدا فانتهى هذا الخطر الشديد بوصول ديمتريوس وكان هرب من رومة من بعد أن لبث فيها عدة سنين نزيلا بها وضبط التخت وقتل انطيخوس ولصياص معا

وابتدأت سلطنة ديمتريوس الاول فى سنة ١٦٢ قبل الميلاد فابتدأ فى سلطنته بالعزم والكد على فتح يهوذا فقابله يهودا مقابيوس بصد شديد ومن بعد موت هذا القائد الشجاع وصل ديمتريوس الى ما وصل اليه من النصر والظفر فخرمه الرومانيون منه وعقدوا محالفة مع يهوذا ومنعوه من أن يحصل منه أدنى ارتباك أوشغب فى هذا الاقاليم وأعلنوا باستقلالية مملكة على حدتها ثم ان ديمتريوس بعد هذا شرع فى

عزل اريارطيس ملك قبدوسيا وأنعم بالتاج على عوروفرنيس ابن أبيه فخض الملوك المجاورون له اسكندر بلاس بن ابيفانيس من الزنى على طلب التاج لنفسه واتحدوا سوية وانضم الرومانيون الى هذا الاتحاد في مساعدته فغرقت في عميق بحار أهوالها ومصائبها حتى ان كل واحد من مدعى التاج سار في طريق الجور والتعدى على اليهود وفي سنة ١٥١ قبل الميلاد قتل ديمتريوس واستحوذ خصمه على التاج وتسلطن اسكندر بلاس خمس سنوات كانت فيها مظفراته موجهة على الخصوص نحو مصر وتزوج كليو بطره بنت ملك مصر الا أنه تحقق من أعماله بانه ما كان يوافق لان يكون ملكا بالكلية لانه ترك سلطنته الى رجل نديمه دنى الاصل أقبح واحد في عصره اسمه أمونيوس واعتكف هو على الخلاعة والفسق والفجور والملاهي وعامل صهره أي جابافعال الخيانة والرذالة حتى ان بطلميوس فيلو باطر نكث معاضدته له وأخذ منه ابنته كليو بطره وزوجها ديمتريوس نكاطور بن ديمتريوس الاول فتقوى هذا بكراهة السوريين لاسكندر وادعى لنفسه التاج وبمساعدة بطلميوس هزم المدعى خصمه فقتله قواده من بعد مضى مدة قليلة وصار ديمتريوس الثاني ملكا في سنة ١٤٦ قبل الميلاد فكان في حكمه ظالما غشوما حتى نفرت منه رعيته وبعدوا عنه ولما نهض أهل أنطاكيا في العصيان عليه أمر الحرس المرتب عليهم من اليهود بنهب المدينة جهارا ثم ظهر مدع آخر بواسطة ديودوطوس صاحب اباميا وكان هذا المدعى اسمه انطيخوس السادس ابن اسكندر بلاس وكان طفلا عمره سنتان ومن بعد مضى ثلاث سنوات أو أربعة اقب ديودوطوس هذا الطفل باسم طريفون وأعلن له بالملك في سنة ١٤٣ قبل الميلاد وفي أثناء ذلك كبس الفارطيون على المملكة كبسا شديدا فعهد ديمتريوس أشغال المملكة وحكومتها الى زوجته كليو بطره وسار هو الى الفارطيين فنال في مبادى حربه مظفرات الا أنه في سنة ١٤٠ قبل الميلاد هزمه ارصاسيس السادس ملك فارطية وأخذه أسيرا واستمر عنده في الاسر مكرما نحو عشر سنوات وزوجه بزوجة من برنسيسات فارطية فكانت هي الزوجة الثانية له ولما رأت كليو بطره أن لا طاقة لها على حفظ موقعها من دون مساعدة أحد دعت لمساعدتها أخا زوجها انطيخوس صيديطيس فضم جيشه الى جيشها ومن بعد محاربة استمرت سنتين مع طريفون هزمه وقتله في سنة ١٣٧ قبل الميلاد ثم ان هذا الشجاع صيديطيس جعل نفسه الملك الوحيد في سوريا وتلقب باسم انطيخوس السابع وتزوج كليو بطرة امرأة أخيه وهذه رأت في نفسها أنها صارت خالصة من زوجها بواسطة أسره عند الفارطيين وكذا بواسطة زواجه برنسيسة منهم وأغار انطيخوس على يهوذا وجعلها تحت الحكم السوري مرة أخرى من سنة ١٣٥ الى سنة ١٣٣ قبل الميلاد ثم شرع في حملة على فارطية بعزم خلاص أخيه منهم فنال في مبادى حربه نصرات جليلة على الفارطيين لكنه انهزم مع خسارة جيشه وقتله

ومن قبل موت أنطيخوس السابع بقليل كان ملك فارطية أفرج عن ديمتريوس وأرسله الى انطاكيا لاجل طلب تاجه مؤملا أن يرغم انطيخوس ويعزله ويحافظ على مملكته فاستلم ديمتريوس حكومته وتسبب من موت أخيه أن صار لا منازع له ومع هذا فانه من بعد مدة قليلة ظهر له خصم آخر وذلك أن بطلميوس فسكون صاحب مصر أقام شخصا اسمه اسكندر طا نياس طالبا التاج السوري وادعى انه ابن اسكندر بلاس انتقاما لنفسه من ديمتريوس عما حصل منه من معاضدة كليو بطره فحصل بين الخصمين واقعة مهولة بالقرب من دمشق فانهزم ديمتريوس وهرب الى زوجته الاولى كليو بطره في مدينة

بطليموسية (عكا) فلم تقبله عندها فاجتهد فى أن يلقى نفسه من أعلى سور فضبط وقتل فى سنة ١٢٦ قبل الميلاد وكانت كليوبطره قتلت ابنها الاكبر سلقوس لانه كان تقلد لبس التاج من دون رضاها فأجلست ابنها الثانى انطيخوس غريبوس على التخت مع نفسها بحكمان سوية وفى هذا الوقت تسلطن ظابيناس فى جهات من سوريا واستمر فى السلطنة مدة سبع سنوات وأخيرا حصل منه منازعة مع مربيه الملك المصرى فتركه بطليموس فسكون لانطيخوس سنة ١٢٤ قبل الميلاد وفى سنة ١٢٢ قبل الميلاد قبض عليه انطيخوس وألزمه بشرب السم القاتل وفى السنة التالية وجد انطيخوس أمه مشغولة بدسيسة عليه فقتلها وأراح نفسه منها وانفرد بالملك على حدته فاعقب هذه مدة سلمية استمرت ثمانى سنوات وكانت سوريا فى حالة محزنة مكدرة من عدم راحتها وضعفت حالتها من دوام النزاع والشقاق فيها وخسرت يهوذا والاقاليم الشرقية وصارت فى حد نفسها مملكة صغيرة لا شوكة لها فى فساد مستمر وصارت أموال المملكة فى أيدى بعض سفهاء الاشراف وتراكم الفقر على الامة حتى صارت على شفا جرف من الانقراض

وفى سنة ١١٤ قبل الميلاد انفجرت ثورة تحت رياسة انطيخوس تظنسوس بن كليوبطره من زوجها الثالث صيد يطيس فتولد من ذلك حرب دموى استمر ثلاث سنوات اتجبر فيه الملك على قسمة أراضيه مع أخيه من أمه ثم اشتبك الحرب ثانيا فى سنة ١٠٥ قبل الميلاد واستمر طول القرن الى حد سنة ٩٦ قبل الميلاد فتولد منه أشد العناء والضرر والخسائر المهولة للمملكة وفى أثناء هذه المدة لاقت سوريا أعظم المصائب من سلب ونهب الاعراب الموجودين فى الجهة الشرقية منها والخراب والدمار من المصريين الموجودين فى حدودها الجنوبية واستقلت سيليسيا وصور وصيدا وسيلوسيا وفى سنة ٩٦ قبل الميلاد قتل هيراقليون انطيخوس وكان هيراقليون هذا أحد حكام ديوان انطيخوس واجتهد فى حفظ التخت لنفسه الا انه خاب أمله وانقطع سعيه

وخلف سلقوس أباه واستمر الحرب مع تظنسوس فانهزم فى واقعة كبيرة وقتل المدعى نفسه بنفسه كى ينجو من شر الاسر الا أن ابنه انطيخوس عوز يبس حل محله فى حربه وتقلد اللقب الملوكى وطرد سلقوس الى نواحى سيليسيا فاجتهد سلقوس فى جمع نقود من أهل موبسيوسيطه بالرغم عنهم فقاموا عليه وأحرقوه بالحياة ثم جلس فيليب الابن الثانى لانطيخوس الثامن على التخت واستمر بضع سنين منشبا الحرب مع عوزيبس مساعدا باخويه ديمتريوس وأنطيخوس ديونيسوس فانهزم عوزيبس وهرب الى فارطية ومن بعد هذا صار فيليب واخوته لا طاقة لهم على توزيع المملكة وتقسيمها بينهم واشتعلوا حروبا على بعضهم حتى أهل سوريا من هذه المشاحنات والحروب التى تولد منها قتل النفوس ودمار الاقاليم ودعوا طغرانيس ملك أرمينية ليكون لهم ملكا فقبل دعواهم ومن سنة ٨٣ الى سنة ٦٩ قبل الميلاد صارت سورية فى أمن واطمئنان وفى نحو غلاق هذه المدة صار طغرانيس عرضة لانتقام الرومانيين من أجل مساعدته صهره متريداطيس ملك بونطوس فأرغموه على التنازل عن سوريا وانتقل التاج الى انطيخوس الثالث عشر آسياطيخوس فتسلطن ثلاث سنوات وفى سنة ٦٥ قبل الميلاد عزل بومبى الاكبر آسياطيخوس وأخضع سوريا وجعلها ايالة رومانية والله أعلم بغيبه وأحكم

﴿ جدول ملوك العائلة السلوسيانية فى سوريه وتواريخ سلطنتهم ﴾

سنة قبل الميلاد		سنة قبل الميلاد	
٣١٢	سلقوس الاول نكاطور	١٦٥	انطيخوس الخامس انباطير
٢٨١	انطيخوس سوطير	١٦٢	ديمتريوس الاول
٢٦٢	انطيخوس الثانى طيوس	١٤٠	انطيخوس صيديطيس
٢٤٧	سلقوس كالاسنيوس	١٣١	ديمتريوس الثانى
٢٢٧	سلقوس الثانى ثيرونوس	١٢٢	انطيخوس غريقوس
٢٢٤	انطيخوس الثالث الاكبر	٩٧	انطيخوس سيزيثنوس
١٨٧	سلقوس الرابع فيلوباطير (محب أبيه)	٩٠	انطيخوس سوسبيس
١٧٦	انطيخوس ايبفانيس (رفيع المقام)	٥٧	سلقوس سبروساكطيس

﴿ الكتاب الخامس عشر ﴾

﴿ تاريخ الممالك الصغيرة الجريقية فى آسيا ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ تاريخ برجاموس وبسنيا وبفلاجونيا وبونطوس وقبدونيا وارمينيه وبقطريا ﴾

قيام مملكة برجاموس ـ عومنيس الاول ـ سلطنة عطالوس الاول ـ تقلده لقب ملك ـ معاهدته مع رومه ـ عومنيس الثانى ـ مكافأة الرومانيين له ـ نخر المعقولات فى برجاموس ومجدها ـ سلطنة عطالوس الثالث ـ وصايته بمملكته للامة الرومانية ـ صيرورة برجاموس اقليما رومانيا ـ تقدم مملكة بسنيا ـ بروسياس الاول ـ حروبه ـ موت حنبال ـ سلطنة نقوميديس الثانى ـ نقوميديس الثالث ووصايته بالمملكة لرومة من بعد موته ـ قيام مملكة بفلاجونيا وسقوطها ـ تقدم مملكة بونطوس ـ متريداطيس الثالث ـ فتوحاته ـ تغلبه على سينوب ـ متريداطيس الرابع ـ مساعدته رومة فى حروباتها ـ متريداطيس الملك الاكبر ـ فتوحاته ـ حروبه مع رومة ـ هزيمته وموته ـ صيرورة بونطوس ايالة رومانية ـ تاريخ مملكة قبدونيا ـ قيام الممالك الارمنية وسقوطها ـ تاسيس مملكة بقطريا الجريقية ـ تاريخها ـ انقراضها تحت أرجل فارطيه

كان يوجد خلاف الممالك التى ذكرناها فيما سبق عدة ممالك صغيرة أقيمت على رقع من مملكة اسكندر الاكبر من الضرورى ذكر الاهم منها على وجه الاختصار فلنذكرها هنا على سبيل العلم بها فنقول

أولا ـ مملكة برجاموس ـ كانت مدينة برجاموس الكائنة على نهر كيكوس من أعمال ميسيا مرعية من قديم الزمان بانها احدى الحصون أو المعاقل الكبيرة فى آسيا الصغرى وكان ليسيماخوس ملك ثراسة جعلها مستودع خزائن مملكته وعهدها تحت محافظة الطواشى فيلطيروس ولمامات ليسيماخوس فى واقعة كوروبيديون ضبط فيلطيروس هذه المدينة تحت اسم سلطنة ليسيماخوس ثم

بمساعدة ما كان فيها من خزائن وكنوز لسيماخوس نجح فى تشييدها استقلالية المدينة لنفسه وتسلطن فيها عشرين سنة أى من سنة ٢٨٣ الى سنة ٢٦٣ قبل الميلاد ومن بعد موته خلفه عومنيس الاول ابن أخيه على تخت المدينة ومن بعد جلوسه بقليل أغار عليه انطيخوس الاول ملك سوريا فهزمه عومنيس فى واقعة شديدة دموية بالقرب من مدينة سرديس وبهذه النصرة زاد فى أراضى مملكته زيادة كبيرة ثم مات فى سنة ٢٤١ قبل الميلاد من كثرة اعتكافه على الشرب بعد أن تسلطن اثنتين وعشرين سنة واستخلف من بعد عومنيس عمه عطالوس الاول ومن قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة كان الغاليون وهم قوم قطنوا فى شمال نواحى فريجيا أو غلاطيا كما ذكرناسابقا يشنون غارات السلب والنهب على البلاد المجاورة الى برجاموس ففى نحو سنة ٢٣٩ قبل الميلاد شنوا غارة على برجاموس فالتقى معهم عطالوس وأوقع فيهم وهزمهم شرهزيمة وبواسطة نصرته على الغيلين لقب عطالوس نفسه بلقب ملك ومن قبله لم يتجاسر أحد من أسلافه على تلقيب نفسه بهذا اللقب ثم من بعد مضى عشر سنوات انجبر على المدافعة عن مملكته من اغارة السوريين وكانوا تحت قيادة انطيخوس هيرا كس أخى سلقوس الثانى وهذا البرنس الطماع أداه طمعه الى أن يجعل نفسه ملك آسيا الصغرى فهزمه عطالوس وطرده منها ونجح عطالوس أيضا فى مد وتوسعة أراضيه حتى أدخل لحد سنة ٢٢٦ قبل الميلاد جميع الممالك الموجودة فى غرب نهر الحاليس وفى شمال جبل طوروس فى مملكته الا أن سلقوس ثيرونوس وانطيخوس الاكبر أخذا منه هذه الفتوحات وفى سنة ٢٢١ قبل الميلاد صار ملكا على بلاده فقط التى كانت موجودة من قبل فى برجاموس فاستخدم فى ديوانه قوما من الغيليين وتولد مما أجروه من حزم الرأى والتدبير عود عيوليس فى سنة ٢١٨ قبل الميلاد وفى سنة ٢١٦ قبل الميلاد عقد محالفة مع أنطيخوس الاكبر فرد عليه ملك سوريا نظير هذه المحالفة أجود جهات الاراضى التى كان أخذها منه وفى سنة ٢١١ قبل الميلاد صار عطالوس حليف الرومانيين والعيطوليانيين فى الحرب التى كانت قائمة من طرفهم على فيليب الخامس صاحب مقدونيا وأدى عطالوس خدمات جليلة لمحالفيه أكسبته صداقة عظيمة ومحبة جليلة عند رومة ومن بعد صلح سنة ٢٠٤ قبل الميلاد هجم فيليب على عطالوس وخرب ممالكه واجتهد فى طرد أسطوله من بحر الارخبيل فعقد ملك البرجامونيين معاهدة مع رودس وفى سنة ٢٠١ قبل الميلاد أوقع المحالفون هزيمة مهولة على أسطول فيليب على مسافة من جزيرة خيوس وفى سنة ١٩٩ قبل الميلاد ابتدأ الحرب الثانى بين رومة وفيليب صاحب مقدونيا ثم ان عطالوس وان كان بلغ من العمر سبعين سنة الا انه دخل مع الشوق والتلهف مع الرومانيين وأدى لهم مساعدات جليلة باسطوله وتولد من كده وسعيه نحو منافعهم موته فى سنة ١٩٧ قبل الميلاد

وجلس عومنيس الثانى أكبر أولاد عطالوس الاربعة على تخت أبيه وورث منه أيضا الشهامة والادارة والسياسة وأدى عومنيس هذا للرومانيين مساعدات جليلة فى حروبهم مع فيليب صاحب مقدونيا وانطيخوس الاكبر صاحب سوريا وبرصوص خليفة فيليب حتى انه من واقعة مغنيسيا سنة ١٩٠ قبل الميلاد صار مكافأته زيادة أراضى مملكته زيادة عريضة على شاطئ الدردانيل أى الهلسبون فجعلت هذه الاضافات برجاموس احدى الممالك الكبيرة فى الشرق وصارت المملكة البرجامونية مشتملة فى هذه الحالة على ميسيا وليديا وفريجيا وليقونيا وبفيليا وجهات من كاريه وليسيا فى آسيا وخرسونه فى تراسة مع عاصمتها ليسيماخوسيا والاقسام المجاورة لها من تراقة وفى سنة ١٨٣ قبل الميلاد اشتعل

حرب بين برجاموس وبسنيا نالت فيه برجاموس فريجيا الهاسبونطيه وفى سنة ١٨٣ قبل الميلاد ابتدأ حرب مع بونطوس استمر لحد سنة ١٧٩ قبل الميلاد وفى سنة ١٦٨ قبل الميلاد دخلت برجاموس فى حرب مع الغيليين وما كان مقصد عومنيس من هذه الحروب التغلب على شئ بل المحافظة والابقاء على الاراضى الموجودة تحت يده

وصارت مدينة برجاموس فى مدة سلطنة عومنيس الثانى احدى المدائن الزاهرة فى الدنيا القديمة وكان أبوه من المخلصين الصادقين فى نشر الآداب والمعارف والحرف والصنائع الا أن عومنيس فاق أباه فى المساعدات التى ساعدها بها وحلى المدينة بمبان مفتخرة غريبة تشهد آثارها التى لم تزل موجودة الى الآن لها بعلو المجد والرونق وشجع على صنعة النقش والحفر وشيد عومنيس دار الكتب البرجامونية الكبيرة فى مدينة برجاموس وما كان يفوق عنها فى المجد والسودد الا دار الكتب التى فى مدينة الاسكندرية بمصر وهرع الى دوانه كثير من علماء الرجال وفتح مدارس اللغة والتفسير فى المدينة لكنها كانت أقل درجة من مدارس الاسكندرية ودخل رق الكتابة وهو مادة تستعمل للكتابة مشغولة من الجلد والبردى المصرى وكان دخوله فى برجاموس فى مدة سلطنة عومنيس

ومات عومنيس فى سنة ١٥٩ قبل الميلاد وترك ولدا له اسمه عطالوس فى سن الطفولية صغيرا جدا على السلطنة فتقلد عطالوس الثانى زمام السلطنة وكان أخا عومنيس ولبس التاج ولقب نفسه فيلادلفوس وتسلطن احدى وعشرين سنة وصرف زيادة عن نصف هذه المدة فى حماية مملكته وحفظها من غارة بروسياس الثانى صاحب بسنيا واشتغل بخلاص نفسه من هذا الجار الشديد السوء بمعاضدته ثورة نقوميديس بن بروسياس على أبيه وساعده فى جلوسه على تخته فتولد من ذلك وقوع الصلح بين برجاموس وبسنيا وكان فيلادلفوس شديد الرغبة فى العمارات محبا لها فاشتغل فى سنى استتباب راحة مملكته ببناء مدائن وأضاف الى كتبخانته أبنية فاخرة وكان من ضمن مابناه من المدائن مدينة عومنية فى فريجيا وفيلادلفيا فى ليديا وعطاليا فى بمفيليا ومات فى سنة ١٣٨ قبل الميلاد

وخلف عطالوس الثالث ابن عومنيس الثانى عمه فيلادلفوس وتلقب بلقب فيلوماطر أى محب أمه فكانت مدة سلطنته خمس سنوات حاوية للزعازع والخوف والثورات وأمر بقتل كل من كان على صداقة أبيه وعمه مع عائلاتهم وقتل كل حاكم أو رئيس مصلحة فى المملكة ثم قتل أمه وكثيرا من أقاربه فانقبض قلبه مما أجراه من جرائمه فترك حكومة مملكته وعكف على صنعة النقش والحفر وشغل الجنائن والبساتين ومات فى سنة ١٣٣ قبل الميلاد وترك برغبته مملكته موصيا بها للامة الرومانية فقبلت رومة هذه الوصية من دون ريب فقام اريسطونيقوس ابن زنى من عومنيس الثانى وطلب المملكة لنفسه بما أنه هو الوارث الاصلى لها ونال فى مبادى أمره مظفرات جليلة على الرومانيين وفى سنة ١٣١ قبل الميلاد هزم ليصينيوس قراصوص القائد الرومانى وأسره وكانت رومة أرسلته لاجل احتلال المملكة عنوة وفى السنة التالية هزمه برپينه وأخذه أسيرا وصارت مملكة برجاموس اقليما رومانيا والله يؤتى ملكه من يشاء وهو القوى العزيز

ثانيا — مملكة بسنيا — كانت بسنيا فى مدة حياة المملكة الفارسية احدى ممالكها الخراجية وكانت محكومة بملوك من أهلها فعادت لها استقلاليتها مع الشدة والثبات من بعد وفاة داريل وقاومت مع الفور مساعى قواد الاسكندر الاكبر فى الغلبة عليها ولما مات الملك الذى كانت هذه المقاومات جارية

بمعرفته فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد ترك لابنه ظيبوطيس مملكة بائعة مزهرة مستقلة بنفسها فتسلطن ظيبوطيس ثمانيا وأربعين سنة من سنة ٣٢٦ الى سنة ٢٧٨ قبل الميلاد وحفظ مملكته جيدا من غارات ليسيماخوس وانطيغوس سوطير ومن بعد موته اشتعل حرب داخلى بين ولديه نقوميديس وظيبوطيس وبمساعدة الغيليين هزم الاكبر أخاه الاصغر وجلس على التخت ولقب نفسه نقوميديس الاول وأسس مدينة نيقوميديا على خليج اسطاقوس وكان له زوجتان خلف من الاولى ولدا واحدا اسمه ظيلاس ومن الثانية ثلاثة أولاد وأراد أن يترك ممالكه لهم فدعا ظيلاس الغيليين لمساعدته وهزم اخوته من بعد موت أبيه وجلس على تخت المملكة وتسلطن عشرين سنة

ثم ان بروسياس الاول ويلقب بروسياس الاعرج خلف أباه ظيلاس فى نحو سنة ٢٢٨ قبل الميلاد واستمرت سلطنته الى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد يعنى مدة خمس وأربعين سنة فكان الثمان سنوات الاول منها خالية الحوادث والوقائع وما بقى من سنى سلطنته تقضى فى حروب مستمرة مهمة جدا وفى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد ساعد رودس فى حربها مع بيزانطيوم وفى سنة ٢١٦ قبل الميلاد انتصر على الغيليين ثم عقد محالفة مع فيليب الخامس صاحب مقدونيا فى حربه مع رومة وفى سنة ٢٠٨ قبل الميلاد أغار على أراضى برجاموس وأرغم عطالوس الاول الى العود لحفظ مملكته فتولد من الافعال التى فعلها بروسياس عداوته لرومة وازداد غضبها عليه فى سنة ١٨٧ قبل الميلاد عندما التجأ اليه القائد المشهور القرطاجنى حنبال وقبله فى ديوانه وبمساعدة حنبال هجم بروسياس على عومنيس صاحب برجاموس فهزمه الا أنه لم يكتسب شيأ من نصرته هذه لان رومة تداخلت فى أعماله وألزمته على أن يعوض لعومنيس خسائره وأن يتنازل له عن كامل فريجيا الهلسبونطيه وطلب الرومانيون أيضا من ملك بسنيا أن يسلم لهم حنبال وهددوه بالحرب ان امتنع من تسليمه فوهن بروسياس جدا من هذا الطلب وصار لا طاقة له على صدورقول منه بالقبض على نزيله ولما رأى حنبال عدم امكان نجاة نفسه سم نفسه ونجى طلب أعدائه وعند موته شرح كراهته وبغضه لرومة وضعف بروسياس وعجزه ثم ان ملك بسنيا وجه جيشه على هيراقليه بونطيقة فمع كونه نال بعض مظفرات فى حروبه الا أنه جرح جرحا أقعد فخذه حتى لقب بالاعرج ومات بعد هذا بقليل فى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد

وخلف بروسياس الثانى أباه وتسلطن الى حد سنة ١٤٩ قبل الميلاد وكان أقبح وأحقر الملوك البسنيانية ونزلت عليه المصائب والشدائد من كل جهة وتزوج أخت برصوص صاحب مقدونيا فعجز عن مساعدته له فى حربه الاخير مع الرومانيين ولما سقط برصوص خضع خضوعا مهينا للرومانيين فرخصوا له فى بقائه فى مملكته وفى سنة ١٥٦ قبل الميلاد توجه لحرب مع عطالوس الثانى صاحب برجاموس وبمجرد ما صار على شرف التغلب على ممالك عطالوس تداخل الرومانيون بينهما وألزموه بعقد صلح واسترجاع ما تغلب عليه وأن يدفع الى عطالوس غرامة حربية قدرها ٥٠٠ وزنة أى ١٠٠٠٠٠ ليرة استرلينيه ولما وجد ابنه نيقوميدس محبوبا عند الامة ومعتبرا عند أهلها زيادة عن نفسه أرسله الى رومة مع أوامر سرية لحواشيه وخدمه بقتله فلما كشف البرنس ما كان يخفيه من قتله ترك رومة برضا من مجلس السناتو وعاد الى بلاده وقام بيرق عصيانه وبمساعدة عطالوس الثانى صاحب برجاموس هزم أباه نيقوميدس وأسره وقتله

وجلس نيقوميدس الثانى الملقب أبيفانيس أو الشهير على التخت فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد واجتهد

أن يكون على حالة عظيمة مرضية مع رومة فأدى لها مساعدات جليلة فى حربها مع اديسطونيقوس صاحب برجاموس ومع هذا فما كان على صداقة داعية مع رومة وفى سنة ١٠٢ قبل الميلاد عقد محالفة مع متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس فتغلبا على بفلاجونيا واستحوذا على قسم منها ولما طلب الرومانيون منه عود القسم الى وارثه الشرعى ادعى الطاعة الا أنه بحيله وخدائعه وطده لاحد أولاده وفى سنة ٩٦ قبل الميلاد اجتهد متريداطيس فى الحاق قبدوقيا بممالكه فهربت لودسيا أرملة الملك السابق الى ديوان نيقوميديس فتزوجها ودخل فى أمر أشغالها وأمرها بالاقامة فى قبدوسيا ملكة عليها فمن بعد مدة قليلة طردها منها متريداطيس ثم بعد قليل اجتهد نيقوميديس فى عود قبدوقيا بحيله وخدائعه الا أن الرومانيين مادخلت عليهم هذه الخدائع وأخذوا منه كلا من قبدوقيا و بفلاجونيا وفى سنة ٩١ قبل الميلاد مات نيقوميديس بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة وخلف نيقوميديس الثالث أباه الا أنه صار اخراجه مباشرة من المملكة بواسطة ثورة قامت عليه تحت رياسة أخيه سوقراطيس وبمساعدة متريداطيس صاحب بونطوس وفى سنة ٩٠ قبل الميلاد أرغمت رومة سوقراطيس على نزوله عن التخت وجلوس نيقوميديس على التخت مرة أخرى فشرع فى عقاب بونطوس بالغارة على أراضيها فخرج متريداطيس الى ميدان الحرب بجيش عرمرم وهزم نيقوميديس على نهر الامنيوس فى سنة ٨٨ قبل الميلاد وطرده هو والرومانيين حماته من آسيا فتولد من ذلك الحرب المتريداطيقى الاول فكانت نتيجته هزيمة بونطوس وعود نيقوميديس الى تخته فى سنة ٨٤ قبل الميلاد فاستمر مدة تعادة عشر سنوات فى سلطنة مستتبة الراحة ومات فى سنة ٧٤ قبل الميلاد وحيث لم يكن له عقب يرثه أوصى بمملكته للرومانيين فكانت هذه الوصية سببا فى اشتباك الجمهورية الرومانية فى حرب مع متريداطيس وهو الحرب الثالث المتريداطيقى

(الثالثة مملكة بفلاجونيا) مدة تاريخ قيام المملكة البفلاجونية غير معلوم الا أنه من بعد تشييد المملكة الفارسية كانت بفلاجونيا تابعة اسما المملكة فارس لكنها لم تخضع لها أبدا ولقد وجدنا فى سنة ٤٠٠ قبل الميلاد أن هذه المملكة ما كان عندها أدنى اهتمام ولا التفات الى أوامر الملك الاعظم ملك فارس وفى نحو هذه السنة رخص ملك بفلاجونيا الى العشرة الاف نفس بمرورهم من وسط أراضيه من دون أن يحصل لهم من أحد أدنى معارضة فى منع سيرهم وفى سنة ٣٩٤ قبل الميلاد دخل عوطيس أو كوطيس ملك المملكة فى معاهدة مع اغيسلاوس ملك اسبرطة ضد مملكة فارس وفى نحو سنة ٣٦٥ قبل الميلاد ملك آخر اسمه طيس أو طيوس قهره المرزبان الفارسى داطاميس وأدخله فى طاعته ولما سقطت المملكة الفارسية ما صارت المملكة البفلاجونية قسما من ممالك اسكندر الاكبر الا فى الاسم فقط ومن بعد قليل تغلب عليها متريداطيس صاحب بونطوس وأضافها الى مملكته فاستمرت قسما منها عدة من السنين أما الوقت الذى عادت فيه الى استقلالية نفسها فانه غير محقق الا أنه يحتمل انه فى سنة ٢٠٠ قبل الميلاد كانت محكومة بملوك من أهلها واشتغلت بالحروب من أجل مداومتها على حريتها من مساعى مملكة بونطوس من جهة ومن مساعى بثنيا من جهة أخرى وفى سنة ١٠٢ قبل الميلاد مات بلمس آخر ملوك أهلها بدون عقب يرثه فضبط المملكة كل من متريداطيس صاحب بونطوس ونيقوميديس الثانى صاحب بثنيا بالمشاركة مع بعضهما بالسوية ثم ان متريداطيس أخرج البثنيانيين منها وأضاف بفلاجونيا الى ممالكه الا أنه أعلم وبعيبه أحكم

(الرابعة مملكة بونطوس) تشكلت مملكة بونطوس من مرزبانة قبدوقيا وكان دارا الاول ملك فارس أقطعها على عوناطيس أحد القواد الذين ساعدوه على التغلب على سمرديس الكذاب وكان عوناطيس من ذرية الملوك القديمة الاريانية فى قبدوقيا وجعل دارا هذه المرزبانة وراثية فى عقبه وفى سنة ٣٦٣ قبل الميلاد قام عريوبارزانيس بن متريداطيس فى ثورة ناجحة نال فيها الظفر على فارس وجعل نفسه أميرا القطعة الواقعة من قبدوقيا على ساحل البحر الاسود وشكل أراضيه على هيئة مملكة أطلق عليها الجريق اسم بونطوس وصارت معروفة بهذا الاسم وأما قبدوقيا الداخلة فانها بقيت قسما من فارس ثم مات عريوبارزانيس فى سنة ٣٣٧ قبل الميلاد وخلفه ابنه متريداطيس الاول ولما تغلب اسكندر الاكبر على مملكة فارس صارت بونطوس ايالة مقدونية سنة ٣٢٢ قبل الميلاد وفى سنة ٣١٨ خلع متريداطيس طاعة المقدونيين وشيد استقلالية مملكته ومات فى سنة ٣٠٢ قبل الميلاد مذبوحا بأمر من انطيغنوس ووقعت بونطوس كاذكرنا سابقا فى حصة انطيغنوس مع فريجيا وليسيا وعفيليا وقت تقسيم ممالك اسكندر

ولما مات متريداطيس خلفه ابنه متريداطيس الثانى وجلس على تخت بونطوس وتسلطن ستا وثلاثين سنة وأضاف الى مملكته أراضى كثيرة على نفقة قبدوقيا وبفلاجونيا ثم خلفه ابنه عريوبارزانيس الثانى فى سنة ٢٦٦ قبل الميلاد وكانت مدة سلطنته خالية من الوقائع والحوادث ومات فى سنة ٢٤٥ قبل الميلاد فانتقل التاج لابنه متريداطيس الثالث وكان أكثر شوكة وشهامة من كامل متقدمى ملوك بونطوس وكان صغير السن حالما وصل الى التخت وبمجرد ما بلغ سن الرجال تزوج أخت سلنقوس الثانى ملك سوريا وأخذ معها ايالة فريجيا مهرا لها وفى سنة ٢٢٢ قبل الميلاد زوج بنته لودسيا بانطيخوس الاكبر ملك سوريا وزوج بنتا أخرى اسمها لودسيا أيضا الى أخيوس عم ملك سوريا الا أنه لم يحصل من هذا الزواج أدنى تأثير فى نفوذ اجراآته السياسية وأشعل حربا على سوريا كأنه لم يكن من تبطامعها بمثل تلك العقد والمعتقد أنه مات فى سنة ١٩٠ قبل الميلاد وخلف فرناسيس أباه على تخت بونطوس وفى نحو سنة ١٨٣ قبل الميلاد تغلب على مدينة سينوب على شاطئ البحر الاسود وجعلها عاصمة مملكته وفى سنة ١٨١ دخل فى حرب مع عومنيس الثانى ملك برجاموس رغما عما اجتهد فيه الرومانيون من اجتناب الحرب فنال بعض مظفرات فى مبادى حربه لكنه انجبر أخيرا على عقد صلح وتنازل عن كل ما تغلب عليه ما عدا مدينة سينوب ومات فى سنة ١٦٠ قبل الميلاد وخلفه ابنه متريداطيس الرابع الملقب عورغيطيس فامتدت سلطنته نحوا من أربعين سنة أى من سنة ١٦٠ قبل الميلاد الى سنة ١٢٠ وحارب مع عوطالوس الثانى ملك برجاموس وكان حليفا له على بروسياس الثانى صاحب بسيا سنة ١٥٤ قبل الميلاد ودخل فى الحرب الثانى القرطاجنى من سنة ١٥٠ الى سنة ١٤٦ قبل الميلاد حليفا للرومانيين على قرطاجنة وساعد الرومانيين أيضا على طرد اريسطونيقوس من برجاموس ولما انتهى الحرب كافأته رومة بأن منحته فريجيا الكبرى وقتله حواشيه وخدمه فى سنة ١٢٠ قبل الميلاد وكانوا على نفور منه

وخلفه متريداطيس الخامس الملقب بالاكبر أباه على التخت وكان أمهر الملوك البونطية وأحد عظماء ملوك آسيا وكان صغير السن وقت استخلافه فصارت مباشرة أعمال المملكة مدة ثمانى سنوات بمعرفة الاوصياء عليه فقضى هذه المدة فى تلقى العلوم مع النباهة والذكاء وعلى ما قيل انه كان يتكلم

بخمسة وعشرين لسانا وصار مستمرا على السفر المتعب فى طلب الصيد لاجل تدريبه على المصاعب والمتاعب وكانت جهات صيده فى الاراضى الصعبة من نواحى مملكته وكابد أتعاب الجوع والعطش والكدر ولما رأى له عدم الثقة من نوابه وأوصيائه ابتدأ من مبادى أيامه فى تعوّد نفسه على تعاطى نوع الترياق المضاد للاشياء السمية حتى يدفع عن نفسه السميات المزيلة لحياته ولما بلغ عمره عشرين سنة تقلد زمام حكومته من بعد أن حاز سجية فى الشوكة والشهامة وصار عنده مخزن الكثير من المعارف وتولد من اكتسابه معرفة اللغات أن صار له طاقة على أداء الاشغال مع كل ايالة من ممالكه بلغتها ولهجتها الخاصة بها

وبمجرد جلوس متريداطيس على التخت رأى من البين أن موقع مملكته يكون بعد قليل علامة لمساعى الرومانيين ومشروعاتهم فلاجل مقاومتهم ومقابلتهم بمظفرات ناجحة ومشروعات فائقة يلزمه توسيع ممالكه وزيادة قوتها ورصانتها فى وجه الرومانيين وبهذا الفكر والتبصر ابتدأ فى سنة ١١٢ بشروع حزم رأيه فيه واجتهد فى عمل فتوحات فى نواحى الشرق من ممالكه وهى جهة خالصة من تداخل رومة فيها وفى مدة السبع سنوات التى أعقبت سنة جلوسه أضاف الى مملكته أرمينية الصغرى وقسم الكولشى وكامل الساحل الشرقى من البحر الاسود بحيث جزيرة السمرين المعروفة اليوم باسم بحيث جزيرة القرم والاقليم الموجود فى الجهة الغربية من تلك البحيث جزيرة الى أن وصل الى نهر الدانستر وقوى نفسه بعقد معاهدات ومحالفات مع القبائل الهمج القاطنة على نهر الدانوب ومع ملك أرمينية وقبدوقيا وبثينيا واجتهد فى أن يضع ابنه على تخت قبدوقيا فى سنة ٩٣ قبل الميلاد وسوقراطيس على تخت بثينيا فى سنة ٩٠ قبل الميلاد لكنه لم ينجح فى كل من هذين السعيين فان الرومانيين حكموا عليه بابطالهما ورأى متريداطيس أن الاسلم له الطاعة وحسن الانقياد لانه ما كان على استعداد للحرب مع رومة

وفى سنة ٨٩ قبل الميلاد تقوى نيقوميديس بالرومانيين وأنشب حربا على بونطوس فبرز متريداطيس فى الحال الى ميدان الحرب بجيش كثيف وفى السنة التالية تغلب على قبدوقيا وأضافها الى مملكته وفى السنة التالية غزا بثينيا وهزم نيقوميديس على نهر امنيوس وطرده هو ومحالفيه الرومانيين من بثينيا وأسرع متريداطيس فى التغلب على غلاطيا وفريجيا والاقليم الرومانى فى آسيا وجعل نفسه أميرا على كامل آسيا الصغرى ما عدا قليلا من مدائن ليسيا ويونيا وقضى فصل الشتاء فى برجاموس وفيها تيسر له الحصول على الحالة القاضية عليه بهلاك نفسه وذلك أنه تفاخر وتعاظم بظفراته ونصراته وأمر بذبح جميع الرومانيين والايطاليانيين الموجودين فى آسيا فقتل منهم نحوا من ثمانية آلاف نفس فمن ابتداء هذا الوقت أخذ طالع سعد متريداطيس فى النحس والانحطاط وفى سنة ٨٧ قبل الميلاد أرسل جيشين تحت قيادة قواد ماهرين من عنده لطرد الرومانيين من الجريس فهزم سولا هذه القوى فى واقعة كبيرة حصلت فى خيرونيا فأرسل جيشا ثالثا الى الجريس فانهزم أيضا شرهزيمة وفى أثناء ذلك أشهر الرومانيون حربا فى آسيا ومن بعد أن حصل لهم عدة مظفرات هزموا الجيش الاصلى فى البونطيق فى نواحى بسداسنة ٨٥ قبل الميلاد فانجبر متريداطيس على أن يفتش على محل أمين يأوى اليه ولما رأى أن ما نزل عليه من البلايا والمصائب ثقيل جدا بحيث لا يمكنه أن يشفى منه بسرعة عقد مع رومة صلحا بشروط مهينة تنازل فيه عن كافة ما فتحه وسلم للرومانيين أسطوله وكان مقداره سبعين

سفينة حربية ودفع غرامة قيمتها ٢٠٠٠ وزنة أي ٤٠٠٠٠٠ استرلينه وعاد كل من ملكي قبدونيا وبستنيا الى تخيتهما وعادت السلطة الرومانية ثانيا على اقليم آسيا

ولولا ما حل بمتريداطيس من هذه المصائب عود اجتهاد الممالك الشرقية التي تغلب عليها الى الاستقلال فجهز الملك جيشا كثيفا وأسطولا لاجل فتحها مرة أخرى فانجبر على أن يستعمل ما جهزه من القوى في ملاقاة حرب آخر وذلك أن مورينه القائد الروماني في آسيا قام على حين غفلة من دون حصول أدنى غضب أو زعل وأغار على بونطوس في سنة ٨٣ قبل الميلاد فشكا متريداطيس في الابتدا المجلس سناتور رومه فأمر المجلس القائد بالحيادة عن بونطوس والبعد عنها فلم يقبل مورينة طاعة أمر المجلس فسار متريداطيس عليه وهزم مورينة شر هزيمة على شواطئ نهر الحاليس فهرب مورينة وأرسل المجلس نائبا عنه للمخابرة في شأن الصلح مع ملك بونطوس سنة ٨٢ قبل الميلاد فأعقب هذا سبع سنوات صلح مع رومة صار فيها المتريداطيس طاقة على اخضاع كامل ممالكه التي كانت خرجت عن طاعته ووطد مملكته مرة ثانية على قواعد ثابتة محكمة ولما تم له ذلك بذل مجهوده وما في طاقته في مباشرة عمل الاستعدادات اللازمة لآخر حرب مع رومة وكان معظم رجال جيشه من رجال الامم البربرية القاطنة على نهر الدانوب والبحر الاسود وكان كثير العدد وكان تحت قواعد نظامية وتطقيم جيد مثل الطريقة الجارية عند رومة وزاد في قوة الاسطول حتى وصل عدده الى ٤٠٠ سفينة شراعية وكان كل من رومة وبونطوس ينتظران حصول حرب نهائي في آسيا الصغرى بخصوص السيادة والسلطنة في هذه الناحية وان هذا الحرب لابد منه وكل من الاثنين في فرح زائد من حصول هذا اليوم المقطرن حتى انفجر هذا اليوم المشؤم مع السرعة من دون قصد وذلك انه في سنة ٧٤ قبل الميلاد لما مات نيقوميديس من غير عقب برثه تنازل عن مملكته بستنيا الى الرومانيين فقبلوا مع الشوق هذه الوصية الآن متريداطيس تبصر في عواقب الامور ورأى انه لو سمح للرومانيين بالحلول في مملكة بستنيا ربما يقع جميع حدوده الغربية تحت رحمتهم فأسرع في ارسال قواه في بستنيا واحتل تلك المملكة فهذا الفعل وان كان من أجل الحماية النفسية والمحافظة الذاتية الا انه عد أنه اعلان حرب على رومة فأسرعت الجمهورية في قبول هذا الاعلان ومن ثم حصل الشروع في الحرب في سنة ٧٤ قبل الميلاد واستمر جاريا تسع سنوات فهزم متريداطيس في السنة الاولى من الحرب قطه القائد الروماني في البر والبحر ثم حاصر كالشيدون وسيظيقوس ثم انجبر على ترك هذا المشروع وفي سنة ٧٣ قبل الميلاد انهزم جيش متريداطيس هزيمة قبيحة بواسطة لوقولوس وكذا انهزم اسطوله على مسافة من طندوس ودمرته عواصف الرياح وفي هذه السنة تغلب متريداطيس على هيراقلية بونطيقه وعاد الى عاصمته فجند فيها جيشا جديدا واتخذ له موقعا في كابيرة فهجم الرومانيون عليه فيه وشتتوا شمله وعساكره فهرب متريداطيس ناجيا بنفسه بكل مشقة وصعوبة الى صهره وزوج بنته طغرانيس ملك أرمينية سنة ٧٢ قبل الميلاد فطلب الرومانيون من طغرانيس أن يسلم لهم متريداطيس ولما لم يقبل هذا الطلب أعلنت رومة بعداوته له وتحول الحرب على مملكته سنة ٧٠ قبل الميلاد واستمر الحرب في أرمينية ثلاث سنوات وباتحاد طغرانيس مع متريداطيس هزمها لوقولوس مرتين في سنتي ٦٩ و ٦٨ قبل الميلاد وعاد متريداطيس الى مملكته مع جيش جديد وفي طرف بضع شهور أوقع هزيمتين على الرومانيين ثم حصلت ثورة في جيش لوقولوس أضعفت عزمه وأوهنت قواه فأعاد متريداطيس وطغرانيس بونطوس

وقبدوثيا وفى سنة ٦٦ قبل الميلاد صار استبدال لوقولوس بالقائد بومبى الاكبر فرأى هذا القائد الجديد ان الحرب بهذه المثابة فى اتحاد قوة هذين الملكين يمتد الى ما لانهاية فصمم على أن يشغل طغرانيس بمملكته حتى يدمر أمر متريداطيس فعقد معاهدة ودية وتحالف مع فرعاطيس ملك فارطيه أحد ملوك الطوائف بفارس وحصل الاتفاق بينهما على أن فرعاطيس يهجم على أرمينية فحصل ذلك فى نفس هذه السنة فالتزم طغرانيس على المحافظة على مملكته وأسرع بومبى فى التقدم نحو متريداطيس وهزمه مع خسارة جيشه وألزمه الهرب من بونطوس عابرا البحر الاسود الى بحيث جزيرة القرم والى هذه الجهة ما أمكن للرومانيين السعى والاجتهاد وراءه وصارت بونطوس فى سنة ٦٥ قبل الميلاد جميعها فى أيدى الرومانيين ثم ان متريداطيس استعد لتجديد الحرب مع رومة من الساحل الاوروباوى من البحر الاسود مؤملا أنه يجمع فى طريقه تحت بيرقه كافة القبائل البربرية الدانوبية ويسير على ايطاليا من تلك الجهة ومع ما كان عليه من كبر السن فانه دخل مع الهمة والشجاعة فى هذا المشروع الذى لاح له الا أن ضباطه نظروا اليه بعين الهوان وتشكلت منهم دسيسة تحت رياسة ابنه فلما رأى الملك الكهل أن كل من كان معتمدا عليهم فى أشغاله تركوه وبعدوا عنه قطع اليأس والأمل مما كان ناويه وكامنه فى ضميره وأمر واحدا من حرسه بقتله فى سنة ٦٣ قبل الميلاد وصارت بونطوس اقليما رومانيا واستمرت محكومة ببرنسات من سلسلة ملوكها القديمة الى حد زمن نيرو وكان جلوس هؤلاء الامراء على تختها تابعة فى الحكم والادارة لرومة

﴿ الخامسة مملكة قبدوثيا ﴾ قد ذكرنا فيما سبق أن القسم الشمالى من قبدوثيا صار مملكة بونطوس المستقلة واستمر القسم الجنوبى منها على صداقة مع مملكة فارس الى سقوط هذه المملكة الفارسية وفى سنة ٣٣١ قبل الميلاد من بعد واقعة اربل تقلد اريارطيس المرزبان زمام حكومة الايالة وجعلها ملوكية مستقلة فتغلب عليه برديكاس فى سنة ٣٣١ قبل الميلاد من بعد موت اسكندر الاكبر وأسره وصلبه ثم أضاف برديكاس ما فتحه الى عومنيس صاحب برجاموس ولما مات هذا الملك قامت قبدوثيا تحت قيادة اريارطيس الثانى ابن أخى اريارطيس الاول وعادت استقلاليتها ومات فى نحو سنة ٢٨٠ قبل الميلاد وترك تاجه لابنه عريامنيس وخلف هذا من بعد موته ابنه اريارطيس الثالث وكانت مدة سلطنتهما مظلمة لاحقيقة لحوادثها ووقائعها ثم مات هذا الملك الاخير فى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد فانتقل تاجه الى ابنه اريارطيس الرابع وكان طفلا صغيرا ولما بلغ هذا الملك مبلغ الرشد تزوج انطيخيس ابنة عمه انطيخوس الاكبر سنة ١٩٢ قبل الميلاد فساعده انطيخوس فى حربه مع رومة وحارب حليفاله فى الواقعة الكبرى التى حصلت فى نواحى مغنسيا وفيها سقطت شوكة المملكة السورية سنة ١٩٠ قبل الميلاد فتولد من هذا أن صار ملك قبدوثيا عرضة لغضب الرومانيين فاطفأ غضب الجمهورية الرومانية باشغال أجراها نافعة لرومة ونال من جهتها عين الاكرام واستمر فى علاقات ودية معها المدة التى كانت باقية من سلطنته ومات فى سنة ١٦٢ قبل الميلاد فخلف اريارطيس الخامس أباه وتسلطن احدى وثلاثين سنة وكان مشهورا بالملك الصالح العاقل أى الذى لا عيب فيه وكان من طلاب علم الفلسفة وجعل قبدوثيا محط رحال علماء الرجال ولم تكتب عنه مظالم ولا خيانة وكان جاذبا اليه محبة رعيته وقومه واحترمه الاقارب والاجانب ويظهر من تواريخ الثلاثة القرون التى مضت من اسكندر الاكبر أن هذا الملك لا يماثله ملك من الملوك وسار سيرة خالية

من الذم والقدح والعيوب واستمر صديقا محالفا لرومة مما أصابه منها من السعي والكد في حقه ولما شرع الرومانيون في طرد اريسطونيقوس من برجاموس برز لمساعدتهم وقتل في خدمتهم سنة ١٣١ قبل الميلاد

وترك اريارطيس الخامس عند موته ستة أولاد جميعهم كانوا قاصري السن فصارت أرملته لودسيا وصية على أولادها ونائبة عنهم في المملكة ولاجل حفظ شوكة المملكة في يديها سمت خمسة من أولادها بعد أن بلغ كل منهم رشده فذل بالامة جميعها الغضب مما حصل من الملكة أم الاولاد وقاموا عليها وذبحوها وأجلسوا ابنها الاصغر على التخت باسم اريارطيس السادس فكانت سلطنة هذا الملك بغير معنى ولا ذوق وتزوج باخت متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس ثم ان متريداطيس أغرى عليه جواسيس من طرفه فقتلوه سنة ٩٦ قبل الميلاد وضبط في الحال قبدوقيا فهربت لودسيا أرملة هذا الملك المقتول الى ديوان نيقوميديس الثاني ملك بيسنيا فتزوجها وأقامها ملكة قبدوقيا فطردها متريداطيس من المملكة ثانيا فتولد من ذلك انتشاب حرب مكث عدة سنوات وفي مدته أجلس الملك البونطيقي ملكين وأجلس القبدوقيون واحدا من عندهم وانقرضت في مدة هذا الحرب السلسلة الملوكية القبدوقيه وصار كل من بونطوس وبيسنيا يدعي التاج لنفسه فرخص الرومانيون للقبدوقيين فصل مادتهم بانتخابهم ملكا من أنفسهم فانتخبوا الهم ملكا وجلس أريوبارزانيس على التخت في سنة ٩٣ قبل الميلاد فطرده مباشرة طغرانيس صاحب أرمينية من مملكته ثم تقلد زمام السلطنة ثانيا بمعرفة الرومانيين سنة ٩٢ فتسلطن بغير نزاع ولا كدر الى سنة ٨٨ قبل الميلاد حتى عزله متريداطيس وضبط قبدوقيا في مدة حربه الاول ثم أعيد الى تخته بواسطة معاهدة عقدت بين بونطوس ورومة فطرده أيضا متريداطيس وطغرانيس سنة ٨٧ قبل الميلاد فاعاده بومبي في سنة ٦٦ وفي نحو سنة ٦٤ قبل الميلاد تنازل عن تخته لابنه فجلس ابنه على التخت ولقب نفسه اريوبارزانيس الثاني واتجه في جهة بومبي على حرب القيصر فسامحه القيصر من بعد واقعة فارساليا وسمح له في زيادة أراضيه ثم اتجه في الحرب الداخلي التالي مع أنطونيو وأوقطافيان فأمر كاسيوس بقتله في سنة ٤٢ قبل الميلاد وتولد من واقعة فليبي أن أعطى انطونيو تاج قبدوقيا الى اريارطيس التاسع والصحيح أنه كان ابن الملك السابق فرجع في الحال الى معاداة انطونيو فقتله في سنة ٣٦ قبل الميلاد وأعطى تخته الى ارشيلاوس أحد عبيده فحكم هذا الملك المملكة الى حد سنة ١٥ قبل الميلاد ولما غضب الامبراطور طيرياس منه طلبه في رومة فمات فيها سنة ١٧ بعد الميلاد ومن ثم تحولت قبدوقيا الى ايالة رومانية والله يؤتي ملكه من يشاء

﴿السادسة مملكة أرمينية الكبرى﴾ كانت أرمينية من ابتداء واقعة ابسوس سنة ٣٠١ قبل الميلاد الى واقعة مغنيسيا سنة ١٩٠ قبل الميلاد تابعة من المملكة السورية ومن بعد هزيمة انطيخوس الاكبر انفصلت من سوريا وانقسمت الى مملكتين ارمينية الكبرى وأرمينية الصغرى فأما أرمينية الصغرى فكانت واقعة في غرب الفرات وكان أول ملوك أرمينية الكبرى أرطاكزياس وكان أحد قواد انطيخوس وقاد عصاة مملكته وأسس مدينة ارطاكساطه عاصمة لمملكته وتسلطن فيها الى نحو سنة ١٦٥ قبل الميلاد حتى هزمه انطيخوس ابيفانيس وأعاد أرمينية الى المملكة السورية فامتد هذا الالحاق الى مدة مجهولة وفي سنة ١٠٠ قبل الميلاد ظهرت أرمينية مرة أخرى في سلطنة مستقلة تحت حكم عورطوديسطيس وهذا خلفه طغرانيس الاول في سنة ٩٦ قبل الميلاد فكان

أجل ملوك الارمن وأعظمهم

وتنازل طغرانيس فى مبادى سلطنته عن قسم من مملكته الى فارطيه لكنه من نحو سنة ٩٠ الى سنة ٨٧ قبل الميلاد اكتسب نصرة جليلة على الفارطيين وأعاد أراضيه التى كان تنازل عنها وأضاف الى مملكته اقليمى عطر و باطيني وغوردبانة وهما بزوبوتاميه العليا ثم بعد ذلك تغلب على الايالات السوريه وفتح كامل المملكة بما فيها ايالة سيليسيا وفى ظرف الاربعة والعشرين سنة التى جاءت بعد أى من سنة ٨٣ الى سنة ٦٩ قبل الميلاد امتدت ممالكه من حدود بعفيليا الى سواحل بحر الخزر وبنى فى أثناء هذه المدة مدينة طغرانوصرطه وجعلها عاصمة مملكته وخرب قبدوثيا ونقل منها نحو امن ٣٠٠٠٠٠ بيت من أهلها فى سنة ٧٥ قبل الميلاد فتولد من هذا الفعل أن جلب على نفسه غضب رومة ومن بعد مضى قليل عضد متريداطيس حماه وآواه عنده وكان صار طرده من مملكته كما ذكرنا فطلب الرومانيون من طغرانيس أن يسلم لهم ملك بونطوس ولما لم يقبل الطلب أغاروا على أرمينية وفى سنة ٦٩ قبل الميلاد انهزم طغرانيس وخسر عاصمته وفى السنة التالية اصطحب طغرانيس مع متريداطيس وتقهقر الى مرتفعات أراضى أرمينية فاتبعهما الرومانيون وأوقعوا بهما هزيمة مهولة فى نواحى ارطاكزاطه وتسبب من النفور والثورة التى حصلت فى الجيوش الرومانية توقيف مظفراتهم كما سبق ذكره عنه حتى صار لطغرانيس ومتريداطيس طاقة فى العود الى ممالكهما فى سنة ٦٧ قبل الميلاد ثم تقلد بومبى زمام قيادة الجيوش الرومانية وحض فارطية على الهجوم والغارة على أرمينية فتولد من غارة الفارطيين الزام طغرانيس بأن يترك حماه الى ماتؤول اليه عاقبة أمره لاجل خلاص مملكته ولما تغلب بومبى على مملكة بونطوس ساق جيشه على أرمينية فصار طغرانيس لاطاقة له على الرومانيين والفارطيين فخضع وسلم كل ماتغلب عليه واستمر فى مملكة أرمينية الاصلية حتى وافاه أجله ومات فى سنة ٥٥ قبل الميلاد وخلف ارطافسديس الاول أباه وساعد قراصوص فى غارته على الفارطيين فى سنة ٥٤ قبل الميلاد ومن ثم نال التفات رومة اليه ثم أغضب أنطونى منه مدة سنين فأسره فى سنة ٣٤ قبل الميلاد وفى سنة ٣٠ أمرت كليوبطره بقتله وبمجرد القبض على هذا الملك بواسطة أنطونى قدم الارمن التاج لابنه أرطاكزياس الثانى فتولد من ذلك غضب الرومانيين عليهم واستمرت حالة المملكة فى ارتباك وقلاقل الى حد سلطنة الامبراطور طراجان وصارت الملوك الارمينية ألعوبة فى أيدى رومة وفى سنة ١١٤ بعد الميلاد حول الامبراطور طراجان مملكة أرمينية الى ايالة رومية والله أعلم

السابعة ــ مملكة أرمينية الصغرى ــ انفصلت أرمينية الصغرى من مملكة سوريا فى نفس الوقت الذى سكنت فيه أرمينية الكبرى طاعتها لمملكة سوريه وصار ظاريادراس القائد الذى نجح فى ثورته ملكا على ايالته واستمرت أرمينية الصغرى محكومة بذريته لمملكة مستقلة الى حد سلطنة متريداطيس الاكبر صاحب بونطوس فتغلب عليها وألحقها بمملكته وبمجرد سقوط مملكة بونطوس صارت ايالة رومانية وصار تاريخها خاليا من الحوادث والوقائع وأما الذين خلفوا ظاريادراس فأسماؤهم غير معلومة

الثامنة ــ مملكة بقطريا ــ ومن بعد موت اسكندر الاكبر صارت بقطريا (بلخ الآن) قسما من المملكة السوريه وفى سنة ٢٥٥ قبل الميلاد نكث ديوطوس المرزبان طاعته لسوريه وأسس مملكة بقطريا وكان أهل هذه المملكة جميعا من الاصل الجريقى فلهذا كانت فى خلاف كبير مع مملكة فارطية ولا يعلم

من تاريخ سلطنة ديوطوس الاقليل والصحيح انه ساعد سلقوس كالينكوس فى اغارته الاولى على فارطية ونال عند عوده من هذه الخدمة الاقرار باستقلالية بقطريا ومات فى سنة ٢٣٧ قبل الميلاد وخلفه ابنه ديوطوس الثانى فخالف سياسة أبيه وتعاهد مع فارطية على سوريا وساعد فارطية فى عوداستقلاليتها والظاهر انه خلع بواسطة ثورة قامت عليه تحت قيادة عوطيدنوس من أهل مغنسيا وضبط التخت وصار الملك الثالث لبقطريا ثم التزم حماية مملكته من غارات أنطيخوس الاكبر صاحب سوريا ثم انهزم فى واقعة حصلت على نهر عريوس وانجرح انطيخوس فى هذه الواقعة فعقد صلح مع عوطيديوس وتركه آمنا فى مملكته سنة ٢٠٦ قبل الميلاد ثم ان دعتريوس بن عوطيدنيوس مد فتوحاته على الافغانستان والهند فى مدة حياة أبيه وخلف أباه على التخت فى نحو سنة ٢٠٠ قبل الميلاد واستمر فى حروبه فى جهة الشرق ولما كان مشتغلا بهذه الحروب دهمت المملكة بثورة عاص اسمه عوقراديطيس ومن بعد حروب استمرت معه بضع سنين قسمت المملكة بينهما سوية فتسلطن دعتريوس فى الناحية الجنوبية منها وعوقراديطيس فى الناحية الشمالية الجبلية والظاهر أن دعتريوس مات فى نحو سنة ١٨٠ قبل الميلاد فتسلطن عوقراديطيس على كافة المملكة وساق فى فتوحاته حتى دخل فى بنجاب الا أنه خسر من الجهة الاخرى بعضا من أراضيه من اغارات فارطية عليها ثم قتله ابنه بعد عوده من الحرب الهندى سنة ١٦٠ قبل الميلاد وجلس هليوقليس قاتل أبيه على التخت ولم يعلم من أحوال سلطنته الا القليل ثم أخذت مملكة بقطريا فى الضعف فى مدة سلطنته وكبس عليها قبائل الصيطانيين الموجودين فى الجهة الشمالية منها كبسا شديدا والفارطيون من الجهة الغربية الجنوبية وتغلبوا عليها قسما بعد قسم ثم ان الجريق البقطريانيين استغاثوا بمساعدة اخوانهم فى سوريا فسار دعتريوس نقاطور لمساعدتهم فهزمه الفارطيون وأسروه وانتهت سلطنة هليوقليس فى نحو سنة ١٥٠ قبل الميلاد قبل هذه الغزوة بثمان سنوات ومن هذا الوقت لا توجد تسجيلات لتاريخ مملكة بقطريا واستولت عليها فارطية وقبائل الصيطانيين والله أعلم

﴿ الكتاب السادس عشر ﴾

﴿ تاريخ رومة ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ التاريخ القديم والمدة الملوكية ﴾

موقع ايطاليا ـ أوصاف المملكة ـ الالب ـ الابنين ـ ايطاليا الشمالية والجنوبية ـ الانهر ـ الخصوبة والاقبال القديم للمملكة ـ التقسيمات القديمة السياسية لايطاليا ـ أصل السكان ـ عمار الايطاليانيين ـ العطروسكانيون ـ الرومانيون ـ تاريخ رومة الخرافى ـ حكاية روملوس ورموس ـ تأسيس رومة ـ اغتصاب النساء الصابنيات ـ الحرب مع اللاطنيين ـ الصابنيون ـ عود الصلح بواسطة النساء ـ ترجمة روملوس ـ نومة بومبليوس ـ شرائعه ـ نهاية المدة الخرافية ـ الحكاية الصحيحة لتأسيس رومة ـ صيرورة طولبوس هوسطيليوس ملكا ـ قوانينه ـ فتوح البه الطويلة ـ انكوس مرطيوس ـ حروب مع اللاطينيين ـ أصل العوام أو البلبين ـ سرعة

تقدم رومة ـ زيادة طاركينيوس بريسكوس الاراضى الرومانية واصلاح المدينة ـ تغييراته التى أجراها فى النظام ـ ديانة الرومانيين ـ آلهتهم ـ المواسم الديانية ـ الكتب السحرية ـ المدارس المقدسة ـ القسس ـ صيرورة سرفيوس طوليوس ملكا ـ شرائعه وقوانينه ـ النظامات العسكرية ـ تأسيس قبائل جديدة ـ أسوار رومة ـ صيرورة طاركينيوس سوبربوس ملكا ـ صرفه النظر عن القانون السرفيانى ـ ظلمه وجبروته ـ نهب وفظائع لوكريطيه سكسطوس طاركين ـ ثورة الرومانيين وعصيانهم ـ طرد الطاركينيين ـ ابطال الملوكية واقامة الجمهورية

بجيث جزيرة ايطاليا هى أصغر الثلاث بجيث جزائر الجنوبية الموجودة فى أوروبا وكائنة فى الوسط منهم ونهاية طولها الاعظم من جبال الالب فى جهتها الشمالية الى رأس سبارتيفنتو فى جهتها الجنوبية ٧٢٠ ميل وعرضها الاعظم من جبل سنت برنارد الصغير الى المرتفعات والجبال الشمالية من تريستة ٣٣٠ ميل فتكون مساحتها الكلية نحوا من ٩٠٠٠٠ ميل مسطح على فرض أن العرض المتوسط للبجيث جزيرة هو ١٠٠ ميل فقط ومحدودة من الجهة الشمالية بجبال الالب ومن الجهة الشرقية بالبحر الادرياتيقى ومن الجهة الجنوبية بالبحر الابيض المتوسط ومن الجهة الغربية بالبحر الابيض المتوسط وجبال الالب وصورة البجيث جزيرة غير منتظمة ومتجهة فى العموم نحو الجهة الجنوبية الشرقية وهى فى الغالب على شكل جزمة فالقطعة الأصلية منها تشكل الساق والقسم الجنوبى يشكل القدم ومع هذه الصورة المخصوصة بها يمتد خطها الساحلى امتدادا كبيرا ثم ان ايطاليا أقل عددا من الجريس فى خلجانها ومينائها وجزائرها الساحلية والقدماء من سكان ايطاليا وان كانوا على وفرة كبيرة من الاهل والعمران وكانوا أمة أرباب خبرة فى البحر الا أنهم ما بلغوا الدرجة التى بلغتها سكان الجريس فى البحر

وتنحصر جبال ايطاليا فى سلسلتين أصليتين عظيمتين وهما سلسلة جبال الالب وسلسلة جبال الابنين فأما سلسلة جبال الالب فانها تصنع حاجزا مرتفعا فى طول كامل الجهة الشمالية وقسم من الجهة الغربية من حدود ايطاليا وتفصلها من الباقى من أوروبا وأنخفض نقطة من هذه السلسلة مرتفعة عن سطح البحر الملح بقدر ٤٠٠٠ قدم ومن فوق هذه النقطة يصل ارتفاع السلسلة فى بعض جهات الى نحو ١٥٠٠٠ قدم ويمكن عبورها من عشرة أو اثنى عشر درباصعبة المسالك جدا وكانت فى الزمن القديم غير ممكنة العبور ومن ثم صنع أهل جبال الالب سدا أو حاجزا لا يمكن عبوره أو الارتقاء اليه معدا لحفظ ايطاليا من الامم الهمج الموجودين فى الجهة الشمالية منها وفى الجهة الغربية لها وجاء لايطاليا حريتها فيما يلزم لها من أعمالها وأشغالها العائد منها النفع عليها وأما سلسلة جبال الابنين فانها تنفصل من الالب بالقرب من الجبل الابيض وتسير نحو الجهة الجنوبية الشرقية ثم تنعطف الى الجهة الجنوبية حتى تصل الى آخر نهاية البجيث جزيرة وهذه السلسلة مقصورة على سلسلة واحدة فى ايطاليا الشمالية ثم يخرج منها فرعان أو طرفان يتجهان الى اليمين والى الشمال منها وأما فى ايطاليا الوسطى فانها كثيرة الفروع ويخرج منها عدة فروع كبيرة وصغيرة تختلف فى العلو والاتجاه وتشكل سطحا مختلف المنظر والهيئة البهجة لمنظر ايطاليا

الخاص بها

وتنقسم الجيث جزيرة بالطبع الى ايطاليا الشمالية وايطاليا الجنوبية فأما ايطاليا الشمالية فانها مقصورة فى السهل الاعظم لنهر البو والجبال القافلة له وأما ايطاليا الجنوبية فهى مقصورة فى الجيث جزيرة الاصلية وخلاف هذا فان ايطاليا الجنوبية مفصولة بخط صناعى مرسوم من فم نهر طفرنوس الى فم نهر صلاروس والكورة المحصورة بين هذا الخط وايطاليا الشمالية تسمى باسم ايطاليا الوسطى وايطاليا الجنوبية مقصورا اسمها فى القسم الاسفل النهائى من الجيث جزيرة وايطاليا الشمالية أو اقليم نهر البو فانه جميعه سهل وما كان معلوما انه قسم من ايطاليا الحدمة وجود المملكة وتشتمل ايطاليا على عدة أنهار أشهرها نهر البو وكان يسمى قديما بنهر البادوس ونهر أربجة وكان اسمه نهر اطيس أو اطغيس فى الازمان القديمة ونهر البو أكثر عرضا من نهر أربجة

وأرض ايطاليا جيدة الخصوبة والاقبال وكانت فى قديم الزمان تغل محصولات وافرة على من كان له اعتناء بفلاحتها واصلاحها ومناخها مختلف الطقس معتدل الهواء وطقس وادى نهر البو معتدل الهواء ويشابه طقس وسط فرانسا وتتكون الثلوج فى مدة فصل الشتاء فى بحيرات ومناقع فنيزيا وأما الطقس فى ايطاليا الجنوبية فهو شديد الحرارة ويسقط الثلج والقار فوق سفوح الجبال وينضج الزيتون والبرتقان والليمون فى الهواء المكشوف الصحو وتنبت نباتات المنطقة الحارة فى الطرف الجنوبى من ايطاليا مع غاية الجودة وعلى العموم فان مملكة ايطاليا معتدلة فى الهواء الصحى ماعدا نواحى الاقاليم المسجنة ذات الرشح والمياه الراكدة وجهها صاف رائق يعتاز فيه لون كل شئ ولمعانه وهيئة صفائه وجلائه وتلك حالة مجهولة فى الممالك الشمالية من أوروبا ومنحة ظريفة تختص بها أهل ايطاليا والمملكة غنية فى المعادن وبقل بها بعض أصنافها ماعدا الحديد والرصاص ورخامها من أجود الرخام وأحسنه وهو مشهور فى بقاع الارض وأجوده خاصية رخام كرارة الجميل الشكل الظريف اللون وهو جار استخراجه من جبال ابنين

وأخذت ايطاليا الشمالية لها حصة من التاريخ الرومانى لحد تشكيل المملكة وكانت تشتمل قديما على ثلاث ممالك ليغوريا وفنيزيا وغلية الجنوبية أى الكائنة فى جنوب سلسلة جبال الالب وأما ايطاليا الوسطى فكانت تشتمل على ست ممالك أصلية عطروريا ولاطيوم وكبانيا وهذه واقعة فى الجهة الغربية من جبل ابنين وأومبريا وبصنوم ومملكة الصابنيون وهى واقعة فى طول الساحل الادرياطيقى من الجيث جزيرة وتشتمل أيضا ايطاليا الجنوبية على أربعة ممالك وهى لوكانية وبروطيوم فى الجهة الغربية وابولية وكالبريا فى الجهة الشرقية وثلاث جزائر كبيرة على مسافة من الساحل الايطاليانى فى البحر الابيض المتوسط وهى سيسيليا أو صقلية وسردينة وقورسيقه وهى جليلة فى محصولات أراضيها وقواها الحربية

وكانت ايطاليا فى الازمان القديمة محتلة بخمسة أجناس أصلية وهى الليغوريانيون والفنيزيانيون والعطروسكانيون والايطاليانيون الاصليون والايغيانيون وكان الليغوريانيون والفنيزيانيون أضعف وأرذل الاجناس القاطنة فى الاراضى الموجودة فى شمال جبال الابنين وما كان لهم شوكة فى تاريخ ايطاليا العام ولا سمعة وأما الايغيانيون فكانوا أقدم الثلاثة أجناس الاخر القاطنة فى ايطاليا والظاهر أن أصلهم من الجريق كما دلنا على ذلك لغتهم وعبادتهم الالهة الجريقية والحالة التى كان عليها

الهلانيون فى الايام الاخيرة وكان هذا الجنس انتشر على الطرف الجنوبى من ايطاليا وأما الايطاليانيون الاصليون فالظاهر أنهم هم الذين قطنوا الجيث جزيرة من بعدهم ويعتقدون أنهم جاؤا اليها من الجهة الشمالية وأنهم ضايقوا مع الشدة السكان النصف بحريق الذين كانوا فى ايطاليا الجنوبية وهذا الجنس محصور فى أربعة أجناس أصلية هى الاومبريانيون والصابنيون والعوسكانيون واللاتنيون فأما الثلاثة الاجناس الاول فكانوا متقاربين لبعضهم وأما اللاتنيون فكانوا جنسا ممتازا عنهم وشكل اللاتنيون اتحادا مركبا من ثلاثين مدينة وعرفت مملكتهم باسم اللاتيوم

وكان العطروسكانيون أو الطوسكانيون أقوى أمة فى الجهة الشمالية فكانوا مختلفى الجنس بالكلية عن جميع السكان الاخر من الجيث جزيرة ومع هذا فان متأخرى المؤرخين بحثوا عن أصلهم فما تيسر لهم الحصول على معرفته واعتبر المؤلفون المعوّل على أقوالهم فى التاريخ أنهم من الجنس البلاسجى وهو جنس انتشر على الجريس وايطاليا فى الازمان الخالية والعصور البالية وأطلق هؤلاء الامم على أنفسهم اسم رأس أوراسينه وآخرون أطلق عليهم اسم عطروسكانيين فمن ثم كانت بلادهم يطلق عليها اسم عطروريا وكانوا مختلفى الصورة الطبيعية جدا عن ظرافة وحسن صورة الايطاليانيين فكانوا سمر الالوان ضخام الاجسام قصيرى القامة طوال الايدى عريضى الاكتاف وكانوا مشهورين بظلام ديانتهم وما كانت عليه من الغرائب وكان لهم اعتقاد فى الفال وتدبير عقد الاعداد السرية ولهم شعائر وعوائد دقيقة وكانوا جنسا ذا مال وثروة ورفاهية وحصل لهم تقدم عظيم فى الحرف والصنائع مثل صب البرنز وتشغيله وشغل المواد الخزفية والاوانى وسلاسل الذهب وغير ذلك من أنواع الزينة والحلى ومع أن هذه مسئلة لم يزل كان البحث جاريا فيها فالظاهر أن هذه الاشغال كان اختراعها من حسن جودة وذكاء عقل هؤلاء الوطنيين أو انهم أخذوا هذه الصنائع من الجريس ويظهر من أسوار مدائنهم الضخمة أنهم كانوا على درجة عالية من فن العمارات وكانوا هم أقدم سكان ايطاليا الذين اشتغلوا بمشروعات البحر وكانوا هم الجنس الاخير الايطاليانى الذين شوهد عليهم دلالات وعلامات محبة هذه المشروعات الخطيرة وينسب الرومانيون أنفسهم الى الفرع اللاتينى من الجنس الايطاليانى واعتمدوا اعتمادا كبيرا فى الازمان المتأخرة على رواية أنهم متناسلون من عشيرة كانت هربت من تروادة تحت رياسة انياس حال سقوط هذه المدينة وخرابها وأياما كان من حصول هجرة وقعت لهم فان هذا لا حاجة به هنا لانه من المحقق أن ذلك ما أخل بتأثير اعتكاف الامة الرومانية على العوائد الوثنية وان لسانهم ورواياتهم القديمة تثبت من دون ريب أن الرومانيين هم من الجنس النقى اللاتينى

وأما التاريخ الخرافى الذى ذكر فى حق تأسيس رومة فذلك انه كان يوجد من ذرية عسكانيوس بن انياس وخليفته من بعده شخص اسمه بروكاس وكان هذا ملك البه الطويلة ومن بعد موته ترك ممالكه الى ولديه نوميطور وعموليوس فضبط عموليوس المملكة وأمر بذبح ابن نوميطور من بعد موت أبيه وكان لا يوجد له ولد خلافه الا بنت فأرغمها عمها بالطهارة وزوجها مارث فخلفت منه توأمين رومولوس وريموس ولما وضعت ولديها أمر عمها برميها وولديها فى نهر الطيبرو وبينما كان الولدان مرميين فى مياه البحر تحت ذيل جبل بلاطين وجدتهما ذئبة فأخذتهما الى مغارتها وصارت ترضعهما حتى اشتدا ورآهما رجل حطاب وكان يأتى اليهما بالغذاء الى أن كشف امرهما رجل من رعاة الملك اسمه فوسطولوس فأخذهما ورباهما مع أولاده فوق جبل بلاطين فأسس عليه الولد الاكبر وهو رومولوس

مدينة وقت ما بلغ رشده وسماها باسمه ولما وجد رومولوس ضعف قومه وعجزهم جعل مدينته مأوى الحشرات من أرباب الجرائم والفارين من الطوائف بأسباب سياسية وأتوا اليه أفواجا فأحوجتهم هذه الحالة الى الزواج واقتناء الزوجات حتى يكونوا على مكنة من التوطن فى المدينة وعدم تركها و يكونوا أولادها ومن تبعتها الا أن الامم المجاورين لهم ما كانوا على رغبة من زواج بناتهم لهم فاشتغل رومولوس بحيلة أجراها فى الزواج وذلك أنه أقام عيدا كبيرا وليمة حافلة دعا اليها اللاتنيين والصابنيين للفرجة والضيافة وفى أثناء هذا العيد انقض الرومانيون فى وسط هذا الزحام وقبض كل رجل منهم على صبية فحملها وهرب بها فأعقب هذه الحالة حرب انهزم فيه اللاتنيون ثلاث مرار فدخل طيطوس طاطيوس ملك الصابنيين بنفسه فى الحرب و بواسطة خديعة طاربية بنت الرئيس الاكبر لقلعة كابيطولين استحوذ الصابنيون على هذه القلعة ثم ان الرومانيين استمالوا طاربية بواسطة أساور من ذهب واتفقت معهم أن تفتح لهم أبواب القلعة لو أعطوها هذه الاشياء اللامعة الموجودة فى أذرعهم ولما توجهوا الى القلعة رموا عليها درقاتهم اللامعة التى كانوا لابسيها على أذرعهم واقتحموها وقتلوها فاجتهد الصابنيون فى الغلبة على المدينة الا انهم بينما كانوا على شرف التغلب عليها وكانوا مزدحمين على باب من أبوابها اذ انفجر نهر من الماء شديد التيار من هيكل جانوس فأغرقهم جميعا وبهذا خلصت المدينة من شرهم فتذكارا لهذه الواقعة استمر الرومانيون على فتح باب هيكل جانوس مدة الحرب حتى ان الاله يكون له طاقة على الخروج الى الخلاء من أجل مساعدة أمة رومولوس مثل ما حصل فى اليوم السابق ومن بعد مضى مدة هاجت واقعة أخرى الا انه توقف اجراؤها بواسطة النساء الصابنيات اللاتى كان الرومانيون أخذوهن سابقا فربطن العلائق بينهم بكونهن رمين أنفسهن بين آبائهن واخوانهن وأزواجهن وتوسلن اليهم فى قطع ما بينهم من العداوة والحروب فكانت نتيجة هذه الواقعة عقد سلم واستتباب راحة بينهم واتحاد الامتان مع بعضهما وتسلطن رومولوس على الرومانيين الموجودين على جبل بلاطين وطيطوس طاطيوس على الصابنيين الموجودين على جبل كابيطولين وجبل كرنيال ومن بعد موت طاطيوس تسلطن رومولوس على كامل الامة المنضمة مع بعضها ومن بعد سلطنة امتدت ثلاثين سنة عرض ذات يوم جيوشه على نفسه فى ميدان مارث فأظلم الجو على حين غفلة وهاجت الزوابع والعواصف فكسفت الارض ولما هدأت هذه الرياح لم يجدوا لرومولوس أثرا ولاحلية فنعاه قومه نعى الميت وحزنوا عليه الا انه ظهر فى هيئة جليلة لواحد منهم وأخبره بأنه رفع ليقيم مع مارث أبيه فى السماء وأن الرومانيين سيصيرون يوما من الايام أسياد الدنيا وملوكها وانه هو نفسه الحارس الحافظ لهم باسم كيرينوس

وذكر أن برو كاس ملك البه ترك ولدين عند موته ووصى بمملكته الى نوميطور ابنه الاكبر وبكنوزه بما فيها من الاموال القديمة التى سلبت من نهب مدينة تروادة الى أموليوس فصار للاصغر طاقة بواسطة ما عنده من الاموال على أن يرشى شرذمة من المعاضدين فى خلع أخيه فخلعه وقتل الابن الاصغر أخاه نوميطور وأما ابنته وكان اسمها ايليا أورهيا سلفيا فانه جعلها عذراء للالهة أى متطهرة فبينما كانت ذاهبة الغسل من ينبوع ماء لاجل خدمة المعبد افتضها الاله مارث فحملت منه ووضعت توأمين وأمر أموليوس بقتلها ورمى الطفلين فى نهر أنيو فحمل ماء النهر الولدين الى مياه نهر الطيبر وما زالا حتى رسيا تحت ذيل جبل بلاطين تحت شجرة تين فأرضعتهما ذئبة وغذاهما رجل حطاب حتى

أخذتهما

أخذتهما عكالونطيا زوجة فوسطولوس أحد رعاة الملك وربتهما حتى صار التوأمان بين أولادها الاثنى
عشر مشهورين بالشجاعة وانتخبا رئيسي أحزاب عدوانية فكان اسم حزب أتباع رومولوس كنكطيلي
وأتباع ريموس فابي ولما شبا وكبرا اشتبك ريموس في مشاحنة مع راعي نوميطور المخلوع فأخذه وجله
اليه بصفة قاطع طريق ولما جلب البرنس الشاب أمام جده انشرح من سرعة جودة أجوبته له حتى
تردد في موته ولما سمع رومولوس من الرعيان الاختيارية أصل سر ولادته جمع أقرانه وتوجه لخلاص
ريموس وانضم اليه بعض من قدماء المتقربين لجده وخلعوا أموليوس وأعادوا نوميطور الى التخت فمن
محبتهما البقعة التي حفظت حياتهما بالقدرة الالهية حض الشابان جدهما على الترخيص لهما ببناء
مدينة على شواطئ نهر الطيبر فسمح لهما بكل كراهة وحصل بين الاخوين غضب بسبب أن رومولوس
صمم على رأيه في تسمية المدينة باسم رومة وأن يكون بناؤها على جبل بلاطين وطلب ريموس تسميتها
ريموريا وأن تبنى على جبل افنطين وأخيرا صمم على حل هذه المسئلة بواسطة الفال وكانوا على اعتقاد
كبير منه وكان الفال الاول عند ريموس ستة من السورة وأما رومولوس فكان عنده اثناعشر فهاجت
مشاحنة أخرى الا أن حزب رومولوس غلب وصار رمى أساس المدينة على جبل بلاطين باحتفالات
عظيمة من جميع التوسكانيين ولما ظهرت الاسوار على الارض قليلا طلع ريموس فوقها وصار يلعن
ويسب فقتله اما رومولوس أو واحد من أتباعه وعلى حسب ما ذكر فاروان صار تأسيس رومة في ٢١
ابريل في اليوم المقدس لبعلة الهة الرعيان وفي السنة الثالثة من الاولمبياد السادس أي من بعد خراب
تروادة بنحو ٤٣١ سنة أعني في سنة ٧٥٣ قبل الميلاد وبنيت على هيئة شكل مربع وكانت مشتملة
في الاصل على نحو ١٠٠٠ عشة حقيرة فكانت هذه الحالة مبدأ مدينة صارت فيما بعد عاصمة الدنيا
عموما

ثم من بعد مضي سنة من ترجمة رمولوس انتخبت الامة نومه بومبليوس وهو رجل صابيني مشهور عندهم
بالنباهة والفضل وجعلوه ملكا عليهم وكان تاريخ جلوسه على كرسي السلطنة حسبما وردت به
الاساطير التاريخية في سنة ٧١٥ قبل الميلاد فأقام ديانة الرومانيين على أقوى أساس وجعل لها
عوائد مشهورة صارت بواسطتها معروفة وكان محبوبا عند العذراء أغريا فكان يأخذ منها ما كانت
توحيه اليه في مدة اجتماعه معها في أيكتها المقدسة بواسطة ينبوع ماء يخرج من صخرة في الايكة
وذكر هذه النصائح والالهامات في شرائعه وقوانينه وعود قومه على عوائد الكد في الشغل وعوائد السلم
واستتباب الراحة واجتهد في أن غرس في قلوبهم الحق والعدل والانصاف وكانت مدة سلطنته ذات
أمن وفوز ونجاح وما فتح في مدتها باب هيكل جانوس لان الرومانيين ما كان لهم عدو يحاربونه ومات
بعد أن بلغ من العمر ثمانين سنة ودفن تحت جبل جانيكولوم في الجهة المقابلة من نهر الطيبر ودفنت
كتب شرائعه المقدسة ووصاياه في قبر آخر على حدته بالقرب منه

وخلفه طولوس هوسطيليوس وبجلوس هذا على الكرسي انتهت المدة الحقيقية للحوادث التاريخية
الخرافية حسبما قيل وما وردت به التسجيلات التاريخية

ولنشرح الآن ما حصل من الاعمال وما وقع من الحوادث في تاريخ رومة المرعي حقيقته وصحته
عند متأخري المؤرخين فنقول وعلى الله حسن العاقبة والقبول

انه على حسب ما وردت به الحوادث التاريخية صار تأسيس رومة في سنة ٧٥٣ قبل ميلاد المسيح

عليه السلام وان متأخرى المؤرخين مع كبيرهم الحكيم موممسن يقولون ان الصحيح المعول عليه ان الرومانيين واللوسيريين والطيطيين أجناس وشعوب قطنوا سوية في هذا الاقليم وكان لهم معقل مشترك على الجبال الرومانية فكانوا يفلحون أراضيهم ويزرعونها بواسطة القرى المحيطة بهم ثم تحول هذا المعقل الى أن صار مدينة أخذت في النمو والتقدم شيأ فشيأ على التدريج ثم قال موممسن ان تأسيس مدينة بالحالة التي ذكرت في الرواية السابقة هو من غير شك خارج عن الحد والموضوع وان رومة ما صار بناؤها في يوم واحد وأياما كان من صحة قضية تأسيس رومة أو عدمه فالمحقق المعول عليه ان حكاية رومولوس والذين خلفوه مباشرة منسوب بجميعه الى الحشو بين أرباب الخرافات والخزعبلات وانما أهل التاريخ ما وصلنا الى المدة الحقيقية الا من ابتداء سلطنة طولوس هوسطيلوس وقد يوجد سبب قوى يستدل منه على انه كان انسانا في الحقيقة وان الوقائع الكبيرة والحوادث الشهيرة التى حصلت في مدة سلطنته هي أعمال حقيقية لاخرافية وكان جلوسه على التخت في سنة ٦٧٢ قبل الميلاد حسبما وردت به الحوادث التاريخية وتغلب هذا على البه الطويلة وخرب مدينتها ونقل سكانها الى رومة وأسكنهم جبل كولى وتولد من هذا الفتح زيادة الاراضى الرومانية ضعف ما كانت عليه أو ثلاثة أمثالها وصارت رومة المدينة الاصلية للاتيوم والحافظة للاتحاد اللاتينى وكان لها السلطة الممتازة على هذا التحالف والاتحاد فكان الجيش الاتحادى محكوما على التعاقب بقائد رومانى تارة وبقائد لاتينى أخرى وكل ما كان يفتحه الجيش يقسم بوجه المساواة بين رومة والاتحاد اللاتينى فكان يعطى لرومة نصيب مساو للنصيب الذى يعطى للاتحاد عموما

وفي مدة سلطنة طولوس حصل بعض تغييرات في النظام الرومانى ولاجل معرفة هذه التغييرات يلزمنا أن نفحص أولا عن النظام الابتدائى الذى كانت رومة سائرة تحته في المدة القديمة التى قضتها الحد هذه السلطنة وهو أن الحكومة كانت ملوكية وكان رأس المملكة ملكا مطلقا عليه اسم راكس أى حاكم أو مدبر كان يباشر كثيرا من الاعمال وان لم يكن له شوكة مطلقة على أهل المدينة وكانت الملوكية انتخابية فمن ثم كان يعقب موت الملك الواحد فترة من الزمن تباشر أعمال الحكومة فيها بواسطة مجلس أعيان أو سناتو كانت أعضاؤه مؤلفة من عشرة من أعيان المملكة وكان يطلق عليه أيضا اسم المجلس العالى أو الاول وهو منوط باجراء الاحكام الملوكية فكان كل واحد منهم يترأس لمدة خمسة أيام وكان مجلس السناتو ينتخب الملك ثم تصدق الامة على هذا الانتخاب وكان من بعد الملك في الدرجة الباطريسى أى وارثى الشرف والسيادة وهم الذين حازوا درجة سيادتهم وشرفهم من سلسلة شرف أجدادهم وهؤلاء العائلات الشريفة وبيوت السيادة كانوا في الاصل مائة بيت فحصلت فيهم الزيادة حتى وصلوا الى مائتى بيت بسبب انضمام الصابنيين اليهم وكان كل بيت أو شعب ينوب عنه رئيسه أى كبير البيت ويكون هذا النائب على حسب فضل موقعه اما عضوا في مجلس السناتو واما جليس الملك وكان أفراد البيت الواحد يلقبون بلقب اسم العشيرة وجميعهم مشتركون في روابط مقدسة واحدة معلومة ولكل منهم حقوق في المملكة معلومة في العموم وكان كافة الذكور أرباب السن الكامل من طائفة الاشراف لهم الحق في الحضور في مجلس العموم فكانوا مقسومين في هذا المجلس الى عشرة كوريات وكل كورية مؤلفة من أعضاء من عشرة بيوت ولكل كورية رئيس اسمه كوريو ورئيس العشرة هو الحاكم الرئيس على المجلس ويطلق عليه اسم الكوريو الاكبر فما كان يمكن حصول أدنى تغيير في قانون

النظام من دون رضا كل من مجلس السناتو والمجلس الاهلى أو مجلس السادة وكان لمجلس السناتو الحق فى كل من رفض أو تنفيذ الاوامر العمومية وعلى مجلس السادة التصديق على اجرائها وكان من شأن مجلس السادة تقرير الصلح أو قواعد الحرب وكان يوجد غير ذلك ديوان استئناف لبت واثبات ما يتقرر من الملك أو من قاض وكان يوجد من بعد الاشراف مجموع الامة وهذا المجموع كان مقسوما الى طائفتين وهما التبعة والارقاء فأما التبعة فهم التابعون لبيوت الاشراف ويلقبون باسم عشيرة عميدهم وهم وان كانوا أحرارا فى أنفسهم الا أنه ما كان لهم دخل فى الادارة السياسية بل كانوا يزرعون فى العادة أراضى أسيادهم التابعين لهم أو يتعاملون فى تجارات تحت نظر وحماية كبرائهم ويتبعون كبيرهم فى الحروب وكانت تتوزع عليهم فدينه أو فدية أولاده وقت أسرهم فى الحروب ويساعدونه فى صرف المصاريف اللازمة لاقامة أى شكوى يمكن أن يقع فيها أو فى مصاريف خدمة فى أى مصلحة من المصالح التى يعود منها النفع على المملكة كما أنه كان يجب على كبير القوم المدافعة والمحافظة على منافع تبعته فى المحاكم المحلية اذا لزم ذلك وكان ارتباط كبير القوم مع تبعته متسلسلا من الاب الى الابن وكانوا يرون أن من أعظم الفخر والاعتبار أن يكون للبيت الواحد من بيوت السادة كثير من التبعة وأما الارقاء فكان لهم موقع مثل موقع أهل البلاد الا أنهم ما كانوا كثيرى العدد فى العصور القديمة

وتولد من ضم طولوس الالبانيين الى رعيته زيادة طائفة الاشراف بانضمام أشراف الالبانيين اليهم فصار عدد العشائر ثلاثة وبيوت السادة ثلاثمائة وعدد الكوريات ثلاثين واستمر مجلس السناتو على عدده الاولى لانه لم يترخص لاشراف الالبانيين أن يكون لهم الامتياز فى أن يحلوا فيه وزادت مدرسة العذارى الطاهرين الى ستة من بعد أن كانت أربعة لان رومة صارت فى هذه الحالة بلدا لالبانيين الا أنه ما حصل تغيير فى النظامات الدينية والعقائد المذهبية

وجلس من بعد طولوس هوسطيلوس انكوس مرطيوس جلس على التخت فى سنة ٦٤٠ قبل الميلاد حسبما وردت به حوادث التاريخ وعلى ما قيل انه كان واحدا من الصابنيين أو الطيطيين وهيج حربا على المدائن اللاتينية وتغلب على عدة منها ونقل سكانها الى رومة فمن ثم زادت شوكتها وحلا لتها زيادة كبيرة وصار معظم الذين استوطنوا جديدا تبعة لبيوت السادة الا أن طوائف الاغنياء منهم والذين لا تبعة لهم لاحد ما قبلوا الدخول فى هذا الموضوع وكثر عدد هؤلاء حتى لزم الحال لان يخصص لهم مواقع ومنازل معروفة فى المملكة فصار ترتيبهم بمعرفة انكوس مرطيوس على حسب قول متأخرى الرومانيين الى طائفة حرة ممتازة تابعة لحماية الملك ومحافظته وأطلق عليهم اسم البلبيوت أو العوام وكانوا محصورين فى عدة طوائف الاولى حريون فى المسكن سواء كانوا مجتمعين سياسة وعساكر أو أجرية أو تجار والثانية المجبورون على السكن وهم الذين غلبوا على أمرهم من الامم وصار نقلهم الى رومة ماعدا الذين صار قبولهم فى طائفة السادة أو الذين صاروا تبعة لمنازل السادة الثالثة التبعة الذين عدموا أسيادهم من تجريدهم شرفهم وكانوا فى الاصل تبعة لهم الرابعة كفاة الزواج وهم أولاد السادة الذين تزوجوا بنساء ليس كفؤا لهم وكان زواجهم بهن غير معدود شرعيا وكذا الذين ما أمكنهم البقاء على درجة آبائهم وما كانوا عليه من حالتهم ومن ثم أخذت رومة فى درجة التقدم بسرعة حتى صار لها من الضرورى أن تعترف اعترافا رسميا بهذه الطائفة بحريتها الغير فى هذه المدة القديمة وأسكنهم أنكوس فوق جبل افنطين ومنحهم جهة مخصوصة من المدينة وقرر لهم قوانين ثابتة بحيث كان

لايمكن تركهم من دون حكومة ونظام
وأخذت رومة فى مدة سلطنة أنكوس فى التمدن والحضارة وزيادة الشوكة بسرعة كبيرة وامتدت الاراضى الرومانية الى حد البحر وابتنوا امينة أوسطيه وشيدوا أشغال الملح فى ضواحيها وأنشؤا جسرا من الخوازيق أوقنطرة ثابتة على الطيبر وصار تحصين جبل جانيكولوم بالاستحكامات القوية والاسوار المنيعة وحفروا فى الاراضى حول السبعة جبال ترعة وسموها خندق كبير يطوم وابتنوا أول سجن ولما مات انكوس خلفه طاركنيوس بريسكوس فكان جلوسه على التخت حسبما وردت به أخبار الحوادث التاريخية فى سنة ٦١٦ قبل الميلاد وامتدت سلطنته الى سنة ٥٧٨ قبل الميلاد وكان طاركنيوس عطروسكيا فى الاصل الا أنه كان قاطنا فى رومة من مدة طويلة فطرد الصابنيين وكانوا عبروا من نهر انيو وأزعجوا رومة نفسها ثم هجم على المدائن اللاتينية وتغلب عليها أجمع ما عدا مدينة نومنطون وفى اخر أيام سلطنته أغار على أراضى عطروسكانة ونال منهم فوائد جليلة وبواسطة هذه الفتوحات أضاف الجم الغفير من الناس الى رومة وأراضى شاسعة الى أراضيها وأصلح أيضا اصلاحات عظيمة فى المدينة وبنى المجرة الكبيرة المسماة كلوكه مكسيمة وحجز فيضان نهر الطيبر من سيلانه على أرض المدينة بواسطة رصيف ضخم بناه فى طول الشاطئ الايسر من النهر ووصل المجرة والرصيف بالوادى المستنقع الموجود بين جبلى بلاطين وكابيطولين وأقام طاركين فى هذا المحل الفورم وهو الساحة العمومية فى رومة ودور دائره بالبواكى والعمد والدكاكين وعمر بين جبلى بلاطية وافنطين ميدان ملعب الخيول المعروف بالسرك الاكبر لاجل انشراح الامة وترويحها وشرع فى تشييد هيكل للمشترى (جوبتير) على جبل كابيطولين الا أن شغله لم يتم فى مدة سلطنته بل تممه ابنه من بعده
وأما التغييرات النظامية المهمة المنسوبة الى طاركين فهى أولا زيادة أعضاء مجلس السناتو من ٢٠٠ نفس الى ٣٠٠ نفس بأن أضاف اليه نواب بيوت السادة الذين كانوا معتبرين فى طائفة الاشراف الالبانيين وقت انتقالهم الى رومة ثانيا ضاعف عدد بيوت الاشراف وكان عدد هذه البيوت انحط حتى وصل الى ١٥٠ بيت وشكل طاركين من وجوه أشراف الامم التى تغلب عليها ثلاثة أصناف شعوب مركبة من خمسين بيتا ألحق كلا منهم بأسماء قدماء الرامنيين والطيطيين واللوسيريين الا أنهم فى درجة منحطة عن درجة سادة المدينة
ثم انه من قبل الانتقال الى شرح حوادث ووقائع القرن التالى وجدنا أن الاصوب الوقوف هنا لحظة حتى نشرح العقائد الرومانية لان العلم بها ضرورى لمطالعى التواريخ الرومانية وذلك أن الرومانيين استمروا من ١٧٠ سنة من ابتداء تأسيس المدينة وما كان عندهم صور تماثيل مخصوصة بآلهتهم وأفسدت الديانة الوثنية ما كانوا عليه بعد ما كانوا محافظين على عقائد مرعية عندهم بالنسبة لمصالح سكناهم ولهم عقائد ومذاهب نقية فى أنفسهم وكان أكبر الآلهة عند الرومانيين المشترى (جوبتير) والمريخ وهو مارث فكان جوبتير هو الاله الاعظم ومارث الاله المخصوص بهذه الامة فى وقت حربها يعنى أنه اله الحرب وعبدوا كيرينوس تحت اسم روموليس وكان مضاعف مارث فكان مارث الذى هو أول شهر من شهور السنة الرومانية مقدسا عندهم وسموه بهذا الاسم اجلالا لاسم الاله مارث وكان موسم الحرب الاكبر فى قسم عظيم من هذا الشهر ويدخل هذا الموسم بيوم سباق الخيل فى ٢٧ من شهر فبراير وكانت أيامه المشهورة تعرف باسم تطريق الدرقات أو التروس فى ١٤ مارث وفى يوم الرقص

والنط بالسلاح فى الجمعيات والمجالس فى يوم ١٩ مارث وتطهير الابواق والطبول وتقديسها فى يوم ٢٥ مارث وفى مدة الايام الاول من الموسم يمشى اثنا عشر قسيسا مخصوصين بالاله مارث ومنتخبين من العائلات الشريفة يطلق عليهم اسم صاليون أو النطاطين من وسط الشوارع ويترنمون بالمغانى ويرقصون وينطون ويضربون على تروس فى أيديهم مصنوعة من البرنز فكانت الحروب تبتدئ بهذا الموسم ويعقب غلاق الحرب فى فصل الخريف موسم ثان تعظيما لمارث اسمه موسم تقديس الجيوش فى يوم ١٩ أقطوبر وكان لكيرنيوس أيضا موسم مخصوص به يجرى اشهاره فى ١٧ فبراير باحتفالات وشعائر عين المتقدمة

وكانت أيام تمام الهلال مقدسة لجوبتير وخلاف هذه المواسم كانت مواسم العنب وأيام أخرى مختلفة وكانت المواسم التالية للمواسم المتقدمة فى الاهمية هى المواسم المخصوصة بالغلال والعنب وبيان المدد المختلفة من السنة الزراعية وكان أول هذه المواسم يعقد فى ١٥ ابريل عندما يصير تقريب القربان الى طيلوس وهى الارض الناتج منها الغذاء ويعقد الثانى فى ١٩ منه وكان يقرب فيه القربان الى صيريص الهة النبت والنمو وفى ٢١ يقرب القربان الى باليس حافظة المواشى والاغنام وفى ٢٣ منه الى جوبتير حافظ النبيذ والخوابى أو الدنان الموجود فيها النبيذ من السنة الماضية وتفتح الخوابى أول مرة فى هذا اليوم وفى ٢٥ منه يتوسلون ويستغيثون الى ربت العدو المبين لمواسم الحصاد وفى شهر مايه تشهر الاثنا عشر قسيسا الملقبون بلقب أرفال اخوان ثلاثة أيام عيدا الى ديا ديا يقدمون فيها الشكر والثناء على بقاء دوام خصوبة الارض والنظر بعين الصلاح والفلاح الى عموم الارض الرومانية وفى شهر اغسطس يعمل موسم الحصاد وفى شهر أقطوبر عيد العنب تشريفا الى جوبتير وكان يوجد فى شهر ديسمبر موسمان للشكر أول شكر منهما من أجل امتلاء أشوان الغلال ومخازن الحبوب والثانى موسم التقاوى والبزر فى ١٧ منه ويعمل عيد ثالث فى هذا الشهر احتراما لصغر زمن اليوم فى السنة وفيه تنزل الشمس فى ٢١ ديسمبر وكان انتهاء هذه الاحتفالات والاعياد السنوية بعمل عيد صغير اسمه لوبرقاليه أو عيد الذئب تجرى فيه مدنه بعض من طوائف القسس نحو المدينة متمنطقين بجلود التيوس ويضربون المتفرجين باسواط معقودة وبواسطة طرمنا اليافريضة عندهم تعظيمه لطرمنوس اله الحدود أو الاشارات الارضية

وكان أكبر الهة الرومانيين عموما وأجلها خصوصا جانوس ذات الوجهين أى ديان اله الشمس هذا معظم عندهم من الابتداء فكان كل صباح تقدس له البوابات والابواب وكافة المواسم والاعياد وشهر يناير الذى هو فى الاصل الشهر الحادى عشر من السنة الرومانية وكان معبودا قبل كل اله ومع ان شهر يناير كان يتلو الشهر الاخير الا أنه كان مخصوصا لجانوس بسبب أن أشغال المزارعين فى ايطاليا الجنوبية كانت تبتدئ فى هذا الشهر وكانت تقرب له القربان فى اثنى عشر مذبحا وتقام شعار الاستغاثات والصلوات عند افتتاح كل يوم وكان أول يوم من شهر مارث أى أول يوم من السنة الجديدة الرومانية مقدسا لجانوس بالخصوص ويعتقدون أنه فى هذا اليوم تحصل بركة جديدة وخيرات عظيمة تبقى طول السنة وتحافظ فيه الامة على أفكارهم وأقوالهم وأعمالهم وينظفون قلوبهم لاصدقائهم ويطهرونها بعض هدايا وأعمال خيرية ويبتدئون فى العادة بالاشغال والاعمال الخيرية ويسيرون على موجبها مدة السنة وكان هيكل جانوس مبنيا فى ذيل جبل قابيطولين بين المدائن القديمة الرومانية والمدائن الصابينية

وكانت الجيوش تسير من المدينة وتمشى فى الخلاء حتى تمر من أبواب الهيكل ثم تعود نهارا راجعة الى المدينة وتستمر هذه الابواب مفتوحة مادام الحرب موجودا كما ذكرنا سابقا

وأما بركان أو فولكان وهو اله النار وأفران تطريق الحديد فكان هذا الها آخر من ضمن الآلهة الكبيرة الرومانية وكان له عيدان أحدهما عيد تقديس الابواق وشد الطبول وآخر فى شهر اغسطس يسمى ولكانيا وأما قسط الالهة الكوانين وما يختص بمستوقدات البيوت فكانت أقل درجة ممن ذكر الا أنها كانت عزيزة عند الامة الرومانية لانهم كانوا يرون أنها منبع سعادتهم وفلاحهم الداخلى أى المنزلى فكان كل كانون أو وجاق مصنوع من الحجر فى أى بيت من بيوت الامة الرومانية يعد من ارالها وكل أكلة تعد قربانا لها وفى كل دهليز أو مدخل بيت كان يوجد معبد أو صومعة تختص باللاريس يقدم فيها أبو العائلة أو رئيس العائلة خشوعه وخضوعه عند عوده من شغله الى البيت قبل أن يشتغل بأى شغل من الاشغال الواجبة عليه وكانوا يرون أن هؤلاء اللاريس هم أرواح أهل الخير والاحسان وعلى الخصوص أنهم أرواح أجدادهم أى أجداد العائلة وكان يوجد فى كل مدينة حفظتها من الآلهة أو لاريس عمومية تعبد فى هيكل واحد أو فى صوامع متعددة منشأة على وجه العموم فى تقاطع الشوارع مع بعضها ولا يظهرون اسماءها بل هى مخفية فى قلوبهم لان الرومانيين كانوا يعتقدون أنه لا يجب التفوه ولا الاباحة باسماء الآلهة الحافظة للمدينة خشية من عدو يعرفها فينادى الاله باسمه ويغويه على قبول ما لا يكون موافقا من خصائصه وأما المسافرون وعابر والسبيل فكان لهم آلهة يعبدونها غير هذه ومن بعد أن تداخل الرومانيون مع الجريس وعاشروا الجريق ابتدؤا فى مخابرة كاهن دلفى مع الاستمرار وكانوا يعتبرون أنباءه وأقواله وما كان ينطق به مع الاجلال والاحترام وما كان عند الرومانيين الا كاهن واحد اسمه فاونوس كان جليلا عندهم وكان هيكله على جبل افنطين وكان يوجد أيضا كثير من الكهنة فى مملكة لاطيوم الا أنهم ما كانوا يعطون جوابا مقنعا شافيا وكانوا يؤكدون مقاصد الآلهة بواسطة الفال

وأما الكتب المقدسة الصيبلينية فكانت أجل المستحوذات النفيسة الثمينة عند الامة الرومانية فكانوا يعتقدون أنه صار مشتراها بمعرفة واحد من الطاركينيين من امرأة صاحبة سر خفى جاءت بها الى رومة وطلبت فيها ثمنا فائق الحد وكانت تسع كتب فى الابتداء فلم يقبل الملك مشتراها بهذه الاثمان الباهظة فاخذتها الصيبلة وتوجهت لحال سبيلها فاخفت منها ثلاث مجلدات وعادت بالستة الباقية الى الملك وطلبت فى ثمنها ما كانت طلبته فى التسعة فلم يقبل أيضا طاركين مشتراها منها فتوجهت وأخفت ثلاثة ورجعت بالثلاثة الباقية وطلبت الثمن الذى كانت طلبته فى التسعة كتب فقامت حمية الغضب فى رأس الملك واشتراها بما طلبت المرأة الصيبلينية فوجدها مشتملة على انباآت غيبية جليلة تختص برومة فى الازمان المستقبلة فوضعها تحت كفالة احدى المدارس المقدسة فى صندوق من الحجر تحت هيكل جوبيتير قابيطولينوس فكانت تراجع بأمر من مجلس السنا وفقط فى الاوقات التى يحصل فيها الهياج والفتن الكبيرة وكانت المدارس المقدسة تشمل قسما جليلا من المذهب الرومانى وكان عددها ثلاثة وهى مدرسة الفال وكان أهلها منوطين باثبات مطالب الآلهة بواسطة طائرات الطيور والنظر فى أمعاء ومصارين الذبائح ثم مدرسة القناطر وكان أربابها هم المهندسين الرومانيين ومنوطين بعمل حساب نتيجة الشهور السنوية ومباشرة كل موسم واحتفال وعيد دينى ومباشرة

الاعمال

الاعمال الواجب اجراؤها فى الايام المخصصة لها ويشعرون الامة بابتداء طلوع الهلال وتمامه وتخابر
معهم جميع الطوائف بشأن الاعمال اللازمة لها فى الايام الواجب اجراؤها فيها ويحافظون على كتب
الحوادث والوقائع والتسجيلات السنوية وما يحصل فى المملكة من الوقائع والحوادث والاشغال فمن
ثم كانوا هم مؤرخى المملكة ثم مدرسة السفراء أو المبعوثين وهم المنوطون بحفظ المعاهدات والاتحادات
التى تعقد مع الامم المجاورة ولهم المكالمة على حسب رأى المملكة فى ربط معاهدات شرعية حقة وفى
الاحوال التى يطلب فيها الرضا أو الحرب وكانوا هم المهندسين فى موقع واحد فى الاحوال الداخلية
الديانية والقوانين الشرعية وكانوا منوطين أيضا بسن القوانين والشرائع ولو لم يباشروا اجراءها وتنفيذ
أعمالها

وكانوا يطلقون على قسس كل آلهة مخصوصة اسم جمرة أو شرارة لانهم يحملون عنا نار تقريب
القربان وكان أجل هؤلاء القسس وأكبرهم احتراما شرارة ديالس أو قسس جوبتير ومن بعدهم فى
الدرجة قسس مارث وكيرينوس وكان القسس بواسطة الزهد والقناعة يتوصلون الى العيشة الطيبة
المرضية التى تحفظ له شرفه ومجده فكانت هذه هى الهيئات الاصلية للديانة الرومانية وفى حالتها عند
الملة وفى مبادى المداخلة مع الجريقيين زحفت التصورات الجريقية والخرافات اليونانية حتى غشت
على عقول الرومانيين وغطت على أفكارهم وما كانوا عليه من اعتقاداتهم حتى صار كثير من آلهة
الهلاس آلهة أصلية فى رومة

وانتهت سلطنة طاركين الاول فى سنة ٥٧٨ قبل الميلاد بقتله بواسطة مستأجرين من طرف أولاد
أنكوس مرطوس مؤملين حفظ التاج وتوطيده لانفسهم فكانت مساعيهم وقتل الرجل على غير
طائل لهم واستخلف من بعد طاركين زوج ابنته أو صهره صرفيوس طوليوس وكان قائدا عطروسكانيا
فضبط التخت مع الجسارة والشجاعة ولما نال صرفيوس بعض مظفرات جليلة على العطروسكانيين
عزم على تغيير كثير من مواد القانون الرادبكالى وكان كامل شوكة المملكة والسلطنة لحد هذا فى
أيدى الاشراف وما كان للالاف فيهما من شئ وعزم صرفيوس على أن ينشر الحرية على كافة الاحرار من
التبعة ولما تم ترتيب نظام الجيوش جعله قاعدة أساسية لتنظيماته وشكل مجلسا جديدا وسماه المجلس
الثانوى وقسم عموم الامة الرومانية الى طوائف على حسب درجتهم فى الثروة والغنية وقسم هذه
الطوائف الى طوائف ثانوية حسب قيمة ما عند كل انسان من الاملاك وكل طائفة ثانوية مهما كان
عدد نفوسها فانما كان لها الاصوت واحد فى مجلس الامة فتولد من هذا زيادة نفوذ وشوكة لاهل الغنية
والثروة الا انه لو حصل اختلاف فيما بينهم وقعت طوائف الفقراء فى موقع الذل والمشاحنات وكل انسان
من الرعية ملزم بأداء الخدمة فى الجيش على حسب ما عنده من الاملاك والعقار ومركزه فى الخدمة
العسكرية على حسب درجته فى المعيشة التبعية أى بالنسبة لثروته ورتب صرفيوس الطوائف العالية
فى الخدامة العسكرية فى صفوف الخيالة وقسمهم الى ثمان عشرة أورطة فالستة الاول منها من كل من
العشائر الثلاثة الاصلية أى أورطتان من كل عشيرة فكانوا هم السادة أو الاشراف والاثنا عشرة
أورطة الباقية من الاغنياء وعوام الناس أهل الشجاعة والنجابة وكانت جميع العساكر الرومانية
يحاربون مشاة ما عدا الخيالة وقسم مجموع الامة الى خمس فرق فكانت الفرقة الاولى مركبة من ثمانين
وجعلهم من الذين لهم القدرة على تقديم أنفسهم بطقومة حربية تامة من النحاس وجعلهم الحذاء

الاول وقت المحاربة وتعبية العساكر ورتب أربعين بلكا من بلوكات هذه الفرقة من شبان الرجال من عمر سبع عشرة سنة الى خمس وأربعين سنة وكانوا زهرة المشاة الرومانية وأما الاربعون بلوكا الباقية فكانوا من رجال عمر الواحد منهم يشوف عن ست وأربعين سنة وكان هؤلاء معدين للمحافظة فى المدائن والمعاقل وكانت الفرقة الثانية مقصورة على عشرين بلوكا وبمثل هذه الصورة رتب الفرق الباقية بلوكات مثل الفرقة الثانية ماعدا الفرقة الخامسة فكان عدد البلوكات فيها ثلاثين وكانت الفرقة الثانية تحارب مباشرة خلف الفرقة الاولى وكانوا لا يلبسون دروعا و يحملون تروسا من الخشب بدل النحاس وما كان للفرقة الثالثة خود من نحاس ولا تروس للفرقة الرابعة وكانت الفرقة الخامسة عساكر مشاة خفيفة وما كانت مشكلة قسما من الجيش وكان سلاح هذه الفرقة المقاليع والحراب وكان يطلب من عموم هذه الفرق تطقيم أنفسهم فى وقت الحرب ومن بعد هذه الفرق الخمس أفقر رجال الامة وكانوا يدعون فى الاحوال الكبيرة اللازم وجودهم فيها فكانوا يتسلحون على مصاريف الحكومة الرومانية وكان محل اجتماع هذه الفرق والبلوكات وقت الطلب خارج أسوار المدينة فى ميدان مارث

وكانت الشعوب الرومانية لحد سلطنة صرفيوس هم شعوب طائفة السادة وهم الرامنيون والطيطيون واللوسريون وقسم صرفيوس المدينة الى أربعة شعوب والمملكة الى ستة وعشرين كورة أو اقليما وجعل لكل شعب أملاكا خاصة به من دون مراعاة لدرجة الشرف والسيادة وكان محل اجتماع الشعوب فى الفورم أى عند سراى الميدان على أن العشائر الريفية وأهل السواد ما كانوا على انشراح خاطر من هذه الامتيازات لهذه الازمان الاخيرة ورخص لكل شعب بان يكون لاهله حق الاجتماع وحكومة نفسه بنفسه فكان كل شعب يعين من عنده حكاما ومفتشين وقضاة وما اكتفى صرفيوس بهذه الترتيبات التى أعطى فيها العوام حق حكومة أنفسهم بل أناطهم بتعديل قيمة الضرائب والعوائد المضروبة على الاراضى والعقارات وتجمع بواسطة مفتشين وتدفع بمعرفتهم الى خزينة المملكة وأعطى محتاجى العوام قطعة من الارض العمومية المشاعة الموجودة فى ناحية عطروسكانه من نهر الطيبر وكان استحوذ عليها فى حروبه الاولية وأعطاها لهم بطريق التملك من دون معارضة فتولد من هذا الفعل الغضب الاكبر والحنق الشديد الزائد عند طائفة الاشراف وكانوا مغتصبين هذه الاراضى فى السابق من المملكة كلا ومرعى لمواشيهم وأغنامهم فكانوا على غير رضا من تسليمها

ووسع صرفيوس أيضا حدود مدينة رومة وكانت رومة الاصلية موضوعة على جبل بلاطين فاستترت جبال اسكلين وكوليان وافنطين بالمساكن والمبانى وكانت فى رستاق المدينة وضواحيها وكان الصابنيون محتلين جبال قابيطولين وكرينال وفمينال فضرب صرفيوس هذه المبانى والعمارات مع ميدان واسع خلفها بسور من استحكامات جديدة واستمر سور المدينة من دون أن يحصل فيه تغيير مدة تنيف عن ثمانية قرون الى مدة سلطنة أورليان

ولما تم صرفيوس جميع اصلاحاته ونظاماته عزم على توطيد استمرارها دائما أبدا بكونه يتنازل عن شوكة الملوكية فامر باجتماع الطوائف حتى ينتخبوا بحرية أصواتهم نائبين كبيرين يديران الحكومة ويسوسانها وأن يكون انتخاب هذين الرئيسين لمدة سنة واحدة وعند انقضاء مدتهما ينتخبون آخرين خلافهما بالطريقة بعينها الا أن انتقال الحالة من الحكومة الملوكية الى الحكومة الشورية الاهلية ما كان سهلا بل حصل فيه سفك دماء وفقد أنفس فمن قبل أن يضع الملك رأيه فى موضع عمله اشتد

العضب

الغضب فى وجه طائفة الاشراف على صرفيوس بسبب تغيير عوائدهم القديمة وثاروا وهاجوا تحت قيادة طاركين ابن الملك السابق وقتلوا صرفيوس فى ديوان مجلس السناتو وأجلسوا طاركين على تخت المملكة وكان تاريخ وقوع هذه الحادثة فى سنة ٥٤٣ قبل الميلاد

وكان لوسيوس طاركينوس صوبربوس اخر ملوك رومة فابتدأ فى سلطنته بابطال عموم النظام الصرفيانى وأعاد القوانين التى كانت جارية فى مدة الملوك القديمة ومع انه ألقى مقاليد تاجه الى طائفة الاشراف الا انه ضيق عليهم فى الجملة بواسطة الطوائف الاخر من الامة وأرغم فقراء الطوائف بالشغل فى الاشغال العمومية التى كان أبوه شرع فيها بنفسه وجرد بعض التبعة من أملاكهم من دون أن يتخابر مع مجلس السناتو وفرقها على كافة الطوائف ملكية وعسكرية فكانت هذه حالة خارجة عن حد القانون وعمر عدة مجار وبلاليع فى المدينة وتمم بناء هيكل جوبتير على جبل قابيطولين وبنى مقاعد من الحجر فى الملعب الاكبر للخيول وعقد معاهدة ودية وتجارية مع قرطاجنه وأضاف مواد عظيمة الى النظام والقانون الا ان ظلمه وجوره كان يأخذ فى الزيادة سنة بعد سنة ولما ارتاب من الاشراف اتهم كثيرا منهم فى شبهات وحاكمهم عليها بنفسه وحكم على بعضهم بالموت وبعضهم بالنفى من دون مراعاة حقوق مجلس الاستئناف وأخيرا آلت أحواله وأموره الى الاشكال والارتباك بفضيحة حصلت من ابنه صكطوس مع امرأة من الاشراف اسمها لوقريطيه فاستغاثت أهل لوقريطيه بالامة فى أخذ ثارها فهاجت ثورة عامة تسبب منها ابطال الملوكية والغاؤها بالكلية وهرب طاركين من المدينة ونفى هو وجميع أقاربه من الممالك الرومانية فى سنة ٥٠٨ قبل الميلاد وشك بعض متأخرى المؤرخين فى انتساب الظلم والجور الى طاركين الذى ذكره مؤرخو الرومانيين فى حقه الا أن ممن قال وهو الصحيح ان الرومانيين بعد هذا تعاهدوا وتحالفوا لانفسهم ولذراريهم بانهم لا يقبلون من الآن فصاعدا اسم ملك وصار هذا الاسم مبغوضا ملعونا فى رومة أبد الدهر حتى ان يوليوس قيصر فى القرون الاخيرة لم يتجاسر أن يلقب نفسه بلقب ملك مع انه عرض عليه هذا الاسم ثلاث مرار وكذا أوغسطس لما تشكل المملكة اضطر على الحيادة عن هذا اللقب الذى كانت تسمى به الملوك خشية من استحياء اسم الملك ثانيا ومع هذا فكان الملك من الاصل منوطا بوظيفة تقريب القربان فاستمر هذا الاسم فى هذه الوظيفة لاغير ومن بعد أن كان اسم ملك فى الدولة الرومانية أول درجاتها ومناصبها صار أوطأ وأدنى درجة من درجة أى نائب من نواب المملكة

وهذا جدول الملوك الذين تسلطنوا فى رومة ومدة سلطنة كل واحد منهم

سنة	ملوك رومه	
٣٧	رومولوس	ثلاثمائة وأربع وأربعون سنة
١	فترة من بعد رومولوس	
٤٣	نومه بومبيليوس	
٣٢	طوليوس هوسطيليوس	
٢٤	انكوس مرسيوس	
٣٨	طاركينوس البكرى	
٤٤	صرفيوس طوليوس	
٢٥	طاركينيوس صوبربوس	

﴿ الباب الثاني ﴾

﴿ من تشييد الجمهورية الى الحرب مع القي أو القنطيانيين ﴾

القناصل الاولية ـ مبادي دخول النظامات الشورية ـ ضياع رومة نفوذها بواسطة تشييد الجمهورية ـ الحروب مع اللاتنيين والعطروسكانيين ـ غدر الاشراف ـ تعديهم على عوام الامة ـ سجن المديونين ـ انفصال العوام ـ توطنهم في جبل صاسير اى الجبل المقدس ـ الاذعان لهم ـ عودهم الى رومة ـ صيرورة صبوريوس كاسيوس قنصلا ـ القانون الاول لتقسيم الاراضي ـ ابطاله بواسطة الاشراف ـ اخراج العوام من القنصلية ـ أخذ العوام ثارهم ـ الحزب الفابي ـ قتل غنوثيوس ـ انتخاب فوليرو بوبليليوس قنصلا ـ القانون البوبليلياني ـ الحروب مع العوسكانيين والعطروسكانيين ـ حرب العوام من أجل حقوقهم ـ سنسناطوس ـ صيرورته مطلق التصرف وهزيمته العيقليانيين ـ النواب الاول ـ قوانين الاثني عشر طرابيزه ـ ابيوس كلوديوس ـ قبضه على فيرجينيا فينة رومانية ـ ذبحها بواسطة أبيها ـ ثورة الرومانيين ـ سقوط ابيوس كليوديوس ـ انفصال العوام ثانية ـ ابطال النواب ـ عود العوام الى رومة ـ اجراآت اصلاحية ـ هزيمة الصابنيين ـ عمل الامة موكب القناصل رغما عن عناد مجلس السناتو ـ عود سياسة الاشراف من بعد مدة قصيرة ـ انفصال ثالث للعوام ـ الانقياد لهم ـ عودهم ـ توظيف حكام ومفتشين عسكرية ـ تسجيل النفوس

ومن بعد أن صار طرد الطاركينيين من رومة شرع قواد الثورة وزعماؤها في رمي أساس الجمهورية الرومانية وانهم ما أعادوا قوانين صرفيوس فقط بل أضافوا اليها اضافات عظيمة وانتخبوا قنصلين لوسيوس بروطوس وكان رأس الثورة وطارقينيوس قولاطينوس روج لوقريطية بحرية أصوات الطوائف على نص قوانين صرفيوس فكان قولاطينوس نائب طائفة الاشراف وبروطوس نائب طائفة العوام وصار اعادة مجلس السناتو وكان صار ابطاله بواسطة طاركين مع عدد بلغ ٣٠٠ نفس من بعد أن أضافوا اليه نحو من ١٦٤ عضو المدة حياتهم صار انتخابهم من أغنياء فرقة الخيالة وكان الكثير منهم من العوام وكان طاركين ألغى ما لمجلس الاستئناف من الحقوق فصار احياؤها وعمت جميع الاحرار من الامة فتولد من هذه التنظيمات نقص في شوكة المساواة والمعادلة بين الطوائف المختلفة في المملكة وكان الاشراف على غير رضا عنها وكانت كراهتهم لطاركين وخوفهم منه ألزمهم وأحوجهم الى الملاءمة مع العوام والميل معهم لاجل توطيد مساعدة شوكتهم وقت الثورة عليه ومن ثم حصل منهم الانقياد الكلي للعوام بحيث يمكنهم أن يدعوهم عندما تسنح لهم الفرصة في القيام على طاركين وتسبب من النتيجة التي حصلت لرومة من انتقال الحالة من الملوكية الى الجمهورية أو الشورية ضياع شهرتها وسطوتها في اللاطيوم وشغلت الاعمال الداخلية في رومة أفكار كافة أهلها مدة طويلة ولم تجعل لهم وقتا يتداركون فيه توطيد سيادتهم وتقوية شوكتهم ومن ثم سقطت رومة من أعلى الاوج الى أسفل الحضيض بين مواقع أمم ايطاليا الوسطى ونكث اللاتنيون تبعتهم لرومة وهاج العطروسكانيون حربا عليها ومن المحتمل أن لارس بورصينه ملك عطروسكانيه أخضع رومة في وقتها الى سلطته وطاعته عدة من السنين ومع أن الرومانيين رموا اناف العطروسكانيين وراء ظهورهم

الا أن الاراضى الرومانية التى كانت واقعة فى غرب نهر الطيبر ضاعت منهم وخرب القبائل والعشائر اللاتينية والصابنية والعوسكانية الاراضى الاخرى الرومانية من دون أن يجدوا أمامهم من يصدهم وكنسوا المحصورات والمحصولات وهدموا بيوت الزراعة وساقوا المواشى والانعام فتولد من هذه الخسارات الفقر الاكبر والموت الاحمر بين الرومانيين واشتد الضيق والعناء بالطبع على الفقراء خصوصا وكانت قطعتهم الارضية الصغيرة مقصورة فيما كانوا يملكونه مساعدة لهم فى المعنى على معايشهم واقامة أحوالهم الدنيوية

وقد ذكرنا أن اذعان طائفة الاشراف الى طوائف العوام فى وقت تشييد الجمهورية كان من أجل عودهم الى محلهم فى رومة عند أول فرصة تسنح لهم وسنظهر استعطاف الاشراف وميلهم الى العوام فى الحوادث الواجب ذكرها من الآن فصاعدا وذلك أنه تولد من ضياع الاراضى الموجودة فى الجهة الغربية من نهر الطيبر والخراب الذى عم من الامم المجاورة فى الاراضى الرومانية من بعد اقامة وتشييد الجمهورية فقر عام وضنك كبير وكذا فى هذا الوقت صار زيادة الضرائب المضروبة على الارض على انه لم يجر جبايتها على حسب التعديل الذى صار اجراؤه فى الابتداء وعلى حسب قلة الموجود والضنك المتسلطن فى هذا الوقت بل طلبت الحكومة خلاف هذا أن تجرى جباية الاموال لمدة خمس سنوات من دون حصول أدنى تأخير فالتزم طوائف الفقراء لاجل مداركة احتياجاتهم بحسب الضرورة أن يقترضوا النقود بسعر ربح باهظ من الاغنياء وبعد هذا الاقتراض صارت الطائفة المديونة لاطاقة لها على سداد ما عليها من الديون فانتهز الاشراف لانفسهم الفرصة فى أن يقيموا عليهم أحكام القوانين الشديدة المخصوصة بالديون لاجل زيادة شوكتهم عليهم وانحطاط شوكة العوام وكان القانون الرومانى يرخص للدائن بالتصرف المطلق فى مديونه فكان يمكن لاى دائن أن يستخدم مديونه فى أشغال نفسه أو يبيعه مثل الرقيق حتى كان يمكنه أيضا قتله وباع كثير من الناس أنفسهم مثل الرقيق من أجل سداد ما عليهم من الديون وصارت ذراريهم من بعدهم بهذه الحالة أرقاء وأما الذين لم يقبلوا بيع أنفسهم وليس لهم طاقة على سداد ما عليهم من الديون فان دائنيهم ضبطوهم وسجنوهم وعذبوهم حتى يخرجوا من حريتهم الى رقهم وكان لكل واحد من الاشراف قصر وله فيه سجن محبوس فيه أرقاؤه واتفق فى هذه المدة طلب جمع العساكر فلم يقبل العوام درج أسمائهم للدخول فى العسكرية حتى يصير الافراج عن المسجونين فى حبوس الاشراف من أجل الديون فهالذ خضع الاشراف وسلموا فى ذلك الا أنه لم يمض كثير على هذا الضرر الاول الاجراآت الوحشية ظهرت ثانيا فى الميدان على الطوائف المديونة فقطع العوام اليأس من معاشرة الاشراف فى سنة ٤٩٤ قبل الميلاد وتركوا رومة فى جموعهم واحتلوا جبلا فى الجهة المقابلة لنهر الطيبر يعرف فى الازمان الاخيرة باسم جبل صاسير أى الجبل المقدس ووجهوا عزمهم على بناء مدينة مخصوصة بهم يمكنهم أن يعيشوا فيها تحت قوانين وقواعد عادلة فظهر للاشراف بعد ذلك ما حصل منهم من الخطأ المبين ولما لم تسمح أنفسهم فى ضعف حالة رومة بواسطة انسحاب هذه الطائفة النافعة الكثيرة العدد والعدد منها دخلوا فى مخابرات مع أهلها ورخصوا لهم أن يكتبوا صورة الشروط التى بها يمكنهم عودهم الى المدينة والاقامة بها كما كانوا فكانت شروط العوام أولا ابطال الديون ومحوها عن كافة الاشخاص الذين لا طاقة لهم على سدادها من موجودات عقاراتهم ثانيا الافراج عن كافة المسجونين فى الحبوس من أجل الديون ثالثا توظيف حكام

ومفتشين من العوام ينتخبون فى كل سنة بواسطة مجمع حافل يكونون طاهرين من كل شائبة ويصير اعتمادهم فى الحكومة والاحكام بأنهم نواب الامة وأن تكون أشغالهم الواجبة عليهم من أجل المحافظة على حقوق العوام عموما وعند وصول مظالمهم لايديهم فتعين فى مبادى الامر اثنان لمثل هذه الحالة ثم وصل العدد الى خمسة وأخيرا وصل الى عشرة وكذا تعين من عدول العوام اثنان لمناظرة الشوارع والمبانى والاسواق واستتباب الامن والراحة والنظام فى المدينة وكانا يناظران أيضا الالعاب العمومية والمواسم والاعياد السنوية ويقضيان فى القضايا الصغيرة ومن بعد مضى مدة صار هذان محافظين ومراقبين على تنفيذ الاوامر الصادرة من السناتو وكان قبل ذلك اجراء هذه الاوامر غير مأمون وغير معمول به تحت يد الاشراف ولما استحوذ العوام على هذه الحقوق العظيمة للامة من هذه الحادثة عادوا الى محلاتهم القديمة فى رومة وفى سنة ٤٨٥ قبل الميلاد قدم القنصل صبوريوس كاسيوس لائحة تتضمن تقسيم بعض الاراضى الشائعة بين العوام وسيلة لمنع العناء والضيق عنهم فى المستقبل وذكر أيضا فى هذه اللائحة انه عندما يصير استخدام عوام الامة فى العسكرية يدفع لهم مرتبات من أجل خدمتهم تؤخذ من عشور المحصول الجارى جبايته بواسطة الحكومة من حساب الاراضى المستأجرة من طرف الحكومة للاشراف فعارضه فى ذلك القنصل الآخر واتهم كاسيوس بانه جار فى البحث عن اكتساب محبة العوام له كى يكون ملكا على المملكة على أن اجراآت القانون الاول وهو قانون تقسيم الاراضى كان صار التصديق على العمل بمقتضاه فلما عزل كاسيوس من الوظيفة بعد انتهاء سنته قويت شوكة الاشراف جدا حتى أصدروا حكما بقتله بصفة أنه رجل خائن بلاده وكانت جريمة كاسيوس الحقيقية هى كرم التفاته للفقراء والمحافظة على حقوقهم من خرابيش الاشراف وأنيابها

وفى هذه الحالة كشف الاشراف برقع الجسارة عن سياستهم وأخرجوا العوام من خدامة القنصلية وأبقوا الانفسهم حقا فى انتخاب هؤلاء الحكام من أنفسهم وطلبوا من العوام فقط التصديق عليه ورفض القناصل الذين صار انتخابهم بهذه الحالة قبول العمل على حسب قانون تقسيم الاراضى فما كان من الامة الا أنهم رفضوا أيضا الدخول فى العسكرية وخدمتها ودافعهم حكامهم فعقد القناصل مجالسهم خارج المدينة وما كان فيه لحكام العوام وجود وقرروا أوامرهم بضبط أراضى وعقارات الذين رفضوا الدخول فى العسكرية فالتزم العوام بهذه الحالة على الدخول فى الجيش لاجل خلاص أملاكهم التى وقعت عن غير رغبة حكامهم ومع أنهم ما راوا فى عدم اجبارهم دخولهم فى الجيش الا أنهم أخذوا بثارهم وعدوا الاشراف من أشد أعدائهم وضايقوا عليهم حتى هزمهم القنطابيون

ثم استمر فابى نقيب حزب الاشراف قابضا على زمام القنصلية مدة ست سنوات وفى سنة ٤٧٩ قبل الميلاد لما صار كاسو فابيوس قنصلا طلب اجراء العمل على حسب قانون تقسيم الاراضى الذى كان قرره كاسيوس وكان مضمرا فى ذلك أنه ان حصل عدم العدل مع عوام الامة ربما يتولد من ذلك اضطرابات وقلاقل تعود آفاتها على المملكة فما قبل الاشراف طلبه مع الانفة والكبرياء فترك فابى رومة مع جماعة بسبب ما حصل عندهم من الغضب وشيدوا لهم مستعمرة صغيرة فى عطروريه ومن بعد مضى سنتين سار القنطابيون على مستعمرتهم وقتلوا من بها من الرجال وخربوها وما زال القناصل

مصريين وممنوعين من اجراء الاعمال على حسب قانون تقسيم الاراضى حتى تعرض لهم فى ذلك
الحاكم غنوسيوس فى سنة ٤٧٣ قبل الميلاد فارتعد الاشراف مما حل بهم من البلاء الذى هددهم
به غنوسيوس فأمروا بقتله فى الليلة التى قبل الليلة التى سيجرى الشروع فى صبحها فى فحص هذه المسئلة
المتعلقة بالتقسيم فتسبب من ذلك اشتداد غضب العوام ولما صدر أمر القناصل بجمع عساكر جديدة
رفض فوليرو بليليوس وكان رئيس فرقة الدخول فى ضمن العسكرية واستغاث بحكام العوام فى
المدافعة عن حقوقه فخاف الحكام من عاقبة ما حصل لغنوسيوس وترددوا فى أمرهم فدعا فوليرو الامة
لمساعدته وأثبت حقوقه لديهم فهاجت ثورة كانت سببا فى طرد القناصل وتوابعهم من الفورم وفى
السنة التالية أى فى سنة ٤٧١ قبل الميلاد صار انتخاب فوليرو قنصلا ولحد هذا الوقت كان جاريا
انتخاب القناصل بواسطة عموم الامة فى جمعيات حافلة وكان للاشراف قدرة على انتخاب من يختارونه
لانفسهم بكثرة أصوات أتباعهم أو عود من يحبون عوده الى الحكومة القنصلية فعرض فوليرو لائحة
قانون ترخص للامة انتخاب نوابهم وطلب فى هذه اللائحة أن يكون انتخاب الحكام بواسطة العوام لاغير
وقت اجتماع الشعوب فى ميدان الفوريم فعرفت هذه اللائحة بلائحة قانون بو بليليوس فكان ذلك
فائدة عظيمة فيما يختص بأمور الامة الا أنه صار رفضها من طرف طائفة الاشراف تحت رياسة أبيوس
كاوديوس مع غاية الشدة والغضب والكبرياء وكان كاوديوس أحد القناصل وهاجت الفتن
والارتباكات حتى أشرفت رومة على الوقوع فى حرب داخلى

وبينما كان الطائفتان فى شقاق ونزاع بينهم من أجل الشوكة والنفوذ فى داخل المدينة اذ هاج الحرب
على رومة من طرف الفولسيين والعيكيين وهما أمتان عسكريتان استحوذا على قسم عظيم من
اللاتيوم واقتحموا فى زحفهم حتى صاروا على مسافة قليلة من رومة نفسها وفى عين هذا الوقت كان
القبى أو القنطانيين وهم أمة عطروسكانية زحفوا الى الجهة المقابلة من الطيبر وأزعجوا جبل
جانيكولوم فالتجأ أهل السواد على الهرب أمام هذه الغارات والتجأوا فى داخل أسوار رومة فنشأ من
كثرة هذا الزحام طاعون أو وباء أضيف عناؤه ومضايقاته الى المضايقات الحاصلة من الحرب فقام الغضب
والزعل فى رؤس وجوه بعض أهل المدينة وكانوا أقوى وأشد من حزب الاشراف فأخرجوهم من رومة
فافتكر الاشراف فى أنفسهم ما انهم يكونون فى اتحاد ثابت مع أعداء بلادهم حتى يهزموا العوام ويكسروا
شوكة طائفتهم ثم انفجر الطاعون مرة ثانية فى رومة وكنس من أهل المدينة الجم الغفير وفى هذا الوقت
مد العيكيون والفولسيون تدميراتهم وخرابهم الى حد أسوار المدينة وحصل القحط والغلاء الشديد فى
داخل المدينة وكل هذه الاحوال كانت واقعة عندما كان الاشراف متشددين ومكدين فى عدم نقص
ماهم فيه من الكبرياء والشوكة والنفوذ وكان العوام مراقبين انتهاز الفرصة بشدة فى اثبات حقوقهم
ووضعهم تحت قواعد ثابتة فتولد من هذه الارتباكات الداخلية أن ضعفت رومة ضعفا زائدا حتى صار
لا طاقة لها على أن تقف لحظة واحدة مقاومة لغارة تحصل عليها من أى عدو من أعدائها فكانت هذه
الحالة مستوجبة طلب الاصلاح جديد ووجود نظامات قوية فعرض الحاكم طرنطيليوس عرضه فى
سنة ٤٦٢ قبل الميلاد فى طلب عقد مجلس مركب من خمسة من الاشراف وخمسة من العوام نواب
عن طوائفهم يباشرون بتنقيح القوانين الموجودة ويحددون فيها للقناصل حكومة وسلطة تحت حد
ويسنون نظاما شافيا جامعا للعدل والانصاف بين كل من طائفتى الاشراف والعوام مقابل الاشراف

هذا الطلب بعدم القبول مع الشدة والغضب وامتدت هذه الحالة فى اشكال المدة عشر سنوات أشرفت فيها رومة على الدمار والخراب الكلى وكذا أشرفت عدة مرات على أن تقع فى أيدى الفولصيين فاجتمع ذات يوم فرقة من الرقيق تحت يد رجل صابينى اسمه ابيوش هردونيوس وضبطوا العاصمة وطلبوا عود المنفيين من أهل المدينة فطردهؤلاء من سراى العاصمة أهل المدينة وأعادوها كما كانت لاصلها

وكان من ضمن أعظم الوجوه المطرودين من رومة كاسوكنكطيوس بن لوسيوس كنكطيوس وكان أبوه يلقب سنسناطوس (أبوجدائل) لانه كان يضفر شعره جدائل وذوائب طويلة وكان صار طرد كاسو بسبب ما كان عليه من شدة تمرده على الحكومة والصحيح أنه قتل فى الحرب عند العاصمة وكان قتل فى هذا الحرب أيضا القنصل الذى دبر حرب الهاجمين فصار انتخاب سنسناطوس خليفة من بعد هذا القنصل فلاجل أخذه بثار ابنه أعلن أنه لا يجب العمل مطلقا بموجب قانون طرنطيلوس مادام موجودا فى نفس هذه الوظيفة وانه يرغب أن يبذل مجهوده فى منع التئام المجلس المخصوص لعمل هذا القانون ولما رأى مجلس السناتو وأهل القوة من الاشراف أن اجراآت سلطة القنصل بهذه الحالة ربما يتولد منها زيادة نفرة العوام نفروا منه وتباعدوا عنه ولما انتهت سنة سنسناطوس أو أبوجدائل عاد الى زراعة أطيانه وكان يزرعها بنفسه وان كان من الاشراف ثم من بعد مضى سنتين المضايق العيكيون رومة أشد المضايقة فى سنة ٤٥٨ قبل الميلاد أرسل السناتو فى طلب أبوجدائل لاجل الشروع فى هزيمة العدو وبواسطة ما يلزم له من الاستعدادات فوجده الرسل راكبا على محراثه فوصلوا اليه رسميا نتيجة لائحة مجلس السناتو بتوظيفه وتعيينه مدافعا عن رومة فقبل ما اعتمده المجلس فيه وأسرع الى رومة وحشد جيشا فى يوم واحد وسار فى المساء التالى الى نحو العيكيين فأوقع بهم شر هزيمة وعاد فى اليوم الثانى الى رومة متوجا بالنصر والظفر ونفذ أغراضه فى نفى من كان سببا فى نفى ابنه ثم سلم وظيفة الحماية وعاد الى زراعة أرضه

وتوقف الامر من أجل اجراء العمل على حسب قانون طرنطيلوس ست سنوات وفى سنة ٤٥٢ قبل الميلاد سلم الاشراف وأذعنوا لاجراء الاعمال على حسب هذا القانون وانتخبوا عشرة نواب جميعهم من الاشراف الأئمة كانوا معروفين بعفة النفس ومعتمدين عند طوائف الامة وعهد اليهم بكامل سلطة المملكة ونفوذ شوكتها وقتئذ وعرفوا هؤلاء باسم النواب الاول وفى أثناء المجادلة فى خصوص سن القوانين أرسل مبعوثين الى الجريس لممارسة القوانين والشرائع التى أجرت هذه المملكة العمل على موجبها فى أشغالها واجرا آتها فعاد هؤلاء ومعهم واحد من علماء الجريس اسمه هرمودروس من أهل مدينة أفسوس فساعد هذا العالم الجريقى النواب مساعدة جليلة فى أشغالهم وأعمالهم حتى جعلوا تعظيما له وتذكرة لاسمه مدة الدهر تمثالا فى الجمعية الرومانية وعرف القانون الذى سنه النواب باسم قانون الاثنى عشر طرابيزة وصار أعوذجا لكل قانون رومانى وأجريت الاعمال على موجبه عدة قرون متوالية وصار العامة جميع المصالح الموجودة فى المملكة وشيدت حكومة جديدة مركبة من أربعة عشر من النواب نصفهم من الاشراف ونصفهم من العوام انحصرت فيهم شوكة المملكة وتنفيذ قوانينها وكانوا ينتخبون بمعرفة الطوائف وتصديق طائفة الاشراف وبقت مدة الوظيفة لمعاد سنة واحدة وكانت مواد القانون منشورة وعامة على كل ذى روح فى المملكة ومرضية عند عموم الطوائف

مطلب
قانون الاثنى عشر طرابيزه

والاحزاب واستمر الرومانيون عدة من القرون راضين بالعيشة متمتعين بالراحة تحت ظل أحكام هذه القوانين

ولما رأى الامة أن التغيير فى هيئة الحكومة جار بحالة غير مرضية ووجدوا أنهم رتبوا عشرة من القناصل بدل اثنين وألغوا الحماية التى كانوا متمتعين بها فى مبادى أمرهم بواسطة حكام منهم كما سبق ذكره أقام أبيوس كلوديوس أحد النواب المستخدمين سلطنته على أقرانه بالقوة والشهامة حتى آلت الحالة به أن صار سيد رومة جار فى حكمه وتعدى على الامة وألجأهم الى القيام عليه فى ثورة

مطلب ابيوس كلوديوس

وكان سبب هذا القيام أنه كان من ضمن التلامذة الذين كانوا يتوجهون الى المكتب يوميا فى مدرسة الفوروم قينة جميلة اسمها فيرجينيا كانت ذاهبة مع دايتها الى مدرسة الفوروم فرآها ابيوس كلوديوس وهى ماشية فى الطريق فشغف بحبها وصمم على الاستحواذ عليها فقبض عليها فى الفوروم وزعم انها جارية لاحد أتباعه وانها مولدة من امرأة كانت جارية فى بيته صار بيعها الى زوجة فيرجينيوس وما كان له ولد منها فرفض رفقاء فيرجينيا هذا الكذب الملفق واتحدوا مع بعضهم لاجل خلاصها مع جم غفير من الناس فأجبر حواشى القنصل على اخلاء سبيلها وجلب رفقاؤها شهودا على براءة ساحتها من الرق امام المحكمة القنصلية فى اليوم الثانى وأثبتوا أنها ابنة فيرجينيوس وكان أبوها مشهورا ورئيسا فى فرق العسكرية وكان غائبا مع الجيش أمام طوسقولوم فأخبروه بهذه الحكاية وما وقع لابنته وطلبوه للحضور وفى الحال فركب حصانه طول الليل حتى وصل رومة فى وقت الصباح وتوجه الفوروم مع ابنته ورفقائها فى شدة ما كان عند أبيوس من الغضب والعشق قال يلزم مراعاة القينة رقيقة حتى تثبت حريتها على أن القانون الموجود الذى حرره بنفسه وجرى العمل به يقضى على انه لا يجب الحكم على أحد بالرق حتى يفحص عن رقه ويثبت فلما رأى فيرجينيوس أن القانون يحكم عليه باقامة الدلائل والبراهين وعرف بعين اليقين أنه رغما أن هذا الظالم يأخذ ابنته منه رغم أنفه بصفة رقيق أخذها فى ناحية من الناس بصورة الكلام معها وخطف سكينة جزار من أحد الواقفين فى الفوروم وغمزها بها فى قلبها فوقعت قتيلة ثم قال يا بنتى بهذا الى طاقة على حفظ حريتك فقط ثم دور وجهه نحو أبيوس وقال له هذا الدم البرىء ملعون على رأسك فأمر القنصل بالقبض عليه فى الحال فلم يلتفت أحد لقوله ولم ينقدم له كانسان وأسرع فيرجينيوس من الفوروم الى الجيش فى طوسقولوم فقام الجيش لاعانته ومساعدته وسار نحو رومة وقام أيضا اسيليوس وكانت فيرجينيا مخطوبة له بالجيش الآخر من نواحى فدنية فأما الجيش الموجود تحت قيادة فيرجينيوس فانه دخل رومة وسار من وسط شوارعها حتى وصل جبل آفنطين وطلب من الامة أن ينتخبوا لانفسهم عشرة حكام من أجل المدافعة عن حقوقهم وأما الجيش الذى تحت قيادة أسيليوس فانه أبطل النواب وكانوا معه وانتخب أيضا عشرة حكام وسار نحو رومة وانضم الجيشان الى بعضهما وانتخب العشرون حاكما اثنين من أنفسهم لشغل الباقين ورتبوا محافظة قوية فى افنطين ثم ان جميع العوام اصطحبوا بالجيش وتركوا المدينة واحتلوا الجبل المقدس وشرعوا فى بناء مدينة لهم جديدة

ولحد هذا الوقت ما كان للسناتو طاقة على رفض أى أمر أو أى عمل يصدر من طرف النواب فتولد من انفصال العوام عنهم الالزام بالمعارضة ورفض ما لا يوافق اجراؤه ثم انقسمت رومة الى قسمين وبهذه القسمة صار لا أسل للاغراب فى مقاومة أعدائها الذين يحبون الهجوم عليها فادعى السناتو والعوام

ورضى العوام بالعود الى رومة على شرط ابطال النواب وكان ذلك فى سنة ٤٤٩ قبل الميلاد وصار عزل ابيوس كلوديوس ورفقائه ووضع مع واحد من رفقائه فى السجن حتى ماتا فيه وهرب الباقون من رومة وضبطت الحكومة أملاكهم وجاء من بعد النواب حكومة مؤلفة من قنصلين صار انتخابهما بواسطة طوائف الامة بحرية الاصوات وعادت حكام العوام كما كانت قبل تشكيل النواب وزاد عددهم الى عشرة وأعطى للامة حقوق الاستئناف فى مجلس العدالة وقت توقيع أى الاحكام من القناصل وصار العدول محافظين على الاوامر التى تصدر من السناتو واطلاع المجلس على حقائق ودقائق الاعمال خشية الوقوع فى أكاذيب النواب وصار من المسنونات المعدودة أن يكون للحكام الحق فى سن القوانين الابتدائية بالمداولة مع العشائر والشعوب فى الاحوال العامة المهمة

وكان أول قنصلين صار انتخابهما لهذا العمل الخطير هما فاليريوس وهوراطيوس وكانا من الاشراف حائزين وثوق العوام واعتمادهم فى أعمالهم فكان أول عمل واجب عليهما هو قيادة الجيوش وسوقها على الصابنيين وكانوا قووا أنفسهم بما هو حاصل من الاختلالات والارتباكات فى داخل رومة وأغاروا على الاراضى الرومانية فأوقع بهم القنصلان هزيمة حاطمة حتى ان الصابنيين صار لا طاقة لهم بعدها على تجديد أى سعى ضد رومة مدة قرن ونصف ولما عاد القنصلان الى رومة استنكف مجلس السناتو أن يعمل لهما الموكب المرتب لدخولهما حال عودهما من الحرب مظفرين لانه من شدته وقوته وميله لحزب الاشراف رفض قبول كل منحة من الشرف والاكرام تعطى لمحبى الامة فمن أجل هذا اجتمع الامة فى ناديهم وأقاموا موكبا للقنصلين رغما عما أجراه مجلس السناتو من عدم القبول وما كان عليه من العناد فأجبر مجلس السناتو على أن يذعن ويسلم فى اجراء المهمات المقبولة عند الامة فى المقاصد الخيرية

ثم عادت شوكة الاشراف ثانيا وعارضوا اجراء القوانين الجديدة مع الحدة والشدة حتى ان العوام انسحبوا من المدينة واستوطنوا فى هذه الدفعة جبل جانيكولوم من بعد أن عبروا الطيبر فى سنة ٤٤٤ قبل الميلاد فحصل التوافق والرضا ثانيا وعادوا الى المدينة وصدرت لائحة ترخص بالزواج الشرعى بين الاشراف والعوام وقرروا فيها أن الاطفال المولودين من هذا الزواج يتبعون درجة آبائهم فى الشرف ويكون لهم الحق فى وراثتهم ومع هذا كانت أشغال القناصل مسدودة فى وجوه العوام وانقسمت شوكتهم وشرفهم فى خمسة أشخاص غير متعادلين فى الدرجة اثنان منهم مفتشان والثلاثة الاخر حكام عسكرية وقال بعض ان عدد هؤلاء الحكام كانوا ثمانية اثنان مفتشان والستة حكام عسكرية وصار انتخاب هؤلاء الحكام بصوت حر من الشعوب الا أن المفتشين صار انتخابهما من طائفة الاشراف والحكام العسكرية من الطائفة الاخرى وربح الاشراف انتخاب الحكام لمدة ست سنوات وفى أثناء هذا يكون انتخاب المفتشين بطريقة نظامية وأول انتخاب حصل الشروع فيه كان انتخاب الحكام فى سنة ٤٣٨ قبل الميلاد وشق على كثير من الامة توطيد انتخابها فى مدة الثلاث سنوات المتوالية وكانت علة الاشراف أن أوقات الانتخاب غير موافقة وفى سنة ٤٣٣ قبل الميلاد لما صار أميليوس محافظا أمر بصدور لائحة قانون يحدد فيها مدة المفتشين ثمانية عشر شهرا وكانوا يوظفون مرة واحدة فى كل خمس سنوات فمن ثم صارت هذه الوظيفة خالية مدة القسم الاعظم من هذه المدة وكان للمفتشين سلطة كبيرة جدا فأمروا أن يكون تعداد نفوس التبعة مرة فى كل خمس سنوات من بعد توظيف الحكام مباشرة فى

المصلحة وكان يعقب حصول التسجيل أو تعداد الانفس عيد كبير يسمى عيد الطهارة ومن ثم كان يطلق على مدة المجلس سنوات المحصورة بين كل تعدادين اسم مدة الطهارة وكان للمفتشين حكم وقدرة على أن يمحوا من الدفاتر من يختارونه من التبعة وكانت شوكتهم منتظمة حسبما هم فيه من تأدية الواجبات المفروضة عليهم فكانوا يشطبون من الدفاتر أسماء قضاة السلوك وكان لهم الحق في أن يضيفوا من كان مستحقا للشرف والذكر الجميل وكانوا هم قضاة وشهودا في القضايا التي كانت تعرض عليهم وكانوا يعاقبون التابع الذي يقع منه الظلم والجور في حق عائلته و يجردونه من سعادته وكذا الذين يعاملون رقيقهم باسوء المعاملات فكانوا يجردونه من درجة شرفه وكانت هذه معادلة للتجريد من السعادة في حالة ما اذا كان الجاني مدنيا ومن هنا يظهر أن أحكامهم كانت مع العدل والمقاصد الخيرية وتولد من غيرتهم وكراهة الناس فيهم ارتباك عظيم فيما بعد والله أعلم

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ من ابتداء الحرب مع الفي الى طرد البيرهوس من ايطاليا ﴾

مبادى الحرب مع مدينة الفي أوفي ـ فتح كاميلوس مدينة في ـ نفور الرومانيين وتضجرهم ـ اغارات الغليين في داخل ايطاليا ـ فتح رومة وخرابها ـ حصار الكابيتول ـ خلاص رومة بواسطة اوزة ـ فداء المدينة ـ انجلاء العاصين ـ ظفر كاميلوس ـ اعادة عمارة رومة ـ غلط الرومانيين ـ الشروط الصعبة التي صدرت من الحكومة ـ عناء الامة ومضايقاتها ـ القوانين الليسينيانيه ـ اغارة الغليين ثانيا وهزيمتهم بواسطة كاميلوس ـ الحرب الاول السامنيتي ـ سير الجيش نحو رومة وعرضه طلبات تختص بالعوام ـ اذعان الحكومة ـ التغلب على اللاتينيين ـ الحرب الثاني السامنيتي ـ هزيمة الرومانيين عند درب كودين ـ مصائب رومة ـ كشف هذه المصائب ـ التغلب على السامنيتيين ـ سيادة رومة في ايطاليا وشوكتها ـ اتحاد اللاتينيين ـ خضوع العيك ـ الحرب الثالث السامنيتي ـ ذبح القنصل دصيوص فداء عن بلاده ـ التغلب الاخير على السامنيتيين والصابنيين ـ بلايا عوام الامة في رومة ـ عرض كوريوس دنطاطوس قانونا ثانيا لتقسيم الاراضي ـ الانفصال الرابع للعوام ـ اذعان طائفة الاشراف ـ القوانين الهورطانسيانيه ـ الحرب مع الطرنطونيين ـ ظهور بيرهوس في ايطاليا ـ الحرب الاول بين الرومانيين والجريق ـ ايجاد الطرنطونيين لياقة السيادة في بيرهوس ـ مظفراته الاولية ـ خيبته في خضوع الرومانيين واللاتينيين في الانضمام معه ـ عدم قبول رومة عقد معاهدة معه ـ وقائع حربية ـ ضعف بيرهوس ووهنه ـ توجهه الى صقلية ـ نجاحه فيها ـ عوده الى ايطاليا ـ مصائبه ـ تركه ايطاليا وعوده الى الجريس ـ تغلب الرومانيين على ايطاليا الجنوبية ـ عمارها بمستعمرات رومانية ـ الطرق والسكك الرومانية ـ السكة الابيانية ـ طريقة العمار الروماني ـ قبول العوام تعادل الاحكام في رومة

وفي سنة ٤٠٥ قبل الميلاد هاجت رومة حربا على القنطيانيين وكانوا أضروا بها ضررا مؤلما في أثناء

مدة اختلالاتها الداخلية واستمرت هذه الحروب مدة عشر سنوات حتى انغلقت فى سنة ٣٩٢ قبل الميلاد بواسطة تغلب كاميلوس الحاكم من بعد مجاهدات شديدة على مدينة فى وكانت هذه المدينة على مسافة عشرة أميال مستقيمة من رومة وما كانت أقل منها فى البناء والهيئة وكانت مستحوذة على أراض واسعة خصبة جيدة لحصول بعضها جبلية وبعضها سهلة وهواؤها نقى صاف على جودة من الاعتدال فى الصحة وأراضيها خالية من المستنقعات والمناقع التى يحدث منها ثقل هواء الطقس وما كان يجاورها نهر يجعل هواء صباحها فاسدا وهى مع هذا غزيرة المياه النابعة من عيون طبيعية جيدة للشرب وكانت محفوظة باسوار قوية ينيف دائرها عن خمسة أميال فكان التغلب على هذه المدينة من أصعب المشروعات التى أجرتها رومة التى لم يسبق لها مثلها ومن بعد التغلب عليها استمرت العداوة بين الرومانيين والفنطيانيين جارية حتى تولد منها استمرار الجيش فى ميدان المحاربة المدة الباقية من سنة التغلب ثم تولد من استمرار العساكر فى الخدمة العسكرية تجنيد جيش ثابت صارت له أهمية جليلة فى المملكة الرومانية ولاجل راحة الامة مما هى فيه من النفور والضجر أذعن لها مجلس السناتو اذعانا قويا وكان من ضمن هذا الاذعان زيادة عدد الحكام العسكرية بقدر الضعف ثم زالت هذه المشاحنات بغتة بعصبية جديدة هاجت على رومة وذلك أن شعوب الغليين وكانوا ابتدؤا فى الهجوم على جبال الالب فى نحو سنة ٤٠٠ قبل الميلاد وتغلبوا على ايطاليا الشمالية وعلى القسم الاعظم من عطرورية ثم زحفوا فى داخل وادى نهر الطيبر فى عدد عظيم لا يغلب وهزموا كامل القوة المجندة من طرف رومة على شواطئ نهر اليا ثم زحفوا على المدينة فالتجأ الجم الغفير من الاهالى والسكان والهاربين من الجيش المهزوم فى مدينة فى وأما القسس والعذارى القديسات فانهم هربوا الى مدينة كورية فى عطرورية وهرب وجوه الاشراف وكبراؤهم فى العاصمة عازمين على الاحتماء بها والمدافعة عنها الى آخر حياتهم ودخل الغليون المدينة فوجدوها خالية من أهلها وسكانها ماعدا أعضاء مجلس السناتو فانهم بقوا ليكونوا قربانا لالهة جهنم من أجل سلامة بلادهم فذبحهم المتبربرون عن آخرهم وحرقوا المدينة وحاصروا العاصمة فاستمر هذا الحصار مدة ثمانية أشهر وفى نحو غلاق هذا الحصار اجتهد الغليون وعزموا على الهجوم على المحافظين ليلا ولما وصل أول رجل من طليعة الهجوم الى حرف الجبل المبنية عليه العاصمة ولم يره أحد لان الحرس كان على سنة من النوم من شدة التعب وألم الجوع لكنهم خلصوا من هذا الهجوم وسلموا منه وفاقوا الانقسام وكان سببه أن سرب الاوز المقدس المخصوص الى جونو جفل من مشى هذا الرجل وزعق رعيقا مهولا فاستيقظ من صراخ الاوز مركوس موليوس فاقتحم بنفسه الى الامام ودفع الرجل الاول الهاجم من فوق حرف الجرف وحفظ الجرف حتى وصل اليه رفقاؤه لمساعدته وصدوا الهجوم عن العاصمة ولما كان المحافظون على وشك الموت من الجوع وكذا كان الغليون مشتاقين الى السفر الى بلادهم لانهم خسروا كثيرا من رجالهم من افراطهم فى شرب المسكرات وتعرضهم للاهوية المضرة بالصحة وتزلزلت أقدامهم من ورود الاخبار التى جاءت اليهم بغارة الفنطيانيين على أملاكهم وبلادهم فى ايطاليا الشمالية عقد الغليون صلحا وفدى الرومانيون مدينتهم بان دفعوا للغليين قيمة ألف جنيه من الذهب وتقهقروا عنهم عائدين الى بلادهم فتعقبهم كاميلوس وكان أعيد للحكم ثانيا فقطع كثيرا منهم والظاهر أنه استرد قسما عظيما من الغنائم والاسلاب التى اغتنموها وحكى كثير من الحكوية أنه أبادهم جميعا وانتصر عليهم نصرة جليلة ومع هذا فحكاية هذا

الجيش الغليق حكاية ملفقة لانه لوفرض أن مثل هذه المصيبة وقعت عليهم الابادة شوكتهم بالكلية ومحت أثرهامن ايطاليا فالذى لاريب فيه أن رومة ماذاقت وحدها شدة هذا العناء والمصائب بل وقع كثيرمن المدائن مثلها فى أشد من هذا العناء بالنسبة لاحوال هالان الغليين لم يضروها على حدتها بل أضروا أولا العطر وسكانيين ومن ثم خلصت رومة من كل ضرر كان يحل بها من جهة عطرورية ثم نشر الغليون بعد هذا تخريباتهم وضررهم على بلاد الاومبريانيين والصابنيين واللاتينيين والعيكيين والفلصيانيين وأذاقوها شدة العناء والمضايقة مثل الذى ذاقته رومة ومن ثم ما كان أعداء الجمهورية على عزم ضعف وخراب رومة وحدها

ثم تسبب من النتيجة التى حصلت مباشرة لرومة من اغارة الغليين عليها انتشار نكبة ومحنة عامة وقعت فيها وصارت المدينة أطلالا وآكاما وكذا الاقاليم الريفية صارت فى حالة كئيبة يرثى لها فكان أول شئ وجب على الرومانيين اجراؤه عود بناء منازل المدينة وأما كنها ومساكن الفلاحة والزراعة ورخصت الحكومة من طرفها للاهالى فى أخذ الاخشاب اللازمة للعمارات وسقوف المبانى من أورمانتها وغاباتها وكذا أحجار البناء من محاجر قطع الاحجار التابعة للحكومة بغير ثمن أو عوائد وأصدرت أوامرها بأن كل انسان يلزم أن يتم عمارته ومحل سكنه فى ظرف سنة وأخذت من الاهالى رهونات وكفالات على ذلك العمل وما كان لكثير من الاهالى طاقة على اتمام بناء مسكنه فى المدة التى قررتها الحكومة فغرموا ما أوضعوه من الرهن للحكومة والتزم الفقراء على قرض نقود بأرباح مضرة بهم اقترضوها من الاغنياء ليدفعوا تكاليف ومصاريف البناء ويدفعوا العوائد الوافرة التى ضربتها عليهم الحكومة وأمرت بجبايتها قيمة مصاريف اعادة الاسوار والاستحكامات والهياكل والمعابد التى خربت وتدمرت فعاد الاغنياء ثانيا أرباب الحل والعقد والسيادة المطلقة على الفقراء والمساكين وصار عود القانون الشديد المختص بالدائنين والمديونين للعمل به مرة أخرى ويتولد من حصول السرعة التى شرعت الحكومة فى اجرائها من أجل مداركة توطيد وقيام المبانى وعود المدينة كما كانت حصول الارتباك العام الذى لا يمكن معه مد خطوط الشوارع الاصلية بما أنها مشحونة بكيمان الانقاض والرتش وما أخذت الحكومة الاحتياطات اللازمة ولا الاسعافات الواجبة فى نقلها الى جهات أخرى وبناء الاهالى مساكنهم ومنازلهم فى الجهات التى يمكنهم فيها البناء على أرضها وكانت خالية نوعا من الانقاض وكيمان الرتش أو التى سهل أخذ الانقاض منها وتنظيفها نوعا فمن ثم لما التصقت المساكن بعضها فى البناء لتشكيل الشوارع والحارات صارت الشوارع ضيقة ومعوجة مكسرة وفى أقبح منظر وركبت الابنية على خطوط المجارى والترو توارات والارصفة الاصلية القديمة وخلت المدينة من مجارى تصفية المياه واستمر فى المدينة عدم التنظيم حتى صار بناء رومة مرة أخرى من بعد الحريقة الكبرى التى حصلت فيها فى مدة سلطنة الامبراطور نيرو ثم حصلت بلية أخرى هددت المدينة وأرعبتها وهو الرغبة العمومية التى حصلت من الامة من أجل بقائهم فى مدينة فى بعا ان لهم الطاقة على المعيشة فيها خالصين من الظلم والجور الواقع عليهم من طائفة الاشراف فبواسطة ما كان لكاملبوس من السلطة والنفوذ منع هذا الانفصال الا أنه لم يزل كثير من الناس غير قابل للعود الى رومة حتى ان كثيرا من العطر وسكانيين سكنوا رومة بدلا منهم ومنحوا من الاراضى الرومانية وصار لهم حقوق المدنية

ولما أخذت مصائب الامة وآفاتها تأخذا كبير ابذل مركوس منليوس مجهوده في خلاص الامة من هذه المصائب ومن سوء حظه طمع في فعل ما يكون فيه المنفعة التي بها يحصل له التقدم فصار القبض عليه وصدر الحكم بقتله فرفضت الامة حكم القتل عن رجل كان سببا في خلاص العاصمة من أيدى الاعداء الا أنه فيما بعد حكم عليه بسبب ما ارتكبه من خيانات فعملها فرمى من فوق صخرة طاربى فهلك ثم ازدادت الآفات واشتد الكرب على العوام حتى تراءى أنه من البديهى لابد من حصول الخراب والدمار لرومة ان لم يتدارك هذا الكرب الشديد فعرض كل من ليصنيوس سطولو من أغنياء العوام و يتصل بالنسب مع حزب الاشراف وسكصطيون من العوام أيضا وكان توظف حاكما في سنة ٣٧٦ قبل الميلاد لائحة تتضمن خلاص الامة من هذا العناء العام ورغبا قبل كل شئ في مداواة الفقر العام ثم اصلاح الادارة والاحكام الغير المتعادلة الكائنة بصعوبة شديدة على طائفتهما وكانت صورة لائحتهما أولا ـ ان مبالغ الارباح الجسيمة التي صار دفعها من طرف المديونين يجب مراعاة دفعها من أصل مبلغ القرض ويلزم اسقاطها من المبالغ المطلوبة من المديون ثانيا ـ ان الباقى المطلوب من المديون اذا ما يجب دفعه على موجب تقاسيط تقسط عليه لميعاد مدة ثلاث سنوات ثالثا ـ لاجل الاحتراز من الوقوع في الفاقة ومضايقات الفقراء في الاحوال القابلة يلزم أن تعطى الاراضى الشائعة للعوام وأن تكون داخلة في ملكهم مطلقا وأن كل مالك أرض لا يملك زيادة عن ٥٠٠ يوجيره أى ٣٠٠ فدان و يلزم كل مالك أرض أن يستخدم في فلاحته شغالة من الاحرار بنسبة ما عنده من الاطيان وأما انتظام الادارة وحصول المساواة بين أفراد الامة فيجب فيها عود القنصلية على شرط أن يكون أحد القناصل كل سنة من طائفة العوام ولأجل توطيد الأمن للامة يجب زيادة عدد محافظى الكتب الصيبلية الى عشرة أشخاص خمسة منهم من العوام فرفض طائفة الاشراف قبول هذه اللائحة مع الشدة والغضب واستمرت الحالة على ما كانت عليه الى سنة ٣٦٧ قبل الميلاد حتى انه صار التصديق على هذه اللائحة رسميا من السناتو وجرى العمل بموجبها وكذا مجلس الكوريا طه فكان أول قنصل من طائفة العوام على مقتضى نص هذه اللائحة سكصطيوس وتوظف في هذا الوقت حاكمان جديدان وهما ريطور من حزب الاشراف وكورول عدبلى وتعشم أصدقاء الامة في أن حقوقهم صارت مأمونة العاقبة من دون ريب الا أن طائفة الاشراف صرفوا النظر عن هذه القوانين الليصنيدانية بطريقة غير شرعية واستمروا عشرين سنة ينتخبون الاشراف خاصة لاشغال القنصلية حتى انه في طرف أربع عشرة سنة من العشرين سنة كان من الاشراف أحد وعشرون قنصلا ومن طائفة العوام سبعة قناصل فقط ولما حصل عدم المساواة بين الطائفتين على حسب الاتفاق ورأى العوام ما حصل لهم من الغش الفاضح واستيقظ الاشراف على انه ربما يتولد من سبب خفيف انفجار زوبعة في المستقبل كانوا أعدوا ما استعدوا لها بسبب ما هو حاصل منهم من عدم العدل والانصاف وجرى الاحوال على غير مساواة فاجتهدوا في التباعد عن هذه البلايا بعد قد صلح مع كافة جيرانهم ودعتهم الضرورة لطلب الجيش في رومة الا أن مطامعهم كانت مستحكمة على عقولهم وحاكمة عليهم حتى أوقعتهم أخيرا في حرب مع السمنيتيين فانتهز العوام الفرصة التي كانوا يرقبونها من مدة طويلة

وفي غضون هذه المدة عزم الغليون على الاغارة مرة ثانية على ايطاليا الوسطى في سنة ٣٦٧ قبل الميلاد

فهزمهم كامياوس ومن بعد مضى بضع سنين عادوا ثانيا وعسكروا على مسافة خمسة أميال من المدينة لكنهم هدموا معسكرهم بسرعة على حين غفلة وساروا الى داخل كامبانية من دون أن يسوا رومة بسوء ولما عادوا من وسط اللاتينية هجم عليهم الرومانيون وشتتوهم وفى سنة ٣٥٠ قبل الميلاد انضموا الى الجريق قطاع سبل البحر على الساحل لاجل نهب البلاد وسلبها فهزمهم فوريوس كامياوس ابن الحاكم وشتتهم الى الجهات الشمالية وفى سنة ٣٤٦ قبل الميلاد عقدت معاهدة بين الرومانيين والغلين ومن بعد هذه المعاهدة ماحصل منهم اغارة على ايطاليا الوسطى مرة أخرى

وكان السامنيون من عهد من قبل طرد الطاركنيين من رومة قطنوا مثل متغلبين فى الاراضى الجبلية الواقعة بين السهول الابوليانية والكامبانية وهذه السهول محكومة بتلك الجبال وكان الكامبانيون فى درجة سامية من التمدن ورفاهية العيش ودخلوا فى العوائد والآداب الهلانيقية وذاقوا الشدائد والمصائب الكبيرة من أهل بلادهم الخشنين وهم السامنيون سكان الجبال فكانوا ينزلون دواما عليهم من مرتفعات وهضاب جبالهم ويخربون السهول الطريفة الخصبة من كامبانية فأرسل أهل كامبانية لرومة يطلبون منها المساعدة على السامنيين وقدموا لها أن يكونوا رعية وحلفاء لها لو منحتهم مطلوبهم وكانت رومة فى هذا الوقت على صلح من السامنيين الا أن ماعرضه الكامبانيون على الرومانيين غرهم على التردد فى نكث هذا الصلح وكذا كان السامنيون فى هذا الوقت فى شوكة كبيرة فى ايطاليا الجنوبية وما كان لهم عدو ألد الا الرومانيون فى هذه الجهة فرأى الرومانيون أنهم لو رفضوا المحالفة المقدمة لهم من الكامبانيين ربما يتولد منها تقوية لهم على الرومانيين وأن قبولها ربما يكون فيه وسعة لزيادة الاراضى الرومانية فعقدت رومة معاهدة مع كامبانية وأرسلت جيشين رومانيين الى تلك الجهة فى سنة ٣٤٣ قبل الميلاد وفى هذا الوقت أغار اللاتينيون محالفو رومة على مملكة بلغنيا وهددوا السامنيين وأزعجوهم من الجهة الشمالية لهم فمن هذا تولد الدء فى الحرب المسمى بالحرب الاول السامنى وحاز الرومانيون الظفر فى أعمالهم العسكرية وقضوا فصل الشتاء فى كامبانية فتولد من غيبة العساكر عن المملكة مضايقات شديدة لعائلاتهم وأهليهم وكانوا مارالوا تحت أحمال وأثقال ديون الفقر فتسلطن النفور والغضب فى الجيش وقامت الحمية فى رؤوس العساكر ثم زاد هذا النفور فى السنة التالية حتى صار عصيان عساكر العوام وعزموا على فصل مسئلة المنازعة الطويلة الجارية بينهم وبين طائفة الاشراف فاجتهد القاصل فى توزيع الجيش بالتدريج قبل حصول هذه الثورة وانفجار المصائب فرفض الجيش التوزيع وقام فى الثورة مرة واحدة وسار من معسكره قاصدا رومة وطالب رسميا مطاليب الامة نظرا لما هو حاصل عندها من الكرب والعناء الشديد فاسرعت الحكومة فى جمع من يقاوم هؤلاء العساكر العاصية ويصدها عن حركتها فلم يقبل من جمعه ضرب اخوانهم والتزم طائفة الاشراف بالانقياد لطلبات الامة ومن بعد محاورة طويلة عرض واحد من حكام العوام اسمه جنوصيوس عدة قوانين قبلها كل من الطائفتين وجعلت أساسا لاستتباب الراحة بينهما وأعيد النظام والقانون الليسينيانى فعلا وعملا ووقعت طائفة الاشراف بما كانت عليه من العتو والشوكة والجبروت بان صار انتخاب القنصلين على موجب نص مادة فى القانون من العوام دائما وأن لا يصير انتخابهم أبدا من الاشراف وسن فى هذا القانون أيضا أنه لا يرخص لاحد من العوام الدخول فى مصلحة واحدة مرتين فى طرف عشر سنوات ولا يستخدم فى مصلحتين فى طرف سنة واحدة ولاجل

الخلاص من البلية العظمى العمومية صار الغاء جميع الديون التى ما كانت رفعت وأنه لا يجوز قانونا قرض نقود بربا وأرباح من الآن فصاعدا

وفى أثناء هذه القلاقل ترك اللاتنيون الحرب مع السامنيين وتجحوا فى أشغالهم تجاحا زائدا حتى أعلنوا بالاستقلال من رومة فعقدت رومة صلحا مع السامنيين فى سنة ٣٤١ قبل الميلاد وقوت نفسها بدخولها فى الاتحاد المارسيانى وهو اتحاد المدائن الصابية ووطد اللاتنيون محالفتهم مع الكامپانيين والسيديشنيانيين والفلصيانيين وأما السامنيون فانهم حادوا عن الحرب وأجعوا مساعيهم فى مد حدود أراضيهم الى الامام فى داخل الاراضى الفلصيانية فاستمر الحرب بينهم ثلاث سنين وانتهى بوقائع الحرب الاول السامينى ووقعت الواقعة الفاصلة لهذا الحرب تحت ذيل جبل ڤيزوڤيس فذبح الرومانيون على نصرتهم قنصلهم العاصى وهو پبليوس دسيوس قربانا للآلهة وكان سمح فى نفسه بالذبح كما أخبر بذلك كهنة الفال حيث قالوا ان عواقب هذا الحرب تحتاج الى تقريب قربان اما القائد واما الجيش أجمع ثم ان اللاتنيين وحلفاءهم تعصبوا مرة أخرى فهزموا بسهولة وما كان لهم من بعد هذه الهزيمة قلب ولا قوة على السعى مرة أخرى على رومة وانفسخ الاتحاد اللاتينى واستبدلت نظاماته الداخلية بالقوانين والعوائد الرومانية فى كل جهة من الجهات اللاتينية وكان اللاتنيون من جنس واحد ولسان واحد مع الرومانيين فازالوا العداوة والبغضاء من بينهم وكانت هذه وقتية ومحنة ذاتية وخضعوا لسلطة رومة من بعد مضى مدة استمرت بينهم فى الغضب والزعل واشتباك الحرب

وتولد عما كان حاصلا من نفور اللاتنيين والعداوة بينهم لرومة حرمان الرومانيين من الشروع فى أى حرب مهم مدة الاثنى عشرة سنة التى جاءت بعد وكذا بواسطة ما حصل من الغارة من اسكندر صاحب ابيروس على ايطاليا سنة ٣٣٢ قبل الميلاد وكان اسكندر هذا هو ابن أخى اسكندر الاكبر وكان جاء للغارة على السامنيين فعقد الرومانيون معه معاهدة وكانوا فى هذا الوقت على استعداد للحرب معه لو تجاسر بنفسه وخاطر بالغارة على أراضيهم لانهم كانوا متحققين من اغارته عليها لو حصل له نجاح وظفر بالسامنيين فانهزم وقتل فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد وفى هذا الوقت صارت رومة سيدة اللاتنيوم وكامپانيه وحفظت حدودها من جهة عطروسكانيه من أى هجوم يقع عليها بواسطة معاهدة عقدتها واستشعرت فى نفسها بأنه صار لها قوة كافية على التغلب على السامينيين وكانوا هم وحدهم ينازعونها فى الجهات الجنوبية من ايطاليا فابتدأ الحرب الثانى السامينى فى سنة ٣٢٦ قبل الميلاد واستمر الى سنة ٣٠٤ وكانت مباديه جور رومة وتعديها على أراضى السامينيين وكانت بغيتها الظاهرية بلوغها اسلطتها على البحث جزيرة فاصطف أمامها تقريبا جميع أمم ايطاليا فى حذاء واحد وتحالف جميع بعضهم على عدم وصولها الى مآربها الشارعة فيها واستمر هياج الحرب مدة خمس سنوات مع الضعف والوهن وكل من الطرفين محافظ على قوته من التلف والخسارة فكان الرومانيون لهم فى مبادى الحرب الظفر والنصر وفى سنة ٣٢١ قبل الميلاد أوقع السامينيون على أخصامهم شر هزيمة لم تحصل لهم قبلها وتحمل الجيش الرومانى عناآت شديدة ومصائب وأهوالا فريدة وذلك أن الرومانيين تحت قيادة القنصلين صار الهجوم عليهم عند ممر أودرب كودين وهو بوغاز جبل بين نابولى وبنفنطوم فانهزموا بعد أن تلف نصف العسكر وسلم الباقى ثم عتق بونطيوس ملك السامينيين بعلو همته وسعة

كرمه

كرمه هؤلاء المأسورين على شرط عقد صلح معتبر يلزم التوقيع عليه من القنصلين والاثنين حاكما الامة الحاضرين مع الجيش فاجريت هذه الشروط وتجرد الرومانيون من سلاحهم ومروا من تحت سيف الملك قائلين خضعنا وأطعنا ثم خاصهم بونطيوس من الاسر وأرسلهم الى رومة فصرف السناتو النظر عن فضل هذا الملك وعلوهمته وطرحه الرومانيون وراء ظهورهم لان السناتو حالما استحوذ على عوده ما كره رفض ربط نفسه تحت شروط معاهدة عمات على حدود غير قانونية فأما الذين وقعوا على هذه المعاهدة فانهم هربوا من رومة وذهبوا عرايا الى بونطيوس فلم يقبلهم بونطيوس وما اعتبر بانهم مسؤلون عن ذمة هذه الامة الرومانية وهاج الحرب على ما كان عليه وفى سنة ٣١٥ قبل الميلاد انتصر السامنيون نصرة عظيمة ثانية فى نواحى لوطوليا وظهر من وقائع الحرب أن حالة رومة صارت مقطوعة اليأس حتى ان محالفيها تركوها الا قليلا منهم اوعصت عليها كامبانية وتحالف العوصونيانيون والقلصانيون مع السامنيين وفى سنة ٣١٤ قبل الميلاد عاد المدد الى رومة وذلك أن الرومانيين بذلوا نفوسهم وما فى طاقتهم وجندوا جيشا قويا فى الميدان فهزم هذا الجيش السامنيين هزيمة تقشعر منها الابدان فى واقعة حصلت بينهم فى نواحى سناحتى ان الجيش السامينى انحطم حطمة انقطع عوده منها ولما صار الحرب على وشك الغلاق حصل من العطروسكانيين والعسكانيين والاومبريانيين بذل الجهد فى صد رومة وعجزها من أن تكون سيدة ايطاليا وصار كل منهم يجرى حركاته على حدته ومع ان هذه الاعمال امتد بها الحرب الى مدة تنيف عن عشر سنوات زيادة على المدة المتقدمة الا أنهم انهزموا على وجه التفصيل أمة بعد أمة وفى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد خضع السامنيون لطاعة رومة وأما الامم الاخرى فانها عقدت صلحا معها وصارت رومة فى هذا الوقت أول أمة فى ايطاليا وكانت الامة السامنية أساتذة الرومانيين فى الآداب والمعقولات لكونهم مكثوا مدة طويلة مذللين أنفسهم لتلقى التهذيبات الحربية والعلوم الفلسفية وأنواع الآداب الجريسية الحضرية وأما الرومانيون فانهم كانوا تنازلوا عن حقوقهم فيها السلطة على الحيث جريرة وفى السنة الثانية من الحرب تولد من نفور اللاتينيين الذى كان حاصلا من قبل عداوة جهرية ومبارزة ظاهرة فاستصوب الرومانيون اجراء سياسة الارتباطات الودية وكان حصل من الحزب النافر من اللاتينيين فى رومة تحزب شديد فانتخبت رومة أن علاقاتها لم تكن اسما فقط بل فعلا وعملا وتوظف فلفيوس قائد الحزب المتحزب قنصلا فى هذه السنة وبهذه الاعمال الجليلة صار اللاتينيون فى اتحاد واحد مع رومة وانتهت قلقلة المنازعة بين اللاتينيين ورومة

وفى نحو غلاق الحرب الثانى السامينى هيج العيك حربا على رومة وفى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد لما لم يوجد عند الرومانيين عمل بواسطة ما حصل من اجراء الصلح فى هذه السنة أغاروا على الاراضى العيكية فى ٤٠٠٠٠ مقاتل وفى طرف خمسين يوما تغلبوا على احدى وأربعين مدينة وخربوها وأخذوا كثيرا من الاسرى باعوها فى أسواق الرقيق وما بقى من أهل العيك صار رعية للحكومة الرومانية ومن بعد مضى بضع سنين صاروا تبعة رومانية ودخلوا فى الحروب مع الرومانيين على السامنيين ولما انغلق الحرب الثانى السامينى فى سنة ٣٠٤ قبل الميلاد صرف السامنيون الخمس سنوات التى جاءت من بعد الحرب فى ترتيب اتحاد ايطاليانى يعرف باتحاد المدائن الايطاليانية وهى عطروسكانية وأومبريانية والعليون من الجهات الشمالية والسامنيون واللرقانيون ومعظم المدائن الجريقية من الجهة الجنوبية وتحالفوا جميعهم وتعاقدوا على كراهة عمومية وبعضاء فى قلوبهم سوية لرومة

وفى سنة ٢٩٨ قبل الميلاد كان مبدأ الحرب الثالث السامينى وذلك ان الرومانيين أغاروا على كل من عطرورية وسامنيوم مرة واحدة فهزموا العطروسكانيين فى نواحى فولاطيرا وفى مثل هذا الوقت تغلبوا على بوقانيوم وفيدينه فى الجهة الشمالية من سامنيوم وفى السنة التالية انتصر القنصل فابيوس نصرة جليلة على السامنيين وأما رصيوص القنصل الآخر فانه هزم الاوليانيين واللوقانيين وأرغمهم على الانقياد الى رومة وكانت أعمال السنة التالية غير مهمة الا انه فى سنة ٢٩٥ قبل الميلاد زحفت القوى المتحدة من الغليين والعطروسكانيين والاومبريانيين والسامنيين نحو رومة وما حصل من جسارة الرومانيين وثباتهم نجاهم من هذه الواقعة وهو أنهم أبقوا جيشا تحت الاحتياط فى ممالكهم لملاقاة هجوم أو غارة تحصل عليهم من جهة ما من الجهات وأرسلوا جيشا آخر الى عطرورية فارتعدت فرائص العطروسكانيين والاومبريانيين واشتد بهم الخوف على سلامة بلادهم فطلبوا عساكرهم فتقهقرت هذه القوى المتحدة عابرة جبال الابينين فتبعها الجيش الرومانى الآخر وهجم عليها فى نواحى سنطينوم وحصل بين الجيشين واقعة دموية تقرب فيها القنصل دصيوص نفسه قربانا فداء عن أهل بلاده من بعد نصرة الرومانيين كما فعل أبوه فى واقعة جبل فيروفيس وانتصر الرومانيون وأوقعوا بالمتحالفين شر هزيمة وخسائر جسيمة نحو ٢٥٠٠٠ نفس وكانت هذه الواقعة هى الواقعة الفاصلة فى الحقيقة وكسرت شوكة الاتحاد وتفرق من بعضه وانسحب الغليون الى بلادهم ولم يشتركوا فى الحرب من بعدها أبدا وأشعل الرومانيون الحروب فى عطرورية وسامنيوم كل على حدتها فقاوم السامنيون مع الشجاعة والمهارة وفى سنة ٢٩٢ قبل الميلاد هزم بونطيوس ملك السامنيين الجيش الرومانى تحت قيادة فابيوس جورجيس ولاجل اطفاء غضب الرومانيين الذين سعوا فى حرمان فابيوس الذى كان قنصلا من قيادته عرض أبوه فابيوس مكسيموس نفسه للخدمة بالنيابة عن ابنه فكانت النتيجة من بعد تعيينه أن حصل الظفر والنصر المبين فى السنة التى جاءت بعد وانكسرت فيها شوكة السامنيين عن آخرهم وأسر بونطيوس ملكهم ثم وقف الحرب قليلا واجبر السامنيون على التسليم بغير شروط وأضيفت قطعة من أراضيهم الى أراضى رومة وتولد من ضعف السامنيين أن صار وا رعية حليفة للجمهورية وأشهر الرومانيون نصرتهم بارغام بونطيوس الذى أعتق بعلو همته وكرمه كامل جيشهم قبل ذلك بتسع وعشرين سنة على كونه يمشى مثقلا بالحديد على رجليه فى موكب النصر الذى عقد للقنصل ثم بعد ذلك قتلوه وفى سنة ٢٠٩ قبل الميلاد وفى نفس هذه السنة تغلب القنصل كوريوس دنطاطوس على أراضى الصابنيين وكانوا عضدوا السامنيين على الرومانيين وأراضيهم هذه مشحونة بغابات شجر السنديان أو البلوط وكثيرة الزيتون والعنب فانتقلت جميعها الى حوزة الجمهورية

ومع أن هذه الحروب كانت على غاية من الظفر والنجاح الا أنه تولد منها عناء شديد ومضايقات أكيدة على عوام الامة من كثرة المصاريف التى صرفوها فى فداء المأسورين وأضرت بهم وكذا تولد من طول غياب الناس عن أعمال الزراعة ووقوع المزارعين فى الخراب والدمار فلاجل كشف هذه البلية العمومية قدم كوريوس دنطاطوس لائحة جديدة فى تقسيم الاراضى الشائعة فيما بين فقراء الرومانيين فعارض طائفة الاشراف هذه اللائحة بجدة وشدة حتى صار كوريوس على خطر كبير من حياته مع أن هذه من أكبر الخدم الواجبة عليه فى حق الرعية فكان كلما ازدادت معارضات الاشراف ازدادت بمثلها طلبات الامة مع الكبرياء وعلو الهمة حتى انفصل العوام أخيرا من رومة ووطنوا أنفسهم على جبل

جانيكولوم ومازال طائفة الاشراف مصرين على عدم قبول هذه اللائحة حتى هددتهم الحروب الاجنبية وكان ظهور لهم انها قريبة الوقوع فاذعن مجلس السنا والى منحه طلبات الامة وتوظف هرطنسيوس وكان من عائلة قديمة من العوام حاكما فعرض القوانين المشهورة المسماة بالقوانين الهرطنسيوسية فصل التصديق عليها من الامة بصوت واحد فألغى أو نقص مقادير وافرة من الديون التي لم يصر رفعها وأعطى سبع يوجيرات من الارض لكل واحد من التبعة ومنع مجلس السنا ومن أن يكون له صوت في العموم وأعلن بان يكون اجتماع الامة في نواديها فان اجتماعهم هذا هو الشوكة السامية والقوانين الكافية وكان ذلك في سنة ٢٨٦ قبل الميلاد

ثم انفجرت بعد ذلك بلية جديدة على الجمهورية وهي مكافأة اللوقانيين على ما أدوه من خدماتهم وأعمالهم التي أجروها في الحرب السامينى فنحهم الرومانيون المدائن الجريقية الداخلة في أرضهم لكن عندما دخل اللوقانيون في معاهدة مع البروطيانيين ابتدؤا يسعون في اخضاع هذه المدائن فاستغاثت مدينة طوري برومة في المدافعة عنها فأجابت رومة طلب سكانها وضاع من اللوقانيين والبروطيانيين الغنيمة التي كانوا عدوابها وبذل سكان طرنطيوم جهدهم في ترتيب اتحاد على رومة وكانوا على غيرة شديدة من سلطة رومة فانتهزوا فرصة غضب الممالك الذين حرموا من صيدهم وجلبوهم معهم في هذا الاتحاد وفي سنة ٢٨٣ قبل الميلاد رأت رومة نفسها بان أراضيها مهددة من العطروسكانيين والاومبريانيين والغليين من الجهة الشمالية وبالسامنيين والبروطيانيين واللوقانيين من الجهة الجنوبية وبقيت عرطيوم وحدها صديقة لرومة فصار محاصرتها بالجيش الاتحادي من عطروسكانية وغلية فأرسل القيصر ميطلوس من أجل خلاصها فانهزم وخسر كامل جيشه فأرسل الرومانيون رسلا من طرفهم لاجل معاتبة رؤساء الغليين في نقضهم شروط المعاهدة فقتل الهمجيون هؤلاء الرسل شر قتلة فأخذ الرومانيون بثأرهم مع شدة البطش وذلك أنه أغار جيش روماني تحت قيادة القنصل دولابلا على أراضي الغلية وخربها وحرق جميع القرى وقتل الرجال وساق النساء والاطفال الى أسواق الرقيق ومحيت هذه العشائر من دفاتر وقوائم الامم الايطاليانية فارتعب بوبان الغلية وقامت حميتهم في رؤسهم بسبب ما حصل لاخوانهم من الدمار وحملوا السلاح للاخذ بثارهم وضموا قواهم الى القوى العطروسكانية وسارت هذه الجيوش المتحدة على رومة فهزمهم الرومانيون وخسروا خسارات جسيمة وقت عبورهم من نهر الطيبر بالقرب من بحيرة فاديمو الصغيرة

وأما في الجهة الجنوبية فانه صار بقاء جيش صغير روماني في مدينة طوري على غاية من الخطر والصعوبة وفي سنة ٢٨٢ قبل الميلاد رفع القنصل جايوس فابريسيوس لوسينوس الحصار وهزم اللوقانيين في واقعة خطيرة وأعقبها بهزيمة السامنيين والبروطيانيين فتولد من هذه المظفرات كسر ظهر الاتحاد في الجهة الجنوبية واستحوذ الرومانيون على مبالغ وافرة من الغنائم والاسلاب تكفل بكامل المصاريف التي صرفوها في الحرب وزيادة وأخذ كل عسكري نصيبا عظيما منها وبقي مبلغ وافر في الخزينة الرومانية يعادل نصف مليون دولار من النقود الامريكانية كل دولار يساوي روبيتين هندية وربع

وأما طرنطيوم التي كانت سببا في هذا الحرب فانها ما دخلت فيه بل اجتهدت في رمي المصاعب والاعمال على الذين تحالفوا معها لان رومة لم تنخدع من وجود طرنطيوم في هذا الحادثة وأرسلت أسطولا يطوف حول الطرف الجنوبي من البحيث جزيرة ويراقب حركة الطرنطيين وتبعا لهم ولما دخل

الاسطول فى البحر الادرياطيقى رسا فى مينة طرنطيوم وكانت لاتزال فى صلح مع رومة فاشتعلت نيران العداوة فى قلوب الطرنطيين وقاموا بعوامهم وأوباشهم وساروا نحو المينة وهجموا على الرومانيين وأوقعوا بهم وغرقوا مراكبهم ثم ساروا نحو طورى وطردوا منها محافظى الرومانيين وعنفوا سكانها وعاقبوهم أشد العقاب بسبب خضوعهم للجمهورية فتبصر الرومانيون فى العواقب وتداركوا أمرهم بالكف عن الحرب مع طرنطيوم على شرط خلاص المأسورين الذين أسروهم وعود مدينة طورى على ما كانت عليه وتسليم الذين كانوا سببا فى أصل الهجوم على الاسطول من غير داعية فلم تقبل طرنطيوم هذه الطلبات وأخذت على نفسها بأن تجمع المدائن الحربية الموجودة فى ايطاليا ودعت بيرهوس ملك أبيروس لمساعدتها فأجاب بيرهوس فى الحال دعوتها وكان طبعه المتعب لا يسمح له فى البقاء والسكون على هدو وسرور وراحة وعبر فى سنة ٢٨٠ قبل الميلاد البحر الادرياطيقى وأغار على ايطاليا فى رأس جيش مؤلف من ٢٢٥٠٠ من المشاة و ٣٠٠٠ من الخيالة و ٢٠ فيلا وكانت هذه أول مرة شوهدت فيها الفيلة فى ايطاليا وكان بيرهوس نال فى السابق التاج المقدونى ثم ضيعه فى مبادى أمره وكانت نظامات جيشه على حسب القواعد المقدونية وكان محرزا كامل القيادة فى عصره وكانت سجاياه الشخصية تفوق سجايا كل ملك فى عصره وكان هو أول جريقى انتقى مع الرومانيين فى الحرب وبه شرع الذين باشروا الارتباطات بين رومة والهلاس وتأسس عليها جميع نتائج الاعمال القديمة والقسم الاعظم من الاعمال الاخيرة فى التمدن والحضارة الاخيرة وكان أول حرب صار اجراؤه بين جيش كبير وفرقة صغيرة وبين عساكر بالمرتبات الشهرية أى أجرية وجيش مملكة وبين ملك حربى وحكومة شورويه وبين أرباب شجاعة وقريحة وأمة شديدة البطش وهاجت وقائع هذا الحرب بين بيرهوس والقواد الرومانية ومع أن الطائفة المهزومة كانت تمد بأمداد كل يوم فكان يظن كل يوم بعقب آخر أن فيه انفصال الحرب وظن الطرنطيون أن ملك أبيروس يحارب حروبات من أجلهم ومن بعد خلاصها يتركهم متمتعين براحة أنفسهم ورفاهية عيشتهم وعلو درجتهم لكن بيرهوس أراهم وبين لهم أنهم وجدوا سيدا لا خادما أو عبدا لهم وأبطل كافة ما كانوا عليه من ملاعب الخيول والتوجه لمحلات التياترات وأرغم سكان المدينة على أداء واجبات المحافظة ليلا ونهارا فحصل عندهم الغضب والحنق الشديد واجتهدوا فى عقد شروط مصالحة مع رومة غير أن بيرهوس كان أحكم القبض عليهم وعامل طرنطيوم وأهلها معاملة مدينة فتحها وأرسل جملة من رؤسائها الى أبيروس مثل رهائن فيها

ولما أحكم بيرهوس مدينة طرنطيوم ووطدها واختارها أساسا مهما لحركاته الحربية أشعل الحرب على الرومانيين وهزمهم فى نواحى هراقلية بجيش قليل معه وما خدش ضابطا من ضباط الجيش المنقهقر فيل من الفيلة وعقب بيرهوس العساكر الفارين فما أبقى منهم باقية وخسر الرومانيون فى هذه الواقعة ١٥٠٠٠ نفس منهم ٧٠٠٠ مقتول ومع هذا فان بيرهوس اشترى نصرته من الرومانيين بخسارة ٤٠٠٠ نفس من عساكره البواسل وجملة من شجعان قواده وما تمكن الرومانيون من الحصول على قتل بيرهوس وما كانوا يرغبون وعلاه

وظهر لبيرهوس فى هذه الحالة انه أشهر قائد وأشجع فارس ويلزمه أن يجنى ثمرات مكافأة نصرته والتحق به كثير من المدائن الايطاليانية والمدائن الحربية ماعدا القليل منهم فانهم تباعدوا عنه واجتهد

بيرهوس فى جمع جيش له من المأسورين عنده الذين أسرهم فى الحرب وظهرت له شجاعتهم ودرايتهم بالحروب بواسطة ما أغدق عليهم من كرم معاملته لهم وبين لهم أن ذلك من الاعمال الواجبة الجارية دوا ما عند الجريق غير أنه اندهش وتعجب من كونه لم يلتحق به أحد من اللاتينيين أو الرومانيين وعرف فى نفسه أن محاربته هذه ليست مع عساكر أجرية بل مع أمة قوية واتضح له أنه غرق فى مهاوى خطئه وفى مصاعب الاعمال التى شرع فى اجرائها وفى طريقة جمعه العساكر المحاربين فاجتهد فى نفسه على أن يحرز نهاية أعماله بحالة كونه ملكا بطلا وسيدا شجاعا وظن أن المصائب التى حلت بالرومانيين من أول حرب وقع بينه وبينهم مزقت قواهم وأضعفت أحوالهم وأنهم ربما يميلون لقبول صلح مع الشرف بدل الحرب وينال هو بذلك توطيد حرية المدائن الجريقية فى ايطاليا ويحفظها ويقيم بينها وبين الاراضى الرومانية عدة ممالك ثانوية وثالثية تبعة حليفة للدولة الجريقية الجديدة فطلب فى شروط واضحة كتبها من طرفه مثل شروط صلح خلاص كامل المدائن الجريقية ثم المدائن الكامبانية واللوقانيانية على الخصوص من انقيادها للرومة واسترداد الاراضى التى أخذت من السامنيين والدانيانيين واللوقانيانيين والبروطيانيين وأرسل طلباته هذه الى رومة مع وزير معتمد من طرفه اسمه صنياس من أهل تساليا وكان هذا الوزير أستاذ البلاغة والفصاحة وكلمة الملك بكونه لا يضيع أدنى فرصة فى الضغط على الرومانيين بغاية جهده بالسياسة المعهودة فيه بالنظر لما حصل لهم من مباشرتهم الحروب وأدى صنياس الى الرومانيين ما جاءهم به وبذل مجهوده فى نصحهم وحار من كثير من الرومانيين الرضا والقبول بما عرضه عليهم حتى ان مجلس السناتو أذعن بأداء طلباته وما جاء به من عند أستاذه ولما بلغ ابيوس كلوديوس وكان قنصلا قبل ذلك بعدة ثلاثين سنة وصار كهلا عاجز البصر رسالة صنياس وما جاء به ونجاحه فى مأموريته مع مجلس السناتو امتلأ بالغضب الشديد عند سماعه فكرة عقد صلح مع فاتح أجنبى فوق الاراضى الايطاليانية فأمر هذا الرجل العجوز خدمه وحواشيه بحمله فى محفل الى بيت مجلس السناتو فانفجرت منه فيه تيارات البلاغة والغضب الذى لا يرجى منه قبول مطالب بيرهوس حتى ان مجلس السناتو قامت فيه الاحساسات الواجبة عليه من الاعمال الحقة الواجب عليه اجراؤها بخصوص الامة الرومانية وأجاب رسول ملك أبيروس بأن رومة لا تدخل فى مخابرة طويلة ما دامت عساكر أجنبية موجودة فوق الاراضى الايطاليانية فقام صنياس فى الحال من المدينة وعاد الى بيرهوس مع شدة الكراهة والغضب التى رآها عند الرومانيين من حبهم الوطن وشدة محافظتهم عليه حتى انه عرض لاستاذه أنه ظهر له أن كل واحد من أهل رومة ملك نفسه فمن ثم اشتعل الحرب وهاج الكرب كما كان عليه فأما بيرهوس فانه كان يبحث عن المجد والفخر فقط وأما الرومانيون فكانوا يبحثون على حفظ أراضيهم وأهليهم

وكان بيرهيرس فى أثناء هذه المكالمة تحرك فى داخل كامبانيه وبمجرد ما أخذ جواب السناتو زحف بعساكره على رومة عازما على عمل اتفاق مع الاطروسكانيين فوجد فى أثناء تقدمه وزحفه استعداد الرومانيين له بجيش جديد تحت قيادة القنصل بوبليوس ليفنيوس الذى كان عزمه فى هرا قلية وحفظ هذا القائد الرومانى مدينة قابو من زحف الملك عليها وأوقف حركة سعيه فى الوصول الى نيابوليس وكذا كانت رومة فى حالة ثبات جيد حتى انه لم يجسر أحد من حلفائها على تركها والتخلى عنها ما عدا المدائن الجريقية الموجودة فى ايطاليا الجنوبية وملاقى بيرهوس فى أثناء سيره من وسط

المملكة نحو رومة جيشا ماوغلقت كامل المدائن اللاتينية أبوابها فى وجهه وأدهشه حالة زهرة البلاد وأثبتت فى عقله أحسن تدبير حاصل من رومة ما كان يتصوره قبل ذلك وتبعه القنصل ليفينوس على القرب منه مستعدا فى الهجوم عليه فى الوقت الموافق له وتجهز رومانى ثان وسار تحت قيادة القنصل طبريوس كورنو كانيوس وأسرع فى عقد صلح مع العطروسكانيين وكان فى حرب معهم وسار مجدا من الجهة الشمالية لاجل لقاء العدو وفى هذه الاثناء جندت رومة جيشا ثالثا وزحف بيرهوس حتى صار على مسافة قليلة من رومة ثم انسحب الى طرنطيوم فقضى فيها فصل الشتاء وتوجه الرومانيون أيضا الى جهات مشتاهم واجتهدوا مدة فصل الشتاء فى فداء المأسورين فرفض بيرهوس قبول هذا الطلب ورخص لجميع أسراه بالتوجه الى بلادهم ليحضروا موسم عيد لهم وأعطوه قول الشرف بالعود اليه ثانيا من بعد أيام العيد ان لم يعقد صلح قبل هذه المدة ومن بعد مضى المدة التى تحددت لهم لما لم يحصل فيها عقد معاهدة عادوا اليه وفاء بما وعدوه من القول الشرف

وفى سنة ٢٧٩ قبل الميلاد حاز بيرهوس نصرة ثانية وكانت هذه المرة فى نواحى عوسقلوم من أعمال ابوليا وجلب الى ميدان الحرب خلاف عساكره المقدونية زيادة عن ٥٠٠٠٠ من الايطاليانيين مددا له من محالفيه وطرد الرومانيين من ميدان الحرب الا أن الجيش الرومانى لم يحصل فيه أدنى اختلال وترآى لبيرهوس أن فى امكانه اتمام هذه المظفرات الا أن النقص الذى حل بعساكره المقدونية المعول عليهم فى الحروب عنده ما قدر أن يجلب بدله ويستحوذ على غيرهم من أمثالهم وأما الرومانيون فانهم كملوا صفوف عساكرهم بعساكر جديدة وسد الرومانيون عليه بشجاعتهم وصبرهم أبواب المسالك حتى انه أهلك جيشه فى غير طائل وصار لا فائدة فى محالفيه له واستحقر حالتهم ماعدا السامنيين وما كان مترائيا له من النصرات والمظفرات آل به الى الضعف والوهن فى آخر أمره الا أنه مازال شرف العسكرية لا يرخص له فى ترك موقف الحرب وفى السنة التالية سنحت له الفرصة فى نفسه بالانسحاب من البحث جزيرة وكان حصل له الكدر وحل به الزعل والضيق من نتائج الحرب حتى انه انسحب من ايطاليا وكان السبب فى تركها أن زوجته كانت ابنة اجاثوقليس طاغية سراقوسة وابنه حفيدا اجاثوقليس وهما الوارثان الشرعيان لمملكة سراقوسة ولما قتل اجاثوقليس وحصلت المضايقة الى سراقوسة من جهة القرطاجنيين دعا أهل مدينة سراقوسة بيرهوس لمساعدتهم وقرروا فى أنفسهم مع حذاقة العقل انه لو ضيع أهل سراقوسة درجة حريتهم فربما تكون المدينة تحت رياسة ملك ابيروس عاصمة مملكة هلانيقية كبيرة فى الغرب فلبى بيرهوس الدعوة وترك ايطاليا متوجها الى سيسيليا فى سنة ٢٧٨ قبل الميلاد من بعد أن ترك محافظين فى مدينة لوقريا وطرنطيوم وقبل وصوله دخل القرطاجنيون فى محالفة ومعاهدة تعرضية وتحفظية مع رومة وقبل سفر بيرهوس من ايطاليا بقليل سعى سعيا لا ثمرة فيه من أجل توطيد الصلح مع الرومانيين وبمجرد وصوله فى سيسيليا طرد القرطاجنيين وضيق عليهم حتى عرضوا عليه الصلح ومع ان القرطاجنيين كانوا حلفاء رومة الا أنهم قدموا لبيرهوس مراكب ونقودا كان لها على غاية من شدة الاحتياج لكنه رفض بشماخته وكبريائه هذه التقدمة وانقلبت سعادته العظيمة بهزيمة مهولة وقعت عليه فى ليليبوم فاستمر سنتين طويلتين فى سيسيليا ثم تحصل له فى يوم من الايام أن حالته صارت على قدم النجاح فى مشروعاته وتغلب عليه عدم راحته القديمة وحصل له مضايقة مما حل بمحالفيه فى ايطاليا من الاضرارات التى

كان سببا فيها ولعنوه من أجل تركه اياهم فمن ثم اندفع عائدا الى ايطاليا فى أواخر سنة ٢٧٦ قبل الميلاد وفى حال سفره الى ايطاليا هجم القرطاجنيون على أسطوله وأخذوا مقدارا من مراكبه وعصى عليه مباشرة كل ما كان فتحه فى سيسيليا ولما نزل بيرهوس فى بر ايطاليا عزم على الغارة على رهغيوم لكنه انهزم فى هجومه ثم نجح فى تغلبه على لوقرية وكان أهلها ذبحوا ما تركه عندهم من المحافظين فى مدة غيابه عنها فأوقع على أهلها العذاب الشديد ونهب الخزائن الملآنة بالاموال الموجودة فى هيكل برصفونة وملأ بها صناديق خزائنه الحربية وكانت فارغة من النقود ثم سار الى طرنطيوم فوصل اليها فى رأس جيش مقداره ٢٠٠٠٠ نفس من المشاة و ٣٠٠٠ من الفرسان الخيالة وكان معظمهم من مستأجرى الايطاليانيين لان كافة من كان عنده فى الحرب الذين كان جلبهم من ابيروس وكانوا على دراية تامة من الاجراآت والقواعد الحربية هلكوا تقريبا فى الحروب التى أجراها فى ايطاليا وسيسيليا وأما النقود والخزائن التى سلبها من هيكل لوقرية فانه كان أرسلها فى مركب الى طرنطيوم فنزل عليها عاصف ألجأها الى الرجوع على ساحل لوقرية ولما اعتقد بيرهوس انه فعل أفعالا قبيحة مع معبودة لوقرية من انتهاك حرمة أشيائها المقدسة رد الاموال ثانيا الى المعبد وقتل من كان سلطه على أخذها ومن بعد مضى قليل هزمه القنصل كوريوس دنطاطوس فى بنفيطوم وفى نحو آخر السنة ترك الحرب وعاد راجعا الى ابيروس من بعد أن ترك فى طرنطيوم محافظين من طرفه فى سنة ٢٧٥ قبل الميلاد فعزم الرومانيون فى هذا الوقت على فتح ايطاليا الجنوبية مرة أخرى وفى سنة ٢٧٢ قبل الميلاد تغلبت رومة على طرنطيوم ولوقانيا وبروطيوم وأرغموا على الانقياد والطاعة لرومة وأخذت رهغيوم فى سنة ٢٧٠ قبل الميلاد عنوة بالقوة والاقتدار وفى آخر سنة ٢٦٥ قبل الميلاد كانت رومة متغلبة على كافة ايطاليا الجنوبية وصارت صاحبة السيادة السامية فى البحيث جزيرة من ابتداء ماكرة الى طرنطيوم ورهغيوم

وتولد من تمام نجاح هذه الحروب زيادة الثروة الكبرى للرومانيين وحصول تبديلات فى أحوال معايشهم وانتقلت أملاك الامم التى صار التغلب على بلادها الى حوزة المملكة الرومانية وكانت مشتملة على أراض شاسعة شائعة وأورمانات وغابات مثمنة ومحلات استخراج معادن ومحاجر قطع أحجار ومحلات صيد لؤلؤ وأسماك فأعطى مجلس السناتو كل واحد من الرومانيين من الاحرار مبلغا من النقود وسبع يوجيرات من الاطيان حسبما اختاره

وعمرت رومة مستعمراتها الجديدة بناس من عندها لاجل المحافظة على أراضيها الجديدة وعلى ماقيل انه كان حصل الشروع فى هذه الطريقة فى الايام القديمة فى عهد ملوك الطاركينيين الا انه صار اجراؤها الآن بشوكة قوية لما حصل عند الرومانيين تقدم فى الشوكة وعلو مقدار فى الدولة ومن بعد مضى عدة قرون امتدت هذه المستعمرات من الساحل الغربى لاوروبا الى حد نهر الفرات وكانت جميعها محصورة فى جنسين رومانيين ولاتينيين فأما المستعمرات التى كان سكانها رومانيين فكان أهلها متمسكين بكافة حقوقهم المدنية لرومة فكان لهم الصوت فى المجلس ولهم حق الانتخاب فى أى مصلحة عمومية يمكن انتخابهم فيها داخل رومة وأما سكان المستعمرات التى أهلها من اللاتينيين فانهم ضيعوا حقوق تبعتهم لرومة لحق الصوت فى المجلس والانتخاب الوظائف وخلاف هذا لهم الحق فى تبعتهم لرومة وكثر عدد هذه المستعمرات وزاد أهلها فى داخل البحيث جزيرة وصارت منافعهم مرتبطة

بروميه زيادة عن ارتباطهم بالممالك القاطنين فيها فشكلوا مثل أسوار حصينة للدولة الرومانيه فى ايطاليا

وتواصلت هذه المستعمرات مع العاصمة بنوع طرق وسكك كان أولها وأشهرها طريق آبيه كانت طريقا صلبة مستحجرة سلطانية جيدة الانشا حتى ان بعضها باق الى الآن وكان صار تعميرها فى زمن ابيوس كلوديوس الملقب بالأعمى فيما بين سنة ٣١٠ وسنة ٣٠٦ قبل الميلاد وهذه الطريق تخرج من رومة من الباب المسمى باب قابوه وتمر بارسيا وفيلطريا وسيطيا وطراسينه ومينطورنيه وسينوسه وكاسيلينوم حتى تصل الى مدينة قابوه ثم استمر السلوك منها فى نحو سنة ٢٩١ قبل الميلاد الى فينوزيا ومنها الى برنديزيوم ومن بعد ذلك بمدة صار انشاء طرق أخرى فى أقسام أخرى من الجزيرة وكلما كانت رومة تمد شوكتها ودولتها على جهة كانت تنشئ سككا عظيمة واصلة من محلات مشهورة فى المملكة الى مركز أصلى لها وكل هذه المراكز كانت جميعها متواصلة مع رومة بسكك سلطانية حتى قالوا فى المثل المشهور كل طريق يوصل الى رومة

ثم ان الطريقة التى اتخذها الرومانيون فى دوام حكومتهم وبقاء سلطتهم على الممالك الايطاليانية التى تغلبوا عليها كانت فى غاية من التعقيد والاشكال لان رومة فى أشغال مستعمراتها منحت لها حكومة نفسها بنفسها فكانوا ينتخبون حكامهم ومباشرى أعمالهم الداخلية من أنفسهم وكانت كل مدينة أجنبية تحت القانون الرومانى مرعية فى نفسها كأنها مملكة قائمة بذاتها وكانت تحت قانون محدود يرجع الى المركز الاصلى لكل المدائن الرومانية فكان أجل هذه المدائن شهرة وأكثرها اعتبارا ما يعرف بالاتحاد المدائنى وهى المدائن المنقادة الى رومة على حسب شروط وقواعد تتغير طبعا مع تغير الاحوال الا أنها مقصورة فى أشغال أعمالها وتعيين حكامها وادارة قوانينها ومثل هذه فى حسن الموقع الايالات الاجنبية التى لها بعض أو كل حقوق التبعة الرومانية ثم الوطنيون سكان النواحى والجهات الذين سلموا أنفسهم لرومة على مطلق التصرف ومحصور فيهم كل شئ مما يتعلق باعمال رومة ماعدا حقوق تبعتهم لمدينة رومة وكان القانون الرومانى مباشر العمل والاجرا فى هذه الجهات بواسطة حكام معينة مباشرة من طرف رومة ولرومة حقوق معلومة محدودة حافظة سلطتها وشوكتها بقدر الكفاية فى تلك الجهات فكان لها النفوذ الوحيد لا لغيرها فى اعلان حرب أو اشهار سلم ولها مقابلة المبعوثين والسفراء المندوبين من طرف الدول الاجنبية وعقد المعاهدات وضرب النقود وأصناف المعاملة ولها الحق فى أن تطلب من رعاياها المحالفين لها العساكر والنقود اللازمة لاستعداد هذه العساكر ومساعدتها اذا احتاج لها الامر فى وقت الحرب وانتقال أملاك الايالات المتغلبة عليها اليها كما سبق القول فى ذلك وفى سنة ٣٦٧ قبل الميلاد ازدادت الاراضى العمومية أو أراضى الدومين زيادة واسعة حتى احتاج الامر لتوظيف أربع حكام ايطاليانية لاجل جمع المحصول منها فكانوا أول الموظفين من الرومانيين الذين تعينوا على موجب القانون وسكنوا فى مساكن رخص لهم بها فى الاقاليم خارج المدينة ورأت فى هذه المدة أيضا اضمحلال وسقوط ما كان عليه حزب الاشراف من الدولة والسلطة والنفوذ ودخول العوام فى سلطة كاملة تعادل ماضاع من سلطة طائفة الاشراف وفى سنة ٣٣٩ قبل الميلاد عرض بوبليليوس قانونا فتح فيه محلا لوظيفة مفتش مطبوعات ومحلا لحاكم مدنى من العوام وكذا لائحة قانون حررها أوفينوس تاريخها مجهول رخص فيها الكافة المناصل السابقة والحكام والمفتشين

وأرباب الوظائف الكبيرة العسكرية أن يكون لهم الحق فى ملازمة مجلس السناتو وفى سنة ٣٠٠ قبل الميلاد زاد بواسطة القانون الاغولنيانى عدد أرباب المهندسين وكهنة الفال وأن يكون النصف من العوام فكل هذه التغييرات كانت جارية بتمامها من دون حصول مناقضة أو رفض قبول فى هذه المدة وحصل منها التأثير فى زيادة فلاح الرومانيين ونجاحهم فى أعمالهم المدنية فتولد من اجتماع المدائن واتحادها بعضها وارتباط علاقاتها برومة أن صار لها طاقة على ملتقى بيرهوس بقوة شديدة حتى ظفروا به ومدّوا دولتهم وشوكتهم على كامل ايطاليا وأخذت مساعى واجتهاد الحكام حقيقة فى السلطة ونفوذ الكلمة حتى صدت كل طائفة كانت تحزب برجالها على الدخول فى الاشغال اللازم اجراؤها الموافقة لاصلاح العباد والبلاد ونشر ابيوس كلوديوس الملقب بالاعمى فى نحو سنة ٣١٢ قبل الميلاد لائحة حق الانتخاب وحصره فى مادتين وهما مادة المولد الحر والمال لقطعة أرض حرة وحصر الحرية لطائفتين وهم الذين ولدوا فى حالة الرق والذين لا يملكون شيأ من الاراضى وبدل أن يحولهم على الشعوب والعشائر المدنية المنسوبين لها وزعهم على كافة المستعمرات حتى يكونوا داخلين فى حق الانتخاب ونجح خلفاؤه فى القنصلية فى توطيد رومة وأحكامها وتأمينها من ضرر طوائف العوام والاحزاب بكونهم جعلوا حق الانتخاب فى أربعة قبائل أو شعوب من الاحد والثلاثين شعبا يسكنون المدينة وفى السنى الاولى من القرن الثالث قبل المسيح انتظمت أمور المملكة الرومانية واستقامت أحوالها وفى هذا القرن أيضا شرع الرومانيون فى ضرب معاملات من النقود الفضية وكانت نقودهم قبل مضروبة من النحاس

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ الحرب مع قرطاجنه ﴾

زيادة ثروة الرومانيين من الحرب ــ اختيار الجمهورية الحرب كطريقة لاكتساب الثروة والاستحواذ على أراض ــ عقد العزم على التغلب على قرطاجنه ــ ايجاد علة الحرب ــ مبادى الحرب الاول القرطاجنى ــ هزيمة القرطاجنيين فى سيسليا ــ اغارة الرومانيين على افريقه ــ تدمير وخراب أراضى مملكة قرطاجنه فى افريقة ــ هزيمة رغولوس والقبض عليه ــ ضياع الاسطول الرومانى ــ مصائب الرومانيين فى سيسليا ــ مضايقة الاسطول القرطاجنى للساحل الايطاليانى ــ انشاء اسطول آخر بواسطة أهل رومة ــ واقعة عيغوسه ــ تغلب الرومانيين على سيسليا وما جاورها من الجزائر ــ وهن قرطاجنه ــ غلاق الحرب ــ صيرورة رومة ذات شوكة بحرية كبيرة ــ تغلب الرومانيين على سردينية ــ تبديد اللصوص البحرية الالريانيه ــ تغلب الرومانيين على الغلية الجنوبية من الالب واضافة أراضيها اليها ــ امتداد الاراضى الرومانية لحد جبال الالب ــ وجود القرطاجنيين فى اسبانيا ــ سياستهم وتدبيراتهم الجليلة ــ حنبال ــ مهارته فى القيادة فى اسبانيا ــ الحرب الثانى القرطاجنى ــ اجتهاد حنبال فى الغارة على ايطاليا ــ عبوره من جبال الالب ــ هزيمة الرومانيين على نهر طربيا وعند بحيرة طراسيمن ــ فابيوس فى قيادة الجيش الرومانى ــ مهارة ادارته وتدبيراته ــ واقعة كانه ــ صيرورة حنبال سيد ايطاليا الجنوبية ــ ثبات رومة ــ وجود حنبال فى قابوه ــ مظفرات سكيبيوس فى اسبانيا ــ تغلب مارسيلوس على سراقوسة ــ هزيمة سكيبيوس فى

اسبانيا ومونه ـ سكيبوس الاصغر خليفته ـ هزيمته حازدروبال ـ صدور أمر الى حازدروبال
بالتوجه الى ايطاليا ـ عبوره جبال الالب والدخول فى ايطاليا الشمالية ـ وقوعه فى الخطا ـ
تحرك حنبال الى كانوسيوم وانتظاره أخاه فيها ـ هزيمة الرومانيين ـ حازدروبال وقتله ـ رمى
رأسه فى معسكر حنبال ـ تقهقر حنبال ـ تغلب سكيبوس على اسبانيا ـ الاقلاع الى افريقه
والهجوم على قرطاجنه ـ واقعة زامه ـ التغلب على قرطاجنه وصيرورتها خراجية لرومة ـ حروب
رومة فى الجريس وفى اسيا الصغرى ـ فتح جزيرة سردينية ـ تغلب رومة على الجريس ـ الحرب
الثالث القرطاجنى ـ الفتح الاخير وخراب قرطاجنه

تولد من الحروب الاولية التى أجرتها رومة مصائب أحمال ثقيلة على تبعتها الا أن الحرب مع بيرهوس
والحروب التى جاءت من بعده حصل فيها منافع ومكاسب عظيمة زادت منها ثروة الامة وغنيتها فمن ثم
شرع الرومانيون فى أخذ الحروب وسائل لفوائد تعود عليهم بالنفع والميسرة وواسطة لجلب مكاسب
الامة الرومانية وذلك أنه من بعد خضوع ايطاليا الجنوبية شرعوا فى هياج محاربات جديدة اعتمادا
على مقصدهم الاصلى بخصوص زيادة ثروتهم وظهر لهم أن ثروة جمهورية قرطاجنه هى الغنيمة
الكبرى لهم والنهب الاعظم وبما أن رومة كانت التزمت على حسب احتياجات حربها الاخير على أن
تصير فى حالة تزيد بها قوتها البحرية فصلت الامر وجزمت بالاغارة على قرطاجنه ووجدت لنفسها فى
الحال سببا فى هياج الحرب عليه وذلك أن قرطاجنه تحت زعم مساعدتها المامبرطنيون على هيرو
صاحب سراقوسة استحوذ القرطاجنيون على قلعة مسينة فاستغاث المامبرطنيون برومة وطلبوا
منها مساعدتها فعقدت معهم معاهدة ولو كانت مهانة فى حقهم ومذلة فى مستقبلهم وسافر من
رومة جملة لمساعدتهم وفاز كلوديوس قائد مقدمة الحملة فى عبوره بعساكره من البر الاصيل
الى سيسيليا ثم من بعد قليل قبض على الاميرال حنو فى مجلس حافل وجده به فى مسينة فخلص حنو
نفسه منه بنقله محافظى القرطاجنيين من القلعة وتسليمها الى الرومانيين وسار باسطوله وعاد الى
قرطاجنه فصدر أمر الحكومة القرطاجنيه بصلبه ووظفوا قائدا آخر للاسطول اسمه حنو أيضا
وفى نفس هذا الوقت أعلنت قرطاجنه حربا على رومة فى سنة ٢٦٤ قبل الميلاد فمن ثم كان ذلك الاعلان
ابتداء الحرب المعروف بالحرب الاول القرطاجنى ونال الرومانيون نجاحهم فى كونهم أرسلوا قوة قدرها
٣٠٠٠٠ مقاتل الى سيسيليا وهى الجزيرة التى انحصر فيها الحرب أولا وفى سنة ٢٦٢ قبل الميلاد
هزموا القرطاجنيين شر هزيمة وتغلبوا على اغريغنطوم وفى نفس هذا الوقت انقذفت مركب حربية
من مراكب القرطاجنيين على ساحل ايطاليا فأخذها الرومانيون واستحسنوا صورتها وهيئتها وضعها
وجعلوها أنموذجا وشغلوا على هيئتها أسطولا فى البحر ونالوا بهذا الاسطول مظفرات جليلة فى السنتين
اللتين جاءتا من بعد وفى سنة ٢٥٦ قبل الميلاد سافر أسطول مركب من ٣٣٠ سفينة وجيش
مؤلف من ٤٠٠٠٠ نفس تحت قيادة القنصلين منليوس ورغولوس من ايطاليا الى افريقة فهزموا
فى طريقهم أسطولا قرطاجنيا أكثر من أسطولهم عددا ونزلوا على البر قريبا من قرطاجنه من دون
حصول معارضة أو ممانعة فخربوا الاراضى القرطاجنية وأرسلوا من القرطاجنيين ٢٠٠٠٠ أسيرا
معظمهم من الوجوه والاعيان الى أسواق الرقيق فى رومة وأخذوا غنائم وأسلابا لا تعد ولا تحصى وفى

السنة التالية لما بقى رغولوس فى افريقة وحده مع قوة قليلة من الجيش الرومانى وبلغ القرطاجنيون هذا الخبر أغاروا عليه وهزموه وأتلفوا غالب جيشه وكان من ضمن الاسرى القليلى العدد الذين أخذوهم من الغارة رغولوس نفسه فسافر أسطول رومانى من بعد حصول الواقعة مباشرة لرد الباقين على قيد الحياة من الرومانيين فتم هذا العمل من بعد هزيمة الاسطول القرطاجنى على مسافة من رأس هرميانة وضاع منه ١١٤ سفينة وعند عود الاسطول الرومانى الى ايطاليا نزلت عليه عواصف شديدة وتلافيح مهولة ضيعت منه ٢٧٠ سفينة بحمائلها وما عليها وما نجا من الاسطول الا ثمانون سفينة فقط ثم ان القرطاجنيين تباهوا بانفسهم وقت حصول هذه المصيبة للرومانيين وتجاسروا على تجديد الحرب فى نواحى سيسيليا ظانين أنهم يتغلبون على هذه الجزيرة باسهل طريقة فالتقاهم الرومانيون بجيش قوى وفى فصل ربيع سنة ٢٥٤ قبل الميلاد أرسلوا أسطولا جديدا مؤلفا من ٣٠٠ سفينة من سفائن الدرجة الاولى الى المياه السيسيليانية وفى السنة التالية كانت احدى المصائب الكبرى فى البحر وهى ضياع ١٥٠ سفينة من العواصف والزوابع فمن ثم امتد الحرب الى سنة ٢٥٠ قبل الميلاد حتى اكتسب فيها القنصل كصليوس مطلوس نصرة عظيمة على القرطاجنيين تحت أسوار مدينة بانورموس وأخذ كامل القوة القرطاجنية من الفيلة الحربية وقدرها ١٢٠ فيلا فتولد من هذه الخسائر الزام القرطاجنيين على عدم عمل حرب تعرضى وتقهقروا الى داخل معاقلهم وحصونهم فحاصرهم الرومانيون فيها وفى مدة السبع سنوات التى جاءت بعد استمرار الحرب على ما كان عليه وكان النصر فيه عموما للقرطاجنيين وتسبب من مشروعات حملكار برقة القائد القرطاجنى وأعماله التى أجراها ضعف الرومانيين وجلب عليهم المضايقات والعناء الشديد ووقع الخراب فى الساحل الايطاليانى كما يشتهى من دون أن يلقى كيدا أو أدنى مقاومة وما قدر الرومانيون أن يرسلوا عليه قائدا يضارعه ويهزمه واجتهد مجلس السناتو اجتهادات ضعيفة فى مقاومة العدو وتوقيف حركاته ولما اشتد الكرب وعظم الخطب فى سنة ٢٤٢ قبل الميلاد ملك أهل رومة أزمة الامور فى أيديهم وباشروا الاعمال وبذلوا مجهودهم وأظهروا غيرة ومحبة وطنية ما ظهرت على وجوههم أبدا قبل هذا وعموا مسئلة هذا الحرب وفى السنة الثالثة والعشرين من هذا الحرب الذى أفنى الاموال والانفس أنشؤا أسطولا مؤلفا من ٢٠٠ سفينة من الدرجة الاولى وطقموه بعساكر مقدارها ٦٠٠٠٠ نفس من البحرية وقدموه للحكومة فعهدت الحكومة رياسة هذا الاسطول الى القنصل جايوس لوطاطيوس كاتولوس فطرد أمامه القوة القليلة القرطاجنية ووصل سيسيليا وضبط مينتى ليلبيوم ودريبانه وحاصرها تين المدينتين أشد الحصار برا وبحرا فأسرعت قرطاجنه فى ارسال اسطول الى سيسيليا فوصل الى مسافة من دريبانه فى فصل ربيع سنة ٢٤١ قبل الميلاد فخرج الرومانيون بمراكبهم فى الحال للاغارة عليه وكانت بينهم الواقعة على مسافة من جزيرة عيغوسه الصغيرة المسماة الآن فاو جمانا وهزموا القرطاجنيين وضيعوا من سفائنهم خمسين سفينة وأخذوا سبعين فمن ثم ضعف حال القرطاجنيين جدا مما حل بهم من هذه المصائب والخسارات ورضوا بعقد صلح أخلوا فيه سيسيليا وما جاورها من الجزائر ودفع غرامة حربية مقدارها ٣٢٠٠ وزنة عبارة عن ٣٤٠٠٠٠٠ دولار أمريكانى أو ٤٠٠٠٠٠ ليرة استرلينيه وأخلوا سبيل كافة الاسرى الرومانية من دون فداء ومن ثم انغلق الحرب الاول القرطاجنى من بعد أن لبث أربعا وعشرين سنة تقريبا فكان مكسبا عظيما لرومة وطردت قرطاجنه من المياه الايطاليانية

وتقدمت رومة حتى صارت أول درجة فى الدولة البحرية

وفى سنة ٢٣٨ قبل الميلاد لما تضايقت قرطاجنة مما حل بها من ثوران وهياج عساكرها الاجرية ضبطت منها رومة جزيرة سردينية وما قبلت رومة استلامها على حسب طلب قرطاجنة فقط بل هددتها بالحرب وتجديده عليها ثانيا وفى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد توجت رومة نجاحها فى سردينية وأضافت اليها جزيرة قورسقه ووضعت رومة حكومة هاتين الجزيرتين مع جزيرة سيسيليا تحت أحكام نواب قناصل ووظيفة كل منهم حاكم ورئيس قيادة وقاضى قضاة وتعين واحد نائب قنصل لجزيرة سردينية وقورسقه وكان هذا أول الفروع الرومانية فى الاحكام

وكان قبل ذلك بسنة أو سنتين طلب المدائن الجريسية الموجودة على ساحل البحر الادرياطيق مساعدة من رومة من أجل قطع دابر اللصوص الاليريانية الحاصل من نهبهم لها كل الاذى والضرر فأرسلت رومة فى سنة ٢٣٠ قبل الميلاد رسلا الى الاليريانيين يطلبون منهم الكف عن الاذى والنهب الحاصل منهم فقتلوا الرسل فأنشبت رومة الحرب عليهم فى الحال وأرسلت فى السنة التالية أسطولا مؤلفا من ٢٠٠ سفينة الى البحر الادرياطيق فأباد جميع اللصوص وقطاع سبل البحر وكان من أجل نتائج هذا المشروع أن أقامت رومة شوكتها وسيادتها على قسم من اليريا ودلماطيا ووضعت حمايتها على جريق أبولونيه وابيدامنوس وقورصيره وفى نظير هذه الخدمة الجليلة قبل الجريس اشتراك الرومانيين معهم فى الالعاب البرزخية وفى الاسرار العلوصنيانية وكان من أعظم الامور لرومة أن نالت مطلوبها فى وضع قدمها فى الجهة المقابلة من البحر الادرياطيق وصار لها الحق فى تداخلها فى الاعمال الجريسية

وفى ظرف هذه السنين حصلت ارتباكات وقلاقل مع الغليين فى ايطاليا الشمالية وأشعل الغليون حربا على رومة فى سنة ٢٣٨ قبل الميلاد الا انهم انجبروا على عقد صلح على حساب مصاريف بعض أراضيهم من بعد حرب لبث سنتين وفى سنة ٢٣٢ قبل الميلاد عزمت رومة على حطم شوكة الغليين واجادها الاجل خلاصها وعتقها من الضرر المستمر الحاصل لها من تلك الجهة فوسعت فى هذا الوقت أراضيها ورحفت بمستعمراتها الى داخل أراضى مدينة صينيون من أعمال الغلية واندفعت هذه المستعمرات الى جهة الامام بعنف وكثر عددها فى ظرف السبع سنوات التى جاءت بعد وانضح غرض رومة الخفى وصوحا ظاهرا حتى التزم الغليون على حمل السلاح فى وجهها وابتدأ الحرب فى سنة ٢٢٥ قبل الميلاد وتساعد أهل مدينة صينيون الغلية باقاربهم الموجودين خلف جبال الالب من الجهة الشمالية وامتد الحرب ثلاث سنوات حتى انه فى وقت من الاوقات زحف الجيش الغليقى حتى صار قريبا من كلوسيوم وارتاعت رومة وخافت على نفسها من الحالة التى أنزلها عليها برنوس الا ان الغليين تشتت شملهم وتمزق جيشهم فى واقعة كبيرة وقعت بالقرب من طلامون فى عطروريا وكانت نتيجة الحرب تغلب رومة على كامل الغلية الجنوبية وأضافتها الى المملكة الرومانية ولاجل ضبطها والمحافظة عليها غرست بها مستعمرات جمة من أهلها وواصلت هذه المستعمرات مع رومة بطريق عسكرى كبير تفرع منه عدة فروع وكانت تعرف هذه الطريق باسم الطريق الفلامنيانى وصارت رومة فى هذا الوقت سيدة جميع ايطاليا من ابتداء السور الاكبر لجبال الالب الى الساحل الجنوبى فى جزيرة سيسيليا ومن البحر الى البحر

وفى أثناء هذه الاعمال كانت قرطاجنة التى كانت خضعت لرومة بالنظر لضرورة أحوالها

وأعمالها ورضيت بظلم وتعديات عدوتها عليها وعلى أملاكها بسبب عدم طاقتها على صدها شارعة فى البحث بكل جهدها وطاقتها على استرجاع ماضاع منها وعلى استعداد من تجديد الحرب على شرط أن تشرع فيه بمجرد استعداد هاله ولما زادت وسائل ثروتها وقويت شوكتها ابتدأ حملكار فى سنة ٢٣٩ قبل الميلاد بالتغلب على بحيث جزيرة اسبانيا ولما مات فى سنة ٢٣٨ قبل الميلاد أحيل هذا الشغل على صهره أى زوج ابنته حازدروبال فسار فيه مع البسالة والنباهة وما اكتفى هذان القائدان بدخول اسبانيا تحت الحكم القرطاجنى فقط بل بذلا مجهودهما فى تشييدها الى حالة جعلت لها طاقة على ان تكون حليفة نافعة للقرطاجنيين وبنوا المدائن وأقاموا علاقات المتاجر والمبيوعات وتعليم الوطنيين الفنون الحضرية والصنائع البلدية خصوصا فن الزراعة وتمذنوا فى التعليمات العسكرية واستكشفوا محلات جديدة لاستخراج معادن الفضة منها فحصل منها النفع العظيم والاستغلال الجسيم ومن ثم ازدادت محصولات اسبانيا وصارت على غاية من الوفرة والكثرة وحصل فى المملكة النجاح والفلاح والفوز والصلاح الذى ما كان لها معلوميه به من قبل وما كانت محصولاتها وايراداتها على قدر المصاريف اللازمة لاقاليمها وأشغالها فقط بل كان يزيد منها مبالغ وافرة كانت ترسل الى الخزينة القرطاجنية فمن هنا حصل تغييرمهم فى طريقة الاعمال القرطاجنية بمجرد غلاق الحرب الاول القرطاجنى وهو تعيين حملكار لرياسة قيادة الجيش لمدة غير محدودة وتنازلات الحكومة للجيش عن حق انتخابه لنفسه خليفة بدله من بعده ونه فقتل فى واقعة مع الوطنيين فى سنة ٢٢٧ قبل الميلاد وخلفه صهره أى زوج ابنته حازدروبال فذبح فى سنة ٢٢٠ قبل الميلاد وانتخب الجيش القرطاجنى لنفسه فى الحال حنبال وهو الابن الاكبر لحملكار خليفة عليهم من بعد حازدروبال والتزمت الحكومة المحلية على تأييد هذا الانتخاب وكان هذا القائد الجديد شابا لم يتم عمره تسعا وعشرين سنة فمع انه كان شابا الا انه كان متدربا على الاعمال العسكرية وعلى دراية تامة منها فكانت تعليماته الابتدائية فى الحرب وصحب أباه الى سيسليا حالما كان صغيرا وشاهد ماحل بهذا البطل الشجاع القائد من الاوجاع والآلام عندما أرغم على قبول صلح بشروط ذليلة مهينة حصل منها غلاق الحرب الاول القرطاجنى ولما بلغ عمره تسع سنوات توجه الى اسبانيا مع أبيه وكان أخذه قبل ذلك أمام محراب آلهة بلاده وحلفه قسما أن يكون كريها لرومة ومبغضا لها مادام على قيد حياته فمن ثم رأى حنبال فى نفسه من تهذيبه وتربيته انه هو الآخذ بثأر بلاده والمنتقم لها من عدوها وكان مستعدا على الدوام لاجراء الاعمال الواجبة عليه فى خدمة وطنه ومع انه قضى القسم الاعظم من حياته بين العساكر الا انه ماحصل السهو والنسيان فى تهذيبه فى العلوم والمعارف فضلا عما كان عليه من الآداب والمعارف المنسوبة للامة لغنيقية فى عصره وكان له دراية تامة باللسان الجريقى وكان خفيف الجسم صلب الاعضاء حسن الهيئة سياقا راكبا للخيل حائزا جميع القوى المشهورة فى التعود على المصاعب والجوع وقلة النوم وسير نفسه فى الجيش وأظهر بسالته وشجاعته فكان يحارب مع أبيه عندما قتل أبوه وقلده صهره وهو زوج أخته قيادة الخيالة فاكتسب بسرعة ثقة الجيش واعتمادهم عليه بما حصل من مباراته وعمله كما يفعل قائد من القواد وظهرت شجاعته الشخصية وتدبيراته الحربية ولما قتل حازدروبال وجه العساكر وجوههم الى حنبال مع التمييز الغريزى كأنه قائدهم الاصلى وكان أحد النبلاء الكرام كما كان أحد النبيات الممنوحة فى عصره ونبتت له الشوكة التى ساس بها الناس ودبر بها الجيوش حتى كان لا يباريه فى

عصره ولا يوازنه في تدبيره واجرائه أحد من عصره ويستدل من تدبيره جيشا مركبا من أمم مختلفة الالسنة واللغات ماحصل فيه أدنى هياج أو ثوران ضده في وقت من الاوقات الرديئة على كمال جلالة قدره وعلو همته وشأنه وكان عالى الهمة جليل القدر يشرح صدور الامم أينما توجه وأينما حل وكان أول مشروع شرعه حنبال هو تشييد السيادة القرطاجنية في اسبانيا ومرّن جيشه وعلمه الاعمال والمشروعات الكبيرة اللازمة للحرب في مدة حرب استمر سنتين مع القبائل والعشائر الاسبانية الوطنية وكان له دراية تامة ومعرفة جيدة حقيقية من ضعف قرطاجنة في الحروب الدفاعية عنها فعزم من أول أمره على الاغارة على رومة في ممالكها وصدها وحرمانها من الهجوم والغارة على بلادها التي هي أعداؤها ولما جاءت الساعة الموافقة لاعماله ومشروعاته وتيقن من صلاح حالته فيها أهاج حربا اختلقه على رومة وذلك أن مدينة ساغونطوم الجريقية كانت وضعت نفسها تحت حماية رومة فهجم عليها حنبال وتغلب عليها من بعد أن حاصرها ثمانية شهور وأرسل الغنائم التي أخذها منها الى قرطاجنه ووزعت فيها على القرطاجنيين فطلب الرومانيون في نظير ذلك تسليم حنبال واسترداد ساغونطوم وماضاع منها فكان جواب قرطاجنه اعلان الحرب على رومة ومن ثم ابتدأ الحرب الثاني القرطاجني في سنة ٢١٩ قبل الميلاد

مطلب
الحرب الثاني القرطاجني

وعهدت قرطاجنة زمام رياسة قيادة الجيش في كل من ناحيتي اسبانيا وافريقيه على حنبال كما كانت لابيه وصهره وأحيلت على عهدته المدافعة العمومية عن كل من المملكتين فعزم أولا على توطن الامن فيهما بالاغارة على ايطاليا وكان جيشه خاضعا له منقادا لاوامره ولما كان لايوجد عنده عمارة بحرية كافية لمقاومة الرومانيين عزم على الغارة على ايطاليا من طريق البر وأخبره أهل الغلية بامكان عبوره من جبال الالب لانهم كرروا العبور منه بانفسهم ولهم دراية تامة بدروبه ومخارجه ومنافذه فصمم حنبال على دخول أراضى العدو من تلك الجهة وترك أخاه حازدروبال في قيادة عساكر اسبانيا وقريب القربان الى هيرقول الصورى في جزائر جاديس ثم سار من قرطاجنه في فصل ربيع سنة ٢١٨ قبل الميلاد في رأس جيش مؤلف من ٩٠٠٠٠ نفس من المشاة و ١٢٠٠٠ من الخيالة وسبعة وثلاثين فيلا وكان ثلثا العساكر من افريقية والباقى من اسبانيا وكلهم من رعايا دولة قرطاجنة وما كان حنبال معوّلا على حركات فيلته بل ساقها معه لاشياء كانت منظورة له في المستقبل يجريها على الغاليين وعارضه في أثناء سيره القبائل الاسبانية التي كانت موجودة بين نهر ابره وجبال البرنات وقاوموا حركته فهزمهم وتغلب على أراضيهم ووضع فيها فرقة من العساكر مؤلفة من ١١٠٠٠ نفس لاجل ضبط أهلها ومحافظة البلاد ولما وصل حنبال جبال البرنيس أرجع قطعة من جيشه الى بلاده وهو شغل كان عزم على اجرائه من الاول ليبين للباقى ماهو عليه من ثقة النجاح والفوز وأبقى معه قوة مؤلفة من ٥٠٠٠٠ من المشاة و ٩٠٠٠ من الفرسان واستمر في سيره بهذه العساكر والفيلة من وسط أراضى الغلية أصحابه حتى وصل الى نهر الرون

وأما الرومانيون فانهم كانوا في هذا الوقت مشغولين بالاستعدادات اللازمة لمحاربة قرطاجنه ولما صارت العساكر الرومانية على أهبة من السفر الى ما استعدوا له طلبوا التسكين ثورة في سهل نهر البو فلما عادوا اقتضى الحال ارسالهم الى اسبانيا تحت قيادة القنصل بوبليوس كورنيليوس صكيبيو ولمساعدة محالفى رومة فمر في أثناء سفره على مسيليا (مرسيليا) وكانت في محالفة مع رومة فعرف صكيبيو منها ان

حنبال موجود على شواطئ نهر الرون فترك السفر الى اسبانيا وتساعد بقيا كل الصلطيق الغاطنين في الجهة السفلى من نهر الرون وكانوا هم أيضا على صداقة لرومة وشرع في منازعة عدوه وصده من عبوره الى الشاطئ الايمن من هذا النهر الا أن حنبال كان نجح في عبور جيشه من فوق النهر بواسطة رواسى وقوارب جمعها على قدر امكانه من الموجود من قبل وصول صكيبو اليه وكان عبوره من فوق النهر بالقرب من المدينة الجديدة المسماة أورنجه وعلى مسافة عشرين ميلا من أعلى أفجنون ولما عبر حنبال النهر صار من المستحيل صد الجيش القرطاجنى عن الوصول الى جبال الالب وما احتاج حنبال الى الانتظار لوجود الاعين الوطنيين يدلونه على الدروب والمعابر اللازم عبور الجبال منها فضلا عن أنه ما كان معتمدا على مثل هذا الشغل فانتخب لنفسه الدرب المعروف بدرب سنت بارنارد ومع انه كان هذا الدرب كثير العلو والطول الا أنه كان أسهل الدروب والبوغازات القديمة القاطعة جبال الالب ويسهل عليه منه نقل مهمات الجيش وذخائره فامتد عبوره وقطعه هذا الدرب خمسة عشر يوما كابد فيها مصاعب وأهوال السير لانه فضلا عن تحمله مشاق الارض وأهوالها الطبيعية حارب هذا القائد القرطاجنى في أثناء مروره من الدرب أراضى القبائل والعشائر الموجودة على كراهة وعداوة له ومع ما فيه فانه غلب على كل ما لاقاه من المصاعب ونزل في سهل نهر اليو بنصف القوة التى كانت سارت معه من جبال البرينيس وهى ٠٠٠ ٢٦ نفس ومع ما كان عليه من الخطا في مشروعه هذا فان عبوره من جبال الالب أثبت له اسم قائد أعظم وضيغم أروغ وتأهل أهل انصوبر الغلبية بحنبال ورحبوا به وأجلوا مقامه أشبه بكونه مخلصهم من ربقة رومة وسنحت لهم فرصة عتقهم من الرومانيين أسيادهم فصرف حنبال مدة قليلة في بلادهم من أجل راحة عساكره ثم سار عازما في سفره الى نهر طسنوس لملتقى الجيش الرومانى وكان مجمع اصد زحفه تحت قيادة القنصل صكيبو فهزم حنبال هذا القنصل على شواطئ ذات النهر وفى شهر ديسمبر من هذه السنة شتت شمل جيشى القنصلين صكيبو وطبريوس سمبرونيوس وكانت أحيلت على عهدته قيادة جيش صكيبو لانه كان جرح في الواقعة التى حصلت سابقا وكان هذا التشتت والهزيعة على شواطئ نهر طربية فجعلت هذه النصرة للقائد القرطاجنى السيادة على ايطاليا الشمالية وانضم اليه في الحال أهل الغلية الجنوبية وكانوا الى هذا الوقت في حيادة عنه مراقبين ما يحصل من نتائج الحرب ومع ما حصل له من هذه المظفرات قد ارتبك في أموره وتحير في أشغاله بواسطة ما حصل لعساكره الافريقية والاسبانية من العناء والكرب الذى حل بهم من عدم طاقتهم على شدة برد وصقيع فصل شتاء هذه البلاد

وفى فصل ربيع السنة التالية أى سنة ٢١٧ قبل الميلاد عبر جبال الابنين وسار من المستنقعات الصعبة لنهر الارنو مع السلامة والعافية وزحف بجيشه داخل ايطاليا وسمع بحركة القنصل جايوس فلاميديوس وكان عزم على منازعة عبوره من جبال الابنين فلما خاب القنصل فيما كان يؤمله من صد حنبال انتظره في نواحى مدينة ارطيوم وكان القنصل فلاميديوس خبيثا متفاخرا في نفسه يرى نفسه أنه أعظم من حنبال كثيرا فأسرع حنبال في الاجراآت المقتضية لغشه والمراوغة منه وبدل أن يهجم على فلاميديوس سار من خلفه وأحدث في خراب البلاد الموجودة على طريقه وفى هذا الوقت انقرض القنصل مما وقع فيه من العيوب والفضائح التى حصلت له وترك موقعه الحصين وتبع حنبال في سيره ولما تيقن حنبال من حركة عدوه انتخب لنفسه ميدانا لمحاربة

فى درب ضيق من الجهات بين أسوار جبلين واقفين مقفول من جهة مخرجه بجبل شامخ ومن جهة مدخله ببحيرة طراسيمى فلما أراد فلامينيوس أن يطرده من هذا الموقع كر عليه حنبال وأباد جيشه وما وقع بين الاثنين قتال بل حصل تشتت فقط ثم تتبعه حنبال مع ما كانت عليه الفرق الرومانية من الشجاعة فان القرطاجنيين أهلكوا الجيش الرومانى وتلف عن آخره وقتل فلامينيوس ضمن القتلى وأسر من الجيش الرومانى نحو من ١٥٠٠٠ نفس وضاعت عطرورية وفتح الطريق الموصل الى رومة فكسر الرومانيون جميع القناطر والكبارى الموجودة على نهر الطيبر وعينوا كنطوس فابيوس مكسيموس مدافعا وحاميا لهم مع قوة كافية لملافاة ما حل بهم من هذه المصائب التى حاقت بالبلاد ودمرت العباد ومع هذا فان حنبال لم يزحف فى سيره نحو رومة بل حاد عنها وسار نحو أبولية لاجل جمع جيشه وراحة عساكره ورغب فى فصل الامة الايطاليانية من الامة الرومانية بكونه أطلق جميع الاسرى من الامة الايطاليانية الذين أخذهم فى ميدان الحرب وأرسلهم الى بلادهم من غير فداء فكانت مساعيه على غير طائل لان المدائن الايطاليانية غلقت أبوابها فى وجهه وما التحق به واحد منهم فشرع هو كذلك فى مشروعات جليلة فى مدة الشهر الذى مضى بين نصرته الكبيرة وعوده الى أعماله الحربية بكونه أدخل فى جيشه كافة النظامات والترتيبات الجارية حسب المنوال الرومانى وطقم بالاسلحة التى أخذها فى الوقائع عساكره وتم هذا المشروع الصعب مع النجاح الكامل أمام العدو

ولما تقلد فابيوس زمام قيادة الجيش الرومانى أجرى طريقة أعمال حربية مغايرة بالكلية للطريقة التى كان أسلافه جارين على موجبها وصمم على عدم محاربة فى الميدان مع هؤلاء الفاتحين وأمل فى نفسه أن فيه الكفاية التامة فى هلاكهم بطريق القحط والجوع وكان متيقنا فى نفسه أنهم على شرف من فراغ مؤناتهم وما يلزم لهم من العلوفة وتخيل فى فكره ان حنبال لا يتجاسر على الزحف أو التقدم أو الانتقال من محله الى جهة ما مادام الجيش الرومانى واقفا فى مواجهته ثم استيقظ بعد من غفلته وعما كان تخيل له من الخطا البين فى هذا المشروع بكون القرطاجنيين راوغوه وتركوه ونزلوا فى السهول الخصبة من بلاد كامبانيا ورتب حنبال مواصلات مع مدينة قابوه وكانت أجل مدينة عظيمة من بعد رومة مؤملا أن الكامبانيين ربما يسطون من معاهدة رومة ويثورون عليها وينضمون اليه الا أنه لم ينل من ذلك شيأ يعود منه النفع عليه فرضى فى نفسه بتخريب البلاد وجمع الذخائر والمؤنات اللازمة لاحتياج جيشه فى أثناء فصل الشتاء المقبل وفى مدة ما كان حنبال مجريا هذه الاعمال كان الجيش الرومانى تحت قيادة المحاذر على نفسه مجبورا على مشاهدة خراب البلاد من فوق الجبال وما هو حاصل من الفظائع الواقعة من خيالة النوميديانيين فى تدميرهم البلاد بالسيف والنار بسرعة زائدة كل هذا كان جاريا على مرأى من أعين قواد وضباط وعساكر الجيش الرومانى فهاج الجيش هياجا زائدا على فابيوس وطلبوا منه سوقهم فى الحال الى الحرب ولما وطد فابيوس فرصة اشتياق العساكر الى الحرب ورغبتهم فيه سار فى الطريق الموصل الى كاسلنوم وهى مدينة قابوه الجديدة ورتب الخفر اللازم على المرتفعات الحاكمة على هذا الطريق وسكن روع نفسه بكونه قطع خط رجعة عدوه ومن بعد أن عرف حنبال مكر وخدائع فابيوس وما هو عليه من العزم حفظ سلامته منه بتدبيرات أجراها وخدائع سواها فانتظر الى الليل

وأرسل عساكره الخفيفة لتسلق فوق المرتفعات وساقوا أمامهم كثيرا من الأثوار والابقار مربوطا في قرني كل منها شعلة من نار وطردوا هذه المواشي أمامهم مع السرعة فظن الرومانيون أن عدوهم سائر نحو المرتفعات بمشاعل من نار فأنزل في الحال فابيوس عساكره التي كان رتبها لحراسة الطريق وضبطها وسار خلف ما كان يظن أنه جيش حنبال وأما حنبال فانه بمجرد ما رأى خلو الطريق من خفرها وحراسها أسرع في المسير بجيشه من تلك النقطة الخطرة وفي صباح اليوم الثاني جمع عساكره الخفيفة من فوق العلالي وأوقع بالجيش الروماني خسارة شديدة ثم انسحب الى ابوليا بالذخائر والعلوفات الكافية لجيشه في مدة فصل الشتاء

ومع ان ادارة فابيوس كانت مشؤمة على الرومانيين وما حصل منها أدنى فائدة بل اتلافات جمة الا أن ذلك ارتفع عن الرومانيين بما حصل من نتائج الاعمال في فصل الربيع الثاني من سنة ٢١٦ قبل الميلاد وذلك أن الرومانيين جندوا جيشا مؤلفا من ٩٠٠٠٠ نفس تحت قيادة القنصلين اميليوس بولوس وطرنطيوس فارو وأرسل هذا الجيش الى ابوليا فهزم حنبال هذا الجيش العريض بالقرب من المدينة الصغيرة المسماة كانيه مع خسارة قدرها من ٤٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ قتيل وكان من ضمن القتلى القنصل أميليوس وثمانون من أرباب مجلس السناتو أى من الاعيان وما بقي من العساكر هرب أو قتل ما عدا شرذمة قليلة كانت تحت قيادة فارو فانهم حفظوا خط رجعتهم وتقهقروا مع الانتظام فكانت هذه الهزيمة أعظم مصيبة على رومة ما كابدت الامة مثلها وقعت عليها من قوة قليلة وبها وقع كامل ايطاليا الجنوبية في قبضة حنبال وسلمت كافة المدائن نفسها ما عدا المستعمرات الرومانية والمدائن الجريقية الموجود فيها محافظو الرومانيين وأما مدينة قابوه فانها فتحت أبوابها وقت اقتراب حنبال منها وصارت محطة عسكرية له قضى فيها فصل الشتاء بجيشه ثم ان فيليب الخامس صاحب مقدونيا وهيرونيموس صاحب سراقوسه من سيسيليا صارا حليفا قرطاجنة وأرغما الرومانيين بتفريق قواهم على مقابلة كل منهما فاغتر حنبال في هذا الوقت من توطيد نجاحه ومن المحتمل أنه كان يحصل هذا النجاح لو كانت قرطاجنة سارت على حسب شهوات نفسها وعاملت هذا الرجل الذي كان فيه صلاحية وقابلية لهزيمة رومة وكسر شوكتها بمعاملات دنيئة قبيحة

وكان تدبير رومة في مدة هذه المشاكل الشديدة والاخطار والمصائب التي حاقت بها من العجب العجيب وذلك أنها بذلت مجهودها وما في طاقة أهلها وجندت جيشا آخر وأرسلته الى ميدان الحرب في مواجهة حنبال واشغل كلا من مقدونيه وسراقوسه بالاستعدادات اللازمة في بلادها حتى يكون لكل منهما طاقة على ارسال مساعدات الى حنبال وأما المدائن الجريقية والمستعمرات الرومانية فانه لم يقع فيها روع ولا هلع مثل ما حصل لمدينة كانيه وغلقوا أبوابهم في وجوه القرطاجنيين وصار من الواضح الجلي أن حنبال صار في حالة لا يمكنه أن يكتسب منها أدنى فائدة من دون أن يجمع قوى جديدة وكذا تعين قواد جديدة في قيادة الجيوش الرومانية وتوظف فيها أمهر القواد مثل طبريوس صمبرونيوس غرافشوس ومركوس فالريوس وكان على الجميع مركوس كلوديوس مرتلوس وكان عالي الهمة صاحب شجاعة وتدبير في الحروب وفي سنة ٢١٥ قبل الميلاد صار للرومانيين طاقة على شرعة حنبال تحت أسوار مدينة نولا والزامه على المدافعة عن نفسه وكانت ضعفت شجاعة عساكره من رفاهيتهم في عيش قابوه وملذهم بما كانوا فيه من النعم في مدة فصل الشتاء السابق فصار لا طاقة لهم على ضرب

الرومانيين والتزم حنبال على كونه يتأمل ويتبصر فى العواقب حتى رأى فى نفسه أنه لايمكنه تيسر الحصول على نجاح فتح ايطاليا الا اذا ورد له تقويات كبيرة وأمداد من نواحى افريقه واسبانيا وكان حازدروبال فى اسبانيا كسره صكيبيو على شواطئ نهر ابرة وضايقه مضايقة شديدة حتى ان قرطاجنة أرسلت العساكر والذخائر التى كانت أعدتها للمساعدة حنبال الى جهة حازدروبال لان ضبط اسبانيا والمحافظة عليها من أهم الامور عند قرطاجنة

وفى سنة ٢٤٥ قبل الميلاد قتل هيرونيموس صاحب سراقوسة وفى سنة ٢١٢ قبل الميلاد تغلب مرسليوس على سراقوسة من بعد أن حاصرها سنتين وأما حازدروبال فى اسبانيا فانه أشعل حربا شديدا على الاصكيبيونيين وهما كنطوس وبوبليوس وكانا مجدّين فى اغتصاب بحيث جزيرة اسبانيا من قرطاجنة الا أنهما صارا يأخذان من حازدروبال البلاد شيأ فشيأ وصار على شرف الالزام بالخروج من اسبانيا فانتصر عليهما فى سنة ٢١٢ قبل الميلاد نصرة جليلة وأوقع بهما هزيمة مهولة قتل الاثنان فيها فصار ارسال جايوس كلوديوس نيرو وهو ضابط ماهر الا أنه فاسد الطبع خليفة بدلهما مع قوة امدادية قدرها ١٢٠٠٠ نفس فنجح نيرو فى جمع ما بقى من الجيش الا أنه لم يتيسر له الظفر بخلاص المحالفين لرومة فضلا عن كونه صار على شرف القبض عليه بحازدروبال فى سنة ٢١٠ قبل الميلاد وفى السنة التالية أرسل السناتو بوبليوس صكيبيو ابن القنصل صكيبيو الذى كان قتل فى اسبانيا متقلدا زمام قيادة الجيش فكان هذا الشاب صكيبيو من الطبقة الاولى فى زمرة القواد العظام فأظهر شجاعته وبسالته بوقوع مضايقات شديدة على حازدروبال وأخذ منه عاصمته قرطاجنة وفى سنة ٢٠٨ قبل الميلاد هزم حازدروبال فى ادالوسيه (الاندلس) ثم صدرت الاوامر من قرطاجنة الى حازدروبال فى اسبانيا بالتوجه من الغلية الى ايطاليا لمساعدة حنبال فمن بعد هذه الواقعة الاخيرة ترك حازدروبال اسبانيا تحت قيادة اثنين من قواده وجد فى سيره وحارب فى طريقه الى الساحل الشمالى من اسبانيا بعض العشائر الى أن عبر جبال البرينيس من طرفها الغربى ودخل بلاد الغلية وسار نحو جبال الالب من دون أن يلقى أدنى مقاومة والتحق به الكثير من أهل الغلية فمن ثم كان جيشه آخذا فى الزيادة كلما تجوّل فى البلاد وعبر جبال الالب من الدرب الذى عبر منه أخوه وفى فصل ربيع سنة ٢٠٧ قبل الميلاد نزل فى سهل نهر البو وما كان أحد منتظرا سرعة وصوله الى ايطاليا بهذه الحالة وكذا ما كان الرومانيون على أهبة استعداد للتلقاه فلو أنه جد فى سيره نحو رومة لتغلب على المدينة وانقضى نحب الحرب الا أنه وجه جيشه لمحاصرة مدينة بلاسنطيه ووقعت اجرا آته وأعماله الاخيرة فى يد القنصل نيرو

وفى غضون هذه المدة ابتدأ حنبال فى الحركة نحو الجهة الشمالية حالما سمع أن أخاه مر من جبال الالب وذلك من بعد أن صرف المدة من ابتداء واقعة كانيه فى اتمام فتوح ايطاليا الجنوبية فتبعه القنصل نيرو على قرب منه بجيش مقداره ٤٠٠٠٠ نفس لكن يظهر أن القائد القرطاجنى ما كان عنده أدنى تزعزع فى حركته من هذه القوة لانه كان يراوغها بأحد أجنحة جيشه عند ما يرى الموافقة فى ذلك ولما وصل حنبال الى مدينة قانوصيوم وقف بجيشه ينتظر افادة من أخيه يعلمه فيها بطريق اتصال قوتيهما فضبط هذا المكتوب بنقط الحرس الخارجة الرومانية وسلموه للقنصل نيرو فكان فى هذا المكتوب أن حازدروبال عازما على الحركة الى الجهة الجنوبية من طريق فلامينيوس وان مدينة

نارنيه هى النقطة التى يتعشم فيها الحاقه بحنبال وأرسل القنصل نيرو فى الحال قوة قدرها ٨٠٠ نفس من العساكر الرومانية الى نارنيه لاجل المحافظة عليها وأخذ قوة قدرها ٧٠٠ نفس من عساكره المتدربة وترك معسكره وأسرع الى سنه غاليقه وكان فيها القنصل الآخر مركوس ليوقيوس منتظرا زحف حازدروبال وصار القنصلان سويه نحو حازدروبال فوجداه عبر من نهر المطوروس فألزماه المحاربة ومن بعد أن وقع بينهم واقعة شديدة هزماه وتبدد الجيش القرطاجنى ورغب حازدروبال فى استرداد ما ضاع منه فى الهزيمة فغرق فى صفوف الرومانيين ومات موتة شجعان العسكرية ثم بعد هذا جد نيرو فى سيره عائدا الى قانوصيوم فوجد فيها حنبال لم يزل منتظرا ورود الافادة من أخيه وكان على غاية من التلهف والشوق لها ومضى على ذلك أسبوعان من ابتداء تعسكر العسكر فى هذه الجهة ولم ترد أخبار من جهة حاردروبال فأتى القنصل نيرو بالافادة معه وهى رأس حازدروبال مضمخة بالدماء وأمر برميها فى معسكر حنبال مكافأة من طبيعته البربرية القبيحة لسخاوة وكرم الشجاع القرطاجنى جزاءله على فعله الجليل الذى أجراه من الاحتفال العظيم بجنازة كل من بولوس غراقشوس ومرثلوس حال دفنهما فظهر لحنبال من حقيقة هذه الرسالة فقدان كل شئ فى الجيش فترك معسكره وتقهقر الى أراضى البروطيانيين وفى جبالها القاصية أمكنه البقاء على موقعه فى البحث حزيرة ومن منها عكنه الانسحاب من تلك البلاد ومكث ثلاث سنوات ضابطا هذا الموقع الا أن الوقائع الحربية كانت بعيرثمرة بالكلية

وفى هذا الوقت أصلح صكيبو ما كان حصل منه من الخطا فى كونه مكن حازدروبال من تركه اسبانيا بواسطة تغلبه على مملكة اسبانيا وفى سنة ٢٠٤ قبل الميلاد عزم صكيبو على الغارة على أراضى مملكة قرطاجنه فأقلع من ايطاليا الى افريقة فى رأس ٣٠,٠٠٠ نفس و ٤٠ سفينة حربية و ٤٠٠ سفينة نقالى وما قابل أحدا فى أثناء سفره هذا ونزل على البر بالقرب من أوطيقه فوجد القرطاجنيين متساعدين بقوة قدرها ٥٠,٠٠٠ من المشاة الليبانيين و ١٠,٠٠٠ من الخيالة تحت قيادة صفاقس ملك وطى من ملوك أفريقه فاجبر صكيبو على أن يكون مختارا على الدوام لجهة الساحل وفى السنة التالية أى سنة ٢٠٣ قبل الميلاد أغار على معسكر القرطاجنيين وهزم جيشهم ومن بعد مضى بضع أسابيع وردلقرطاجنة قوة من مقدونيا وعساكر من اسبانيا فهزمهم صكيبو أيضا ثم من بعدما كان القرطاجنيين طاقة يبرزون بها الى ميدان الحرب بعد هاتين الكسرتين فطلبوا حنبال من ايطاليا من أجل خلاص قرطاجنة فما حصل منه أدنى تذمر أو ذم لحكومته بل عاد حنبال الى قرطاجنة واجتهد فى أداء الاشغال التى تحولت على عهدته فجمع جيشا والتقى مع صكيبو فى نواحى مدينة الزامه فى فصل ربيع سنة ٢٠٢ قبل الميلاد فوجده صكيبو خصما شجاعا زيادة عن جميع من وجدهم من القواد ومع ما كان عليه حنبال من جودة التدبير فى الحروب والوقائع وشجاعة عساكره المتدربة فانه انهزم شرهزيمة وتبدد جيشه وهرب هو مع شرذمة من رجاله الى حضرمطوم أو حضرموت العرب وصارت قرطاجنة تحت رحمة رومة وعقدت معها صلحا فى سنة ٢٠١ قبل الميلاد وسلمت قرطاجنة الى رومة جميع أراضيها الخارجة عن حدود أفريقه وردت كافة الاراضى التى كانت أخذتها من نوميديا وصار ملكها ماسينيسا حليفا جليل القدر مع صكيبو فى الحرب الاخير وسلمت أيضا أسطرلها وفيلتها الى الرومانيين واتفقت أن تدفع جوامس القيمة

٢٠٠ وزنة وعهدت على نفسها بأنها لا تداخل فى أى حرب من دون رضا رومة وبالجملة فان قرطاجنة ضيعت حربتها واستقلالها وصارت ايالة خراجية لرومة ولما عاد صكيبو الى رومة قابله أهلها بالحماس والحمية وأكرموه وعملوا له موكبا جليلا ما رأت المدينة مثله قبل ولقبوه بلقب افريقانوس تذكار الفتحه افريقة

ومن نتائج ما حصل من المظفرات لرومة فى الحرب القرطاجنى الثانى لم تخلص رومة فقط من طريق وسكة عدوتها المهولة قرطاجنة بل نالت تمام السيادة وحازت كمال السعادة فى الجهات الغربية من البحر الابيض المتوسط وقامت الحماية الرومانية على القبائل الوطنية الافريقية وأضافت استقلالية مملكة سراقوسة الى الايالات الرومانية فى سيسليا وأضافت القسم الاصلى من اسبانيا أيضا الى المملكة الرومانية وأخذت ثروة الجمهورية فى الزيادة الوافرة وعاقبت الممالك العاصية من جنوب ايطاليا بأشد العقاب وكانت كافة الاجناس من وطنى ايطاليا على غاية من الكدر والضيق ما عدا الجنس اللاتينى وتشيدت الحكومة اللاتينية على كامل البحيث جزيرة واستمر الحرب مع أهل الغلية الموجودين فى جنوب جبال الالب من بعد هزيمة قرطاجنة فى سنة ١٩١ قبل الميلاد حتى خضع كافة أهل ايطاليا وصاروا جميعا لاتينيين مع السهولة حتى هذا الجنس الغليق

وحالما كانت رومة مشتغلة بحربها مع أهل غلية جنوب الالب كانت مشتبكة أيضا فى حربها الثانى مع فيليب الخامس صاحب مقدونيا وقد ذكرنا سر وقائع هذا الحرب ونتائجه فى تاريخ الجريس فى هذه المدة وكان انتهاء الحرب فى سنة ١٩٧ قبل الميلاد وجاء عقب هذا سعى وعزم أنطيخوس الاكبر صاحب سوريا فى ضم مقدونيا واسيا الصغرى الى ممالكه وقد ذكرنا هذا الحرب والمظفرات التى بها طرد الرومانيون أنطيخوس من مقدونيا واسيا الصغرى وجلبوا كلا من المدينتين تحت أقدامهم نظير ما حصل لهما من مرحمتهم من طرد أنطيخوس عنهم قد ذكرناه جميعه فى تواريخ الجريق والسوريانيين فى هذه المدة وما نالت رومة بهذه المظفرات شبرا واحدا من تلك الاراضى لنفسها بل أعطت كل ما تغلبت عليه وكل ما استمانه من الاراضى الى كل من محالفيها برجاموس ورودس ودبرت لنفسها سياسة عظيمة أظهرتها العموم الامم الشرقية حصل منها النفع لحلفائها ومحبيها وصار لهم دولة وصولة وانتشرت شوكتها وعظمت سيادتها واشتهر اسمها فى كافة الجهات طولا وعرضا وكان ما حصل لها من هذه النتائج أحسن لها بكثير من استحواذها على الاراضى وفى أثناء هذه المدة أنشبت رومة أربعة حروب أخرى فى نواحى أوروبا الغربية وما كان تم خضوع بحيث جزيرة اسبانيا لانه نشأ من مقاومة أهل لوسيطانيا (البرتغال) وشجاعتهم استمرار الجيش الرومانى فى الاشتغال بالاعمال الحربية وكانت الحروب أيضا مستمرة مع القبائل الجبلية فى ليغوريا ومع سردينية وقورسيقه فأما سردينيه فان صمبرونيوس غراقشوس تغلب عليها فى نحو سنة ١٧٦ قبل الميلاد وأرسل كثيرا من أسراها الى رومة لبيعهم فى سوق الرقيق وترادفت حالة السردانيين فى المبيع حتى وصلوا الى أبخس الاثمان وكانت نتائج الحروب الاخيرة فى الجريس فتح مقدونيا وابطال الاتحاد الاخائى وقد ذكرنا كلامنا على ذلك فيما سبق وليس هنا فى الاعادة افادة وبواسطة ما حصل من الهزيمة الاخيرة للجيش المقدونى فى نواحى مدينة بيدنه اتضح جليا للعالم الدنيا أن الجيش الرومانى لا يقاومه جيش ولا يضارعه أحد وأن المحاربة معه لا فائدة فيها ومن ثم صارت رومة سيدة الدنيا ومدت صولتها وسيادتها على مصر واسيا

بتقلدها

بتقلدها زمام حماية المملكة المصرية وصار لا حسارة لواحدة من الامم المتمدنة على مضارعتها ومقاومة أحكامها وأعمالها وكانت رومة على يقظة تامة من شوكتها ونفوذها الا أنها ما كانت على وفاء من ذلك ومضى عليها ثمانية عشر سنة من دون حصول حروب بل بعض حروب صغيرة غير مهمة مع عشائر الالبيين والاسبانيين وشرع مجلس السناتو فى اجراء ما تقرر عنده من المطلب الاكبر وهو ترتيب المملكة الرومانية والدنيا المتمدنة تحت درجة واحدة وميثاق واحد فكان أول مشروع فى هذا العمل هو الاتفاق فى مجلس السناتو على خراب مدينة قرطاجنة ومحو أهلها من الدنيا ومع انها خضعت وضعفت قوتها وانعدمت شوكتها الا أنها لم تزل العدو الالد لرومة وأما قرطاجنة فانها ما كانت على وفاء تام من الصلح الذى كانت أجرته مع رومة فانها كانت على حصول أدنى سبب زهيد مستعدة لتجديد الحرب على قرطاجنة وصممت على اختلاق علة توجب بها هياج الحرب عليها الا أن قرطاجنة كانت صرفت كل شئ يعود منه النفع عليها فى عقد الصلح فصار يصعب عليها البروز الى ميدان الحرب على أن بروزها للميدان من دون سبب مرضى غير مقبول وكانت الكراهة والعداوة والبغضاء الحاصلة عند رومة من جهة قرطاجنة مشحونة جميعها فى صدر كاطو الفظ الغليظ الحاكم الرومانى فكان كلما طلب منه صوت فى المجلس مختص بحالة قرطاجنة يعطى جوابا وصوتا لا يتغير أبدا وهو يقول انا أقول انه لا يجب أن تكون قرطاجنة فى عالم الدنيا فأخذت رومة جوابه وصوته هذا علة للحرب وأصدر مجلس السناتو أمر الاهل قرطاجنة بهدم مدينتهم ونقلها الى جهة بعيدة من البحر بقدر عشرة أميال فلما قرأ القرطاجنيون منشور الرومانيين ما قبلوا طبعا هذا الطلب المشتمل على هلاك هذا البلد فى رضا خاطرهم فأعلنت رومة فى الحال بالحرب على قرطاجنة فى سنة ١٤٩ قبل الميلاد ومن ثم كان ابتداء الحرب الثالث القرطاجنى

ثم استمر القرطاجنيون فى هذا الحرب المعدوم العدل والانصاف مدة أربع سنوات يحاربون فيها مع اليأس وقطع الامل وما كان عندهم فكر يؤملون به أسباب النجاح وما كان عندهم سفن ولا أسلحة لان مجلس السناتو دهمهم بأمره هذا من بعد أن استلم القواد الرومانيون فى افريقية الاسلحة والطقوم الحربية التى كانت كافية الى ٢٠٠٠٠٠ مقاتل وأخذوها على اعتقاد الصلح والسلم وما كان لهم من مخالفين ومع هذا كله فانهم صاروا على غيرة وحمية وشرعت هذه الامة الباسلة فى اجراء الاستعدادات اللازمة لزوال ما هى عليه من الضعف والخسة فعملوا المنجنيقات اللازمة لحفظ الاسوار والاسلحة والدروع اللازمة لتطقيم العساكر وهدموا مبانيهم العمومية وأخذوا منها أصناف الاخشاب والمعادن اللازمة للاعمال واشتغل كافة أرباب الطوائف والحرف والصناعات رجالا ونساء وشبانا ليلا ونهارا فى تكميل آلات الحرب وما يلزم لاستعداد العساكر ومحافظة المدينة وقطع النساء شعورهن الطويلة وأعطينها المعمار لاجل فتلها حبالا للمنجنيقات وفى ظرف مدة قليلة تسلحت الاسوار وصدامعها وعامرة أخرى وكانت كافة هذه الاشغال جارية وقتما كان الجيش الرومانى معسكرا فى أوطيقة فمن هنا يعلم أن هذه الاشغال كانت جارية على علم من العدو وعلى مرأى منه أى تحت نظره وأخيرا زحف الرومانيون معتمدين على أن المدينة لا مدافعة فيها فاستولوا وأخذهم الاستغراب لما رأوا الاسوار متسلحة مرصوصا عليها صفوف المدافعين مستعدين لمدافعة الموت ولما وجد الرومانيون أن لا طاقة لهم بالهجوم على المدينة عنوة حاصروها برا وبحرا وفى السنة الثالثة

من الحرب والحصار أنشأ القرطاجنيون أسطولا مؤلفا من ١٢٠ سفينة في مينتهم المحصورة وحفروا خليجا من المينة واصلا الى البحر من خلف المدينة وأوصلوا مراكب أسطولهم الى البحر فلو كانوا هجموا في الحال على الاسطول الروماني لكان القرطاجنيون أبادوه جميعه لان الرومانيين كانوا على غير استعداد وقت خروج الاسطول القرطاجني بل اكتفى القرطاجنيون بظهورهم في البحر ورجوعهم الى مينتهم ثم من بعد مضي ثلاثة أيام من عودهم للاستعداد للواقعة استعد الرومانيون لهم أيضا وطردوهم وازدحم الاسطولان سوية في الخليج وأوقعوا التلف في بعضهما وكانت الهزيمة والخسارة بين الاثنين واحدة وفي سنة ١٤٧ وسنة ١٤٦ قبل الميلاد حصل في المدينة القحط والوباء وتولد منه ضعف زائد في المدافعين حتى انه في أول هجوم حصل عنوة على المدينة في فصل ربيع سنة ١٤٦ قبل الميلاد صار لا طاقة للمدافعين على حماية الاسوار كما هي عادة عنفوان شجاعتهم واستحوذ الرومانيون على المينة الداخلة واستمروا في حرب صعب لبث ستة أيام الى أن وصل الرومانيون تحت ذيل أسوار القلعة فأمر القنصل صكيبو اميليانوس بحرق المدينة من جميع جهاتها فهلك في لهب النيران كثير من الناس الذين كانوا مختفين في منازلهم وسلم محافظو القلعة وهرب حازدروبال القائد القرطاجني مع عائلته في هيكل اله الشفاء فأشعل النار فيه بعض الرومانيين وكانوا هربوا فيه من خوفهم من الرومانيين وكانوا مع القائد حازدروبال ورجحوا الموت في هذا المحل على الوقوع في يد أهل بلادهم ولما رأى حازدروبال اضطرام النار في المعبد هرب منه ورمى نفسه على أقدام صكيبو وتوسل له في نجاة حياته فمنحه صكيبو هذه المنحة التي عادت عليه بالعار والفضيحة ولما رأت زوجته الشريفة جبانته من الهيكل نزلت على درج المعبد مع أولادها ونادته وحرجت على ماوقع منه من الجبن وذكرته بالعار والفضيحة عند أهل بلاده مما حصل منه من الجبن والخساسة ثم قفزت مع أولادها في لهب النار وصار تدمير المدينة بالكلية ولم ينج من سكانها الا العشر فقط وكانوا نحوا من ٣٠٠٠٠ رجل و ٢٥٠٠٠ امرأة صار مبيعهم جميعا في أسواق الرقيق ومابقي من المدينة الا آثار أطلال واقفة فأمر مجلس السناتو بعبوسة وتقطيب وجه صكيبو بازالة وهدم هذه الاطلال فاضرمت فيها النيران ولبثت النار مشتعلة فيها سبعة عشر يوما حتى محت آثارها وصارت أكواما من الرماد يستدل منها على المحل أو الموقع التي كانت قرطاجنة موجودة عليه وحصل لصكيبو غاية الافتخار من الاعمال التي فعلها بنفسه ومن بعد هذا صار ترتيب الاراضي القرطاجنية مرة ثانية بمعرفة الرومانيين وجعلوها لهم ايالة رومانية افريقية عاصمتها أوطيقة وصارت هذه العاصمة مخزنا للتجارات الرومانية والسفن وخلفت التجارة الواسعة العظيمة التي كانت متمتعة بها قرطاجنة

﴿ الباب الخامس ﴾

﴿ من خراب قرطاجنة الى موت ماريوس ﴾

التغلب الاخير على الجريس ـ صيرورة الجريس ايالة رومانية ـ الحروب في البحث جزيرة الاسبانية ـ فتح لوسطانيه وصيرورتها ايالة رومانية ـ التغلب على النومانطيين ـ تغلب الرومانيين على برجاموس وصيرورة السلطنة ليهم في آسيا الصغرى ـ سرعة زيادة أهل رومة ـ تعادل غنو الفقر والفاقة ـ أسباب حصول الفقر ـ الفساد في الادارة ـ الحرب الاول الرقى ـ المساعي التي حصلت

في مداواة وكشف القلاقل والارتباكات السياسية والاشتراكية في رومة ـ طبريوس غراقشوس ـ عرضه قانون تقسيم الاراضي ـ نكث أعماله ـ عدم قبول القانون ـ قتل طبريوس غراقشوس ـ قتل صكيبيو امليانوس ـ نفور اللاتينيين والايطاليانيين ـ كايوس غراقشوس ـ صيرورته حاكما ـ أعماله في صلاح حال الامة ـ الاشوان الصمبرونيانيه ـ ازدياد فقراء الامة في رومة ـ عدم قبول عرض انتشار حقوق التبعة المدنية الرومانية على جميع الايطاليانيين ـ سقوط غراقشوس ـ قتله ـ حدة العوام في البطش بالاشراف ـ الحرب مع يوغورته ـ قيام كايوس ماريوس ـ غلاقه الحرب اليوغورثاني ـ انتخابه للقنصلية ثانيا ـ اغارة السمبريانيين والطانطونيين على الغلية من جنوب الالب ـ هزيمتهم الجيوش الرومانية ـ ارسال ماريوس وهزيمته اياهم ـ دخول السمبريانيين في ايطاليا وهلاكهم بواسطة ماريوس ـ صيت ماريوس ـ انتهازه الفرص وتردده فيها ـ الحرب الثاني الرقي ـ قتل دروسوس ـ الحرب الاشتراكي أو الاتحادي ـ المنح التي منحتها رومة للايطاليانيين ـ العداوة بين ماريوس وسولا ـ الشقاق الاخير بينهما ـ الحرب الاول الداخلي ـ ظفر سولا وهروب ماريوس ـ طرد سنا من رومة ـ رجوع ماريوس ـ مسكه رومة ـ المقاتل والمذابح المريانية ـ القنصلية السابعة وموت ماريوس ـ ذبح ذابحي المذابح المريانية بواسطة سيرطوريوس

دعيت رومة في أثناء الحرب الثالث القرطاجني لاطفاء ثورة وقعت في نواحي الجريس وذلك أن مدعا ادعى انه ابن برسيوس آخر ملوك مقدونيه والجريس ونشر بيرق العصيان في مقدونيه وأغار على تساليا وهزم الرومانيين في واقعة دموية كبيرة في سنة ١٤٩ قبل الميلاد وفي السنة التالية هزمه مطلوس وأخذه أسيرا فمن ثم انتهزت رومة الفرصة وتغلبت على مقدونيه وجعلتها ايالة من ممالكها وفي نفس هذه السنة هاج الحرب مع الاتحاد الاخاني كما ذكرناه في محل آخر وانتهى هذا الحرب في سنة ١٤٦ قبل الميلاد بواسطة موميوس فضبط قورنثه ونهبها وخربها ولعل كل من يكون سياحا من الآن فصاعدا في عمارة طاهرة أخرى وكان أهل قورنثه ذوي مهارة وثروة في الاشغال الصناعية فارسل موميوس معظم أشغالها الصناعية الى رومة لاجل زينة المدينة بها

وأما الحرب في اسبانيا فانه لم يزل جاريا وكان للشعوب والعشائر الوطنية من حيث جزيرة اسبانيا قوة وشجاعة عاكفين على حريتهم ذوي غيرة على جنسهم وحالة معيشتهم وأراضيهم سهلة الحماية والمدافعة بطبيعتها وصلابة جبالها ومنعتها وما زال الشعوب الوطنية في الجهات الشمالية والغربية من البحث جزيرة محافظين على مقاومتهم التامة للرومانيين ووجد الرومانيون انه يستحيل عليهم قهر هؤلاء الشعوب واخضاعهم وكان اللوسيطانيون (أي أهل البرتغال الآن) مشهورين على الخصوص بشجاعتهم وبسالتهم وخبرتهم بالحروب والمقاومات حتى أوقعوا هزيمة فارصة على القنصل صرفيوس سولبيسيوس جلبا سنة ١٥١ قبل الميلاد وفي السنة التالية أخذ القنصل جلبا بثاره بخديعة وغش من أقبح الاعمال وأخسها وذلك انه عقد معاهدة مع ثلاث لوسيطانية موجودة على الشاطئ الايمن لهر طاغوس ووعدهم بنقليهم الى أحسن المواطن فاعتمادا على معاهدته معهم حضر اللوسيطانيون اليه وكانوا في عدد نحو ٧٠٠٠ نفس ليعطيهم الاراضي والجهات التي وعدهم بها فقسمهم الى ثلاث فرق وكانوا بغير سلاح فذبح فرقة منهم وباع الباقي في أسواق الرقيق فلعن الله

مثل هذا الخائن الذى لاعهد عنده ولاميثاق له فكان من ضمن الذين نجوا بأنفسهم من خديعة جلبا رجل اسمه فيرياطوس أصله من فقراء الناس الا انه كان على غاية من الجسارة والبسالة فاختاره أهل بلاده قائدا لهم وأخذت شجاعته وجراءته بقلوبهم وكذا بساطته واقتصاد حاله وتواضع سيره وكثرة سخائه وكرمه لاهل بلاده فهيج حميتهم وقوم غيرتهم واعترفوا له عموما بان يكون عليهم ملكا وشهدوا له فى ذلك الوقت انه أحد الفرسان العبرية فهزم الجيش الرومانى فى سبع وقائع كبيرة وأرغم فى الواقعة الاخيرة من هذه الوقائع القائد الرومانى صرفليانوس بالتسليم مع كامل جيشه وفى نصرته هذه ظهر منه الكرم العظيم والسماح الكريم وعقد صلحا مع القائد الرومانى تقرر فيه ان كافة الملة أو الامة اللوسيطانية (البرتغالية) تكون سلطنة مستقلة بنفسها وان فيرياطوس هو الملك على هذه الامة وعهد الرومانيون على أنفسهم احترام مملكة فيرياطوس ورضى فيرياطوس أن يكون على صداقة تامة ومحالفة قوية لرومة وصدق مجلس السناتو على شروط هذه المعاهدة مع العزم فى المستقبل على نكثها ونقضها ولما وجد الرومانيون أول علة فى نقضها شرعوا فى تجديد الحرب على الملك فيرياطوس فأرسل رسلا يثق بهم من طرفه الى رومة من أجل المكالمة فى نقض المعاهدة بينهم وتقديم شروط صلح جديد فرشى القنصل المبعوثين لقتل رئيسهم وقتل الشجاع اللوسيطانى وهو نائم فى فراشه بواسطة من كان معتمدا عليهم من أعز أصدقائه واحتفل الجيش اللوسيطانى احتفالا جليلا بجنازة ملكه ثم توجه الجيش الى الحرب الا أنه فى ظرف سنة انهزم هزيمة فاصلة وانجبر على التسليم وصارت لوسيطانية ايالة رومانية الا ان الحرب مازال جاريا فى مدينة نومنطية من شمال اسبانيا فكان الرومانيون يتممون اجتهادات ومظفرات جيوشهم بالعادة القبيحة الحاصلة من غدر وخيانة قوادهم واستمر الحرب ست سنوات مشتعلا فى مدينة نومنطية وأخيرا أنهاه صكيبو عمليانوس بشدة المضايقة والحصار على المدينة حتى فشا الجوع والقحط فى أهلها وصارت المدينة على شرف التسليم والخضوع ولما آلت حالة النومنطيين الى اليأس وقطع الامل طلبوا المتاركة من الرومانيين لمضى بضع أيام على قصد أن الذين يرجحون الموت على التسليم يمكنهم أن يتطروا لهم شيأ فى انقراض حياتهم فقتل الكثير من أهل المدينة أنفسهم وخضع الباقى وسلموا مدينتهم فانتخب صكيبو منهم خمسين نفسا من أجل كبرائهم الذين بقوا على قيد الحياة زين بهم موكبه وباع الباقى فى أسواق الرقيق ثم هدمت المدينة وساوت الارض ووزعت أراضيها على الشعوب والقبائل المجاورة لها وصارت كامل بحيث جزيرة اسبانيا فى يد الرومانيين ما عدا الساحل الشمالى فقسموها الى ثلاث ايالات العالية والسافلة والوسطانية ومع ان الجبال اللوسيطانية استمرت سنين طويلة مكدرة أحوالها بعساكر اللصوص وقطاع الطرق ولزمت ضرورة الاحوال بناء منازل الفلاحة فى هذه الجهات كمعاقل وطوابي للمدافعة والحماية على قدر الحاجة الا أن اسبانيا أصبحت رعية يانعة مزهرة عظيمة الانتظام تحت أحكام رومة وقوانينها وكثر أهلها وسكانها وأصبحت البلاد أهل أموال وثروة من المواشى والانعام والحبوب

وفى هذا الوقت استحوذ الرومانيون على مملكة برجاموس بوصية عطالوس الثالث آخر ملوكها مع أنه حصل فى هذه الوصية منازعة من أريسطونيقوس الا أنه صار اخماد هذه المنازعة كما ذكرنا فى تاريخ مملكة برجاموس وانتظمت أحوال برجاموس وصارت ايالة رومانية فى آسيا ووصلت رومة منها

فريجيا الكبرى ومنحت لمتريداطيس الرابع صاحب بونطوس مكافأة له على ما أداه من خدماته الجليلة لرومة فى مساعدته فى الحرب على اريسطونيقوس ومن ثم نالت رومة القسم الاعظم من آسيا الصغرى وفى نحو منتصف هذا القرن وصلت رومة الى حالة قلت فيها حروبها البرانية جدا حتى صارت غير مهمة واحتاجت أحوالها الداخلية الى كامل التفاتها اليها وذلك أنه تسلطن فى رومة ارتباك حالة الفقر القديم وعمت الفاقة على معظم الامة مرة أخرى وصارت المملكة على خطر شديد زيادة عما حصل قبل وفى مدة الحروب الطويلة التى انقضت بين غلاق الحرب السامينى الثانى وبين الاستعمار الاخير فى ايطاليا الشمالية أى من سنة ٣٠٣ الى سنة ١٧٧ قبل الميلاد تولد من تكرار الوقائع والحروب أن صار عشر الاهالى هم المتيسر لهم الحصول على معايشهم وما سواهم مسهم سوء الفقر والفاقة العمومية وفى تاريخ هذه السنة الاخيرة أى سنة ١٧٧ قبل الميلاد وقفت هذه الحروب التى تسبب منها خراب البلاد وفقر العباد وأخذت أهل رومة فى سرعة الزيادة حتى وصل تعداد الذكور الراشدين فى سنة ١٧٣ قبل الميلاد فى نفس مدينة رومة الى ٢٦٩٠١٥ نفس وفى سنة ١٣٦ قبل الميلاد زاد هذا العدد حتى وصل الى ٣٢٠٠٠٠ نفس وفى سنة ١٢٥ وصل الى مقدار ٣٩٠٧٣٦ نفس وفى سنة ١١٤ قبل الميلاد وصل الى ٣٩٤٣٣٦ نفس وكانت النتيجة حصول ازدحام بسوق الشغالين فى رومة ازدحاما كبيرا وما صار ارسال مستعمرات جديدة من المدينة الى الجهات البرانية من سنة ١٧٧ قبل الميلاد وكذا ما وردت أسلاب وغنائم من الجهات الحاصل التغلب عليها حتى لم يبق شئ يمكن توزيعه على فقراء المدينة وأراملها وكذا كان كامل أراضى ايطاليا وزعت على أناس أعطيت لهم وفتحت رومة جميع الامم المجاورة لها فاذا لا يوجد الآن أدنى اسعاف ينتظر وصوله من جهة من الجهات وتولد من زيادة الاهالى غزارة الفقر والفاقة وصار لا مراعاة ولا اعتبار بالقوانين الليسينيانية القاضية باستخدام الناس من الشغالين الاحرار عند أرباب الاراضى والفلاحات أو عند المحبوس عليهم مقادير من الاراضى الواسعة حتى كان يصير استخدام الكثير من الناس عندهم لينقذوهم من مادة الفقر وأخذ الاغنياء والمتمولون كافة أراضى الدومين العمومية وصارت كافة هذه الاراضى محبوسة تحت أيدى طائفة قليلة من الناس جارية فلاحتها وزراعتها لهم بواسطة شغالين من الرقيق بأرخص أجرة وأقل كلفة عليهم فمما تقدم جميعه أخذ تيسر الحصول على المعيشة فى رومة فى الضيق يوما فيوما وكانت طرق نوال الثروة فيها محصورة فى الاقامة على الزراعة فى الاراضى العمومية على منوال كبير ومكسب جسيم من جمع محصول أو حكم اقليم وكانت هذه المنابع والعيون الجالبة للثروة محصور حكمها المطلق فى طائفة القناصل والحكام وكان هؤلاء الحكام من طائفة الاغنياء المستولين على هذه الاراضى فى هذا كان كلما أخذ الغنى فى الغنية والثروة أخذ عند الفقير فى الفقر والفاقة ومن ترخيص القانون بالعتق واطلاق الحرية انتهى الامتياز بين الطائفتين الكبيرتين فى المملكة وصار الكثير من بيوت العوام أشرافا بواسطة رفعة أعضائها الى أعلى الوظائف من الخدمات العمومية للمملكة الا أن عدد هؤلاء كان قليلا جدا كما انهم رأوا منافعهم الجديدة مقرونة بمنافع طائفة الاشراف نوعا زيادة عن مقارنتها بمنافع الطائفة التى تولدون منها وجمعتهم ببعضهم الارتباطات المشتركة بينهم من أجل الثروة وكسب الغنية والشوكة فى المستقبل فى جامعة واحدة هذا ومن جهة أخرى قد صارت الاسواق غاصة بالرقيق المجلوب من الجهات الجارى التغلب عليها من طرف الرومانيين فكانت تشترى

الانفس بأرخص الاثمان فمن ثم انجبر الاحرار من الشغالين على السؤال والشحاذة وزادت الحالة وحلاعلى وحلها بسبب ان أصحاب الاصوات اعتادوا على أخذ الرشوة بصفة هدايا من النقود أو بواسطة توزيع غلال وحبوب أو ولائم عظيمة وأفراح جليلة يجتمعون فيها بمصاريف من طرف الذين يجرى انتخابهم للمجالس أو فى وظائف من وظائف أشغال المملكة فتولد من هذه الطريقة الفاسدة للاحكام والادارات أن صارت الاهالى على استعداد لاى أمر يحصل من قائد ثورة بعدهم بخلاصهم من هذه المضار والاشرار والاعمال القبيحة التى حلت بهم جميعا وكذا كان من الواضح الجلى أن ميل العساكر متجه مع أهل المدينة المصابين بهذه الآفات والبليات من الفقر والفاقة التى عم ضررها بهم زيادة عن ميلهم نحو الحكومة حتى لو قامت الامة فى ثورة واحدة أو متقطعة لاتصطف العساكر أمامهم ولا تتداخل فيهم وتسبب من شدة ماهو حائق بالاهالى من الجوع والفقر توجه آمالهم ومقاصدهم للعصيان والثورة وكان لهم بعض مخالفين مستعدين للقيام معهم والانضمام اليهم وهم جماهير الرقيق الجارى معاملتهم بالمعاملات الوحشية حتى صاروا فى حالة مستعدة لقيام ثورة يكونون فى أولها أو أمامها وعرف بعض القواد العقلاء من الرومانيين مبادى هذه الاخطار وغض الكثير من طائفة الاشراف الطرف عنها والتفتوا لما يعود منه النفع على أنفسهم وصرفوا النظر عن مشترى الادوية اللازمة لشفاء هذه البلايا والمصائب وكشفها عن الذين حلت بهم وابتدئ فى مثل هذا المشروع بانذارات وانباآت بالخطر المهدد لرومة وكانت هذه الانذارات مبادى الحرب المعروف بالحرب الرقى الاول وكان حصول هياجه فى نواحى جزيرة سيسيليا فى سنة ١٣٤ قبل الميلاد فاستمر هذا الحرب جاريا مدة ستين وذلك ان ٢٠٠٠٠٠ من الرقيق يئسوا مما حل بهم من سوء المعاملة الواقعة عليهم من أسيادهم وقاموا فى ثورة واحدة ودهموا جزيرة سيسيليا الجميلة بما أجروه فيها من السلب والنهب والخراب والبطش بأسيادهم وكانت ثورتهم صعبة الاخماد حتى انه تراآى أن لابد من انتشارها فى يوم ما حتى تصل الى الارض الاصلية من ايطاليا وهاجت ثورة الرقيق فى عدة جهات وعلى الخصوص فى منطورنى وسنويسه الا أن هذه صار اخمادها فى الحال

وكان من الذين لهم دراية تامة بوجود المضار والمصائب الحائقة بالامة وتدارك الدواء اللازم لكشفها مع الشدة والعزم عضو من أحد البيوت العالية من بيوت العوام اسمه طبريوس صمبرونيوس غراقشوس حفيد صكيبو افريقانوس وحاكم من حكام الامة فعرض فى سنة ١٣٣ قبل الميلاد عدة لوائح وقوانين لمداركة كشف هذه المصائب من بين أهالى التبعة الرومانية واصلاح الحالة العمومية فى ايطاليا باستبدال الرقيق فى زراعة الاراضى بالاحرار وبهذا تتيسر أسباب المعيشة لكثير من طوائف الفقراء من أحرار الناس فكان الذى عرضه هو أولا احياء القوانين الليصينيانية المتروكة من مدة طويلة وتحديد مقدار الاراضى المحبوسة تحت يد أى شخص بطريق القانون الى ٥٠٠ يوجيرة مع مادة ترخص له أن يضيف ٢٥٠ يوجيرة لكل ولد بالغ أو مراهق غير معتوق ثانيا ترتيب مجلس دائمى مؤلف من ثلاثة أعضاء لاجل تنفيذ أحكام هذا القانون ثالثا توزيع أراضى المملكة بين فقراء التبعة وقت ما يصير خلاصها من المستحوذين عليها الغاصبين لها ولا يكون عندهم الا المقرر فى البند الاول من القانون رابعا يجرى مكافأة أرباب الاراضى الواسعة نظير ما يؤخذ منهم من الزائد عن الخمسمائة يوجيره ونظير الاصلاحات التى أجروها فى الارض بأن يكونوا مطلقى التصرف فى الخمسمائة

بوجبرها التى رسمت لهم خامسا – متى حصل العمل على موجب بنود هذه اللائحة فلم الاتباع ولا ترهن ومن الواضح الذى لاريب فيه ان غراقشوس كان مسلطا من طرف بعض الاشراف أهل الشفقة والرأفة على الفقراء فى كونه يعرض هذه الاعمال ومع هذا صار رفضها بشدة وعنف وهددوا مخترعها وتوعدوه مع الحنق الزائد لانه بالنسبة لعدم مراعاة القوانين الليسينيانية وترك السير على موجبها استحوذ الجم الغفير من الاشراف والاغنياء المتمولين من الايطاليانيين على مقادير وافرة من الاراضى الواسعة خارجة عن الحدود المقررة فى البند المعروض وكانت هذه الاراضى فى حوزة عائلات من الاغنياء والمتمولين من مدة سنين مضت وصرفوا عليها مصاريف جمة فى ابتناء أبنية فوقها فأخذ هذه الاملاك ونقلها الآخرين ليجعلهم مطلق التصرف فيها ويحرم منها أربابها السابقين لخصلت المعارضة فى هذه اللوائح والقوانين بواسطة أوقطافيوس وكان حاكما مثل غراقشوس أى قرينه فى الحكم ولما صار عرضها على جمعية العشائر والشعوب صار منع أوقطافيوس من الكلام وعدم الدخول فى مثل هذه المواد ومن شدة ما حصل من المناقضات وعدم القبول فقصد غراقشوس حواسه وتوسل بالامة فى خلع أوقطافيوس الذى هو سبب فى عدم تمشية هذه اللوائح فصدق الامة على هذه القوانين ولزوم الاجراء على موجبها ورتب مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء وهم غراقشوس وأخوه جايوس وحموه أبيوس كلوديوس بشأن تنفيذ هذه القوانين وحصل الشروع فى حصر الاراضى العمومية واستردادها من المستحوذين عليها وتوزيعها على حسب نص بنود القانون وكانت هذه الحالة من أصعب الاعمال التى اخترعها غراقشوس وتولد له من هذه المادة البغضاء والعداوة التى تمكنت فى قلوب طائفة الاشراف بل أعلنوا صراحة بأنهم مادام لاطاقة لهم على عدم تمشية هذا القانون فان مخترعه لا يسلم ولا ينجو من بطشهم وانتقامهم منه وألح الامة على غراقشوس وطلبوا منه أعمالا يتولد من اجرائها العصيان وذلك أن الرومانيين فى الحالة الراهنة صاروا أسياد مملكة برجاموس ووصلت هذه المملكة الى أيديهم بكنوزها وأموالها الواسعة فعرض غراقشوس لمجلس الامة أنه يجب توزيع الاموال البرجامونية على الذين استلموا أراضى من أجل معيشتهم حتى يكون عندهم رؤس أموال يدخرونها لما يلزم لاراضيهم من عدد وآلات زراعة ومواش وبنى طلبه هذا على أن أهل مدينة رومة لها الحق فى فصل وبت حكم تفريق وتوزيع النقود التى تأتى لرومة بأى حالة من الاحوال وقيل انه عرض أيضا بخصوص تقليل مدة الخدمات العسكرية وأن ينزع من أعضاء مجلس السناتو حق اختصاصهم بالمجلس بل يكونون أعضاء كذلك فى المحكمة المدنية وقبول الرعايا الايطاليانية ضمن تبعة مدينة رومة والمدائن الاخر الرومانية فنشأ من هذه الطلبات ارتباكات ومشاكل زائدة شديدة ولما حصل انتخاب الحكام فى السنة التى جاءت بعد اشتد الغضب عند طائفة الاشراف وبذلوا كل ما فى وسعهم فى عدم انتخاب غراقشوس ولما رأوا أن ذلك لا يمكنهم الحصول عليه نهض أرباب مجلس السناتو تحت امرة بوبليوس صكيبيوناسيكا وهجموا على غراقشوس ورفقائه فى ديوان مجلس السناتو وذبحوا غراقشوس على درج سلم الكابيتول حالما كان مجتهدا فى الهرب للنجاة بنفسه وقتلوا أيضا معه ثلاثمائة من رفقائه الذين كانوا معضدين له ولم ترخص أعداؤه المتوحشون فى أخذ أجسامهم ودفنها بل رموها فى نهر الطيبر

وفرحت هذه المذبحة على الاشراف وأطفأت ما كان فى قلوبهم من لهب نار الغضب وزالت عنهم الكروب والخطوب فارتاع العوام وتأثروا جدا من حالة هذا الموت الذى حصل جهرة لاحد حكامهم من

أجل المدافعة عن حقوقهم ولما حصل من الاشراف الجسارة فى مثل هذه الحالة القطيعة التى لم يقع نظيرها قبل عزم الامة على أنه لابد من تمشية الاصلاح على موجب قانون غراقشوس ولما رأى الحزب الموجود فى مجلس السناتو وكان له رغبة فى تمشية هذه الاصلاحات ماهو حاصل من النفور والارتباك حض المجلس على تمشية هذا القانون فاصدر المجلس أخيرا أمره باجراء توزيع الاراضى على نص ماجاء به غراقشوس المقتول بشأن العدل والانصاف وفى سنة ١٢٩ قبل الميلاد رأى صكيبوا امليانوس وكان أول رجل له دراية وخبرة بالاصلاحات وكان أخاصا قاللامة أن اجرآت جمعية توزيع الاراضى خارجة عن حقيقة المقصد من القانون وأنه يتولد منها فتن جديدة فعرض لائحة تتضمن نزع توزيع الاراضى من أيدى هذه الجمعية وتعهد اجرآت التوزيع الى القناصل فضيع حياته فى اجتهاده وسعيه فى حفظ طرق الاصلاحات ووجد قتيلا على فراشه فى صباح اليوم الذى صار تخصيصه لخطبة يخطبها أمام مجلس السناتو يوضح فيها حقوق اللاتنيين فى مسئلة توزيع الاراضى وكان قتله من دون ريب من طرف حزب غراقشوس وعلى قدر ما كان هذا الحزب على غش وخداع من جهة صكيبوا امليانوس كان هو بعكسه صديقا له زيادة عن عداوة هذا الحزب له وحصلت المعارضة لحزب الامة فى الفحص عن مادة الجريمة ولما رأى الاشراف أنهم فقدوا عدوا لاصديقا صاروا لارغبة لهم فى اخماد هذه المادة فتولد منها خسارات جسيمة لرومة وكان صكيبوا امليانوس أول رجل سياسى وأول قائد عسكرى فى عصره وأول واحد من الطاهرين أهل العفة خالى الاغراض والشبهات ما حازت الجمهورية شخصا مثله قبل ثم قرر مجلس السناتو بالنسبة لما هو حاصل عند أهل المدينة من الحزن العام من أجل قتل صكيبو توقيف أعمال القانون الحاصل من أجله هذه المنازعات والمذابح ومع هذا فانه ما حصل من توقيف أعماله فائدة بما أن كافة الاراضى كان صار توزيعها تقريبا

ثم انفجر اضطراب جديد وهو أن اللاتنيين والايطاليانيين أعلنوا طلب العتق والحرية وتوسط فى هذا الطلب بعض من رؤساء الامة مؤملين أن ذلك لو حصل للشعوب والطوائف ربما يجعل لهم الطاقة الكافية فى زيادة التأثير والحكم على مجلس السناتو وعرض هذا الطلب فى صفة لائحة على مجلس السناتو وطلبوا من القنصل فابيوس فلاكوس التصديق عليه فى سنة ١٢٥ قبل الميلاد ولما أرسل فى رسالة خارجة عن رومة انعكس رأى السناتو وما قبل المجلس ضرورة هذا الطلب فتولد من رفضه قيام مدينة فريجيا فى ثورة جهارا فأخمدت ثورتهم وهدمت أسوار مدينتهم وتجردت المدينة من امتيازاتها المدنية ودخلت فى امتياز درجات القرى والكفور فكان هذا العقاب الشديد عبرة للمدائن الاخرى الايطاليانية واللاتينية فى الانقياد الى الخضوع

وظهر فى هذه الاثناء فى مدينة رومة كايوس غراقشوس وكان هو الاخ الاصغر لطبريوس المقتول وكان محجورا عليه فى سردينيه بأمر من الحكومة لانه كان من أهل الشعب والثورات وكان صار طلبه من سردينيه من أجل تهمة اتهم فيها بانه كان أحد المهيجين فى ثورة فريجيا فخرج من هذه التهمة برىء الساحة نظيف الاثواب منصورا على الذين اتهموه فيها فقابله حزب الامة مع الفرح والانشراح وجعلوه رئيسا عليهم بأصوات كثيرة خارقة للعادة وكان العوام فى الزمن السابق رجل جليل القدر قائد لهم استمر معهم عدة سنين وهو أخو طبريوس الآن كايوس فاق أخاه فى جميع الاحوال فكانت أعماله على ما فيها من كثرة الهياج ومخالفة اجرآت طبريوس سياسية فى مثل هذا الوقت وعلى

حساب

حساب مداواة المضار المتسلطنة عند الامة فكانت مقاصد كايوس الاصلية خلاص طوائف الفقراء من فقرهم واذلال السناتو فى منافع أصدقائه والاخذ بثار من أعدائه فمن ثم عرض أعمالا مشتملة على هذه البنود أولا تجديد قانون تقسيم الاراضى وتوزيعها الذى كان حرره طبريوس غراقشوس مع بعض تنقيحات فى نقص الاراضى وقلل كايوس مقدار الحصة الواحدة وقرر أن أرباب الاراضى يجب مراعاتهم بأنهم يكونون مالكيها على شرط أن يدفعوا مراتب تقرر عليها سنويا للمملكة وطلب أنه لابد من تغشية هذه الحالة النافعة على أرباب الاراضى وملاكها ثانيا طلب من المملكة أن تتكفل ببيع غلال لكل من سكن المدينة على قدر احتياجه منها بحساب نصف الثمن الحاضر فكان هذا العمل من الاعمال الخطرة على المملكة الا انه ربما يتحقق منه وجود حالة الخلاص من الفقر والعناء المتسلطن فى المدينة ثالثا أن تكون النهاية الصغرى لعمر الشبان الذين يصير درجهم فى سلك العسكرية محددا الى سبع عشرة سنة وأن تكون المملكة مكلفة بتطقيم العساكر من طرفها ولا تحاله على العساكر كما كان جاريا فى السابق رابعا يحال على الخيالة أو الفرسان امتيار النظر فى الدعاوى ووكالتها فى القضايا وبهذا وصلت طائفة الفرسان الى أقصى درجة فى الامتياز خامسا يجب على مجلس السناتو أن يرتب مجالس للايالات والاقاليم ويكلف كل مجلس بفصل أشغال جهته سواء كان بطريق الاتفاق أو بالقرعة على حسب ما يتراآى له فى ذلك من حسن الادارة واصلاح الاحوال سادسا يعهد تعديل الضرائب والعوائد فى الايالات المستجدة فى آسيا على مفتشين وحكام من الرومانيين سابعا يجب احالة مباشرة أشغال الطرق والسكك العمومية فى بحبث جزيرة ايطاليا على حكام من الامة ثامنا يجب غرس وترتيب مستعمرات فى نواحى قابوه وطرنطوم وفى محلات أخرى فى ايطاليا وقرطاجنة وفى الغلية وبواسطة هذه المادة الاخيرة رخص كايوس للجم الغفير من أهل رومة بالخروج منها فأرسل مستعمرة مؤلفة من نحو ٦٠٠٠ نفس الى قرطاجنة لاجل بناء مدينة على آثار وأطلال مدينة قرطاجنة التى خربت وصارت مستعمرة أخرى الى اكياسكسطيا وهى مدينة عكس الجديدة من جنوب بلاد الغلية (فرانسا) ومن ثم يمكننا أن نقول ان كايوس جدد حياة مدينة رومة كما انه كان المرتب والمنظم فى الحقيقة لسعتها فى داخل الايالات التابعة لها ومع أن المادة الثانية التى ذكرها كانت ضرورية جدا بالنسبة للعناء والمضايقات الشديدة الحاصلة من مسئلة الفقر الا أن نتائجها ما وصلت الى حالة عظيمة مرغوبة لان قانونه حصر توزيع الغلال والحبوب على القاطنين فى المدينة فقط ومن أجل هذا صارت شديدة أشوان واسعة لخزن الحبوب والغلال عرفت بالاشوان السمبرونيانية ليشترى منها ما يطلب من الغلال فتولد من هذه المادة أيضا الرخص للجم الغفير من الناس الفقراء الذين ليس لهم طاقة على الاشغال من البلاد والجهات المجاورة لرومة بالذهاب اليها والاقامة فيها وكان المقصد الخفى فى ضمير كايوس من مراعاة هذه الحالة زيادة عدد أصدقائه ومحبيه وأن يكون له طاقة فى الحكم على أرباب الانتخاب فكان على غاية من النجاح فى هذا المقصد الخفى الا أن أعماله ما وصلت الى درجة الكمال لانه تولد من شحن مدينة رومة بالكسالى والجياع والمتعيدين وأهل التكل والاوباش من عوام الناس وأراذلهم مضايقات شديدة وأخطار هائلة على المدينة استمرت قرونا

وأما حالته عهدة تعديل وجمع الضرائب فى الاقاليم الاسياوية على حكام وموظفين من الرومانيين فانه أراد بذلك حصر محصولات هذه الايالات فى طوائف جديدة ترتب على حسب مقتضيات الامة

و بيعت امتيازات جبايات الضرائب لاكبرالملتزمين وأغنى المتمولين وحصل للطائفة التى تكفلت بهذا التحصيل الجور والتعدى القبيح فى تاريخ مستقبل رومة تحت أرباب الجمهورية ورغب كايوس فى نشر حقوق المدينة الرومانية على كل حر من الايطاليانيين وبذل ما أمكنه من الشهامة والبسالة فى ذلك فكانت هذه الرغبة دماراعلى سقوط نفوذه وسلطته لان كلا من الطرفين وهما الاشراف والعوام ما كان لهم رغبة فى منع انتشار هذه الحرية وسلبت عقول العوام مما أذاعه الاشراف من الاقوال والحكايات التى تحول عقولهم من جهة كايوس كى يكونوا ضده الاأنهم كانوا على الدوام غير مكترثين بها ثم صار تقوية ليفيوس دروسوس رفيق كايوس فى الحكم من طرف مجلس السناتو فى كونه يتعطف هو أيضا الى ناحية الاهالى وطائشى العوام ويجرى أعمالا زائدة القبول عندهم فهما فعل من أعماله ماصار النظر اليها فضلا عن قبولها وكان ماعرضه هو أن أرباب الاراضى يجب عتقهم من الضرائب والعوائد التى قررها عليهم كايوس وتشييد اثنتى عشرة مستعمرة ايطاليانية كل منها مركبة من ٣٠٠٠ نفس من السكان لانه بهذا ربما تتحول الحالة الراهنة المشحونة بالفقر الى حالة موافقة للمعيشة فصادقت الامة على هذه المواد كما صادقت على قانون كايوس ولما قدم نفسه محاميا ومحافظا على دكة القضاء فى سنة ١٢١ قبل الميلاد رفض بنفسه هذا القانون وأمر بعدم السير على مقتضاه

وفى شهر ديسمبر سنة ١٢١ قبل الميلاد حصل الاتفاق والجزم من الامة بأن كايوس يعود الى الحكومة من بعد قضاء مدته فى المصلحة فعارض فى ذلك القناصل المستجدون أشد معارضة وعول الاشراف على خلاصهم منه مع العجلة الزائدة وسرعة الفعل كما فعلوا بأخيه من قبل وشرعوا فى القدح فى فعله بكونه أمر بتشييد مستعمرة يانونية فى محل قرطاجنة الاشد كراهة لهم وكان هذا أحسن الاعمال وأجودها وصرحوا وجزموا بان الضباع الافريقية نبشت الاحجار التى كانت غرست حدود المستعمرة وحفرتها فعرض السناتو هذه الحالة على الكهنة والعراف فقالوا ان مثل هذا الانذار وهذه الدلائل يجب حصرها فى وحى جليل وانذار جميل يخالف البحث فى بناء مدينة هى مركز مدينة ملعونة من طرف الآلهة فقبل مجلس السناتو هذا الرأى وأصدر أمره بعدم انشاء هذه المستعمرة اليانونية وفى المجلس الذى تقرر فيه صدور هذا الامر اجتهد كايوس غراقشوس فى رفض هذا القول وعدم قبوله وتولد منه هياج وثوران ذبحت فيه الفسس الذين كانوا حاضرين بالمجلس وقرروا انذار الالهة بعدم بناء المستعمرة وصار القبض على بعض من الكهنة والعراف وصارت الحالة فى اشكال وارتباك وفى اليوم الثانى اجتمع طائفة الاشراف فى الفورم ووضعوا قوة مسلحة فى ديوان السناتو وامتلأ الكابيتول من العساكر الكريدية المستأجرين فى الجيش ولما رأى كايوس وأتباعه انه لابد من الحرب وان كان بذل مجهوده فى عدم وقوع أدنى سبب تتولد منه هذه المبارزة لكنه اعتزل الى الافنطين وهو الحصن القديم للعوام فحض القنصل العوام بتهديداته ومواعيده فى تركهم قائدهم ووعد بالمكافأة والجائزة لكل من يأتيه برأسه ولما قلت أصناف الطوائف من فوق جبل افنطين على قدر الامكان هجم الاشراف والعساكر الكريدية مع مساعدة الرفيق على الجبل عنوة وقتلوا كل من كان موجودا فيه وكانوا ٢٥٠ من الطوائف الدنيئة وتبعوا كايوس وقبضوا عليه وذبحوه وذبحوا رفيقه الاول مركوس فلاكوس وصب الاشراف نقمتهم وبطشوا بكل من كان منتميا الى كايوس وخنقوا منهم ٣٠٠٠ نفس فى السجون بأمر مجلس السناتو الذى أصدر أمرا رسميا بمحو عموم الغراقشوسيين

ومنعوا أمهم كورنيليه من لبس الحداد والنعي على كايوس ومع هذا لم يلتفت العوام الى أوامر الحكومة الاقليلا منهم وصاروا يذكرون الاخوين بالذكر الجميل ويثنون عليهما الثناء الجزيل خصوصا ذكر كايوس ومع ما كان عليه عساكر الحرس من أخذ الاحتياطات اللازمة فان الاهالى كانوا يؤدون الاحترامات الدينية فى البقع التى تقدست أرضها بدماء أرواح هذين الاخوين وأتباعهما

ثم آلت الحالة أن صار لاذكر للغراقشوسيين الامن بعد الانتقام من قاتليهم فتولد لهذا الانتقام سبب ابتدأ فيه الاشراف بالفساد وضرر العباد وأخذ هذا الفساد فى الزيادة يوما فيوما واتضح جليا أنهم ابتدؤا فى ضياع الشوكة التى اكتسبوها من الظلم والجور ووقوع الاحوال العدوانية فلما رأى العوام ما هو حاصل من الاشراف من السعى فى الشدة والجور ووجود الغوغاء بالسلاح تحت أيديهم ابتدؤا فى توجيه هذه الاسلحة عليهم وفى مدة قليلة وجدوا لهم قوادا ورؤساء منهم فيهم الكفاءة التامة الزائدة عما هو حاصل من الاشراف ومع هذا فانه لما حصل الفساد وعم الضرر من الطائفتين رأوا أنهم جميعا على خطابين من أنفسهم لان الامراء البرانية ولو أنهم اشتروا نجاتهم من الاشراف فان الاشراف اشتروا وظائفهم من العوام وتولد من صعوبة هذه الاعمال وشدائدها العناء والضرر الذى حل بالناس خصوصا من اشتعال الحرب اليوغورثى وكان ابتداؤه فى سنة ١١١ قبل الميلاد وذلك ان مسينيسه ملك النوميديانيين من سواحل افريقية وكان حليفا للرومانيين فى الحرب القرطاجنى الثانى كان حصل مكافأته على ما أداه من الخدمات للرومانيين بالانعام عليه بالقسم الاعظم من أراضى قرطاجنة ثم خلفه من بعد موته ابنه ميسينه وما كان له التفات الى حكومته الاقليلا وقلد زمام سلطة حكومة مملكته لابن أخيه وكان اسمه يوغورثه وكان الملك رباه وهذبه بدرجة واحدة مع ولديه ادحربال وجمسال وعند قرب انقضاء أجله وزع المصالح الملكية والعسكرية بين هؤلاء الثلاث فما حصل الرضا والاكتفاء بالقسمة فيما بينهم ونازع ولدا الملك العجوز فى حق يوغورثه بانه لم يكن له أدنى نصيب من الحكومة فادعى يوغورثه بها كاملة لنفسه وفى مدة هذه المخاصمة أمر ادحربال بذبح أخيه جمسال وانتشب حرب داخلى بين يوغورثه وادحربال فضرب يوغورثه ادحربال ضربة قوية وهزمه شر هزيمة وكان يوغورثه قائدا مقداما وشجاعا باسلا وأستاذا كبيرا فى المكر والحيل وكان تعلم الخداع فى مدة ما كان عسكريا فى الخدمات الرومانية فهرب ادحربال الى رومة وتوسل الى مجلس السناتو واستغاث به فى عود زمام حكومته اليه ولما تيقن يوغورثه بان فى يده جائزة لكل واحد من أعضاء السناتو أرسل رسله الى رومة من بعد أن جهزهم بالاموال الكافية من أجل أن يبرطلوا بها أرباب المجلس ليرفض طلب ادحربال أن يحصل بدل يوغورثه وأن يذمه فى كونه أمر بذبح أخيه فآلت نتيجة هذه المادة فى آخر الامر أن قسمت المملكة النوميديانية بمعرفة مندوبين من طرف الرومانيين خصصوا ليوغورثه القسم الاعظم المشتمل على الاقليم المعروف باقليم موريطانيه (مراكش) وأخذ ادحربال مدينة سرطا العاصمة وجهة رملية داخلة فى الصحراء الشرقية فما رضى يوغورثه بهذه القسمة وهيج حربا على ابن عمه وأخذ منه أراضيه وقتله وذبح سكان سرطا وكان معظمهم من الايطاليانيين فأعلنت رومة بالحرب فى الحال على يوغورثه وأرسلت جيشا الى نوميديا فحصل لهذا الجيش جملة نصرات حتى ان يوغورثه وجد المصلحة فى عقد صلح فكان ذهبه ترجمان صلاح أحواله واستماله فى خلاص نفسه الا انه التزم على التسليم تحت حال لاشرط فيها وأعيدت له مملكته على دفع غرامة حربية خفيفة فى

شدة ما حصل للحكومة الرومانية من الغضب التزمت على الفحص عن الطريقة التى بها تيسر ليوغورثه الحصول على عقد هذا الصلح فطلب يوغورثه الى رومة ليجيب عن هذه المادة فأطاع يوغورثه أمر الحكومة وتوجه الى رومة فقام ابن عمه مسيفا وانتهز الفرصة وقت حضوره وقدم طلبه بخصوص تاج أبيه فأمر يوغورثه سرا بقتله فى رومة وحصل مساعدة القاتل حتى نجا بنفسه فاشتد بالسناتو الغضب من هذا الفعل القبيح والعمل الفظيع ونكث عقد معاهدة الصلح وخلع يوغورثه فترك رومة مستهزئا وقال وقوله الحق لو كان معى ذهب لاشتريت نفس المدينة

ثم استمر الحرب على ما كان عليه واجتهد يوغورثه فى صرف ذهبه حتى حصل الانحطاط فى الجيش الرومانى وضاعت منه شهامته كما وقع هذا الانحطاط أيضا فى نفس الحكومة بواسطة ما أجراه من المصاريف وتضرر القواد فى أنفسهم حيث ظهرت هزيمتهم فعقدوا صلحا وشرطوا فيه الانجلاء من مملكة نوميديا وأرسلوا هذه المعاهدة الى رومة لاجل التصديق عليها من السناتو فلم يقبلها السناتو وأمرت الحكومة بنفى القواد الذين عقدوا هذه المعاهدة مع يوغورثه وثبت عند القبائل الوطنية الافريقية أن سلامتهم وخلاصهم منحصر فى نفس يوغورثه فاصطفوا تحت بيرقه فى قوى كبيرة مؤملين خلاصهم من قبضة رومة فحصل لرومة فى هذا الوقت شدة الحمية والحماس وعهدت قيادة الجيش فى افريقه الى قائد شجاع مكين وهو القائد كنيطوس مطلوس وكان من ضمن القايمقامات الذين تعينوا مع كايوس ماريوس ابن واحد من الفلاحين وكان ارتقى الى أعلى الرتب الرفيعة بسبب ما حازه من الشجاعة والنباهة فى فن العسكرية وكان ماريوس هذا معززا عند العسكرية محبوبا لديهم بمشاركته لهم فى الاتعاب والاخطار ومشاق الحروب والاختلاط معهم والتودد اليهم فوجد مطلوس فى خصمه يوغورثه شجاعة وبسالة ما عهدها فى غيره من القواد الافريقية فى عصره فدبر الحرب بحالة بطيئة حتى ابتدأت الامة الرومانية فى أن أخذها الريب والوهم وقالوا مع عدم الانصاف ان مطلوس اشتراه ملك النوميديين وكان فى هذا الوقت ماريوس ظهرت شجاعته واشتهر اسمه وعاد الى رومة فى سنة ١٠٧ قبل الميلاد فأزال ما فى قلوب الامة الرومانية من الشك والوهم الذى كانت قلوبهم مشحونة به من جهة مطلوس فوطد انتخاب نفسه الى القنصلية وقررت الامة أيضا قيادته للجيش الافريقى ومع هذا فان ماريوس ما أجرى اجراآت كبيرة مع يوغورثه زيادة عما كانت جارية من مطلوس وسار الحرب على ما كان عليه وما تم غلاقه الا بواسطة ما أجراه سولا من فنون الخداع والحيل وذلك انه فى سنة ١٠٥ قبل الميلاد استمال بوخشوس ملك الموريطانيين صهر يوغورثه فى كونه يسلم له ملك النوميديين فقبل بوخشوس هذه التقدمة وخدع زوج ابنته فى داخل مرصد صار القبض عليه فيه بواسطة سولا وسلمه سولا الى ماريوس فأخذ هذا الملك الأسير الى رومة مع ولديه الاثنين وزين الرومانيون بهم موكب النصر الذى صار عقده لماريوس ثم طرحوه فى سجن قبيح مات فيه من بعد مضى بضع أيام من شدة البرد والجوع وهكذا أحوال الدنيا ومصائبها ثم صار ماريوس مرعيا عند الامة الرومانية بانه هو الذى تغلب على يوغورثه فمع ما كان عليه من موانع القانون صار انتخابه قنصلا فى سنة ١٠٤ قبل الميلاد ومكث فى هذه الوظيفة خمس سنوات متوالية ومن قبل غلاق الحرب اليوغورثانى كان حصل لرومة تهديد كبير كدر عليها عيشتها وقلل نومها وراحتها وذلك أن الشعوب المتوحشة الموجودة فى شمال أوروبا وهما قبيلتا الصمبرى والطوطنيين المركبين من عشائر بعضها صلطيق وبعضها جرمانيون تحركوا من

ناحيـة الاقليم الموجود خلف نهر الرين وخلف نهر الدانوب أو الطونه وتغلبوا عـلى الاقليم الكائن بين هذين النهرين وجبال الالب وفى مبادى سنة ١١٣ قبل الميلاد عبر الصمبرى جبال الالب ودخل فى اسطريا وهزم القنصل پابر يوس كاربو وفى سـنة ١٠٩ قبل الميلاد ظهر الصمبريون على حدود غلبة الجنوبية وطلبوا اعطاءهم الاراضى فأجابهم القنصـل صـلانوس بالاغارة والهجوم عليهم الا أنه تكبد أهوالا ومشاق هزيمتـه وضـياع جيشه وخسارة معسكره وما اتبع الصمبريون طريق نصرتهـم بل اكتفوا بالاشتغال باخضاعهم القبائل المجاورة لهم فأرسلت رومة ثلاثة جيوش رومانية للاغارة عليهم وطردهم أحدهـا فى سـنة ١٠٧ والآخران فى سـنة ١٠٥ قبل الميلاد فهزم الصمبريون الثلاثة جيوش جميعها وحصل فيهم اتلافات وخسارات جسيمة وكان الجيش الرومانى فى الواقعة الاخـيرة من هذه الوقائع مؤلفا من ٨٠٠٠٠ نفس وكانت هزيمة هذا الجيش على نهر الرين بالقرب من مدينة أورنجة الجديدة وصارت ايطاليا أيضا على شرف الوقوع تحت زحمـة هؤلاء المتبربرين وما كان بينهـم وبين جبال الالب والاراضى الرومانية الاقليـل ثم انحازوا عنها وتوجهوا الى نواحى اسبانيا فطردتهم قبائل الصلطبريانيين فى سنة ١٠٤ قبـل الميلاد على أعقابهم خاسرين عابرين جبال البرنيس ولما عادوا الى بلاد الغلبة (فرانسا) انتشروا بسرعة على القسم الغربى من هذا الاقليم نحو نهر السين وفى سنة ١٠٣ قبل الميلاد انضم اليهم قبائل الطوطينيين وهم شعوب من جنسهم من القبائل الموجودة على بحر باطق والهلفيطى من جبال الالب السويسـية ونظم هؤلاء القبائل المجتمعة أنفسهـم فى هيئـة الاغارة على ايطاليا وجهاتها فأما الطوطينيون فانهم شرعوا فى الاغارة على ايطاليا من طريق بروفنسه ومن الدروب الكائنـة فى الجهة الغربية من جبال الالب وأما الصمبرى فانهم دخلوا أرض السـويس ووصلوا الى الدروب الشرقية وكانوا على معرفة تامة منها

وفى أثناء حركتهم هـذه سار ماريوس الى الغلبة الجنوبية بجيش كثيف وكان معه سولا نائبا له وقصد ماريوس ضرب كل من هذين الهاجمين على حدته ومنعهما من الانضمام لبعضهما فى ثم وجه ماريوس جيشه فى الابتداء على قبائل الطوطينيين وكانت زاحفة بالقرب من مدينة عكس الجديدة ونال مظفرات جليلة على هؤلاء المتبربرين فى فصل صيف سنة ١٠٢ قبل الميلاد وشتت شمل الطوطينيين بالكلية وأبادهم وكانوا أمة كبيرة العدد يبلغ عددهم ١٥٠٠٠٠ نفس فقتل كثيرا من النساء والاطفال وأسر نحوا من ٩٠٠٠٠ نفس صار بيعهـم فى أسواق الرقيق وخلصت الغلبة عموما من هذا العـدو وأما الصمبريون فانهـم مروا من جبال الالب من درب برنـير وزحفوا على وادى نهر البادوس أو نهر البو فاجتهد القنصل كاطولوس فى طردهم وعودهـم فتبدد حاله وانهزم شر هزيمـة فانشرحت صدور قبائل الصمبرى من الارض الخصبة التى وجدوها حولهم حتى انهم بدل أن يقتفوا طريق فوائدهم ومنافعهم توجهوا الى محلات لقضاء فصـل الشتاء فيها فتولد من تأخيرهم هذا وجود زمن لسير ماريوس من الغلبة لمساعدة رفيقه فالتحق به فى فصل ربيع سنة ١٠١ قبل الميـلاد ولما عادت قبائل الصمبرى الى زحفهم الاول فى فصـل صيف هذه السـنة التقاهم كل من جيشى ماريوس وكاطوس سوية فهزموهم هزيمة فاصـلة كالهزيمة التى حصلت لاخوانهم فى نواحى الغلبة وأحصيت قتلاهم وكانوا ١٤٠٠٠٠ نفس وما بقى من هذه الامة المذكورة من ٦٠٠٠٠ نفس أسروا وبيعوا فى أسواق الرقيـق وخلصت ايطاليا من شرهـم وانحمد العالم البشرى الذى استمر ثلاث عشرة سـنة

ينهار و ينهال على الامم ويزعجها ويقال راحتها او يكدر عليها معيشتها او يخرب البلاد و يقتل العباد من
نواحى نهر الدانوب الى نواحى نهر ابرو فى اسبانيا ومن نهر السين الى نهر البو فى ايطاليا واستراح جميعه
بعضه تحت الارض و بعضه فى فلاحتها وزراعتها تحت ناف رق العبودية وعلى هذا صار احترام
ماريوس واجلاله باحتفال فاخر وموكب باهر وقابلته الامة الرومانية بالترحاب وسعة الصدر بما أنه هو
المخلص لهم ولروما من الخطر والاسر وزادوا فى اجلاله مع كثرة التملق وانتخب قنصلا فى المرة السادسة
التالية ولو كان فيه مخالفة لبنود القانون فلو كان رجلا سياسيا كما كان قائدا عظيما وشجاعا كبيرا
لامكنه أن يتمم ما أجراه القيصر يوليوس فى القرن التالى وجعل نفسه ملك الرومانيين لكن كانت
شهرته وطمعه قاصرا على هذا الحد فقط وما كان عنده ثبات ولا معرفة بأى مركز أو موقع يمكنه البقاء
والثبات فيه وانتخب لنفسه من أعز أحبابه المخلصين له فى الصداقة اثنين من أقبح رعاع الناس ومن أهل
الفساد والشقاق وهما غلوسيه وسطورنيوس وقواهما بجلاله وانعطافه لهما وسعى فى نشر قوانين ولوائح
كانت غير مرضية عند الامة بالكلية وعند عموم وجوه الطوائف الرومانية فعارض مطلوس هذه
الاعمال فصار نفيه من البلاد واستعار ماريوس لنفسه جور وظلم قائده القديم ومن ثم جلب على نفسه
عداوة السناتو والمتممين لهذا المجلس وكذا تولد من أعمال الحاكم سطورنيوس حصول زوابع شديدة
من الثورات والشغب والشقاق فى المدينة وجاء وقت زمن انتخاب القناصل فى أثناء هذه الارتباكات
وضرب مومبوس محافظ الحكومة من طرف القنصلية ضربا شديدا حتى أشرف على الموت وكان الذين
ضربوه حزب غلوسيه وسطورنيوس فنشر السناتو أمرا بأن هؤلاء أعداء الجمهورية فضبطهما الكابيتول
الا أن ماريوس خاف من فقد وضياع محبته وقبوله لو تعرض من أجلهما بأدنى مدافعة وانحازا الى مجلس
السناتو عليهما واعتمادا على وثوقهما باعانة ماريوس فى حمايته اياهما سلما أنفسهما فصدر أمر المجلس
بحبسهما فى سجن كورية هوسطيليا وكان ماريوس مجتهدا فى خلاصهما بطريق محاكمة فهجم
الناس عليهما من أحزاب السناتو وقتلوهما فى سنة ١٠٠ قبل الميلاد وفى سنة ١٠٢ قبل الميلاد
هاج حرب ثان رقى فى جزيرة سيسيليا وذلك أن الرقيق تجمعوا وهم فى حالة القنوط من شدة ماهو
حاصل لهم من عنف المعاملة الحاصلة لهم من جهة أسيادهم وقاموا عليهم بالسلاح وكانوا أسيادهم
بالطبع أقل منهم عددا فبمساعدة الجمهورية صار حطم الرقيق واطفاء ثورتهم من بعد حرب استمر ثلاث
سنوات فى سنة ٩٩ قبل الميلاد

وكان موت سطورنيوس فى الحقيقة خيبة حيث لم يتمكن ماريوس من القبض على زمام الحكومة
فكان ماريوس قائدا كبيرا الا أنه ضعيف السياسة وفقيرها لانه استعمل آلات الخطا وعدم الصواب
فى تمام ما تؤول اليه حالته ولم يزل الا أن جعل نفسه ممقوتا ومبغوضا عند الامة حتى طلبوا كنطوس
مطلوس من محل نفيه فلما رغب ماريوس أن ينظر موكب خصمه واحتفال الامة به وقت حضوره
فذهب فى سفرة الى الجهات الشرقية موريا فيها ايفاء نذر عليه فى تلك الجهة ولما عاد من سفرته رأى
اخوانه تركوه مع بعد أن كانوا يتملقون له فى مدة فوزه وعلو قدره ومع هذا فانه لما ذاق من قبل طعم
حلاوة الشوكة والنفوذ عول فى نفسه ثانيا أن يكون سيد رومة فوعده كاهن الوحى بقنصلية سابعة
فاجتهد فى اكتساب الشوكة وكان كثير الاعتقاد فى الخرافات وأقوال الخزعبلات وصمم على
توطيد واجراء ما يؤكد له ما وعد به من طرف وحى الكاهن وفى أثناء هذا قام ايلفيوس دروسوس بن

دروسوس فى دعوى الاصلاح وأثار القلاقل والارتباكات فى رومة وكان دروسوس هذا هو الذى عارض كايوس غراقشوس فى أعماله الاصلاحية وكان رجلاذكى العقل قليل الاقدام فشرع فى مداواة العلل والامراض المؤلمة للملكة بواسطة ربط علاقات مجلس السناتو مع طائفة العقسطرياتين فى رومة ونشر العدل على اللاتينيين وبعد ذلك أمر بتجريد الفرسان من الحقوق التى كانت منحت لهم من أجل الدعاوى والمحاكم لانهم كانوا انتهكوا حرمتها وأعاد هذه الحقوق الى مجلس السناتو وكذا قبول نشر الحرية والعتق على كافة الايطاليانيين ونجح فى توطيد قانون يشتمل على قسمة الحقوق العدلية بين الفرسان والسناتو الا أن مذكرته فى قبول نشر الحرية على الايطاليانيين صار رفضها مع العنف وصار قتل هذا المصلح على باب داره وعاد الاشراف الى حالتهم المعتادة من الحرب فضربوا فى هذا الوقت ضربة شديدة وقعت عليهم من نفس طائفتهم فى سنة ٩١ قبل الميلاد

وكان قتل دروسوس اشارة واضحة وعلامة جلية على هياج حرب داخلى وحصل الاجتهاد الزائد فى البعد عنه وبموته أيضا انقطع الامل الاخير الذى كان الايطاليانيون مؤملينه من أن رومة تسمح لهم بعتقهم ولما لم تقبل رومة طلبهم هذا الحق بوجه العدل والانصاف والمحبة لم يبق عند الايطاليانيين شئ سوى الانقياد لرومة والسكوت على عدم حريتهم أو العصيان والقيام عليها فاختاروا فى مجلسهم وناديهم العصيان والثوران على رومة ودخل منهم ثمان أمم تحت السلاح وهم المرسى والمروسينى والبلجنيون والفسطنيون والسنطيون والسامنيون والابوليون واللوقانيون ودخل هذه الامم فى محالفة بينهم وشكلوا جمهورية اتحادية أطلقوا عليها اسم ايطاليا وانتخبوا مدينة كورفنيوم فى نواحى جبل الابنين من أعمال بلجنيانه وجعلوها عاصمة لهم وكانت هذه مبادى الحرب الاشتراكى أو الاتحادى وانتخبوا لهم أيضا بومبيديوس وبابيوس قنصلين لهم ثم بعد قليل اتضح للرومانيين أنه لو حصل ظفر ونجاح لهؤلاء المشتركين فان رومة تتجزأ الى ممالك صغيرة وتؤول حالتها الى العدم وهزم المتحالفون أحد القناصل وهو القيصر لوسيوس وكذا نائبه الحاكم بابرنه والحاكم بوسطوميباس وتغلبوا على كامبانيه وهزموا القنصل كيبيو وبددوا جيشه فى اقليم كامبانيه فى ظرف بضع شهور ثم فتحوا مخابرة مع أهل ايطاليا الشمالية وصارت كامل البجيت جزيرة على شرف العصيان فقابلت رومة هذا الخطر بقلب ثابت لما رأت جيوشها ليس لها طاقة على اخماد ثورة العصيان وأصدرت لائحة تعرف بالقانون البوليانى تشمل منح حقوق المدينة الرومانية لجميع الايطاليانيين الذين لم يشتركوا فى هذا الحرب والذين يتخلون بانفسهم ويسحبون منه فكانت هذه اللائحة سببا فى فوز رومة ونجاحها على الثائرين عليها وصدت الناس نوعا من الوصول الى هذا الاتحاد والدخول فيه وكان حربا مسلما شديد القوى حتى صاح الناس بالعرغاء بقبول العلاقات والارتباطات التى جاء بها القانون البوليانى وانسل المتحدون من بعضهم واحدا بعد الآخر من معاهدتهم الاتحادية وبينما كان الرومانيون آخذين فى حالة العجز والضعف ابتدأ عندهم ظهور الظفر والفلاح بتوجه سولا وبومبى الاكبر بالجيوش الى كامبانية وردوها ثانيا وتغلبا على عاصمة التحالف ومابقى فى الآخر الاسامنيوم ولوقانيا تحت السلاح فاجتهدت رومة مرة ثانية فى صدور المنحة بكونها رخصت بكل ماطلبه المتحالفون لانفسهم وانتهى أمر هذين الامتين الى الانقياد وانغلق الحرب الاشتراكى فى سنة ٨٨ قبل الميلاد وفى أثناء هذا الحرب صار استخدام ماريوس ثانيا كقنصل روطليوس فى السنة الاولى رئاسات مشحونة

بالاهوال والمصائب على رومة فانتج من اجراآته البطيئة واحتراساته شئ يعود منه النفع عليه لان الاحترام والاجلال انتقل جميعه الى سولا كما انه أثبت لنفسه فى حروب سنة ٨٩ وسنة ٨٨ قبل الميلاد كمال قيادته وشجاعته ولما أغار ستريداطيس صاحب بونطوس على اسيا الصغرى ولزم الحال لارسال قائد شهم جسور يضارعه فى حركاته الحربية تعين سولا لهذا الامر وكان فى القنصلية الحالية معينا لقيادة الجيوش فى تلك الجهة فتولد من الصداقة القديمة التى كانت بين ماريوس وسولا منذ زمن طويل غيرة وحسد وعداوة بين الاثنين واغتاظ ماريوس جدا من تعيين سولا فى قيادته الجديدة واشتغل بالشغل اللازم لابطال ما أجراه مجلس السناتو ثم ان الحكومة من سوء نيتها ورداءة ذمتها كما هى عادتها سعت واجتهدت فى ابطال منحة المدينة التى كانت منحتها للايطاليانيين بكونها حصرتهم جميعا فى ثمان شعوب على ما كانوا عليه من كثرة العدد وحض ماريوس بوبليوس سولبقيوس روفوس أى الاحمر وكان لفظ الاحمر لقبا على بوبليوس فى أن يعرض لائحة يطلب فيها توزيع التبعة المستجدين بين الشعوب فتولد من هذا الترتيب أن صار لهما المكنة على زيادة عدد التبعة القديمة لاهل المدينة الذين صاروا معضدين لماريوس بالطبع مثل مدافع لهم ومحافظ على حقوقهم فاجتهد القناصل فى ابطال هذا الفعل فضبط ماريوس والاحمر القورم بقوة متسلحة وألزموا القناصل بالتصديق على القانون وصدور أوامر باتباعه واختلف الصوت الذى كان عهد زمام قيادة الجيش وتدبيره على سولا وانتخب ماريوس بدلا عنه فى سنة ٨٨ قبل الميلاد وانتهت الحالة الى شدة العداوة والحدة بين الخصمين وما كان سولا رجلا جبانا يخضع لهذه الوقاحة التى حصلت فى حقه بل فيه طاقة كافية لان يظهر نفسه مدافعا عن القانون الجارى فاستغاث بعساكره وتوسل بهم فى اعانته على بقائه على ما كان عليه وسار فى رأسهم نحو رومة فأما ماريوس فانه ما كان يتوقع حركة جورية مثل هذه تحصل من عدوه وما كان على استعداد أيضا لملتقاه فبهذا صار سولا سيد رومة مع الهدوّ والسكون وعدم المعارضة فانه هدد رومة بحرق المدينة على رؤس سكانها لو حصل منهم أدنى حركة فى معارضتهم له ثم انهزم ماريوس والتجبر على الفرار مدة حياته حتى يأتيه الفرج واتجه عقله الى خيالات وهمية وخرافات عديدة تخيلية حتى وصل به الحال أن وصل افريقه وصارت له ملجأ بعيدا عن أعدائه وأمر سولا من بعد أن صار سيد رومة بقتل الاحمر وابطال قوانينه ورسم هو قوانين متباينة بالقوة والاقتدار تختص بتقوية الاشراف وطواغيتهم ثم انجبر على أن يترك رومة سريعا من أجل استلام زمام قيادة الجيش فى الشرق فاعقب سفره هذا حرب داخلى فى الحال وانتخب الاهالى سينا قنصلا فاجتهد سينا فى عود قوانين الاحمر ورجوع ماريوس ثانيا فاضطر الاشراف الى السلاح وطردوا سينا من المدينة فاستغاث سينا بالجيش ونال مساعدة العساكر ومعاضدتهم له ولما نال معاضدة العساكر والجم الغفير من الايطاليانيين طلب ماريوس من افريقه وسار على رومة وتغلب على المدينة قهرا وشرع فى اجراء الانتقام والبطش بالاشراف فى سنة ٨٧ قبل الميلاد ولما عاد ماريوس الى المدينة اشترك مع سينا فى القنصلية وذبحا كافة من كان على صداقة سولا وكان ماريوس يمشى على أقدامه من وسط شوارع المدينة ملازما له خفره وكانوا يقتلون كل من لم يقدم اجلالا واحتراما لماريوس ويكتبون الذين يرغبون طردهم ونفيهم من المدينة يوميا ويذبحون كل من خالف أمر السفر من المكتوبين فى قوائمهم ونهبوا مساكن المقتولين وفضحوا أهلهم وعائلاتهم وما عهد فى رومة من قبل تسلطن هذا الرعب والفزع

ونال ماريوس من انتقامه من الاشراف وبطشه بهم ماشفى غليله واكتفى الحيقة رأسه وطرح القانون وراءه ظهريا وجعل نفسه هو وسينا قنصلين لسنة ٨٦ قبل الميلاد من دون مراعاة هيئة الانتخاب الجارية سنويا وكان قلب ماريوس مشحونا بالاوهام والخرافات واستوفى ما أنبأه به الكاهن ودخل في القنصلية السابعة ومع هذا فانه لم يتمتع بها زمنا طويلا بل مات بعد مضى سبعة عشر يوما بعد أن بلغ من العمر احدى وسبعين سنة وتوجه الى عاقبة أمره مع ما أجراه من الفظائع والانتقام في بلده وترك من بعد موته شرذمة من الجلادين الذباحين اجتهدوا في أشغالهم الدموية فقطلهم سيرطوريوس جميعا بصفة أن يصرف لهم رواتبهم ولما حضروا أحاطهم بعساكره وقطعهم عن آخرهم قطيعة رجل واحد وعلى ماقيل انه ذبح في هذا اليوم ما يزيد عن أربعة آلاف نفس والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ الباب السادس ﴾

﴿ من موت ماريوس الى تشييد المملكة ﴾

شوكة سينا في رومة ـ تخويف سولا ـ الحرب الاول الميتريداطيق ـ عود سولا ـ الحرب الثاني الداخلي ـ نصرة سولا ـ تغلبه على رومة ـ صيرورة سولا الحاكم الآمر الناهي ـ أحكام القتل والنفي ـ أعمال سولا ـ اعتزاله وموته ـ ثورة سيرطوريوس في اسبانيا ـ قتله ـ اخماد بومبي الثورة ـ الحرب البرازي ـ سبرطاقوس ـ صيرورة قراصوس وبومبي قنصلين ـ تغيير صفتهما وسياستهما ـ اجراآتهما الاصلاحية ـ سيسرو ـ اخضاع بومبي اللصوص السيليسيانية ـ ارسال بومبي الى آسيا ـ تغلبه على متريداطيس وطجرانيس واضافة سوريا وبونطوس الى الممالك الرومانية ـ عود بومبي الى رومة ـ ثورة الكاطالين وخروجهم عن الطاعة ـ يوليوس قيصر ـ أعماله وخدماته ـ صفة هذا القيصر ـ الحكومة الثلاثية الاولية ـ نفي سيسرو ـ ارسال كاتو الى قبرص ـ تغلب القيصر على بلاد الغلية ـ اغارته على جرمانيا ـ الحرب مع مملكة فارطية ـ هزيمة قراصوس وموته ـ حرب القيصر وبومبي ـ انحراف السناتو مع بومبي ـ وقوع القيصر في الاعمال العدوانية بواسطة السناتو ـ حالة موقعه ـ استغاثته بعساكره لمعاضدته ـ عبوره نهر روبيكون ـ ترك عساكر بومبي نفس بومبي وتوجههم للقيصر ـ تقهقر بومبي الى الجريس ـ صيرورة القيصر سيد ايطاليا ـ ليبه وحلمه ـ تشييده حكومته في ايطاليا ـ اخضاعه اسبانيا ـ تتبعه بومبي في الجريس ـ واقعة فارساليا ـ هرب بومبي ـ وصوله الى مصر ـ قتله بها ـ وجود القيصر في مصر ـ تشييده حكومته في مصر وآسيا الصغرى وافريقه ـ عوده الى رومة ـ صيرورته مطلق التصرف مدة حياته ـ ما كان من المقاصد الكبرى للقيصر ـ ماهي الاعمال التي تممها بعد هذا ـ قيام الثورة عليه ـ قتله ـ نتائج تأثير قتله على رومة ـ تعطيد مارك انطونى في شوكة الحكومة ـ وصول القيصر أوقطاڤيوس ـ طلبه وراثته ـ توجه انطونى الى الغلية ـ سرعة قيام أوقطاڤيوس الى الشوكة ـ أحوال الاعمال مع انطونى وليبيدوس في الحكومة الثلاثية الثانية ـ واقعة فيليبي ـ تقسيم الممالك الرومانية بين ثلاثة حكام ـ ظفر أوقطاڤيان على ليبيدوس وتوطيد قانون رومة

الجوهر الفرد ـ خيبة انطونى فى الشرق ـ انهماكه على الفجور والمحرمات ـ هياج أوقطافيان الحرب عليه ـ واقعة اكطيوم ـ هرب انطونى مع كليوبطره ـ تغلب أوقطافيان على مصر ـ موت انطونى وكليوبطره ـ صيرورة مصر اقليما رومانيا ـ عود أوقطافيان الى رومة ـ تأسيسه المملكة الرومانية على آثار وأطلال الجمهورية

ولما من موت ماريوس ان صار سينا قنصلا وخلا له الجو ولبث فى المدينة قنصلا وحيدا الى سنة ٨٤ قبل الميلاد مشتركا مع من يراه موافقا له فى أعماله ومع ذلك فان سينا ما فعل شيأ من الاشياء التى يعول عليها فى أشغاله وما تم فى مدة حكومته شيأ تنتفع به البلاد والعباد وكان سولا مطرودا ونعين واحد بدلا عنه ثم ورد أخيرا مكتوب من سولا يذكر فيه نجاح الحرب على متريداطيس وتمام حالته وانه عازم على العود مع السرعة الى ايطاليا وذكر فى مكتوبه هذا انه مادام محافظا على حقوق تبعة المدينة المستجدين فانه عازم على توقيع العقاب الشديد على مخترعى العصيان والمهيجين للثورات فخاف سينا وارتعب ان حصل منه أدنى تكاسل فى أمر هذا المكتوب وشرع فى السير ضد سولا

وفى ظرف هذه السنين كان سولا مجريا الحرب على متريداطيس بغاية الظفر والنجاح وهزم سولا مساعى وأعمال ملك البونطيقيين بتوقيفه سير الفتوحات الرومانية فى الجهات الشرقية وقد ذكرنا وقائع هذا الحرب وحوادثه فى تاريخ مملكة بونطوس ويمكننا الآن صرف النظر عنه هنا فمن أراد مطالعته فليراجعه فى تاريخ بونطوس وأعاد سولا الجريس ومقدونيا وآسيا الصغرى وأرغم متريداطيس على عقد صلح بشروط فائقة الحد فى الذل والاهانة وصرف كافة مصاريف الحرب من ايراداته المخصوصة به وأخر فصل قضيته مسامحة نفسه الى أن يهزم هذا العدو الغريب ثم عاد لطلب مسئلة ما حصل له من الاهانة والمصيبة بواسطة نفوذ مظفراته ونصراته ومعه مبلغ وافر من النقود التى أخذها من العدو ومعه جيش خاضع له ذو جسارة وحماس فى الوقائع التى يجريها وكان سولا من دون ريب أول قائد من القواد الموجودين على قيد الحياة فى عصره وكذا كانت عساكره متعودة على النصر ومع ما كان عليه من الوثوق من نفسه بالنصر فانه ما كان مزدريا ولا مستخفا بعدوه وكان على معلومية تامة من أن الحزب الماريانى على غاية من الثبات والقوة ولما كان على ازدراء من غوغاء الرومانيين وعوامهم وجد من بين هؤلاء العوام شوكة الايطاليانيين ومكنتهم وكانوا مشكلين للحزب القوى المضاد له وبواسطة اعلانه رغبته فى احترام حقوق مدينة الامم المستجدة من الايطاليانيين دفع عن نفسه هذه الامم وجعلها على حيادة منه وقت افتتاح الحرب

ونزل سولا فى نواحى بريدوسيوم مع ٤٠٠٠٠ نفس من عساكره فى سنة ٨٣ قبل الميلاد والتحق به على الفور مطلوس بيوس وبومبى فهزم جيش القنصل نوربانوس بالقرب من مدينة قابوه من أعمال كامبانيا وجلب عساكر صكيبيو تحت بيرقه وتوجه بعساكره الى مراكز الشتاء فى ايطاليا الوسطى واشتغل فى مدة فصل الشتاء بادارة تقوية حاله وتدبير أعماله وفى فصل ربيع سنة ٨٢ قبل الميلاد جند الحزب الماريانى جيشا مؤلفا من ٢٠٠٠٠٠ نفس فى ميدان الحرب تحت قيادة القنصلين الجديدين كاربو وماريوس الاصغر فاما كاربو فانه اتخذ لنفسه موقعا فى ناحية كلوسيوم من بلاد عطروريا بما أن هذه الجهة كانت على صداقة لحزبه وأما سولا فانه دوّر جيشه على خصمه ماريوس

الاصغر وهزمه فى واقعة دموية وقعت بينهما فى نواحى انغيورطوس وألزمه بالقهقرة الى برنسيطى فنزلت فيها سولا قوة من أجل محاصرة ماريوس وسارهو من طريق رومة وكانت على حالة بغير مدافعة وهجم على كاربو وهو فى موقع متترس فيه فخاب من الغلبة عليه وفى هذا الوقت نجح الشاب ماريوس فى حض اللوقانيين والسامنيين على حضانة أمره فارسلوا قوة لمساعدة الماريانيين فما كان لهذه القوة طاقة على الوصول الى برنسيطى وانضمت الى جيش كاربو ومن سوء تدبير كاربو فى الاعمال هجم عليه سولا ثانيا فانهزم الجيش الموجود تحت قيادته وأما الواقعة الفاصلة فانها وقعت عند باب التل من أبواب رومة فمن كان باقيا من جيش كاربو تقوى بالايطاليانيين تحت قيادة طلسنوس وهجموا على رومة مع عزم شديد على خرابها ومن بعد حرب مهول مقطوع اليأس تشتتوا وأبادتهم عساكر سولا وضبط قراصوص منهم أربعة آلاف أسير فأخذوا بأمر سولا الى معسكر مارطيوس وقتلوا جميعا وصار سولا فى هذا الوقت سيد رومة وبواسطتها انتصر حزب الاشراف وانتقموا من أعدائهم انتقاما دمويا وقتلوا قواد هذا الحرب الاخير وكل من كان قريبا للماريوس أو صديقا له وأمكن القبض عليهم وعملوا قوائم ودفاتر للنفى والقتل فكان كل واحد من أصدقاء سولا وأتباعه يضيف فى هذه القوائم ما يشاء وبما أن أموال المقتولين صارت فى حوزة أعدائهم تولد من الشح أيضا التهمة وقيل انه هلك فى هذه الدفعة فى رومة ٣٠٠٠ نفس وفى برنسيطى ١٢٠٠٠ نفس وقتل فى المدائن الاخرى الايطاليانية مثل ذلك أو أكثر من أجل مسئلة الماريانيين وكانت قساوة الماريانيين زيادة عن ذلك أيضا فدقة بدقة ولبث سولا مدة ثلاث سنوات سيد المملكة الرومانية وأميرها وكان لا لقب له فى الابتداء ثم وضع عليه لقب الآمر الناهى أو الحاكم المطلق بشوكة غير محدودة فغير عدة تغييرات فى القواعد الاساسية للنظام الرومانى أى انه وضع نظاما وقانونا بالقوة الجبرية حسبما تراآى له من أفكاره وجعله تقوية لامره ولطائفته من الاشراف فمع أن سلوك سولا كان مذموما رديئا الا أنه سار فى مجرى الحق وأبطل ارتباكات الاحوال والفساد الحاصل من الامة وشرع فى الاشغال التى لا يؤمل معها صلاحية أهل بلاده بنشره قوانين شديدة تختص بالجرائم والعاكفين على الموبقات والملاهى التى ما كانت مرعية من قديم الزمن وأمام جهة الحكومة فانها ابتدأ بتجريد وظيفة حاكم العوام من نفوذها وسلطتها ما عدا حمايتها أشخاصا من تبعة المدينة من نواب آخرين وعدم أهلية حكام العوام لوظيفة القنصلية وجعل لمجلس السناتو حقا فى سن مبادى القوانين ونشر بعها ثم جعلها تحت نظارة الشوكة العمومية للمحكمة العدلية وألغى طريقة انتخاب القسس والكهان وأمر أن كافة حكام المصالح ورؤساءهم يلزم أن يترقوا فى الوظائف من الدرجات الواطية الى الدرجات العالية على التدريج وحدد المدة التى تكون بين الدرجتين على طريقة منتظمة ورتب مجلس السناتو مرة أخرى وأضاف اليه ٣٠٠ نفس من معتمدى حزبه وانتخب الشعوب والقبائل والطوائف مما كان فيها من حشرات الناس وطرد كافة الايطاليانيين الذين ساعدوا الماريانيين وأمر بعتق ١٠٠٠٠ نفس من الرقيق وفرق الاراضى والعقارات التى أمر بضبطها من الماريانيين على قواده وأمرائه وفى كثير من الاحوال كان أصلا لخراب البلاد ومحنتها

ومن بعد أن قاد سولا الحكومة آمرا ناهيا فيها من غير ممارسة ولا مناقضة مدة ثلاث سنوات تنازل عنها مع غاية الاستغراب عند كل انسان واعتزل فى بلد فى جهة بطيولى فى سنة ٧٩ قبل الميلاد

وعكف فيما بقي من حياته على تأليف مذكراته ومات في السنة التالية وعملت له جنازة حافلة مع غاية الوقار والاجلال ما شوهد نظيرها في ايطاليا ونعاه مجلس السناتو وكان دمر حكومة الامة وأعاد حكومة الاشراف ووجد حزب الاشراف أن كافة ما أجراه سولا لأجلهم كان عظيما جدا وأما ابطال انتخاب الاحبار والكهان وقانون الترقي في وظائف المملكة فانه صار صده بقوة فعالة مؤثرة من طمع الاشراف في تيسرهم على الحصول على هذه المحلات الجليلة وعارضوا في الاعمال والاجراآت بطرق بطيئة بواسطتها آلوا الى ما هم عليه من الحالة الراهنة واجتهد ليدوس في السنة التي مات فيها سولا في الغاء قوانينه وابطالها وكان ليدوس قنصلا لانتخاب في مسعاه لان وقت احياء جميع الاشغال والاعمال لم يأت الآن

وكان صار حطم الاحزاب الماريانية في نواحي سيسيليا وافريقه بواسطة كينوس بومبي في مدة حياة سولا وفي سنة ٧٧ قبل الميلاد أرسل بومبي الى اسبانيا نائب قنصل لاخماد عصيان سيرطوريوس وكان سيرطوريوس هذا أشجع قواد الحزب المارياني وكان سنا قلده زمام القيادة في اسبانيا لتخلوله منه الطريق وفي مدة المظالم السولانية الحاصلة بالقتل والنفي ذهب كثير من هرباني الماريانيين الى سيرطوريوس فاستخدمهم عنده في وظائف تحت يده ثم طرده نائب قنصلية سولا وهو انيوس من اسبانيا فهرب منها والتجأ الى افريقه فطلبه اللوسيطانيون فعاد في سنة ٨١ قبل الميلاد الى اسبانيا في رأس جيش من أهل ليبيا وأهل الغرب الاقصى وهزم قوى سولا على شواطئ نهر الوادي الكبير وجعل نفسه سيدا سبانيا وكان عند وصول بومبي الى اسبانيا تغلب على كامل البحيث جزيرة من الرومانيين حتى ان بومبي وجد في نفسه أنه يستحيل عليه هزيمته فاستمر الحرب خمس سنوات زيادة عما تقدم من السنين وفي سنة ٧٢ قبل الميلاد قتل سيرطوريوس بواسطة بربرنه أحد ضباطه وقلد نفسه زمام قيادة جيش سيرطوريوس فهزم بومبي هذا القاتل في أول وقعة من بعد أن قتل هذا القاتل رئيسه وقبض بومبي عليه وكان المقصد الاصلي من أعمال سيرطوريوس واجراآته وحروبه رجوع شوكة الماريانيين في رومة فاجتهد بربرنه في نجاة حياة نفسه بكشف أسرار مخبآت هذا الحزب في رومة فقتله بومبي شر قتلة ومن بعد قتله انتهى الحرب مع العجلة ودخلت اسبانيا مرة أخرى تحت القانون الروماني

ومن قبل غلاق الحرب في اسبانيا انفجرت ثورة مهولة شديدة من العلاديا طوريين في مدينة قابوه في سنة ٧٣ قبل الميلاد تحت قيادة سبرطاقوس وهو رئيس ثراسياني فانضم اليه الجم الغفير من الرقيق والمنفيين والمطرودين وزادت قوته حتى بلغت في العدد ١٠٠٠٠٠ نفس وهزم أربع جيوش أرسلت اليه وفي مدة سنتين خرب ايطاليا حتى هدد رومة نفسها وفي سنة ٧١ قبل الميلاد تقلد الحاكم قراصوص قيادة الجيش الجاري في الحركات الحربية على هذا القائم بالثورة فأتم قراصوص في طرف ستة شهور هذا الحرب مع الظفر والنصر التام وما بقي من آثار هؤلاء الثائرين هشمهم بومبي وأبادهم جميعا عند عوده من اسبانيا وكان قراصوص أسر منهم نحو من ٦٠٠٠ نفس فشنقوا جميعا في طول الطريق الابياني

ولما عاد قراصوص وبومبي الى رومة طلبا وظيفة القنصلية مكافأة لهما على ما أدياه من جليل خدمتهما الا أن القانون السولاني لا يقضي بانتخابهما لانهما لم يدرجا في درجات الوظائف المقررة في هذا القانون

غير أن فخامة ما أجرياه من الخدمات وزيادة ما لهما من النفوذ والشوكة يقضيان بعدم رفض طلبهما هذا فمن أجل هذا صرف النظر عن قانون سولا وفي أول يناير سنة ٧٠ قبل الميلاد صار قراسوس وبومبي قنصلي السنة وإلى هذا الوقت كانا هما الصديقين الرفيقين لرفقاء سولا وحزبه الاشراف فبمجرد دخولهما في الوظيفة تغيرت سياستهما فيحتمل أنهما أضمرا على عدم بقاء القانون المختص بحكومة الاشراف كما هو المنظور لهما واتضح من قرائن الاحوال جليا انهما أضمرا على ان المنافع العائدة عليهما تحتاج الى فسخ هذا القانون وابطاله بالكلية فمن أجل هذا عزما قبل كل شئ على أن يوطدا لجهتهما مساعدة الطائفة الوسطى من طوائف المدينة وهذه الطائفة تكون سببا في جلب الطوائف الواطية نحوهما وبالكلية يتم شمسان شوكة الاشراف ويحطمانها وكان قراسوس رجلا محترما في قومه كثير الثروة فسار بسهولة في مشروع رفيقه الجسور منحة الله وهيبته في طريق تيسرهما على الحصول على ما هما عليه من الغرض والقصد وشرع القنصلان في تدوين اصلاحات ونظامات في رومة فأعادا شوكة حكام العوام القديمة التي كان سولا جردهم منها ووزعا الشوكة العدلية بنسبة واحدة بين السناتو والفرسان وحكام المالية وهم طائفة من الصيارف يجمعون الاموال والمدخولات ويصرفون رواتب العساكر ونظفا الحكومة مما كان متراكما عليها من أكوام الزبالة والفساد والعفونة والقاذورات بعضها بالاجتهاد وبعضها بطريق احياء وظيفة التفتيش وكان سولا ألغاها وتقايا مجلس السناتو من بطنه بواسطة شربة من مسهل أربعة وستين عضوا من أعضائه فقام مجلس السناتو والاشراف مع حدة الغضب وقوة الرأس ورفضوا قبول هذه النظامات فألزموا في آخر الامر بقبولها والاذعان لها وعاضد حركة اصلاح الحكومة وساعد القناصل فيها مرقص طوليوس سيسرو وكان أول مشرع وخطيب في رومة ذا فصاحة وبلاغة في الكلام وكان سيسرو وصل الى درجة هذا الارتقاء بواسطة ما حصل من اجتهاد فيريس في سوء ادارته في حكومة سيسيليا وأثبت سيسرو بهمته التي لا تكل ولا تمل وعلو بلاغته وفصاحته ما حصل من الجرائم والمصائب التي توقعت من فيريس وصار نفي هذا المجرم من الحكومة وزيادة على هذا فان سيسرو عرض نفسه لزوال عفونة الاقاليم وما فيها من الروائح الكريهة أمام مجلس النواب والامة حتى ان حزب السناتو رأى أنه لا مدافع له أمام سيسرو فأجبر على الاذعان في تمشية هذه القوانين

ثم ان بومبي بعد انتهاء مدة وظيفته في القنصلية رفض قبول التوجه لحكومة أي ايالة حسب الجاري وقت خروج القناصل من وظائف القنصلية من بعد غلاق مدتهم ونوى الاقامة في رومة مع الهدو والراحة لا يتداخل في الاعمال العمومية بل ينتظر ما يؤول اليه سير الحوادث والوقائع فبعد مضي قليل طلب من أجل أداء خدمة أخرى تخص الحكومة وذلك أنه من ابتداء دمار وخراب وزوال الشوكة البحرية لقرطاجنة ومصر وسوريا صار اللصوص البحرية من جهات سيليسيا السيادة العظمى في البحر الابيض المتوسط فكان لهم معاقل ومراكز منشأة على السواحل السيليسيانية تخرج منها مراكبهم وقواربهم ينهبون سواحل ايطاليا ويكنسون سطح مياه البحر الابيض المتوسط من سفن التجارة ويسلبون المينات الايطاليانية حتى وصل جراءتهم ونهبهم الى داخل البر ووصل الى الطريق الابياني من ايطاليا فأرسل بومبي لهم في سنة ٦٧ قبل الميلاد شوكة ونفوذ مطلق وعساكر عليهم منقلدا زمام أمر الحكومة السامية على كافة سواحل البحر الابيض وفي داخل الارض بمسافة خمسين ميلا

من الساحل فعكس في ظرف ثلاثة شهور سطح مياه البحر من اللصوص وقطاع السبل وهدم معاقلهم وهرأ كزهم وما كانوا يأوون اليه وبرحمته ومعاملاته السياسية العظيمة هدى كثيرا من المنفيين والمطرودين من بلادهم الى حالة سلم وأمن في اقامتهم وتوطنهم في المدائن الايطاليانية ولما عاد بومبي الى رومة من حرب اللصوص عهد اليه على حسب اشارة سنليوس وسيسرو زمام قيادة الجيش في آسيا الجاري في أعمال الحروب على متريداطيس وتقلد زمام الحكم المطلق في الشرق حتى ينهي الحرب المتريداطيقي فسافر بومبي الى قيادته الجديدة وحكومته السعيدة في سنة ٦٦ قبل الميلاد وفي ظرف سنتين أنهى هذا الحرب مع الظفر الجليل وطرد متريداطيس من ممالكه الى الاقاليم الموجودة خلف جبل قوقاز وأرغم ملك أرمينية طيجرانيس على تسليم سوريا وجعل نفسه سيدا عليها من غير مضاربة ولا مصادمة فحولها الى ايالة رومانية ثم سار الى الجهة الجنوبية من نواحي سوريا العليا وتغلب على مدينة أورشليم ومن فضله وحفاظه لم يقرب من المعبد ولا ما فيه من الكنوز والذخائر لكنه نال عداوة اليهود وغضبهم عليه بدخوله رغم أنفهم في أقدس القداسات ثم هيج حربا على العبد ومبين الآن مدة هذا الحرب لم تطل لان الحرب انتهى بموت متريداطيس وصرف بومبي ما بقي من السنة في ترتيب بسينا وبونطوس وأدخلهما ضمن الاقاليم الرومانية وفصل أعمال ومشكلات الامم المجاورة لهما ورخص لفارناسيس بن متريداطيس في الاقامة في بحيث جزيرة القرم وأنعم بقيدوشيا على اريوبارزانيس وزاد في أراضي غلاطيا وجعل ميركانوس ملك يهوذا وأقيمت السيادة الرومانية على كافة تلك الممالك وفي سنة ٦١ قبل الميلاد عاد بومبي الى رومة فأتحفه الرومانيون بالاحتفالات الفخيمة التي لم يسبق في المدينة مثلها

ومن قبل وصول بومبي الى رومة كانت تخلصت مع شدة المضايقة من حرب داخلي حصل فيها وذلك أن لوثيوس سرغيوس كاتيلينه وان كان رجلا شريف المولد الا انه كان فاسد الطباع فاجرا شهواني النفس دخل في صحبة الناس الفاسدي الاخلاق المذمومين بالقبائح وفساد العوائد ورتب ثورة يقلب بها الحكومة منتظرا مساعدته ومعاضدته بالنافرين من الايطاليانيين والمجرمين والارقاء وأرباب الشغب والمصارعين والاوباش واعتمد في ثورته هذه على ما بقي من الحزب الماريائي الذي يحمد صوته وانقطع نفسه فاكتشف سيسرو وكان في هذا الوقت قنصلا على ترتيب هذه الثورة وكان على يقظة لا تغمض له عين ولا يغل له بدن خشية من وقوع الفساد في المدينة فأمر بجلب كاتيلين أمام مجلس النواب وهدده وأرعبه وتوعده أمام المجلس حتى ان هذا المهيج الثائر هرب من المدينة ووصل عطروريه وجمع فيها أتباعه وأعوانه وأنشب الحرب فانهزم كاتيلين وذبح في واقعة بواسطة انطونيوس نائب قنصل في سنة ٦٢ قبل الميلاد وتولد من عود بومبي مع شهرة مظفراته الجليلة مباشرة بعد اخماد ثورة كاتيلين وقوع الرعب في مجلس السناتو وحزب الاشراف وخافوا من انه ربما يسير على ما سار عليه سولا من قبل الا أن بومبي أمن خوفهم وقوى قلوبهم بتفريقه جيشه حال نزوله في ايطاليا وسار الى رومة مصحوبا ببعض أصدقائه وسكت موكبه الاحتفالي ثلاثة أيام يطوف داخل المدينة وما أمكن بومبي أن يمنع الامة من عمل هذا الاحتفال وان كان الجيش لم يشترك فيه ولما طلب القنصلية لنفسه مرة ثانية وتخصيص بعض أراض للذين مارسوا الحرب معه وظهرت شجاعتهم واستحقوا من المملكة مكافأتهم وكذا طلب الاقرار على الاجراآت التي أجراها حالما كان قائدا في الشرق قوبل بالرفض الحاد من مجلس

السناتو

السناتو وعوّل حزب الاشراف على عقابه من أجل توظيفه قيادة الشرق على غير من غوبهم فجلبوا الدمار على أنفسهم كما هي عادتهم الجارية من دون أن يتبصروا في عواقب الامور

وكانت ظهرت شوكة جديدة في رومة وقامت على قدمها مدة غياب بومبي في آسيا وذلك أن سلطة الاعمال انحصرت في أيدي ثلاثة من الرجال سيسرو وكاتو وكايوس يوليوس قيصر وكان قراصوص لا معنى له في ذاته ولا في صفاته فانه كان بطيء الحركة لا يسأل عن شئ وكانت سلطته كامنة في ثروته وأمواله وأما سيسرو فكان مقداما جسورا شهما أول خطيب في الدنيا على الاطلاق وأما كاتو فكان من ذرية المفتش القديم الذي كان وضع شوكتي مهموزة في قلب رومة وهيجها على خراب قرطاجنة وكان قائدا لحزب السناتو وأما قيصر فكان هو الرئيس المعروف المعدود عند الحزب المارياني ومرعيا عند الامة بانه المدافع عن حقوقهم والمحامي عنهم وكان ابن أخي ماريوس وزوج ابنة سينا وكان سولا يعهد فيه من الابتداء البسالة والشجاعة فاجتهد مع كل صعوبة في المحافظة عليه من القتل أو النفي ونال من سولا العفو والسماح بنباوانذار صريح وقال سولا ان هذا الولد له يوم من الايام يدمر فيه حزب الاشراف لاني أرى في وجهه أمارات كبيرة وكان قيصر عمره في هذا الوقت لم يبلغ سبع عشرة سنة ومن منذ ما بلغ هذا السن اتحد مع الحزب الاهلي وزيادة عما كان عليه من شرف المولد وعلو المقدار من كونه ابن أخي ماريوس وزواج عمته بوليه من ذلك القائد أظهر خدماته الجليلة الاولية في الجيش في حصار مدينة مطلين ونال تاجا من ورق الزيتون من أهل البلد بكونه خلص مدينة من مدائن التبعة ولما عاد الى رومة أشهر نفسه بخطابته وذمه وقدحه في دولابلا ووضح ما أجراه من الاعمال الخبيثة التي أجراها في نهبه مقدونيا ثم ان قيصر كان توجه الى رودس لتلقي علم البيان والفصاحة عند الاستاذ مولو معلم سيسرو وفي أثناء سفره قبض عليه اللصوص السيليسيانيون فلما خلص منهم بفداء جسيم جمع بعض المراكب والسفن وأغار عليهم فأسرهم وشنقهم وفي سنة ٧٤ قبل الميلاد بلغه أنه صار انتخابه لوظيفة القسوسية فتوجه الى رومة وقضى فيها سبع سنوات من دون أن يتداخل في أي مادة من المواد السياسية لكنه استحوذ على كثير من الاصدقاء والمحبين له بما فيه من جاذبية الطبع وفي سنة ٦٧ قبل الميلاد وقت ما سافر بومبي الى اللصوص صار بوظيفة قيصر مأمور مالية وفي نفس هذه السنة ماتت عمته أرملة ماريوس فخطب قيصر خطبة جليلة على جثتها وحمل في احتفال جنازتها صورة ماريوس مصنوعة من الشمع رغما عما كان عليه قانون المدينة من تحريمه مثل هذه الافعال وفي سنة ٦٥ قبل الميلاد صار بوظيفة في مصلحة الطرق فزاد الناس في محبته بما أظهره من الافتخارات التي أجراها في الالعاب العمومية ولما صار بوظيفة ناظرا على الطريق الابياني أدى فيها خدمات جليلة وأصلحها اصلاحا جيدا على مصاريف من طرفه وكان سولا أمر بازالة علامات النصر الذي حصل على الصمبريانيين وتماثيل ماريوس وأن لا يتوقع من الامة أدنى ذكر جليل يختص بما أجراه من مآثرها وأكبر فوائدها من الاعمال الكبيرة فتجاسر قيصر وأعادها جميعها في ليلة واحدة وفي صباح اليوم الثاني هرع أهل المدينة أفواجا ينظرونها ويتفرجون عليها فسكب من تذكر ماريوس القديمة عبراتهم على خدودهم فرحين برؤيتها وعلما أن قيصر لم يعبأ بمفعول القانون فما كان لمجلس السناتو من طاقة على التداعي عليه بخصوص فعله هذا ومن ابتداء هذا الوقت نظر الناس الى قيصر بعين رياسته عليهم ووجهوا اليه مراسم الاحترام وفي سنة ٦٣ قبل الميلاد صار حبرا من أحبار الدرجة الاولى العالية وفي سنة ٦٢

قبل الميلاد صار حاكما وفى سنة ٦١ استحصل على درجة حاكم اسبانيا القاصية وأظهر فيها أعماله الجليلة العسكرية بتغلبه على لوسيطانيه ونال خضوع عساكره له وانعطافهم اليه ومع أن قيصر كان غائبا عن رومة لكنه ما حصل أدنى نقص ولا فتور فى نفوذه وما زال مستمرا فى تدبير حركات حزبه وأنعشته الحكومة الاسبانية أيضا بواسطة دفعه قسما عظيما مما كان عليه من الديون وفى هذا الوقت بلغ عمره تسعا وثلاثين سنة وبزغ فجر أعماله الجليلة فكان أعوذجا للمروءة خبيرا بما تميل اليه نفسه وكان أعداؤه يذمونه بالخلاعة والرقاعة وحفظ فى مدة شبابه الاولى عنف وشدة جسمه وصلابته حتى استخدمه بعد أن صار كهلا عجوزا وتعوّد على عفة النفس وكان أستاذا فى فن الضرب بالسيف وركوب الخيل وفن السباحة والعوم وكان مشهورا بالصبر على الاسفار فكانت تأتى اليه على حين غفلة أسفار مهلكة حتى كان يسافر ليلا ليكتسب الزمن اللازم له وكان عنفوان عقله وجودة ادراكه عدوّا لعنفوان جسمه وصلابة أعضائه وكان له قوّة ادراك غريبة وحواس عجيبة وما كان عنده أدنى سهو ولا ينسى شيأ قط والذى أعزه فوق كل ذلك عند أحبابه وأصدقائه جبته وسخاؤه وسعة صدره ونظافة قلبه وخلوص نيته وحسن طويته فانه ما غض الطرف عن صديق له قط بل كان صديقا للصديق فى الرخاء والشدة وما كان ذلك فى حساب وكان قيصر يحب أصدقاءه وهو محبوب عندهم وما تضرر أو نفر أحد من الذين كانوا فى حزبه من برود أو عدم محمدة حصلت منه وظهر ما كانوا عليه من الميل له والرضا عنه بوجدهم وأسفهم وحزنهم وتألمهم عليه وقت موته وكان متمسكا بأجل الاحترامات التى كان يؤديها لوالدته فى حال حياتها وكان قلبه وجسمه مشحونا بمحبة زوجته وابنته يوليه وما تركهن من دون مكافآت أسدلها عليهن

وكان قيصر مثل غيره من العقلاء قابلا لتسلطن الغضب عليه الا انه كان حاكما على أخلاقه ونفسه وكان رجلا عمليا لا علميا على غاية من الدقة وقلما خاب فى الحصول على أحسن أعماله من تدبيره ومباشرة حركاته وما كان عجولا فى انتشاب الوقائع بل كان ينتظر الوقت الموافق لاجرائها حسب أغراضه مع الهدوّ والتبصر فى العواقب وبالجملة فكانت مشروعاته وأعماله جليلة خالية من العيوب والشوائب والتملق جارية على عمل كامل وشغل لا يشاركه فيه غير نفسه أى لا يحكمه فيه خليل ولا نديم ولا زوجة ولا محبوبة وأما من جهة كونه كان قائدا فانه كان سريع الفهم والادراك سريعا فى حركة الاعمال من دون أن يخطئ فيها فهمه العظيم وما كان يدعى ضعف عدوه بل كان يجعله على الدوام أنه أقوى منه ويصدمه الصدمة فى محلها وكان يقاسم عساكره فى المصاعب وشدتها والراحة وحصولها وكان لهم أجل صديق وأقوم عماد وأحسن طريق وأكبر رفيق وكان قائدهم الذى لا ينثنى عنانه ولا ينكب حصانه ثم لا عجب من أن النصر والظفر كانا تابعاله وبين يديه اذا توجه لاى محل بعساكره وكان هذا الرجل بالطبع من الرجال السياسيين من مبدأ شبابه له احساس غزير غريزى فى تدبير الاعمال حسب وقائع الاحوال وكان له قصد من أعلى المقاصد التى يرغبها كل انسان لنفسه وهى السياسة والادارة والعسكرية وتجديد الآداب والتهذيب لامته العريقة فى بحر الاضمحلال والشيخوخة وصار مثلها كمثل الامة الهلينقية وان كان المنظور فى أعماله أنها مؤثرة على الوقت الحالى وقتذاك لكنها أثرت أيضا على الاحوال التى جاءت بعد زيادة عن مبتدا اجرائها وان كان قطع المدخل حال دخوله فى مأموريته الجليلة وصرف النظر عن الدنيا وما يقع فيها من تغير الاحوال وتقلب الازمان وجعلها

أعظم دار لنفسه وأكبر ستر لحياته فيها وما سأل عن دورها وانقلابها في وسط السحب المتكاثفة والظلمات المترادفة التي كانت مغشية على هذه المدة وصار لهذا البطل العظيم والشهم الضيغم الكبير هيئة ذات جسارة واقدام وشهرة في الحروب وشجاعة في الكروب وذكاء في السياسة وكان أعظم رجل وأكمل انسان في الدنيا القديمة

واتفق لهذا الرجل العجيب أن بومبي وجه التفاته لمساعدته لما جحد السناتو مكافأة بومبي على خدماته التي أجراها وكان قيصر يجتهد من مدة طويلة في الحث على انفصال بومبي من حزب الاشراف فتضرر بومبي من عدم العدل والانصاف الذي عامله به مجلس السناتو وقبل ما عرضه قيصر عليه من بعده عن هؤلاء الاشرار وانعقد نظام وترتيب مخصوص بين قيصر وبومبي وقراصوص عرف بالاتحاد الثلاثي وبواسطة هذا الاتحاد صار لهم الطاقة الكافية على اجراء الاعمال في رومة حسب المقبول عند الامة فكان أول نتيجة حدثت من هذا الاتفاق هي انتخاب قيصر لوظيفة القنصلية في سنة ٥٩ قبل الميلاد فأسرع في الحال وأصدر لائحة أو قانونا يختص بتقسيم الاراضي العظيمة من ناحية قسم كامبانية على فقراء الرومانيين وعلى حائزي البسالة الذين كانوا في الحروب مع بومبي فعارض مجلس السناتو مع الحدة والشدة في عدم تمشية هذه اللائحة فأرغم على الانقياد والتسليم ووزعت الاراضي وصدق على أعمال بومبي وترتيباته في اسيا وحاز الفرسان من الاتحاد الثلاثي منحهم امتيازات عظيمة في الفلاحة والزراعة في جهة آسيا وارتبط هذا التحالف رباطا قويا بين الثلاث قواد بزواج بومبي بوليه ابنة قيصر وأما قيصر وكانت زوجته كورنيلية ماتت من مدة بضع سنين فانه تزوج أيضا كلبورنيه ابنة بيسو وبمجرد انقضاء مدة قيصر في وظيفة القنصلية وكان مطلق التصرف زيادة عما كان فيه من القنصلية استحوذ لنفسه حكومة الغليين والريقوم لمدة خمس سنوات من مجلس السناتو على شرط أن يكون محافظا ومدافعا عن أصدقاء الامة الرومانية ومحالفيها في تلك الجهات وانتخب لنفسه هذا الموقع ليكون له طاقة على تجنيد جنود كثيرة جديدة وأن يكون الجيش منسوبا اليه لا لغيره وأن يكون في هذا المحل على قرب كاف من رومة حتى يمكنه الاستحواذ على ما يعود اليه من المنافع والمزايا الممكن حصولها في رومة وفي هذا الوقت كان بلغ من العمر أربعين سنة وكان من قبل سفره الى هذه الجهة نفي سيسرو وأرسل كاتو لاجل اغتصاب جزيرة قبرص من مصر وترتيبها وتحويلها الى اقليم روماني وهي في المعنى طريقة طرد أو نفي عما انه ظهر أن كاتو لا يوافق على مثل هذا الشغل ومن ثم صار تجريد مجلس السناتو من رؤسائه ومن بعد مضي بضع أيام من سفر سيسرو من رومة ورد من الغلية أخبار الى قيصر ألزمته بالسفر والتوجه حالا الى الاقاليم التي أخذت عليه عهدة حكومتها وذلك أن جنيوه أو جنيفه وهي آخر حركة للغلية الشمالية أي الموجودة خلف جبال الالب صار تهديدها بجيش كبير قوي من الهلفيطانيين وزحف هذا الجيش عليها قاصدا عبور نهر الرون وهذا الموقع لاجل البحث عن مواطن جديدة في الغلية العربية يسكن فيها قومهم عما أن أرض بلادهم غير موافقة لتوطنهم وكانت أمة هذا الجيش هدمت مساكنها وسارت مع عساكرها للبحث عن أراض يسكنونها فوصل قيصر الى جنيفة في ثمانية أيام وحصن معبر النهر بالاستحكامات وألزم الامة الهلفيطانية بعبورهم الى داخل الغلية من أطول طريق وأصعبه من فوق جبل يوره وساق تابعيهم وعبر نهر ارار وساونه ووقع بهم وهزمهم هزيمة مهولة في نواحي برافطي أي أنطون في نواحي بورغندي وأرغم من بقي منهم على قيد الحياة على العود الى بلادهم

وكانت هذه الامة لما ابتدأت فى حركتها فى السير من أرضها وبلادها كانوا نحو من ٣٦٨٠٠٠ نفس رجالا ونساء وأطفالا فلم يرجع منهم الى بلادهم سوى أقل من الثلث

ومن بعد هذه النصرة مباشرة توسل اليه كل من العيدنيين والغليين فى أن يساعدهم على الصكانيين وهى قبيلة صلطيكية قاطنة فى شمال الامة الهلفيطية كانوا عبروا نهر الرين وهددوا جميع الغالية بالتغلب عليها وكانوا تحت قيادة ملك منهم اسمه أريوفسطوس وهو طاغية جرمانى كان يرى فى نفسه أن لا أحد يغلبه فى الحروب وكانت رجال هذه العشيرة فى صور ضخمة مهولة كثيرى العدد حتى ان الجيش الرومانى لما رآهم انحلت عزائمه ووقع فيه الرعب والخوف واندهل من رؤيته هذه الامة فوعدهم قيصر بالنصر ووعظهم ووبخهم وعابهم على عدم ثباتهم وقال لهم أى لعساكره لو تركتمونى لوجدتمونى فى طاقة كافية على محاربة هؤلاء القوم مع الفرقة العاشرة ونحن فينا الكفاية فانتشبت واقعة شديدة بالقرب من مدينة بالى انهزم فيها الجرمانيون شر هزيمة وطردوا على أعقابهم عابرين نهر الرين ثانيا وهرب اريوفسطوس ناجيا بنفسه فى قارب على نهر الرين

وفى سنة ٥٧ قبل الميلاد غزا قيصر أراضى بلجيا الموجودة فى شمال نهر السين وتغلب عليها من بعد حروب عنيدة وفى السنة التالية أنشأ أسطولا وأخضع نواحى بريتانى وحصل له فيها الكرب الجسيم وفى نفس هذه السنة أدب أهل السواحل وعاقبهم أشد العقاب وفى مدة ثلاث حروب تغلب على جميع الغلية (فرانسا) من نهر الرين وجبل بوره الى البحر المحيط الاطلنطيقى

وقضى قيصر فصل الشتاء فى مركزه العسكرى فى الغلية الجنوبية من ايطاليا حتى يمكنه فيه مباشرة أعمال حربه فى رومة وفى فصل شتاء سنة ٥٦ قبل الميلاد ساوى المسالمة ولايم الامورين بومبى وقراصوص بعد أن ازداد الشر بينهما حتى وصلا الى حمل السلاح على بعضهما ونجح فى فصل هذه المسئلة وأمضى حكمه فيها فى مجلس تقابل فيه معهما فى لوقا وراقته ورتبوا فيه تصميما من أجل أعمالهم القابلة المختصة بهم الثلاثة ونجحهما وأكد عليهما فى عمل الاحتياطات اللازمة لاستلام زمام القنصلية فى السنة القابلة ولما انتهت مدة وظيفة القنصلية تعين بومبى لحكومة اسبانيا وقراصوص لحكومة اسيا وامتدت نيابة قنصلية قيصر على الغلية لمدة خمس سنوات أخرى فمن هذا ترى أن قيصر انه انتخب لنفسه أدنى المواقع وأقلها قيمة الا انه كان فى الحقيقة ونفس الامر هو الموقع الذى جعل له طاقة على اجراء الاشغال التى كان عاكفا نفسه عليها ومن الضرورى له اجراؤها وهى تمدن وحضارة اوروبا وصلاح أمورها وأحوالها وفوق هذا كانت رغبته القرب من رومة لا البعد عنها حتى انه عند ظهور حوادث أو وقائع فى رومة يقدر على الدخول فيها مباشرة حال وقوعها ويلزمه مباشرتها لاجل الفصل فيها

وفى سنة ٥٥ قبل الميلاد عبر الجرمانيون مرة ثانية نهر الرين فى قوة عظيمة فهزمهم قيصر على الشط الايسر من ذلك النهر ونصب جسرا من المراكب على النهر بالقرب من مدينة كوبلنزه وعبر عليه الى جرمانيا وعاقب قبائل تلك الجهات باشد عقاب وعذبهم بأشد العذاب وفى اخر فصل خريف هذه السنة شرع فى غزوة استكشافية داخل بريطانيا واستحصل على رهائن من شعوب أهل بريطانيا فأصدر مجلس السناتو أمرا بعمل احتفالات مدة عشرين يوما شكرا له على ما حصل منه من النصر والظفر رغما عما حصل من معارضات كاتو فى رفضه عمل هذه الاحتفالات مع أعداء هذا

العسكرى الجليل القدر وفى سنة ٥٤ قبل الميلاد غزا قيصر بريطانيا مرة ثانية وتغلب على القسم الجنوبى من انكلترة وأخذ رهائن الشعوب الوطنية وضرب عليهم خراجا معلوما سنويا الا انه ما وضع محافظين من أجل ضبط الجزيرة وفى فصل شتاء هذه السنة انفجرت ثورة فى الغلية انهزم فيها فرقة قوية من الرومانيين وثارت أخرى وكانت تحت قيادة كنطوس سيسرو وأخو سيسرو الخطيب على خطر من الهزيمة فسار قيصر فى الحال لمساعدة سيسرو وهزم قوة الغليين وكانت مؤلفة من ٦٠٠٠٠ نفس وأعاد النظام فى البلاد واستتبت راحة العباد ولما كان الجرمانيون مساعدين للغليين على عصيانهم أغار قيصر على بلادهم مرة أخرى فى فصل صيف سنة ٥٣ قبل الميلاد وتولد من وجود جيشه الرعب والخوف فى كافة الجهات الجرمانية حتى هرب الجرمانيون الى الجبال والغابات من دون أن تحصل منهم أدنى مقاومة وفى سنة ٥٢ قبل الميلاد قام أهل بلاد الغلية الوسطانية أجمع على ساق واحد على قيصر تحت قيادة رئيسهم الشجاع الجسور فيرسنغطوريكس ملك أفرنى فحطم قيصر الثورة وأسر قائدها من بعد عدة حركات جسورية ومحاربات شديدة وقعية ومظفرات عظيمة فخرية وفى ظرف سنة ٥٠ قبل الميلاد نجح بحزمه وثبات قلبه وما عنده من التدابير الحربية بالاجراآت العسكرية فى أن جعل كافة بلاد الغلية تحت ادارة المملكة الرومانية ورتب منها نوعا حكومة عدلية وادارات سياسية وأعمال تمدنية وأشغال وفنون حضرية

وفى غضون ذلك أخذت الاحوال والاعمال فى رومة فى سرعة الارتباك والاشكال وتعقدت فيها الامور وقام فيها الجسور فأما قراصوص المشهور بالفخر العسكرى فانه سافر الى حكومته فى الشرق من بعد انقضاء مدة قنصليته ومن بعد أن سلب معبد اليهود ومعابد أخرى كانت مشحونة بالاموال والكنوز وضمها بالاموال اللازمة لتدبير أحواله وقضاء أعماله فغرق بطيش عقله وعدم تبصره وخيبة أمله فى حرب مع مملكة فارطية فانهزم فى الحال وقتلت منه الرجال وقتل هو بخيانة بمعرفة الفارطيين فتولد من موت قراصوص أن صار بومبى النائب الوحيد عن الاتحاد الثلاثى من رومة وداخله الحسد والغيرة وتمكن الحقد فى قلبه من جهة قيصر حتى كانه ما كان بينهما صداقة ولا مودة ولا نسب ولا محبة وما كان بومبى توجه لمقر حكومته فى اسبانيا بل بقى فى رومة مشتغلا باشغال يعود منه النفع على ذاته وزيادة ثروته واحتياجاته وكانت حكومته جارية فى اسبانيا بمعرفة نواب مندوبين من طرفه ومعينين فيها بمعرفته ومال بومبى وانعطف مع حزب الاشراف وخصص نفسه بالشغل اللازم لحطم قيصر وهشمه وانحطاط قدره وهتك حرمته وكانت زوجته يوليه بنت قيصر ماتت قبل هذا وصار لا يوجد بين الخصمين أدنى رابطة ولا علاقة وتسبب فى كون السناتو أصدر لائحة تقضى على قيصر بتسليمه نيابة قنصليته الى من يعينه مجلس النواب ويعود الى رومة ويقيم فيها كآحاد أهاليها قبل أن يتقلد زمام القنصلية فافتكر قيصر فى نفسه انه لو فعل هذا لوقع فى قبضة عداته وتباهى كل فى أقواله وافتخر بان له طاقة فى التداعى على قيصر من بعد خلعه من قيادته وتجريده من حكومته وما اكتفى أعداء قيصر بهذا فقط بل ساروا فى طريق ألزموه فيها باجراء حالة فاصلة بينه وبينهم وذلك انه تحت علة تجديد عساكر للحرب مع مملكة فارطية طلب مجلس السناتو من بومبى وقيصر أن يجهز كل منهما فرقة عسكرية ترسل الى اسيا وكان بومبى أعار قيصر سابقا فرقة فطلب بومبى رجوعها لاداء هذه الخدمة وبواسطة هذه الحيلة المكرية حرم بومبى خصمه من فرقتى عسكرية وأما قيصر فانه أسرع

فى الحال بارسال الفرقتين من بعد أن أعطى لكل شخص من العساكر مكافأة على ما أداه معه فى الحروب وجائزة أخرى تبقى له فى ذمته حال دخول جيشه منصورا فى رومة وعسكر هؤلاء العساكر فى نواحى مدينة قابوه وتوجه بومبى اليهما بمباشرة فعرض كوريو لمجلس النواب وكان على صداقة لقيصر وقال انه يلزم أن كلا من قيصر وبومبى يفرقان جيوشهما فلم يقبل مجلس السناتو هذا القول وكتب قيصر الى مجلس السناتو كتابا يوضح فيه رغبته فى تفريق قواه وعساكره لو سار بومبى على منواله فكانت نتيجة ما عرضه فى مجلس السناتو أن صدرت لائحة منه قاضية على قيصر بتفريق جيشه من دون شرط معلوم ويوم معين وان حصل منه أدنى مخالفة عوقب بأشد العقاب وأعلن بعداوته للعموم فخالف مارك أنطونى وكاسيوس وكانا حاكمين ما كان عليه مجلس السناتو من الرأى فلم يلتفت المجلس الى أقوالهما وطردهما من الديوان وهددهما بالموت فهربا فى اليوم الثانى مستخفيين حتى وصلا الى معسكر قيصر فى رافنه

وما كان قيصر يختار لنفسه شيأ بل ما أجراه أعداؤه من اجتهادهم فى دماره فصل الامر بان ما يجريه قيصر هو الخيرة له لانه كان يعلم جيدا انه لو أذعن وسلم لهم ما طلبوه منه فكأنه سلم نفسه وبلاده وأهلها القوم ليسوا كفؤا للادارة بالخصوص وان رومة كانت حكومة حرة بالاسم فقط وكان قلبها عفنا ذا رائحة كريهة وان الذين نسبوا لقيصر العيوب ووسموه بالخروج عن حد القانون كانوا من الكاذبين وكانوا فيما فعلوه من أعمالهم سائرين فيها على طريق لجلب المنافع لانفسهم فقط وما كانوا يبالون عن ضرر أو أذى يحصل لغيرهم من العباد والبلاد وكان قيصر فى الحقيقة محبا للحرية وأبوها وعلى حسب ما أجراه من فصل مسائل الاحوال الراهنة وقتئذ أثبت وجود المملكة الرومانية من بعد أن كانت أشرفت على الدمار وكان أنذر من قبل بضع أيام بهياج الاحوال ومخاوف الاعمال فى رومة فأسرع فى الحال بارسال الفرقة الثالثة عشرة الى رافنه وبمجرد ما أخذ الاخبار من الحاكمين الذين هربا عنده فى معسكره وهما مارك أنطونى وكاسيوس عوّل على السير الى رومة فى الحال وفصل الحرب والمشاحنات وما كان عنده أدنى حركة تؤخره عن ذلك فلاجل خلاص رومة ونجاتها صار لهم من الضرورى قلب الحكومة القبيحة الحالية الموجود فى أيديها زمام سلطة المملكة وشوكتها ثم صف الفرقة الثالثة عشرة وبسط لعساكرها حالة الاعمال وحكامها وضبطها حقيقة الاحوال فكان قوله وكلامه لهم جميعا ان الرجل السياسى الثابت العزم والحازم الرأى هو الذى له الآن تسع وعشرون سنة يحامى عن الحرية ويدافع عن أمرها فى الاوقات الطيبة والردية وشجع من أجل رفضها وعدم قبولها حراب الذابحين وخناجر الجلادين وسكاكين الجزارين من حزب الاشراف ومن سيوف الجرمانيين وأمواج البحر المحيط الغير معلوم من دون أن يهتز أو يرتج من هؤلاء القوم والذى مزق قانون سولا ورماه تحت أقدامه وقلب أحكام مجلس السناتو وأبطلها وعكف نفسه على المدافعة والمحافظة على حرية البلاد وعتق العباد بالسلاح والحروب وراء جبال الالب جدير بان يكون أهلا للاحتقار من حزب الاشراف ثم استمر فى أقواله لاتنسب الحرية المدنية لعموم الكلوديانيين الذين حرق حماس جمهوريتهم رجالهم من مدة طويلة وصار رمادا وزبدا فى الارض بل تنسب هذه الحرية المدنية والحضارات البلدية لشبان رجال من مدائن وقرى شمال ايطاليا الذين ظهرت عليهم حواس جديدة وآراء سديدة وأفكار جيدة يسعون فى عتق اخوانهم وصلاح بلادهم وثروة أهلهم وراحة أولادهم وما زال فى خطابته وأقواله حتى أدخل

فكر هذه الحرية فى العساكر واشتد تأثيرها على عقولهم وقال لهم مستمرا فى أقواله وهؤلاء الشبان لا يزالون قابلين للحروب ويموتون تحت هذا الفكر ويأخذون لانفسهم ولبلادهم من قيصر حقوق المدنية ودمار العبودية التى رفضت الحكومة الشورية اعطاءها والذين هم عند سقوط قيصر تؤل حالتهم مرة أخرى الى أن يكونوا تحت رحمة البلط والفؤس مع أن هؤلاء الآن مشاهدون دلائل العمل القطعى الحاصل من الاعمال العنيفة القاسية الشارعة فيها حكومة الاشراف لتجعل هذه الاعمال ضد أهل الغلية الشمالية من ايطاليا فدخل فى عقول العساكر والضباط حقيقة ما قاله لهم قيصر وعدله وصمموا بعزم ثابت وعهد واثق أن يكونوا معه على آخر نفس وما كان مع قيصر فى هذا الوقت الا فرقة واحدة فقط وأرسل الاوامر الى باقى فرق العساكر من أطراف وأكناف بلاد الغلية للالتحاق به مع سرعة السير وعدم التأخير وأما هو فانه أسرع فى سيره وعبر فى رأس الفرقة الثالثة عشرة الروبيكون وهو نهر صغير فاصل اقليمه من ايطاليا وتقدم بسرعة الى رومة فهرب مجلس السناتو فزعا ورعبا منه وترك مبالغ أموال المالية خلفه وأما عساكر بومبى فانها تركت قائدها بومبى بالالوف وهرعوا متوجهين الى قيصر وترك بومبى ما ينوف عن نصف عشر الفرق الموجودة تحت قيادته ولما رأى بومبى ذلك انسحب الى نواحى برنديسيوم فساق قيصر عساكره خلفه ولما رأى بومبى أنه يستحيل عليه مقاومة خصمه فى ايطاليا عبر هذا الرجل العالى القدر بومبى الى نحو الجريس مع ٢٥٠٠٠ بقوا على صداقته وعزم على اجراء هذه الطريقة مؤملا أن فيه طاقة كافية بأن يأتى بكامل القوة الشرقية ضد قيصر فى ايطاليا وهشمه وبقى عمرو وبواسطة تقهقره هذا سلم لخصمه أجل الفوائد وأعظمها وهى احتلاله كرسى الحكومة وتقلده زمام الاحكام فى رومة

وفى هذا الوقت صار قيصر سيدا ايطاليا والغلية وأما سردينيه وسيسيليا فانه صمم فى نفسه من الابتداء على أن يكون أول اجتهاد يحصل منه هو تشييد سلطته وحكومته أولا على الجيش جزيرة وعجب أعداؤه من رقته وعدله وحلمه فى سيره فى أعماله من احترام أملاك وعقارات الغائبين وعدم قربه منها وكانوا ألد أعدائه وحكم عساكره وأمرهم بأن يسيروا كسير أهل المدائن والقرى الايطاليانية الرومانية ولا يفتكروا فى أنفسهم أنهم تغلبوا على هذه الجهات فيعاملون أهلها معاملة الفاتحين لها وان يحترزوا من أنواع الخطف والسلب ويجتنبوا أعمال الفساد مع البلاد والعباد فنال بذلك من عموم الامة وعلى الخصوص من طائفة صيارف المالية الرضا والقبول بما أجراه من الحزم والتدبير فى الطريقة التى سار عليها ووجه وجوه عساكره وأياديهم اليها ولما سكنت حالة ايطاليا واستتبت فيها الراحة والامن وخضعت حكومته وسارت فى المجرى الذى وجهها فيه انتقل قيصر الى اسبانيا وكانت على صداقة بومبى وله فيها سبع فرق عسكرية فتغلب عليها بحرب شديد استمر أربعين يوما على قدم واحد ومن بعد نصره وظفره رجع من طريق الغلية (فرانسا) وأخضع فى طريقه مدينة مسيليا (مارسيليه) فى سنة ٤٩ قبل الميلاد وكانت على صلابة كمرة على نوايه وفى مدة غيابه لقب بلقب حاكم مطلق فقبل هذا المنصب الا أنه ما مكث فيه الا احد عشر يوما وفى طرف هذه المدة صار انتخابه قنصلا فاصدر منشورات ولوائح بعودة كافة الذين صار نفيهم فى مدة سولا لاميلوو وعمل الاصلاحات اللازمة لخلاص المديونين من ديونهم وأجرى أول مادة من مشروعه الجليل وتوطيد علاقات الايالات وارتباط بعضها ونشر حقوق كافة المدينة الرومانية على أهل الغلية ولما رأى أن بومبى لا طاقة له على الاغارة على

ايطاليا عبر الى الجريس فى رأس جيشه من نواحى برنديسيوم ورخص القواد البحرية التابعون لبومبى لقيصر أن ينزل فى ابيروس من دون أن تحصل منهم أدنى مقاومة له فنجح قيصر فى طرد خصمه الى داخل اقليم تساليا وما حصل لبومبى أدنى فائدة من اسطوله وألزمه قيصر بانتشاب الحرب فحصلت بينهما واقعة فاصلة فى فارساليا فى ٩ أغسطس وكانت فى سنة ٤٨ قبل الميلاد على حسب ماذكره مؤرخو الرومانيين فانهزم بومبى فى هذه الواقعة وقتل من عسكره ١٥٠٠٠ نفس وهرب هو من ميدان الحرب وفى اليوم التالى سلم الباقى من عسكره وكانوا ٢٠٠٠٠ نفس الى قيصر وخضع له فى الحال الجريس وعقد الجم الغفير من حزب الاشراف صلحا معه وكانوا هربوا من رومة والتجؤا فى ايطاليا وأما بومبى فانه توجه ناجيا بنفسه الى مصر وكانت محكومة فى ذلك الوقت بالشاب بطلميوس الثالث عشر وكان طرد أخته وهى زوجته أيضا كليوبطره الى جهة سوريا وكان هذا الملك المصرى محكوما بثلاثة من طائشى العقول من الحريق فخافوا من أن بومبى ربما يبحث على الطريقة التى يتيسر له بها الحصول على كونه يتغلب على مصر ويصير سيد المملكة فعولوا على قتله ولما صار القائد المهزوم على مسافة من ساحل بلزيوم (الاسكندريه) مع بضع مراكب وقوة قليلة من العساكر وأراد النزول أرسل له المصريون زورقا صغيرا على زعم أن المياه ليست كافية لحمل المراكب الكبيرة حتى تمكن من الوصول الى الساحل ونزل بومبى فى الزورق وحده متقويا بمعرفة رجل من ضباط البحرية كان أصله مستخدما عنده وتحت قيادته وبمجرد ماصار بومبى على شرف التخطية من الزورق الى البر ووضع قدمه على حرف القارب ضربه بالخنجر فغطى وجهه بردائه وسقط ميتا من دون حرب ومن بعد مضى بضع أيام وصل قيصر الى مصر معقبا فى حركته بومبى وكان معه قوة قدرها ٤٠٠٠ نفس من العساكر فاخرج المصريون له رأس بومبى من بعد أن آلت الى التغير وبهت وجهه فلما رآها قيصر دور وجهه الى جهة أخرى وناح وبكى وأن واشتكى وولول كالثكلى وأمر بقطع رقبة قاتل بومبى فى الحال وصرف مدة خمسة أشهر فى الاسكندرية نظم فيها أعمال مصر وأحوالها وأجلس كليوبطره على تختها من بعد أن سحرته بكمالها وجمالها وأحرقت لبه وكبده بقدها ودلالها وكانت هذه حالة غير مقبولة لانه أوقع نفسه فى حرب مع أهل الاسكندرية وفى واقعة من الوقائع التى حصلت على النيل غرقت مركبه وانجبر على العوم ناجيا بنفسه ماسكا فى يده أوراق شرح الحروب التى حصلت فى الغلية وكانت التى فيها الاوراق والرسائل فى أسنانه ومع ذلك فانه نجح أخيرا فى أعماله وأما بطلميوس فانه غرق فى النيل وشيد القيصر حكم كليوبطره فى مصر وقد ذكرت هذا مطولا فى تاريخ مصر فى هذه المدة والله أعلم بالصواب

ثم ان قيصر ترك مصر وأسرع الى آسيا الصغرى واستمر فيها فى حرب لبث خمسة أيام فهزم فرناسيس ابن متريداطيس صاحب بونطوس وكان يفتش له على طريقة لاسترداد ممالك أبيه ثم سار من آسيا الى أفريقه متتبعا مابقى من حزب بومبى وكانوا اقاموا لهم فى افريقه مجلس سناتو وحكومة فى مدينة أوطيقه فمع أن البومبيين هزموا قيصر فى واقعة حصلت فى روز بينه سنة ٤٧ قبل الميلاد الا أنه شتت شملهم فى واقعة كبيرة حصلت فى نواحى طابسوس فى السنة التالية وقتل كاتو وصكيبيو وملك نوميديا أنفسهم بأنفسهم وخضعت افريقه الى قيصر وفى سنة ٤٥ قبل الميلاد التزم على التوجه الى اسبانيا لاطفاء ثورة جديدة تولدت من البومبيين ونجح فى اخمادها الا أن الاقامة فى اسبانيا من بعد النصرة الاخيرة كانت أشغالها صعبة جدا حتى مكث فيها نحوا من ستة شهور

وعاد قيصر الى رومة وهى المرة الرابعة من ابتداء وقوع الحرب الداخلى وفى شهر غولاق شهر مايه من سنة ٤٦ قبل الميلاد شرع فى عمل موكب واحتفال وما كان حصل قبل ذلك احتفالات لشئ من المظفرات التى حازها فلبث هذا الاحتفال أربعة أيام يوم الغلبة ويوم لمصر ويوم ابونطوس ويوم لنوميديا وأما النصرات التى حصلت له فى الريده من أعمال اسبانيا وفى فارساليا من أعمال تساليا فانها ماذكرت بسبب أنها كانت حصلت فى حرب داخلى ومن بعد تمام هذه الاحتفالات الجليلة منح العساكر وكل واحد من فقراء الرومانيين عطايا وهبات من النقود والغلال وانتهى الشغل الذى كان ابتدأ فيه هذا الرجل الفاتح السياسى فصار حاكما مطلق التصرف مدة عشر سنوات وقائدا مدة ثلاث سنوات وبعبارة أخرى سيد رومة المطلق الحكومة والتصرف ومع أن هيئات الجمهورية كانت باقية الا أن رومة صارت سلطنة عسكرية قوانينها واجراآتها بأغراض وأوامر حاكمها الاكبر لانه من بعد الحرب الاخير الذى حصل فى اسبانيا توظف قيصر حاكما مطلقا وقائدا مدة حياته له أن يجرى حربا أو يعقد صلحا من دون استشارة مع مجلس السناتو وله الحق فى تسمية ولى عهده من بعده وأعلن السناتو بتقديس جسمه وكل دسيسة أو ثورة تحصل فى حقه فهى خيانة وطنية وجريمة دموية

وفى المدة القصيرة التى تقلد فيها وظيفة السلطنة شرع فى عدة أعمال كانت على غاية من القبول عند الجمهور عادلة خفيفة وزاد فى مجلس السناتو الى أن بلغ عدد أعضائه ٩٠٠ عضو واختار أن يكون أعضاء مجلس السناتو من رومة ومن الايالات على حد سواء وقرر الشوكة العدلية القضائية لمجلس السناتو والفرسان مرة أخرى وأنعم بالمدينة الرومانية الكاملة على كافة سكان الغلية الشمالية من ايطاليا وعلى كثير من الامم من أهل الغلية الموجودة خلف جبال الالب وفى اسبانيا وعلى أمم فى جهات أخرى وبذل مجهوده فى نقض الامتيازات التى كانت موجودة بين رومة وبين الايالات وجعل عموم المملكة الرومانية شرقا وغربا على منوال واحد متعادل فى عموم أنحائها وأكافها وكافأ الذين مارسوا معه الحروب بالاغداق عليهم بأراضى خلف البحر من ايطاليا وأعاد بناء قرطاجنة وقورنته وبهذا أحيا محلات تجارة كانت الجمهورية أمرت بخرابها سياسة فى حب أربابها وخفف طوائف الفقراء الموجودين فى رومة بكونه ورع منهم ٨٠٠٠٠ نفس فى مستعمرات شيدها فى أوروبا وافريقه واسيا ونشر الحرية الكاملة على كامل طالبى العلوم والمعارف واجتهد فى زيادة علو مقدار التهذيب والتعليم فى عموم جهات الممالك الرومانية ومدن العالم الدنيوى بالعلم والتعليم لابالقوة والجبروت وقرر نظاما فاصلا بين الدائنين والمديونين من طوائف الامم وجعله على قواعد وسياسات سهلة عادلة حتى صارت المالية الرومانية لاتعسر لأحد بسوء وأحيا القانون الليصيانى القديم القاضى باستخدام جملة من الاحرار الشغالين فى زراعة الاراضى وفلاحتها وزاد فى حرية الامة ورخص لكل من كان له ثلاثة أولاد فأكثر فى أن يكون حرا بالطبع وأصلح نتيجة السنة الرومانية من بعد أن كان فيها الخطأ والاختلاط وعدم الوقوف على الصواب بكونه أضاف تسعين يوما على السنة القديمة الرومانية واختار طريقة الحركة الشمسية وجعل السنة الرومانية ٣٦٥ يوما وأضاف لكل رابع سنة يوما واحدا فكانت هذه خدمة جليلة لبلاده وللدنيا عموما وأصدر مجلس السناتو أمرا مع الممنونية بتسمية الشهر الذى ولد فيه باسم يوليه من اسم عشيرته وجمع القوانين الرومانية ودونها فى قانون واحد وهذا شغل كبير العمل وشرع فى تغيير مجرى نهر الطيبر وجعله يصب فى مستنقعات وبرك بونطين ومن ثم استجود المدينة على ناحية

من الارض عريضة الاتساع للعمارات والمباني وشرع في توصيل رومة مع طراسينه وهي مينة أجود
وأعدل من مينة عسطيه وانتهى ازدحام كافة هذه الاشغال في خمس سنوات وهي معظم المدة التي كان
عكف نفسه فيها على حروب مهمة في الجهات الخارجة

وبينما كان قيصر على قدم الشروع في اجراء حرب برانى آخر وهو اغارته على فارطيسة لينتقم منها بثأر
قراصوص اذ أخذت أعماله في الانقضاء بغتة وذلك أن أعداءه اتهموه بكونه عازما على أن يجعل نفسه
ملكا من قبل سفره الى الحرب ورتبوا في شأن ذلك ثورة عليه فكانت مؤلفة من أعدائه ونجحوا في أن
عطفوا الى صفهم جملة من أمناء أرباب الجمهورية أدخلوا في عقولهم وأقسموا لهم بانه لابد من عود الحرية
الى المملكة من بعد فقد حياة قيصر وكان قيصر في الحقيقة ملكا الا أنه ما كان يظهر على نفسه أنه ملك
وما كان أعداؤه مثله فانهم خافوا من أن يروا هيئة الجمهورية والحرية مرة أخرى كأنه هو نفسه خاب من
تقليده زمام الملك جهرة وكان قيصر ملكا الا أنه ما تمسك بحبال الظلم والجور وفي يوم عيد لوبر كاليه
في ١٥ فبراير سنة ٤٤ قبل الميلاد قدم مارك أنطوني التاج لقيصر فرفض قبوله ووردت اليه انذارات
عديدة تهدده بحصول الخطر النازل عليه الا أن جلالة ذاته وعظم نفسه جعله لا يشك ولا يرتاب في أن
أحدا من الامة الرومانية يحصل منه شيء مضر بحياته وما كان من الرجال الذين يرى عليهم سمة الجبن
والخوف وفي ١٥ مارث توجه الى ديوان مجلس السناتو وبمجرد ما أخذ مجلسه في المجلس سقط عليه
الثائرون وضربوه بالخناجر والسكاكين وكانت أول ضربة من شخص اسمه كاسكا فدافع عن نفسه
بدرعه وجرح واحدا من القاتلين وأسرع الى آخر ودفعه الى خلفه وجرد الثاني سلاحه وفي هذا
الوقت ضربه بروطوس وكان بروطوس المذكور محبوبا عند قيصر وأمينه ووهبه قيصر من السعادة
والفخر ما زاد به عن أمثاله فلما رأى هذا الخائن مخبلا في سلاحه ترك المدافعة عن نفسه وقال بصفة الذم
بروطوس بروطوس وأنت أيضا يا بروطوس وغطى وجهه بقلنسوته وسقط ميتا تحت أقدام تمثال بومبي
ومات أعظم الرومانيين وأكبرهم قدرا بهذه الحالة الشنيعة ثم ان بروطوس مدبر الثورة رفع خنجره
الدموي في الهواء وزعق بصوته على سيسرو وقال له تمتع الآن يا أبا الامة وافرح لان رومة خلصت الآن
وعتقت من عبوديتها أوآه وا أسفاه على هذا الامين الصادق وكان هذا الملعون ذبح بلاده بقتله قيصر لانه
قتل الرجل الفريد الذي كان فيه قابلية لرفع رومة من مصاعب الاخطار التي حاق بها افسادها وكانت
الامة الرومانية غرقى فيه الى رأسها ومع أن موت رجل من الامة لا يحصل منه تغيير في هيئتها غير أنها
تحتاج الى يد قوية تحميها وتحفظها من غوائل ما يقع فيها من الضرر والفساد الحاصل فيها من نفسها
فكسر الثائرون هذه اليد وقذفوها في الارض وكان أمل الثائرين ورجاؤهم أن الامة تهرع في الحال
لمعاضدتهم وتأتي بأكملها لمساعدتهم فاندهش الرومانيون دهشة كبيرة وخافوا خوفا زائدا مما حصل
للمقتول وخشيت عموم الطوائف من أنه ربما يتولد من موت قيصر عود قانون القتل والانتقام والنفي
فنشأ من هذا التردد وجود زمن كاف لمارك أنطوني استحوذ فيه لنفسه على أوراق قيصر ونقوده وصار
قنصلا وحيدا وبذل جهوده في حرمان القاتلين من أن ينتفعوا بشيء مما جنته أيديهم من الجريمة التي
فعلوها وساعده أيضا توانى الثائرين فانهم خابوا في اتمام أعمالهم التي كانت محل مرغوبهم ومقصودهم
وخطب انطوني خطبة بليغة على جثة قيصر وشرح في خطابته ما كان لهذا الرجل الجليل من أجود
المقاصد وأعظم المشروعات حتى صير الامة الرومانية لا تذكره الا بالذكر الجميل والفكر الجليل ونجح في

خطابته بكونه وجه أفكار من كان موجودا من الناس المزدحين ضد القاتلين وجعل أنطونى نفسه سيد رومة الحالى بتوطيدا شراكه وتعاهده مع لبدوس رئيس خيالة قيصر وتداخل فى مخابرة مع القاتلين وقرر حكومة مجلس السناتو ولما خاف بروطوس وكاسيوس والذين شاركوهما فى الثورة من أن أنطونى ربما تحول أفكاره وأعماله الى اهلاكهم تركوا رومة وتوجهوا الى الاقاليم مستغيثين بمعاضدتها وبينما كان أنطونى على شرف نواله الوعد من مطامع اماله اذ ظهر له خصم فى الميدان صده عما فى ضميره ودمر اماله وذلك أن قيصر كان اخر مقاصده هو اعترافه بان حفيد أخته بوليه وكان يسمى أوقطافيانوس هو الوارث له وابنه المتبنى وكان هذا الشاب تهذب وتربى مع غاية الاعتناء والالتفات اليه تحت نظر قيصر نفسه وكان قيصر مشغوفا به على الدوام فما كان يفارقه حتى ترعرع وشب فى شبابه وكان غائبا عن رومة فى الوقت الذى قتل فيه خاله وبمجرد ما أخذ أخبار قتله أسرع الى المدينة فى طلب وراثة خاله ولما استحوذ على مخلفات قيصر ومتروكاته فرقها مع بذل كرمه ومحاسنه على العساكر وفقراء الامة فمن ثم ازداد قبولا عندهم ومحبة لديهم وحصن سيسرو أمره وأطفأ فى عدة خطب خطبها تعرف بالخطب الفيليبيه قبول أنطونى ومحبته وأرغمه على ترك رومة وخلص مجلس السناتو من خرابيشه وتوجه انطونى الى اقليمه فى الغلية الجنوبية وابتدأ الحرب الثالث الداخلى بحصار مدينة موطينه وكان ضبطها دسيموس بروطوس فأرسل السناتو عليه جيشا جديدا تحت قيادة القناصل المستجدة ومن الحاح سيسرو وطلبه صار ترتيب أوقطافيوس حاكما عسكريا واشترك مع القناصل فى قيادة العساكر فانهزم انطونى فى واقعتين وطردوه عابرا جبال الالب من بعد أن ترك فرقتين من عساكره انضمتا الى أوقطافيوس فى سنة ٤٤ وسنة ٤٣ قبل الميلاد وصار مشترى هذه النصرات باثمان حياة القناصل وبقى أوقطافيوس هو القائد بمفرده للجيش وانتقلت المحبة التى كانت فى قلوب عساكر الجيش لخاله قيصر اليه فرخص لانطونى أن ينجو بنفسه وما قبل أن يسير معقباله وطلب لنفسه من السناتو عموم واجبات القيادة العسكرية وأرسل فرقة من عساكره يطلب لنفسه القنصلية فرفض مجلس السناتو طلبه فأسرع فى سيره الى رومة ناهبا سالبا فى طريقه البلاد موقعا الفزع فى العباد أينما توجه ولما تقرر أمره بواسطة عساكره أرغم مجلس السناتو أن يمنحه سلطة السيادة العالية مع أن عمره كان تسع عشرة سنة وجعل نفسه قنصلا وأشرك معه عمه كيطوس بديوس رفيقا له فى القنصلية وأمر مجلس السناتو بالتصديق فى اختيار عمه وانتخابه للقنصلية وأن يطلب المجلس قاتلى قيصر للمحاكمة وبما أن هؤلاء هربوا جميعهم من رومة عند قربه منها أصدر عليهم أحكام الغياب بالعقاب وأصدر مثل هذا الحكم أيضا على سكسطوس بومبيوس وجعل أوقطافيوس القائد الوحيد على قوى الجمهورية بسلطة كونه يعقد صلحا أو يقيم حربا مع أنطونى ولبيدوس وكانا ضما سواهما لبعضهما وما جال بفكر أوقطافيوس وعقله فى الحالة الحاضرة أن ما حصل منه من السياسة والادارة الاخيرة كان أصوب له لانه فى حاجة شديدة الى مساعدة خصمائه له فى هزيمة حزب بروطوس وكاسيوس وذلك أنه انعقد مجلس بين الثلاثة القواد على جزيرة صغيرة فى نهر رينوو كانت نتيجة هذه الجلسة ترتيب الحكم الثلاثى الثانى فى سنة ٤٣ قبل الميلاد واتفق قيصر أوقطافيوس فى هذا الترتيب وأنطونى ولبدوس على قسمة حكومة الممالك الرومانية بينهم لمدة خمس سنوات وأحيوا قانون القتل والنفى على منوال أصل من الاول ليجرى ما فيه من الاعمال ويبرز من حيز الخفاء الى حالة الوجود ما لاجل تخويف أعدائهم واماليكون لهؤلاء الثلاثة طاقة على اجراء

الحرب فكان هذا القانون أحد الحروب الدموية الشديدة التي ماوقع مثلها في ايطاليا وكان من بين الذين قتلوا الخطيب سيسرو ومع انه كان صديق أوقطافيوس كما كان يلقب به في ذلك الوقت الآن فتله كان بخصوص كراهته وبغضه أنطونى وضبطت عقارات وأملاك المقتول بحالة شنيعة واستلمتها الحكومة ثم عبر أوقطافيوس وأنطونى البحر الادرياطيقى الى الجريس في رأس جيش مؤلف من ١٢٠٠٠٠ نفس لان بروطوس كان توجه من ايطاليا الى مقدونيا وهي الايالة التي كان عهدها قيصر اليه قبل موته فقابله فيها الفرق العسكرية مقابلة فائدلها وانضم اليه العساكر الذين كانوا في نواحي الريقوم ونجح أيضا كاسيوس في اقليم سوريا وحاز الرئيسان الدنيا الشرقية الرومانية واتفقا على الاتحاد سوية والاستقلال فعلا واستعدا للحرب مع الحكومة الثلاثية وحصلت المقابلة بين الاثنين في مدينة سرديس عاصمة ليديا لاجل ترتيب أشغالهما فحصل عندهما البطء والتراخي في الحركة اللازمة لهما لانه قبل تركهما آسيا كان أنطونى وأوقطافيوس دخلا الجريس واتفق في حال توجه بروطوس من آسيا الى مقدونيا أنه كان على شرف العبور من بوغاز الهلسبون وكان واقفا ذات ليلة في خيمة منصوبة له على شاطئ البحر في نور فتيلة ضعيف فافتكر انه أحس برجل داخل عليه في الخيمة فنظر حوله وتخيل انه رأى خيال صورة شخص فانزعج وقال له من أنت وماتريد فأجابه الخيال أنا فطنتك الرديئة ستراني مرة ثانية في فيلبي فوصل الى عساكره في الجريس وهزم أنطونى وأوقطافيوس كلا من بروطوس وكاسيوس في واقعتين مهولتين حصلتا في فيلبي في شهر نوفمبر سنة ٤٢ قبل الميلاد وقتل بروطوس وكاسيوس أنفسهما وكان موت الاثنين سببا في دمار الجمهورية وخرابها وما رغبت الحكومة الثلاثية في عودها وكل من الحكام الثلاثة أجرى محارباته وأعماله على حدته ليتيسر لكل منهم الحصول على السيادة على خصمه وكانت نتيجة ماحصل من واقعة فيلبي انقسام المملكة بين الثلاثة الحكام قسمة جديدة فأخذ أنطونى كافة الايالات الشرقية وأخذ أوقطافيوس ايطاليا واسبانيا وأخذ ليبدوس افريقة ومع هذا فانه حصل الرضا بهذه القسمة مع كل صعوبة حتى صار هؤلاء الاحزاب على شرف الوقوع في الحرب وكان موقع أوقطافيوس خطرا جدا بسبب ما كان عليه سكسطوس بومبي من الشوكة لانه جعل نفسه سيد سيسليا وأمر بتوقيف لوازم رومة ومطاليبها من أصناف الحبوب وقطع أمل الايطاليانيين فانه طرد كثيرا منهم عن أملاكهم وأراضيهم ليخلي محلا للذين مع أوقطافيوس في الحروب وكذا كثير من العساكر قطع اليأس من عدم أخذه ما كان ينتظره من المكافآت فكل هؤلاء وجهوا وجوههم ضد أوقطافيوس فمن ثم انتهز أنطونى الفرصة في أثناء هذه القلاقل وأخذ يدس الدسائس في حق خصمه أوقطافيوس ولما وصل أنطونى آسيا تقلد فيها زمام السلطة العالية والسيادة الكاملة وافتتن بالخلاعة والفجور وطلب كليوبطره ملكة مصر وهو في مدينة طرسوس للحضور بنفسها أمامه لاجل محاكمتها بسبب ما كانت عليه من مساعدتها بروطوس وكاسيوس فلم تمتنع الملكة من طاعة حاكم معتمدة على صيده ووضعه في قفص محبتها وجاذبيتها الشخصية وجمالها وقدها وعزمت على صرف ما كان عليه هذا الحاكم من الحنق والغضب حتى تسلب عقله بجمالها وتنقله من حالة ملوكية الى حالة عبد رقيق لها وله في يدها تفعل بها كيف تشاء وكان عمرها في هذا الوقت خمسا وعشرين سنة فحملت معها هدايا ثمينة وخزائن أموال على قدر مقامها ودفعتها ونزلت في أسطولها المصري وأقلعت في البحر وفي نهر سيدنوس حتى وصلت مدينة طرسوس وبمجرد وصولها

ونزولها

ونزولها على البر نصبت خياماً لها ودعته مع قواده لضيافة حافلة تجهزتها له وكانت كليو بطره ماهرة في فن الخط والانبساط وكانت كاملة الاوصاف في الجمال صوتها يأخذ بالالباب كأنه نغمات آلات طرب حاذقة ماهرة في فن المغاني وكانت تتكلم بسبع لغات وهي لغات رعاياها المختلفة الاصناف من الجريقيين والمصريين والاينيوبيين والطروغلوديطيين والعبريين والعرب والسوريين وكل أمة من هؤلاء الامم لها لهجة ولغة قائمة بها في ثم ما كان أحد من أسلافها على معرفة من حكومة المصريين مثلها بل كان البعض منهم نسى لهجة قومه من الجريق فلما نظر اليها أنطونى أدهشته بجمالها وسلبت عقله بعذب كلامها ووقع أنطونى من دلالها وكمالها في فخ الصيد وصار لا طاقة له على أن يمنع أو يخفى منها شيأ فأول شئ جاذبه عليها كونه أمر بقتل أختها أرصينوى في افسوس وأظهرت غيرتها الشديدة وكراهتها الاختها ثم ان هذا الرجل الحربي القديم وصار الآن العبد الذليل صحب الملكة الى الاسكندرية ولازمها وبقى معها في أرضها وبلادها من دون أن يحصل له اشتغال أو يكدره بلبال فكانت كليو بطره تغنى وتسكر وتلعب وتصطاد وتعرض عساكرها على نفسها مع مسلوب العقل الرومانى وكانت ملازمة له في دورانه في نصف الليل من وسط شوارع المدينة في آخر ساعة الاوكانا فيها منهمكين في مغلطات النقائص والفجور والاسراف في الامور وأخيراً حل بانطونى وقائع الحروب حتى ألزمته مدة قليلة من الزمن على أن يترك ماهو عليه من انهماكه في اللذات وذلك أن الفارطيين أغاروا على سوريا وانفجر الحرب في ايطاليا وكان سبب هياجه امرأة أنطونى وأخاه ضد أوقطافيوس

وذلك أن فولفيه امرأة أنطونى عزمت على فصل زوجها من كليو بطره بطريقة تجلبه بها عندها في رومة فحرضت أخاه لوسيوس على أن يكون رأس عدد كثير من الايطاليين النافرين من جهة أوقطافيوس لان أوقطافيوس لاجل أن يكافئ فرقة الخطافة النهابة استحوذ على أراضى الفلاحين وأنعم بها على العساكر فاشتعلت نار الثوران والارتباك في الجهات والبلاد فاطفأ العساكر هذا كله بما انهم كانوا هم المنتفعين وأخذ أوقطافيوس هذا الهياج وحاصر الذين ثاروا في مدينة بروسيا الحصينة وأوقع عليهم القحط والجوع حتى أذعنوا بالتسليم وقتل منهم من ٣٠٠ الى ٤٠٠ نفس وصدر الامر الى فولفيه بخروجها من ايطاليا فهربت الى الجريس وقابلت فيها زوجها وكان وصل الى الجريس موافاة لطلبها له لاجل مساعدتها ومساعدة أخيه لوسيوس ومع أن أنطونى كان عاب على مشروعها وأفعالها الكمه توجه نحو ايطاليا وعقد معاهدة مع سكسطوس بومبى في شأن المحاربة مع رفيقه أوقطافيوس الا انه صار ضد هذه الافعال المدمرة للبلاد والعباد بتداخل الاحباء والاصدقاء وعقدوا مجلساً في بريديسيوم تقرر فيه تقسيم المملكة الرومانية من جديد وحصل الاتفاق على أن أنطونى يختص بالاقاليم الشرقية وأوقطافيوس بالاقاليم الغربية ولبدوس بافريقه وتكون ايطاليا عمومية بين الثلاثة ومراعاة سكسطوس بومبى العدو المشترك العموم واتفق في هذه المدة أن ملوك المقابليين دخلوا في سلطنة مملكة يهوذا بواسطة تداخل هيرودوط العوميدى الذى صار فيما بعد قبيح الشهرة ردىء الصيت بواسطة ما حصل منه من الافعال الدميمة والجرائم الجسيمة من ذبحه الابرياء من مدينة بيت لحم وكان هيرودوط وصل الى رومة وتقدم أمام الحكومة الثلاثية ودل التفاتها الى [illegible] وقت ما كان الفارطيون مغيرين على المملكة فوطدوا له مرغوبه وقووه على مقصوده خصوصاً من جهة أنطونى بدفعه مبلغاً جسيماً من النقود وتقلدوه سلطنة يهوذا [illegible] للمباشرات فولفيه زوج

أنطونى أوقطاقيه الاخت الارملة لرفيقه أوقطاقيوس وفى سنة ٣٩ قبل الميلاد صار اصلاح هذا
الترتيب بقبول أن يعطى الى سكسطوس بومبى سيسيليا وسردينه وقورسيقه على شرط أن يعطى رومة
مطاليبها من الحبوب والغلال فلما غاب أوقطاقيوس فيما صار الاتفاق عليه هيج فى سنة ٣٨ قبل
الميلاد حربا على سكسطوس بومبى ومن بعد محاربة استمرت سنتين هزمه وأرغمه على الهرب الى آسيا
وقتل فى السنة التالية فى نواحى ملطيه وأضاف أوقطاقيوس الجزائر الغربية الى ممالكه الآن ليدوس
اجتهد فى الاستحواذ على سيسيليا وأن تكون له الدرجة العليا فى الحكومة الثلاثية وأطاعه قوى
سكسطوس بومبى البرية وكانت كثيرة العدد ولقب نفسه بامبراطور فدخل أوقطاقيوس مع الجسارة
والجراءة فى معسكر خصمه واستغاث بالعساكر فى الانضمام اليه فنجح فى ذلك بفصاحة لسانه وعذوبة
كلامه وتوجه له عموم الجيش والتحق به وجرد ليدوس من الحكومة الثلاثية وعفا عنه وسمح له بالاقامة
فى وظيفة الحبر الاعظم فرضى ليدوس بذلك واستقام أمره

ثم بقى أنطونى هو الخصم الفريد لا غير لاقطاقيوس وكان أنطونى حط قدره وقذر نفسه ومقامه الرومانى
بما أجراه من مواصلته مع كليوبطره وكان انطونى لما سافر الى حربه مع الفارطيين فى سنة ٣٧ قبل
الميلاد ترك زوجته فى ايطاليا ومن بعد قليل وصل آسيا بعد أن دخل فى أراضى الفارطيين وانجبر على
القهقرة وقطع الفارطيون على عساكره طريق رجعتهم وأبادوا جيشه بالجوع والسيف فلما وصل
مهزوما الى آسيا قابلته كليوبطره فى سوريا وعاد معها الى الاسكندرية وأخفى ما كان فيه من الخيبة
وعدم النجاح ورجع الى جنونه وانهماكه فى اللذات مع كليوبطره ومازال تحت رقها الى ان انقضى
نحبه وفى مدة سنى ٣٦ و ٣٥ و ٣٤ قبل الميلاد باشر أنطونى الحرب على الفارطيين بأضعف حالة
وأسرع طريقة وما اكتسب فيها الا بعض مظفرات عديمة الشرف وعاد مسرعا ليتملى بوجه كليوبطره
وفى سنة ٣٤ قبل الميلاد هجم أنطونى على ملك أرمينية من أجل أنه ارتاب فى خيانته وأسره وأنعم
بمملكته على كليوبطره وعقد له موكب فى الاسكندرية احتفالا بنصرته ثم أعطاها فينيقيه وسوريا
الجنوبية وقبرص وبعض جهات سيليسيا ويهوذا وجهات فى بلاد العرب وطلبت منه قتل هيردوط
وكان أشار على أنطونى ونصحه بحل الاربطة المذمومة التى ربطها مع كليوبطره وقيل انه كان سعى فى
قتلها ليخلص من جبريتها القبيحة ويخلص وليه من سوء عاقبتها فمن ثم طلبت كليوبطره من عبدها
أنطونى قتل هيردوط وما سمحت بالعفو عنه الا من بعد أن ألزمته الضرورة بكونه يتنازل لها عن أرض
البالسم الغنية الموجودة حول مدينة أريحاء وكان محصولها سنويا ٢٠٠ وزنة أى ٤٠٠٠٠
استرلينه ومن هذا الوقت صارت ترسم على النقود الجارية فى المعاملة رأس انطونى مع رأس كليوبطره
ملك وملكة وألفاظ امبراطور والمعبودة الشابة وتلقبت بلقب ايزيس وتحلت بحلى المعبودات وكانت
تعمل لها الاحتفالات الرسمية بصفة كونها معبودة وأدى لها أنطونى كل ما ترغبه وأنعم على أولاده
منها بالتيجان الملوكية وأرسل أنطونى زوجته الى أخيها أوقطاقيوس ثم طلقها وأمسك فى يده قضيبا
من الذهب ولبث الثوب الارجوانى وعمل لها كليلا بكونه زوج الملكة ووعدها المغرم المفتون بأن
يجعلها الملكة المطلقة التصرف على الممالك الرومانية ويكون مقرها فى نفس رومة جزاء لها على محبتها
له وقربها منه

وأما أوقطاقيوس فانه صرف هذه السنين فى توطيد علاقات دولته وارتباطه برعية شوكته ومد

ممالكه فى الجهات الغربية من جبال الالب وصار معززا عند الرومانيين ومقبولا بينهم على قدر ما كانوا يخشون سطونه ويخافون عقابه قبل ذلك وزادت محبته عندهم بكونه زخرف مدينة رومة وأصلحها واستمر فى سيره حتى انتهز فرصة الاغارة على أنطونى بما فعله من خيانته الكبيرة التى بها انفصل الاملاك الرومانية وحل أمرها ومنحها هدية لكليوبطره فأعلن أوقطافيوس بالحرب على أنطونى وكليوبطره فى سنة ٣٢ قبل الميلاد ونزل أوقطافيوس فى الجريس فى رأس ٨٠٠٠٠ من المشاة و ١٢٠٠٠ من الخيالة وأسطول وكانت السنة الاولى خالية من الوقائع والحوادث فجمع فيها أنطونى جيشا كثيفا وأسطولا من الشرق قويا وصار فى قوة زائدة عن خصمه ووصل أنطونى وكليوبطره الى الجريس فى رأس هذه القوى والاساطيل ومن بعد أن مكث الجيشان معسكرين تجاه بعضهما فى مواقع على ساحل خليج امبراثيا أحدهما فوق رأس اكطيوم والآخر على النقطة المقابلة له والاساطيل راسية فى البحر بين الجيشين فأشار قواد أنطونى عليه باجراء الحرب فى البر ويفصل هذا المشكل بواقعة اماله واما عليه وأشارت عليه كليوبطره أن تكون الواقعة فى البحر بقوة الاساطيل فأذعن لقولها ووقعت الواقعة فى البحر بين الاسطولين على مسافة من رأس اكطيوم فى ٢ ديسمبر سنة ٣١ قبل الميلاد وكان النصر فى الابتداء مع أنطونى لان سفنه كانت كبيرة الحجم كثيرة العدد وفى وسط اشتعال نار الحرب خافت الملكة من نتيجة عاقبة الواقعة ورغبت فى خلاص نفسها فهربت بمركبها وتبعها استون سفينة من السفن المصرية فاندهش أنطونى من هذه الحركة ويئس لان قوة عظيمة من قوته تركته فنط من مركبه فى زورق سريع الحركة وهرب وراءها مسرعا فى سيره ولما ترك القائد أسطوله وهرب هزمته السفن القليلة الاوقطافيانية وأنزلوا به العطب وأما الجيش البرى التابع لانطونى فانه ما كان يعتقد هرب قائده واستمر منتظرا حضوره لمدة سبعة أيام ولما لم تأت له أخبار بخصوص أنطونى ووجد أن التسليم لابد منه سلم الجيش نفسه الى أوقطافيوس وتولد من واقعة اكطيوم أن صارت الجهة الرومانية الموجودة فى آسيا تحت قدمى الرجل المنصور وكان أول من ذهب اليه فانه ملك اليهود هيردوط وكان من حزب أنطونى فنجح فى كونه نال مقابلة أوقطافيوس مقابلة رسمية فى رودس وعقد صلحه معه وعاد الى بلاده

واستمر أنطونى وكليوبطره فى هربهما حتى دخلا مصر وأظهرت كليوبطره فى بلدها الشجاعة وعلو الهمة زيادة عن معشوقها وأمرت بحمل مراكبها الحربية الى البحر الاحمر من طريق برزخ السويس وعزمت على خلاص نفسها مع خزائنها فى دنيا غير معروفة فأحرق العرب مراكبها والتزمت على ترك مقصدها وما كانت عازمة عليه فوقعت فى أشد المضايقات والمصاعب وأمرت باستحكام منافذ ومخارج مملكتها وأخذت فى الاستعداد للحرب وربطت علاقات تعاضدية مع كافة الملوك الداخلين مع انطونى فى محالفة واحدة واعتزل أنطونى فى معزل على حدته ودخل فى خلوة لا صديق معه ولا خادم واستمر قاعدا فيها ولما رجد نفسه أن لا طاقة له على تحمل هذه الامر [illegible] نفسه على الحظ وانهمك فى أنواع الموبقات

وفى غضون ذلك زحفت قوى أوقطافيوس من كل جهة على الديار المصرية وتغلب كورنليوس غالوس على باريطونيوم وكانت مفتاح مصر من الجهة الغربية [illegible] أنطونى باسطوله وجيشه لاجل خلاصها منه فهزمه كورنليوس [illegible] أنطونى مع [illegible] مراكبه

وسلمت بلوز يوم نفسها الى أوقطافيوس وهى المعقل الشرقى ومفتاح الديار المصرية من هذه الجهة الشرقية وقيل ان سلقوس حاكمها غدر وسلمها الى أوقطافيوس بأمر من كليوبطره الا أن كليوبطره لاجل براءة نفسها من هذه التهمة سلمت امرأته وأولاده ليد أنطونى ثم تقدم أوقطافيوس لحصار الاسكندرية فاجتهد أنطونى فى توقيف سيره فتركه عساكره وهربوا منه ولما رأى نفسه انه لا يموت بفخر فى ميدان الحرب عاد الى الاسكندرية مشحونا بالغضب يجرى فيها ويصرخ وأرادت كليوبطره الغدر به من أجل انه خرب سعاداته ودمر أحواله فى مرضاتها ولما رأت الملكة ماهو فيه من شدة الغرام هربت مع الخوف والوجل الى محل لها كانت شيدته لنفسها محكم الابواب وأشاعت فى الاسكندرية قولا كاذبا بأنها ماتت ولما وصل خبر موتها الى أنطونى رمى نفسه على سيفه وجرح نفسه جرحا مهلكا وفى حال الغرغرة بلغه أن كليوبطره على قيد الحياة فأمر بنقل نفسه الى محلها وخرجت روحه بحضورها

ثم تخيل الى كليوبطره اكتسابها سلطة ونفوذا على أوقطافيوس بما فتنت به قيصر وانطونى غير أنها وجدت ان هذا الفاتح لا ينبهر من جمالها ولا يسأل عن ملاحتها ودلالها وبلغها فى السر انه مبق على حياتها ليجعلها زينة فى موكبه الذى يعقد لنصره فى رومة فأعطت مبلغا من النقود لرجل من أهل البلد ليرسل لها حية أو ثعبانا فى سلال تين وقدمت ذراعها الى الحية فلدغتها فماتت من لدغتها وخضعت من بعدها مصر وصارت اقليما رومانيا

ومن قبل دخول أوقطافيوس مدينة الاسكندرية وعد أن يعطى لكل عسكرى من عساكره مائتين وخمسين درهما من النقود الرومانية فى نظير أنهم لا يقربون شيأ من متاع المدينة ولا من أهلها ودخل المدينة ماشيا على أقدامه مستندا على ذراع الفيلسوف اريوس وترك هذه المدينة من النهب والسلب التماسا من أصدقاء الاسكندريين وكان محبا للتعليم والعلوم فتركها لاربابها شفقة عليهم من دون أن يقرب أحد من عساكره شيأ وأمر بكسر جميع تماثيل انطونى قطعا ورميها فى شوارع المدينة وكان لها خمسون سنة قائمة فى داخل المدينة ووقع منه حالة مهينة لنفسه وهى قبوله رشوة مقدارها ألف وزنة أى ٣٠٠٠٠٠٠ ليره من ارشيوس صديق كليوبطره ليرخص فى بقاء تماثيل كليوبطره قائمة فى المدينة كما كانت فى الاصل وعامل أولاد كليوبطره الثلاثة من انطونى بالشفقة والرحمة وما آخذهم بما جناه والداهم مما حصل فى حقه منهما وأما قيصرحون بن كليوبطره من يوليوس قيصر فانه أمر بقتله لانه جعله أول خصم له وعهد زمام الحكومة المصرية جميعها الى كورنليوس غالوس وكان ممنوحا من طرف الرومانيين فى كل مدينة أو اقليم فتحوه وتغلبوا عليه أن يعطوا له حق الامتيار المدنى الرومانى فى ترتيب مجالس أهلية أى هيئة حكومة بلدية وهنا فى مصر ما رخص أوقطافيوس الذى لقب من الآن أوغسطس لاى مدينة من المدن المصرية بهذا الامتياز وهو وان قلد زمام الحكومة المصرية لنائب من أرباب مجلس السناتو أو الاعيان لكنه أصدر أمره بان لا يرخص من الآن فصاعدا لاى واحد من أرباب السناتو أو الحكام أن يضع قدمه فى مصر من دون اذن أو رخصة منه وأمر بأن تكون الاشغال والحسابات والتواريخ فى الادارات الداخلية المصرية على حساب سنة معلومة لان المصريين من مدة وجودهم جعلوا يوم ظهور أشعة الشعرى اليمانية الذى يقع فى ١٨ يوليه أول يوم سنتهم الجديدة وتحتفل المزارعون والفلاحون فى مثل هذا اليوم احتفالات دينية وهو يوم ابتداء زيادة النيل وكانت عموم

الحسابات وتواريخ الملوك ومدة سلطنتهم جارية على حساب سنة مقدار أيامها ٣٦٥ يوما فقط فكان يتغير أول يوم فيها على الدوام وصدرت أوامر أوغسطس أن جميع الاعمال العمومية تؤرخ على حساب سنة جديدة مقدارها ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وهى السنة اليوليانية فصار المبدء فى تواريخ الاعمال من هذه السنة من ابتداء ٢٩ أغسطس وسقط اليوم الذى كان على الدوام فى تغيير وهو أول يوم من السنة الجديدة وابتدؤا الحساب من السنة الاخيرة لسلطنة كليوبطره وهى السنة الاولى من سلطنة أوغسطس ومازال استعمال السنة اليوليانية جاريا فى أوربا الى ستة عشر قرنا حتى أظهر جريجورى الثالث عشر خطأها وكان فلكيو المصريين ورياضيوها لا يعتمدون هذه السنة من الاصل بل كانوا جارين فى حساباتهم على نص حساباتهم القديمة لانهم ما كانوا يجدون فيها أدنى خطأ يرتابون منه حتى يصرفوا النظر عنها من بعد غلاقها فمن ثم كان يوجد فى مصر ثلاث من السنين وثلاثة أيام جديدة لثلاث سنوات متباينة واحدة أولها ١٨ يوليه مستعملة عند عوام الامة وأخرى أولها ٢٩ أغسطس جارية بأمر الامبراطور وثالثة أول يومها فى تغيير جارية عند فلكيي المصريين

وسار أوغسطس أوقطافيوس على مسارحاله فى أخذه مساحات أراضى الممالك الرومانية وقياس أطول سككها ومجارى مياه أنهرها ولمادخلت المملكة المصرية فى حيازته عين بوليكليوطوس لاخذ مساحة الاراضى المصرية ومن بعد مضى اثنتين وثلاثين سنة من ابتداء هذه المساحة بمعرفة يوليوس قيصر صار قياس كامل الدنيا المعروفة وعرضت المساحات مع التقارير التى تقررت فى شأنها الى مجالس السنانو ومنح أوغسطس ليهود الاسكندرية بحقوق المدنية وكان الجريون الاسكندرانيون حرموهم منها فأعطاهم امتيازاتهم القديمة التى كان البطليموسية منحوهم بها ورخص لهم بأن يكون لهم نواب ومحكمة عدلية مع الحرية فى اقامة شعائر دياناتهم ولهم الحق فى أن ينتخبوا من طرفهم بمعرفتهم خاخامهم الاكبر عند موت الخاخام المتولى وأن يكونوا مطلق التصرف فى أحكامهم حسب شرائعهم تحت مراعاة والى الاسكندرية المعين من طرف القيصر

ولما رجع أوقطافيوس الى رومة حمل معه جميع أموال وجواهر الخزائن الملوكية البطليموسية ومع انه كان من المحتمل انه كان يوجد فى السراى البطليموسية نقود أقل من المعتاد الا أنه مازال موجودا بها نقود كثيرة حتى انه عند استتباب الامن والراحة فى الدنيا الرومانية نزلت أرباح الديون فى رومة وكان سببه النقود التى جلبها أوقطافيوس من الاسكندرية وأخذ معه أيضا كافة الامتعة الثمينة وأنواع الحلى والزينة المتوارثة من والد الى ولده مع تاج مصر العليا والسفلى ودخلت هذه الامتعة محمولة من شوارع رومة مع موكب النصر والاحتفال الذى عقد لاوغسطس أوقطافيوس وحصل فى الشوارع ازدحام كبير من الفرجة على الاسكندر هليوس وكليوبطره سلنى ولدى كليوبطره وانطونى وابتهج الرومانيون أنظارهم برؤية التماسيح الكبيرة وكانت هذه أول مرة رأوها فيها وجعلوا لها فى محلات الملاعب حياضا من المياه تجرى التماسيح فيها وعليها رجال من مدينة دندره محافظين عليها وكان أهل دندره مشهورين بصيد هذه الحيوانات المفترسة ونقل أوغسطوس أشياء كثيرة من صنائع المصريين مثل تمثال جانوس وكان هذا التمثال مغشى بالذهب [illegible] فى معبد ...له فى رومة [illegible] أشياء الأخرى كثيرة كبيرة الحجم وصغيرة ونقل المسلتين الكبيرتين الموجودتين الآن فى رومة

ثم أقام كورنليوس غالوس الوالى الاول على مصر تماثيل كثيرة لنفسه فى مدائن مصر وأزال أسماء ملوك المملكة من الهياكل وحفر اسمه وأعماله على مبانى الاهرامات وذلك لعدم فهم منه أو انه نسى شروط وحدود ولايته فمن ثم طلبه أوغسطس فى رومة فقتل نفسه بنفسه خشية من عذاب أوغسطس له ورتب أوغسطس فرقتين من العساكر الرومانية لحفظ هذه المملكة الكبيرة وحصلت ثورة فى مدينة هيروبوليس ومن بعدها انفجرت ثورة فى الصعيد على جباة الاموال والخراج من الرومانيين فأخمدت هذه الثورات بسهولة وانكسر نفوذ الامة المصرية وشوكتها حتى ان بطرونيوس الوالى الثانى الذى جاء من بعد كورنليوس لم يجد صعوبة فى اخماد ثورة كانت حصلت من أهل الاسكندرية وكان أهمل تطهير الترع والخلجان والمساقى من مدة طويلة حتى طمت وعمت مجارى المياه وحبطت أعمال الرى وقل محصول الاراضى وصارت مياه النيل لا تعلو الاراضى فى زيادتها فاستعمل بطرونيوس العساكر فى المدة التى لا شغل لهم فيها يختص بالمحافظة على المملكة فى شغل تطهير الترع والخلجان والمساقى حتى اذا وصلت مياه النيل فى زيادتها اثنى عشر ذراعا عم الفيضان وحصل الرى لعموم الاراضى

وكان عود أوقطافيوس من مصر الى رومة فى سنة ٢٩ قبل الميلاد واحتفل فيها باحتفال ثلاثى وصار حاكم الدنيا وسيدها لا ينازعه فيها انسان ولا يشاركه فيها سلطان ولما استتب الامن العام وتسلطن وجوده فى الممالك الرومانية انغلقت الابواب النحاس لمعبد يانوس وكانت هذه هى المرة الثالثة من ابتداء تأسيس مدينة رومة

وأقام أغسطس أوقطافيوس على أطلال الجمهورية القديمة الرومانية سلطنة وملوكية امبراطورية تحت هيئة جمهورية وأرخ تاريخ مملكته من ابتداء اليوم الذى حصلت فيه نصرة اكطيوم على أنطونى وهو يوم ٢ سبتمبر سنة ٣١ بعد الميلاد وهى النصرة التى صيرته سيد الدنيا وكان عمره فى هذه المدة اثنتين وثلاثين سنة وتسلطن خمسا وأربعين سنة وفى مدة هذه السلطنة الطويلة كان له طاقة على حفظ وحماية المملكة التى أسسها وشيدها مع العزم والثبات حتى بقيت على قيد الحياة عدة قرون متوالية مع ما كانت فيه من المصاعب والمشاكل التى كانت عرضة لها ومن حزمه وجودة عقله تجنب ما كان عند خاله يوليوس من الخطا وعدم الصواب وجعل الشوكة العمومية فى يديه وتقلد زمام الاعمال بنفسه مع اعترافه بحدود القانون والعمل على مقتضاه ومن ثم ربط علاقات حزب الجمهورية حتى ان أرباب الجمهورية اعتقدوا فى أنفسهم أنهم شاهدوا صورة الجمهورية تحت حكمه وسلطنته وفرح الحزب الملوكى بكونه شاهد مقصده العزيز عنده مقصورا فى أوقطافيوس وتجنب أن يلقب نفسه بلقب حاكم مطلق متصرف فى أحكامه وتجنب علامة وهيئة الملوكية وعاش كواحد غنى من متمولى المدينة ومن أرباب مجلس السناتو فى سرايته التى كانت موجودة على جبل بلاطين وكان يتوجه الى الخارج من دون نفخفخة وطنطنة وشعائر ملوكية ومع ما كان عليه من مراعاة هيئة الجمهورية فانه كان هو المطلق التصرف فى المملكة وبلغ الى هذه الغاية بكونه قبض فى يده زمام الوظائف والمصالح المهمة فى المملكة وكانت سابقا تحت ادارة حكام مختلفة وكان لقبه العالى المستعمل هو لفظة امبراطور وهذه اللفظة مشتقة فى الاصل من درجة قواد القنصلية مدة وجودهم فى الوظائف لان امبراطور معناه قائد عموم أو رئيس عموم الاقاليم كمثل برنس السناتو أى الحائز حقوق عرض القوانين على مجلس

السناتو

السناتو وسرعة التصديق عليها ومثل الحبر الاعظم الحائز شوكة الاعمال الديانية المقدسة وهكذا وكذا منحه مجلس السناتو لقب أوغسطس أى جليل القدر وجعل هذا اللقب وراثة فى أهلها الا أنه ما كان له عمل فى الجلوس على كرسى السلطنة

واستمر مجلس السناتو فى صده أوغسطس وتوقيع الحجر على أعماله اسما فقط وكان فى الحقيقة عبد اله وأهلك كافة الرؤساء والقواد أرباب الجسارة والشوكة فى الحروب الداخلية واهتم الموجودون على قيد الحياة بمراعاة اغداق والتفات الامبراطور اليهم بزيادة عما لهم من الحقوق القديمة وكان عدد أعضاء مجلس السناتو مقصورا على ٦٠٠ عضو مؤلف من الاشخاص الذين كان أوغسطس يتنى فقدهم حالما كان فيه من ضمنهم ومن أشخاص عينهم هو بنفسه ليحوزوا رتبة شرف المجلس وما كان هذا المجلس مؤلفا من رومانيين وايطاليانيين فقط بل من أشخاص من الاقاليم القاصية أيضا والتزم هؤلاء الاشخاص الذين هم من الاقاليم البعيدة بالاقامة فى ايطاليا وصاروا فيما بعد من أرباب العقارات والاملاك فى ايطاليا وما كان يمكن أى انسان الدخول فى مجلس السناتو ولا أن يكون عضوا منه الا اذا كان مالكا لعقارات وأملاك تعادل قيمتها حسبما قدرها أوغسطس فى الابتداء نحوا من ٤٠٠٠٠ سيستر (١) ثم أخذت هذه القيمة فى الزيادة على التدريج حتى وصلت الى ١٢٠٠٠٠ سيستر وكانت شوكة مجلس السناتو وامتيازاته باقية عليه اسما على حسب عادة الزمن وتوالى الايام أبطل الامبراطور وجود نفسه فيه وحكمه منه وتقرر للامبراطور الشوكة المدنية والحكومة الداخلية لكن أوغسطس من ميله وانعطافه كان يستعين فى أشغاله وأعماله برضا المجلس وتصديقه وهذا من أسهل شئ فى الواقع لان أرباب المجلس عموما تحت رضا الامبراطور ومن ثم صار مجلس السناتو فى المدة الاخيرة وأحكامه لا معنى لها فى ذاتها ولا فى صفاتها وصار الامبراطور مطلق التصرف والحكم فى المملكة ومن مهارة أوغسطس ونباهته وتبصره فى الامور وتدبره فى العواقب ترك للامة الرومانية بعض آثار من امتيازاتها القديمة وصار تعيين القناصل ومقدار النصف من النواب بمعرفة الامبراطور وأما الباقى من النواب فكان يحصل انتخابه من المترشحين للانتخاب مع تصديق الامبراطور واقراره على هذا الانتخاب وسار القانون على حسب سيره القديم وصارت جميع ترتيبات وأحكام قيصر بوليس تحت مباشرة وادارة أوغسطس واستلم زمام عهدة التصديق الذى كان لمجلس السناتو والوجوه الرؤساء من الامة الرومانية وأما الحقوق القضائية للامة فكانت فى هذا الوقت ملغية صامتة خامدة فاستلم الامبراطور زمام حق العفو والسماح وأخذ انعطاف وميل المملكة فى ترك حقوق الامة والتغلب عليها شيأ فشيأ حتى صار لا شئ لهم فيما يجرونه ومع انه كان يحصل أحيانا بعض تحريات فى الانتخابات وبعض اجراآت قليلة فى الاشتراك مع القانون الا ان هذه الاشياء استمرت باقية فى المجامع الكبيرة الى الوقت الذى سقطت فيه المملكة ومن ابتداء سلطنة طيبريوس انترنس تدخل الامة فعلا فى أى أمر من أمور المملكة أو استحواذ أى واحد منهم على سلطة أو امتياز أو درجة يعلو بها على غيره من أفراد الامة

ثم انه على حسب اتساع المملكة وامتدادها وكثرة تراكم أعمالها وقضاياها صار من الضرورى للامبراطور مساعدته بآخرين فى حكومتها فتشكل من أجل مساعدته على مقتضى النظام القانونى مجلس مملكة تحت رياسته تنظر فيه جميع الاعمال والقضايا المهمة الآتية من المملكة ويشرع فيها أحدا

(١) السيستر نقود رومانية قيمة كل واحد منها ربع دينار اه

المجلس قراره مصدقا عليه امن الامبراطور للعمل به فكان هذا المجلس مؤلفا من كبار وجوه النواب لمدة سنة واحدة وخمسة عشر عضوا من أرباب مجلس السناتو ينتخبون بواسطة مجلس السناتو لمدة ستة أشهر واستمرت الوظائف القديمة على ما كانت عليه وترتبت مصالح أخرى جديدة فكان أجل هذه الوظائف وأهمها وظيفة والى المدينة وقائد الخفر الامبراطوري وكان الخفر الامبراطوري مؤلفا من ١٠٠٠٠ نفس معسكرين فى داخل المدينة لاجل المحافظة على الامبراطور وفى السنين الاخيرة من المملكة كان لهذه الوظائف أهمية كبيرة وباب مفتوح فى التاريخ الرومانى نذكره فيما بعد

وفى هذا المحل يمكننا أن نذكر حدود المملكة الرومانية التى أسسها وأقامها أوغسطس أوقطافيوس وبيان اياالاتها فنقول انه كان حدها الشمالى الخليج البريطانى والمحيط الجرمانى ونهر الرين ونهر الدانوب والبحر الاسود وحدها الشرقى نهر الفرات وصحارى سوريا وحدها الجنوبى الصحراء الكبرى أو بادية افريقيه وحدها الغربى البحر المحيط الاطلنطيقى ومساحتها نحو من ١٥٠٠٠٠٠ ميل مسطح داخل فيها الممالك المسماة الآن بالبرتغال واسبانيا وفرانسا وبلجيقا وهولندا الغربية وبروسيا الرينيه وقطع من بادين وورطمبرغ وكافة باقايره تقريبا والسويس وايطاليا وطيرول وأوستريا الاصلية وهنكاريا الغربية وخرواطيه والسلاف وصربيه وتركية أوروبا والجريس وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين والعدوميين ومصر وصرنيقيه وطرابلس وتونس والجزائر وجميع مراكش تقريبا وكانت المملكة بما فيها ايطاليا مقسومة الى سبعة وعشرين اقليما أو ايالة وهى على نوعين وهما الايالات الموجودة فى حالة سلمية فكانت هذه لا تحتاج لشئ من الحركات العسكرية وكانت تسمى أعيان الايالات محكومة بنواب قناصل تعين بمعرفة مجلس السناتو مصدقا عليها من طرف الامبراطور وأما الايالات التى كان يحتاج فيها لوجود الجيوش فكان يطلق عليها اسم الاقاليم الامبراطورية فكانت محكومة اما بالامبراطور نفسه أو بواسطة نواب من طرفه وكانت الثغور البحرية محتاجة لوجود جيوش ثابتة فيها على الدوام سواء كان لاجل المحافظة عليها من المغيرين عليها من الامم المتبربرة أو ضبطها وربطها فى حالة خضوعها وانقيادها

وأما الجيش الذى كان الامبراطور معولا عليه فى طلباته العائد منها النفع على مملكته ورعيته ومساعدته وتعضيده فكان مؤلفا من ١٧٥٠٠٠ نفس من العساكر الايطاليانية ومقسوم الى خمس وعشرين فرقة تتألف كل فرقة من ٧٠٠٠ نفس مشاة وخيالة وطوبجية ومثل هذه القوة كانت موجودة فى الايالات لضرورة لزومها فن ثم كان تعداد عساكر الجيش الثابت ٣٥٠٠٠٠ أو ٣٦٠٠٠٠ نفس جميعهم على دراية تامة وخبرة كاملة بالحروب مطعمين ومتسلحين على حسب نظام القواعد المعروفة فى ذلك الوقت والله أعلم

﴿ الباب السابع ﴾

﴿ الكلام على المملكة من أوغسطوس الى غلغيلوس ﴾

صيرورة رومة سيدة الدنيا ـ سلطنة أوغسطوس ـ الحرب مع الجرمانيين ـ مظفرات دروسوس وطبريوس ـ هزيمة فاروس ـ أسف أوغسطوس وحزنه ـ هزيمة غالوس ـ اصلاح رومة ـ عظم سلطنة أوغسطوس ومجدها ـ صيرورة طبريوس أمبراطورا ـ السنين الاولى من سلطنته ـ حسده

جرمانيكوس ـ عنف طبريوس وقساوته ـ سيانوس ـ جرائمه وذنوبه ـ اعتزال طبريوس فى جزيرة كابرنه ـ سقوط سيانوس وموته ـ اعتداآت الامبراطور ـ غرس الديانة المسيحية وتقدمها ـ صيرورة كاليجولا أمبراطور ـ عنفه وسلطنته الرذلة ـ سلطنة كلوديوس ـ تغلب الرومانيين على بريطانيا ـ صيرورة نيرو امبراطور ـ فجوره وشر أعماله ـ حرق رومة ـ التعدى على المسيحيين ـ ثورة الاقاليم ـ موت نيرو ـ عود عمارة رومة ـ سلطنة جالبه وأوطو وفيطليوس ـ حرب اليهود ـ صيرورة فسباسيان أمبراطور ـ ثورة الجرمانيين ـ أخذ أورشليم ـ صيرورة طيطوس أمبراطور ـ سلطنته ـ خراب مدينة هرقولانوم و بومبية ـ سلطنة دوميطيان الشديدة ـ سلطنة نرفه الظريفة ـ صيرورة طراجان أمبراطور ـ انتشار الديانة المسيحية ـ الاجراآت الشديدة التى نشرها طراجان ـ اصلاحاته ـ اخضاعه داثيه ـ الحرب مع فارطية ـ موته ـ صيرورة هادريان أمبراطور ـ سلطنته السلمية ـ سياحته ـ عنفه ـ رغبته فى الموت ـ سلطنة أنطونينوس بيوس ـ ماركوس عوربلوس ـ حروبه ـ التعدى على المسيحيين ـ صيرورة كومودوس امبراطور ـ سلطنته الرذلة ـ ضعف المملكة ـ صيرورة برطناكس أمبراطور ـ تقليد سل الاحكام وأما الابهة الامبراطورية فكانت لديديوس بن يوليانوس ـ جعل سفروس أمبراطور ـ تدميره شوكة الحكام ـ حروبه مع فارطية وبريطانيا ـ صيرورة كركلا أمبراطور ـ عنفه ـ قتله ـ خلافة مكرينوس على التخت ـ هزيمة الفارطيين له ـ قتله ـ صيرورة علعبالوس امبراطور ـ كسوف وخزى سلطنته المخزية ـ موته

تاريخ عموم الدنيا فى هذا الوقت محصور فى تاريخ المملكة الرومانية واذا وجه المطالع بصره وتأمل حوله لجهة من الجهات لا يرى أمامه سوى رومة وعموم الدنيا المعروفة فى ذلك الوقت ما عدا المملكة الفارطية كانت داخلة فى الممالك الرومانية

وامتدت سلطنة أوغسطوس أربع عشرة سنة من القرن الاول من بعد ميلاد المسيح عليه السلام وكانت مدة الخمس والاربعين سنة التى مضت فى ابتداء واقعة أكطيوم الى موت الامبراطور مدة سلم واستتباب راحة لكن حصل بعض حروب فى مدة هذه السلطنة جديرة بالذكر وذلك أن اسبانيا الشمالية والشمالية الغربية خضعت بتمامها بين سنتى ٢٧ و ١٩ قبل الميلاد بعضها بواسطة أوغسطوس نفسه وبعضها بواسطة أغريبنه وكاريسيوس وفى سنة ٢٤ قبل الميلاد هيج أوغسطوس حربا على بلاد العرب كانت من أكبر المصائب على رومة وكان أصل التصدر فى هذا الحرب على غير أصل وذلك انه بلغه كثرة ثروة المملكة وشهرة غنا البلاد وما يصدر منها من أنواع وأصناف روائح العطريات والبهارات والمواد الثمينة الواردة من الشرق الى الخارج التجارية فى مدينة بطريا ومنها تتوزع الى النواحى والجهات الغربية بواسطة قوافل العرب فقامت شدة الطمع فى رأس أوغسطوس وأمر عليوس غالوس والى مصر بكشف هذه الاراضى و بلاد ليعقد معها معاهدات وان حصل منها عدم القبول يلزمها بالانقياد والطاعة فأخذ هذا الوالى العساكر التى كانت موجودة فى مصر وما بقى فيها الا القليل وتوجه قاصدا بلاد العرب ومدينة بطريا فغش الدليل الوالى ومشاه فى صحارى ورمال وتلال لا ماء فيها ولا مياه ولا نبات ولا شجر فتولس حرارة الشمس وردائة المياه القليلة

الموجودة فيها واحتياجه للمؤنة اللازمة للعساكر ووقوع الطاعون فى الجيش وضاع المقصود ووصل
الى الوالى وهو فى ضلاله فى الصحارى أخبار اغارة الاتيوبيين على مصر فأخذ فى القهقرة وما كان عشيه
فى شهرين ساره فى سنة حتى وصل الى مصر من غش الدليل وخاب المشروع وبطل ما كان عليه
الامبراطور من الموضوع

وكانت اتيوبيا وهى بلاد النوبة الآن من شلال أسوان فصاعدا من النيل الاعلى مسكونة من قديم
الزمان بجنس من العالم يتكلمون بلسان قبط مصر و يعبدون آلهة مثل آلهتهم الآن العرب المسمين
باسم الطروغلوديطيين وقبائل أخرى كانوا قاطنوا من مدة قديمة فى جهة افريقية على ساحل البحر الاحمر
نموا وكثر عددهم فى مصر حتى صاروا نصف عدد مدينة قفط من أعمال الصعيد الاعلى من العرب
وفى مدة هذه السلطنة كانت العرب من قبلها قاطنوا اتيوبيا فرتب الرومانيون فرقة من العساكر
فى مدينة أسوان آخر حدود مملكتهم لتوقيف سير العرب الى الجهة الشمالية فلما توجه غالب الفرق
الرومانية مع الوالى الى بلاد العرب سار جمع كبير مقداره ثلاثون ألف نفس من سكان اتيوبيا يقال
لهم عرب من دمهم ولسانهم أو اتيوبيون من اقامتهم فى اراضى اتيوبيا وأغاروا على مصر وتغلبوا على
ثلاث بلوكات من العساكر الرومانية كانوا موجودين محافظين فى جزيرة الفنطين واسوان والفيلة
وكان هؤلاء القوم فى حالة رديئة من أحوال العسكرية فى تطقيمهم وتعليمهم وترتيبهم فكان البعض
منهم معه طارقيات من الجلد وآخرون معهم نبابيت وآخرون معهم قوس وقليل منهم معهم سيوف
وكانوا تحت قيادة قواد من طرف كانداس ملكة مروى وهى امرأة ذات نباهة وادراك مسترجلة فى
نفسها وكانت عوراء العين فهزم غالوس هؤلاء من بعد عوده من بلاد العرب مع السهولة بجيش مؤلف
من ١٠٠٠٠ نفس من الرومانيين والجريق فانسحبوا الى جهة الكلابشة من وادى الكنوز على
مسافة ٦٥ ميلا من الحدود فسار خلفهم غالوس وطردهم الى مسافة ٧٠ ميلا حتى وصل الى برميس
فوق دنقلة العجوز التى كان وقف فيها عسكر الفرس تحت قيادة لهراسب أو قمبيز وعبر الشلالات
الوقانية وأخذ مدينة نبطه ومن بعدها ما أمكنه المخاطرة بنفسه خشية عدم وجود مؤن العساكر
ورأى أنه كلما قرب من العدو تأخر وتقهقر زيادة فعاد الى مصر وأرسل ما استحوذ عليه من الاسرى
الى رومة

وفى سنة ١٦ و ١٥ قبل الميلاد أخضع دروسوس وطبريوس ربيبا الامبراطور الاقليم الموجود بين
سهل لومبارديا وفنطيا وأعلى الدانوب وتغلبا أيضا على القبائل الموجودة فى وسط الدانوب وفى الجهة
السفلى من أسفله الا انه مع الصعوبة والمشقة الزائدة ومن بعد أن حصل فى هذه الجهات ثوران شديد
وكان ذلك من سنة ١٢ الى سنة ٩ قبل الميلاد

وكان أهم هذه الحروب وأكبرها الحرب الذى هيجه أوغسطوس بنفسه على الجرمانيين وذلك ان
الاعمال السهلة التى تغلب بواسطتها على جهات الغلية القاطنة فى جنوب نهر الدانوب قوته وشجعته
حتى رأى فى نفسه أن الاقليم الاكبر الموجود فى وسط أوروبا الكائن بين نهر الدانوب وبحر بلطيق يمكن
خضوعه بسهولة ومتى حصل التغلب على هذا الاقليم أمكنه تقديم الحد الرومانى الى نهر الويستول
ونهر الدانستر ويكون ذلك من أهم الفوائد فى أعماله الحربية ففى سنة ١٢ قبل الميلاد شرع
اوغسطوس فى عمل مناوشات واغارات على القبائل الجرمانية الموجودة فى شرق الرين وفى شمال

الدانوب فكان قصده اخضاع كامل هذه الاجناس عموما وبعد سنة ٩ قبل الميلاد كانت الجيوش الرومانية تحت قيادة القائد دروزوس الا أنه بمجرد موت هذا البرنس انتقلت قيادة الجيوش الى عهدة طيبريوس وتغلبت الجيوش الرومانية الكثيفة على جرمانيا وكانت متساعدة بأساطيلها فاخضعت هذه الاساطيل سواحل وشواطئ الانهر القابلة للملاحة فيها وشيدوا القلاع والحصون والمعاقل لاجل ضبط البلاد وحفظها تحت طاعة أحكامهم وقوانينهم وأدخلوا فيها اللسان الرومانى والقوانين والشرائع الرومانية وهنأ أوغسطوس نفسه على تمام اخضاعه الاقليم الموجود بين النهرين والالبى ومع هذا فان خضوع الجرمانيين كان صورة فقط وكان عزمهم ونيتهم محصورة فى عدم الطاعة صابرين مترقبين الفرصة الموافقة فى عود استقلالهم ومن سنة ٤ الى سنة ٨ بعد الميلاد التزم الجرمانيون حد الصمت والسكون متظاهرين بخضوعهم وطاعتهم وفى نحو انقضاء هذه المدة تقلد من بعد طيبريوس زمام قيادة الجيوش فى جرمانيا كنطليوس ڤاروس وكان قبل هذه القيادة حاكم سوريا فقطع استمرار سير الحركات الحربية وشرع فى ترتيب وتنظيم اقليمه ناسيا الفرق بين شدة الحرية الجرمانية والعبودية السورية التى كان حاكما على أهلها بمقامع من حديد وأجرى أعماله على غاية من الجور والعسف حتى ألزم الجرمانيين على الانتقال من حالة السكون الى حالة العصيان والثوران فقام الجرمانيون فى ثورة واحدة تحت قيادة ارمنيوس أو حرمان وهو أمير من جهة خروسى تربى وتهذب فى رومة وكان على دراية تامة ومعرفة كاملة بتعبية الجيوش وحركاتها ووقوفها على منوال القواعد الرومانية ومع أنه كان مستحوذا على حقوق التبعة الرومانية ومعه رتبة الفارس الا أن ذلك لم ينقص منه محبته الوطنية الجرمانية فكان مسعاه على الدوام فى عود استقلالية بلاده واقامتها مملكة مستقلة فلما استعد فى جميع أعماله وتصميماته أمر باعلان ڤاروس بان قبيلة فى الجهات الشمالية على شرف من العصيان وكان ڤاروس فى بلاد الخروسى قريبا من نهر الوزر فسافر فى الحال فى رأس جيش كثيف لاجل تنكيل العصاة والايقاع بهم فرخص له ارمنيوس فى التجول مع فرقه العسكرية حتى دخل فى داخل غابات طوطوبورغ وكانت مكتنفة بالاشجار المتكاثفة على بعضها صعبة السير من طبيعتها وزادت مصاعبها بوجود البرك والمستنقعات فيها ورطوبة الارض وازدادت وحلا على وحلها بكثرة سقوط الامطار الغزيرة وتواليها على ڤاروس وعساكره وبينما كان فى هذه الاهوال والمصاعب اذ هجم عليه ارمنيوس فجأة بمجموعه الكثيفة من المحاربين الجرمانيين فسلم قواه وعساكره من حزم رأيه وكانت الحالة قاضية بذلك لانه كان لابد من قهقرة الرومانيين فتخطفهم سكان مرتفعات الاورمانات من الجرمانيين وكانت طرق المرور وسككه مستحيلة عليهم فآلت الواقعة الى مذبحة شنيعة وعدمت الثلاث فرق باجمعها الا القليل منها فما بقى منها على قيد الحياة قربه الجرمانيون قربانا لآلهتهم على محاريب تماثيلهم (أقول) وهذه الواقعة عين واقعة هكس والجيش المصرى مع الدراويش التى حصلت فى نواحى العبيد من أعمال كردفان من السودان الاقصى التى ذكرناها فى تاريخ مصر فى الجزء الاول من هذا التاريخ وأما ڤاروس فانه انجرح جرحا بليغا ثم قتل نفسه بنفسه خشية القبض عليه وكانت واقعة مهولة مزعجة ما رأت الجيوش الرومانية مثلها أبدا وانقرضت شوكة رومة فى جرمانيا بالكلية وقبض الجرمانيون مع العجلة على محافظى الرومانيين وقتلوهم بالسيف وفى ظرف بضع أسابيع ما بقى باق من الرومانيين على قيد الحياة فى جرمانيا وتأيدت استقلالية تلك البلاد

تحت قواعد أساسية ثابتة ما فقدتها بعد أبدا ومع ان الرومانيين فى السنة التالية جددوا الحرب تحت
قيادة طبريوس الا أنهم لم يخاطروا بأنفسهم فى شئ ما سوى غارات انتقامية من بعد عبورهم نهر الرين
وفيما بين سنة ١٢ و ١٤ بعد الميلاد سار جرمانيكوس على منوال هذه الغارات وما عزم على تغلب
أو احتلال مستمر ولما طرقت أخبار هذه المصيبة الكبرى التى حلت بفاروس وجيشه أبواب رومة
حصل فيها الفزع والخوف وكان أوغسطوس فى هذا الوقت طعن فى السن وشاخ فأسف أسفا شديدا
وحزن وتنغص عليه عيشه واستمر مدة شهور مثل المجنون يبكى وينوح نواح الثكلى ويعدّد ويصيح
ويقول فى صياحه هات لى يا كنطلوس فاروس عساكرى وفرقى فاختار على حسب مرغوبه لخلفائه
أن جعل نهر الرين الحد الرومانى فى تلك الناحية واستمر هذا الحد حتى ان الجرمانيين تغلبوا عليه
ورموا على أطلال وآثار مملكة أوغسطوس أساسات الممالك الاوروباوية القرون المتوسطة ومن بعد
هذه الحروب صارت سلطنة أوغسطوس سلطنة أمن وفلاح وما حصل فى الراحة العمومية الداخلية
فى رومة تعكير ولا تكدير وأهلك أرباب الثورات والزعازع أنفسهم فى الحروب الداخلية وتولد من إجراء
الامبراطور من حزم الرأى فى أخذه الاحتياطات اللازمة لراحة البلاد وفلاح العباد منع وصد أى قلقلة
أو حصول ثورة جديدة وجبر قلب الرومانيين على ما فقدوه من حريتهم بسرعة زيادة العز والفلاح فيما
بينهم بادارته وحزمه وتدبيره فكان يوزع عليهم ما يحتاجونه فى الشدة والضيق وقت الحاجة وأخذت
مدينة رومة فى زيادة الصلاح بان أقيمت فيها عمارات جديدة وهياكل ومبان عمومية مفيدة
حتى أمكن أوغسطوس أن يتباهى ويفتخر بوجه الحق والانصاف فى كلامه وقوله انه وجد رومة
طوبة وتركها مرمرا واتسع نطاق التجارة مع النشاط والشغل العجيب فى مدة سلطنته وأزهرت أحوال
الامن واستتباب الراحة وزاد التقدم فى أعمال الزراعة ومن ثم ازدادت ثمرات المحصولات فى ايطاليا
وفى الاقاليم ووصلت رومة الى أقصى درجات فلاحها العرضى والجوهرى فى مدة هذه السلطنة وكان
أوغسطوس أيضا حكيما عاقلا مدبرا سخيا كريما محبا للآداب والصنائع والعلوم والمعارف فكان
فى عصر سلطنته فيرجيل وهوراس وعوفيد وطيبونوس وبروبرطيوس وفاريوس وليفى أرباب
الآداب والمعقولات فى عصر هذه المدة الزاهرة وبلغ هؤلاء العلماء أقصى درجات الفخر والمجد فى نشر
الآداب والمعارف على أنه كان عصرها هو العصر الاوغسطوسانى وكانت نقود مصر فى مدة سلطنة
أوغسطوس ومن خلفه جميعها نقودا جريقية وما حصل فيها تغيير من الرومانيين ولما فقدت مصر حريتها
عدمت منها نقود الذهب وما كان يوجد فيها من النقود الذهبية كان المصريون يدفعونها فى الخراج
والعوائد المقررة عليهم لرومة ماعدا العوائد التى كانت مقررة على الغلال والحبوب فكانت تؤخذ من
عينها وتجمع فى أشوان مخصوصة وتشحن فى مراكب وترسل الى رومة وتوزع على أهل الكسل
والفقراء الموجودين فى هذه المدينة الواسعة العامرة وبلغ مقدار ضرائب الغلال التى كانت مضروبة
على مصر سنويا الى اثنين مليون كيله وكذا لم يحصل من الرومانيين تغيير فى ديانة المصريين وما زال
القسس مجدين ومجتهدين فى بناء الهياكل والمعابد وذلك أن الهيكل الصغير الموجود فى جهة دندره
باسم أريس خلف المعبد الأكبر لاتور امام صار بناؤه أو تمام بنائه فى مدة هذه السلطنة وكذا حصل
الشروع فى بناء المعبد الاكبر فى مدينة طالميس من أعمال النوبة وما تم بناؤه وموجود اسم أوغسطوس
فى معبد جزيرة الفيلة فوق أسوان على بعض اضافات من الابنية كانت أضيفت الى هذا المعبد فى مدة

سلطنته وكان هذا المعبد على اسم ازيس وبنى فى زمن سلطنة بطليموس فيلادلفوس وفى ضمن الكتابات الموجودة فى هذا الهيكل ملقب أوغسطوس بلقب ابن الشمس ملك مصر العليا والسفلى مع ألقاب أخرى كان المصريون يلقبون بها ملوك البطالسة وقدماء ملوكهم

وكانت سعادة أوغسطوس مقصورة جميعها على عيشة نفسه وما مد هذه السعادة على أحد من أقارب عائلته وكان متكدر الحال منغص العيشة فى نفسه مما أصابه من المرض والعناء والآلام التى حلت به فى معظم حياته وكان على غاية من الرغبة فى ولد ذكر من دمه يرثه فمع أنه تزوج ثلاث مرار الا أنه لم يرزق ولدا ذكرا يرثه فى تخته ومما السكه سوى بنت اسمها يوليه حصل له منها أشد الضرر والاذى مما وقع منها من الفجور والافراط فيما أخل بأمر أبيها وبيتها وقطع الموت سكة مواصلته لمن كان يرغب أن يكون خليفته من بعده فاضطر عند اقتراب أجله أن ينصب الوارث له من بعد موته ربيبه طبريوس وكان شديد الكراهة له وطلب من طبريوس أن يختار أن يكون الوارث له من بعده الشاب جرمانيكوس بن دروسوس أخو طبريوس وأنعم أوغسطوس على جرمانيكوس بزواج حفيدته أغربينه فولد لجرمانيكوس منها ولد ذكر فى حياة أوغسطوس صعد على التخت باسم كاليجولا أى الجزمة أو الصرمة ثم مات أوغسطوس فى سنة ١٤ بعد الميلاد وخلفه ربيبه طبريوس برضا من عموم مجلس السناتو والامة الرومانية أجمع وما حصل أدنى معارضة فى جلوس الامبراطور الجديد من أحد الا من الجيش فقط لان رغبة الجيش كانت مقصورة على صعود وجلوس حبيبهم وقائدهم العزيز جرمانيكوس على التخت ولبس القميص الارجوانى فرفض هذا الشهم قبول ما رغب فيه الجيش وعدها بالنسبة له خيانة فى حق عمه وأطفأ ما كان حاصلا من أمر الجيش وما كان سيقع بينه وبين عمه من النزاع والمخاصمات ومع ما فعل جرمانيكوس من عالى المروأة قابله به عمه طبريوس بالعداوة وجعله ألد أعدائه وكافأ صداقته له بعداوة جهرية حتى ظهر لارباب الدولة والخدم والحواشى أن كل من أراد أن يوجه التفات الامبراطور اليه ويحصل لنفسه السعادة وعلو الدرجة فليؤذ جرمانيكوس اما قولا أو فعلا

وتسلطن طبريوس فى رومة مدة الاثنى عشرة سنة الاولى من سلطنته أى من سنة ١٤ الى سنة ٢٦ بعد الميلاد وسار فى أعماله بسياسة متوسطة معادلة لما هو جار فى أشغال مملكته وفى مدة السنين الاولى من هذه المدة اشتغل جرمانيكوس بادارة الحرب على أرمنيوس فى جرمانيا ومن بعد عدة هزيمات وكسرات حصلت له حاز بعض مظفرات على القائد الجرمانى وفى سنة ١٧ بعد الميلاد طلب فى رومة بصفة مقابلته بما يلزم له من الاكرام ومكافأته باحتفال الشرف نظير ما حصل منه من أداء خدمته الا أن حقيقة الامر هو توقيف ما كان عليه من النجاح والنصر فى جرمانيا ولما توجه قابله أهل رومة على مسافة عشرين ميلا من المدينة فى ازدحام كبير وكانوا خرجوا فى ازدحام زائد وكبكبة كبيرة لمقابلته فكانت هذه من دلائل محبتهم لهذا الشاب الامير فارتاع طبريوس من وقوع هذه المادة وداخله الخوف وعزله من قيادته هذه وأرسله لمباشرة الحرب فى آسيا وأرسل معه الى ميدان أعماله الجديدة بيزو وكان من أعز المقبولين عند الامبراطور وكلفه الامبراطور فى السر بأن يعكف نفسه على الاشغال والاعمال التى يحط بها قدر جرمانيكوس ويوهن أمره حتى يجعله فى أنحس الاحوال ومع ما كان فيه بيزو من الاشغال المتكفل بها من طرف الملك فقد نجح جرمانيكوس فى وصل أعماله السياسية ورتب قبدوسيا وكوماجينى وجعلهما اقليمين رومانيين ولما حصل من جرمانيكوس انتخاب

الامن والراحة فى جهة الشرق ووجد لنفسه فرصة وزمنا يشاهد فيه مع السرعة والعجلة الابنية المفتخرة المصرية والهياكل والمعابد الضخمة الموجودة فيها توجه مسرعا اليها ومازال جائلا يتفرج فى ساحته فى مصر حتى وصل الى طيوه من الصعيد الاعلى وشاهد أبنيتها العظيمة وهياكلها ومعابدها وحوله القسس والروحانيون من أهل الديانة المصرية فتأمل فى كتابة على أحد المعابد الكبيرة وطلب من القسس أن يقرؤها له وكانت بالقلم القديم الهيروغليفى أى القلم المقدس منقوشة على حوائط الهيكل فقالوا له ان هذه الكتابة مذكور فيها اعظم المملكة وسعادتها فى زمن الملك رمسيس (سيزوستريس) فى مدة كان يوجد فيها ٧٠٠٠٠٠ مصرى فى عمر واحد تحت السلاح وبواسطة هذه العساكر تغلب رمسيس على الليبيانيين والاثيوبيين والميديين والفارسيين والبقطريانيين والصيطيين والسوريين والقبدوثيين والبثينيانيين والليسينيانيين وقالوا له على مقدار ما كانت تدفعه هذه الامم من الخراج ومقدار وزن الذهب والفضة وعدد العربات والخيول وهدايا العاج وروائح العطريات اللازمة للهياكل والمعابد ومقادير كميات الغلال التى كانت ترسلها الاقاليم لاكول أهل مدينة طيوه ومن بعد أن سمع جرمانيكوس آلات الطرب فى هيكل منفطه توجه الى ادفو واسوان وجزيرة الفيلة وكانت آخر حدود المملكة الرومانية وعند عوده عطف على الاهرام وشاهدها وكذا شاهد بحيرة موريس فى الفيوم وما كانت معدة له من تعميم الرى على أراضى مصر فكانت هذه الزيارة عند طبريوس من أكبر المصائب عليه وحصل له غاية الغضب والكدر فى المعيشة وقال ان جرمانيكوس يقصد بدخوله مصر أن يكون محبوبا عنده وعد هذه من أكبر الجرائم لانه فضلا عن نواله محبة الامة المصرية له سار فى وسط بلادهم من دون خفر معه لابسا لباس رجل بسيط من الجبر يقين وخفض أثمان الغلال وفتح الاشوان العمومية وخرق قانون أوغسطوس المعروف عنده القاضى بأن لا أحد من الحكام أو الفناصل أو أرباب مجلس السناتو يضع قدمه فى الاسكندرية من دون رخصة منه ولما عاد جرمانيكوس من مصر الى آسيا مات مسموما فى سنة ١٩ بعد الميلاد فى أنطاكية من أعمال سورية والصحيح أن الذى سمه بيو وكان هو المتسبب فى قتله من طرف الامبراطور واستشعر طبريوس من نفسه بانه لا يوافق المركز المحتل فيه ولا طاقة له على أشغاله المهمة الكبيرة الا أن حسده وغيرته من رجال بيت يوليان ومن أقارب نفسه كان زائدا جدا حتى انه كان يخشى من مساعدة نفسه بأى واحد منهم فى أشغاله الصعبة اللازمة لادارة وأحكام مملكته وكان أيضا على غير ثقة بكل واحد من وجوه الاشراف والامراء ورأى أن كل واحد منهم خصمه الالد فمن ثم أبطل مجلس المملكة الذى كان رتبه أوغسطوس وشرع بنفسه فى الاشغال والاعمال اللازمة لمملكته من دون واسطة أحد يساعده فيها وكلما كل من صعوبتها وزادت عليه مشقتها انتخب بنفسه واحد المساعدته كان يعتقد فيه الحزم والتدبير والصدق والامانة وينفعه فى الشدائد والمضايقات عند ما رأى ان الحالة الموجودة هو عليها ربما يتولد منها له ضرر أو أذى لان حالته كانت على شرف الانحطاط فوقع بصر انتخابه على عليوس سيانوس وهو بنت أوفارس فولسنيانى وجعله والى المدينة وعهد اليه جميع الاشغال وقلده زمام الاحكام حتى استحوذ سيانوس فى مدة قصيرة على نفوذ كبير وشوكة لا نهاية على نفس الامبراطور وظهر على هذا الرجل الذى اعتقد فيه طبريوس انه رجل غشيم لا يحصل منه ضرر ولا أذى الطمع الانتهى من وقت ما بلغ نواله فى حكم المملكة وأضمر فى نفسه أن يكون سيد المملكة فكان أول عمل أجراه وشغل مخيم عليه أداه اغواءه ليفيلا امرأة دروسوس بن

طبريوس وانه بمساعدتها بل طبريوس من طريقه ويجعل طريقة فى قتله بالسم وكانت هذه الحادثة فى سنة ٢٣ بعد الميلاد ولما لم تنكشف جريمته هذه وخاب فيها طلب بوقاحة وجهه وجسارة فعله من الامبراطور الرخصة فى زواجه ليفيلا فتولد من هذا الطلب الجسورى أن جعل طبريوس يفتح عينيه لما فيه نديمه من الطمع فمع انه لم يسمح له بهذا الطلب الا أنه مازال خاضعا نفسه له وضغط سيانوس عليه بنفوذه وسلطته وتتبعه حتى جعله يعتزل بعيدا عن رومة فى جزيرة كابرنه فى خليج نابولى وكانت أنزه جهة فى البحر الابيض المتوسط وترك أحكام المملكة وأشغالها فى أيدى سيانوس نديمه ولما صار سيانوس سيد رومة بذل جهده وسعى سعيه فى ازالة جميع الموانع الموجودة فى طريق بلوغه نواله وتيسر على الحصول على مقصوده ومرامه فكان أول كل شئ ضرورى عنده ومن الواجب عليه فعله هو هلاك ودمار كل من كان على قيد الحياة من العائلة الاوغسطوسية وبواسطة ما أجراه من الدسائس والاقاويل الكاذبة استحصل على رضا الامبراطور فى القبض على اغربينه أرملة جرمانيكوس وسجنها هى وولديها نيرو ودروسوس وبملازمته للامبراطور والحاحه فى القول عليه من أجل قضاء مرامه رخص طبريوس له فى زواجه ليفيلا وخطبت له رسميا بأمر الامبراطور وكان كل ذلك لاجل هلاك الامبراطور بمساعدة ليفيلا وفى هذا الوقت صار بوظيفه قنصلا متحدا فى الاشغال مع الامبراطور وتغيرت بغتة أحوال سير طبريوس وأزعجته مطامع نديمه فصرف وجهه والتفاته عنه فأحس سيانوس فى الحال بما حصل عند الامبراطور وكشف دلائل تغيير حواس الامبراطور من جهته فلاجل محافظته على سلامة نفسه رتب ثورة مخصوصة لقتل الامبراطور فانكشف أمر هذه الثورة وأمر الامبراطور بالقبض على النديم وجرده من الحكومة وقتل فى سنة ٣١ بعد الميلاد

ثم تولد من غش وخداع هذا الرجل الفريد الذى كان الامبراطور واثقا به ومعتمدا عليه فى أشغال مملكته أن صار طبريوس لا يثق ولا يعتمد على أى واحد من الجنس البشرى وشك وارتاب فى أمره زيادة عما كان عليه من قبل ولم يرجع الى رومة بل بقى فى محل عزلته الجليل وعمر عمارة جليلة فى البحر الابيض المتوسط فوق هذه الجزيرة وجعلها باسم أحد الآلهة وأحس فى هذا الوقت بانتهاء ممالكه ووقوعها فى حالة مشؤمة كان هو السبب فيها والمنشئ لمباديها ولما أتته الاخبار بقتل ابنه دروسوس ارتعب وخاف على سلامة نفسه وشرع فى أداء أعمال سلطنة مزعجة ما رأت رومة مثلها قبل فأمر بقتل ليفيلا مخطوبة المقتول سيانوس واغربينه ونيرو ودروسوس وجميع أقارب جرمانيكوس وأمر بقتل مئات من الوجوه والامراء من ذكور واناث حتى قتل بعض الاطفال ضمن الذين أمر بتسليم هذا الطاغية العسف الجبار كل هذا رغبة فى كونه يأخذ ثاراته ويزيل من أمامه كل ما يرى انه يحصل له منه ضرر أو أذى وانهمك طبريوس فى الجزيرة مقر عزلته على الفجور والسفه وقلة الادب الخارجة عن حد الطبائع البشرية ومات فى هذه الجزيرة فى سنة ٣٧ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر ثمانيا وسبعين سنة ونال من السفاهة وارتكاب الآثام ما لم ينله أحد قبله من الرومانيين وأراح الله من حكمه وظلمه البلاد والعباد

وفى هذه السنة انقرضت آثار آخر الحرية الرومانية لان الامبراطور كان نزع من العشائر حق انتخاب النواب وجعل كل من يتوظف أو يتعين لمصلحة من المصالح يكون وضعه بمعرفة الحكومة ونشر القوانين الجنائية الخيانية فى القول حتى الفكر وكان أوغسطوس نشر هذه القوانين وجعلها تحت

الحاجة لردع الذين يتسببون فى وقوع خيانات أو حصول ثورات وتثبت خيانتهم بحجج كانت على يد قضاة مندوبين لمثل هذه التحقيقات لكن طبريوس أبطل حقوق المحاكمة وأصدر أوامر الذبح والخنق فى المسجونين على مقتضى أمره لاغير وعسكر الخفر الامبراطورى فى معسكر خارج أسوار مدينة رومة لارهاب أهل المدينة وانقيادهم لطاعة ماهو عليه من العتو والجور الغليظ

وفى المدة التى كانت فيها الدنيا الرومانية غريقة فى بحر العواصف والزعازع المتولدة من جور طبريوس وقبح أعماله شب فى ناحية بعيدة من أطراف المملكة نار تأثير حصل منه تغيير فى حالة الدنيا عموما وذلك ان عيسى المسيح عليه السلام شب وترعرع وبلغ مبلغ الرجال فى المدة الاخيرة من سلطنة أوغسطوس وفى السنى الاولى من سلطنة طبريوس وفى سنة ٢٧ بعد ميلاده لما بلغ عمره ثلاثين سنة شرع فى تأدية رسالته العامة حتى رفع الى السماء من بعد أن ترك رسله يتممون أعماله حتى انتشرت فى الارض فى ظرف ثلاث وثلاثين سنة وانتهت فى الوقت الذى بلغت فيه شوكة سيانوس الدرجة القصوى وفى السنى الاخيرة من سلطنة طبريوس ابتدأ المبعوثون الاول فيما أمروا به وخرجوا من أورشليم الى الاراضى والممالك المحيطة بها فى طلب نشر الديانة المسيحية ورموا أساسات هذه الثورة الكبرى التى تولد منها التغلب على رومة نفسها وحصل فى السنة التى مات فيها طبريوس دخول طالوت صاحب طرسوس فى الديانة المسيحية وهى حادثة جليلة عند المسيحيين

ومات طبريوس على غير وصية بخليفة من بعده فاختار مجلس السناتو والجيش والامة كايوس قيصر ابن جرمانيكوس واغريبينه الباقى على قيد الحياة وكان معروفا باسم كاليجولا وهو مجرد لقب أعطى له فى مدة طفوليته كان العساكر لقبوه به فى جرمانيا لانه كان يلبس جزمة صغيرة على هيئة جزم العساكر وعندهم اسم الجزمة كاليجى فلقبه العساكر كاليجولا أى الجزمة أو الصرمة فرحابه وكان عمره ستا وعشرين سنة لما جاء الى التخت وظهر للعموم أنه شاب سمح الذات خفيف الصفات كريم السجايا طيب الاخلاق ففش قومه وأهان نفسه وحط قدره وخسر ما أمله قومه فيه بما أجراه من الجور والفظاظة وكان يوجد فى الخزينة الامبراطورية فى وقت جلوسه على التخت ما ينيف عن مائة مليون ريال فصرف هذا المبلغ أجمع فى بضع شهور وعاد الظلم فى العوائد والفردة لاجل كفاية طلباته واستعمل قوانين الاستبداد المخصوصة بالخيانة والدسائس ولما انتقلت أملاك الذين حلت بهم مصائب التهم الى الحكومة وسلبت أموالهم اتضح بداهة من عينى الامبراطور أن أعماله هذه أعمال خيانة وجراءة القصد منها الحصول على جمع أموال فقط وكثر قتل الناس بعضهم لبعض خيفة من فظاعة أحكام الامبراطور وزاد جوره وبحوره بوقوع مذابح جديدة تحصل كل يوم وليلة وكان عنده اشارة مخصوصة للقتل وهى اما الايماء برأسه أو بركز أصبعه من أجل الذين يرغب قتلهم وكان جلادوه وجزاروه يقبضون على الضحايا ويجرونها فى الحال وأما هو فكان معه علبة عطوس أونشوق ملآنة بمسحوق مركب من المواد القاتلة أو السموم فكان يقدمها الارباب الرتب العالية وكبار الامراء والوجوه ويراقب حركتهم عند استعمالهم هذا النشوق القاتل فكان كل من شد فى أنفه شدة منه خرجت روحه من جسمه على الفور والذين كانوا لا يقبلون الاخذ من هذه التشبيعة فكانوا يذبحون معدودين من ضمن الخائنين وصار كاليجولا أستاذا وسيدا الفجور والسفاهة والافعال القبيحة حتى عاش فى زناء جهرة باخته دروسيلا الى ان ماتت فى سنة ٣٨ بعد الميلاد وفى نحو هذا الوقت أصابه فالج وبلج فى جسمه مرض

سلب

سلب منه العقل حتى أصبحت الدنيا الرومانية تحت سيادة رجل مجنون مختل العقل مغبون ثم ادّعى الالوهية وابتنى شرفا لمقامه معبدا باسم جو بتير لاطيارس وانحط كبرياء أمراء رومة وما كانوا فيه من العجب والشماخة وغرقوا في بحر الذل والاهانة حتى ان البعض منهم استحصل على اجازات من أجل خدمة هذا المزار وأما في الالعاب العمومية فانه عندما لم تكن اجراآت الخطايا والآثام كافية عند هؤلاء اللئام فكان الامبراطور يأمر بالقبض على بعض الناس من زحام الملعب ويرمون للحيوانات المفترسة أو تقطع ألسنة الذين لا ينزعجون من هذه الاهوال وال الامر أخيرا في انتهاء هذه المدة القصيرة المشحونة بالاهوال وجرائم الامور بقتل كاليجولا بواسطة رجلين من خفره كان حصل لهما منه السب واللعن وتوعدهما بفقد حياتهما فقتلاه في سنة ٤١ بعد الميلاد وأزالا من أنفسهما ما كانا فيه من الوعد والوعيد

وتولد من موت كاليجولا الذي وقع على حين غفلة انه ما صارت المملكة بغير حاكم فقط بل وبغير معرفة بالوسائط اللازم اجراؤها لانتخاب أمبراطور بدله وطلب مجلس السناتو ماله من الحق في تعيين وانتخاب الامبراطور للتخت من بعد المقتول لكنه بدل أن يسرع في انتخابه حصل عنده البطء الطويل لان هذا العمل كان من الضروري فيه الشروع على الفور فاستيقظ حكام العسكرية عند تردد مجلس السناتو في فصل هذه القضية وفصلوا المسئلة بأنفسهم ونادوا على كاوديوس عم كاليجولا بالامبراطورية فما حصل من أرباب السناتو أدنى جراءة في المعارضة وفي عدم التصديق على هذا الانتخاب الذي حصل من طرف العسكرية وتولد من الجسارة التي حصلت في مثل هذا الشغل أن صار فصل طريقة الاجراء في الانتخاب بان تكون بمعرفة العسكرية واستمرت هذه الحالة جارية زيادة عن نصف قرن يجري فيها انتخاب الامبراطور بمعرفة أرباب هذه الطائفة ويلتزم مجلس السناتو بالتصديق على انتخاب الامبراطورات

ووجد العساكر كاوديوس مختفيا داخل السراي خائفا مرعوبا مما حصل من قتل ابن أخيه فأخذوه وألزموه الصعود على التخت ولبس الثوب الارجواني وكان مرعيا ابتداء من طفوليته بانه عديم الدراية بالحزم والتدبير وكانوا يعدونه من ضمن العوام والذين لا خلاق لهم وكان جبانا خوافا ضعيف الرأي عديم المهارة والادارة جلفا فظا غليظا فكان بأي حالة من الاحوال رجلا غير موافق لحكم مثل هذه المملكة سيما في مدة مشحونة بأكبر أحوال الفساد والفجور ومع ما كان عليه من الصفات المتقدمة فانه كان أمينا سليم الجادة حتى انه في مدة سلطنته وثق رعيته فيما بعد بحكمه في المملكة بمفرده من دون شريك يشركه في الاشغال لكنه كان في مبادي أمره تحت سلطة أزواجه وندمائه فانتهزوا فرصة ضعف عقله ورأيه وعجزه وأجروا ما كانوا عليه من أغراضهم القبيحة وكانت مساليته العاهرة القبيحة الغرض زوجة كلوديوس رئيسة الخبث والخبائث والفجور وصارت على شهرة تامة بانها أعهر امرأة فاجرة فأفشت ما في قلبها من الغل والحسد والكراهة للاشراف بتعاريف من بعض الوجوه القاطنين في رومة وصار لها وقاحة وصلابة وجه في كونها كانت تذهب الى هيآت ومحافل الزواج العام ومعها واحد من عشاقها مع أن الامبراطور على قيد الحياة وأخيرا أمر كاوديوس بقتلها في نظير فعلها هذه الفعال وأراح الله من خبثها العباد وصدر مجلس السناتو منشورا للامبراطور يقضي بزواجه بابنة أخيه أغربينه وكان من أعظم السعادات أن صارت هذه البرنسيسة خليفة

مسالينه وامتازت شهرتها وصيتها فى الفرق بينها وبين سالفتها فانها اما كانت على حالة رديئة بالكلية لانها أظهرت طلبها فى عودسنيكه من دار منفاه ورتبته مربيا لابنها نيرو وكان سنيكه من أكبر الفلاسفة تربى وتهذب فى مدينة الاسكندرية بمصر ودرس فيها علم الفلسفة والآداب وتقدمت برهوس فى السلطة والنفوذ ودافعت عن كثير من الاشراف المغضوب عليهم ولما خافت فى آخر أمرها من عقابها على ما هو حاصل منها من الجرائم ساعدها طبيب الامبراطور وخلصا على حياة كلوديوس وقتلاه بالمواد السمية سنة ٥٤ بعد الميلاد

وكان كلوديوس عالما نوعا ومصنفا ودرس علم التاريخ على ليقى الفيلسوف وكتب فيه عدة مجلدات باللغتين الجريقية واللاتينية فكانت اللغة الجريقية أكثر استعمالا فى مدينة الاسكندرية وأسس كلوديوس مدرسة فى هذه المدينة سماها باسم المدرسة الكلودية وقرر أياما معلومة فى كل سنة يقرأ فيها تاريخ قرطاجنة علنا فى جهة وتاريخ ايطاليا فى جهة أخرى

وما كانت سلطنة كلوديوس مشهورة بما حصل فيها من الجرائم والآثام فقط بل صار فى سنة ٤٤ بعد الميلاد التغلب على جزيرة بريطانيا بعضها بواسطة عولوس بلوطيوس وبعضها بواسطة كلوديوس نفسه وخضعت كافة بلاد هذه الجزيرة لحد خط الدى والواش وجلبها الرومانيون تحت نفوذ التمدن والحضارة وأصلح الرومانيون البلاد التى تغلبوا عليها وعمروا فيها الطرق وبنوا القناطر وقطعوا الاورمانات والغابات الكثيفة الملتفة وشيدوا مواقع ومراكز عسكرية صارت من بعد قليل مراكز للتهذيب والتعليم وتشريع الشرائع وطهروا انهر الطمس وعمقوا قاعه وشرعوا فى بناء الارصفة الضخمة فى شاطئ النهر وينسب اليهم فى الحقيقة وجود مدينة لوندره وظهورها من حيز الخفاء الى حيز الوجود ومهد الرومانيون طرق الاشغال والكسب والمعيشة للبريطانيين

وفى مدة سلطنة كلوديوس عرف الجريق والرومانيون حق المعرفة الطريق الموصل من مصر الى الهند وكانت هذه أول مرة فمن ثم كثرت التجارة وزادت أعمالها وأشغالها حتى انه صار حساب قيمة الذهب والفضة الذى كان جاريا ارسالها سنويا الى الشرق فوجد نحو من ٤٠٠٠٠٠ ليرة استرلينه كانت مصر تستبدل بها بضائع هندية تباع فى رومة بمائة مثل هذا المبلغ أى ٤٠٠٠٠٠٠٠ ليره استرلينه وكانت تحمل التجارة فى النيل من مدينة الاسكندرية الى مدينة قفط من الصعيد الاعلى وتسافر منها من طريق صحراء عيذاب مسافة ٢٦٠ ميلا حتى تصل الى برنيس المينة الموجودة على ساحل البحر الاحمر وبما أن هذا السفر كان لا يمكن اجراؤه الا فى الليل خوفا من شدة حرارة الهاجرة فى الصحراء فكان لا يصير قطع هذه الطريق فى أقل من اثنى عشر يوما ثم تشحن التجارة فى مراكب من برنيس تسافر فى نحو منتصف شهر يوليه وقت ظهور شعاع الشعرى اليمانية مع الشمس وفى ظرف ثلاثين يوما تصل اما الى كاليس من أعمال بلاد فرلكين أو الى عوكاليس مدينة على ساحل بلاد العرب يحتمل انها مدينة مخا ثم تترك المراكب هذه الجهات وتسافر مع ريح الطياب فتعبر بحر العرب وتصل الى الساحل الهندى قريبا من مصب نهر السند فى ظرف أربعين يوما أو فى أواسط شهر سبتمبر ثم تسافر من الساحل الهندى وقت عودها فى آخر سبتمبر فكانت مسافة الطريق من الاسكندرية ذهابا وايابا أقل من سنة وكانت الصادرات الهندية هى الحرير والالماس والاحجار الاخر الكريمة والزنجبيل وأصناف البهارات والعطارات وبعض من الروائح العطرية ومن ثم كانت مملكة أثيوبيه لا تنزل

تجارتها

تجارتها في النيل الى أسوان بل كان جميع صادرات جنوب أفريقه تشحن في مراكب سواحلية وتأتي الى برنيس وكانت هذه الصادرات العاج وسن العنس أو جاموس النيل وجلوده والباغة والقرود والسنانير وتجارة الرقيق

وكان من ضمن الصادرات المصرية الورق المصنوع من غاب البردى المسمى برق الغزال فكان ينبت هذا الغاب في برك المياه الراكدة ويترك الى زيادة النيل ثم يقطع في مدة تحريق المياه فكانت جذوره الثخينة تستعمل مثل الخشب اما للنار أو لصنائع نافعة وأما شوش رؤسه الظريفة فكانت تفتل أو تجدل ويطوق بها رؤس تماثيل الآلهة مثل التيجان والاكاليل ومن نفس الغاب كانت تصنع القوارب وتطلى بالقار كما هو جار الآن في البلاد الصينية واليابونية وتعمل من قشوره القلاع والالبنة وحبال المراكب وجنس من الاقمشة ويمص مثل الغذاء أخضر ومطبوخا ويبلع عصيرا فقط مثل قصب السكر وكان يعمل منه الورق أيضا فكان يشق عروضا رقيقة جدا على قدر الامكان وكان يطلق على أجوده اسم ورق الكهنة لانهم كانوا يستعملونه في تدوين الكتب المقدسة وعمل منه في عهد أوغسطوس أو قطافيوس جنسان عظيمان واحد منهما اسمه أوغسطاني والآخر اسمه ليفاني على اسمه واسم امرأته وعمل جنس رابع وخامس أحدهما فنياني اسم صانع ماهر روماني وانفتياترى اسم شارع في رومة كان يباع فيه هذا الجنس وفوع سادس اسمه صايتي باسم مدينة صاي أو تنيس وكان ينبت بالقرب منها بكميات وافرة الآن جنسه كان ردىء الشغل وجنس سابع كان يسمى ليتوصى كان يباع بالوزن وثامن وهو الاخير كان عمروطى أو عمريطى ما كان يستعمل في الكتابة بل كان يستعمل في الدكاكين مثل ورق الكرونة للف البضائع وأصناف العطارة وكان عرض الفرخ الواحد من الصنفين الاولين ثلاث عشرة اصبعا وورق الكهنة احدى عشر اصبعا والفنياني عشرة أصابع والانفتياترى تسع أصابع وأما العمريطى فكان عرضه ست أصابع ثم من بعد مدة ظهر أن الاجناس العريضة رقيقة جدا على الكتابة ويرشح حبر الكتابة ومداده من صفحة الى أخرى فمن ثم عمل في مدة سلطنة كلوديوس قيصر جنس جديد أطلق عليه اسم الورق الكلودياني ثخانة كل فرخ نقيمة فرخين من الرقيق ألياف هما قاطع بعضها بعضا ووجد اسم كلوديوس منقوشا على عدة هياكل في مصر العليا وبالخصوص على هيكل مدينة الشمس وعلى ايوانات الهياكل الكبرى في مدينة لاطوبوليس وكانت بنيت في هذه السلطنة

وبهذه المناسبة نذكر هنا نبذة صغيرة تختص بالعائلة الملوكية البطليموسية وذلك أن اغسطوس أو قطافيوس كان زوج سلني بنت كليوبطره وانطوني بالشاب يوبه مؤرخ افريقه وحسن عليه في هذا الوقت بسلطنة مملكة موريطانية (مراكش) وراثة آبائه فخلفه ابنه بطليموس على تخت (مراكش) فقتله كاليجولا من دون أدنى سبب يوجب قتله وكذا ترقيت دروسيلا حفيدة كليوبطره وانطونى شخصا اسمه انطونيوس فليكس نائب مملكة يهودا من بعد موت زوجته وهذا آخر ما وجد من التسجيلات التاريخية فيما يتعلق بالعائلة الملوكية البطليموسية المصرية

ثم من بعد موت كلوديوس استخلف مكانه ربيبه نيرو وكان تزوج بابنته أوقطافيه وكان نيرو هذا ابن أغربينه فخنت الى الامبراطور ورغبته في أن يجعله الوارث ابنه بدل ابنه بريطانيقوس وبمجرد موت كلوديوس قدمت أغربينه نيرو في الحال الى قواد طائفة العسكرية فرحبوا به ترحيب الامبراطور وصدق على انتخابهم له مجلس السناتو وكان باب فتح سلطنة نيرو يملأ بالمواعيد والمواثيق وفي طرف خمس

سنوات هذا الرومانيون أنفسهم على تغيير حكامهم وخفت مظالم ضرائب السلطة القديمة وسوعد الفقراء والمستحقون في منحهم أراضي يزرعونها وانقرض النمامون والمازون وهم أقبح طائفة كانت في الامة يكتسبون معاشهم من القدح والذم في آخرين ويرمونهم بالجرائم والذنوب وصار التغلب على أرمينية وصار إصلاح البلاد والاقاليم الموجودة في طول الرين الاسفل وعملت أرصفة وحواجز منعت فيضان النهر وعلو مياهه على البلاد وأراضي الزراعة وكانت كافة هذه الاعمال العظيمة جارية بمعرفة بروهوس وسنيكة فكانا أهل التدبير والصلاح ووزيري الامبراطور وأما نيرون نفسه فكان ظلوما غشوما عسيفا فاجرا في صفة حيوان شهواني دنئ النفس فانه سم أخاه من الرضاعة بريطانيقوس في السنة الثانية من سلطنته أي في سنة ٥٥ بعد الميلاد ومن بعد قليل طرد أمه ونفاها والتفت الى حظ نفسه وفي سنة ٥٨ بعد الميلاد جلبته امرأة عاهرة اسمها بوبيه سابينه تحت كيدها ونفوذها المهالك وكانت امرأة أوطو وصارت سيدة الامبراطور وتولد من دسائسها وخداعها وفجورها أن قتل نيرو أمه في سنة ٥٩ بعد الميلاد ثم بعدها امرأته أوفطافيه في سنة ٦٢ بعد الميلاد وكان طلقها قبل هذا وقتل خليله الصادق بروهوس وطرد سنيكه من ديوانه وسلم زمام قيادة المملكة وحريتها للاسافل من الناس الذين كان يميل اليهم ويركن عليهم وتشجع على الغيبة والنميمة وملأ خزائن أمواله من أموال ضحاياه وقتلاه وألزم أرباب دولته على ضرب ضرائب وجمعها من الامة وقوي جهرة على فعل المكروه والرجس والخبث وألزم رعاياه على الاشتغال بالملاعب والتياترات العمومية واشترك في المغاني والترغات الصوتيه في الالعاب البرزخية وأمر بقتل واحد من المغنين كان صوته غطى أوحجب صوته وفي سنة ٦٤ بعد الميلاد حصلت حريقة مهولة في رومة أخذت عشرة أخطاط منها من الاربعة عشر خطا التي كانت المدينة مقصورة عليها فكان نيرو يتفرج على سرعة سريان لهيب النيران في الاماكن والجهات من برج على جبل اسكلين ويغني مغاني ونشيد خراب تروادة في هيئة واحد من مشخصي الملاعب والروايات في التياترات وكان يظهر أشد العناء والتألم من أجل هذا الذي حصل لرعاياه من الاذى مع أن المعول عليه أنه هو الذي أمر بحرق المدينة كراهية من ضيق حاراتها وشوارعها وخلوها من الاهوية ودوران النسيم فيها الا أنه اتهم بهذه الجريمة المسيحيين وكان المسيحيون كثروا في العدد وأطماأنوا مع الراحة في رومة فشرع في التعدي العنيف على أتباع عيسى المسيح حتى صاروا من بعد ذلك في ذل الذل الواقع عليهم من المملكة الى حد سلطنة قسطنطين وجار أيضا على اليهود بمثل ما جار على المسيحيين

وفي السنة التالية حصل الكشف على ثورة كانت شرعت في أخذ روح الامبراطور فعوقب أربابها وزعماؤها بأشد العقاب وتولد من خوف نيرو وارتعابه زيادته في الاعمال الوحشية وبما أجراه من الذبح والقتل مع توالي أيامه بسرعة زال من طريقه أعني وأقوى الرومانيين وأفضلهم وكذا كامل ذرية أوغسطوس ثم امتد بطشه الى قواد جيوشه الموجودين في أقاصي الجهات من الاقاليم وقبض على كاربولا فاتح أرمينيه وقطعت رقبته وكذا على روفوز أوالاخر وصكريبونيوس قائدي الجيش في جرمانيا ولم يشهر قطع رقبتهما بل قتلهما من دون اشهار واتضح جليا للقواد الاخر أنه لا يمكنهم خلاص أنفسهم من مثل هذا القضاء المشؤم الا بالعصيان فمن ثم قاموا في ثورة في وقت واحد في جرمانيا والغالية وافريقة واسبانيا وانتخبوا جالبه حاكم اسبانيا الجنوبية امبراطورا فابتعد عن الامبراطور قواد العساكر

وأرباب الدولة والخدم والحواشي وصار نيرون بمفرده فالتجأ على الهرب الى عشة واحد أصله من الرقيق كانت في ضواحي المدينة ومن بعد أن قضى فيها ليلة على وجل ورعب أمر الرقيق أن يقتله خشية التمكن من القبض عليه بواسطة عساكر الخيالة المرسلين في طلبه ومات في سنة ٦٨ بعد الميلاد في يوم ٩ يونيه من هذه السنة وكان عمره ثلاثين سنة وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة

وفي مدة هذه السلطنة عصى البريطانيون تحت قيادة ملكتهم الماهرة بودسيه في سنة ٦١ بعد الميلاد فأخضعهم سلسوطينوس ثانية وكذا ثار اقليم يهوذا في عصيان بسبب ما حصل لاهله من جور حكومة غسيوس فلوروس وكان ابتداء حرب اليهود في سنة ٦٦ بعد الميلاد فأرسل نيرون وسباسيان قائده الشهير لمباشرة اجراء الحرب فقاد وسباسيان هذا الحرب ودبر أمره مع الشدة والثبات ولما مات نيرون جعل نفسه سيدا على كامل جهات فلسطين تقريبا

وفي مدة هذه السلطنة أيضا دخلت الديانة المسيحية في مصر بواسطة مرقس الانجيلي تلميذ الرسول بطرس ونولد من وعظه وخطابته دخول الجم الغفير من أهل الاسكندرية في الديانة المسيحية الا انه من بعد ما لبث مرقس قليلا في الاسكندرية عاد الى رومة في نحو السنة الحادية عشرة من هذه السلطنة وجعل انيانوس محافظا بدله على تقدم أشغال الكنيسة فكان انيانوس المذكور أولا أسقفا مسيحيا تولى الاسقفية في مدينة الاسكندرية

وفي مدة سلطنة كاليجولا وكلوديوس ونيرون توالت اغارات عرب اتيوبيه على الحدود الجنوبية لمصر وانتشرت قبيلة بلمي أهل الشجاعة والرعب تحت هذا الاسم انتشارا زائدا في كل قرن حتى جاسوا مصر وعثوا في أراضيها وخربوا المدائن الموجودة على شاطئ النيل من أسفل أتيوبيه وبسبب ما وقع من المصائب بين المدنين في الاراضي الواقعة على شاطئ النيل من فوق شلال أسوان عد قدماء السياحين من الخريق عشرين مدينة موجودة على كل من جهتي النيل بين أسوان ومروى ولما وجدت الحكومة الرومانية وقتاعندها بالنسبة لخلوها من الاشغال المهمة عزمت على عقاب هؤلاء الجيران وصدهم من غاراتهم فأرسلت واحدا من ضباط العساكر ومعه الخفر اللازم من العساكر الرومانية فمن بعد أن تجول في داخل النوبة من فوق أسوان عاد وقال بعد عوده ان كافة الجهات والاراضي عبارة عن صحار ولا يوجد فيها مدينة فيما وراء نوبيا ويوجد هيكل بني في مدة سلطنة نيرون في الواحات الداخلة أو الغربية فيظهر على هذه القطعة أنها كانت في زمن الرومانيين أحسن مما كانت عليه في زمن الحكومة المصرية وهذا الهيكل بعيد جدا من مدائن وادي النيل فيحتمل أن هنالك محلات مخفية داخله في الصحارى مثل هذه الجهة كان هرب اليها كثير من المصريين عما حل بهم من مصائب جباة الخراج الرومانيين

وكان العمل المشهور الوحيد في المدة الاخيرة من سلطنة نيرون عود بناء مدينة رومة على منوال منظوم ورأى مقبول وصار تعريض شوارعها وجعلها على خطوط مستقيمة وبنيت الاماكن والمساكن بالاحجار المنحوتة وعملت الاحتياطات اللازمة في منع سريان نيران الحرائق بأن فصلت الاماكن من بعضها بمماش وعطف عريضة وأدخلت المياه النقية العذبة في كل بيت ولما خرب السراية الامبراطورية ودمرتها الاشتعالات السارية بنى نيرون سرايته المسماة بسراية الذهب على منوال فاخر ومنظر باهر ما شوهد مثلها قبل في مدينة رومة

وكان عمر صولبسيوس جالبه الذى خلف نيرو ينيف عن سبعين سنة فى الوقت الذى ارتقى فيه الى لبس الثوب الارجوانى وكان رجلا على غاية من الكمال ومن الطائفة القديمة الرومانية فتولد من بساطة طبعه وشدة اقتصاداته التى أدخلها فى الاعمال العمومية لاموال المالية فى راحة ورفاهية الطائفة العسكرية والامة الرومانية الكراهة العدوانية ولما وصى بأن يكون بيسو ليشينيانوس خليفته من بعده وترك أوطو ندم نيرو وكان فى أمل أن يكون هذا السمو مقصورا فيه أثار أوطو فى ثورة وذبح جالبه وبيسو وقرر فى الوقت مجلس السناتو الموجود تحت رق التصديق فقط أوطو امبراطورا فى ١٥ ينايرسنة ٦٩ بعد الميلاد

وكان صالفيوس أوطو فاسد الطبع فاجرا منهمكا على كافة أصناف الموبقات وكان لا يخشى فى النقائص والعيوب لومة لائم وكان زوج بوبيه العاهرة رفيقة نيرو فمن ثم كان على جانب كبير من الفسق وكان بأى حالة لا يصلح للوقع الذى تقلد زمامه فحصلت المشاحنة بجلوسه من الفرق العسكرية الموجودة فى جرمانيا ونادوا على قائدهم بالامبراطورية وكان القائد لهم فيطليوس فانتشبت واقعة بين الخصمين فى نواحى بدرياقوم بالقرب من مجمع نهر أده بنهر البو انهزم فيها أوطو وقتل نفسه بنفسه من بعد أن تسلطن ثلاثة شهور وكان هذا فى ١٦ ابريل سنة ٦٩ بعد الميلاد

وكان فيطليوس فاسد الطبع فاجرا أضل من أطو وكان فى الشجاعة أقل من خصمه ونسب كامل نجاحه وظفره لمساعى قواده واجتهادهم وبمجرد وصوله الى التخت ظهرت عليه دلائل عجزه وتولد من نفسه وخسته تجريده من حكومته وتاجه ومن بعد مضى بضع شهور من جلوسه على التخت قام وسباسيان ببيرق العصيان وكان تغلب على نحو جميع فلسطين وتمم حرب اليهود وحاصر أورشليم وساعده فى عصيان الفرق العسكرية الموجودة فى الشرق وأجل طوائف المملكة عموما ولبس الارجوانى وفى ظرف الاسابيع القليلة التى مضت بين أخبار موت أوطو ولبس وسباسيان الارجوانى فى سوريا تقرر فى مصر امبراطورية فيطليوس بواسطة العساكر الموجودة فيها لكنه بمجرد سماعهم أن الجيش السورى انتخبوا امبراطورا آخر وخلعوا بيعتهم لفيطليوس وعهدوها الى خصمه فى سوريا وكان وسباسيان فى مدينة قيصرية حالما وصلت اليه الاخبار بموت أوطو وتقرير فيطليوس على التخت بواسطة الفرق الجرمانية وكذا حصل القرار عليه فى رومة فمن دون أن يضيع أدنى لحظة فى ممارغبته العساكر من تقديمه الى هذا السمو أعلن نفسه فى الحال بأنه خليفة أوطو وما خاطر بنفسه وأسرع فى السير الى رومة بل أرسل الى مدينة الاسكندرية رسولا الى طبريوس عامل الاسكندرية يعلمه بما صار ويأمره بأخذ البيعة له فى تلك المملكة الشاسعة وأنه واصل اليه بنفسه وقبل الفرق العسكرية بمصر ما حصل القرار عليه من انتخاب الجيش الشرقى وما قبلوا انتخاب الجيش الغربى لرئيسهم فأخذ عامل مصر بيعة وسباسيان على أهل الاسكندرية ومصر من بعد أن نكثوا بيعتهم الى فيطليوس فمن ثم صار لا ضرورة الى وسباسيان فى سرعة التوجه الى مصر وانه ما وصل الى الاسكندرية الا فى الوقت الذى سمع فيه بقتل فيطليوس من بعد أن تسلطن ثمانية شهور وصار الاقرار فى رومة على امبراطوريته وعند الفرق العسكرية الغربية

وقيل ان وسباسيان سار من سوريا الى الاسكندرية وضبط مصر وهى أشوان غلال وحبوب رومة وأرسل من قواده انطونيوس بريموس وموسيانوس لاجل اخضاع ايطاليا فهزم انطونيوس قوى فيطليوس فى

واقعة ثانية حصلت فى نواحى بدرياقوم وكانت هذه النصرة فاصلة فى الحقيقة ونفس الامر للخلاف الواقع بين الخصمين مع أن الحرب امتد عدة شهور بواسطة عساكر فيطليوس وهم لا يسمعون لقائدهم بالتنازل عن التخت ومن بعد قليل هجم جيش وسپاسيان عنوة وتغلب على رومة وصار القبض على فيطليوس وقتل فى ٢١ ديسمبر سنة ٦٩ بعد الميلاد

ولما دخل وسپاسيان الاسكندرية قابله الفلاسفة والنواب مع الابهة والاحتفال وكانت طائفة الفلاسفة فى هذه المدينة هم الطائفة الجليلة وكان أشهرهم أبولونيوس طيانة قالوا انه سافر وساح فى الجهات الشرقية وصار استاذا فى الحكمة الخرافية لمجوس بابل وسحرتها وفى أسرار الفلسفة الهندية وسبب مجيئه مصر مقابلته اسرار الفلسفة الهندية بفلسفة النساك المصرية والاتيوبية والطيوبين فكان المصريون يعتقدون فيه بأنه سر من الاسرار السماوية نزل عليهم ووصل لديهم وأظهر لهم قوة معجزاته بسحره وكهانته وصار ينبئهم بمستقبل أحوالهم بتنجيمه وكهانته فكان لابولونيوس عند وسپاسيان اليد الطولى وكان الامبراطور يجل مقامه ويزيد فى ارتفاعه وكان على الدوام فى مجلسه مدة اقامته بمصر ونظر اليه الامبراطور بصفة انه نبى مرسل له ولاهل مصر وعمل هذا الفيلسوف أعمالا للامبراطور حتى اعتقد المصريون وقالوا ان جلوس وسپاسيان على التخت هو بأمر الهى وذلك أنه بينما كان وسپاسيان ماشيا فى أحد شوارع المدينة اذ ارتمى على أقدامه رجل فاقد البصر وتضرع الى الامبراطور أن يرد عليه بصره لان الاله سرابيس قال له انه لا يرتد عليه بصره الا اذا تكرم الامبراطور وسپاسيان وبصق فى جفنيه أو تفل فى عينيه وكذا أتاه رجل آخر كانت يده مقطوعة وقال له ان الاله سرابيس قال له ان يده لا تعود الى أصلها الا اذا داس عليها الامبراطور وسپاسيان بقدميه فضحك الامبراطور منهما وطردهما فصارا يتضرعان حتى قبل اجابتهما فتمالق اليه فى ذلك أصدقاؤه وتفاخر حكماء وأطباء أهل الاسكندرية فى هذا الفعل وفيما اذا يكون فيه قوة على مداواة هذين الفقيرين فطلب الامبراطور الشخصين أمامه وداس على يد واحد وتفل فى عينى الآخر أمام الجم الغفير من أهل الاسكندرية فأذاع المتملقون انه أبرأ الاكمه وأعاد اليد المقطوعة للاقطع

وأرخ فلافيوس وسپاسيان سلطنته من ابتداء شهر يوليه سنة ٦٩ بعد الميلاد وأثبت لنفسه المهارة والشجاعة وجودة الحكم فى الاحكام والادارة حتى ان رومة ما شاهدت عدلا مثل عدل أحكامه من عهد أوغسطوس أو قطافيوس وكان على دراية تامة من حسن معرفته كيف يقارن الشدة مع اللين والاقتصاد مع الكرم وادارة ساكنة مع عنف عسكرى ويجرى كل شئ من ذلك فى محله ووقت لزومه ونالت المملكة فى مدة سلطنته مرة أخرى درجة عالية من درجات سطوتها وشهرتها التى فقدتها وانفجر فى مبادى سلطنته ثورة مهولة فى نواحى جرمانيا تحت قيادة سفيليس وكان قصد هذا تشييد مملكة مستقلة فيما وراء نهر الرين وانتشرت هذه الحركة الى الغلية الشرقية وحض سفيليس كلا من سابنوس وكلا من سيكوس باعلان استقلالية مملكة الغلية فرفض الغليون قبول الدخول فى العصيان والثورة وتوجه تريالس قائد وسپاسيان وسكن الحاصل فى هذا الاقليم بسهولة وأما وسپاسيان فانه سار الى جرمانيا بنفسه وطرد سفيليس الى خلف نهر الرين فى سنتى ٦٩ و ٧٠ بعد الميلاد

ولما ترك وسپاسيان أرض يهوذا حوّل على عهدة ابنه الاكبر طيطوس زمام الحرب المعتدية الخورية فسار طيطوس فى سنة ٧٠ بعد الميلاد الى اورشليم وحاصر المدينة وتغلب عليها وخربها من بعد أن

دافع عنها أهلها أشد المدافعة الممكن اجراؤها فى المحاصرات الجديرة بالذكر فى التاريخ وذبح أهلها أو باعهم فى أسواق الرقيق وانقضت حياة الامة اليهودية فى أورشليم وتدمرت المدينة بالكلية وأما فى بريطانيا فان حدود الممالك الرومانية فيها أخذت فى التقدم الى الامام بمعرفة اغريقولا وكان توظفها كما فيها فى سنة ٧٨ بعد الميلاد من ابتدا نهر الوش والذى الى حد نهر سلوى فربث والطين واستمر هذا الحد باقيا وأقيم عليه خط مستحكم من القلاع قاطع للبرزخ الجامع بين انكلترة واصكوطلانده وفى مدة سلطنته تم فى مصر عمارة المعبد الاكبر فى كنف فى لاطوبوليس وكان الشغل جاريا فيه من عدة سلطنات مضت ويحتمل من عدة قرون وكان من أجل العمارات وأفخر البنايات المصرية فى عصره وكان له ايوان كبير محمل على صفوف من عمد فخمة لها تيجان على هيئة ورق اللوفر منقوش على سقفه منطقة البروج مثل الهيكل الموجود فى دندره وأشياء كثيرة محفور اسمها على حوائط المعبد واسم وسباسيان منقوش على حوائط مدخل هذا المعبد الكبير

وظهر على أعمال وسباسيان فى داخل مملكته علامات النجاح ودلائل الفلاح عيانا وانتظمت خزائن المالية وزال ما كان فيها من الاختلالات والبلية وصارت أعمالها تحت قواعد ثابتة وأعيد الضبط والنظام فى الجيش الى ما كان عليه أولا وانتشرت قواعد وأصول التعليم والتهذيب وتقوت أحواله تحت رعاية المملكة ويتولد مما أجراه الامبراطور من تعميم الاشغال العمومية استخدام الكثير من طائفة الشغالين وأرباب الصنائع ونظم الجهة التى كان أحاطها نيرون بسور وجعلها خاصة له ميادين عمومية وأقام فى ناحية منها الملعب أو الانفيتاتر الفلافيانى ومات فى سنة ٧٩ بعد الميلاد

وكان وسباسيان قبل موته أشرك معه ابنه طيطوس فى حكم المملكة فلما هلك أبوه خلفه طيطوس فى السلطنة بمفرده من دون معارض ولا منازع فشغل طيطوس نفسه مع الصدق والصداقة بالاشغال التى يعود منها النفع والسعادة على قومه مع انه كان مسرفا وأكسب نفسه جرائم خاصة بشخص نفسه يؤسف عليها الا انه من الواجب درجه ضمن عظماء الامبراطورات الطيبين وقالوا انه قال فى غروب يوم من الايام لم يتناول فيه أشغالا نافعة انه ضيع يوما من أيام سلطنته وفى مدة سلطنته حصلت حادثة انفجار جبل وزوف وقذفت منه مواد من الجمر والدخان على كل من المدينتين الظريفتين ذواتى الافنان والثروة وهما مدينة بومبى وهركولانوم وكذا اشتعلت حريقة مهولة فى رومة لبثت ثلاثة أيام وثلاث ليال ثم أعقب هذا هواء أصفر أو طاعون مقفن فأمر طيطوس من كرمه وسخائه بأن كل ما فقد من الخسارات يكون على حساب مصاريف نفسه وباع متاعه حتى زخارف سرايته وزينتها وصرفها فى تكاليف عود البناء فى الجهات التى دمرتها النيران وعهد الى أخيه الاصغر دوميطيان بولاية عهده من بعده قبل موته بقليل

وما حصل عند جلوس دوميطيان على التخت معارضة ولا انتشب اختلاف ولا ارتباك وكانت جميع طوائف الامة مائلة اليه ومحبين له بسبب ما رأوا من احسان وكرم أبيه وأخيه من قبل فأثبت لنفسه من بعد جلوسه مخالفته بالكلية فى صفاته وأعماله لكل منهما فكان رجلا عبوسا حسودا بالطبع انهمك فى نقائص الحسد ومال الى العنف والجبروت وانفجر فى السنة الاولى من سلطنته حرب مع الداسيين وكانوا أغاروا على موزيا وهزموا فرقة من العساكر الرومانية وخربوا الاقليم فأرسل دوميطيان فى سنة ٨٦ قبل الميلاد جيشا الى داسيه لاجل البطش بهم والانتقام منهم جزاء ما وقع منهم من السفاهة

والوقاحة فانهزم هــذا الجيش وكان النصر فى السنة التالية للرومانيين على الداثيين فعقدت معاهدة سلمية فى سنة ٩٠ بعد الميلاد مع الداثيين اتفقت فيها رومة على دفع خراج معلوم سنويا فى نظير عدم اغارة الداثيين على موزيا وما كان دوميطيان كثير الظفر والنجاح فى جرمانيا فانه فى سنة ٨٤ قبل الميلاد عبر نهر الرين وحاز مظفرات قليلة على شاطئ النهر وفى سنة ٨٧ بعد الميلاد خاب فى هجومه عنوة على مدينتى ماركومانى وكارى وكذا على سرماطى وتولد مما حصل له من الخيبة وعدم التوفيق فى هــذه الغزوات زيادة فى توحشه فصار شــديد العنف والقساوة وأحياطر يقة الشبه والتهم الملفقة فى سلب أملاك الرعية وفقــد الانفس وخراب المنازل العامرة وأخيرا لما يئست منــه الانفس وصار لاخير فى ذاته وصــفاته واشمأزت طبيعة الامة منه صار قتله فى السنة السادسة عشرة من سلطنته وذلك أنه ذبحه معتوقوا السراية الامبراطورية وكان الحامل لهــم على هذه الفعلة ما حصل منه من الخطر المؤدى لفقد حياتهم وكان قتله فى ١٨ سبتمبر سنة ٩٦ بعد الميلاد فنشأ مما حصل من الشدة والقساوة التى فعلها دوميطيان اختــلال نظم قاعدة الوراثة حــتى ان مجلس الســناتو قرر ما كان عليه من حق انتخابه الامبراطورات من عهــد أوغــطوس أوقطاقيوس وانتخب الخليفــة من بعــد الامبراطور المقتول وما عارض فى انتخابه قواد العسكر به بل طلبوا القصاص قاتلى دوميطيان

وكان عمر كوكسيوس نرفه الامبراطور الذى صار انتخابه بمعرفة مجلس الســناتو ستا وستين سنة وكان رجلا متوسطا فى طبعه وأخلاقه وتدبيره فى أعماله فأبدل القانون الدموى الذى كان أصدره دوميطيان بحكومة على غاية من عظيم الادارة والســياسة وأبطل ما كان جاريا من الاسراف والتبذير فى السلطنة السابقة فى أموال المالية واقتصد فى كامل فروع الحكومة وألغى وظائف التجسس ووظائف ضبط الاملاك والاموال وبما ان هــذا الامبراطور كان مجردا من الولد انتخب بتصديق الســناتو خليفته من بعــده عواليبوس طراجانوس وتبناه فى محافل رسمية كالعادة فتولد من هــذا العمل فضل حالة الادارة القابلة فى توليــة الامبراطورات فى المســتقبل وصــار تقرير قاعدة فى الحــكومة بأن الواجب على الامبراطور أن ينتخب من يكون فيــه اللياقة والكفاءة من أهل المملكة الرومانية لحكومة المملكة ان لم يكن له ولد و يتبناه ويجعله ولى عهده من بعــده ومات نرفه فى سنة ٩٨ بعد الميلاد وجلس ابنه المتبنى من بعده على تخت الامبراطورية

وفى مدة هــذا القرن انتشرت عقائد الديانة المسيحيــة وخرج من أورشليم وهى مركز قاعدة هذه الديانة المســيحية رسل مبعوثون الى الامم الشرقيــة يخطبون دينهــم العجيب و يقيمون كنائس المسيح فكان برناباس وسول مشــتغلين بتعليم هــذا الدين فى مديــنة انطاكيه من أعمال سوريا وأطلق فى انطاكيه نفسها على طلبة الديانة الذين خرجوا من هذه المدينة اسم مسيحيين ثم جاء عقب ذلك ســياحات لقديس بولص و به انتشرت الديانة المســيحية فى آســيا الصــغرى وفى الجريس وأخيرا فى رومة نفسها وذهب أسيرا شهيد الديانة فى مدة سلطنة نيرو وفارعبت سرعة تقدم الدين الجديد الرومانيين وأذهلتهم فسعى نيرو واجتهد فى صد هذه الديانة ومنع تقدمها بوقوع الظلم والتعدى على تبعتها واستمر هذا الجور حاصلا بواسطة خلفائه على المسيحيين الا انه رغما عما كان حاصلا من هذه الاعمال الجورية استمر الدين الجديد آخذا فى الانتشار بسرعة والزيادة فى الجهات من المملكة الرومانية

وما كان طراجان الامبراطور الجديد وطنيا من أهل ايطاليا بل كان من أهل مستعمرة ايتاليانية

في اسبانيا وتوظف أبوه قنصلا ونائب قنصل وكان طراجان نفسه تربى في المعسكر واستخدمه أبوه تحت ادارته في أشغال ظهرت فيها نجابته وتوظف في سنة ٩١ بعد الميلاد قنصلا في حكومة دوميطيان ثم توظف حاكم الاقليم الاسفل من جرمانيا في مدة هذه الامبراطورية وفي مدة ترقيه وكان أول امبراطور جلس على تخت الامبراطورية من الاقاليم ومن ابتداء هذا الوقت انتقل قضيب الامبراطورية الى أيدى الرجال الغربيي المولد عن ايطاليا وكان في جرمانيا حالما وصلت اليه أخبار عهد ترقيه له ثم أعقبها درجة سمو الامبراطورية ورأت الامة في مدة ترقيه أنه أمهر رجل في رومة وقت وصوله الى التخت فمن ثم صار قبوله مع الابتهاج بكل من مجلس السناتو وقواد العسكرية وكان الرومانيون يرون أنه أجل امبراطور وأعظمه خلقا وخلقا الا أن عيبه كان انهماكه على الشرب واللهو والبسط الا أن خصاله الجيدة كانت كثيرة مجيدة فكان شجاعا شغالا عفيف النفس متواضعا في ذاته وصفاته بسيط الطبع أنيس الفعل بشوش المقابلة يعرف كيف يقارن الشدة باللين والكرم بالاقتصاد وعكف نفسه على الاشغال اللازمة للمملكة مع حسن العشرة ومحبة الالفة فالورا عيناه بالنسبة لما كان عليه من الاحساسات الجليلة والمقاصد الجميلة أمكننا أن لا نجعل أي شئ جليل القدر الا وهو فيه فانه كان قائدا كما كان مدبرا وجعل نفسه في أشغاله في مواجهة الدرجة الاولى من الحكام الرومانيين وعادل أوغسطوس في شئ منها وبوليوس قيصر في الدرجات الباقية وكان لا يكل ولا يمل ولا يسأم من كثرة الاشغال وتدبير الاعمال ومباشرة ادارة الحكومة بنفسه ورتب المخابرات الواسعة مع حكام الايالات والاقاليم وكان يرسل لكل منهم الاجراآت والتعليمات المقتضى اجراؤها في الاقاليم وأبعد أهل الغيبة والنميمة وضغط عليهم بيد قوية ضغطا شديدا حتى قرض منهم ما كانوا عليه من الخصال القبيحة وراعى حقوق مجلس السناتو وسمح لاعضائه بحرية الكلام والمناقشات في المجلس وعاملهم معاملة المشتركين معه في أحكام المملكة وادارة أشغالها ونجح ما أجراه من الادارة والتدبير في أموال خزائن المالية نجاحا تاما وباشرها مع الحزم واصابة الرأى حتى صار لا حاجة له في أن يذهب مذهب زيادة الضرائب أو العوائد أو ضبط أملاك الناس وعقاراتها وصارت الخزينة العمومية ملآنة على الدوام بالنقود حتى ان الامبراطور صار لا عوز له ولا فقر لنقود يصرفها على الغزوات أو في أشغاله العمومية أو في أخذه الاحتياطات اللازمة لخلاص رعاياه مما اذا نزل بهم مضايقات أو شدائد وأصلح القانون الذى كان أصدره نرفه ونقحه وزاد عليه بعض مواد ضرورية وخلص أرباب الاملاك مما كانوا فيه من مضايقات الاحمال والديون بكونه أقرضهم نقودا بأرباح قليلة وأمر ببناء أو ترميم ما أتلفته الزلازل والعواصف من دون بطء حركة وشيد المستعمرات وعمر السكك العسكرية في سائر أنحاء المملكة وأنشأ القناطر على نهر الرين ونهر الدانوب وحلى رومة وزخرفها وكذا مدائن الاقاليم باشغال عمومية نافعة وكان أشهر هذه العمارات وأجلها في رومة الميدان أو الفوروم الاكبر وخزانة الكتب الاولبيانية وكان طراجان يراعى ما يعود بالنفع على رعيته وما صرف شيأ على نفسه وكان يجد لنفسه في أثناء اشتغاله بهذه الاعمال الكبيرة زمنا لاستئنافه القضايا الواردة الى ديوانه من الدواوين الاخرى الموجودة في ممالكه

وكانت سلطنة طراجان في الآداب والمعارف تعادل الدرجة الثانية من سلطنة أوغسطوس أو قطافيوس فكان في مدة هذه السلطنة طاسيوس المؤرخ الاكبر وبلينى الاصغر وبلوطارش وسوطينوس والغلام الفيلسوف ابكطيطوس وغيرهم من كبار المؤرخين والفلاسفة عائشين تحت

ظل جوده وكرم سلطانه

وكان طراجان مشغولا فى سلطنته بفكر أن يشهر نفسه فى العصور القابلة بأنه كان رجلا فاتحا شجاعا باسلا وكانت مدة الفتح والتغلب انقضى نحبها وتم أمرها لانه كان يرى على الدوام أن نهر الرين ونهر الدانوب والفرات هى الحدود المحددة للملكة كما أشار أوغسطوس على خلفائه بذلك ومع هذا فان طراجان رأى انه من الانحطاط وعدم الاعتبار فى المملكة دفع رومة الخراج القبيح الذى كان قرره دوميطيان فى سلطنته سنويا الى مملكة داثيه فأهاج فى سنة ١٠١ بعد الميلاد حربا على داثيه وعبر طراجان فى هذه السنة نهر الدانوب فى رأس جيش مؤلف من ٦٠٠٠٠ نفس ومن بعد محاربة شديدة مع القبائل الحربية الداثية تغلب على مدينتهم سرمزغطوزه أو فارهلى وأرغمهم على قبول صلح خسر وافيه مقدارا وافرا من أرضهم وبلادهم وضربت رومة على داثيه شروطا صعبة جدا تولد منها فى سنة ١٠٤ عصيان الداثيين فعزم طراجان على أن يضيف الاقاليم الموجودة فيما وراء نهر الدانوب اضافة مستمرة الى الممالك الرومانية فلما رأى دسبلوس انه حصل التشتت فى قواه وهجم طراجان على مدائنه وحصونه وأخذ سرايانه قتل نفسه بنفسه حتى لا يقع أسيرا فى يد خصمه وصارت داثيه وهى اقليم دائرته ١٣٠٠ ميل محدود بنهر الدانستر ونهر الطيس والدانوب الاسفل والبحر الاسود اقليما رومانيا (واسمها الآن رومانيا أو ملداويا وولاخيا وعاصمتها بكراش) وغير طراجان اسم عاصمتها باسم أولبيا طراجانه على اسم الامبراطور ولقب الامبراطور نفسه بلقب داثيطوس وجلب طراجان اليها مستعمرات رومانية من جهات مختلفة من ممالكه وغرسها فى أرضها لاجل عمار البلاد ونشر صنائع التمدن بين وطنيى هذه المملكة وأسس المدائن والقرى وعمر الطرق والسكك وشيد الاستحكامات وصار اللسان اللاتينى هو لسان البلاد وأنشأ فيها خط قلاع مستحكم فى الجهة المعروفة اليوم باسم الدوبروبجه من أعمال رومانيا بين كوستنجه على البحر الاسود وبوغازقوى على نهر الدانوب ولما عاد الامبراطور الى رومة عقد له موكب النصر مع الالعاب فامتد عيد هذا الموكب ١٢٣ يوما ذبح فيها ١١٠٠٠ من الحيوانات الوحشية و ١٠٠٠٠ من ضاربى السيوف خصوصا من أسرى الداثيين

وفى نحو غلاق هذه السلطنة دعت حالة الاعمال العمومية التى لا يمكن فصلها فى الجهات الشرقية لتوجه طراجان الى الحرب مع فارطيه وذلك أن خسروملك فارطيه وهو الملك الخامس والعشرون من العائلة الكيانية استحوذ بالغلبة على أرمينيه وكان جاريا تعيين ملوكها بواسطة رومة وأجلس على تختها ابن أخيه وأسرع طراجان فى سنة ١١٥ بعد الميلاد فى ازالة ومنع هذا التعدى ووصل الى انطاكيه وكانت نقطة أس حركاته وتحرك بجيوشه منها الى أرمينية وغار عليها وأخضعها بسرعة فتقهقر الفارطيون وجعل الامبراطور أرمينية اقليما رومانيا وتغلب على القسم الشمالى من ميزوبوتاميه وأخذ بب ومدائن أخرى فلقبه عساكره فى هذه النصرات باسم فارطيكوس ولقبه مجلس السناتو بلقب أوبطيموس

وكان الحرب الثالث وهو الاخير على شواطئ نهر الدجلة مع الفارطيين أيضا ثم عاد الامبراطور لقضاء فصل الشتاء فى انطاكيه وكان فيها فى الوقت الذى حصلت بها الزلزلة فى سنة ١١٦ بعد الميلاد وهى آفة مهولة أعقبها بريق البرق والرعود وعواصف رياح شديدة فانهدمت منها المساكن والمنازل وذهبت

المبانى كأنها فوق مياه البحر المحيط وتخلخلت الحوائط عن أساساتها وهدمت فوق سكانها ونجا الامبراطور بنفسه وطرح نفسه من شباك المنزل الذى كان به الى الخلاء ولما هدأت اشتغل مع عساكره ليلا ونهارا بكشف الردم عن المردومين ووجد كثيرا من الاحياء بين الاموات سقفا عليهم أخشاب سقوف الاماكن ومن العجائب الالهية والحكم الربانية أن صار الكشف فى وقت ازالة الردم عن طفل صغير يرضع من ثدى أمه وهى ميتة فسبحان من جلت قدرته حفظ اللبن فى ثدى الام الميتة لاحياء الطفل الصغير ابنها وهذا من عجائب الحكم الربانية وفى فصل ربيع هذه السنة أى سنة ١١٦ بعد الميلاد ساق طراجان جيشه الى نهر الدجلة وعبر النهر وتغلب على قطزيفون (المدائن) وهى عاصمة فارطية وموجودة على الشاطئ الايسر من هذا النهر وخسرو متقهقر أمامه فأضاف طراجان الى ممالكه أشور ياو بابلونيا وميزوبوتاميا وكان مقصده كسر شوكة الفارطيين ودمار دولتهم الا أن مظفراته وأعماله هذه كانت وقتية لان ثمرات الفتح سلمها خلفاؤه من بعده الى أربابها باختيارهم وسار طراجان تابعا فى سيره الى مجرى نهر الدجلة حتى وصل أخيرا الى الخليج الفارسى ثم الى البحر المحيط الهندى و وقف على ساحل البحر وقال كنت أود أن أتوجه الى الهند لو كنت صبيا ودعت الضرورة لعوده ورجوعه بسبب ثورة حصلت من الامم المغلوبة فى مدينة قطزيفون (المدائن) فوصل طراجان اليها وطحن هذه الثورة وأجلس برطاماسسباطيس من أهل البلاد على كرسى فارطية ملكا تابعا للدولة الرومانية من أجل توطيد سلطة رومة فى هذه البلاد وفى مبادى سنة ١١٧ بعد الميلاد انفتح حرب جديد فى نواحى بلاد العرب فبينما كان طراجان محاصرا مدينة عطره وهى معقل حصين فى الصحراء أصابه مرض فمن بعد أن عهد قيادة الجيش الى هادريان مع عموم مباشرة أعمال الشرق وجه عزم سيره الى رومة فمات فى صلقوس من أعمال سيلسيا وحمل رماد عظامه الى رومة فى قارورة من ذهب ودفن تحت العمود المسمى باسمه فى رومة

وخلفه على تخت الامبراطورية ابنه المتبنى هادريان وكان بعيد القرابة منه وكان هادريان الرابع عشر من الامبراطورات الرومانية من ذرية عائلة كانت قاطنة فى أرض القبطلان من أقاليم اسبانيا وكان مولده فى رومة سنة ٧٦ بعد الميلاد وخدم تحت قيادة طراجان مع الشرف والسمو وكان عمره اثنتين وأربعين سنة فى ذلك الوقت الذى وصل فيه الى التخت الامبراطورى فى سنة ١١٨ بعد الميلاد وكان خاليا من الاولاد يشابه طراجان فى كثير من الاحوال فكان لطيف الذات ظريف الخصال سخى اليد صرف أموال المملكة مع الاسراف والتبذير فى خدمة المملكة وصلاحها وتقدمها ونجاحها الا أنه دبر خزائن المالية مع التبصر والتأمل فى الاحوال الدنيوية حتى انه لم يحصل فى الخزينة أدنى عجز ولا انحطاط ومع أنه كان مباشرا مملكته بيد قوية وهيئة معنوية الا أنه كان متوسط الحالة فى أعماله وجعل هيئات الحكومة فى صورة أحكام حرة وكان يضارع طراجان فى قدرته واعتكافه على الاشغال وما كان يدخل أوقات حظه فى واجبات أمور مصلحته وكان محبا كريما للصنائع وأخاصا دقا للآداب والمعارف وكان مثل أغلب رجال عصره محلولا فى أمره الا أنه لم يضر نفسه أو يهينها فى وقوعه فى زلة من الزلل وكان سريع الغضب زيادة عن طراجان وأكثر غيرة وحمية الا أنه كان يتخلى عن هذه العيوب باستصوابه نجاح السلم عن نجاح الحرب فعكف نفسه مع حزم الرأى على اصلاح أحوال ممالكه وتحسين حالة بلاده وأمته من دون أن يهتم فى اتساعها ونال منال الصدق فى ارتقائه الى درجات الكمال

عند كافة رعاياه

وابتدأ هادريان فى سلطنته بكونه أخلى تبرعا منه أقاليم ارمينيه وميزوبوتاميه وأشوريا التى كان طراجان تغلب عليها لما تحقق اليقين أنه لا يمكن بقاؤها من دون أن يصرف عليها أنفسا وأموالا زيادة عن قيمتها وما يأتى منها ولاجل معرفته بنفسه احتياج رعاياه ساح فى الاقاليم المختلفة من ممالكه خمس عشرة سنة أى من سنة ١١٩ الى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وكان أكبر سياحى زمانه فكان أينما توجه يترك وراءه مبانيه وعماراته الدالة على حضوره فى الجهة التى وصل اليها وأقام فيها من استحكامات ومجارى مياه وهياكل وسرايات ومدائن فمن بعد أن زار الغلية وعمل سدا من خط مستحكم بين نهر الدانوب ونهر الرين طوله ٢٤٠ ميل لاجل حفظ بلاد الغلية من الغارات الجرمانية عبر البحر الى بريطانيا فى سنة ١٢١ بعد الميلاد وشرع فى عمل السد المشهور أو الخط المستحكم المتصل الذى لم تزل آثاره باقية فى طول ينيف عن سبعين ميلا ممتدا من نهر سلوى فرث الى المحيط الجرمانى تحفظا على بريطانيا من الاجناس الشديدة البأس الموجودة فى الجهة الشمالية منها ثم عاد الامبراطور الى الغلية وقضى فى طرغونة من أعمال اسبانيا فصل الشتاء ثم توجه الى افريقه فى فصل ربيع سنة ١٢٢ بعد الميلاد وسار منها الى مصر وكانت زيارته لها فى السنة السادسة من سلطنته وتشرفت مصر بزيارة الامبراطور لها ودخل فيها فى وقت حصول مشاحنات ثقيلة بين مدينتين شهيرتين من مدنها وهما مدينتا منف وهليوبوليس أى المطرية أو عين شمس بسبب عجل وكان هذا العجل هو ابيس معبودهم وكانت مصر مكثت بضع سنين بغير عجل يعبده أهلها فلما وجد القسس عجلا فيه بقع بيض قام أهل المدينتين على بعضهما بالسلاح وتركوا التوفيق والفلاح وتولد من ذلك ارتباك فى الاقليم منشؤه تعصبهم وغيرتهم فى الدين وكان كل من المدينتين يدعى أن العجل عجله وأخيرا انتهت هذه المشاحنة وكان هادريان مصحوبا بخله الظريف وخليله المنيف انطنيوس فرمى نفسه فى النيل وغرق فى مدة سياحتهما نحو طيوه وكان السبب فى ذلك ان الامبراطور تكلم مع منجمى المصريين وكهنتهم فى عاقبة مستقبله ورفاهية مملكته فانبأه كاهن مصرى بان فقد وضياع أعز ما فى يده الآن هو سعادة مستقبله ورفاهية مملكته وكان أعز ما عنده وما فى يديه خليله انطنيوس فسمع أنطنيوس بفقد حياة نفسه فى رضا سيده وقذف بنفسه فى النيل فغرق وأظهر الامبراطور الحزن عليه وابتنى محبة وشكرا على صنيع فعله تذكارا له مدينة عظيمة بالقرب من محل الواقعة وزينها بالهياكل والتماثيل وسماها انطنيوبوليس تشريفا لاسم خليله وكانت على الشاطئ الشرقى للنيل تجاه مدينة هرموبوليس ثم سافر من مصر الى سوريا وآسيا الصغرى وجال بين الجزائر الجريقية فى سنة ١٢٣ بعد الميلاد وقام فى أثينة سنتين أو ثلاثة ثم عاد الى رومة فى سنة ١٢٦ بعد الميلاد من طريق سيسيليا لمشاهدة شروق الشمس من فوق راس جبل اتنا ثم ابتدأ فى سياحته الكبرى الثانية فى سنة ١٢٩ بعد الميلاد وعاد ثانيا الى أثينة وكانت أجل موقع ومحط ترحال عنده من كافة الجهات وابتنى فيها مبانى عظيمة وانتقل منها الى آسيا الصغرى ثم سوريا وبلاد العرب ودخل مصر وصعد فى النيل وأعاد قبر بومبى وعين الطريق الذى جاء منه فى نحو غلاق سنة ١٣١ بعد الميلاد ثم ابتدأ فى سياحته الثالثة فى فصل خريف سنة ١٣٤ بعد الميلاد وتممها فى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وفى هذه السياحة جال فى الاقاليم الشرقية وتوجه الى ثيبة والاسكندرية وأورشليم وصرف همته فى تقدم وفلاح الاقاليم وما كان عنده تباين ولا فرق بين الامم والاجناس

المختلفة الموجودة تحت حكمه ومن ثم كانت كافة الايالات ممالكته في خير منه ومنفعة وما حصل في سلطنته ما يغير أحوالها السلمية ولا التوفيق والنجاح الحاصل فيها

وأما الحروب التي وقعت في مدة هذه السلطنة فهي حرب مع د وكسولاني في سنة ١١٨ بعد الميلاد وحرب ثورة اليهود تحت قيادة باركوشباس في سنة ١٣١ بعد الميلاد فاستمر هذا الحرب الى سنة ١٣٥ بعد الميلاد وانتهى بهزيمة اليهود وطردهم بالكلية من فلسطين وهدم مدينة أورشليم وترتب في موضعها مستعمرة رومانية سميت باسم اليا وأمر هادريان المسيحيين الذين كان طردهم طيطوس بالاقامة فيها

وحيث تكلمنا على محاسن صفات هادريان فمن الضروري لنا الآن أن نذكر ظلمات السحب التي خيمت عليه وعلى ممالكه وذلك أنه زادت سرعة غضب أخلاقه وحماقته مع تقدم عمره وأحاط به الغيرة والحسد والانهماك في النقائص وصار لا يراعى أحدا وأخذ يقتل في الناس على أدنى غضب أو زعل فأمر بقتل رجل معماري تجاسر في الكلام أمامه على المناقضة في رسم صور بعض تماثيل كان هادريان أمر بشغلها ورسمها بنفسه وكان كلما تقدم في السن تقدم أيضا في اختلال العقل والجنون وزاد في أذى الرعية وكان له صهر وهو زوج أخته عمره تسعون سنة وكان لهذا الرجل العجوز حفيد عمره ثمان عشرة سنة فأمر بقتلهما في تهمة ثورة عليه فاشمأزت النفوس لما رأت جريان دم هذين اللذين ذاقا وبال الموت من دون وجه حق وهما أقرب الناس اليه وأشرفوا على القيام في منع فقد مثل هؤلاء المظلومين ومع هذا فان الرجل العجوز كان أثبت قبل ساعة موته براءته مما نسب اليه من تهمته وابنه في هذه الثورة التي اتهما فيها ولما لم يجد بدا من قتله دعا بدعاء الانتقام بان يبلى هادريان بعلة ويوم يتمنى فيه الموت فلا يجده فتقبل دعاء هذا الرجل العجوز المظلوم وأصيب الامبراطور بالعلل والامراض وعذب عذابا أليما وطالت عليه أيام الامراض حتى صار يتمنى الموت لخلاص نفسه وراحته فلا يجده فاستغاث بعبيده وخدمه في قتل نفسه حتى انه ضرب نفسه بخنجره الا أنه لم يمت وما أتاه الموت الخلاص له مما هو فيه لحد سنة ١٣٨ بعد الميلاد ومع ما كان فيه هادريان في آخر سلطنته من مثل هذه النقائص فانه يعد في درجة عظماء الامبراطورات وأحسنهم مع مراعاة العشرين سنة التي سار فيها في حكمه وما اعترى سلمها ولا عكر جوها شئ مع رضا الجيش وكفايته ونفوذه وصرف المصاريف الجمة مع ملء خزائن المالية بالاموال من دون وقوع جور أو حصول تعد أو وسائط قبيحة يجمع بها الاموال وكذا حرية الكلام في مجلس السنا توجمع الثبات والاقدام عليه فمن ثم لم يوجد ضعف ولا وهن فيما كان عليه هادريان من الفخر الجليل والسمو والرفعة

ووقع تدبير هادريان وحزم رأيه موقع القبول والاستحسان في انتخابه خليفة من بعده ووقوع بصره على عوريلوس انطونينوس وكان يعرف باسم انطونينوس بيوس فان مدة سلطنته التي استمرت ثلاثا وعشرين سنة كانت خالية من الوقائع والحوادث وكانت أيضا سلمية ناجحة فالحة واستمر على ما كان عليه طراجان وهادريان في سياسة صادقة وادارة رحيمة عظيمة ودبر المملكة وراقب أحوال ممالكته ورفاهية رعيته واعتنى بذلك غاية الاعتناء كالتفات الاب لاولاده وكان أول امبراطور دافع عن المسيحيين وحماهم وأعاد الثغر والحد الروماني في بريطانيا الى نهر الكليد والفورث وصارت المحافظة على هذا الحد بان أمر أن يقام عليه خط مستحكم متصل من قلاع واستحكامات أي سد أو حاجز عرف

بسد أنطونينوس وامتد قاطعا للجهة الكائنة بين مياه هذين النهرين ومات أنطونينوس فى سنة ١٦١ بعد الميلاد وخلفه على تخت الامبراطورية ابنه المتبنى ماركوس عوريلوس

وكان عمر ماركوس عوريلوس أربعين سنة وقت موت أبيه المتبنى له فكان ملازما له مع الصداقة وتسمى باسم انطونينوس فكان فى حد ذاته أجل الامبراطورات ومحبا للديانة والعدل والسلم وكانت أعماله جارية فى البحث عن تقدم رعاياه ورفاهيتهم مع الصداقة والوفاء وكان رجلا سليم الباطن والظاهر بسيط الطبع مقصورا فى صفاته جميع خصال شجعان الرومانيين وكان شفيقا ودودا وكان أجل وأعظم القياصرة فى عقله وتدبيره ومع هذا فكانت سلطنته احدى السلطنات المنحوسة فان امرأته فوسطينه بنت انطونينوس اشتهرت بفجورها وعهارتها ومات ابنه البكرى وابنته فى حال طفوليتهما وأشرك معه لوسيوس فيروس فى حكم المملكة فتولد من سيرهذا البرنس القبيح السلوك ألم أكبر وبلاء أغبر لان الامبراطور وان كان يرغب السلم واستتباب الراحة لكنه اشتبك فى حرب استمر مدة سلطنته وذلك أن الفارطيين جددوا الحروب وأوقعوا الكروب لاجل تغلبهم على أرمينية فى سنة ١٦١ بعد الميلاد وهى السنة التى جلس فيها على التخت واستمر هذا الحرب قائما مدة خمس سنوات وكان للفارطيين فى مبادى الامر النصر والظفر لكنهم طردوا أخيرا من أرمينية وزحف القواد الرومانيون وأغاروا على فارطية ومملكها فعقد الصلح برجا من الفارطيين فى سنة ١٦٦ بعد الميلاد وتنازلت فارطية عن ميزوبوتاميا لرومة ورجعت أرمينية الى حالتها الاصلية كما كانت عليه سابقا من درجة امتيازها

ومن ثم تقدم الحد الرومانى وفى سنة ١٦٧ بعد الميلاد حصل الكبس والضغط على الامم المتبربرة الموجودة فى شمال نهر الدانوب فسار وامتثل أمواج البحر فى طوائفهم مما وقع لهم من قبائل الصسطيين وعبروا نهر الدانوب بالقوة ودخلوا الاراضى الرومانية فتوجه الامبراطوران سوية لملتقى هذه القبائل والعشائر وردها على أعقابها وكانت هذه أول مرة ومات فيروس فى السنة التالية وخلص عوريلوس من قلاقله وارتباكاته وحرابيشه ومن ابتداء هذا الوقت الى حد موت عوريلوس فى سنة ١٨٠ بعد الميلاد اشتغل عوريلوس واجتهد فى طرد الامم المتبربرة وحفظ الثغور من اغارتهم عليها فكان مظفرا فى أغلب وقائعه الا أنه ما نجح فى ردع وقمع الامم الشمالية الى حالة بها يمكنه فيها الزامهم وقطع دابرما هم عليه من الاغارة وكان هذا الشغل وراء طاقته وشوكته وما حصل من كبس هؤلاء الامم الشمالية على القبائل الدانوبية كان صعبا جدا حتى صار لا طاقة لهم على الاقامة فى داخل حدود بلادهم وعجزت رومة حقيقة عن اتمام هذا المشروع الذى كان أسهل المشروعات فى أيام شماخة شوكتها الاولية

ولولا أن عوريلوس كان محبوبا فى بعض من أعماله وادارته الا أنه كان أشد الناس المعتدين على المسيحيين لانه كان من عهد شبابه تلميذا تابعا لعقائد مذهب الفلسفة الزينونية وهو مذهب زينون الفيلسوف اليونانى الشهير وما أثر فيه ما ألقى عليه من العقائد المسيحية من معاملته المسيحيين بأردا المعاملات الناشئة من مشورة أرباب الفظاظة والغطرسة من أهل مذهب زينون الاقدمين وفى مدة سلطنته هلك قتيل دينه باسطين فى رومة و بوليكارب فى ازمير و بوتينوس فى [illegible] من المسيحيين حتم عليهم باهراق دمهم وقتلوا فى دينهم وماتوا بالتعذيب [illegible]

قضى على هؤلاء القوم بمثل هذا التعدى والجور بما انهم كانوا أرباب مذهب قليلى العدد فى وقت كانت فيه ظلمات الدخان مخيمة على هذا العصر الا أن هذا كان نقصا فاحشا فى نشر السعادة الدنيوية الجارى تدبيرها بالعدل منه ومات عوريلوس فى نواحى بانونية فى سنة ١٨٠ بعد الميلاد

وكان كومودوس الابن الثانى لعوريلوس اشترك مع أبيه فى حكم المملكة وعمره خمس عشرة سنة وكان عوريلوس مائلا بكليته اليه فنظر المحبته اياه استصوب ان يفصل أمر نفسه فى انتخابه خليفة من بعده ومن ثم بمجرد موت عوريلوس جلس كومودوس أمبراطورا بمفرده وكان عمره ثمان عشرة سنة فكان قاصرا فى عقله منهمكا فى لذاته ولهوه موقع تحت سلطة ندمائه وأخلائه فكان أول عمل أجراه أن اشترى سلما بهينا من ماركومانى وكادى من بعد عوده الى رومة واستمر فى حكم عظيم وسلطان غير سقيم مدة ثلاث سنوات تابعا فى سير أعماله ما كان جاريا عليه أبوه من قبله فى الاحكام وادارة الاعمال ومباشرة المملكة وفى اخر هذه المدة حصلت منه شراسة غيرت طبيعته وأثارت حماقته وتغلبت على طبعه وكان سببها كشف ثورة كانت استعدت لقتله فى سنة ١٨٣ بعد الميلاد ووقع الكثير من أرباب مجلس السناتو فى هذه الثورة فعزم كومودوس خشية من أن تحصل له داهية على غفلة من ثورة أخرى على أن يغمس نفسه فى طيش العنف وشدة القسوة فقتل جميع الانفس الذين رأى على وجوههم أثر البغضاء الكائنة فى قلوبهم وكذا الذين لهم الطاقة والقدرة على أن يمدوا أيديهم له بالاذى والضرر فاحيا مذهب التجسس بصور وهيئات مزعجة مخوفة وذهبت أملاك المقتولين وأموالهم لثروة الخزينة الامبراطورية ووقع البيع والشراء فى العدل والانصاف وصرف الامبراطور نظره عن كل أمر يتعلق بالاشغال العمومية وغطس فى بحور لهوه ولذاته وصار لا فائدة له فى رد حواسه وعقله الى الرزانة والهدو ولقب نفسه بلقب الابطال الرومانية وعرض نفسه لمحال الملاعب فوقع فى مصائب مع أخصام له من ضعاف الناس وأمر بذبحهم من دون رأفة منه ثم من بعد أن تسلطن اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر صار خنقه فى فراش نومه بمعرفة نسائه واثنين من ضباطه كان أصدر أمره عليهما بالقتل وكان قتله فى سنة ١٩٢ بعد الميلاد

ومن هنا أخذ اضمحلال المملكة الرومانية وهبوطها فى سرعة النزول والسقوط الى أكبر المهاوى وأعمقها فى مدة سلطنة كومودوس وكان هذا الاضمحلال ابتدأ من أوائل سلطنة الامبراطور وجالبه لولا أن تداركه الخمسة أمبراطورات الحميد والسير الذين جلسوا على تخت الامبراطورية من بعد جالبه وضاع نظام الجيش بالكلية وترك العساكر مواقع ومعسكرات بيارقها وأعلامها مئات مئات وانضم بعضهم الى الايالات وقطنوها وعاشوا فيها على الزراعة وطرائق الفلاحات واجتمع البعض سوية وساروا فى هيئة مناسر ولصوص يسلبون البلاد وينهبون العباد ولا يجدون فى طريقهم قامعا يقمعهم ولا رادعا يردعهم وفى أثناء هذا ضعف أمر الامة ووهن وقلت المحصولات وزادت المحن وأما الطوائف العالية فكانوا على الدوام فى حسن عيشتهم ورفاهية حالتهم واسرافهم وتبذيرهم وتجهيزهم واردات المملكة وايرادها وفوق ذلك ضعف وجود الآداب وأخذت فى الخسة والنقصان وذهب الحياء من الناس فلولا انه كان يوجد القليل من متنورى العقول فى بعض جهات عالية الا انه صار أسلوب التألف والعمران اخذا فى نمو الفساد والخسران فى كل جهة من الجهات وزاد حمله فوق الطاقة وعدمت لذة الحياة والمعيشة الا فيما بين المحتقرين المرذلين من المسيحيين وانقطع وجود المحبة الوطنية وانقرض الصدق والامانة وظهر العجز والاهانة فى كافة أعضاء الجسم السياسى وعمت نتيجة العجز

والخيبة

والخيبة على كافة طوائف الامة وبينما كانت المملكة فى هذه الاحوال الخسيسة تحت حكم كومودوس وظهر على جدرانها الخلل والسقوط اذ شوهدت انها لم تزل واقفة مقاومة بصبرها العظيم لما نزل بها من الشدائد والمصائب التى هجمت عليها وخيمت على جوها من نحو قرنين كاملين وذلك ان قاتلى كومودوس ذهبا الى بيت برطيناكس والى المدينة وأعلموه بما فعلوه من قتلهم الامبراطور وقدموا له التاج الامبراطورى وكان رجلا طاعنا فى السن ممدوح الخصال والافعال وكان أحد الباقين المحبين الى ماركوس عوريلوس ففزع ونفر من قبوله هذا الشرف المؤدى الى الخطر الذى قدمه له هذان القاتلان وأخيرا غلبت عليه الدنيا بزخارفها وأورثت له السعادة من تدابيرها فقبل التاج من بعد أن تردد قليلا فى الوظيفة ليكون لتخت الامبراطورية خليفة وخضعت طائفة العسكرية الى قائدهم الذى هو من ضمن قاتلى كومودوس وقبلوه مع غاية الكراهة وكان مجلس السناتو له رغبة فى ارتقاء واحد من طائفته فأهل المجلس مع الابتهال برطيناكس وقرر أحكامه وكانت خزينة المملكة خالية من النقود فتولد مما أجراه برطيناكس من الاقتصاد والوفر الذى اجتهد فى ادخاله فى ادارة المملكة وقوع عداوة قواد العسكرية له وكذا قام أهل المدينة فى ضجة وغوغاء مع العسكر وحصلت ثورة جهرية وقتلوا برطيناكس فى يوم ٢٨ مارث من سنة ١٩٣ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن أقل من ثلاثة شهور

ثم وضع قواد العسكرية سمو الامبراطورية فى الدلالة والمزاد ليشتريه بأكبر الاثمان فى سوق البيع وباعوه الى ديديوس يوليانوس وكان رجلا متمولا من أرباب مجلس السناتو بما ينيف عن خمسة عشر مليونا من الريالات وخاف مجلس السناتو من مقاومته غرض هؤلاء العساكر فقرر أمر يوليانوس فتسلطن شهرين فى رومة الا انه لم يتقرر أمر سلطنته فى الاقاليم والايالات لان الجيوش فى بريطانيا وسوريا وبانونيه حصل فيها الهياج والثوران من الحركة الجارية من قواد العسكرية فى رومة ونادوا على أمبراطورية قوادهم البينوس وسفروس ونيجير وما كان سفروس من بين هؤلاء القواد أكثر حزما وتدبيرا فقط بل كان أقربهم الى رومة فى مسافات الجهات فعبر فى الحال جبال الالب وزحف بعساكره على رومة وتغلبت رسله السرية على قواد طائفة العسكرية فى رومة حتى من بعدها ما كان لمجلس السناتو من جسارة يجريها فى مقاومته على أعمال سفروس وقبض سفروس على ديديوس يوليانوس وقتله ودخل رومة وجلس على تخت الامبراطورية

وكان أول عمل أجراه سفروس من بعد أن استحوذ على العاصمة هو كسره شوكة قواد العسكرية وأمرهم بتجريدهم من أسلحتهم وأبعدهم عن رومة بمسافة مائة ميل ثم عاد على أخصامه وأسكت البينوس فى بريطانيا ووعده أن يكون الخليفة من بعده وسار الى نيجير فهزمه فى واقعتين فصلتين فى نواحى صافر وعصوص من أعمال آسيا ثم قبض عليه وقتله ثم نكث عهده مع البينوس مع العداوة له وكان البينوس أغار على الغلبة فهزمه وقتله بالقرب من ليون وصار سفروس امبراطورا بمفرده وأفهم رعيته جيدا بأنهم يجدون فى نفسه لا نفسهم سيدا وأمبراطورا فكان عبوسا شديد الطبع فقرر نصرته وظفره وجلوسه على التخت بقتله احدى وأربعين عضوا من أرباب مجلس السناتو وعددا وافرا من تجار وأغنياء الاقاليم وكان ذنبهم اعانة أخصامه عليه وصارت المملكة تحت حكومة وسلطنة سفروس عسكرية مستبدة فان مجلس السناتو ما تجرد من سلطنته وفقط بل صار مقوته معضوبا عليه عندوا مستبدل

سفروس طائفة الخفر العسكرى بقوة مؤلفة من ٤٠٠٠٠ نفس من العساكر المنتخبة ورتبهم فى هيئة محافظين على رومة ويؤدون الاشغال اللازم اجراؤها على محافظة الامبراطور وجعل قائد هذه القوة الحاكم والى المدينة وجعله هو الشخص الثانى فى المملكة من بعد الامبراطور فما كان يباشر ادارة محافظة المدينة فقط بل عهد اليه زمام مباشرة خزائن المالية ونيابة الاحكام تحت شوكة عادلة وقانون محدود فثم ما كان عند هذا القائد أدنى كراهة عدوانية لنفس الامبراطور وكان سفروس قائدا ماهرا فشرع فى اصلاح النظام فى الجيش الا أن نجاحه فى ذلك كان قليلا وفى سنة ١٩٧ بعد الميلاد اشتبك فى حرب مع قارطيه فغاب عن رومة ست سنوات مشغولا فى هذا الحرب وكان القارطيون انتصروا فى ميزوبوتاميه الا أنهم تقهقروا عند قربه منهم فنزل فى الفرات فى زورق له وسارت عساكره فى طول الشاطئين حتى وصل بابل وتفرج عليها ثم انتقل منها الى الدجلة وحاصر مدينة قطزيفون (المدائن) وتغلب عليها وذبح وباع أهلها فى أسواق الرقيق ونهب المدينة وحصل لعساكره فى هذه السفرة مضايقة شديدة من أجل احتياجهم للمؤنة وكثرت فيهم الامراض وعند عبوره من الصحراء الى سوريا قطع العرب على عساكره العلائف والمؤن واستمر عشرة أيام فى ضيق فى الطريق وحاصر مدينة عطرية حصارا كان على غير طائل وهذه المدينة التى كانت قاومت جيش طراجان فى صحراء بلاد العرب ومن بعد أن دار دورة فكه نفسه فيها فى مصر وزار منف وشاهد الاهرام واستكشف النيل عاد الامبراطور راجعا الى رومة وابتدأ فى اشهار زواج ابنه الاكبر

وكانت العائلة الملوكية مقصورة فى المملكة يوليه دومنه وولديها قرقلا وسبطميوس غيطه وصحب قرقلا أباه فى الاعمال الشرقية وأشركه معه فى المملكة وزوجه بلوطيله بنت بلوطيانوس أول وال أو نائب فى القيادة الجديدة للمدينة وفى سنة ٢٠٨ بعد الميلاد ثارت الارتباكات فى جزيرة بريطانيا على أمرائها حتى دعت الحالة لحضور نفس الامبراطور فطرد الكلادونيانيين (الاصكوطلنديين) وعاقبهم أشد العقاب وكانوا كبسوا على الجهات الجنوبية وزحفوا على الحد الرومانى من تلك الجهة وكان مصحوبا فى غزوته هذه بابنه قرقلا فظهر على هذا الشقى شراسة أخلاقه وعنفوان شبابه وسعى فى قتل أبيه فى صاحبة النهار جهرة فانسل على هذا الرجل المسن وأراد قتله لولا أن تداركه صياح العساكر فالتفت سفروس بغتة ولما وقع بصره ونظر بوجهه العبوس الى قرقلا الشقى سقط السلاح من يد من أراد أن يقتل والده وعفا عنه فى الوقت فاندهش الواقفون واستغربوا من فعل الامبراطور وعلو همته ولكن قتل كل من كان داخلا مع قرقلا فى هذه المادة شر قتلة وما كانت هزيمة الكلادونيانيين فى ميدان مكشوف ووقائع حربية معتادة بل كانوا متفرقين شرذمات وطوائف قليلة العدد فى داخل الاورمانات وكانوا يسقطون بغتة من كل جهة على جيش عدوهم ثم يعودون يختفون فى الغابات وأمر سفروس بقطع الاورمانات وتنظيفها ومسحها بالكلية لاجل حرمان هؤلاء المحاربين من الملاجئ المختفين فيها فكان ذلك من أشد الاشغال وأشقها فى ثم أتلف هذا الحرب مضاربة ومرضا وقتلا نحو اس خمسين ألف نفس على سفروس بعد تمامه وجال فى الجهة الشمالية من بريطانيا وقرر الحد بين الرومانيين والكلودونيانيين أهل اصكوطلنده وترك الخطوط المستحكمة التى كان سلفه أنشؤها حدودا فى هذه الجهة وابتنى سورا استحكامات من الحجر من نهر سلوى الى نهر الطين فى طول ثمانية وستين ميلا ونصف وثخانته ثمانية أقدام وارتفاعه اثنا عشر قدما وحفر أمامه فى الجهة الشمالية خندقا

عرضه خمسة وعشرون قدما وعمقه خمسة عشر قدما ورتب فيه أربع فرق وأربعة عشر بلوكا من العساكر وهي قوة مؤلفة من ١٠٠٠٠ نفس موزعة على ثمانية عشر محطة في طول الخط وسمي هذا باسم سفروس ثم تعكرت السنو الاخيرة من سلطنته وامتلأت بالقلاقل والارتباكات التي تولدت من ولديه قرقلا وغيطه واشتدت بينهما العداوة والبغضاء وكانا على هدو بينهما في حال حياته فقط فجعل الاثنين خليفتين له حتى لا يكون أحدهما تحت رحمة الآخر وقال لهما على وجه النصيحة كونا كريمين ودودين لطائفة العسكرية ودوسا باقدامكما على ما عدا ذلك ومات في مدينة يوركه في سنة ٢١١ بعد الميلاد من بعد أن بلغ من العمر خمسا وستين سنة وتسلطن ثماني عشرة سنة

ثم استخلف من بعد سفروس ولداه قرقلا وغيطه سوية مع بغضهما مدة سنة واحدة مع الكراهة والريب الزائد من بعضهما وفي آخر هذه المدة سعي قرقلا واجتهد في فصل المشاحنة بينه وبين أخيه بقسمة المملكة ثم قتل أخاه بين يدي أمهما في سنة ٢١٢ بعد الميلاد وصار هو منفردا بالامبراطورية على حدته وكان فاجرا مهولا لا يمكننا أن نشرح سلوك سيره وأحوال أعماله الا بقولنا انه كان رجلا مجنونا لا عقل له ولا شرع لاجل أن يتخلى من القدح والذم في صفاته وقتله لاخيه ويزيل من أفكار الناس قتله لاخيه في قتل كل من كان ينتمي لصداقة غيطه وصحبته فقتل في ذلك نحوا من ٢٠٠٠٠ نفس من ضمنهم ابنة ماركوس عوريلوس وابن برطيناكس وابن أخي كومودوس وقاضي القضاة بابنيان ومع كل هذا فانه لم يستقر في راحته ولا هدأت روعته بما فعل من هذه الفعال فترك رومة وشرع في سياحات لا قصد تحتها ولا غرض فيها في جميع الاقاليم الواسعة من ممالكه وفي هذه السياحة تمت راحته وأثبت على نفسه أنه هو العدو الالد للنوع الانساني فكان أينما توجه يجور ويعتدي على الاهالي بالضرر والاذى ويظهر شماخة نفسه ويمجد بعنفه وقساوته ومن بعد أن جال في تراسة واسيا الصغرى كانت زيارته مصر من أشأم الزيارات وأقبحها على هذه المملكة من امبراطورها وذلك أن الاسكندرانية أهل الهجو والنقد وان كانوا على الدوام في جنون وعيوب ونقائص الا أن حداقتهم وفصاحتهم كانت دائما تلجئهم على الذم والطعن على أحكامهم ووجهوا ذمهم وطعنهم على قرقلا وسخروا عليه وضحكوا منه لما شاهدوه في زي ارشيل والاسكندر الاكبر مع انه في نفسه أقل الموجودين قيمة في عصره وكانوا يذمونه على قتل أخيه وشروعه في قتل أمه فطرقت مسامع قرقلا هذه النكت الركيكة المشؤمة حالما كان في رومة واستقرت في فكره لكنه لم يظهر أدنى غيظ أو غضب من أجلها ولما توجه الى انطاكيا أشاع رغبته في التوجه لزيارة المدينة التي أسسها الاسكندر الاكبر ويتكلم مع الكاهن في معبد سرابيس فلما وصلت هذه الاخبار أهل الاسكندرية فرحوا وانتعشوا بزيارة امبراطورهم لهم وأعدوا ما ئة ثور تذبح تحت رجليه عند قدومه ولما جاء ها دخل مدينتهم في صفوف من المشاعل وكانت الآلات والموسيقات تصدح باطرب الاصوات وكان نسيم البحر معتدلا ويفوح الطياب ممزوجا براوئح العطريات والطريق مفروش بانواع الزهورات ومن بعد أن قضى الامبراطور بضع أيام في الاسكندرية بقرب فيها قربانا في هيكل سرابيس وزار قبر الاسكندر الاكبر وخلع عليه برنسه القرمزي وخواتمه ومنطقته المرصعة بالجواهر الاحجار ثمينة وروعتهم في قبره هذا الشجاع زورح الاسكندرانيون بضيفهم وزائرهم وازدحموا أفواجا في المدينة لاجل الفرجة على ليالي التهاني المتوالية نهارا وليلا في أعياد وأفراح في حب الامبراطور المجنون قلبه بالحقد الزائد والغضب الشديد الذي لم

يظهره لهم وما شوهد على وجهه شئ تنفر منه أهل الاسكندرية من أحواله المكنونة فى صدره ومن بعد تمام هذه الافراح أصدر منشورا من عنده بان كافة شبان الاسكندرية الذين فى سن الدخول فى العسكرية يلزم أن يقابلوه فى ميدان خارج المدينة وكان عندهم بعض أرط من المقدونيين والاسبرطانيين فمن ثم أظهر الامبراطور انه يرغب أن يشكل أيضا أورطة من الاسكندرانيين مثل هذه الارط فامتلأ الميدان بالوف من شبان المدينة ووقفوا صفوفا وجماعات على حسب درجاتهم وسنهم وموافقتهم لحمل السلاح وكذا جاء معهم الى الميدان أصدقاؤهم ومحبوهم وأهاليهم ليشاهدوا هذا الشرف الذى سيمنحه الامبراطور لاولادهم فسار الامبراطور من وسط صفوفهم وهنأهم بصوت عال بعزتهم وشجاعتهم عنده وفى اثناء هذا أحاط الجيش بكامل الميدان وأخذ فى القرب شيأ فشيأ من هذا الزحام حتى ضاقت الحلقة ولما رأى قرقلا قفل الحلقة انسل منها مع خفره وأعطى اشارته للعساكر فشرع العساكر فى حربهم ومزاريقهم ومدوها نحو الزحام وحملوا على أهل الاسكندرية وشبانها الموجودين فى داخل هذه الحلقة بغير سلاح وشق العساكر بطون البعض وقطعوا رقاب البعض وغرق البعض فى مجارى الخلجان والترع وكانت مذبحة مهولة حتى قيل ان المياه النيلية المصبوبة فى البحر تغير لونها الى اللون الاحمر وقت انصبابها فى البحر وعاد الشقى قرقلا مهنئا نفسه على فوزه باخذ ثأره من أهل الاسكندرية من أجل استهزائهم به ومسخرتهم عليه وما كان يوجد الا اقليم واحد هو الذى نجى أهله من كثرة قبائحه ولما عرف نفسه أنه صار ممقوتا مكروها عند رعيته تدارك أمره فى اسداء معروفه وخيره لعساكره فوزع فيهم مكافآت جليلة ولطف بهم فى النظام والضبط وفى نحو غلاق سلطنته شرع فى الغلبة على فارطية ونصب مركزه العسكرى فى عدسا من أعمال ميزوبوتاميا فى سنة ٢١٤ بعد الميلاد وعبر نهر الدجلة وتغلب على اربل والحدسنة ٢١٦ بعد الميلاد طارد الفارطيين فى داخل جبالهم الحصينة وعزم على استمرار الحرب فى السنة التالية ومن قبل افتتاحه قتله مكرينوس نائبه العسكرى والتزم مكرينوس على هذه الفعلة لاجل نجاة نفسه منه فى سنة ٢١٧ بعد الميلاد

ومن بعد أن تردد الجيش قليلا فى أمر مكرينوس أعلن بامبراطوريته وتقرر أمره من مجلس السناتو فابتدأ سلطنته باجتهاده فى ازالته الاعمال القبيحة التى كانت جارية من قرقلا ولما هزمه ملك الفارطيين انسحب من الحرب واشترى الصلح وترتب من نظاماته وتدبيره أشغال المملكة ومباشرة أعمالها عدم قبوله عند الجيش فحصل له اختلال فى عقله كما حصل لقرقلا فتشكلت ثورة ضده أضرمتها ميزيا خالة قرقلا وذلك أن أصل بيت سفروس من جهة النساء من نواحى سوريا فان يوليه هذه وهى يوليه دومنه امرأة سفروس وملكة هذا البيت كانت من أهل مدينة حمص من أعمال سوريا وبمجرد وصول زوجها الى التخت الامبراطورى وارتقت هى الى درجة امبراطورة قاسمتها أختها ميزيا فى درجة هذا السمو وانتقلت ميزيا الى السراية الامبراطورية وتزوجت وخلفت بنتين سومياسه وممئيا كن بنتى خالة قرقلا وغبطه وتزوج البنتان وخلفت كل واحدة منهما ولدا ثم اتفق أن ميزيا توجهت الى مدينتها مسقط رأسها مع بنتيها وأولاد بنتيها فى ثروة جسيمة فاضرمت الزعازع والقلاقل فى سرعة سقوط مكرينوس طامعة فى نقل قضيب الامبراطورية الى ولد من أولاد بناتها لانهما من بيت سفروس وأنهما خالة قرقلا وكان فى مدينة حمص مزار مشهور باسمه علغبلوس أى اله الشمس من أعمال الفنيقيين وآلهتهم وكان فى هذا الهيكل المطنطن ابن سومياس متقلدا رياسة القسوسية وكان شابا عمره سبع

عشرة سنة وكان بالقرب من هذا المعبد فرقة من العساكر الرومانية من الجيش السورى فكان العساكر والضباط يتوجهون الى هذا المعبد ويتفرجون على رقص هذا الشاب الظريف على ضرب النايات والاعواد حول المحراب وهو فى أفخر ملبوسه وكانوا يعرفون ان أمه بنت خالة قرقلا فوجهوا محبتهم اليه ومالوا بكل جهدهم عليه وغطى ذهب ميزيا على عقول النافرين وقام العساكر من أجل خاطر ابن بنتها الكبير افيطوس أو باسيانوس فتولد من هذا حرب انفصل بواسطة جبن مكرينوس وتركه الميدان مع أن الواقعة كانت فى ريب إماله أو عليه فتبعته قوى خصمه وقبضوا عليه وجاؤه الى أنطاكيه وقتلوه فيها وشاركه فى عاقبة وبال أمره ابنه ديادومينوس وكان عهد اليه بالخلافة من بعده وكانت هذه الحادثة فى سنة ٢١٨ بعد الميلاد

وكان باسيانوس الامبراطور الجديد شابا سوريا وتلقب بلقب علغبالوس باسم الاله الذى كان رئيس القسوسية فى هيكله فى مدينة حمص ونسب نفسه انه من ذرية سفروس وقرقلا ثم لقب نفسه ماركوس عورليوس انطونينوس الا أنه كان معروفا باسم علغبالوس فرضى الرومانيون وسلموا زعمه هذا وقرر مجلس السناتو بامبراطوريته فكانت سلطنته القصيرة مقصورة على أربع سنوات قبيحة الذكر سوداء الصحف فى التاريخ الرومانى لان ذات الامبراطور كان مجردا من الانسانية بالكلية وكان معتكفا على أردا الاحوال الحاوية لاكبر النقائص والعيوب وما كان عنده حزم أو فطنة يوصف بها وما كان يهتم بشئ سوى الشره والانهماك فى الفجور والفسق ونقش الوجه وتخطيط العيون والحواجب ودهان الوجه بالدودة والتزيى بلبس النساء وأظهر عيوبه ونقائصه جهرة أمام نظر العموم واستبدلت الاحتفالات الرومانية الجليلة بالخلاعات القبيحة السورية وعشق مخدرة عذراء ووصلها من حجابها المقدس وجعلها احدى أزواجه وتولد من تبذير واسراف هذا الامبراطور عجز واردات المملكة وفرش أرضية جهات سراياته بتبر الذهب وكان يلبس ملبوسه ومصاغه وحليه مرة واحدة ثم يخلعها على خدمه وحواشيه والطفيلية المتملقين له ووظف جدته عضوا فى مجلس السناتو فى رتبة بعد درجة القنصل ورتب مجلس سناتو من الستات والبنات خصيصا لمجلس السناتو الاصلى تحت رياسة أمه فكانت سلطة هذا المجلس وأوامره ليس فيها صعوبة على المملكة لانها كانت مقصورة على أوامر وقوانين هيئة الملبوس وكيفية رسوم درجات التحيات فى وقت المقابلات والاحتفالات ووجود الناس فى الجمعيات

ثم استمر الرومانيون مذعنين مع الصبر لهذا الانسان المهين مدة أربع سنوات ولما رأت جدته بعين بصيرتها أن عيوبه ونقائصه المتسلطنة فيه يكون منها على خطر وهلاك استمالته فى قبول ابن عمه اسكندر سفروس خليفة من بعده وتولد من فضائل اسكندر هذا وكانت مخالفة بالكلية لعيوب هذا الامبراطور المهين توالت التفات قواد العسكرية اليه ولبس الامبراطور الغيرة والحسد له ولما خاف الامبراطور من ايقاعه باسكندر جهرة سعى فى دماره بالقتل خفية ولما رأى قواد العسكرية انه لا يمكن نجاة حياة اسكندر من يد الامبراطور الا بزوال دولة الامبراطور بنفسه قاموا فى ثورة وقتلوا علغبالوس فى سنة ٢٢٢ بعد الميلاد والله أعلم

﴿ الباب الثامن ﴾

﴿ من سلطنة اسكندر سفروس الى انتهاء سقوط المملكة الغربية الرومانية ﴾

صيرورة اسكندر سفروس امبراطورا ـ سلطنته العظيمة ـ سقوط مملكة فارطية وقيام مملكة فارس المتوسطة ـ حروب بين رومة وفارس ـ وجود الجرمانيين في الغلبة ـ صيرورة مكسمين امبراطورا ـ عتوه وقسوته ـ صيرورة غورديان امبراطورا ـ سلطنتا فيليب ودسيوس ـ غالوس وعمليان ـ صيرورة فلريان امبراطورا ـ حروب مع الامم المتبربرة ـ الحرب الفارسي ـ هزيمة فلريان وأسره ـ غاليانوس ـ مملكة بالميرا (تدمر) ـ كلوديوس ـ صيرورة عوربليان امبراطورا ـ سلطنته المهولة ـ تغلبه على بالميرا ـ زنوبيه ـ قتل عوربليان ـ صيرورة طاسيطوس امبراطورا ـ سلطنة فلوريان وكاروس ـ صيرورة دوقلطيان امبراطورا ـ اجراآته وأعماله القاسية ـ تدميره شوكة قواد الفرق العسكرية ـ تقسيمه الحكومة الامبراطورية ـ وقوع تغييرات كبيرة ـ كاروسيوس وقسطنطينوس ـ مكسميان الافريقي ـ اخضاع دوقلطيان الثورة المصرية ـ الحرب مع فارس ـ التعدي على المسيحيين ـ اعتزال دوقلطيان عن التخت ـ قسطنطين الاكبر ـ تشييد أحكامه على كامل المملكة ـ جعله الديانة المسيحية ديانة المملكة ـ انعقاد مجلس نيخيا ـ تأسيسه القسطنطينية ـ عوده النظامات في المملكة ـ حروبه مع الامم المتبربرة ـ قسطنس ـ قسطنطيوس ـ حربه مع فارس ـ يوليان الرافضي ـ خيبة مسعاه في ازالته الديانة المسيحية ـ موته ـ صيرورة يوفيان امبراطورا ـ فلنطينان ـ وقائع سلطنته ـ القلانيين ـ تحرك القبائل المتبربرة ـ غراطيان وفلنطينان الثاني ـ طيودوسيوس الاكبر ـ ضغطه على الديانة الوثنية ـ الامبراطور والقديس عمبروس ـ تقسيم المملكة ـ ثورة الغوطيين ـ وجود الغوطيين في ايطاليا ـ هزيمتهم بواسطة سطيليخو ـ منع الوقائع الكفاحية ـ اغارة الغندال على ايطاليا ـ توطنهم في أوروبا الغربية ـ اغارة جديدة من الغوطيين ـ ضبط علريق رومة ـ نهبها وسلبها ـ موت علريق ـ وجود الغوطيين في اسبانيا ـ سلطنة فلنطينيان الثالث ـ وجود الهونزيون في ايطاليا ـ عطيلا ـ واقعة شالون ـ هزيمة الهونزيون ـ نهب الغندال رومة ـ ديسمبر ـ الامبراطورات الهرؤ ـ سرعة ضعف المملكة الغربية ـ صيرورة أوغسطوس امبراطورا ـ سقوط المملكة الغربية ـ قيام مملكة ايطاليا ـ قيام الامم الطوطونية حال سقوط المملكة

كان التباين والفرق بين اسكندر سفروس وبين ابن خالته علغبلوس كبيرا جدا وكان اسكندر هذا ابن ماميسة البنت الصغيرة لميزا وربته أمه وهذبته مع غاية الاعتناء وكان محمود الصفات نقي الخصال لكنه ما كانت فيه الشهامة الكافية لتوقيف سريان الفساد وصده حتى كنس المملكة وأوصلها الى درجة بوارها وزوالها فتعب وكل واشمأز في مدة سلطنته من أشغال حكومة مملكته وماهو مترا كم عليها من الفساد والعفونة وقاد نفسه الى حركة ادارة أمه فكان الخير والنفع في مدة هذه السلطنة وافرا جدا وكان منوال سير الامبراطور الشاب حسنا موافقا ونفوذ أمه وسلطتها في غاية من السمو الا انه ما كان يوجد في الاثنين قوة كافية لاجراء الاصلاحات الحادثين فيها ومع كون هذه المدة تسلطن فيها اللهو واللعب المباين لهو ولعب المدة السابقة فقد تقدم فيها أهل الفضل وأرباب الذكاء والعقل من الرجال الى مراكز

الشرف

الشرف والاعتماد وراعى مجلس السناتو مع الوقار والاحترام ما كان من حقوقه القديمة واجتهد اسكندر
وشمى سعيا صادقا فى ادارة المملكة تحت قواعد خالية من النقائص والعيوب مع غاية الاقتصاد وفى
غضون ذلك حصل تغيير كبير فى الدنيا الشرقية وهو سقوط ودمار المملكة الفارطية وقيام المملكة
الوسطى الفارسية تحت سلطنة أردشير بابك وقتل ارطابانوس الرابع الملك الحادى والثلاثين من
الكيانيانية أو ملوك الطوائف وهو آخر ملوك فارطية وذلك انه لما حصل الضعف فى هذه المملكة من
كثرة ما حل بها من الاختلافات والمصائب التى تكررت عليها من نواحى الرومانيين رفع أهل فارس بيرق
العصيان وقاموا فى ثورة على ملكهم تحت قيادة أردشير المذكور وكان ينسب نفسه انه من ذرية ساسان
ومتصل الدم مع كيرش أو كيخسرو ونجح هذا القائد فى ثلاث وقائع كبيرة وأسس السلطنة الثانية
الفارسية على أطلال المملكة الفارطية وابتدأت سلطنة العائلة الساسانية واستمرت الى زمن النبى
محمد صلى الله عليه وسلم وكانت فى مصادمات وملاطمات على الدوام مع الدولة الرومانية وعزم أردشير
بابك على استرداد جميع ممالك دارا الاول فطلب من اسكندر الموجود على تخت الامبراطورية
الحالية اخلاء كافة الاقاليم الرومانية فى آسيا فأجابه الامبراطور بكونه قاد عساكره وعبر نهر الفرات فى
سنة ٢٣١ بعد الميلاد وظفر اسكندر فى هذا الحرب القصير بعدوه الا انه رأى فى نفسه أن لا طاقة له
على ضبط الاقاليم الشرقية وكذا كان حصل العجز والضعف عند ملك فارس مما حل به من الخسائر
حتى صار لا طاقة له على السعى فى الحرب وطرد الرومانيين من آسيا فوقع عقد الصلح بين الاثنين فى
سنة ٢٣٢ بعد الميلاد

ثم انتشب خطر وهول جديد وقام على نهر الرين وذلك أن القبائل الجرمانية عبرت هذا النهر فى سنة
٢٣٤ بعد الميلاد وأغارت على الغلية فأسرع اسكندر لملتقاهم الا انه من قبل اجرائه حركات الحرب
معهم صار ذبحه مع أمه بواسطة ثورة حصلت فى عساكره سنة ٢٣٨ بعد الميلاد ونادى العسكر على
مكسمين زعيم الثورة بالامبراطورية وكان ترقى من درجة فلاح تراسيانى الى قائد فرقة من فرق
العساكر فمع انه حاز الشجاعة والمهارة فى العسكرية الا انه كان جاهلا جاهلا سفيها وحشى الطبع فسار
فى مبادى الثلاث سنوات من سلطنته بغير سياسة ولا ادارة بل ببغضه للاشراف وطمعه فى أموال
الاغنياء فتولد من خطفه وسلبه أموال الرعايا قيام أهل افريقه فى عصيان عليه وفى سنة ٢٣٨ بعد
الميلاد قاموا عليه وتوجوا بالتاج قنصليهم غورديان وابنه امبراطورين وصدق مجلس السناتو على هذا
الانتخاب بخسارة ما كانت تظن فيه وكان مكسمين مشتيا فى هذا الوقت مع عساكره على نهر الطونه فسار
مسرعا الى رومة فى أمل أن يحطم أخصامه ويبطش بهم بواسطة سرعة سيره هذا وهزم الغورديانيان
وقتلا فى افريقه فى طرف شهرين من ابتداء عصيانهما فوضع مجلس السناتو مع الشهامة الكبيرة اثنين
من أهل المجلس وهما بوبينوس وبالبينوس وسماهما الامبراطورين الجديدين ووضعهما على ملتقى
مكسمين فى الميدان حربا بالبلاد المكشوفة وحفظا المدائن المستحكمة مؤملين انه بهذا الرأى يغيظان
خصمهما ولما صار صد مقاومة مكسمين بواسطة مقاومة عكسية اشتد غضبه على عساكره فقاموا عليه
وقتلوه مع ابنه فى شهر مايو من سنة ٢٣٨ بعد الميلاد

ثم انه ما نتج من قتل مكسمين حالة فاصلة فى المشاحنات بجارية غيرت حالتها وصفتها وما زالت
المشاحنات حاصلة بين السناتو والفرق العسكرية بخصوص حقوق تسمية الامبراطورات فحصل

طائفة العسكرية مسئلة المشاحنة بواسطة قتلهم بوبنوس و بالبنوس فى ظرف ستة أسابيع من موت مكسمين وأجلسوا على التخت الشاب غوردنيان حفيد وابن أخى الملوك الغوردبانية وكان رأس الثورة الافريقية ولبس القميص الارجوانى

وكان غوردنيان مجرد آلة فى يد وزرائه وكان عمره وقت ذاك اثنى عشرة سنة ثم وقع أخيرا تحت سلطة النائب العسكرى طمسيطوس فكان ضابطا ماهرا فزوجه بابنته وكانت ادارة المملكة ومباشرة أعمالها فى مدة حياة طمسيطوس جارية مع الشدة وحزم الرأى وحفظت الحدود الشرقية مع النجاح والالتفات اليها من هجوم الفرس عليها وأخمدت الثورة التى كانت اشتعلت فى افريقه ولما عاد طمسيطوس من الحرب الفارسى ذبحه فيليب العربى وكان خلفه على قيادة الخفر الملوكى وكذا قتل غوردبان على أيدى عسكره وجعل نفسه امبراطورا بدله فى سنة ٢٤٤ بعد الميلاد

وكان فيليب من أهل بوسطره من بلاد العرب فابتدأ فى سلطنته بعقد صلح مع فارس وهزم فى السنة التالية الكاربيين على نهر الدانوب الوسطانى وفى سنة ٢٤٨ بعد الميلاد أشهر الالعاب الصقولاريانية مع الاحتفال والابهة تعظيما للعيد المكمل للالاف سنة من تأسيس مدينة رومة ولما غضب السوريون من حكم فيليب أقاموا امبراطورا أضحوكة اسمه يوطابياقوس وكذا أقام الفرق العسكرية فى جهتى موزيا وبانونيه مارينوس امبراطورا فقتل كلا من هذين القائدين بسرعة الا أن الجيش مازال مستمرا فى ثورته فأرسل فيليب أحد المفتشين من أعضاء مجلس السناتو واسمه دسيوس ليقود العساكر تحت طاعة القانون فاعتقد العساكر بما وعدهم به فيليب من عهوده ومواعيده أنه لا ينسى حالة سيرهم أبدا مادام على قيد الحياة فأرغموا دسيوس على لبس القميص الارجوانى وتقلد زمام الامبراطورية وهددوه بالقتل ان لم يقبل ثم سار العصاة الى ايطاليا وهزموا فيليب وقتلوه فى نواحى فيرونه فى سنة ٢٤٩ بعد الميلاد وجلس دسيوس على التخت من دون معارض

وتسلطن دسيوس الذى جعل امبراطورا على غير غرض نفسه سنتين فقط فاجتهد فى أثناء هذه المدة القصيرة فى عود تقديس الديانة وطهارتها وعود الآداب بين الرومانيين الا أنه ما نجح فى اجتهاده فى تمام مقصوده من عود الآداب وسن مشروع الجور الفاحش على المسيحيين ووقعت مذبحة عامة فى أهل هذه الديانة بمدينة الاسكندرية وهلك فيها أساقفة انطاكيه وأورشليم وهلك الكثير من رومة وفى سنة ٢٥٠ بعد الميلاد حصلت الحادثة الكبرى للسلطنة وذلك أن الغوطيين جذب عقولهم ما كانت عليه المملكة من الثروة وكثرة الاموال فانتشروا على الحدود فى قوى كبيرة وخربوا داشيه وموزيا وأغاروا على تراسه فاجتهد دسيوس فى صد زحفهم وهزموه وفى السنة التالية اجتهد دسيوس أيضا فى احياء ما أصابه من الخسارة فانهزم شر هزيمة فى واقعة كبيرة حصلت فى موزيا وقتل مع ابنه وكان أشركه معه فى حكم المملكة

ثم ان الجيش رضى وسمع لمجلس السناتو فى تنظيم عقد خلافة التخت فقلد هذا المجلس غالوس وكان قائدا من قواد دسيوس وكذا هوسطليانوس الشاب ابن دسيوس زمام الامبراطورية وصار اشتراك فولسيانوس ابن دسيوس أيضا فى السمو الامبراطورى وكان غالوس هو الامبراطور فى الحقيقة لان سنه وخبرته بالامور والتجاريب رفعاه فوق رأس رفيقيه فكان أول شغل أجراه هو شراؤه الصلح من الغوطيين على أن يدفع لهم خراجا سنويا معلوما على شرط أن يكفوا غاراتهم عن الممالك الرومانية

فتكفل هذا الشغل بعزنه وقبوله فى رومة ومن ثم أخذ الخلاف الذى تولد من ذلك فى الزيادة بما حصل من الفتن والدسائس التى تكاثفت على المملكة وانتشر طاعون مخرب فى رومة وعم الممالك الرومانية فكان هوسطليانوس من ضمن المقتولين وخرب الامم المتبربرة بغاراتهم الجديدة الاقاليم الجنوبية من نهر الدانوب وأنزلوا بها المصائب والآفات فلما طرد عمليانوس حاكم بانونيه ومونزيا هؤلاء المغيرين ودافع عن البلاد والعباد نادى عليه عساكره بامبراطوريته وزحف فى الحال على رومة فخرج غالوس وابنه الى ميدان الحرب لتلقاه فقتلهما عساكرهما وقرر مجلس السناتو مباشرة عمليانوس امبراطورا فى سنة ٢٥٣ بعد الميلاد

وكان عمليانوس من أهل موريطانيا (مراكش) فمن بعد جلوسه على التخت بقليل حصل الخلاف والمنازعة من فلريانوس فى صعوده على التخت ولبسه الثوب الارجوانى وكان فلريانوس أحسن رجال عصره ذا أهلية كاملة وكان أرسله غالوس فى جلب الفرق العسكرية الموجودة فى الغلية وجرمانيا لمساعدته فلما تأخر وصوله عن خلاص غالوس وجه فلريانوس سلاحه على عمليانوس وهزمه وقتله فى المعركة من بعد أن تسلطن ثلاثة شهور

وقرر مجلس السناتو والامة فلريانوس للتخت من بعد موت عمليانوس وكان عمر فلريانوس فى ذلك الوقت ستين سنة فكان سنه كبيرا جدا فى مصارعته مع الاخطار التى حاقت بمملكته فاشرك معه ابنه غالينوس فى الحكم فى المملكة وجدد فلريانوس فى السنة الرابعة من سلطنته أعمالا شديدة قاسية على المسيحيين وسود قضيب مملكته بدماء ثبريان أسقف قرطاجنة وكان عالما بليغا معاورعا وذلك أن والى حكومة افريقه أرسل واحدا من ضباطه مع جماعة من العساكر الى بساتين ثبريان لاجل جلبه أمامه فلما توجه الضابط الى الاسقف عرف الاسقف فى الوقت اقتراب أجله فسار مع الضابط من غير بطء مع استعداد تام وعقل ثابت ونشاط كبير الى سكستى وهو محل على بعد مسافة ستة أميال من قرطاجنه كان قاطنا فيه والى الحكومة فتأخرت قضية الاسقف ذلك اليوم فأمر بوضعه فى بيت أحد الحكام فقضى الاسقف فيه الليل مع غاية الراحة فى محادثة مع أحبابه وكان الوالى سمح لهم بالدخول عنده ومحادثته معه ولما شاع فى قرطاجنه خبر القبض على الاسقف هرع الناس من كافة الطوائف على اختلاف أجناسها والمسيحيون على العموم الى سكستى ووقف قوم ثبريان على باب دار الحاكم طول الليل سهرانين يراقبون ماذا يكون من أمر أسقفهم وفى اليوم الثانى خرج الوالى الى محل جلوسه وأحضر أمامه ثبريان فقال له أأنت طاسكوس ثبريان فأجابه الاسقف أنا ذا فقال له الوالى ان الامر المقدس الامبراطورى قضى بذبحك واهراق دمك فأجابه ثبريان أنا الأذبح ولا يهراق دمى فأجابه الوالى اقبل نصيحتى فقال ثبريان افعل كما أمرت فانك لا تحتاج لمشورة فى أمر عدل مثل هذا فلما استشار الوالى مجلسه قال لثبريان مع الغضب أقوالا رديئة ثم قال له أنت عدو الآلهة ومضل غوى مبين وقرأ عليه حكم المجلس مصدقا عليه الامبراطور بان طاسكوس ثبريان يجب قطع رأسه واهراق دمه بسبب اغوائه الامة واضلالها فقال ثبريان الحمد لله وله المنة والشكر وهو ولى فرعى الزحام الموجود خلفه من اخوانه اقطع رؤسنا جميعا معه وكان المحل الذى صار انتخابه لقتل ثبريان فيه ميدان على مسافة فرسخ من المدينة محيط به أشجار كبيرة ازدحم الناس فوقها وتحتها لمشاهدة هذا المنظر المحزن فقطعت فيه رأسه والصليب فى يده وعلى صدره وما عارضت الحكومة فى دفن جثته فأخذت فى مشاعل من الوزيلاو ... فى ترافة

المسيحيين
وانتهى ظلم فلريانوس وجوره بدخوله فى حرب مع فارس وذلك أن مملكة فارس وسعت أراضيها مع العجلة فى الجهة الشمالية لها على مصاريف المملكة الرومانية تحت قيادة ملوكها الجديدة الساسانية وفتح سابور الملك الثانى من هذه العائلة أرمينية وأغار على ميزوبوتاميا فخرج اليه فلريانوس بجيوشه فهزمه سابور وأخذه أسيرا فى سنة ٢٨٠ بعد الميلاد وماقبل سابور منه ماقدمه اليه وعرضه عليه من فديته وحافظ عليه عنده موثقا فى الحديد والاغلال لابسا قيصه الارجوانى وتاجه وعذبه عذابا شديدا ودام أسر فلريانوس وسجنه فى ديوان سابور بهذه الحالة وهذا شئ ماسبق مشاهدته مطلقا فى تاريخ الدنيا وقد ذكرنا ان فلريانوس كان أشرك معه فى حكم المملكة ابنه غاليينوس فى سنة ٢٥٤ قبل الميلاد فلم يحصل منه أدنى سعى ولا اجتهاد فى خلاص أبيه من ربقة الاسر بل بمجرد ماسمع بأسر أبيه صار هو امبراطورا بمفرده وفى مدة سلطنته التى كانت عبارة عن ثمان سنوات انهمك فى لذاته وسلك مسالك قبيح موبقاته واستمرت الفتن والقلاقل منتشرة فى كل قسم من أقسام ممالكه فاستمر الخراب المتولد من الوباء والطاعون فكان يخرج من رومة كل يوم نحو من خمسة آلاف ميت فى وقت ارتفاع ظهوره وأضيف الى حالة الطاعون تسلطن الجوع والقحط وغارات الامم المتبربرة الهمجية على المملكة وان الفرنك أو الفرنج (أحرار الناس) وهو اتحاد تشكل من القبائل الجرمانية الموجودة على الجهة السفلى من نهر الرين انفجروا فى الغلية وعبروا جبال البرنات الى اسبانيا ومن بعد أن أفسدوا فى الجيت جزيرة وجاسوا خلالها عبروا من مضيق جبل طارق الى افريقة وعاثوا فيها وسلبوها ونهبوها وكذا الالمانى وهو اتحاد آخر تشكل على حسب كثرة النفوس واختلاف السلاسل والانساب عاثوا فى الاقاليم الموجودة فى جنوب الدانوب وشكلوا غارات سلب ونهب وساقوا فى سيرهم حتى وصلوا مدينة راقنه من أعمال ايطاليا ولما صار الغوط أسيادا الساحل الشمالى من البحر الاسود أقلعوا فى أساطيل كثيرة صنعوها من غابات برور البحر الاسود ووصلوا البوسفور فى قوارب ومراكب مسطحة ونزلوا على سواحل الجربس وآسيا الصغرى وتغلبوا على مدن كثيرة منها اصاقز وكالسيدون وافسوس ونهبوها وحرقوها وتغلبوا أيضا على قورنته وأثينه ونهبوهما وسلبوا كافة المدائن الغنية من أموالها وزخارفها الموجودة على خط سيرهم وأما فى الشرق فان سابور من بعد أن تغلب على ميزوبوتاميا أغار بجيوشه على سوريا وسكب عساكره من دروب جبال طوروس فى قبدوثيا
وخلاف هذه الغارات البرانية حدثت عدة ثورات داخلية وانفجر الهياج وخربت المملكة وصارت على شرف السقوط وازدرى الحكام القادرون بضعف وعجز الامبراطور غاليينوس وجعلوا أنفسهم ملوكا مستقلة فى ممالكهم ونجحوا فى خلاصها من المغيرين عليها ومن ثم جعل أودناطوس نفسه فى رأس المدينة الكبيرة التجارية التى هى رأس مملكة بالميرا أو تدمر القديمة وجمع جيشا من البدو والاعراب وأرغم ملك فارس على أن يسلم له كل مافتحه حتى هجم عليه فى عاصمته قطريفون (المدائن) مع الظفر والنجاح على نهر الدجلة وكذا تشكلت مملكة ممتازة دخل فيها الغلية واسبانيا وبريطانيا تحت امرة بوسطموس فصدعنها القبائل السلابة خلف نهر الرين واستمر خلفاؤه من بعده فى سلطنة مستقلة مدة سبع عشرة سنة وذكر التاريخ انه حدث ثلاثون طاغية متسلطنة فى جهات مختلفة فى مدة سلطنة غاليينوس وما تداخل الامبراطور فيهم مادا موافى بعد بعيد من ايطاليا فقال جبون

المؤرخ ان الامبراطور كان أستاذا فى عدة تحف ونوادر الا انه ليس على علم نافع فكان خطيبا مستعدا وشاعرا بليغا وبستانيا ماهرا وطباخا ظريفا ومكالا أهلية فيه فانه ما كانت فيه طاقة على فعل شئ زيادة عن كونه اجتهد فى المدافعة عن ايطاليا من المدعين وذلك انه استيقظ من غفلة كسله عندما أعلنت الفرق العسكرية الموجودة فى الجهات الاليريانية قائدها عوريلوس أمبراطورا فسار فى رأسها الى ايطاليا الشمالية فأظهر غاليونوس درجة نشاط وشهامة ما كانت تعهد فيه وزحف على خصمه وهزمه فى واقعة سافكة وحصره فى ميلان وفى حالة ما كان مضايقا بالحصار على ميلان استيقظ كبار ضباطه لعدم موافقته ولياقته لمركزه فتآمروا فى خلعه ثم قتل بيد انسان غيرمعلوم وقت ركوبه على حصانه ليلا فى سنة ٢٦٨ بعد الميلاد

ومن ابتداء هذا التاريخ انتقلت الامبراطورية الى سلسلة من الحكام أهل شوكة وشهامة وان كانوا جميعا وضيعى المولد من أهالى الاقاليم الموجودة على الدانوب فأحيوا سعادات المملكة مدة من الزمن وأزاحوا عنها أعداءها وأعادوا اليها اتحادها الداخلى وذلك أن العساكر منحوا السمو الامبراطورى على كلوديوس أحد قوادهم فمع ثباته وتدبيره ومهارته ضبط الاعمال المؤدية لخراب المملكة مدة من الزمن وظفر بالالمانى وطردهم من ايطاليا فى سنة ٢٦٨ بعد الميلاد وانتصر على الغوطيين فى نواحى موزيا فى السنة التالية ومات فى سنة ٢٧٠ بعد الميلاد فى نواحى صرميوم من بعد سلطنة قليلة محمودة لبثت سنتين فاز فيها بخلاص المملكة مما كان حائقا بها من الاخطار والاهوال وأحياها من العدم مرة أخرى من بعد أن أشرفت على الدمار وأوصى وهو على فراش موته بأن يكون الخليفة من بعده عوريليان أحد قواده لانه كان يرى فيه الكفاءة والاهلية لتمام الاشغال التى ابتدأها بنفسه

وكان عوريليان عسكريا من أهل السعادة مثل سلفه فكان ابن واحد من خدم المزارعين ووصل الى درجة القائد والامبراطور من درجة عسكرى مع أنه كان وضيع الاصل وعلى أى حالة ما كان أهلا للمنصب العالى الذى ارتقى اليه ولبثت سلطنته أربع سنوات وتسعة شهور وكانت من أبهى السلطنات وأجلها فى تاريخ رومة فانه أنهى الحرب الغوطى بتبديده جيوش الغوطيين وقطع دابرهم من بانونية سنة ٢٧٠ بعد الميلاد وطرد الجرمانيين من ايطاليا وأحيا نظام الجيش وقواه ومن ثم صار على غاية من النصر والظفر الذى ناله وكان من سياسته أن جمع القطع المتفرقة من المملكة مع بعضها وهاج حربا من أجل ذلك على مملكة بالميرا وكان أوديناطوس أقام هذه المملكة وشيدها فى سنة ٢٦٤ بعد الميلاد ومد حكمه على سوريا وما جاورها من الممالك ثم قتل فى سنة ٢٦٧ بعد الميلاد وخلفته أرملته زنوبيا نائبة عن أولادها ودبرت المملكة باسمهم وكانت زنوبيا من الابطال المشهورين فى التاريخ فكانت خفيفة الحركة لينة الاعصاب جميلة الصورة شريفة النفس عفيفة محبة للاشغال و[illegible] الاعمال فى معسكرها ولصيد النمورة والآساد وكانت تتكلم باللسان السورى والاغريقى والمصرى ولها دراية تامة بمقارنتها الشدة مع الرأفة والاقتصاد مع الكرم فى أحكامها وادارتها وكانت لا تظهر الا وعلى رأسها الخوذة وكانت تزدرى بخادع النساء فكانت على الدوام على ظهر حصانها مستعدة شوريلية للاغارة على مملكتها فأعادت منها سوريا ومصر وآسيا الصغرى والتقى مع جيوشها وهزمها فى ضواحى انطاكيه ثم انتصر جيشها الاصلى فى واقعة حصلت بالقرب من مدينة حمص وسار الامبراطور فهما

وحاصر مدينة بالميراوشدد عليها في الحصار ثم تسلمها بسبب ماوقع فيها من الجوع والقحط وأرادت زنوبيا النجاة بنفسها خلف الفرات فقبض عليها الامبراطور وحافظ على حياتها لتكون زينة في موكب نصره وقتل قوابها ووزراءها وقوادها وكان من ضمن المقتولين الفيلسوف دينوسيوس لونغينوس وجرد المدينة من أموالها وخزائنها وارتد راجعا الى ايطاليا فلما وصل بيزانطيوم وردت عليه أخبار الشورة وقيام تدمر وقتل المحافظين الرومانيين الموجودين بها فقام الغضب في أم رأسه وأسرع مجدا في سيره بعساكره حتى دخلها وقتل الاطفال والنساء والطاعنين في السن والمزارعين وما أبقى شيأ في المدينة ولا في الغيطان الادمره وأما زنوبيا فانها نقلت الى ايطاليا وسارت على أقدامها في خلخال من الذهب في موكب نصر الامبراطور عوريليان ثم قضت الباقي من أيام حياتها في عز وشرف في محل خاص بها في ضواحي رومة مثل أحد أمراء رومة فهذا الذي أجراه عوريليان في جهة الشرق وأما في جهة الغرب فان ططريقوس كان زاد في مملكة بوسطموس باضافته اليها اسبانيا وبريطانيا فعاد عوريليان على هذه المملكة وفي سنة ٢٧٤ بعد الميلاد نجح في خضوعها وانقيادها لحكمه وكان عوريليان من قبل هذه الحروب حصن العاصمة وحفظها من هجوم المتبربرين عليها ومن وصول غاراتهم اليها على حين غفلة منها وكان تراآى للمتبربرين أن لهم الطاقة على الدخول في ايطاليا مع الابهة والفخر وشيد عوريليان سورا جديدا قفل به الضواحي التي استجد فيها البناء وكانت هذه المباني أقيمت خلف سور سرفيوس طوليوس وتنازل عوريليان للغوطيين والفندال من اقليم داشيه المتجاوز الحد في البعد عن المملكة وكانت خسارته من طرف المملكة من ابتداء ما أضافه طراجان الى المملكة أكثر بكثير من المنافع الواردة منه وانتقل الرومانيون منه الى جنوب نهر الدانوب ولما دمر عوريليان مملكة ططريقوس استعد في السير الى نواحي الشرق لتهييج الحرب على فارس فقتله جماعة من ضباطه أطمعهم في فعل هذه الجريمة الاثيمة كاتب أسراره في سنة ٢٧٥ بعد الميلاد

ويولد من قتله غضب الجيش ورفض العساكر الترخيص بتعيين أي واحد من ضباطهم في تقليده لبس الارجواني وطلبوا من مجلس السناتو تعيين أمبراطور جديد وانتظروا جواب مجلس السناتو ستة شهور مع الصبر وأخيرا عين المجلس كلوديوس طاسيطوس أحد أعضائه وكان ذا ثروة وافرة مهذب الاخلاق عظيم السريرة الا انه كان متقدما جدا في السن على تقلده هذا السمو فاجتهد طاسيطوس في عدم قبوله درجة الامبراطورية بالنظر لتقدم سنه فلم يقبل المجلس منه قولا وقلده لبس القميص الارجواني فتسلطن ستة أشهر أو سبعة كانت أعماله فيها احياء الآداب والقوانين التي كانت صدرت في زمن الجمهورية القديمة ثم دعي الى آسيا الصغرى من أجل اغارة حصلت من قبيلة علاني وهي قبيلة صيطيانية وما كانت له عادة على تحمل مشاق وأتعاب العيشة العسكرية مع أن عمره كان ينيف عن خمس وسبعين سنة وكان لا طاقة له على الاشغال التي وضعت فوق ظهره فغرق جسمه في بحور مصاعب السفر وحل به التعب والفكر فمات في طيانه من أعمال قبدوقيا في سنة ٢٧٦ بعد الميلاد

وبمجرد وصول الاخبار في رومة بموت الامبراطور تقلد فلوريان أخو طاسيطوس سمو الامبراطورية وألبس الجيش الشرقي قائدهم عوريسلوس بروبوس النوب الارجواني وصارت الحالة على شرف الوقوع في حرب داخلي فتجنب عساكر فلوريان هذا الحرب ورفضوا قبول المضاربة مع اخوانهم ثم قتلوه من بعد مضي ثلاثة شهور وصار بروبوس امبراطورا بمفرده وكان بروبوس من أهل صرميوم من

أعمال بانونيه وكان أهلا للبس الارجوانى من مدة مضت فكان قائدا ماهرا وسلطانا صاحب حزم وحمية وشدة عكف نفسه مع الصدق والاستقامة على رفاهية رعيته وافتكر فى نفسه أن له طاقة على المحافظة على تمام هذه الرفاهية بكل من السلم والحرب وفى مدة الفترة التى مضت فى الحرب مع فالوريان سار الفرنج والفندال وقبائل أخرى جرمانية أفواجا ودخلوا الغالية واستحوذوا على سبعين مدينة وتغلبوا على الاقليم فسار بروبوس اليهم وحاربهم وهزم جيوشهم على التوالى وأرغمهم باعادة مانهبوه من الغنائم والاسلاب وطردهم الى داخل بلادهم وما اكتفى بهذا بل عبر نهر الرين وأجرى حركاته العسكرية على شواطئ نهر نيكار ونهر الالب وأخضع تسعة ملوك من الجرمانيين وأنشأ بروبوس لاجل صد اغارات هذه الامم وحفظ حدود ممالكه سدا بناه بالحجر فى ميدان متسع وطول هذا السد نحو من مائتى ميل يبتدئ من نواحى راطسبون على نهر الدانوب الى ونفين على نهر نيكار وينتهى بنهر الرين وأخضع الصرماطيانيين وأرغم الغوطيين على الانقياد لعقد الصلح وأوقع الرعب فى الجهات الشرقية بقوته وشوكته حتى انقادت له مصر وتدارك الفرس محالفتهم معه واجتهد فى توطيد ثغور المملكة والمحافظة عليها وأسس مستعمرات من المأسورين فى الحروب ومن مهاجرى القبائل الاغراب ووزع عليهم الاراضى من الجهات الغير المعمورة من ممالكه ووزع عليهم مواشى وآلات زراعة وكل ما يلزم لفلاحة الارض وغراسها ولما استتبت الراحة والامن فى ممالكه التفت الى أمر الزراعة والفلاحة والتجارة وقوى عليها وأسكن الامم المتبربرة الذين كانوا دخلوا فى الحضارة فى مستعمرات فى حدود ممالكه وصاروا هم المحافظين عليها من اخوانهم العديمى الحضارة واستعمل فى أوقات السلم الفرق العسكريه فى أشغال نافعة مثل تصفية المستنقعات والبرك والاراضى النزيه وجعلها صالحة للزراعة وفى حفر الترع والخلجان وبناء القناطر وانشاء السدود وغرس الكروم وعموم أشغال الفلاحة والزراعة وحالما كان مشتغلا بغرس كروم فى جبل علمه وتصفية مياه مستنقعة بالقرب منه فقد العساكر صبرهم فى هذا الشغل من شدة حر الشمس وقاموا فى ثورة وقتلوه فى السنة السادسة من سلطنته ومن بعد قتله فى سنة ٢٨٢ بعد الميلاد ندموا على مافعلوا واحتفلوا بدفن جثته وبنوا عليه بنايا تذكارا له ونقشوا على رخامه بروبوس الامبراطور عدل فاتح المتبربرين وقامع الغاصبين ثم جعل العساكر كاروس القائد النائب أمبراطورا فعين ولديه كارينوس ونوميريانوس فى وظيفة القياصرة وأشرك كارينوس معه فى حكم المملكة وترك له حكومة الغرب وسافر كاروس الى الشرق وأخذ معه ابنه الاصغر وانتقل الى الريقوم فهزم الصرماطيانيين ثم أغار على الممالك الفارسية وأخضع ميزوبوتاميا وتغلب على مدينتى صلوصيه وقطزيفون (المدائن) العاصمة القديمة الفارسية وعبر نهر الدجلة ولما أشرفت المملكة الفارسية على الخراب من حروبه مات من علل وأمراض أصابته على قول بعض المؤرخين أو أصابته صاعقة محقت حياته على قول آخرين فى سنة ٢٨٣ بعد الميلاد فتولد من المخاوف الخرافية التى تسلطنت فى قلوب العساكر الرومانية من هذا الموت الذى أصاب الامبراطور بغتة أن قاموا وألزموا نوميريانوس بالتقهقر والعود فى داخل حدود الممالك الرومانية وفى أثناء هذا السير بجيوشه مؤملا فى ذلك تيسر الحصول على ضبط انحلال الفرق العسكرية تجرد كثير منهم هذه الجريمة القبيحة أليسوا دوقلطيان قائد عساكر الخفر الامبراطورى النوب لارجرانى فقتل قاتل نوميريانوس بيده وسار الى الجهة الغربية وفى أثناء هذه المدة انهمك كارينوس فى الفجور والمرذلات والفسق

والسفاهة حتى تولد له من ذلك كراهته عند عموم أهل الدنيا الغربية ولما سمع بتقدم دوقلطيان سار في رأس جيش كثيف لمقابلته وحصلت بينهما واقعة في نواحي موزيا انهزم فيها جيش دوقلطيان الا أن كارينوس قتل في أثناء هذا النصر والذي قتله واحد من ضباط عسكره كان حصل له منه الضرر والاذى ورضيت عساكر كارينوس بأمبراطورية دوقلطيان في سنة ٢٨٥ بعد الميلاد

وكان دوقلطيان من سلسلة عائلة دنيئة جدا من دلماطيه وولد في ضواحي مدينة سالونه وكان عمره أربعين سنة لما وصل الى درجة أمبراطورية المملكة في ظرف سنة ٢٨٥ بعد الميلاد وتعرف هذه السنة في الحسابات التاريخية بتاريخ دوقلطيان وتعرف أيضا بتاريخ الشهداء بسبب ما أوقعه دوقلطيان من الظلم والجور والقتل في كبار أرباب الديانة من المسيحيين وحرق كنائسهم ومعابدهم وكانت مستعملة تاريخا عند كتاب المسيحيين من بعد أن صرفوا النظر عن تاريخ سنة أوقطافيوس أوغسطوس وحده الا آن جار استعمال التواريخ من هذه السنة عند الحبشة والقبط من مصر ويولد من جلوس دوقلطيان على تخت المملكة عصر جديد في تاريخها وذلك انه لغاية الآن من ابتداء موت كومودوس كانت سلطنة الامبراطورات في غاية من الاشكال والتعقيد بما هو حاصل من وقاحة الفرق العسكرية من تقليد امبراطور وخلع آخر بزعم أن لهم الحق في التقليد والخلع وكذا بواسطة النفوذ القانوني الذي خصوا به مجلس السناتو ومن ثم كان الجيش فتح مسئلة لا انقضاء لها ولا حل ومنها تمكن الخراب والدمار في المملكة الرومانية من قبل أن يأتي اليها الخطر والاذى المهددلها من الامم المتبربرة الهمجية بمدة طويلة فأدخل دوقلطيان طائفة العسكرية تحت نظام قواعد قوانين ثابتة وفي مدة سلطنته الشديدة حصل التغيير وتقوت ادارة الحكومة ونفوذها وعرف الجيش حقيقة موقعه وانه خادم المملكة الا انه ما حصل اتمام الاصلاحات والنظامات التي ابتدأ فيها دوقلطيان لحد سلطنة قسطنطين نعم انه حصل منها نتائج تقوية الحكومة الامبراطورية وحصل منها شوكة جديدة للمملكة في الوقت الا انها دعت الى تقسيم المملكة وصارت القسمة مسئلة الوقت الحاضر وذهب دوقلطيان مذهب التقسيم لقصد المحافظة على المملكة وعلى نفس الامبراطور وتوطيد نظام عقد الخلافة على التخت

ولما وطد دوقلطيان حكومته في سنة ٢٨٦ بعد الميلاد شرع في أعماله على حسب ما كان يؤمله من تقليل أو ازالة المضار والآفات الموجودة فنقل تخت حكومته في عاصمة نيقوميديا الطريقة قاعدة بسنيا وجعلها دار مقره وفي هذه المدينة في السنة الثالثة من سلطنته انتخب رجلا عسكريا فظا غليظا اسمه عورليوس فلريوس مكسيميانوس وكان أحد قواده وأشركه معه في حكم المملكة وكان مكسيميان ترقى في الرتب بالدرجات وقبل أن يكون الا قائدا عظيما وألبسه الزي ولقبه أوغسطوس وقسم المملكة من دون تجزئة بينهما فأخذ دوقلطيان الشرق وأخذ مكسيميان الغرب ومن بعد مضى سنوات زادت الاخطار والمصاعب فحصل العزم على أن كلا من الامبراطورين ينتخب لنفسه تابعا يكون خليفة له تحت لقب قيصر وأن يكون القيصران من شبان الرجال ذوي النشاط والطاقة على الاشغال يتكفلان بالاحكام والاقاليم المعرضة لغارات المتبربرين وفي سنة ٢٩٢ بعد الميلاد تشكلت هذه الادارة الرباعية وتعين قسطنطيوس كلوروس مساعدا مع مكسيميان وغاليريوس مع دوقلطيان وكان دوقلطيان رأس الاتحاد الرباعي ولما قبل الاثنان قسطنطيوس وغاليريوس منحة

هذا الشرف عليهما طالقاز وجيهماوتزوجا على التوالى ابنتوربيبة أوليائهما ثم قسم دوقلطيان المملكة بين هؤلاء الاربعة ملوك فجعل لمكسميان ولنفسه الاقاليم المعمورة وأفاض على الاثنين قيصرية الاقاليم التى تحتاج للشبان ومن هو أكثر نشاطا فى الاشغال فأعطى قسطنطيوس أقاليم الغلية واسبانيا وبريطانيا مع شغل محافظة الرين الاسفل من اغارة الجرمانيين وأعطى غالبريوس الاقاليم الدانوبية فونير وقوم وبانونيه وموزيا وجعل لمكسميان ايطاليا وافريقه وأبقى لنفسه تراسه ومقدونيا ومصر والشرق وكان مشروع قاعدة هذا التقسيم حفظ اتحاد المملكة وبقائها فكانت القياصرة تراعى رياسة الاوغسطوسية عليها وكان مكسميان مقوى فى ذاته بنفوذ لفظة أوغسطوس واستمر هذا الترتيب المعقد جاريا فى مدة حياة دوقلطيان لما ان نفوذه وسلطة شوكته كانت كافية فى بقاء الموازنة والتعادل فى المملكة

ومن بعد تمام هذا الترتيب ظهرت نتائج هذه الطريقة الجديدة وذلك أن الشوكة نزعت من أيدى قواد طائفة العسكرية وآلت الى عائلة ملوكية دولية وحصل من قاعدة الاشتراك التى استصوبت على منوال كبير ثبات الحكومة وتدبير أعمالها تحت قواعد قوية وتدونت نظامات وترتيبات جديدة مختلفة الهيئة جميعها موافق للحكومة الاستبدادية وزال نفوذ مجلس السناتو بالكلية وانقرض المنع والصد الذى كان يجرى به هذا المجلس لحد هذا الوقت ومع أن أعمال هذا المجلس كانت عبثا وعلى حسب أغراض الحكم الاستبدادى الواقع من طرف الامبراطورات الا انه لاريب فى انه كان يفعل اجراآت نافعة قليلا عن الحاجة الشديدة وانتقلت دواوين الاحكام من رومة الى مدائن أخرى فكانت مدينة دوقلطيان نيقوميديا ومدينة مكسميان ميلان عاصمة مملكته ومقر غالبريوس مدينة صرميوم ومقر قسطنطيوس مدينة طريقس ولما ألغيت رومة من أن تكون عاصمة للمملكة الرومانية صار مجلس السناتو عبارة عن مجلس دائرة بلدية يباشر أشغال مدينة واحدة من مدائن أقاليم المملكة ولما لم تعط امتيازاته التى تجردمنها الى مجلس غيره صار الامبراطور وحده منبع القانون والشرف ورأس الحكومة والسلطة وقلل دوقلطيان عدد قواد طائفة العسكرية احترازا من مداخلتهم ومن عدم حفظهم معسكرهم فى نواحى رومة ولئلا يكون لهم طاقة على سن قوانين أو اجراء مشروعات ضد الامبراطورات وعزم على كسر شوكتهم بالكلية الا أن الذى تمم هذا الشغل قسطنطين وزيادة على ذلك فان تعدد الامبراطورات وأخذ الاحتياطات التى أجريت فى شأن حفظ التخت وتوطيد سلامته كل هذا اصير درجة الامبراطورية ومقامها بعيدا عن الاخطار والمضار التى كانت حاصلة من سطوة العسكرية

وفى سنة ٢٨٦ بعد الميلاد انفجرت ثورة فى بريطانيا وذلك أن كاروسيوس احد قواد البحرية كانت عهدت اليه قيادة محافظة سواحل بريطانيا والغلية وأسطول كبير نعصى على الامبراطور ولما انتصر على العساكر الموجودة فى بريطانيا ضبط هذه الجزيرة وجعلها مملكة مستقلة وزاد فى عمارته البحرية وأنشأ مراكب وسفنا جديدة وجعل نفسه سيد البحور الغربية فبذل دوقلطيان ومكسميان جهدهما وفعلا الافعال الشديدة العنيفة فى قمعه وانقياده الا أن مادفعه لاكان على غير طائل واضطرا أخيرا على قبولهما بان يكون رفيقا لهما مع لقب أوغسطوس فى سنة ٢٨٧ بعد الميلاد ولما تعين قسطنطيوس قيصرا وأعطيت له الاقاليم الغربية هيج حربا على كاروسيوس فى سنة ٢٩٢ بعد

الميلاد وتغلب على بولونيه من بعد حصار طويل واستعد لغزو بريطانيا والاغارة عليها فوردت عليه الاخبار بذبح كاروسيوس بواسطة رئيس من ضباطه اسمه علقطوس فى سنة ٢٩٣ بعد الميلاد وفى سنة ٢٩٦ بعد الميلاد نزل قنسطنطيوس فى بريطانيا وهزم علقطوس وأعاد فى الجزيرة السلطنة الرومانية وطرد الجرمانيين فى السنة التالية من الغلية وأسكن أسراء فى مستعمرات على الاراضى التى كانوا خربوها وانفجرت ثورة فى أفريقه فذهب مكسيميان بنفسه الى افريقه وأخمد هذه الثورة وأعاد النظام فيها وكانت سلطنة دوقلطيان احدى المزعجات الشديدة المؤلمة المكدرة على قلبى البحث المصريين فانه فى السنة الرابعة من سلطنته قام أهل الصعيد الاعلى فى حرب عدوانى على الحكومة الرومانية ولقبوا شخصا منهم اسمه اشيلوس وكان زعيم الثورة امبراطورا فساق غاليريوس القائد الرومانى جيشا على العصاة وسار من وسط أراضى طيوة فمع ان المصريين تبدد أمرهم فى كل جهة دافعوا فيها مع الجراءة والجسارة وقت لقائهم الفرق العسكرية فى الوقائع الحربية الا انه ماصار حطم الثورة على حسب اللزوم مع السهولة فانه ما كان منقادا للرومانيين الا من كان بالقرب من معسكرهم وفى السنة الرابعة من الثورة وصل الامبراطور دوقلطيان نفسه الى مصر وحاصر كلا من مدينتى قفط وبوزيريس ودمرهما من بعد حصار منتظم أجراه عليهما ولما وصل دوقلطيان الحدود الجنوبية من مصر حكم بنفسه على ماهو حاصل فى هذه الجهات من المصاعب والاغارات ورأى انه لا فائدة فى الحقيقة فى الاجتهاد والسعى فى ضبط أى قطعة من اتيوبيه ووجد أن الخراج الجارى جمعه من هذه الجهة أقل بكثير من تكاليف ونفقة العساكر الموظفة لجمعه وجبايته فعقد محالفة جديدة مع نوبطيا وترك لها كافة أراضيها فى نوبيا وقوى الاستحكامات الموجودة فى جزيرة الفنطين وجعلها نقطة خفر الحدود واتفق على أن يدفع سنويا مقدارا من الذهب لرؤساء قبائل صحارى النوبة حتى كفوا عن الاغارة على مصر من الجهة الجنوبية ورجع قافلا الى عاصمته

ثم تولد بين جريق الاسكندرية فى المصريين ثورة أخرى وقام الاسكندرانيون بمحاجهم ونادوا على اشيلوس بالامبراطورية فعاد دوقلطيان مرة ثانية لاخضاع هذه العاصمة الكبيرة وكان العصاة أحكموا أمرها حتى صار لا يمكن التغلب عليها الا بهجوم منتظم فاحاطها دوقلطيان بسور وخندق وقطع عنها مجارى المياه وما تحتاجه من المؤن ومن بعد حصار طويل استمر ثمان شهور تغلب دوقلطيان عليها بالهجوم عنوة وقبض على أشيلوس وقتله وعزم على عقاب أهل المدينة وعذابهم واحرق قسم عظيم من المدينة فى وقت الهجوم عليها عنوة وعند دخول الامبراطور فى المدينة راكبا على حصانه عثر الحصان ووقفت العساكر بغتة فعرف دوقلطيان أن ذلك أمر نزل من السماء بعدم معاقبة أهل المدينة فانشرحت صدور أهل المدينة من وقوع هذه الحادثة وأقاموا فى ميدان الواقعة الذى عثر فيه الحصان تمثالا من البرنز على صورة الحصان وفوقه الامبراطور وحلوه بأنواع النقوشات تذكارا لهذه الحالة وقيل ان الاسكندرانيين أقاموا العمود المسمى الآن عمود بومبى أو عمود السوارى ونصبوا فوق رأسه هذا التمثال ونقشوا على قاعدته بجلالة الامبراطور الاعظم معتق أهل الاسكندرية الامبراطور الذى لا يغلب دوقلطيان وفى قول آخر ان الامبراطور لما تغلب على الاسكندرية عنوة وقتل امبراطورها اشيلوس خصيمه عاقب سكانها بذبحة عامة قتل فيها ألوفا من الارواح والانفس وأما غاليريوس فانه كان مشغولا من عدة سنين بالمدافعة عن الثغر الدانوبى الذى عهد اليه ثم فى سنة ٢٩٧ بعد الميلاد عبر الى

الشرق وأغار على فارس فانهزم فى مبدأ أمره شر هزيمة وخسر خسارات جسيمة ثم جمع جيشا جديدا وهزم نرسى ملك فارس حتى ألزمه على عقد صلح بشروط موافقة لرغبة الرومانيين فى سنة ٢٩٨ بعد الميلاد ثم ابتدأت مضار الطريقة التى أجراها دوقلطيان فى نحو غلاق سلطنته وذلك أنه تولد من ترتيب أربع دواوين امبراطورية بدل ديوان واحد كثرة تعدد الحكام والضباط والجيوش وازداد بذلك مقدار الضرائب والخراج حتى ثقلت أحمال الضرائب وانهرست الاقاليم تحت أثقال الخراج الذى ربط عليها وصارت جباية الاموال من الاهالى من الصعب فكان الحكام تارة يستعملون الشدة وتارة يستعملون العذاب حتى يمكنهم الحصول على جباية الاموال ومن ثم غرقت الحرف والاشغال تحت عباب هذه الطريقة وحرمت الصنائع من المكاسب وأخذت المحصولات فى النقص الفاحش وارتفعت أسعار كل شئ موجود فاجتهد دوقلطيان فى سنة ٣٠١ بعد الميلاد فى زوال هذا الضرر وأصدر لائحة تتضمن النهاية الكبرى لقيمة وسعر الاشياء الموجودة اللازمة لاحتياجات معيشة وراحة الاهل فدخل هذا المنشور طبعا فى أشغال قوانين التجارة ففسدت الحالة المقصودة من هذا القانون وما حصل من هذه اللائحة الا الزيادة فى الاذى والضرر الذى أراد دوقلطيان مداواة علاه

وتولد من سرعة انتشار الديانة المسيحية فى الممالك الرومانية خوف وارتعاب لدوقلطيان وكان هذا فى نحو غلاق سلطنته وكان دخل فيها ما ينيف عن النصف من رعيته فصمم على ضربها آخر ضربة معتقدا فيها دمارها وزوالها فاصدر فى سنة ٣٠٣ بعد الميلاد أمرا يقضى بتنظيم العبادة الدينية فى كافة أنحاء المملكة فكان المسيحيون مشهورين بأنهم أهل نظام وثقة ورعايا على صداقة تامة للامبراطور فتولد من رفضهم الامر الصادر منه القاضى بارتدادهم عن دينهم خروجهم عن حوزة القانون الامبراطورى وعدم الانقياد لطاعته فهيج حربا مفنيا عليهم وقتل منهم ألوفا فى كل اقليم من ممالكه وضبط أملاكهم وعقاراتهم وهدمت كنائسهم ومعابدهم وصوامعهم وما أصاب المسيحيين الموجودين فى الطرف الغربى تحت حكومة الجنرال المتوّر قسطنطيوس أدنى أذى من أعدائهم ومع ما كان المسيحيون فيه من القتل والدمار والجور والتعدى الذى صاروا عرضة له فانهم استمروا بالقوة الفعالة فى انتشار دينهم ووظفوا بدل الذين قتلوا منهم آخرين فى المصالح الديانية ودخل فى الدين كثير من الناس بدل الذين استشهدوا وماتوا على دينهم

وفى سنة ٣٠٥ بعد الميلاد كل دوقلطيان وتعب من المحاذرة والاجتهاد فى علوّ درجته فتنازل عن التخت وألزم مكسميان بالتنازل أيضا مثله ومن ثم صار كل من غاليريوس وقسطنطيوس اغسطوسين ووظف غاليريوس فى الوقت كلا من مكسمين وسفروس قيصرين فتولد من هذا التوظيف غضب شديد فى الفرق العسكرية الموجودة فى بريطانيا واستقبحوا فعل قسطنطيوس فى عدم انتخابه قائدهم خليفة من بعده وبمجرد موته أعلنوا ابنه قسطنطين خليفة من بعده فسعى غاليريوس فى مقاومته هذا التعدى الذى حصل على النظام الجديد الجارى العمل على موجبه فى الممالك الرومانية وأقر قسطنطين على القيصرية ورفع سفروس الى درجة الاغسطوسية ومن ثم حفظ نظام عدد الامبراطورية وطلب قسطنطين ممالك أبيه فى الجهة الغربية وكان عند سفروس ايطاليا وافريقه وعند مكسمين سوريا ومصر وأبقى غاليريوس لنفسه جميع الاقاليم الكائنة بين العلية وسوريا ومقداره ثلاثة أرباع المملكة

ونشأ من فقدوا نقراض صيت رومة وشهرة اسمها بسبب تقسيم المملكة وقيام عواصم جديدة كانت مقر الحكومات تولد الكراهة الشديدة عند الايطاليانيين وقام النفور بين أعينهم فانفجرت منهم ثورة عدوانية فى سنة ٣٠٧ بعد الميلاد فعين السناتو مكسنطيوس بن مكسميان امبراطورا وانضم مكسميان مع ابنه واستلم زمام الاوغسطوية وكان تنازل عنها بأمر دوقلطيان فاسرع سفروس الى رومة واجتهد فى اخماد الثورة فتركه عساكره فقتل نفسه بنفسه واتحد مكسنطيوس ومكسميان مع قسطنطين وصار لهم الطاقة الكبيرة على هزيمة القوى التى وجهها غاليريوس بخصوص اخضاع ايطاليا والزموا غاليريوس بالتقهقر والانسحاب الى جهة الشرق وفى سنة ٣٠٩ بعد الميلاد حصل الاتفاق بعمل نظام صارت به المملكة محكومة بست امبراطورات وهم قسطنطين ومكسميان ومكسنطيوس فى جهة الغرب وغاليريوس ومكسمين وليشنيوس فى جهة الشرق وكان ليشنيوس ارتقى الى درجة القيصرية بمعرفة غاليريوس لما مات سفروس

واستمر هذا الترتيب بضع سنين فقط وكان حصل الارتباك فيه فى الابتداء بمشاحنة وقعت بين مكسنطيوس وأبيه فالتزم مكسميان على الهرب من ابنه الى ديوان قسطنطين وكان متزوجا فقابله قسطنطين أعظم مقابلة فى الاول وحياه ورحب به ثم ظهرت عليه خيانة كان يرغب بها خلع زوج ابنته فقتله فى سنة ٣١٠ بعد الميلاد ومات فى السنة التالية غاليريوس فى مدينة نيقوميديا وكان غاليريوس من أشد الظالمين الجائرين على المسيحيين زيادة عن دوقلطيانوس ومن ثم صارت الدنيا الرومانية محصورة فى يد أربع امبراطورات هم قسطنطين فى الغرب ومكسنطيوس فى ايطاليا وافريقة وليشنيوس فى الريقوم وتراسة ومكسمين فى مصر وآسيا فأما مكسنطيوس فانه أغضب رعاياه ونفروا منه بسبب ما أجراه معهم من الجور والظلم فاستغاثوا بقسطنطين فى طرده عن التخت وأن يضم ايطاليا وافريقة الى ممالكه وكان قسطنطين أثبت انفسه مهارة القيادة والبسالة بما ظهر منه من ظفره ونصرته فى مقاومة الفرنج والالمانى حتى أبعدهم عن الغلبة وبواسطة محافظته على المسيحيين وحقوقهم نال الثناء والمحبة عند اخوانهم فى جهات عموم المملكة وكان يجتهد كثيرا فى الحيادة عن الحرب والبعد عنه لكنه لما وجد مكسنطيوس شارعا فى الاستعداد على الاغارة على الغلبة سبقه قسطنطين ودخل ايطاليا فى رأس ٤٠٠٠٠ نفس وعبر الالب من درب جبل تنيس من دون مقاومة ولا مناضلة فانفصل الحرب بقوة قسطنطين وسرعة حركات العسكرية وهزيمة خصمه فى واقعتين واحدة بالقرب من فيرونه والاخرى عند باب الاعمدة فى رومة وجعل نفسه سيد رومة وايطاليا وغرق مكسنطيوس فى نهر الطيبر فى أثناء الواقعة الاخيرة وأسرع قسطنطين فى ربط علاقات ممالكه مع بعضها فكان أول عمل أجراه هو تفريق طائفة الحفر العسكرى الموجود فى رومة وكان مكسنطيوس زاد فى قوته حتى بلغ نحو ٨٠٠٠٠ نفس ومن تفريقه هذه القوة جرد مجلس السناتو مما كان فيه من آثار السمو والرفعة التى كانت باقية عنده وكذا جرد رومة من القوة التى كان يخشى منها فى تنفيذ أغراضه ومقاومته له وكان ذلك فى سنة ٣١٢ بعد الميلاد

وفى السنة التالية انتشب حرب فى جهة الشرق بين ليشنيوس ومكسمين فانهزم مكسمين فى واقعة كبيرة حصلت بالقرب من هرقلية ومن بعد مضى قليل قتل مكسمين نفسه بنفسه وترك الى ليشنيوس سيادة الشرق بمفرده فلم يستكف ليشنيوس بهذه النصرة والغلبة بل رغب أيضا فى طرد قسطنطين من الغرب

وبواسطة

وبواسطة ماأجراه من الدسائس هيج حرباعلى عدوه فى سنة ٣١٤ بعد الميلاد فانهزم ليثينوس والتزم على أن يتنازل عن بانونيه وايلر يقوم وموزيا ومقدونيا والجريس لقسطنطين فى سنة ٣١٥ بعد الميلاد ثم أعقب ذلك سلم لبث سبع سنوات ونكثه قسطنطين بطمعه وعزمه على أن يكون سيد الدنيا الرومانية فجرد على ليثينوس وهزمه مرة أخرى ووقع ليثينوس فى يد قسطنطين فقتله فى سنة ٣٢٢ بعد الميلاد

وصار قسطنطين فى هذه الحالة السيد الوحيد فى المملكة الرومانية وحاز لنفسه لقب (الاكبر) فجمع أقسام المملكة وأجزاءها مرة ثانية الى بعضها وأشهر نجاحه وظفره بالحادثة العظيمة التى حصلت فى سلطنته وهى أن جعل الديانة المسيحية دين المملكة وأصدر فى سنة ٣١٣ بعد الميلاد منشورا عرف بمنشور ميلان متكفلا للمسيحيين بالمساواة مع رعاياه الآخرين والمحافظة على كامل حقوقهم وبناء على هذا المنشور قال عوزبيوس أسقف قيصرية والعهدة عليه فى هذا انه فى أثناء حركة قسطنطين فى واحدة من حركاته محاربا لمكسنطيوس رأى قسطنطين بعينيه علامة النصر لامعة من الصليب مكتوبة أو منقوشة فوق مدار الخط الحانى لدوران الشمس وكان نقشها بهذا تم الفتح أى بقسطنطين يكون الفتح فاستغرب قسطنطين واندهش الجيش من رؤية هذه الآية العجيبة وكان قسطنطين على غير أفكار من التمسك بالديانة المسيحية فتولد من عجبه لهذا الامر دخوله فى هذا الدين من رؤية رآها فى منامه فى الليلة التالية وذلك أنه رأى المسيح واقفا أمامه فى صورة العلامة السماوية التى كان رآها فى الصليب وأمر قسطنطين بعمل بيرق مثلها ويسير على مكسنطيوس متوجا بتاج النصر على غيره من كافة أعدائه وهذه الحكاية مسندة فى حكمها الى عوزبيوس وزعم المذكور أنه سمعها من نفس فم قسطنطين وكان أبو قسطنطين يظهر الميل والمعروف والكرم نحو المسيحيين ويحترم ماهم عليه من الفضائل والعقائد الديانية ومال اليهم بخيره ومعروفه وترعرع ابنه قسطنطين محافظا على عقائدهم ومن ثم صار لا عجب فى دخوله أخيرا فى هذه الديانة وخضانة أهلها وما حصلت معه نه بمجرد دخوله فى الديانة بل أذاع قبوله واستصوابه العقائد المسيحية والدخول فى الديانة جهرة وفى سنة ٣٢٤ بعد الميلاد فصل مسائل الديانة وأحكامها بأن جعلها ديانة المملكة وأشار على كافة رعاياه بالسير على منواله وأن يكونوا أسوته من دون بطء فى الدخول فى الديانة المسيحية الحقة وفى نفس هذا الوقت سمح للوثنيين من رعاياه باجراء شعائر دياناتهم من دون خوف عليهم غير أنه ظهر للوثنيين أن الاسوة بالامبراطور وراكتساب التفاته وخيره هو أجل وأعظم فترك الالوف منهم الديانة الوثنية ودخلوا فى هذا الدين الجديد وأما طوائف التآلف والعمران الواطية فمن حيث انها محكومة بأحكام التشابه والتقليد صار لا حاجة لدخولهم فى الديانة بالنسبة لشرفهم فى المولد أو رفيع الدرجة أو ثروة الاموال بل دخلوا فيها أفواجا وما كانت شوكة قسطنطين وأعماله منصورة فى حدود حياته مثل أسلافه فى ممالكه بل وعلى التربية والتهذيب الذى أفاضه على أولاده وأولاد اخوته وتولد من اغداقه على عائلته بجودة التربية أن حفظ للمملكة سلسلة من الملوك كانوا على ذمة وتقوى فى الدين وعلى صداقة لرعاياهم حسبما جبلوا عليه من التربية فى أيام طفوليتهم والشوكة التى حازوها وعلو الدولة لاسيما العقيدة المسيحية وتولد من الحروب نشر المعارف الانجيلية ومن التجارة ونشر علاقاتها انتشار الديانة المسيحية وراء تخوم الاقاليم الرومانية وعرف الامم المتبربرة الدين كانوا عاكفين على عقائد

الديانة الوثنية الدنيئة مقدار الديانة التى دخل فيها أكبر ملك وأعظم أمة متمدنة فى عالم الكرة
وما بحث قسطنطين عن معدة نفسه الى حد قرب حياته الا أنه كان رئيس المجلس الاول العمومى
الذى التأم فى نيخيا من أعمال بسنيا بامره فى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد من أجل ما حصل فى الديانة
المسيحية من الاختلافات والمناقضات بين أحبارها وعلمائها وكانت أصل المشاحنة بين اسكندر
قسيس الاسكندرية وقسيس آخر اسمه اريوس فى مسئلة هل الابن من جوهر الاب أو من جوهر مشابه
له وكان اسكندر أسقف الاسكندرية قرر أن الابن والاب من جوهر واحد وأما اريوس فكان مخالفا
لعقيدة رئيسه وقرر بان الابن ليس من جوهر الاب فحصل بين الاثنين مشاحنة انقسم فيها أهل مصر
والاسكندرية المسيحيون الى حزبين متباغضين ووقعت بينهما مشاحنات طويلة حتى عرض عنها
اسكندر أسقف الاسكندرية الى الامبراطور قسطنطين فكان الجواب الذى كتبه قسطنطين جواب
رجل سياسى دقيق النظر فى أشغال ممالكه وكانت هذه المسئلة وأمثالها ما عرضت على أحد من
الملوك اسلافه خلافه فقال انهما فى جوابين لكل واحد منهما انهما أبرزا مسائل بين العالم لا فائدة فيها
ولا احتياج للحكم والفصل فيها ولو أنها مقوية فى احياء العقائد الضعيفة فكان الواجب اخفاءها فى
الصدور وعدم نشرها ولو لدا الشقاق منها والتحزب عليها وتأسف من هذا التعصب الديانى الذى حل
بمصر وجعل أهلها فى ارتباك بينهم وأمر الاسقف اسكندر بعدم سؤال القسيس اريوس مرة أخرى
فيما يعتقده من عقائده وأمر أريوس بعدم رد الجواب ان وصل اليه أى سؤال من طرف الاسقف
فما وقعت هذه الاوامر موقع القبول عند العقائد الاسكندرانية وأخذت المشاحنات والمنازعات
مأخذا مهما حتى ارتبكت منها الحكومة المحلية من ابتداء وصولها الى مسامع الامبراطور فدخل
الامبراطور أخيرا فيها وأمر بعقد مجلس من أجل فصل هذه المسئلة الديانية وانتخب مدينة نيخيا من
أعمال بسنيا محل الالتئام فاجتمع فى هذا المجلس من الاقاليم الشرقية مائتان وخمسون أسقفا خلاف
ما يتبعهم من زحام القسس والرهبان وكان تحت رياسة نفس الامبراطور قسطنطين فكانت نتيجته
القرار بان الاب والابن من جوهر واحد وصدر بذلك أمر الامبراطور الى كافة أقاليم المملكة وأمر
آخر بنفى أريوس وأتباعه من الاسكندرية وكان الاساقفة الذين حضروا فى هذا المجلس من الجربس
وتراسة وآسيا الصغرى وسوريا وبلاد العرب ومصر وليبيا وواحد أو اثنان من أوروبا الغربية
وعرف منشور المجلس بمنشور نيخيا
وما تنازل قسطنطين عما كان عليه من دعوى الملوك الرومانية فى محافظته على استمرار أن له الحق فى
مباشرته المسائل الدينية والدنيوية وعامل أعضاء هذا المجلس بكل ما أمكنه من درجات الوقار والاحترام
وقال آخرون انه ما قبل التصريح فى التعدى على أريوس وأتباعه عندما صدر أمر المجلس فى حقهم
بعقاب النفى وأمر بابطال جميع الشعائر التى كانت مخلدة عند أهل الديانة الوثنية وسن قوانين جديدة
شديدة بمنع هذه الشعائر حصل منها الضرر الاكبر للديانة الوثنية لما لم يقبل أربابها أوامر الامبراطور
وفى مدة قسطنطين وقعت الضربة الاخيرة على العاصمة القديمة للمملكة وقضى الامر بان لا تكون
رومة مركزا وعاصمة للحكومة الرومانية وانتقلت منها السلطنة الى مدينة جديدة بناها الامبراطور
على أطلال بيزانطيوم الجريقية وسماها على اسمه تخليد الذكره باسم القسطنطينية وقسم المملكة
الى أربع نيابات وهى الغلية ومعها اسبانيا وبريطانيا ثم ايطاليا ومعها افريقيه وريطه وبانونيه

ونير يقوم ودلماطيه ثم الريقوم ومعهاداتيه (باغارية الآن) ومقـدونيا ثم نيابة الشرق وتشمل مصر وتراسة وجميع الممالك الموجودة فى آسيا وقسم كل نيابة الى عدة مديريات وكل مديرية الى عدة أخطاط ومن ثم احتاج تقسيم المملكة لتشكيل ثلاث درجات من الحكام محصور فيها درجة شرف المملكة وكانت هيئات جمهوريات الاحكام القديمة خفيت منذ زمن طويل فسعى قسطنطين فى احيائها مرة أخرى ورتب دواوينه على منوال موافق لمنوال الهيئات الشرقية لا الهيئات الغربية فدخل بين الملك والامة فواصل عديدة من الحكام ورتب الجيش بأن زاد فى عدد عساكره وقال فى قوته بواسطة نقص عدد الفرق العسكرية فكان عدد نفوس الجيش المخصوص بالمحافظة على ثغور المملكة وحدودها ٦٤٥٠٠٠ نفس فكان معظم هذه القوة من مستأجرى الامم المتبربرة على الخصوص لان التبعة الرومانية فقدوا الذهن مطعم الحروب

وكان قسطنطين رفع درجة ابنه الاكبر كريسبوس الى القيصرية وعمره سبع عشرة سنة فكان محبوبا عند الامة فتولد عند قسطنطين من هذه المحبة غيرته منه وحسده له فقصد كريسبوس خيانة أبيه وساعده ابن أخيه ليثينوس وشابان آخران فجلبوا جميعا للمحاكمة وقتلوا فى سنة ٣٢٦ بعد الميلاد هذا قول بعض المؤرخين وقال آخرون ان جريمة قتلهم لم تعلم أحصل منهم خيانة فعلا أو كان قتلهم بسبب الحسد والغيرة فقط

وكانت سنو قسطنطين الاخيرة معكرة ومكدرة بما حصل فيها من تعدى الامم المتبربرة الموجودة فى شمال الدانوب وذلك أن الغوطيين أغاروا على السرماطيانيين وانتصروا عليهم فتوسلوا باعانة الرومانيين فبرز قسطنطين بنفسه الى الميدان والتقى الغوطيون وهزمهم شر هزيمة ولما قسم غنائمهم خص السرماطيانيين القليل منها فغضب السرماطيانيون من هذه القسمة وأخذوا بثأرهم لانفسهم بكونهم أغاروا على الاراضى الرومانية بصفة سلب ونهب لا بصفة تملك واستحواذ فصمم قسطنطين للغوطيين بالاغارة عليهم وسلب أملاكهم جزاء بما فعلوا ثم أعقب هذه الآفة ثورة أخرى من الرقيق التزم فيها السرماطيانيون على الانجلاء من أراضيهم والالتجاء فى داخل أراضى المملكة الرومانية فعين الامبراطور لبعضهم أراضى فى ايطاليا وفى مقدونيا وتراسة ربانونية وكانوا نحوا من ٣٠٠٠٠٠ نفس فى سنة ٣٣٤ بعد الميلاد ثم ان قسطنطين رفع ابنه الثالث قسطنس وابن أخيه دلماطوس الى وظيفة القيصرية على أمل توطيد الأمن واستتباب الراحة فى المملكة وكذا رفع درجة ابن أخ آخر له اسمه حنبالياتوس الى درجة ريكس أى ملك وقسم حكومة الاقاليم المختلفة للمملكة بين أولاده الثلاث وأولاد اخوته ومات فى مدينة نيقوميدية فى يوم ٢٢ مايه من سنة ٣٣٧ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن نحوا من احدى وثلاثين سنة

ومن بعد موت قسطنطين ضبط ابنه الثانى قسطنطيوس العاصمة وقتل الذين فيهم الكفاءة والطاقة على أن يمدوا أيديهم له بسوء كأنهم أعداء له ولم ينج من أعمامه الا غالوس ويوليان وبهذا انقسمت المملكة بين أولاد قسطنطين الثلاثة فخص قسطنطين الثانى وهو الكبير فيهم العاصمة والغلية واسبانيا وبريطانيا وأخذ قسطنطيوس تراسة والشرق وخص قسطنس ايطاليا وافريقة والرقة م الغربية فما اكتفى قسطنطين الثانى بنصيبه بل اجتهد وكد فى غتصاب ممالك أخيه ثم هو قتل بالحرب من أكيليه وأضاف قسطنس ممالك أخيه قسطنطين الى ممالكه واستمرت سلطنته عشر سنوات على ثلثى

ممالك أبيه أى من سنة ٣٤٠ الى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد وفى آخر هذه المدة خلعه واحد من قواده اسمه مغننطيوس وقتله وكان قنسطنطيوس فى غضون ذلك مشتغلا بحرب دموى مع الفرس ومن بعد أن مات طريداطيس ملك أرمينية وكان صديقا للرومانيين ونشر الديانة المسيحية فى ممالكه تعصب الارمن واستصوبوا دخول الفرس فى أرضهم وبلادهم بصفة أصدقاء ومحالفين لهم فهزم الفرس الرومانيين فى تسع وقائع شديدة وما كان قصد الفرس الارتداد الخمسة أقاليم الموجودة خلف نهر الدجلة التى كان حصل التنازل عنها للرومانيين فى مدة سلطنة غالير يوس لا أقل وكانوا قليلى النجاح فيما فعلوه من أعمال الحصار على مدينة نزيب واستمرت هذه المدينة الحصينة التى قاومت ثلاث حصارات مشهورة باقية تحت أيدى الرومانيين وساقت خيالة الفرس فى غاراتها وتخريباتها فى الجهات الغربية حتى وصلت الى البحر الابيض المتوسط وتغلبوا فى واحدة من هذه الغارات على مدينة انطاكيا ونهبوها وأغار فى نحو هذا الوقت المزاغيطيون وهم قبيلة صيطية على الاقاليم الشرقية الفارسية فعقد سابور ملك الفرس هدنة مع امبراطور الرومانيين بقصد التفاته الى هذا الخطر الجديد الذى حل بمملكته فكان هذا الفرج عظيما أيضا عند قنسطنطيوس وكان وجوده فى الجهة الغربية من أهم الامور لانه بالاضافة الى مغننطيوس قام فطرانيو قائد الفرق العسكرية فى الريقوم وقلد نفسه امبراطورا فسار قنسطنطيوس الى اقليم الدانوب وأخذ كل أمر مخالف لحكمه بحركات شديدة فى ظرف الثلاث سنوات التى جاءت بعد وأرغم فطرانيو على التنازل عن التخت الذى كان أقامه لنفسه واعتزل فى حياته عن الاقاليم فى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد ثم رجع على مغننطيوس ووجه عليه جيوشه وسلاحه وهزمه مرتين احداهما فى مورسه من أعمال بانونيه فى سنة ٣٥١ بعد الميلاد والاخرى فى جبل صلقوس فى الغلية فى سنة ٣٥٣ بعد الميلاد ومن هذه الهزيمة الاخيرة قتل مغننطيوس نفسه بنفسه فمن ثم من بعد ست عشرة سنة من موت قنسطنطين الاكبر انضمت ممالكه الى بعضها من بعد أن كانت مشتتة وصارت تحت سلطنة ابنه الملائم لحكمها وادارتها

وانقضت مدة الثمان سنوات التى حكم فيها قنسطنطيوس المملكة بمفرده فى حروب مستمرة وتولد من حرب قنسطنطيوس مع مغننطيوس ضعف القوة العسكرية فى المملكة ووهنها ولما تقوى قنسطنطيوس بطريق التعدى على أراضى أعدائه تركوا محافظة الثغور والحدود فسكب سابور ملك الفرس فى هذا الوقت عساكره فى داخل اقليم ميزوبوتاميا فالتقى الامبراطور وهذه الارتبا كات بقلب صلب وبذل جهده وطاقته فى مقابلتها ثم ان الاقاليم وان كابدت ما لاقته من تعدد غارات الاعداء عليها الا أن الاعداء لم يحتل واحد منهم قطعة أرض من الاراضى الرومانية بحالة دوامية وهزم قنسطنطيوس الكادين وساق خلفهم الى بلادهم فى سنة ٣٥٧ بعد الميلاد وفى سنة ٣٥٩ بعد الميلاد أرغم السرماطيانيين على قبولهم ملكا معتمدا عينه لهم الامبراطور من طرفه وكانوا ثقاته وفى سنة ٣٦٠ بعد الميلاد طرد الفرس من الاراضى والبلاد التى كانوا تغلبوا عليها واحتلوها بجيوشهم ومابقى على قنسطنطيوس الا ارتبا كات علاقات عميه غالوس ويوليان فطلب عمه غالوس فى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد من الجهة التى كان ألزمه الاقامة فيها وأنعم عليه برتبة القيصر وعهد اليه زمام حكومة الشرق فكان غالوس غير موافق بالكلية لمثل هذا الموقع فانه نقض مع الخزى والعار وثاقة الامبراطور فيه فدعاه اليه فى سنة ٣٥٤ بعد الميلاد وأمر بقتله وفى السنة التالية طلب عمه يوليان أخو غالوس من أبيه من

نواحى أثينـة وكان مشتغلا فيها بتلقى علم الفلسفة وأحسـن اليـه برتبة القيصر وعهد اليه حكومة الغلية وحصلت هذه الحادثة فى مدة الامبراطورة عوزبيه وكان الامبراطور فى مبادى أمره غير واثق بعمه يوليان فعامله بالشـدة والقسوة فأظهر يوليان للامبراطور كفاءته وطاقته بأى حالة كانت المعهدة التى أحالها عليه فكان حاكما ماهرا بيتها خاليا من الاعمال المؤدية للخزى والعار وهزم الالمانى والفرنج فى عدة وقائع فى ظرف ثلاث سنوات من بعد دخوله فى الحكومة وطردهم من الجهات التى كانوا تغلبوا عليها فى الغلية الى الشاطئ الايمن لنهر الرين وأغار ثلاث مرار على أراضيهم وخرب جرمانيا فى طولها والعرض وخلص من الاسر ٢٠٠٠٠ نفس من الرومانيين ثم عاد الى الغلية محملا بالغنائم والاسلاب وأعاد بناء مدائن الغلية وكان المتبربرون دمروها وخربوها وجعل باريس مركز شتويته وحلاها بسراية بناها فيها ومكعب وسرك وحمامات ورفع منار طرق الفلاحـة والزراعـة وحض على الصـنائع والتجارة فأنتج نجاحه فى ذلك الاحسـدا عند الامبراطور وغيرة منه وطلب العساكر الموجودة معـه عشما فى وهن يوليان ودماره لو صار تركه من دون وجود القوة اللازمة لحفظ مركزه فرفض الفرق طاعة الامبراطور ونادوا على يوليان بامبراطوريتـه عليهم فى سـنة ٣٦٠ بعد الميلاد ولما وجد يوليان أنه يستحيل الصلح مع قنسطنطيوس سار بجيوشه الى نحو الشرق لاجل فصل مسئلته بالسـلاح فمات قنسطنطيوس بغتة فى سـنة ٣٦١ بعد الميلاد وانفصل وقوع حرب داخلى وتقرر الامر الى يوليان مع الابتهاج فى عموم المملكة

وكان أول التفات اعتنى فيـه يوليان الامبراطور الجديد هو نقص واقتصاد ما فيه الديوان الامبراطورى من رفاهية العيش والاسراف فى المصاريف فعاقب حكام السلطنة السابقة الذين أجرموا فى ظلم الاهالى وطرد ١٠٠٠٠ جاسوس كانوا مشكلين هيئة من الحكومة من عهد سلطنة قسطنطين الاكبر وما لبس يوليان الثوب الارجوانى وما تلقاه من دروس علم الفلسفة جعل له التفاتا قليـلا بالمحافل الرسمية المخصوصة بسنده وعكف نفسـه على أداء الخدمة الواجب عليه أداؤها للعموم واستمر فى عيشة بسيطة وحالة اقتصادية مزعجة ومع انه كان جيد الصفات الا أنه قذر سلطنته ووسخ حالته وكذب على عقائده الدينية الفلسفية بجور وتعد يؤسف منه وكان لا فائدة فيه ولا ثمرة منه على المسيحيين فكان وثنيا من المجرمين ومن عباد الله الخاسرين ثار على أعمامه المسيحيين وحصل له اختلال فى عقله وقتل كافة عائلته ونشر كراهته على قرابته وديانتهم ورفض الديانة المسيحية وجعل نفسه ومملكته تحت حماية وحفظ ما يقال لهم الآلهة المخلدة وجعـل الديانة الوثنية ديانة المملكة مرة أخرى ومع هـذا فى الوقت كان انقضى بحبه فى تعويله على رماد الديانة المسيحية لانه صار اياجدرا عميقا فى الارض يستحيل عليه قلعه من أرض المملكة وما قدر الامبراطور أن ينال من هذا الامر شيأ الا بحرب داخلى تولد منه دمار المملكة وخرابها وربما كان ينجح فى أعماله لو وضع على رعيته أعمالا أقل ضلالا مما سعى فى تدبيره وسمح لليهود بالاذن فى العود الى أورشليم وبنى لهم معبدهم مرة أخرى بقصد ابطاله انما آت المسيح ابن مريم وافتراض المسيحيين وعـدم التصديق بأقوالهم وعقائدهم فجاء اليهود أفواجا وأسرابا من كافة جهات الدنيا الى مدينتهم المقدسة وشرعوا فى شغل بناء الهيكل مع الحمية والغيرة فخرجت عليهم نار هائلة على حين غفلة من أطلال المعبد الذى كان دمره طيطوس فالتزموا على ترك الشغل وقطعوا الأس من اجتهادهم فيه ومع أن الامبراطور اجتهد وسعى فى ضعف حالة المسيحيين وافتراضهم بما شغله عليهم من مظالم الجور

والتعدى وحملهم أثقالا لاطاقة لهم بها فانه رفض أيضا مذاهب الحكم والعقائد والاعتقادات التى كانت تلقى عليه من الوثنيين المتقربين منه وأعلن باباحة عموم هياكل كافة المذاهب الديانية الموجودة فى مملكته المتمسك بها عموم رعيته وصار الفرس فى جهة الشرق من المرعبين المزعجين المعكرين لاحوال البلاد والعباد زيادة عما كانوا عليه من قبل فأغار يوليان فى فصل ربيع سنة ٣٦٣ بعد الميلاد على فارس فى رأس جيش كثيف وعزم على خراب مملكة فارس الا أنه ما كان للقوى التى كانت تحت قيادته من طاقة على الزحف والتقدم فى بلاد العدو وحصل له أهوال ومصائب شديدة أرغمته على القهقرة وتمت حركتها فى مجاها أكبر الاخطار وأصعب المضار فان الجيش حارب عدة حروب فى طريق رجعته الى نزب وجرح يوليان بجراح مهلكة فى احدى المصادمات والمبارزات العديدة التى لاقاها فى مدة سيره ومات من هذا الجرح فى اليوم الثانى فى سنة ٣٦٣ بعد أن تسلطن نحوا من عشرين شهرا

ولما صار الجيش لا قائد له ولا مدبر لحركته رفع يوفيان قائد الحرس الامبراطورى الى التخت وكان مسيحى الدين فباشر حركة القهقرة مع النباهة والعقل واشترى سلامة الجيش بعقده صلحا مع الفرس وتنازل لهم فيه عن الخمسة أقاليم الموجودة فى شرق نهر الدجلة وعند عوده الى عاصمة المملكة أصدر منشورا بعود الديانة المسيحية واقامة شعائرها وجعلها ديانة المملكة وأمر باباحة عموم الديانات ومات فى فبراير من سنة ٣٦٤ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن ثمانية أشهر

ثم جاء عقب موت يوفيان فترة فى الامبراطورية استمرت عشرة أيام وفى آخرها التأم مجلس من الحكام الملكية والقواد العسكرية الموجودين فى المملكة فى مدينة نيخيا وقلدوا فلنطنيان زمام الامبراطورية وكان من أهل الديانة المسيحية قائدا شجاعا وماهرا بارعا أظهر نفسه فى الحروب وكافح الخطوب وأزال عن مملكته الكروب بما أجراه على فارس وعلى الامم المتبربرة الغربية وصدق الجيش على هذا الانتخاب الا أنه طلب أن يكون للامبراطور الجديد شريك ورفيق يشركه فى الحكومة من أجل المحافظة على الخلافة من بعد موته فخص فلنطنيان الثوب الارجوانى لأخيه الاصغر فالنس وعهد اليه زمام حكومة الشرق من الدانوب الاسفل الى حدود فارس وجعل ما بقى من المملكة تحت عهدة نفسه ومدينة ميلان عاصمته الا أنه ينقل مقر حكومته على حسب مقتضيات الاحوال فى كل من مدينتى تريفس ورهيمس فكان يحكم ممالكه وهو فى هذه العواصم مع الثبات المرغوب والقصد المطلوب وأوقع هزيمة جارحة على الالمانى على نهر الرين وعلى الكادين على نهر الدانوب وحفظ خطوط هذين النهرين باستحكامات ومعاقل وقلاع جديدة أقامها فى طول كل منهما وعبر البقطيون (أهل صكوطلنده القديمة) سد أنطونينوس ودمروا تدميرات هائلة فى بريطانيا الجنوبية فارسل عليهم غارة تحت قيادة طودوسيوس أبو الامبراطور طيودوسيوس الآتى ذكره فيما سيأتى فأوقع بهم وهزمهم وطردهم الى داخل بلادهم ومن بعد مضى مدة قليلة جاز القائد المذكور نصرة عظيمة بين جزائر اركاده على لصوص البحر الصكصونيين وكانوا عاثوا فى السواحل الغربية من أوروبا وخربوها ثم انفجرت ثورة فى افريقية تحت قيادة فيرموس قائد شجاع من رؤساء المغاربة فصار ارسال طيودوسيوس لاخماد هذه الثورة فأنهى هذا الشغل مع الظفر والنجاح وأعاد سلطة الحكومة الرومانية على مملكة نوميديا ومورطانيا وفى مبادى سنة ٣٦٧ بعد الميلاد أشرك فلنطنيان معه ابنه غراطيان فى المملكة

وجعله خليفة من بعده الا أنه لم يجعل له نصيبا فى الحكم ولما مات فى ١٧ نوفمبر سنة ٣٧٥ بعد الميلاد ترك له تاجه وتخته

وفى ظرف هذه المدة كان فالنس حاكما فى الشرق فتولد من ضعف عقله وبطء حركته زيادة عن أخيه ان كانت حكومته احدى المصائب والبلاوى فى الشرق لانه من بعد مضى سنة من جلوسه قام بروكوبيوس وهو شخص من أقارب الامبراطور يوليان وضبط القسطنطينية وقلد نفسه فيها امبراطورا فى سنة ٣٦٥ بعد الميلاد عدة شهور فاعقب ذلك حرب ثم أمره بالقبض على بروكوبيوس وقطعت رقبته فى معسكر فالنس ثم أجرى حربا لا ثمرة فيه على فارس فى سنة ٣٧١ بعد الميلاد ثم انفجر فى هذه السلطنة أكبر حادثة وأشهر واقعة وذلك أن الهونزيين فى أوروبا طردوا الغوطيين من مساكنهم عابرين حدود المملكة الرومانية حتى دخلوها والظاهر أن الهونزيين أمة طورانية (تتار) من منحدرات جبال آسيا الشمالية أو الوسطى كان أهلها على غاية من الشراسة والعتو وكانوا هم العدو الالد للرومانيين وما صادف الرومانيون فى حروبهم ووقائعهم أمثالهم من الامم المتبربرة الاخرى وكانوا على وجه التخمين اما مغل أو ترك أو يغور وحصل منهم فى نواحى الصين وجهاتها ربما كانت قلاقل زائدة حتى انه صار اقامة وعمل السد الاكبر الصينى على الثغور المغولية من طرف الصينيين لمنع غاراتهم وصد تخريباتهم عن المملكة الصينية وفى نحو سنة ٣٧٠ بعد الميلاد تحركوا الى الجهات الغربية ودخلوا أوروبا فى طول الساحل الشمالى من البحر الاسود فكان مبدأ ظهورهم فى الاقليم الموجود بين نهر ولغا ونهر الدون ثم انتقلوا من هذا الاقليم للاغارة على المملكة القوية الغوطية وهى مملكة هرمانريق وكانت هذه المملكة ممتدة من نهر الدانوب والبحر الاسود الى بحر البلطيق داخل فيها روسيا الجنوبية الغربية وبولنده وبروسيا الشرقية وممتدة على كثير من قبائل وعشائر مختلفة من جنس واحد أجلها وأشهرها القبيلتان الكبيرتان وهما قبيلة الغوط الشرقية وقبيلة الغوط الغربية فتغلب الهونزيون على الغوطيين وطردوهم من أراضيهم وبلادهم فاستحوذ الغوط الغربية ومن بعدهم بقليل الغوط الشرقية على رخصة فى عبور الدانوب والتوطن فى موزيا (بلغاريا) كرعايا لامبراطور الرومانيين فقيل انه عبر من النهر نحو من مليون نفس من الغوط الغربية وحدها ولاريب أن مادة نظر الشغل لمثل هذا العدد الكبير والجم الغفير من أصعب الاشغال فتعين مبعوثون من الرومانيين لشغل توطين وراحة هذا العدد الكثير فكان سببا فى عناء أنفسهم مما يجب عليهم أداؤه شرعا ومن سوء ما عامل به الرومانيون الغوطيين اشمأزت نفوس الغوطيين من حاجتهم الى أعدائهم الرومانيين وساروا بالقوة عنوة على مارسيانوبل وهزموا الجيش الرومانى وخربوا تراسه بالسيف والنار وجاسوا فيها فخرج اليهم فالنس بجيوشه فانهزم وقتل مع ثلثى جيشه فى واقعة كبيرة حصلت بالقرب من نواحى أدرنه فى سنة ٣٧٨ بعد الميلاد

وفى غضون ذلك استخلف من بعد فالنطيان الاول ابنه غراطيان فاشرك معه فى الحكومة أخاه الطفل فالنطيان الثانى وكان عمره خمس سنوات وبمجرد موت فالنس انتخب غراطيان رفيقه فى المملكة من أمهر قواده اسمه طيودوسيوس وعهد اليه زمام حكومة الشرق وأضاف اليه ايالة الريقوم فى سنة ٣٧٩ بعد الميلاد وأما غراطيان نفسه فان سنيه الاولى التى انقضت تحت التعليم (لان عمره كان سبع عشرة سنة وقت جلوسه على تخت المملكة) وتحت سلطة معلميه كانت كثيرة

المواعيد ولما بلغ أشده غلب عليه ضعف عقله ورخاوته فى أشغاله وعكف نفسه على الصيد وضيع فى اللهو واللعب الساعات والايام التى كان يجب عليه صرفها فى الاشغال التى يعود منها النفع عليه وعلى مملكته فمن ثم انتقلت شوكة الحكومة وسلطتها الى أيدى الاراذل من المتقربين منه فساوفوا مع الشدة بما عهدهم به الامبراطور وترك الامبراطور الجيش فاحتقره وازدراه ومامضى على ذلك مدة حتى رفعت الثورة رأسها وشالت ذنبها وألبست الفرق العسكرية فى بريطانيا مكسيموس الثوب الارجوانى فعبر الى الغلية وعزم على المنازعة فى خصوص التاج مع غراطيان فترك عساكر الغلية غراطيان فلما وجد نفسه وحيدا متروكا هرب من باريس الى ليون فصار القبض عليه فيها وقتل فى سنة ٣٨٣ بعد الميلاد

ودخل مكسيموس فى عهد مع طيودوسيوس ورضى امبراطور الشرق بالاقرار بالسمو الامبراطورى الذى اغتصبه العاصب مكسيموس وكذا أذعن مكسيموس بالاقرار لقلنطنيان الثانى فى سلطنته فى ايالاته بجهة ايطاليا مع السلم والامن وفى سنة ٣٨٧ بعد الميلاد نكث مكسيموس عهده مع قلنطنيان الثانى وأغار على ايطاليا وطرد قلنطنيان منها فهرب ملتجئا عند عمه طيودوسيوس فتردد طيودوسيوس فى أمره قليلا ثم تكفل بأمر ابن أخيه وحضن شغله وزوجه أخته غالا وهزم مكسيموس فى بانونيه وأعاد قلنطنيان الى تخته فى سنة ٣٨٨ بعد الميلاد

وبلغ عمر قلنطنيان الثانى فى ذلك الوقت ثمان عشرة سنة فكان مثل أخيه غراطيان ضعيف العقل بطئ الحركة كسلان سمح لنفسه بأن يكون تحت نفوذ واحد من ضباطه اسمه أرغوباسطى افرنكى الاصل فجعله هذا القائد مجرد لعبة فى يده ولما ضاق قلنطنيان ذرعا من شدة ماحصل له من تعبه فى مركزه عزم على عزل تابعه القوى البأس فكان سعيه على عبر طائل ورفض أرغوباسطى الانقياد والطاعة لامر الامبراطور ومن بعد مضى بضع أيام قتل سيده ونصب الهمن آلاته اسمه عوغينوس امبراطورا فى سنة ٣٩٢ بعد الميلاد فجمع طيودوسيوس جيشا كبيرا وساقه لاخذ ثار ابن أخيه فأغار على الايالات الغربية وهزم عوغينوس بالقرب من ناحية اكيلية وقبض عليه وقطع رأسه فى سنة ٣٩٤ بعد الميلاد والترم أرغوباسطى على الهرب مدة حياته حتى آل أمره أن قتل نفسه بنفسه

وفى مدة سلطنة كل من مكسيموس وقلنطنيان الثانى وعوغنيوس فى الغرب كان الشرق تحت حكومة طيودوسيوس الاول فلقب نفسه بلقب الاكبر وحكم حكومته بالشدة وكان مبدأ سلطنته فى سنة ٣٧٩ بعد الميلاد فعكف نفسه على مباشرة الاشغال اللازمة لمقاومة الغوط الغربية وكانوا جعلوا اقسام المملكة على شرف الخراب والدمار وفى طرف الخمس سنوات التى جاءت من بعد جلوسه على التخت صيرت له أعماله العسكرية العظيمة وشهرة صيته فى الشجاعة وتدبير الاحكام الطاقة الكبرى على ارغام هذا الجنس المؤذى لمملكته وجعله رعية نافعة له واستعمله مع أسلحته وذخائره على أعداء مملكته وتخته وأسكن مستعمرات كثيرة من الغوط الغربية فى تراسة ومن الغوط الشرقية فى آسيا الصغرى ودخل من مقدرى شجعانهم نحو من ٤٠٠٠٠ نفس فى خدمة الجيش الرومانى وقد ذكر بعض أرباب السياسة أن طيودوسيوس أخطأ خطأ كبيرا فى اعطائه الرخصة لمثل هؤلاء القوم فى الاقامة والتوطن بين رعيته لان الغوطيين ما كانوا على كفاية من الحضارة والتمدن حتى يختلط

مع الرعايا الآخرين من المملكة وعلى هذا فان الامبراطور لم يختر لنفسه الا الاذى والضرر لانه لو رفض قبول توطن الغوطيين ربما تؤول الحالة عندهم الى درجة اليأس والقنوط فيكون الخوف من هذا أشد وأقبح مما يقع من ارتباكهم وكان طيودوسيوس فى ظرف المدة التى عاشها على درجة كاملة من قمع الامم المتبربرة وما حاز خلفاؤه الاعشار ما حازه طيودوسيوس من تدبيره وذكائه فانه رفع الغوطيين الى درجة السيادة فى المملكة بدل أن يكونوا العدو الالد والقضاء المبرم والضرر الاكبر عليها

وبهذه السلطنة كانت الشعائر والديانة الوثنية مسموحا بها بأمر من الامبراطورات الذين سبقوا حتى أصدر طيودوسيوس أمرا جازما بمنع اجراء أى شئ من الشعائر الوثنية وقتل كل من خالف هذه الاوامر وأمر بقفل معابد الوثنيين وضبط أملاكهم وعقاراتهم التى كانت موقوفة على الهياكل والمعابد وأمر أن يكون يوم الاحد يوما مقدسا حرم فيه الاشغال والاعمال حتى غشية القوانين والاحكام وأرسل مراقبين الى الاقاليم لرؤية تمشية أوامره وتنفيذ الجرى على موجبها فارسل سنغيوس نائب سرايته الى مصر لمراقبة تنفيذ الاوامر وكانت أجريت أوامر الامبراطور فى مصر بمعرفة طيوفيلوس أسقف الاسكندرية فكان هذا الرجل هو العدو الالد للاسلام وأهل الفضل وكان رجلا جسورا قبيح السلوك أياديه مغروسة بالتعاقب فى الذهب والدماء فكنس هذا الاسقف هيكل ميثره فى الاسكندرية وكانت عينه ناظرة على الدوام لزخارف هيكل سرابيس اله المصريين وقد ذكرنا الكلام عليه فى تاريخ مصر فى مدة السلطنة البطليموسية وسبب جلب هذا الصنم فى الاسكندرية فى الجزء الاول من هذا الكتاب فكسر الاسقف بواسطة عساكر النائب المرسل من طرف الامبراطور الصور والتماثيل الموجودة فى معبد سرابيس المشهور وكان هذا المعبد قاعة الديانة الوثنية وكانت مدينة الاسكندرية معدودة بانها مدينة سرابيس الحافظ لها والمعبد به فكان هيكل سرابيس العدو لكبرياء الكابيتول ومجده فى رومة مقام فى ميدان على رأس جبل صناعى مصنوع له بالخصوص مرتفع بقدر مائة ذراع فوق أرض المدينة المجاورة له وقبته القوية محمولة على عقود موزعة على قبوات وقواصر وسراديب ساترة لمحلات أرضية وكانت هذه الابنية محيطة بايوان من الاعمدة فى هيئة شكل رباعى ويظهر من رؤية الفسحات السامية والتماثيل الظريفة عجائب الصناعات ونحوها وكان محفوظا فيه ذخائر كنوز التعليم القديم وكتب الفلسفة والعلوم فتعرض الاسقف لدمار كافة الزخارف والتماثيل التى كان أتباعه فى مدينة الاسكندرية يراعون تقديسها فكان هذا الاسقف منشأ الاضطرابات والقلاقل فى المدينة فاجتمع طلبة مدارس الفلسفة وانضم اليهم أوباش المدينة وعوامها لتوقيف هذا الدمار والانتقام لانفسهم من المغيرين عليهم فتولد من هذا مضاربات ومحاربات ووقائع عديدة فى الحارات والشوارع بين الوثنيين والمسيحيين فتسدد فيها كثير من الانفس والارواح من الحزبين الا أن المسيحيين لما كانوا معتضدين بشوكة نائب الامبراطور بددوا الوثنيين وهرب الكثير من الطوائف العالية من المدينة وما أخمد العساكر هذه الفتنة ومقاومة الوثنيين الا وابتدأ الهدم والخراب مرة أخرى من ثوران غيرة هذا الاسقف فهدمت كافة الهياكل وتكسرت زيناتها وزخرفها وسحق الاسقف تماثيل الآلهة وصبها أشعالا أخرى لكنائس الاسكندرية وكان من ضمن منهوبات معبد سرابيس الكتبخانة الكبرى وكانت مشتملة على ٧٠٠٠٠٠ مجلد تبددت أمرها وانقضى نجمها

ونشر أيضا طيودوسيوس منشورات ولوائح وقوانين شديدة بخصوص الاريانيين وهم توابع القسيس اريان الذين يقولون بأن الابن ليس من جوهر الاب وآخرين حصل منهم الابتداع والخروج عن العقائد الديانية المسيحية فى الاسكندرية وكان صدر منشورون مجلس يتخيا بعقابهم فى سنة ٣٢٥ بعد الميلاد وكذا من القسطنطينية فى سنة ٣٨١ بعد الميلاد وأرغموا على تسليم كنائسهم والتخلى من قسوسيتهم ومنعوا من الوعظ والخطابة والتزيى بزى القسس وانتقلت كافة أملاكهم الى الصوفيين من المسيحيين وكانت العقابات والجزاآت المشتملة عليها هذه اللوائح والقوانين هى التغريم والنفى وكان القانون المدنى الذى نشره طيودوسيوس صعب التنفيذ جدا فى الادارة والحكومة حتى اشتهر بأن أعمال الامبراطور أرحم من قوانينه

وفى هذه المدة ارتفعت شوكة الكنيسة بما حصل من المصادمة المشهورة بين الامبراطور طيودوسيوس والاسقف عمبروس بطريق ميلان وكان عمبروس هذا كما قال جبون من ذرية عائلة شريفة من الرومانيين وكان أبوه موظفا فى مصلحة جليلة بصفة نائب فى نواحى الغلية فمن بعد أن قضى ابنه عمبروس مدة تعليمه وتهذيبه توظف حاكما فى ليغوريا وهو اقليم من أعمال ميلان الامبراطورية من بعد أن حاز الشرف فى الخدمات الملكية ولما بلغ عمر عمبروس أربعا وثلاثين سنة انتقل بغتة من وظيفة حاكم الى وظيفة بطريق أكبر من قبل أن يتناول العشاء الربانى والمعمدة البطريقية وحياه الناس بتحية البطريقية العظمى من دون اختلاطهم أو عمل حيلة أو شئ فى ذلك ودخل عمبروس فى وظيفة روحانية ما كان مستعدا لها فى أصل تعليمه ولا اشتغل بها فى مدة حياته الا أن ما كان عليه من قوة نباهته وذكائه صيره أهلا لاداء تدبير وسياسة وظيفته الكنائسية وفى حالة ما كان يتحمل لنفسه فى عدم اشتغاله بما لا فائدة فيه من الاشغال ويحاذر من وقوعه فى أحبولة المجد والافتخار الدنيوى انعطف لتدبير وادارة ما فى ضمير الامبراطورات وحكم ادارة المملكة من أجل وجود الخير والفائدة للكنيسة ووقعت محبته فى قلب غراطيان وأكرمه اكرام الآباء فعلم عمبروس هذا الشاب مذهب عقائد التثليث ومن بعد موت غراطيان أرسل بطريق ميلان رسالة مرتين الى ديوان تريف حال الماحل بالامبراطورية بوسطينة الارتباك والخوف وعدم الامن على نفسها وعلى ابنها فلنطنيان وأجرى شوكة شهامته الروحانية وأعماله السياسية مع الثبات والبراعة ولازمه قسس ميلان وأهلها وكان على تقوى وورع وعفة نفس وبواسطة تدبيره وعذوبة كلامه وفصاحة لسانه صد مطامع مكسيموس ووطد الامن والراحة فى ايطاليا وباع دنياه بآخرته وقاوم الامبراطورات وأقام شعار الديانة المسيحية وجعل للكنيسة الشوكة العظمى

ثم هاجت ثورة فى ملعب الخيل فى تسالونيقة مات فيها قائد غوطى وجملة من الضباط معه فأمر الامبراطور بذبحة عامة فى أهل تسالونيقة فقتل فيها البرىء والمجرم وكان مقر الديوان الامبراطورى فى هذا الوقت فى ميلان وكان وقوع هذه الثورة عارا فاضحا ثم اتسعوا فيها الى حالة مهولة مفزعة وذلك أن هذه المدينة الكبيرة كما قال جبون عاصمة كافة الاقاليم الاريانية كانت محفوظة من أخطار الحرب الغوطى باستحكامات وفيها جماعة من العساكر محافظون فيها وكان بوتريق قائد هؤلاء العساكر جميل الصورة والهيئة بين عساكره فقوم شهوات أغراض واحد من سائقى عربات ملعب الخيل وكان بوتريق فى الملعب بين عساكره فأمر بوتريق بقذف هذا الشهوانى الحيوانى القبيح فى

السجن ورفض مع تقطيب وجهه وعبوسته رجاءوالحاح الجم الغفير من اخوان هذا العربجى فحزنوا على صاحبهم حال غيابه عنهم فى السجن واستقبح الاهالى وقوع مثل هذه المسئلة وحصل بينهم مشاحنات وانتظروا حتى قل عدد الحافظين بتوجههم الى الحرب فى ايطاليا وصار الباقى القليل لايكفى لخلاص القائد المنحوس من الغضب الشديد الحاصل عند أهل الملعب فقاموا فى ثورة وقتلوا بوتريق وعددا من الضباط الكبار معه أفظع قتلة وجروا أجسادهم غرقى فى دمائهم فى شوارع المدينة ووصلت أخبار هذه الحالة المفزعة الى مسامع الامبراطور طيودوسيوس فاستغرب من هذه الوقاحة الرذلة وأسف كثيرا على موت القائد ومن معه الضباط فأصدر أمرا بالقصاص الشديد على من كان مباشر فعل هذه الجريمة وما تدبر طيودوسيوس فى نفسه من شدة ما وقع عنده من الغضب أن يأمر بعقد هيئة عدلية للفحص عن هذه المادة بل عزم على أن دم نائبه لايكفر عنه الا دم هؤلاء المجرمين جميعا وهم أهل تسالونيقه وأرسل من ينفذ مفعول أمره ثم تردد بين مجلسى العفو والانتقام فاستحصل عمبروس فى هذا الوقت من الامبراطور رات على العفو العام وأطفأ غضبه أيضا تملق وزيره روفينوس له وذلك من بعد أن أرسل طيودوسيوس رسل الموت فعزم طيودوسيوس من بعد أن فات الوقت على ابطال مفعول أمره الا أنه قضى الامر بعقاب مدينة رومانية بسيوف المتبربرين واستعدت اللوازم الكافية وترتبت الرجال الكافية لقصاص أهل هذه المدينة ودعوا الى المدينة أهلها على اسم مالكهم وسلطانهم للفرجة على الملعب فاجتمع أهل المدينة فى محل اللعب من دون أن يكون عندهم فكر فى خيانة أو خوف أو وهم ولما تم الجمع وازدحم الناس أعطيت الاشارة للعساكر وكانوا فى مكامن خلف الملعب بوقوع مذبحة عامة فما أبقوا على شيخ ولا شاب ولا طفل ولا امرأة بل ذبحوهم جميعا واستمرت هذه المذبحة ثلاث ساعات قتل فيها البرىء والمجرم وكان عدة من قتل نحوا من سبعة آلاف روح الا أن بعض المؤرخين أثبت ان الذى قتل فى ثاردم بوتريق وأصحابه كان نحوا من خمسة عشر ألف نفس وصارت حالة المدينة وشوارعها ومبانيها وملبوس الباقى من أهلها ووجوههم تنبئ بما كان فى ضمير الامبراطور مما أوقعه من الخراب والدمار على أهلها واطمأن فى نفسه بأخذ ثار نائبه من أهل مملكته ومن ملازمة القسس الصوفية للامبراطور وقع عمبروس عنده موقع القبول ومال اليه بعصمته له واستوصب أعماله وصفاته وأحب ملازمته وجواره وكان عمبروس حاز فضائل القسوسية وارتقى فيها الى أعلى درجات الكمال وتمثل وزراء طيودوسيوس باسوة مليكهم فى اغداق محبتهم لعمبروس ورأى طيودوسيوس مع العجب لا الغضب أن كافة أسرار مجالسه جار نقلها مباشرة الى البطريق عمبروس الذى كانت مساعيه جارية فى فعل الخير لله ومنافع الديانة الحقة فاتفق فى هذا الوقت ان رهبان وسكان المدينة الصغيرة المسماة كالينقوم الموجودة على حدود فارس أخذتهم غيرة التعصب الدينى وقاموا فى هياج وشغب مع أسقفهم وحرقوا معبد الفالنطنيانيين أى الخارجين عن العقائد المسيحية وكذا حرقوا معبد اليهود فصدر الحكم على الاسقف الذى كان سببا فى هذه الحادثة من طرف نائب الجهة بكونه اما أن يعيد المعبدين كما كانا أو يدفع مقدار قيمة الخسارة وكان الامبراطور مصدقا على هذا الحكم الا أن بطريق ميلان ما راه ولا صدق عليه فكتب البطريق كتابا واقعا للامبراطور يعنفه فيه ويوبخه ويذمه وقال له يحتمل أن الامبراطور اختتن أو رفض عقائد الديانة المسيحية حتى صدق على هذا الحكم واعتبر عمبروس ان هذا التصديق واباحة اليهودية جورا وتعديا على الديانة المسيحية وأعلن فى منبر كنائس

كتبه انه هو وكل مؤمن يعتقد فى المسيح ينازع أسقف كالينقوم فى الفعل والتتويج بتاج الشهادة وتأسف فى مكتوبه من أن هذا الحكم يكون عاقبته مشؤمة على طيودوسيوس وعدم نجاته من حر نار جهنم ولما سمع أيضا عبروس بمذبحة تسالونيقه تشتت أفكاره وقام الغضب فى رأسه فاعتزل فى خلوته لمكابدة آلام أحزانه وامتنع من الحضور عند الامبراطور طيودوسيوس لكنه لما رأى أن اعتزاله هذا وحبن سكونه يتولد منه زيادة فى جريمته كتب كتابا مخصوصا للامبراطور بما هو عليه من الكبائر والآثام وقال له ان هذه الجرائم لايكفرها الا التوبة وسكب عبرات الاحزان وأصدر من عنده منشورا دينيا بالحجر الكنائسى على الامبراطور وارتداده عن الديانة المسيحية ولا يجوز تقريب قربان على اسمه ولا مشاركته فى أى شئ من شعائر الديانة ولا قربه من منابر المسيح ولا الصلاة ولا العشاء الربانى المقدس مادامت أياديه ملطخة بدماء أمة بريئة مما نسبها اليه فتأثر الامبراطور جدا من الذم فيه ومما حصل من أبيه الروحانى وكان كلما زاد عبروس غضبا ازداد طيودوسيوس صداقة وخضوعا له ومن بعد أن تأسف وندم على ما حصل من نتائج غضبه توجه مثل العادة لقضاء عبادته فى الكنيسة الكبرى فى ميلان فقابله على بابها القديس عبروس وما سمح له بالدخول فيها وقال له بلسان وكلام المبعوث من عند الله ان التخشع الخفى لايكفى فى تكفير جريمة عامة أو يطفئ عدل غضب الاله فقال له طيودوسيوس مع الخشوع والتواضع ان كنت أنا اكتسبت الاثم من القتل فان غيرى اكتسب جريمة القتل والزنا معا فأجابه البطريق حيث انك قلدت غيرك فى جريمته فيلزمك أن تقلده أيضا فى توبته واستمر طيودوسيوس تحت هذا الحجر ثمانية أشهر حتى اعترف بجريمته وخطئه وتاب عن فعل الجرائم والآثام فى حضور جمع من القسس والاعيان وقوبل مرة أخرى وهو لابس ملابس الذل والندم فى داخل الكنيسة وغفرت له ذنوبه وخطاياه فى يوم عيد من سنة ٣٩٠ بعد الميلاد

وما عاش طيودوسيوس من بعد نصراته على عوغنيوس وجمع الشرق والغرب تحت حكمه بمفرده بل مات فى ميلان فى ١٧ ينايرسنة ٣٩٥ بعد الميلاد من بعد أن تسلطن نحوا من ست عشرة سنة وكان قسم ممالكه بين ولديه فاعطى اركاديوس الكبير المشرق وأعطى هونوريوس الصغير المغرب وكان عمر هونوريوس احدى عشرة سنة وجعله تحت وصاية القائد القندالى سطيليخوا فزوجه بابنة أخته

وتولد من تقسيم المملكة بين ولدى طيودوسيوس الانفصال الحقيقى للشرق من الغرب والى هنا كان قسما المملكة مجموعين تحت فكر واحد وتعاضد نوعا ومع أنهما ما كانا مشكلين مملكة واحدة الا أنه لم يخل اجتماعهما من فائدة مشتركة بينهما ومن ابتداء موت الامبراطور طيودوسيوس تغيرت الافكار ووقعت الغيرة والحسد وعدم الثقة والاعتماد وأخذ باب الخرق فى الاتساع بين فرعى المملكة وازداد اتساعه يوما فيوما

وصار الحكام الاصلية الحقيقية روفينوس فى الشرق وكان نائب اركاديوس وسطيليخو فى الغرب وصى هونوريوس فتولدت العداوة والبغضاء بين هذين النائبين حتى وصلت الى المبارزة والمناضلة جهرة ثم انتهى هذا الشقاق بقتل روفينوس باغواء وتحريض من طرف سطيليخو فى سنة ٣٩٥ بعد الميلاد وصار سطيليخو أكبر شخص فى المملكة ومحلا للحسد وكراهة اركاديوس والمتقربين منه

ومن بعد موت طيودوسيوس الاكبر بقليل قام الغوطيون ونكثوا طاعتهم للملكة وكانوا تحت قيادة رئيسهم المشهور علاريق وفى فصل صيف سنة ٣٩٥ بعد الميلاد أغاروا على مقدونيا وفى ظرف هذه السنة والسنة التى جاءت بعدها خربوا نحوا من عموم الجريس فسار سطيليخو على علاريق وألزمه القهقرة فتولد من غيرة وحسد اركادوس المستمر أن يسرع فى ضعف سطيليخو وحزبه فعقد معاهدة مع علاريق وعهد اليه رياسة عموم الريقوم الشرقية وصدر الامر الى سطيليخو بسحب نفسه من ممالك اركادوس فأطاع الامر وقضى الباقى من القرن فى اخماد ثورة كانت حصلت فى افريقه وفى سنة ٣٩٨ بعد الميلاد زوج بنته مارية من ابن أخته الامبراطور الشاب هونوريوس

ثم رأى سطيليخو من توظيف علاريق حاكما عموميا على الريقوم أن الايالات الغربية من المملكة على خطر من طمع هذا الرئيس المرتاب ورأى سطيليخو فى نفسه أن امبراطور الشرق لاجل خلاص ممالكه من اغارة وتخريب الامم المتبربرة قواهم فى السرعلى الهجوم على الامم الموجودة فى ممالك أخيه وفى نحو مبادى هذا القرن انتخب علاريق ملك الغوط الغربية بمعرفة قومه وأهل بلاده فأخذه الغرور من ظرافة ايطاليا وكثرة أموالها فعبر جبال الالب فى سنة ٤٠٢ بعد الميلاد ومازال سائرا حتى وصل تحت أسوار ميلان قبل أن يجمع سطيليخو جيشا كافيا لمقابلته وهرب هونوريوس الى قلعة رافنه الحصينة التى لا يمكن التغلب عليها فأسرع سطيليخو ومر من جبال الالب فى منتصف فصل الشتاء لاجل تجنيد وجمع جيش من الايالات الغربية وبذل ما فى طاقته حتى عاد ثانيا الى ايطاليا فى مبادى فصل ربيع سنة ٤٠٣ بعد الميلاد فى رأس جيش كثيف وأوقع بالغوطيين وهزمهم هزيمة حاطمة فى ضواحى بولنطيه على نحو خمسة وعشرين ميلا من مدينة تورين فى يوم ٢٩ مارث وتبدد شمل كافة العساكر المشاة الغوطية فجمع علاريق بجسارته وجودة تدبيره جميع عساكره الخيالة من دون أن يحصل فيهم أدنى ضرر وسار مجدا على رومة متعشما فى التغلب عليها من أول صدمة بصدمها بها فأسرع سطيليخو معقبا له وحرمه مما كان فى نيته ثم تبصر سطيليخو فى عواقب أموره ودبر ما فيه حزم الرأى وعرض على ملك الغوطيين الصلح والقهقرة مع الامن براتب كاف له شهرى على شرط أن يسحب نفسه وعساكره من البلاد وألزم رؤساء الغوطيين علاريق بقبول هذه الشروط ولما تم عقد المعاهدة ساق ما بقى من عساكره ورجع عائدا الى الريقوم وصار انهزام قهقرة الامم المتبربرة فى رومة باحتفال عظيم فخرج فى وسط الملاعب تلماكوس من العباد المسيحيين فى ميدان المصارعات بالسيوف حاملا الصليب على رأسه وأمر المصارعين أو المكافحين باسم الههم أن يبطلوا ألعابهم هذه التى ليست من نوع الانسانية فغضب الجم الغفير من المتفرجين الحاضرين ورموه بالاحجار حتى مات وبعد قليل ندموا على ما فعلوا من الذنب والجريمة وقرروا بأن تلماكوس مات شهيدا فانتهز هونوريوس الفرصة من أجل هذه الحادثة وأبطل ألعاب المكافحة بالسيوف ثم نقل الامبراطور مقر الحكومة من ميلان الى قلعة رافنه وكانت فى وسط مستنقع لا يمكن عبوره من طريق واحد ديمكن حمايته وقطعه وقت الحاجة والضرورة ومن غيره كانت القلعة غير ممكن الوصول اليها ولا التقرب منها واستمرت رافنه عاصمة مملكة ايطاليا الى أواسط القرن الثامن بعد الميلاد

وفى سنة ٤٠٥ بعد الميلاد ظهرت أمة جديدة من الامم المتبربرة فى ايطاليا وذلك أن القندالين وهم أمة من السلاف من سهول نهر الويستول تحركوا تحت قيادة رئيسهم رادغابسوس أو رادغاسطى نحو الجهة الجنوبية الغربية وانضم اليهم فى مدة حركتهم السويفيون والبورغنديون من القبائل الجرمانية وكذا قبيلة العلانيين من الصيطيين فعبروا جبال الالب ونهر البو وجبال الابنين من دون أن يلقوا كيدا وخربوا الاقليم الكائن بين جبال الالب ونهر ارنو بالسيف والنار ولما كان سطيليخو باذلا جهده فى جمع جيش للمقاومة وكان رادغاسطى مجرد قائد أمم همجية وحشية وما كان له مطلب سوى الخراب والدمار والسلب والنهب وكان أقسم قسما مؤكدا أن يجعل رومة كوما من التراب ويقرب أرباب مجلس السناتو قربانا لآلهته ولما صدت مدينة فلورنسه حركته بما حصل منها من المقاومة الشديدة التى أوقعتها عليه توقف عن السير والحركة الى الجهة الجنوبية حتى أخضع هذه المدينة فكان تأخيره سببا فى تيسر الحصول لاسطيليخو على وجود زمن جاء فيه بجيشه الذى جمعه ودبر سطيليخو تدابيره العظيمة فى اجراء حركاته العسكرية حتى هزم هذه الامة الشديدة البأس من بين الامم المتبربرة وبدد شملها وقبض على رادغاسطى وذبحه وألزم ما بقى من الجيش وكانوا نحو ١٠٠٠٠٠ مقاتل على الانسحاب والخروج من ايطاليا فسار هؤلاء المتبربرون الى نواحى الغالية فى سنة ٤٠٦ بعد الميلاد واستوطنوا الاقاليم الذى سمى فيما بعد باسم بورغندى وطردوا أرباب الاملاك من أملاكهم وأرضهم وخربوا المملكة بالسيف والنار من قبل أن يستديم توطنهم فيها فكانت هذه الحركة الكبيرة سببا فى سقوط السلطنة الرومانية من هذه الجهة وما عادت بعدها أبدا وفى سنة ٤٠٧ بعد الميلاد خسرت المملكة بريطانيا بواسطة ما حصل من الفرق العسكرية الموجودة فى هذه الجزيرة من الثوران فانهم قاموا وقتلوا اثنين من امبراطوراتهم وأجلسوا على التخت واحدا من قوادهم اسمه قسطنطين فمد هذا مملكته فى سنة ٤٠٨ وسنة ٤٠٩ بعد الميلاد على قسم الغالية الذى سلم من تغلب الامم المتبربرة عليه وكذا على اسبانيا وفى سنة ٤٠٨ بعد الميلاد أصاب المملكة عناء الخسارات التى لا تعوض وهى موت قائدها الاكبر سطيليخو وكان سبب موته أنه سخط من ضعف هونوريوس ورخاوته وازدرى به وأضمر على عزله والانعام بالتخت على ابنه عوخيريوس فحض أعداء سطيليخو هونوريوس مع السهولة على قتله وما زالوا به حتى رضى وسمع بذلك فضبط وقطعت رأسه وكان موته سببا فى حرمان المملكة من رجل وحيد عصره كان فيه القابلية الكبرى والطاقة التى لا تكل ولا تمل على المنازلة والمحاربة مع الامم المتبربرة والذين لا عقول لهم من الذين جاؤا من بعده وخلفوه فى منصبه واعتمد عليهم الامبراطور فى أمور مملكته فصرفوا الحرب مع السرعة وكانوا يتمنون البعد عنه وكانوا سببا فى استمرار حروب علاريق مدة طويلة وما اكتفوا بهذا فقط بل أبعدوا عن أنفسهم حركة الجيش الوحيد الذى كان فيه الكفاية لمحاربة الغوطيين بان تسببوا فى وقوع مذبحة عمومية فى عائلات الاغراب المساعدين فى الحروب وكانوا وافى المدائن الايطاليانية رهائن من أجل خدمة هؤلاء العساكر مع الصداقة والثقة فى خدمات العسكرية فأقسم العساكر الاغراب أن يأخذوا بالثار وينتقموا من قاتلى أزواجهم وأولادهم وأهليهم ودعوا علاريق للاغارة على ايطاليا ووعدوه الانضمام معه من دون مهلة والمساعدة له على هذه الاغارة فأسرع ملك الغوطيين فى قبول هذه الدعوة من دون حصول أدنى توان وسار مجدا حتى عبر جبال الالب وزحف بجيوشه على رومة وحاصرها وضيق عليها ولما آل

امرها

أمرها الى العدم وأشرفت على الخراب وتركها الامبراطور واشترى مجلس السناتو سلامة المدينة ودفع الى علريق مبلغا جسيما من النقود فداء المدينة حتى رفع الحصار عنها وتقهقر الى توسقانه وهى عطروريا وعزم على قضاء فصل الشتاء فيها وسعى ملك الغوطيين أيضا فى أن يكون مع هونوريوس على أمر فيه صلاح لهما فلعن لعنا مغلظا فى أثناء مخابرته فى هذا الامر ففصل المسئلة وكسر عودها وسار على رومة وضبط مينة عوسطيه وكانت الغلال والحبوب اللازمة لاحتياجات العاصمة مخزونة فيها فحصل من ذلك فى رومة القحط الشديد وسلمت نفسها الى علريق من دون شرط فجعل علريق والى المدينة وهو النائب عطالوس امبراطور الغرب بدل هونوريوس وقلد عطالوس علريق رياسة عموم الجيوش الرومانية فمنع هراقليان حاكم افريقه صادرات الحبوب والزيوت الى رومة وخدم هونوريوس خدمة جليلة وكان سببا فى وجود القحط والنفور فى داخل رومة وأراد عطالوس أن يجعل نفسه مستقلا من علريق فخلعه علريق فى سنة ٤١٠ بعد الميلاد ورغب علريق مرة ثانية أن يكون على شروط وعهود مع هونوريوس فما نال سوى اللعن المغلظ أيضا فوجه علريق وجهه وسار على رومة وكانت فتحت أبوابها له ليلا بمعرفة من كان فيها من الرقيق فى ١٠ أغسطوس من سنة ٤١٠ بعد الميلاد وأمر علريق بالقتل والسلب فى المدينة مدة خمسة أيام متوالية وفى أثناء هذه المدة انتقم الرقيق من أسيادهم وكان عدد الرقيق نحو من ٤٠٠٠٠ نفس ونالوا فيهم أغراضهم وأخذوا بثأر ما كانوا كتسبوه منهم من العناء والضر روشفوا صدورهم من مواليهم وكانت رومة مشحونة بالاموال والبضائع والجواهر الثمينة والمواد النادرة الوجود كالذهب والفضة والجواهر وأصناف الحرير وأنواع النقوش الجريسية والغنائم والاسلاب التى انتخبت وجلبت الى رومة من البلاد والاقاليم التى كانت فتحتها فضبط الغوطيون كل هذه الاشياء وحملوها من رومة ودمروا ما لم يقدروا على حمله ولم ينج من أيديهم الا الكنائس والاملاك الموقوفة عليها فقط لان علريق كان مسيحى الدين يقال انه هيج حربا على الرومانيين لا على المرسلين

وسار الغوطيون فى طول الطريق الابيانى وتغلبوا على ايطاليا الجنوبية وعجزوا عن التغلب على جزيرة سيسيليا وافريقه فأنشأ علريق أسطولا من أجل عبوره البحر الابيض المتوسط فتبدد أمر هذا الاسطول من العواصف والتلاقيح وختمت هذه العبارات بموت علريق فجأة فحول الغوطيون مياه نهر بوزنطيوس من مجراها الاصلى بشغل الاسرى الرومانيين ومن بعد تجفيف النهر من الماء بنوا فيه قبرا وزخرفوه بالغنائم والاسلاب الرومانية وأرقدوا فى هذا القبر جثة علريق وغلقوا القبر وأعادوا المياه كما كانت الى مجراها الاصلى وذبحوا كافة الاسرى الذين اشتغلوا فى هذا الشغل حتى لا يفشى أحد منهم محل هذا القبر وكان ذلك فى سنة ٤١٠ قبل الميلاد

ومن بعد موت علريق خلفه عودولفوس صهره فاستمر فى خراب ايطاليا الجنوبية نحو من سنتين ثم عقد بعدها الصلح مع هونوريوس وتزوج بلاسيديه أخت الامبراطور وانصرف الى داخل الغلية ثم سار منها الى اسبانيا وكان الفنداليون تغلبوا عليها فى سنة ٤٠٩ بعد الميلاد فطرد عودولفوس الفنداليين وأسس سلطنة الغوط الغربية تابعة للمملكة الغربية فى سنة ٤١٤ بعد الميلاد واستمرت هذه التبعية نحو أربع سنوات الى زمن طيودوريق الاول سنة ٤١٨ بعد الميلاد ثم صارت المملكة مستقلة فى نفسها وأما الفنداليون الذين طردهم عودولفوس الى الجهة الجنوبية من اسبانيا

واستوطنوها فقد عرفت هذه الكورة باسم فندالسه أو فندالوزيه وسماها العرب باسم أندلس أو الاندلس

ومن بعد موت عودولفوس زوج هونوريوس أخته بلاسيديه أرملة ملك الغوطيين الى قنسطنطيوس وأشركه معه فى المملكة ومات قنسطنطيوس من بعد أن تسلطن سبعة أشهر ثم اشتبكت بلاسيديه فى منازعة مع هونوريوس ولما خافت على نفسها هربت الى القسطنطينية والتجأت عند ابن أخيها طيودوسيوس الثانى أمبراطور الشرق ثم مات هونوريوس من بعد مضى بضع شهور ومن هربها من بعد أن تسلطن ثمانيا وعشرين سنة لم يعمل فيها شيأ سوى عدم الاهلية والعجز فى سنة ٤٢٣ بعد الميلاد ومن بعد موت هونوريوس اغتصب التخت شخص اسمه يوحنا كان كاتب أسرار هونوريوس فأرسل طيودوسيوس الثانى أسطولا وجيشا لخلع هذا الغاصب وتقوية طلبات عمته وابنها فلنطنيان فتم هذا المشروع على أتم منوال لان يوحنا ما كان له مساعد من الامة ولا عساكر فى مملكته وأسر يوحنا وقطعت رأسه فى نواحى أكيلية سنة ٤٢٥ بعد الميلاد وكان عمر فلنطنيان الثالث ست سنوات وفى ظرف الخمس والعشرين سنة التى جاءت بعد حكمت المملكة أمه بلاسيديه بالنيابة عنه وعهدت المملكة فى هذه المدة المشكلة لايدى امرأة عاجزة وطفل صغير فوصلت حالتها الى أردا الاحوال كما سنذكره بعد وتجردت من درجات صفات كمالاتها وعهدت قيادة العسكرية الى أعطيوس وبونيفاس وكان بونيفاس حاكما فى جهة افريقه فلو جمعا مهارتهما سوية لكانا أتما أشياء كثيرة عاد منها النفع والصلاح فى المملكة لكنهما افترقا من الغيرة والحسد الذى حصل عند أعطيوس لجهة بونيفاس فتولد من قبائح أعطيوس ودسائسه عصيان بونيفاس ودعا عنتريق ملك الفندالين فى عبوره من اسبانيا الى افريقه لمساعدته فقبل عنتريق دعوته مع كل عجلة ودخل افريقه فى رأس ٥٠٠٠٠ مقاتل وانضم معه أهل المغرب من افريقه والدوناطيسطيون وأهالوابه كانه المعتق لهم ووجه عنسريق جيوشه مباشرة على كل من الرومانيين و بونيفاس وهزمهم وجعل نفسه سيد افريقه وفى سنة ٤٣٩ بعد الميلاد نجح فى كونه شيد مملكة فندالية على الساحل الشمالى من قارة افريقه وجعل قرطاجنة عاصمة هذه المملكة

وفى الحقيقة صارت المملكة الغربية فى حالة كئيبة يرثى اليها ويؤسف عليها الان افريقه تغلب عليها عنسريق وضاعت منها بريطانيا بالكلية واستمرت الحالة مدة أربعين سنة من دون حكومة الاحكومة القسس والاشراف ونواب المدائن كما انه كان حصل التنازل عن أقاليم بانونيه ونوريقوم ودلماطيه الى المملكة الشرقية فى نظير المساعدة التى أداها طيودوسيوس فى خلع يوحنا الغاصب وانتقلت الغلبة الجنوبية الغربية الى أيدى الغوطيين واحتل البورغنديون الغلية الشرقية وصار الفرنج أسياد الغلية الشمالية ومابقى من الغلية الا كورة صغيرة جهة الجنوب تحت حوزة المملكة فكانت المملكة مقصورة على هذه الكورة وايطاليا وفندلسيه وريطيه

ودافع أعطيوس عن الغلية الرومانية فيما بين سنة ٤٣٥ وسنة ٤٥٠ بعد الميلاد مع الشدة والحيل من غارات الغوط الغربية من جهة ومن غارات الفرنج من أخرى واستحوذ الفرنج فى السنة الاخيرة أى سنة ٤٥٠ بعد الميلاد على مساعدة عطيلا ملك الهونزيين وكان هذا الرئيس القوى البأس ينسب سلسلته الى قدماء الهونزيين الذين كانوا نازلوا ملوك الصين فكانت هيآت سحنا تهم

تدل على أصل جنسهم وكانت تقاطيع عطيلا عين تقاطيع المتأخرين من القلموك فكان ضخم الرأس أسمر اللون غائر العينين أفطس الانف له شعرات قليلة فى لحيته عريض الكتفين قصير القامة مربوع الجسم شديد العصب غير متناسب الاعضاء وحالة علو هذا الملك الهونزى وسلوكه يوضحان معرفة سيادته على ما بقى من النوع البشرى وكان له عادة فى شراسة عينيه وحملقتها اذا أراد أن يظهر ما فى قلبه من الرعب والخوف وجمع حول نفسه رعب الدنيا القديمة وهولها شيأ فشيأ حتى وصف بأنه صاعقة من عند الله أو نقمة من عنده ومع هذا فما كان هذا الشجاع الوحشى منزوعا من قلبه الرحمة بل كان أعداؤه يؤملون فيه بلوغ السلم والعفو وكان موثقا عند رعاياه بأنه رجل حق عدل منصف متساهل فى أموره ومد مملكته على الاقليم التاسع الواقع بين بحر بلطق والبحر الاسود ونهر الرين ونهر الولغا وكان فيه الطاقة والقدرة على الخروج والبروز فى ميدان الحروب فى رأس ٧٠٠٠٠٠ مقاتل لا أقل تحت قيادة الملوك المتسبرين الذين صاروا عبيداله وحاز لنفسه كامل الشوكة البربرية الهمجية الاوروباوية وفى مدة التسع سنوات التى مضت قبل ظهوره فى الجهة الغربية خرب المملكة الشرقية ونشر أهواله وتخريباته فيها حتى وصل قريبا جدا من أسوار القسطنطينية وما انسحب من جهتها حتى وعد بدفع خراج سنوى ودفع له معجلا قيمة ٦٠٠٠ ليرة من الذهب وفى سنة ٤٥١ بعد الميلاد سار من عاصمته هنكاريا للاغارة على المملكة الغربية بعلة مساعدته ملك الفرنج وكان ربط نفسه معه على مساعدته وبمجرد وصوله الى نهر الرين انضم اليه الفرنج ودخل هذا الجيش المتحد فى الغلبة وزحف على أورليان وحاصرها

وفى غضون ذلك دخل طيودوريق ملك الغوطيين فى معاهدة مع الرومانيين وكان أقام الاستقلالية فى مملكته وكان مآل شروط هذه المعاهدة صد الهونزيين وماهم عليه من الطمع فى البلاد وكانوا راغبوا فى التغلب على عموم الدنيا مع أن طيودوريق كان رجلا طاعنا فى السن الا انه خرج الى ميدان الحرب بنفسه واصطف الغوطيون تحت بيرق ملكهم مع الجد والحماس وسار على منوالهم عدة قبائل وأمم كانوا يترددون بين الهونزيين والرومانيين وضم هؤلاء الامم قواهم الى الجيش الرومانى تحت قيادة عطيوس وساروا جميعا الى الغلبة ليكونوا مع الحالة الاخيرة التى ينفصل فيها الامر أن صارت أوروبا طوطونيانية أى تتارية أو غيرها فوصلوا الى أمام أورليان فى الوقت الذى جعل فيه عطيلا المدينة على آخر نفس وكانت أشرفت على التسليم وفتح شرما فى جهة من أسوارها ولما قرب الجيش المتحد من أورليان رفع عطيلا حصارها وسحب عساكره وعبر نهر السين الى ضواحى شالون ليستفيد بسهولها الواسعة فى استعمال حركات خيالته من الصطيين فساق المتعاهدون خلفه ووقعت بينهم واقعة كبرى فى شالون وكانت هذه الواقعة مشهورة بما حصل فيها من شدة الحرب وكثرة العساكر الذين كانوا موجودين فيها وكان عددهم ينيف عن مليون نفس واختلف فى عدد المقتولين من الطرفين فكانوا على ماقيل من ١٦٣٠٠٠ نفس الى ٣٠٠٠٠٠ وكان الافتتاح فى هذه الواقعة بهجوم حصل من الغوط العربية واستمر طول النهار وقتل طيودوريق وانه حصل الخلاف فى الحرب بمهارة العساكر الغوطية فانهم أجمعوا أمرهم تحت قيادة ابنه طوريسموند وخلص الهونزيين من الهزيمة الكبرى بدخول الليل فقط والتجؤا فى داخل دائرعربات الخيالة وكانوا محصنين بها معسكرهم وفى اليوم الثانى أصبح الغوطيون فى حماس شديد على الهجوم على معسكر العدو الا أن عطوس خشى من أن

المملكة ربما تقع فى ارتباك من الغوطيين مثل ماهو واقع من الحونزيين وبذلك يتبدد أمرها ومال طورسمونه الذى جعل ملكا بدل أبيه بمعرفة قومه الى أن يأخذ جيشه ويعود الى طولوز لاجل توطيد خلافته على التخت ومن بعد سفر المنصورين وانفصال الجيش المخالف من بعضه استغرب عطيلا من الهدو والسكون المتسلطن فى سهول شالون الا انه ارتاب فى انه ربما أن تكون خديعة جاريا عملها فانتظر عدة أيام ولما انقضت هذه المدة تقهقر عابرا نهر الرين وكانت هذه النصرة ختام نهاية اسم المملكة الغربية وغلاق بابها

ومع أن واقعة شالون كانت هى الفاصلة لعاقبة أوروبا الا أنهما ما منعت عطيلا من العود الى الحركات التعرضية وكان عطيوس ينظر بعين السياسة المبينة لما هو حاصل من الضرر الواقع على المملكة من قائد المتبربرين وفى سنة ٤٥٣ بعد الميلاد أغار على ايطاليا الشمالية الشرقية وتغلب على مدائن اكيليه وعلطينوم وكنكوردية و پادوه وخربها ونهب ميلان و باويه فتولد من هذا الخراب شئ ما كان تحت نظر الحونزيين وما كان على رغبة منهم لان أهل مدينة اكيلية و پادوه وما جاورهما من المدائن هربوا من شراسة وقطاعة المتبربرين وتجوا باحثين على سلامة أنفسهم من شرهم فاتخذوا لهم ملاجئ وضيعة فى جزائر فى رأس البحر الادرياطيقى وروا فى هذه الجزائر أساسات الجمهورية المشهورة الفنيزيانية ثم تحرك عطيلا الى الجهة الجنوبية عازما على أخذ رومة وخرابها فقابله فى رأسه بعث البابا ليو الاكبر فتولد مما استغاث به البابا الخوف والرعب الخرافى فى قلب القائد البربرى وارتد فى الحال عائدا الى ممالكه ومن بعد مضى مدة قليلة طفح الدم من حلقه ومات فى الحال وخلصت الدنيا من شره وأذاها الذى كان أرعبها به وتقطعت مملكته قطعا بسرعة زائدة عن السرعة التى شيدها بها وخلص فلنطنيان من خوفه من الحونزيين وانثنى على عطيوس بغضبه عليه وقتله بيده شر قتلة فى سنة ٤٥٤ بعد الميلاد وفى السنة التالية ذبح مكسيموس فلنطنيان وكان مكسيموس من أغنياء السناتو وكان حصل له أذى من الامبراطور مع اثنين من خدم عطيوس وكان قتله فى سنة ٤٥٥ بعد الميلاد ولبس مكسيموس الثوب الارجوانى الا انه ما تسلطن الا ثلاث سنوات لانه أرغم عودوكسيه أرملة فلنطنيان على زواج قاتل زوجها فاستعانت بمساعدة عنسريق ملك الفندليين فى افريقه وكان أسطوله رئيس البحر الابيض المتوسط فلبى ملك الفندليين دعوتها وأجاب سؤلها ورغبتها مؤملا غنية نفسه من غنائم ايطاليا وأسلابها فسار فى أسطوله ونزل فى مينة عوسطيه فقام الرومانيون على مكسيموس وقتلوه ومع ذلك فان عنسريق زحف على رومة وما ضرفى حركته هذه أحدا من أهل المدينة بما ان قصده كان السلب فقط وضبط المدينة ورخص لعساكره بمدة أربع وعشرين يوما فى نهبها فأخذ الفندليون كل ما كان تركه عطريق وحملوه معهم الى افريقه وما نجا منهم شئ حتى الكنائس التى كان عطريق تركها وقت ما سلب المدينة وجرد عنسريق المدينة من جميع أموالها وأمتعتها مهما كانت صفتها ولما اثقلت أحمال المتبربرين من السلب والنهب تقهقروا الى أسطولهم وأقلعوا الى قرطاجنه ومعهم عودوكسيه و بنتاها

وتولد مما حل بالرومانيين من هذه المصائب والاهوال الضعف والوهن الشديد حتى صار لا طاقة لهم باى حالة من الاحوال على تعيين امبراطور جديد و بواسطة شوكة ملك الغوطيين طيودوريق الثانى صار تقليد افيطيوس قائد الفرق العسكرية فى الغاليه امبراطورا فى سنة ٤٥٥ بعد الميلاد ومن بعد أن

تسلطن أقل من سنة خلعه الكونت أى العمدة ريسيمر الغوطى فى سنة ٤٥٦ بعد الميلاد فصار أسقفا فى بلاسنطيه ومات من بعد مضى بضع شهور ثم ان ريسيمر وضع على التخت ماجوريان نائبا عنه وعن اسمه لمدة مقدارها ستة أشهر فى سنة ٤٥٧ بعد الميلاد فكان ماجوريان رجلا ماهرا صاحب عزم ونشاط وحزم وتدبير عكف نفسه فى الحال على طرد الفندال وكانوا هرسوا الساحل الايطاليانى ودرسوه وأوقف ما كانوا عليه من السلب والنهب واستعد فى سير تجاه هذا للاغارة على المملكة الافريقية فتدمر الاسطول الذى جمعه بواسطة جواسيس من طرف عنسريق فى نواحى مدينة قرطاجنه فانجبر ماجوريان على العود الى ايطاليا فألزمه فيهار يسيمر على التنازل عن التخت وكان حصل عند ريسيمر الحسد والغيرة من نائبه بما أظهره من الجسارة والتدبير حتى يكون مقبولا عند ولى أمره وذلك فى سنة ٤٦١ بعد الميلاد

وقلد ريسيمر امبراطورا آخر اسمه ليبوس سفروس وجعله لعبة فى يده والشوكة الحقيقية لنفسه فكانت سلطنة سفروس معروفة فقط فى ايطاليا وأما فى دلماطيه فكان مرسلينوس وكان فى الغابة عيغيدوس فمع انهما ما كانا متقلدين زمام الملك الا أنهما كانا الحاكمين الحقيقيين فى هاتين الايالتين ومات سفروس فى سنة ٤٦٥ بعد الميلاد واعتقد ريسيمر فى نفسه أن فيه الطاقة الكافية لاداء الاعمال فى ايطاليا فسمع بخلو التخت ومع هذا فكان موقعه من أخطر المواقع وبما أنه كان غريب الدار ما كان عنده أدنى وثوق من الرومانيين وكان عرضة لاغارات عنسريق ملك الفندالين فى افريقه ولاغارات مرسلينوس ومن بعد مضى سنتين التزم طلب المساعدة من أمبراطور الشرق فمنحه ليو أمبراطور الشرق المساعدة على حسب أغراضه وانجبر ريسيمر على أن يقبل انطيموس أمبراطورا فى الغرب الذى عينه من طرفه الامبراطور ليو وكان انطيموس هذا من كبار بيزنطيوم فى سنة ٤٦٧ بعد الميلاد

ثم حصل هجوم شديد على الفندالين بالجيوش والقوى المتحدة من الشرق والغرب ومع كل ما حصل فان عنسريق أنكى أعداءه وفاز بكونه دمر أسطول المتحالفين بنيران المراكب وحفظ لنفسه جزيرة سيسيليا لاجل المحافظة على مملكته وعدم ضياعها ولكى يمكنه منها الاغارة على ايطاليا عند انتهازه الفرصة التى تعود عليه بالفائدة وذلك فى سنة ٤٦٨ بعد الميلاد وبمجرد صعود أنطيموس على التخت زوج بنته من ريسيمر وظن فى نفسه أنه نال صداقة هذا الرجل الباسل القوى اساس ومعاضدته ومن بعد مضى قليل وجد أنه انغش فى أمره ولما جعل الامبراطور مقر مملكته وحكومته فى رومة عاد ريسيمر الى ميلان ورتب فيها ثورة بقصد خلع الامبراطور وزحف على رومة فى رأس جيش مؤلف من الغوطيين والبورغنديين وأسرع فى سيره الى هذه المدينة وقتل أنطيموس وعين أمبراطورا جديدا اسمه عوليبريوس فى سنة ٤٧٢ بعد الميلاد ومات ريسيمر من بعد مضى أربعين يوما وترك ابن أخيه غندوبالد وهو بورغندى الاصل وارثا له ثم من بعد مضى ثلاثة شهور مات عوليبريوس فالبس غندوبالد بالثوب الارجوانى على غليسريوس وكان هذا رجلا عسكريا جاهلا لا يدرى شيأ فدخل الامبراطور ليو أمبراطور الشرق ثانيا فى هذه المادة وأجلس على التخت يوليوس نيبوس ابن أخى مرسلينوس صاحب دلماطيه وصار ارضاء خاطر غليسريوس مشروطا عنه بهذا النظام بان جعله أسقفية سالون فى سنة ٤٧٤ بعد الميلاد

وعندما جلس يوليوس نيبوس على التخت انفجرت ثورة بين المستأجرين المتمدنين وكانوا هم أسياد

ايطاليا في الحقيقة وخلعوا اوليوس نبوس وكانوا تحت قيادة الرئيس عورسطيس في سنة ٤٧٥ بعد الميلاد وأجلسوا على التخت روملوس أوغسطس ولقبوه أوغسطلوس المسخرة وكان ابن عورسطيس

ومن بعد جلوس أوغسطلوس طلب المؤاجرون ثلث أراضي ايطاليا مكافأة لهم على ما أدوه من الخدمات ولما حصل عدم القبول والرضا بنجح طلبهم قاموا تحت بيرق العصيان وذبحوا عورسطيس وخلعوا أوغسطلوس وألغوا المملكة في ضربة واحدة ونادوا على قائدهم الجرماني عودوسير ملك ايطاليا ومن ثم كان سقوط المملكة الغربية من بعد أن لبثت ٥٠٧ من السنين

﴿تذييل﴾ كان ختام سقوط المملكة الغربية ختام حجم التاريخ القديم وغلاق أبوابه ومن الآن فصاعدا يرى المطالع نفسه أنه واقف مشاهد للاجناس الجديدة والحضارة والتمدن الجديد الذي ظهر في ميدان العالم ليحل محل الاجناس القديمة والحضارة القديمة ويخفي بوجوده عالم الميدان الاكبر الذين كانوا موجودين في ميدان تاريخ العالم والله يؤتي ملكه من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير وكان كلامنا لحد الآن مقصورا على كل من قارة آسيا وافريقيه والكور الاوروباوية الموجودة على ساحل البحر الابيض المتوسط وتولد من خفاء المملكة الغربية اتساع الميدان لنا على قدر امتداد البصر فظهر لنا فيه أمم جديدة وانتقل معظم القصص والحكايات والتسجيلات التاريخية الى قارة أوروبا وانقسمت في هذا الوقت بين أربع فروع كبيرة من الجنس الارياني أي الجنس الذي ليس أهله من أصل قارة أوروبا وهم الجريق اللاتنيون والصلطيون والطوطونيون أي التتار والرقيق أو السلافيون ومن هذه الفروع ينسب الفرع الاول للتاريخ القديم وأما الثلاثة فروع الاخر فتنسب لتاريخ القرون المتوسطة

ثم قسم مؤرخو القرون الاخيرة في العادة مدة التاريخ المتأخر الى قسمين فالاول تاريخ القرون الوسطى وينحصر في المدة الكائنة بين سقوط المملكة الغربية وغلاق القرن الخامس عشر من التاريخ المسيحي والثاني تاريخ القرون الاخيرة ويمتد من غلاق القرن الخامس عشر الى أيامنا هذه واصطلحوا على المدة الاولى من هاتين المدتين بانها عصر الجاهلية أو الجهالة لانه من عهد خفاء تمدن رومة تحولت الدنيا الى حالة همجية بربرية في أوروبا لكن القارئ لا ينبغي له أن يخيب فكره من أن هذه المدة ولو انها كانت في الظاهر كثيرة الجهل والظلام مخيم عليها لكنها كانت في الحقيقة عصر تقدم وترعرع جسم الحضارة الاوروباوية وتيسر الحصول في هذه المدة على اكتساب الدرجة والقوة الفعالة لظهور الاشياء التي وجدت في الميدان الاكبر لتاريخ القرون المتوسطة وكان عصر الحضارة الاسلامية زاهرا في هذه المدة فلو نسبنا هذا الظهور لعصر الجهالة في أوروبا فانا ننسبه على الخصوص لسعة وتقدم نطاق الطوطونيين وهم الجنس الجرماني لان هذا الجنس من بعد توطنه في أوروبا الوسطى والشرقية ابتدأ مباشرة في سقوط المملكة الغربية كي يتشرب كافة القارة وينشئ لها هيئة وصفة جديدة كما قال بعض المؤرخين من أمريقه ان تاريخ القرون المتوسطة في أوروبا تاريخ مشترك بين متوحشي الجرمانيين أي الطوطونيين واللاتينيين أو الجنس الصلطيقي فكانت الالفة الاخيرة نتيجة مركبة من الاثنين خرجت عناصرها منهما فاخذت من المتبربرين محبة الحرية الذاتية والشعور بالاستقلالية ومن الرومانيين هبات اقامة حضارة دواسية ومن المفيد هنا توجيه النظر لمعرفة مواطن أوروبا

ومساكن

ومساكن أممها فى الوقت الذى شيد فيه عودوسير تخته على أطلال المملكة الرومانية وآثارها فكان الجنس الجرمانى هو المستولى فى أوروبا وابتدأت القبائل الجرمانية فى الكبس على الامم الصلطيقية الى داخل جهات ضيقة وكان أهل الغلية من الفرع الصلطيقى وصاروا فى نفوذ وشوكة عالية بواسطة اتحادهم واتصالهم بالرومانيين الى أن صاروا جميعا لاتينيين ومسيحيين من قبل دمار المملكة الغربية ويمكننا أن نقول أيضا كذلك فى خصوص الجنس الصلطيقى فى اسبانيا الاريانى وكذا صلط جزائر بريطانيا فان هؤلاء تيسر لهم الحصول على حقوق التبعة الرومانية وحصلت لهم الثمرة والفائدة الكبرى باتحادهم مع الرومانيين وابتدأ النفوذ الجرمانى يؤثر بقوته الفعالة على هؤلاء الامم عند سقوط المملكة الغربية مع الظفر والنجاح كما سنذكره فى محال أخرى من هذا الكتاب

فأما القبائل والشعوب الجرمانية الاصلية فكان الغوطيون والفرنج والفندااليون والبورغنديون واللومبارديون والصاكصونيون والانكليز والاسكنديناويون

وفى وقت سقوط المملكة الغربية كانت مملكة الغوطيين الغربية للعوريق محصورة فى كامل اسبانيا وجميع الغلية الموجودة فى جنوب نهر لواره وغربى نهر الرون وكانت عاصمة هذه المملكة مدينة أرل وكانت هذه المدينة مرعية بانها قاعدة الحضارة ومركز التمدن الغربى وكانت منتخب دار العلم والتهذيب فى أوروبا وملكها أقوى شوكة وأنور عقلا وأكثر خبرة ودراية من كافة ملوك أوروبا وفى مدة سلطنة عوريق صار طرد الغوط الغربية الى نواحى جنوب جبال البرنات فوطنوا أنفسهم فى بحيث جزيرة اسبانيا واستمروا فيها حتى جاء العرب ودمروا عليهم مملكتهم من بعد مضى قرنين من طردهم وأما الغوط الشرقية فكانوا مقيمين فى ايطاليا فى الاقليم المحصور بين الدانوب والبحر الادرياطيقى وأما الغبيديون وهم أمة أخرى من الغوطيين فكانوا مستوطنين فى شمال الدانوب الاسفل وبين الدانوب الاعلى وجبال كربات فى الاقليم المعروف الآن بالافلاق والبغداد أو مولداويه وولاخيا وفى الشرق من هنكاريا وكان الغوطيون أول الامم الطوطونية الذين دخلوا تحت سلطنة الديانة المسيحية ونفوذها وقبلوا هيئة الديانة المذكورة فى وقت سقوط المملكة الغربية وكانت تعرف عندهم باسم الديانة الاريانية أى التى ليست ديانة آبائهم وأجدادهم الوطنية

وأما الفرنج أو الفرنك (أهل الحرية) الذين صاروا على حسب تمادى الاحوال أسياد الغلية القديمة وأطلقوا اسمهم على القسم الاعظم منها فازالوا قاطنين خلف حدودها الى أن ابتدؤا بالكبس على الحدود وسكنوا فى مبادى أمرهم فى المكورة المعروفة اليوم ببلجيقا واقليم الرين الاسفل ثم تغلبوا فى زمن سقوط المملكة العربية على الغلية وطردوا الغوط العربية من الجهة الجنوبية الغربية منها واستولوا على البورغنديين وسموا مملكتهم باسم فرانسا المشتق من لفظة فرنكيه أو الفرنك أو أرض الفرنك

وأما الفندااليون فانهم انتشروا من ابتداء الطرف الجنوبى من بحيث جزيرة اسبانيه الى الساحل الشمالى من افريقه وأقاموا مملكتهم وشيدوا قرطاجنه عاصمة لها وتغلبوا أيضا على جزيرتى قرسقه وسردينيه وجزيرة البليارق

وسكن البورغنديون وادى الرين وجهات البحيرات السويسية ولبث هذا الاقليم مدة مسمى باسمهم وكان سلطانه أبد الاعداء الى الحكومة الفرنساوية الى أن صار خضوع هذا الاقليم

وأما اللومبارديون أى اللونجبارديون فكانوا فى هذه المدة متوطنين فى شمال غبيديه بين الدانوب وأعالى مياه نهر الويستول وكانت مملكتهم الاصلية أرض الثروط وساروا منها الى نواحى شواطئ نهر الالب ومن بعد قليل انتقلوا الى الجهة الجنوبية الشرقية وقطنوا فى الاقليم المسمى الآن لومباردية ومنه نزلوا بعد ذلك على ايطاليا وأما الصاكصونيون (أرباب الخناجر والسكاكين) فانهم جاؤا فى الاصل من الاقليم المعروف الآن باسم هولصطين ثم انتشروا فى نحو هذه المدة فى اقليم نهر الوررمن ابتداء الرين فى الجهة الجنوبية الى بحر بلطق وسكن قبيلتان مشهورتان من الصاكصونيين بحيث جزيرة دانيمارقه فكان هاتان القبيلتان هما الثروط والانكليز ومما تقابل الصاكصونيون مطلقا مع الرومانيين وما حصل عندهم تأثير السلطة الرومانية بل مازالوا على هيآت الديانة الوثنية متمسكين بمذاهبها وعقائدها وقطن الكثير منهم فى طول سواحل الغلية الشمالية فتولد من قطعهم سبل البر والبحر وقوع الفزع الاكبر والخوف الشديد فى طول كافة السواحل الاوروباوية وكان من قبل سقوط المملكة الغربية عبر الانكليز والصاكصونيون والثروطيون البحر الشمالى وطنوا أنفسهم فى القسم الجنوبى من بريطانيا وسموها باسم انكلاتره أى أرض الانكليز وأما الاسكندناويون فانهم لم يظهروا فى ميدان العالم الى حد القرن التاسع أو العاشر حتى ظهر اسمهم واشتهر ذكرهم تحت اسم نورمان أو رجال الشمال ثم عربت هذه اللفظة باسم النورمانديين

وكانت هذه هى التقسيمات الاصلية للعائلة الطوطونية الكبرى أى العائلة التى وصلت أوروبا من تتار شمال آسيا وأما السلاف أو السلافيون ومعناه فى الاصل الرقيق فكانوا قاطنين خلف نهر الالب فى السهول الواسعة من شرق أوروبا وهم أحد أقسام الفرع الاكبر الاريانى أى الغريب فى أوروبا فكانوا قوما رعاة كثيرى العدد قليلى الشوكة عن الجنس الطوطونى ومن هذا الجنس معظم الروسيين وأما الاقاليم الباردة المستنقعة الموجودة فى الطرف الشمالى من أوروبا فكانت مسكونة بقبائل الفلمنك وينسب المتأخرون من البولنديين والبوهميين والبلغاريين والاريانيين الى الجنس السلافى وكانت الجهة الجنوبية الشرقية من أوروبا داخلة فى ضمن الممالك الشرقية أو المملكة الجريقية

وأما الطرف الشمالى الغربى من أرض الغلية فانه مازال تحت أيدى ملاكه من الصلطيين وقوى هؤلاء أنفسهم بمستعمرات من البريطانيين كان طردهم الصاكصونيون من بريطانيا فازال هذا الاقليم مسمى باسم بريطانى وكذا كان الجنس الصلطيق قاطنا فى القسم الغربى والقسم الشمالى من بريطانيا المعروف الآن باسم الويلس وأصكوطلنده وارلنده والى هنا تم تاريخ رومة على حسب الحالة الراهنة

(الكتاب السابع عشر)

﴿ تاريخ المملكة الرومانية الشرقية ﴾

(الباب الاول)

﴿ من ابتداء سقوط المملكة الغربية الى فتح الترك القسطنطينية ﴾

قيام المملكة الشرقية ـ اتساعها وصفتها ـ سلطنة اركاديوس ـ طيودوسيوس الثانى ـ اغارة

الجونزيين ـ سلطنتا مرسيان وليو التراسيانى ـ انسطاسيوس الاول ـ يوسطين ـ سلطنة يوسطنيان ـ الامبراطورة طيودوره ـ الثورة فى القسطنطينية ـ فتح مملكة الفندال فى افريقه ـ فتح بلزاريوس ايطاليا ـ معاملة الامبراطور له مع عدم العدل والانصاف ـ أشغال يوسطنيان العمومية ـ قوانينه المدنية وشرائعه ـ القلاقل والارتباكات مع القبائل المتبربرة ـ سلطنة يوسطين الثانى وطيبريوس وموريس ـ الحرب مع فارس ـ الامبراطور هرقليوس أو هرقل ـ مظفرات الفرس ـ استرداد هرقل أراضيه التى كان خسرها ـ صيرورة القسس مدايني المملكة ـ فتوحات العرب ـ محاصرة القسطنطينية ـ يوسطنيان الثانى ـ ليو الثالث ـ اعادته سطوة المملكة ـ قضية عبادة الاصنام والتماثيل ـ مبادى حرب تكسير الاصنام ـ قسطنطين الخامس ـ تحريم عبادة الاصنام ـ مجلس القسطنطينية ـ ليو الرابع ـ سلطنة الامبراطورة ارين ـ صيرورة نيسفوروس امبراطورا ـ معاهدته مع شرلمانيه ـ ليو الخامس ـ الحروب مع البلغاريين ـ دخولهم فى الديانة المسيحية ـ صيرورة ميخائيل الثانى امبراطورا ـ نجاح تجارة القسطنطينية ـ ختام حرب تكسير الاصنام ـ سلطنة ميخائيل الثالث وبازيل الاول ـ البازيليات ـ تغلب العرب على ايطاليا الجنوبية من الامبراطورات الجريقية ـ ليو السادس ـ قسطنطين السابع ـ سلطنة رومانوس الثانى وقسطنطين التاسع ـ يوحنا طيميشيس ـ الحرب مع الروسيين ـ سلطنة بازيل الثانى ـ رومانوس الرابع ـ قيام الدولة التركية ـ صيرورة مانويل الاول امبراطورا ـ سلطنته الشديدة ـ موته ـ تغلب أهل الصليب اللاتينيين على القسطنطينية ـ الممالك اللاتينية ـ اضمحلال المملكة ـ امبراطورات نجيا ـ الشوكة والدولة الكبرى ـ صيرورة اندرونيقوس امبراطورا ـ سلطنة يوحنا الخامس ـ محاربات القنيزيانيين والجنويزيه والبيزانية ـ وجود الترك فى أوروبا ـ تغلبهم على أراضى المملكة ـ فتحهم مدينة أدرنه ـ محاصرة السلطان بايزيد القسطنطينية ـ طلب المملكة مساعدة أوروبا الغربية ـ صيرورة قسطنطين الثالث عشر امبراطورا ـ حصار السلطان مراد الثانى القسطنطينية والتغلب عليها ـ سقوط المملكة الشرقية

فى المدة التى كانت المملكة الرومانية آخذة فيها فى سرعة الاضمحلال والهبوط والدمار والخراب كانت المملكة الشرقية مع عاصمتها القسطنطينية اخذة فى توطيد قيامها وحركة نظامها بحالة ثابتة متينة وكانت سلطنة مستقلة تحت حكم اركاديوس بن طيودوسيوس الاكبر كما ذكرناه فيما سبق وتحت أحكام الذين خلفوه وجاؤا من بعده ثم ان قدماء ملوك هذه المملكة غرورا كان على غير فائدة لهم وأخيرا الفقوا لهم ألقاب الامبراطورات الرومانية وتوارثوا اسميات قيصر وأوغسطوس وصارت القسطنطينية عاصمتهم الدوامية وأخذت فى النمو والتقدم وكثرة الاموال وزيادة السمو والمجد من بعد أن استمرت عدة عصور محتقرة مزدراة بما كان حاصلا لها من الامم المتبربرة وكانت ممالك الامبراطورات الشرقية محدودة بالبحر الادرياطيق ونهر الدجلة وكانت مسافة الخمسة وعشرين يوما مساحة وملاحة الفاصلة لا حوصيطيه (التتار) الباردة من المنطقة الحارة لأثيوبيه داخلة جميعها فى ضمن حدود المملكة الشرقية وكانت الجهات المعمورة من هذه المملكة مراكز وقواعد للفنون والعلوم ومقر الرفاهية والثروة

فكان السكان المتخذون اللسان والعوائد الجريقية والمتزرون بازار الحق هم أهل الجهات الاكثر تنورا في العقل ودراية وخبرة في الحضارة والتمدن ورفاهية أحوال العيشة الدنيوية والاخروية وكانت هيئة الحكومة سلطنة راتقة طريقة وكان اسم الجمهورية الرومانية الذي حفظ اسم الحرية المهينة مدة طويلة من الزمن مكنونا مخفيا في الاقاليم اللاتينية واتخذ ملوك القنسطنطينية درجة فخامتهم وعلو سموهم ومقدارهم بواسطة استرقاق قومهم وعبوديتهم لهم

ثم مات اركاديوس في سنة ٤٠٨ بعد الميلاد من بعد أن اشتهرت سلطنته بمشاحنات ومنازعات بين أراذل المتقربين منه من أجل تيسر كل منهم على الشوكة وزمام السلطة والسيادة وفي مدة سلطنته أزهر وأينع وارتفع الشهير كريسوسطون صاحب القول البليغ والقسم الذهب وخطيب الكنيسة الشرقية وفي شوغلاقها نفي من القنسطنطينية ومات منفيا بسبب ما تجاسر به من القدح والذم في خلاعة وقباحة العاهرة الامبراطورة عودوكسيه وخلف اركاديوس من بعد موته طيودوسيوس الثاني وكان عمره وقت ذاك سبع سنوات فقط فكانت المملكة محكومة في مدة صغره مع المهارة وحسن التدبير بمعرفة أخته بولخيريه ومن بعد أن بلغ طيودوسيوس رشده كان هو الحاكم في الحقيقة لحدوث أخته بولخيريه لان الامبراطور ما كان الاعبارة عن صفر حافظ لخانة معدومة في المملكة وكانت السنوا الاخيرة من سلطنته معكرة محزنة بما حصل من الغارة على ممالكه من الحونزيين تحت قيادة عطيلا وكان ظهور هؤلاء الامم في المملكة الشرقية في سنة ٤٤١ بعد الميلاد ونشروا في ظرف التسع سنوات التي جاءت من بعد اغاراتهم وتخريباتهم في الاقليم الموجود بين البحر الادرياطيقي والبحر الاسود نحو سبعين مدينة من المملكة وجاسوا خلال البلاد والاراضي المكشوفة وخربوها حتى قال عطيلا قولا تباهى به وتفاخر بحد نفسه ان الحشيش لا ينبت في الموضع الذي حط قدمه فيه حصانه وال الامر أخيرا الى أن اشترى طيودوسيوس انسحاب هؤلاء المتبربرين بدفعه لهم مقدار ٦٠٠٠ ليره من الذهب وعهد أن يدفع لهم خراجا سنويا بقيمة ٢١٠٠ ليره من الجواهر الثمينة وكان ذلك في سنة ٤٥٠ بعد الميلاد ثم من بعد مضي مدة قليلة غرق طيودوسيوس بالقرب من القنسطنطينية من بعد أن تسلطن نحوا من ثلاث وأربعين سنة ومن بعد موته صارت بولخيريه امبراطوارة الشرق بحزم رأيها وتدبيرها عقدت زواج نفسها اسميا على مارسيان وكان رجلا من الاعيان عمره ستون سنة فلبس الثوب الارجواني وماتت بولخيرية في سنة ٤٥٣ بعد الميلاد واستمر زوجها على التخت الى أن انقضى أجله ومات في سنة ٤٥٧ بعد الميلاد وخلفه ليو التراسياني وكان من حكام العسكرية وأجلسه على التخت العمدة الكبير أسبار أحد رعايا المملكة وكان كبير الشوكة والنفوذ فتداخل ليو في أعمال المملكة الغربية في سنة ٤٦٧ بعد الميلاد وعين من طرفه انطميوس امبراطورا في الغرب وكذا في سنة ٤٧٤ بعد الميلاد لاجل توطيد تخت المملكة الغربية الى يوليوس نبوس كما أسلفنا ذكره ومات في هذه السنة من بعد أن أظهر عدم الامن والخسة في نفسه وسلطنته بغدره وخيانته لمن أحسن عليه فانه قتل أسبار وأولاده بدلا أن يثني عليه ويميل بكليته اليه ويشكر معروفه

ومن بعد موت ليو انتقلت وراثته وسمو تخته الى ابن ابنته عريادني وزوجها الاسوري الذي السعيد طراسكاليسوس فغير هذا الاسم البربري ولقب نفسه بالاسم الجريقي زينو وتقرب بحالة تصنعية من تخت ابنه فأنعم عليه بوظيفة صغيرة في الدرجة الثانية من المملكة وأشركه ابنه معه في الحكم فعمل

ما يجب عليه من طاعة البربرية وقتل رفيقه الشاب أى ابنه ونشر الفزع فجأة مع أن حياة ابنه كانت غير
مانعة لما كان عليه من الطمع والشراسة غير أن سراية القسطنطينية كانت تحت نفوذ امرأة وهى
فرينة أرملة ليو فحصل الاضطراب فى السراية وتكدرت أحوالها وقامت فرينة بنفسها وطلبت
محاكمته بنفسها وأصدرت حكما جازما بخلع العبد الخائن الغدار الذى لا أهلية فيه وأحسنت عليه
بقضيب المملكة الشرقية فلما قرعت هذه الاخبار آذان زينو فر هاربا الى جبال أسوريا وأجلست
أخاها برليسقوس المقبوح فى غزوة افريقية على التخت برضا السناتو الموجود تحت الرق والعبودية
والتصديق وكانت سلطنة هذا الغاصب قصيرة جدا مرتبكة الاحوال فانه ذبح فيها عاشق أخته
وأغضب عاشق زوجته القبيح الوقح هرماطيوس فنفر منه الناس وقاموا فى ثورة وطلبوا زينو من دار
منفاه فوصل القسطنطينية وتقلد زمام السلطنة وعذب برليسقوس وأهله العذاب الشديد بالجوع
والبرد ومازالت الشماتة العالية قائمة فى رأس فرينة على زوج بنتها من أجل خضوعها له أوهدوها
فهيجت عداوتها له وعينت امبراطورا جديدا فى سوريا ومصر وجمعت جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠
نفس بنيا من رجل ناسك مسيحى وآخر وثنى مجوسى وأما بنتها عريادنى فانها أظهرت فضائل النساء
بعملها وصداقتها لزوجها وتوجهت معه فى محل منفاه ومن بعد عوده توسلت اليه فى الرحمة والرأفة بامها
وتسلطن زينو الى سنة ٤٩١ بعد الميلاد ومن بعد موته تزوجت عريادنى بنت وأم وأرملة امبراطور
شخصا اسمه انسطاسيوس وكان رجلا طاعنا فى السن من رجال خدم السراية وجلس على التخت ولقب
بلقب انسطاسيوس الاول وأحيا حياته بعدة جلسها على التخت مقدارها سبع وعشرون سنة ومات
فى سنة ٥١٨ بعد الميلاد

وفى سنة ٥١٨ بعد الميلاد ارتقى يوسطين الى لبس الارجوانى وكان عمره ثمانيا وستين سنة وقتئذ
فتسلطن ما ينيف عن تسع سنوات وما كان يوسطين من سلسلة العائلة الملوكية بل كان من عائلة
دنيئة من جنس همجى قاطن فى ضواحى أطلال مدينة سرديقا وهى مدينة صوفيه الآن من أعمال
الارض القفرة الهمجية المسماة باسم دردانيه ثم بلغاريه ولما تعب من خدمة استعمال
السلاح الواجبة عليه فى حفظ الفلاحة والمواشى ترك هذه الحرفة مع اثنين من أهل بلده وساروا على
أقدامهم فى الطريق السلطانى الموصل الى القسطنطينية ومعهم شئ آخر زهيد من مؤنة العيش القديد
فى مخاليهم حتى وصلوا مدينة القسطنطينية وقيدوا أنفسهم فى ضمن عساكر الخفر الامبراطورى مدة
سلطنة ليو الثراسيانى بالنسبة لما شوهد فيهم من القوة وهيئة الجسم وفى مدة السلطنتين المتتاليتين
ارتقى الفلاح السعيد الى الثروة والشرف فكان هربه من بعض الخطر الذى هدد حياته سببا فى أن صار
بعد ذلك أحد الحافظين على حياة الملوك واشتهر اسمه فى خدمته الممدوحة الجليلة وظهرت شجاعته فى
حروب الاسوريانيين والفرس حتى وصل بواسطة شجاعته ومهارته فى ظرف خمس عشرة سنة الى رتبة
حاكم ثم أمير ثم قائد عضو فى مجلس السناتو ثم قائد الخفر الامبراطورى وكان ترقيه الى هذه الدرجات على
التدريج فانقاد له الخفر الامبراطورى وجعلوه الرئيس الاكبر لهم فى وقت المشكلة المهمة التى حصلت
وقت انتقال الامبراطور انسطاسيوس من الدنيا الى الآخرة وكان انسطاسيوس مكن أقاربه وغمرهم
بالاموال فاخرجوا من دار السلطنة وطردوا من التخت ثم الطواشى امنطيوس الحاكم فى السراية
على كونه يضع التاج على رأس أعز الطائعين له من أتباعه وكان مشروع انتخابه مقصورا فى الخفر فعهد

هذا الانتخاب الى القائد فاحتال يوسطين بخداعه فى تيسيره الحصول على التاج الامبراطورى ولما لم يظهر طالب التاج لبس فلاح داثيه الثوب الارجوانى برضا العساكر لما علموا فيه من الجسارة والبسالة والمهارة ومن القسس والامة لما اعتقدوا فيه من التصوف وعدم زيغان العقيدة ومن الاقاليم التابعين له مع العمى وعدم التبصر لاغراض العاصمة الا ان خبرة هذا العسكرى كانت غير كافية فى حكم وادارة مملكته ومع أنه كان شجاعا الا ان الضعف كان ملازما له فعهد زمام أحكام المصالح مع الصداقة والذمة الى بروكلوس واختار هذا الامبراطور الطاعن فى السن ابن أخيه المسمى يوسطنيان وكان جلبه صغيرا من اقليم داثيه ورباه وتبناه وهذبه فى القسطنطينيه وجعله وارثا لسعادته الخصوصية ثم للمملكة الشرقية وأشركه معه فى الحكومة فى آخر سنى حياته ثم مات يوسطين وترك يوسطنيان امبراطورا بمفرده

وكان عمر يوسطنيان خمسا وأربعين سنة فى الوقت الذى وصل فيه الى لبس التاج الرومانى واستمرت سلطنته نحوا من تسع وثلاثين سنة أى من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد وقال جبون ان يوسطنيان حكم المملكة الرومانية من ابتداء ارتقائه على التخت الى أن مات عن ثمان وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوما فقضى مدة الخمس سنوات الاول من سلطنته فى صرف مصاريف كانت على غير طائل فى حروب مع فارس وفى آخر هذه المدة عقد معاهدة مع مملكة فارس عرفت بالمعاهدة السلمية الدوامية الا أنها كانت قصيرة الاجل بين الطرفين كما سنذكره فيما بعد وكان يوسطنيان متزوجا قبل جلوسه على التخت بامرأة عاهرة اسمها طيودوره استحوذت على عقله وصار لها عليه نفوذ وسطوة لا حد لهما واستمر هذا النفوذ معها بغير انقطاع حتى هلكت فى السنة الرابعة والعشرين من زواجها وفى السنة الثانية والعشرين من سلطنتها

وبمجرد ختام الحرب الفارسى ارتجت القسطنطينية وتزلزلت أركانها بثورة خطرة تعرف بثورة نيكا انفجرت بين أحزاب ملاعب الخيول وكانت هذه الاحزاب تعرف بالحزب الازرق والحزب الاخضر وانتشر هذا الثوران فى أهل المدينة أجمع وأحرق قسم من المدينة بما فيه كنيسة القديسة صوفيه وصار أكواما من الرماد وقتل فى هذه الثورة . . . . ٣ نفس ولبثت القسطنطينية خمسة أيام فى أيدى أشرار العوام والاوباش ونادى الامة على هياطيوس ابن أخى نسطاسيوس بالامبراطورية واستعد يوسطنيان فى نفسه لترك عاصمته لولا ثبات حصل من طيودوره فاستمالت الامبراطور على البقاء وحطم هذه الثورة واتخذ بلزاريوس قائد العساكر الامبراطورية الاحتياطات اللازمة وحزم رأيه فى طحن هذه الثورة وأخذها وخلص التخت بمفرده وغلق الامبراطور أبواب الملاعب وأصدر منشورا بعدم فتحها بالكلية عدة سنين عقابا لاهل المدينة وكان ذلك فى سنة ٥٣٢ بعد الميلاد

ولما وطد يوسطنيان شوكته فى داخل مملكته شرع فى اعادة الاقاليم التى كانت داخلة فى الابتداء فى المملكة الرومانية فوجه أول حملاته وغاراته على مملكة الفنداليين فى افريقه وكانت محكومة فى هذا الوقت بواسطة غلمير وأما القوى الامبراطورية فكانت تحت قيادة بلزاريوس أمهر قواد عصره وكان ارتقاؤه الى هذه الدرجة بقوة ذكائه ونباهته وحزم رأيه من درجة فلاح الى أعلى هذه المناصب وفى هذه المدة كانت القرون والاعوام المتوالية طحنت الفنداليين وأخذت حياتهم فى افريقه فتغلب بلزاريوس بسهولة فى مدة قليلة على هذه المملكة فى سنة ٥٣٣ بعد الميلاد ودخل هذا الفاتح فى قرطاجنه مؤيدا بالنصر والظفر من دون مقاومة ولما عاد بلزاريوس الى القسطنطينية سار فى زينة احتفال موكب

نصره

نصره سلسلة طويلة من أسرى افريقه وفى رأس هذه السلسلة غلمير وكذا أعاد جزائر سردينية وقورسيقه وقليلا من الجزائر الصغيرة الموجودة فى البحر الابيض المتوسط وكانت تابعة لعمالة افريقه

وجاء عقب التغلب على افريقه التغلب أيضا على ايطاليا وسنذكر وقائع وحوادث هذا الحرب فى تاريخ ايطاليا وتولد من مظفرات بلزاريوس ارتباك شديد وحسد كبير من غيرة الامبراطور منه فخلعه من قيادته وأرسله لمقاومة الفرس وصدهم وكانوا كبسوا على الحد الشرقى للمملكة بشدة وما حصل من المعاهدة المعروفة بالمعاهدة السلمية الدوامية أدنى فائدة فما كان يرجوه عاقدوها لان خسرو ملك فارس نكث هذه المعاهدة فى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد وأغار بجيوشه على أنطاكيه وحرقها بعد أن سلبها ودمر آسيا الصغرى فأرسل الامبراطور له بلزاريوس فالزمه بلزاريوس بالقهقرة الى بلاده من بعد حصول واقعتين بينهما فى سنة ٥٤١ وسنة ٥٤٢ بعد الميلاد وتقهقر خسرو ولم يقدر أن يرجع بعد الواقعة الاخيرة لملاهامع بلزاريوس ثم أرسل بلزاريوس مرة أخرى الى ايطاليا فظفر الفرس وانتصروا على جيش رومانى مقداره ٣٠٠٠٠ نفس كان تحت قيادة خمسة عشر من القواد واستمر هذا الحرب تحت قاعدة غير مربوطة الى سنة ٥٦١ بعد الميلاد حتى وصل كل من يوسطنيان وخسرو الى أرذل العمر ومال كل منهما الى الرضا بفصل حالة السلم فاشترى يوسطنيان الصلح بخراج يدفعه سنويا مقداره ٣٠٠٠٠ قطعة من الذهب

وفى غضون ذلك ما نجا بلزاريوس بفخر خدماته التى أجراها من غضب كل من الامبراطور والامبراطوره وحسد حساده واتهم بالخيانة وحكم عليه بالجريمة وسقط بختة وحبس فى سرايته وأخيرا ظهرت براءته فرد الامبراطور اليه شرفه وأمواله وحريته ثم مات بعد مضى سنة أو ثمانية شهور فى سنة ٥٦٥ بعد الميلاد تاركا خلفه أعظم اسم وأجل شهرة لا يمكن دمارها ومع هذا فان الامبراطور الخائن ضبط كافة أملاكه وأمواله ماعدا مبلغا قليلا لا يسمح فى بقائه لارملته

وكان بلزاريوس قبل موته ببضع سنين أدى خدمة جليلة للمملكة وذلك ان البلغاريين كانوا تغلبوا على بحيث جزيرة الجريس وحربوا منها اثنتين وثلاثين مدينه وأسروا منها ١٢٠٠٠٠ نفس وفى سنة ٥٥٩ بعد الميلاد وقع صقيع شديد فى نواحى الدانوب فتساعد هولاء المتبربرون بالسلاف وتغاروا على تراسة وكنسوا ما وجدوه أمامهم وعسكروا على مسافة عشرين ميلا من القسطنطينية فاستعان الامبراطور وطلب بلزاريوس فلبى طلبه وأجاب دعوته وترك محل راحته وجعل نفسه فى رأس ما جمعه بسرعة من العساكر وأرغم الاعداء على الانسحاب الى بلادهم ولما عاد بلزاريوس الى القسطنطينية استقبله يوسطنيان مع البرود وتقطيب الوجه وعدم الثناء

وكان يوسطنيان محبا للعمارات وانشاء الابنية فخلى القسطنطينية مبان عديدة أجلها وأعظمها الكنيسة العظمى المسماة سنت صوفيه فانه شيدها وأقامها فى محل الموقع الذى احترق فى مدة الثورة المسماة نيكا وشيد فى محلات أخر من أقسام المملكة مبانى ظريفة وكنائس كثيرة وشيد من بلغراد الى البحر الاسود أى من ابتداء مصب نهر ساوه فى الدانوب الى مصب الدانوب فى البحر الاسود سلسلة من القلاع الحصينة تنيف عن ثمانين قلعة فى طول شواطئ هذا النهر الكبير وقلب الابراج المعهودة فى قلاع كبيرة ورتبت هذه القلاع فى شكلها وترتيبها على حسب شكل الاراضى التى تقام عليها ... وشحنها بالسكان والمحافظين و... من ... أعلبه ... جهات

مترو بجمه من أرض البلغار بين البحر الاسود ونهر الدانوب وأنشأ سدودا قوية فى مضايق ودروب ثرموبيلى بين الحريس ومقدونيا فى الاورمانات والمنافذ والمداخل وكذا أنشأ سدودا قوية طويلة قاطعة بحيث جزيرة القرم لاجل حماية أصدقائه الغوطيين وهم قبيلة عدد نفوسها ٣٠٠٠ نفس من رعاة وحربيين وحفظ الساحل المعوج الشرقى من البحر الاسود من ابتداء بحيث جزيرة القرم الى مدينة طرابزون بقلاع ومعاقل ومحالفات ومعاهدات

وفى مدة سلطنته صار نوع الحرير من المنافع والاستعمالات الضرورية فرأى الامبراطور يوسطنيان ان الفرس شاغلون البر والبحر باحتكارهم هذه الذخيرة الجليلة وان أموال رعاياه جار صرفها على الدوام لامة عدوة وثنية فأحيا التجارة فى مصر من اندراسها وقوى على ملاحة البحر الاحمر كما كانت جارية سابقا وربط يوسطنيان علاقات المساعدة مع الحبشيين وكانوا حازوا من عهد جديد فن الملاحة وثمرة التجارة كل ذلك من أجل طلب صنعة الحرير فكانت المراكب الرومانية تسافر فى طلب الحرير الى مينا سيلان وملقه حتى الصين وجهات خط الاستواء فى البحث عن الذهب والزمرذ وأنواع العطريات الا أن هذه المراكب ما كان لها طاقة على القرب من جهات فارس وأسواق الهند فقطع الامبراطور اليأس من تيسر الحصول على صناعة الحرير فى ممالكه حتى جاءه مقصوده بحالة ما كانت تخطر له على بال من دون حساب وذلك ان الانجيل كان صار خطابته على الهنود وكان يوجد أسقف بحكم مسيحى القديس توما على ساحل الفلفل فى المليبار وكذلك شيدت كنيسة فى سيلان وسار المرسلون تابعين آثار أقدام التجارة الى أن وصلوا الى نهاية اسيا من جهة الشرق وكان يوجد اثنان من رهبان الفرس قطنا مدة طويلة فى الصين ويحتمل أنهما كانا فى مدينة نانكين الملوكية مقر السلطان المتعود على سماع الخرافات البرانية ومقابلته سفراء سيلان وفى مدة رهبانية هذين الراهبين فى نانكين رأيا بعين الاستغراب ملابس الحرير المعتادة على أهل الصين وصناعة الحرير وألوفا من دود القز جاريا تربيته على الاشجار وفى البيوت مع غاية الاعتناء ورأيا انه يستحيل عليهما نقل هذه الحشرات القصيرة العمر الى أقاليم بعيدة لكن يمكن نقل بيضها الى جهات بعيدة فأخذا منه مقدارا وافرا للانتفاع بتجارته وسافروا واسفراطو بلا حتى قدموا القسطنطينية وقدموا امامهم من هذا البذر الى الامبراطور يوسطنيان ففرح به وأغدق عليهما بالانعامات الجليلة وقواهما على تجارتهما وابتدآ فى تشغيل الحرير وتربية الدود وقيل ان جماعة عبروا من جبال القوقاز وخاطروا بأنفسهم حتى دخلوا الصين وجلبوا من هذه البضاعة كميات وافرة فى داخل غاب مجوف وعادوا ثانيا الى القسطنطينية وفقس هذا البذر فى الفصل الموافق له بحرارة صناعية من السماد ونجحت تربيته غاية النجاح وصارت مشغولات الحرير فى القسطنطينية احدى التجارات الاصلية المعول عليها وعاش الدود فى الاقاليم العربية وغرس والغذائه شجر التوت واستمر الرومانيون فى أشغال الحرير وصناعته حتى صاروا فى درجة لا فرق بينها وبين شغل الحرير فى البلاد الصينية

ولما كان ما بين البحر الاسود وبحر الخزر الذى هو أراضى كولكوس وعبريا أو جورجستان والبانيا مقطعة فى كل جهة منها بفروع جبال القوقاز البابين الاصليين أو الدربين المشهورين الموجودين فى هذه الجبال المعروفين فى كل من الجغرافية القديمة والحديثة باسم كاسبيان أو الابواب الالبانية أى الدربند وكذا بعض معابر صغيرة يخرج منها خيالة الصيطيين يعبرون على المملكة الرومانية

والفارسية

والفارسية أقيم فى طول هذه المسافة التاسعة ما بين البحر الاسود وبحر الخزر أى فى طول ثلاثمائة ميل سد من البناء بالحجر فاقل هذه المسافة يعرف بسد يأجوج ومأجوج على مصاريف المملكتين الرومانية والفارسية مبتدئا من ساحل الدربند على البحر الاسود سائرا فوق التلال والجبال عابرا من وادى الضاغستان وجوربجستان الى بحر الخزر وكان كل حجر من الاحجار المبنى بها هذا السد أو السور بثمانية سبعة أقدام وطوله وارتفاعه أحد وعشرون قدما موضوعة وضعا متلاصقا بغير حديد أو مؤنة وبهذا السد امتنع الصيطيون أو يأجوج ومأجوج من اغارتهم على الممالك الرومانية الآسياوية والمملكة الرومانية

وكان اللقب المشهور به يوسطنيان لقب مشرع الا انه ما كان على دراية كبيرة من تشريع قوانين جديدة بل كان معيدا للقوانين القديمة وامتدت أحكام قانونه المدنى على كافة الممالك الرومانية ونفع الادارة والشوكة القانونية وجعلها سارية على حسب توالى العصور والازمان وكانت القوانين الرومانية كثر عددها وتولد منها منازعات ومجادلات لانهاية لاختلالها وكان كل أمر صدر من امبراطور يعد قانونا ومن ثم تولد فى الادارة العدلية الخلل الاكبر وأحاطت بها المشاكل والمصاعب مع كون القضاة خالين من الغرض وكانت المملكة مرتبكة فى أعمالها وادارتها فدعا يوسطنيان لمساعدته العالم المشرع القانونى طربونيان وآخرين معه وشرعوا فى عمل طريق يداوون بها هذه الارتباكات وكانت نتيجة أعمالهم أن نقحوا قانونا وما سموه بالقانون المدنى كان قاعدة لجميع القوانين الشرعية فى نحو كامل أوروبا وكان شغلهم هذا محصورا فى ثلاثة كتب ضخمة الاول منها مبادى القوانين وقواعدها وأصولها والثانى المجلة أى قانون الشرائع المدنية والثالث كتاب الفتاوى فكان الكتاب الاول يشتمل على القواعد الاساسية للقانون محاولة مفصول الحكم فيها وأما المجلة أو القانون المدنى فكان يشتمل على ملخص القوانين الشرعية من عهد هادريان الى وقت يوسطنيان وأما كتاب الفتاوى فكان مشتملا على جميع الشرائع والقوانين وأحكامها وأقوال علماء القضاة وآذكيائهم فيما يختص بالواجبات الشرعية وفصل الامر فيها من عهد عصر قانون الاثنى عشرة طربيرة أى من قبل عصر يوسطنيان بألف سنة وصدرت أوامر الامبراطور ومنشوراته بسير الادارة والاحكام على موجب هذه الثلاث كتب وانها هى الواسطة الفاصلة الشرعية فى القضايا المدنية الشرعية ومعتمدة العمل فى المحاكم المحلية ولاجل زيادة كمال نشرها وتعميمها فى عموم المملكة أنشئت مدارس شرعية وادارية فى القسطنطينية ورومة وبيروت من أعمال سوريا لدرس هذه الشرائع واكتسابها وهى طويلة لا يمكن هنا درجها ولانسخها وألغى يوسطنيان مدارس أثينة ومجلس رومة وكان خرج منها كثيرين من أذكياء الرجال وعقلائهم وأشجع القواد العسكرية وكانت السنوات الاخيرة من سلطنته مشحونة بالقلاقل والارتباكات وذلك أن الترك وهم قبيلة من دقاقى الحديد من سلسلة جبال التاى تركوا جبالهم ووطنوا أنفسهم فى التتار وأخضعوا الجوزيين أو الاقاريين الموجودين على نهر الطيل وهرب الذين بقوا على قيد الحياة من الامة التى تغلبوا عليها الى جبال القوقاز وقدموا أنفسهم لخدمة الامبراطور يوسطنيان فقبلهم فى خدمته خوفا من غضبهم واغاراتهم وعاملهم بالاكرام وأغدق عليهم بالاحسان وقواهم على الاغارة على أراضى البلغاريين والسلافيين فى ظرف العشر سنوات التى جاءت بعد مدة واخترقوا بهم لحنهر الاب وأخضعوا الكثير من القبائل والعشائر وأرغموا الباقى على دفع الخراج لهم ثم ترك يوسطنيان

محا الفتهم من أجل معاهدتهم الاتراك ومع هذا صار لهم طاقة فى السلطنة التى جاءت بعد يوسطنيان وتغلبوا على الاقليم المعروف الآن باسم هنكاريا وقسم من تركية أوروبا وشيدوا فيه مملكة شاغانا تهم واستمروا ممتعين بسلطنتهم مدة ٢٣٠ سنة بعد الميلاد

ومات يوسطنيان فى شهر نوامبر من سنة ٥٦٥ بعد الميلاد وخلفه ابن أخيه يوسطين الثانى فكانت سلطنته خالية الوقائع والحوادث ولما صعد ابن أخى يوسطنيان على التخت أعلن تاريخا جديدا للسعادة والجد فكانت سنو سلطنة يوسطين الثانى على غير رغبته فانها اشتهرت بالقدح فى الخارج وبالمهنة فى الداخل وفى جهة الغرب فقدت المملكة ايطاليا وخسرتها وحربت افريقه وتغلب الفرس وتسلطن الجور وسوء الادارة فى كل من العاصمة والاقاليم وخاف الاغنياء على أملاكهم والفقراء على سلامتهم وصارت الحكام جهلاء أو مرتشين وصارت أسباب العلاجات والادوية الاستبداد والشدة والفظاعة وزادت الامة بضجرها وتألمها وما تسلطن من الامراض والعلل على الامبراطور وجعله كامنا داخل السراية ويزل ضيف العناء والآفات بالامة وحاق بالحكومة النقص والعيوب فعزم الامبراطور بالنسبة لجسامة موقعه وأهمية مركزه على تنازله عن تاجه وحالما كان مشغولا بهذا الفكر قام عليه اخوته وأعمامه وأظهروا حقدهم وحسدهم له وصاروا أعداء لما كان يرغبه لهم فنفاهم وقتلهم وكان ابنه من زوجته الامبراطورة صوفيه مات فى صغره وتولد من الكراهة والعداوة الداخلية أن عزم الامبراطور على البحث عن خليفة له من غير عائلته بل من العموم فطلبت الجليلة صوفيه زوجته صديقها طبريوس رئيس الخفر فكانت فضائله وعلو همته من أجل مرغوب انتخابات الامبراطور فعقد احتفالا لترقيته الى درجة قيصر أو أوغسطوس فى ايوان السراية بحضور البطريرك والسناتو والجم الغفير من وجوه المدينة وأمرائها وجمع يوسطين ما بقى من حواس عقله وقوة جسمه وقال له تأمل الآن أعلام الشوكة السامية فانك على شرف استلامها ليس من يدى بل من يد الله فأكرمها وشرفها فانك تنال منها الكرم والشرف واحترم الامبراطورة كأنها أمك وأنت الآن ابنها بعد أن كنت خادمها ولا تفرح بسفك الدماء بل تجنب الانتقام والبطش واحذر الاعمال التى أمامها صرت مبغوضا ممقوتا عند الامة وكن على التجربة لا على مراعاة سوال من سلفك وعاأنى انسان وعندى الخطأ فأنا خاطئ حتى فى هذه الحياة الدنيا ولذا عوقبت بأشد العقاب الأن هؤلاء الخدم (وأشار الى الوزراء) الذين أساؤنى فيما عهدتهم به وأشعلوا النار لعذابى سوف أتقابل معهم أمام محكمة المسيح فانى كنت اندهشت من جلالة التاج وفخامته فكن أنت عاقلا ذكيا مدبرا وتذكر ما كنت فيه أولا وما أنت فيه الآن هؤلاء الذين حوالنا عبيدك وأولادك فدبر أمرهم واعطف عليهم وكن بهم رحيما كوالد وأحب رعيتك كحبك لنفسك وازرع المحبة وداوم على نظام الجيش وحفظ سعادة الغنى وساعد الفقير وفى غضون ذلك كان المجلس غاصا بالعالم مصغا لاحوال الاهالى وجميعهم ساكبون عبراتهم على خدودهم مشتركون مع ملكهم فى التوبة ووعظ البطريرك وزاد فى وعظه ودعا بدعاء الكنيسة وتناول طبريوس التاج وهو جاث على ركبتيه فقال يوسطين وقت تنازله عن التاج للملك الجديد ان كنت ترضى فأنا على قيد الحياة وان كنت تأمر فأنا أموت والله رب السموات والارض يلهمك ما تركته أنا أو نسيته وكان ذلك فى سنة ٥٧٤ بعد الميلاد فدبر طبريوس أشغال المملكة مع الصداقة والذمة حتى مات المحسن له بالخير فى سنة ٥٧٨ بعد الميلاد وصار طبريوس أمبراطورا

ومن بعد موت يوسطين الثانى انتظرت الامبراطورة صوفيه زواجها طبريوس حتى تستمر على سلطنتها كما كانت غير أن طبريوس بمجرد جلوسه على التخت جعلها سيدته وأمبراطورته فى سره وكانت زوجته الشرعية انسطاسيه واجتهد فى أن يرضى خاطر صوفيه فى نظير عدم زواجه بها بالاغداق عليها بالكرم قولا وفعلا وحينما كانت مغمورة بكرمه واغداقه عليها مع السرور والانشراح تداخل الاعداء عندها سرا وأغضبوها وحرضوها على خلعه فترتبت من أجل ذلك ثورة خفية فلما انكشفت ثورتها التزم الامبراطور أن يجعلها فى معزل منه فى عيشة خاصة بها ومن بعد أن تسلطن طبريوس أربع سنوات ونال فيها محبة رعاياه بما كان عليه من الفضائل والخيرات مات سنة ٥٨٢ بعد الميلاد وخلفه موريس وكان انتخبه وارثاله بعد موته فكان أهلا لهذا السمو العالى الذى أفيض عليه

وكان أصل الامبراطور موريس من رومة القديمة الا أن أهله فى وقت جلوسه على التخت كانوا قاطنين فى عربيسوس من أعمال قبدوقيا وحفظتهم صداقتهم على قيد الحياة لبرواسعادة ومجد ابنهم ويشتركوا معه فيها وصرف موريس مدة شبابه فى الجيوش العسكرية ورقاه طبريوس الى قيادة فرقة جديدة مفرورة مؤلفة من ١٢٠٠٠ نفس من عساكر مختلفة واشتهر اسمه وعلا قدره فى الحرب الفارسى وعاد الى القسطنطينية وكافأه طبريوس بوراثة المملكة من بعده وصعد موريس على التخت بالغ الرشد والعمر فى سن ثلاث وأربعين سنة وتسلطن زيادة عن عشرين سنة على الشرق وعلى نفسه وأخرج من ذهنه ما كان عنده من الطبع الوحشى وأقام بدله الرشد والعقل والفضيلة وصرف جميع حواسه فى الحصول على سعادة رعيته ودبر حكومته وباشرها على المنوال الذى كان عليه طبريوس وحاز الامبراطور موريس الفخر باعادته ملك فارس الى تخته وأنشب قواده حربا على أفارس الداوب وأغمض بعين الرحمة عن حماية أقاليمه الايطاليانية من تحملها أثقال جور اللومبارديين وذلهم

وكانت الامبراطورات على الدوام فى عذاب شديد وعناء مديد من جهة ايطاليا من سماعهم الحكايات القبيحة عن الاعمال المهينة الحاصلة فى ايطاليا وطلب أهلها من الامبراطورات المساعدة لخلاصهم عما هم فيه من الاهانة الا ان الامبراطورات ما كان لهم طاقة على مساعدتهم بسبب ما كانوا عليه من الضعف فعرضت رومة بنفسها للامبراطور طبريوس تقول له ان لم يكن قبلك قابلية لخلاصنا من سيوف اللومبارديين فبالاقل خلصنا من غوائل القحط فسامحهم طبريوس فى هذا الذم وخلص رومة من القحط ونقل اليها ذخرة من الغلال من مصر ثم استغاث القسس والامة الرومانية فى رومة باسم القديس بطرس وقاموا على المتبربرين وطردوهم من داخل أسوار رومة الا أن هذا الخلاص كان وقتيا فقط ومازال الخطر والضيق مستمرا فجمع القسس والسناتو مما كان باقيا عندهم من أموالهم القديمة مبلغا مقداره ٣٠٠٠ ليره من الذهب وسفروها مع واحد من أشرافهم اسمه بمفرونيوس الى القسطنطينية كى يقدم هديتهم وشكواهم لاعتاب التخت البزانطيانى وكان التفات الديوان فى القسطنطينية وكامل العساكر الشرقية موجها جميعه الى جهة فارس وحربها فاقتضى عدل طبريوس بتعيين هذا المبلغ لحماية رومة وقال الى بمفرونيوس اما أن يرشى رؤساء اللومبارديين أو يشترى مساعدة ملوك فرانسا وكانت هذه أجود النصائح وأحسن الارشادات عنده ثم ان البابا استغاث بموريس وساعده من بعد جلوسه على التخت بقليل لاجل خلاص ايطاليا من اللومبارديين وبما أنه ما كان للامبراطور من طاقة على تلبية طلبه دعا الفرنج بالنيابة عنه فاجتهدوا فى تتميم دعوة الامبراطور وغزوا ايطاليا

المرار العديدة وكان آخر هذه الغزوات تحت قيادة شلدبرت حفيد كلوفيس فكان على غير نجاح
في حملتين ثم حصل له النصر في الحملة الثالثة وخاب الجريس من أن يرسلوا الى شلدبرت مساعدة نيابية
من طرف الامبراطور وتولد من غزوته هذه عدة غزوات نأتي ذكرها في تاريخ ايطاليا في هذه المدة
وكان التفات الامبراطور موريس مقصورا على جهة الشرق وكان الحرب انفجر مع فارس مرة ثانية
في سنة ٥٧٢ بعد الميلاد في السنة السابعة من سلطنة يوسطين الثاني واستمر الحرب في نصرات متبادلة
بين المتحاربين مدة السبع سنوات التي جاءت بعد وفي سنة ٥٧٩ بعد الميلاد مات خسرو نوشروان
وخلفه ابنه هرمز فتولد من جبروته وظلمه قيام رعيته في ثورة عليه وفي هذا الوقت نال الرومانيون
نصرات عديدة عظيمة على حدود ميزوبوتاميا وأشوريا وكذا كان الترك مغيرين على الممالك الفارسية
من جهة نهر سيحون بجيوش يختلف مقدارها من ٣٠٠٠٠٠ نفس الى ٤٠٠٠٠٠ نفس ثم
خلصت فارس وسلمت من هذا الكرب الشديد بواسطة شجاعة بهرام فانه هزم الرومانيين والاتراك
فأقامه عساكره ملكا على فارس ولما علم أشراف الفرس تقليد بهرام زمام الملوكية خلعوا هرمز وسملوا
عينيه وأجلسوا ابنه خسرو الثاني على التخت فرفض بهرام قبول هذا الملك الجديد وضايقه بهرام أشد
المضايقة حتى التزم خسرو على الهرب الى المعسكرات الرومانية ورمى بنفسه على كرم الامبراطور موريس
فحضن الامبراطور أمره ودخل في أعماله ودخل في فارس جيش روماني فطرد بهرام الغاصب عن التخت
وأعاد الجيش الروماني خسرو الى تخته فحفظ هذا الملك الشاكر جميل هذا الصنيع واستمر في أعظم
ارتباطات ودية مع المملكة الرومانية حتى هلك موريس

ونال الامبراطور موريس في آخر سلطنته بعض مظفرات على الافارس في نواحي الدانوب واجتهد
في اصلاح الجيش ونظامه فتولد من ذلك ثورة كانت نتيجتها جلوس فوكاس على التخت وقتل موريس
وأولاده الخمسة في نواحي كالشيدون سنة ٦٠٢ بعد الميلاد في ساحل آسيا وكان مقتله في السنة
العشرين من سلطنته وفي السنة الثالثة والستين من عمره ورميت أجسام الاب وأولاده الخمسة في
البحر وطيف برؤسهم في القسطنطينية وكان فوكاس سفيها جاهلا خبيث الطبع أميالا يقرأ ولا يكتب
وليس له دراية بالقوانين والشرائع حتى الاعمال العسكرية وغرق في القباحة واللذات والشهوات
والمسكرات فكانت شهواته الحيوانية ضررا على رعيته وعلى نفسه وجلب على نفسه المقت والغضب
من رعاياه وكانت سلطنته خالية من الحروب في نواحي أوروبا ومرتبكة بها في نواحي آسيا ثم هرب
طيودوسيوس بن موريس ناجيا بنفسه الى الديوان الفارسي فأمر فوكاس بالقبض عليه فقبض
عليه المرسلون خلفه وقطعت رأسه في مدينة نخيا أونيس وكانت خيالات هذا البرنس الشاب المقتول
مقصورة على الدوام أمام فوكاس فقل منها راحته وعظمت مصيبته وحصلت الاشاعة سرا في الشرق بان
ابن موريس موجود على قيد الحياة وانتظر الامة الاخذ بثارهم وأما أرملة موريس وبناته فانه في وقت
ذبح العائلة الملوكية عفا عنهن فوكاس امارحمة منه أو سياسة وأمر بوضعهن في سجن محترم مخصوص
بهن الا أن حدة وحمية الامبراطورة قسطنطينية على أبيها وزوجها وأولادها جعلتها محافظة على الاخذ
بالثار فهربت في جنح الليل الى كنيسة تست صوفيه وسكبت فيها دموعها وذهب جرمانوس شريكها
في تشكيل ثورة وصارت حياتها في حالة خطرة فوعدها البطريرك السلامة وحلف لها وضمن لها
سلامتها من عدوها فقبلت ما أمرها به من بعد أن عين لها ديرا تقيم فيه وما حصل عندها أدنى لين لقاتل

زوجها ثم تولد من ثورة ثانية أوربية حصلت منها اشتعال نار الغضب في وجه فوكاس فأمر بتعذيب بنت وزوجة وأم الامبراطورات العذاب الشديد ومن اشترك معها في هذه الثورة كاحقر الناس المجرمين حتى تعترف بمقصدها ثم قطع فوكاس رأس قسطنطينية وبناتها الثلاثة في كالسيدون من براسيا في نفس الميدان الذي سال فيه دم زوجها وأولادها الخمسة من بعد أن مثل بهن وعذبهن العذاب الذي ما سمع بنظيره من قبل بخرق أعينهن وأخرج ألسنتهن من جذورها وقطع أيديهن وأرجلهن ومن بعدها سار فوكاس على قدم الجنون وأمر بالقتل والنهب في رعيته فأشعل عساكره النار في قتل الانفس فمنهم من مات تحت الضرب ومنهم من حرق بالنار ومنهم من ضرب بالنبال والحراب وامتلأ الابسدروم وهو المأوى المقدس لحرية الرومانيين وأفراحهم بأجسام القتلى وصار المتقربون من فوكاس والبعيدون عنه لا يجدون من يخلصهم من فظائع هذا الطاغية وكانت أعماله وأحواله أضل من أعمال كاليجولا ودوميطيان في العصر الاول للمملكة

وكان لفوكاس ابنة واحدة كان زوجها بواحد من الاشراف اسمه كريسبوس فوضع في السرك التمثالين الملوكيين للعروسة والعريس بجانب تمثال الامبراطور فحصل عند الامبراطور الحنق الشديد من هذه المادة وأمر بقتل حكام الحزب الاخضر نظير ما حصل منهم من هذا الخطا الفاحش ثم عفا عنهم ووهب دماءهم للامة وحصل عند كريسبوس الشك وأخذه الوهم في كون هذا الغاصب الحسود ينسى أو يعفو عما حصل على غير رغبته وتولد من هذا نفور كريسبوس من جهة وابتعاد الحزب الاخضر من خيانة فوكاس وضياع شرفهم وامتيازهم واستعد كل اقليم في المملكة للعصيان وكان هرقليوس عامل افريقة مصرا على رأيه من عدم ارسال خراج يطلب منه من مدة سنتين كأنه نقض طاعته لمن كان سببا في نجاسة وفساد تخت القسطنطينية وربط هذا العامل المستقل علاقاته بجواسيس مع كريسبوس والسناتو في خلاص نفسه ومملكته الا أن ما كان في نيته وضميره خمد بواسطة تقدم سنه فتنازل عن مشروعه الخطر لابنه هرقليوس ونيسطاس بن جرجوري صديقه ونائبه وصارت شوكات افريقة مسلحة بشابين جسورين شجاعين واتفقا على أن أحدهما يقود الاسطول من قرطاجنة الى القسطنطينية والآخر يقود الجيش الى مصر والى آسيا حتى يصل القسطنطينية ومن يحصل على يده النجاح يكون جزاؤه لبس الارجواني فطرقت مسامع فوكاس أخبار واهية عن مشروعهما وكانت أم هرقليوس وزوجته رهائن في القسطنطينية وفاء بذمته وعلامة على صداقته وشرع صاحب الحيل كريسبوس في ابتعاد هذا الخطر القريب من آذان فوكاس وأهملت وسائط المدافعة ونام الطاغية وتكاسل واشتغل بلذاته حتى رمى الاسطول الافريقي مخاطفه في بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وانضم الى هذا الاسطول جميع الفارين والمنفيين الخائفين من فوكاس ثم سارت مراكب هرقليوس من الدردانيل مزينة صواريها العالية باشارات وعلامات ديانية حتى عبرت بحر مرمرا وكان فوكاس ينظر من شبابيك السراية الى قرب أجله ونزول القضاء عليه وأنعم على الحزب الاخضر بالانعامات والاقطاعات في الاقاليم وأمرهم بمقاومة ضعيفة لا طائل تحتها في منع الافريقيين من النزول في البر فدخل النفر والامة في رأي كريسبوس من عدم المعارضة وهجم عدو مخصوص على السراية بجسارة وقبض على الطاغية ونزع من رأسه التاج وأقلعه القميص الارجواني وأوثقه في السلاسل وألبسه ثوبا أبيض ونقله في قارب صغير الى مركب هرقليوس فوبخه وعنفه ولعنه على ما حصل من ظلمه وجبروته وجرائمه

التى وقعت منه فى مدة سلطنته فأجابه فوكاس هل تريد أنت أن تحكم أحسن فكان ذلك آخر ألفاظه ومن بعد أن أذاقه العذاب صار خلاص رأسه من جسمه ورمواجسمه فى النار وبئس القرار وكسروا تماثيله ودعا القسس والسناتو والامة هرقليوس للصعود على التخت الذى طهره من الجرائم والادناس فمن بعد أن تردد قليلا فى أمره سلم لهم رغبتهم فى صعوده على الكرسى فكان تتويجه مصحوبا بتتويج زوجته عودوكسيه معه واستمرت ذريتها الى الجيل الرابع متسلطنين فى المملكة الشرقية وكانت سفرة هرقليوس سهلة ناجحة وجاء نيسطاس بعد قضاء الامر وانقاد من دون ضجر لسعادة صديقه فكافأه الامبراطور بتمثاله فوق حصان وزوجه بابنته وكافأ كريسبوس على فعله بالانعام عليه بقيادة الجيش القبدوقى الا أنه كان من الصعب الاعتماد على صداقته لانه داخله الغرور والغلظة وأظهر خصاله الذميمة للملك الجديد فحكم السناتو على كريسبوس بالرهبانية فى أحد الديورة الآن هرقليوس حكم عليه بالموت وقال من غش أباه وخدعه لاخير فيه ولا صداقة عنده لحبيبه وكان جلوس الشاب هرقليوس على تخت المملكة فى سنة ٦١٠ بعد الميلاد

وفى سنة ٦٠٣ بعد الميلاد كان خسرو ملك فارس أغار على الممالك الرومانية طالبا بأخذ ثار أبيه المحسن له موريس والانتقام من المتسبب فى قتله فمن أجل جريمة رجل طماع انصبت مصائب الحروب ودواهيها على الامة التى كان هذا الطماع جائرا عليها وظالما لها ثم من بعد مضى عشرين سنة انصبت هذه الدواهى والمصائب بالمثل على رؤس الفرس وذلك مصداق ما ذكر فى القرآن الشريف فى قوله تعالى (الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) وكان القائد الذى أعاد خسرو الى تخته لم يزل قائدا فى الشرق حتى عزل من قيادته فاعتزل فى مدينة هيرابوليس فى سوريا واستقل بنفسه فخدعوه فى القسطنطينية بالمواعيد الكاذبة وأذاقوه وبال الحرق فى سوقها ولما افتقد العساكر الرومانية قائدهم الذى كانت الاعداء تخشى سطوته انهزمت الطوابير التى كان ساقها الحرب الفرس مرتين بخيالة الفرس وداستهم الفيلة تحت أقدامها وخرقت صدورهم رماح الفرس وقتل الجم الغفير من الاسرى فى ميدان الواقعة بأمر خسرو ملك الفرس وقتل العساكر الذين كانوا اهاجوا فى ثورة قتل موريس كل هذا فى مدة سلطنة فوكاس وحاصر خسرو مدائن دارا وعميدة وعديسة على التوالى وأخضعها وهدم استحكاماتها وأسوارها ثم عبر الفرات واحتل مدائن سوريا هيرابوليس وكالسيس وحلب ثم حل مع السرعة على وديان انطاكيا بجيوشه المظفرة وظهر من هذا المد السريع اضمحلال المملكة وعدم لياقة فوكاس وتدبيره ونفور رعاياه واشمئزازهم منه

وكان أول الاخبار التى وردت على هرقل من جهة الشرق خبر ضياع أنطاكيه الا أن هذه المدينة العتيقة كانت الزلازل هدمتها ومن نهب كل عدو تغيرت حالتها وصارت مجرى صغير الكنوز والدماء وفاز الفرس وحصلت لهم السعادة من نهبهم قيصرية عاصمة قبدوقيا ولما تقدموا وراء أسوار الثغور واستحكاماتها وجدوا مقاومات قليلة ومحصولات وافرة كثيرة وكان وادى دمشق الرحب البهج النضر محلى فى كل عصر بمدينة ملوكية فاستراح خسرو مع عساكره فى جنان دمشق وبساتينها من قبل أن يصعد جبال لبنان أو يعبر على المدائن الفنيقية الساحلية ومن بعد أن أخضع غليلى والاقليم الموجود وراء نهر الاردن هجم عنوة على أورشليم وتغلب عليها وهدم قبر المسيح باغواء المجوس والكنائس المفتخرة التى كانت شيدتها هيلانه وقسطنطين وختم على دمارها بالنار ونهبت بدور وهدايا نحو من

ثلاثمائة سنة في يوم واحد ونقل البطريرك زكريا والصليب الحقيقي الى فارس وقتل تحت السيف ٩٠٠٠٠ من المسيحيين في سنة ٦١٤ بعد الميلاد وأما مصر نفسها التي هي كانت الاقليم المستثنى من عهد دوقلطيان من الحروب الخارجة والداخلة فانها خضعت في سنة ٦١٦ بعد الميلاد بواسطة خلفاء كيرش وذلك أن خيالة الفرس أغارت على بلوزه مفتاح الديار المصرية وتغلبوا عليها وعبروا الخلجان والترع العديدة من الدلتا وساقوا في طول وادي النيل من اهرام منف حتى وصلوا حدود أتيوبيه وأما نفس الاسكندرية فانها سلمت بمجرد قوة بحرية كانت موجودة فيها غير أن المطران والعامل توجها في احدى المراكب مع عائلاتهما الى جزيرة قبرص ودخل خسرو المدينة الثانية للايالة المصرية وكان يوجد بها بقية من الاشغال والصنائع والتجارة ثم سار منها الى أن رفعت بيارق نصره على أسوار قرطاجنه وعلى ضواحي طرابلس ودمر جميع المستعمرات الجريقية في جهات صيريني وسار هذا الفاتح على قدم الاسكندر الاكبر وعاد مظفرا من وسط رمال صحاري ليبيا وفي أثناء سير هذه الاعمال مع الظفر والنجاح زحف جيش فارسي من وسط آسيا الصغرى الى نواحي بوسفور ترا سه وتغلب على كالسيدون من بعد حصار طويل واستمر الجيش الفارسي زيادة عن عشر سنوات معسكرا على مرأى من القسطنطينيه وخضع الساحل البحري من بونطوس ومدينة انسيره وجزيرة رودس الى ملك فارس ولو كان عند خسرو قوة بحرية لنشر رق العبودية والخراب على الاقاليم الاوروباوية وصارت الجيوش الفارسية لا تغلب كما صار خسرو على شرف احياء مجد وشوكة جديه الكبيرين كيرش الاول أو كيخسرو ودارا الاول

وامتدت سلطنة حفيد نوشروان بغتة من شواطئ نهر الدجلة والفرات التي كانت المنازعة على الدوام حاصلة عليها الى بوغاز الهلسبونت والنيل وهي المملكة القديمة الفارسية ونالت الاقاليم والايالات حمل النافى الفارسي من بعد أن كانت متعودة من منذ ستمائة سنة على عادات فضائل الحكومة الرومانية ونقائصها وكان اذا ظهر لملك الفرس أدنى صلابة من أي أمة من ممالكه عجزهم بأخذ أموالهم وأفقرهم وضرب عليهم ضرائب متجاوزة الحد وسلب كل ما في أيديهم وخرب خسرو هياكل الشرق ومعابدها وسلبها ذخائرها وكنوزها ونقل الى ممالكه الوراثية الذهب والفضة والاحجار الكريمة والصنائع النفيسة والاشغال الظريفة الموجودة في مدائن آسيا وتمتع بثمار نصراته وانتقل من مصاعب الحروب ومشاقها الى الرفاهية واللذات الشهوانية في سراياته وتطير من التقرب الى أبواب عاصمته قطزيفون (المدائن) وحصل له منها الوسوسة الخرافية واتخذ مقره في مدينة دستجرد وراء نهر الدجلة وعلى مسافة ستين ميلا من الجهة الشمالية من العاصمة فكانت أراضي المراعي والكلا مغطاة بالمواشي والانعام والبساتين والجنان مشحونة بطيور الدراج والطواويس والنعام والغزلان والوعل والدباب الوحشية والاسود والنمور وكان عنده تسعمائة وستون فيلا يستعملها في مجد وأبهة نفسه وكانت خيامه وأمتعته تحمل الى الميدان على ١٢٠٠٠ جمل و ٨٠٠٠ من الحيوانات الاقل جسامة وكان في الاسطبلات الملوكية ٦٠٠٠ من البغال والخيل المسومة و ٦٠٠٠ من الخفر راكبين على ظهور خيولهم أمام باب السراية يتغيرون بمثلهم على التعاقب وكانت خدمة الحال الداخل من السراية محولة على ١٢٠٠٠ من الرقيق وبها ٣٠٠٠ قينة من أجمل سراري آسيا وأجملهن شيرين خليلة الملك ونديمته وجليسته وكانت الكنوز المختلفة والذخائر من الذهب والفضة والحرير والجواهر وأنواع

الروائح والعطريات مخزونة فى قبوة معقودة تحت الارض وحوائط سرايته مزينة بثلاثة آلاف ستارة من الغالية الثمن وأربعة آلاف عمود من الفضة أو الرخام أو الخشب المصفح بالذهب والفضة حاملة سقف السراية والقبة أو الايوان وألف كرة من الذهب معلقة فى القبة على هيئة صور كواكب وسيارات منطقة البروج وبينما كان ملك فارس فى لذاته وغرائب أعماله وأفراح لذاته اذ وردت عليه رسالة من أحد رجال مكة يدعوه الى الاقرار بوحدانية الله وان محمدا رسوله فرفض الدعوة ومزق الرسالة فقال النبى العربى صلى الله عليه وسلم ان الله سيمزق ملك خسرو ولا يستجيب له وكانت هذه الرسالة فى السنة السابعة من الهجرة التى تبتدئ من ١١ مايو سنة ٦٢٣ بعد الميلاد وقال آخرون انها كانت فى سنة ٦١٥ بعد الميلاد من بعد أن تغلب خسرو على فلسطين ثم تساقطت الاهوال والمصائب على هرقل من ابتداء سنة ٦١٠ الى سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وقلت ممالكه وضعفت رعيته لان سوريا ومصر وايالات آسيا جميعها صارت تحت أحكام الفرس واحتلتها جيوشها وأما أوروبا فانها صارت من حدود استريا الى السور الطويل من تراسة متضايقة مكبوسة بالآفارس وكانوا ما شبعوا من دماء حرب ايطاليا وسلبها وقتلوا ما أخذوه من الاسرى من الرجال فى ميدان بانونيه وباعوا النساء والاطفال وحضنوا القينات والابكار وانحصر هرقل أشد حصار بالاعداء وآلت المملكة الرومانية الى أسوار القسطنطينية مع ما بقى من الجريس وايطاليا وافريقه وبعض مدائن ساحلية من صور الى طرابزون وساحل البحر الادرياطيق ومن بعد ضياع مصر انتشر الوباء والقحط فى العاصمة وعزم الامبراطور على الرحيل وكان لا طاقة له على المدافعة ولا حيلة له فى الخلاص الا أن يجعل نفسه ومقر حكومته فى قرطاجنه وكانت هى المقر الأمين عنده وشحن مراكبه بكنوز السراية وذخائرها فأوقف البطريرك رحيله وسلح مدافعة بلاده بالديانة وساق هرقل الى منبر كنيسة سنت صوفيه ومحرابها وحلفه يمينا مؤكدا على أنه يعيش ويموت مع الامة التى جعلها الله تحت رعايته وكان فى هذا الوقت شاغان الآفارس معسكرا فى سهول تراسة فأخفى مقاصده الخبيثة وتقابل مع الامبراطور ومقابلة رسمية بالقرب من مدينة هراقليه وربط علاقات ودية معه وحصل الاحتفال بهذه المقابلة بواسطة ملاعب الخيول وظهر السناتو والامة فى ملابسها الفخيمة وأبهتها الجليلة فنظر اليهم الآفارس بعين الحسد والعداوة والغيرة وعظم عليهم وكبر لديهم ما الرومانيون عليه من لذة العيش والرفاهية فأحاطت خيالة الآفارس بالايبدروم على حين غفلة وصرخ عليهم شاغانهم صرخة الهجوم فأخذ هرقل تاجه فى يده وركب حصانه ونجا بنفسه مع خمسة عشر من فرسانه وأسرع الآفارس فى الهجوم حتى قربوا من باب الذهب من القسطنطينية ولم يدخلوه ونهبوا ضواحيها وما جاورها وأخذوا مائتين وسبعين ألف أسير وساقوهم الى ما وراء نهر الدانوب فتوجه الامبراطور فى مراكبه الى ساحل كالسدون وعقد مجلسا أمام عدوه الاكبر فقابله قائد الفرس قبل نزوله من المركب وحياه بالسلام وأهل به وصعب عليه حالة الامبراطور فكان من قائد الفرس أن أرسل رسولا الى مليكه الاعظم ملك فارس وكان هذا الرسول النائب العسكرى ووالى مدينة القسطنطينية وكان من أكبر رجال الكنيسة ومن رجال الطبقة الاولى فى الديانة يسأل ملك فارس الصفح والصلح بما يرغبه فلما توجه السفير الى التخت الفارسى قوبل بأعظم قبول ولما عرض على الملك مطاليب الامبراطور قال طاغية آسيا الفارسى كنت أود أن يكون هرقل هو الذى يلزم أن يطأطئ أعتاب تختى لا سفيره عنده ويطلب مطاليبه فانا لا أسالم

امبراطور

امبراطور رومة حتى يجحد الهه المصلوب ويختص عبادة الشمس ويكون من المجوس ثم قال انى كنت على رغبة من فتح القسطنطينية ولكنى الآن تنازلت عنه وضربت خراجا سنويا على المملكة الرومانية قدره ألف وزنة من الذهب وألف وزنة من الفضة وألف ثوب من الحرير وألف من الخيل وألف قينة فعاد السفير ورضى هرقل بهذه الشروط الصعبة وجعل الزمن والمدة التى يستحصل فيها على جباية هذه النخائر من الشرق الفقير فى استعداد هجوم مع الجسارة وقطع اليأس

ومن الصفات المذكورة فى التاريخ ان هرقل كان عبد الكسل وحب اللذات والشهوات والخرافات لا يعتنى ولا يلتفت للمصائب والاهوال النازلة على المملكة ولما نظر بعينه ضياع كل شئ وخسرانه قذف من على ظهره حالة الضعف والرخاوة وتقلد زمام الشجاعة والشهامة واقترض الاموال المقدسة الموجودة فى الكنائس والمعابد تحت قسم ونذر قوى أنه يعيدها كما اقترضها مع فوائدها وأرباحها مرة ثانية وجند جيشا وأسطولا وأقلع الى سواحل سيليسيا ونزل عليه بعساكره وعسكر فى جهة عصوص فهجم الفرس عليه فى هذه الجهة فانتصر عليهم نصرة واحدة فى الميدان القديم الذى كان الاسكندر الاكبر هزم فيه دارا ملك الفرس قبل ذلك بألف سنة وكانت هذه النصرة فى سنة ٦٢٢ بعد الميلاد وصعد هرقل مع الجراءة والجسارة مرتفعات جبل طوروس وساق عساكره من وسط سهول قبدوقيا وقضى فصل الشتاء فى أمن على شواطئ نهر الهاليس وترك عساكره فى هذا الموقع وتوجه مسرعا الى القسطنطينية

ثم انه من عهد صكيبو الرومانى وحنبال القرطاجنى ما حصلت مشروعات حربية مع الجسارة والشجاعة مثل المشروع الذى أجراه هرقل فى خلاص المملكة الرومانية من يد الفرس وغيرهم من الاعداء وذلك انه من سنة ٦٢٣ الى سنة ٦٢٥ بعد الميلاد رخص للفرس فى مضايقة الاقاليم وقهرها وتهديد العاصمة مع الوقاحة وكشف الامبراطور طريقه الصعب من البحر الاسود وجبال أرمينية ودخل فى قلب المملكة الفارسية وألزم الملك الاكبر ملك فارس على كونه يطلب عساكره للمدافعة عن بلادهم السائلة على الارض دماؤها فانتخب هرقل شرذمة من العساكر مقدارها خمسة آلاف نفس وأقلع بهم فى البحر الاسود من القسطنطينية الى طرابزون وفيها جمع قواه التى كانت مشتتة فى أقاليم بونطوس على نهر الهاليس وقوى رعاياه ومحالفيه من ابتداء فم نهر فاسيس الى بحر الخزر على السير مع خلفاء قسطنطين تحت نصرة بيرق الصليب وكان حصل التنازل عن حدود أرمينية الى الامبراطور موريس وامتدت هذه الحدود حتى وصلت نهر اركسيس ونصب هرقل على النهر جسرا عبرت عساكره من فوقه وسار من طريق مارك أنطونى وزحف على مدينة طوريس أو غندزاقه وتبريز حاليا [illegible] مبيدا باقدماوه [illegible] ورجع خسرو فى رأس ٤٠٠٠٠ نفس من عساكر من عروة كانت بعيدة لاجل صد تقدم الجيوش الرومانية فكانت هذه الرجعة عند قرب هرقل سببا فى [illegible] وهزيمة خسرو ثم وقفت الفتوحات السريعة والحركات العسكرية لهرقل مدة فصل الشتاء فقط وفى غضون ذلك عزم هرقل من حزم رأيه على الرجعة الى داخل أقاليم [illegible] ساحل بحر الخزر ونصب خيامه فى سهول مغان فى المعسكر الذى كانت تتخذه ملوك الشرق وفى مدة هذه الغارة [illegible] أظهر هرقل غيرة الديانة المسيحية والانتقام وبطش ملوك المجوس [illegible] فأخذت العساكر نيران الجهات الفارسية ودمروا [illegible] خسرو

فى لهب النيران ودمر واطبرمه أو أورمية مسقط رأس زرادشت وهدموا قبره الشريف وخلصوا نحو امن ٥٠٠٠٠ أسير وسار بجيوشه المظفرة حتى وصل مدينتى قزوين واصبهان ولما ارتاع خسرو واهتزت مفاصله مما حل بمملكته من المصائب والاخطار أرسل فى طلب جيوشه من وادى النيل ونواحى البوسفور وأحاط بمعسكر الامبراطور ثلاثة جيوش مهولة فى أرض بعيدة عدوة له واستعد محالفوه من الكولشيانيين على تركه وظهر الخوف على وجوه رجاله الشجعان المتدربين فى الحروب فقام فيهم هرقل وقال لا تخافوا ولا تحزنوا من كثرة عدوكم فان كل واحد ورومانى يغلب بعون الله ألفا من الهمج واننا لو جعلنا حيا تنا فداء عن اخواتنا وخلاصا لهم لنلنا تاج الشهادة والنعيم الدائم من الله وأجدادنا وساعد هرقل أقواله بشهامة أعماله فرد الثلاثة جيوش الفارسية وفصلها من بعضها بسرعة سيره وقهقرته وأجرى حركات هزم بها هذه الجيوش فى الميادين حتى ألزمها الدخول فى المدائن الحصينة فى ميسديا وأشوريا وفى فصل الربيع عبر الامبراطور جبال الكورديستان فى سبعة أيام وعبر نهر الدجلة الشديد الجريان من دون مقاومة ولما حصل للجيش الرومانى التعب من كثرة ما معهم من الغنائم والاسرى وقف تحت أسوار مدينة عميده وأشعر هرقل سنا تو القسطنطينية بسلامته ونجاحه مع عساكره وكسر الفرس القناطر التى كانت على نهر الفرات ولما كشف الامبراطور مخاضات هذا النهر تقهقر الفرس مع السرعة لحماية شواطئ نهر ساروس فى سيليسيا وعرض هذا النهر السريع الجريان نحو من ثلثمائة قدم وقنطرته محصنة بأبراج قوية مرصوص على شواطئه نبالة الفرس فبعد محاربة دموية استمرت الى الغروب هزم الرومانيون الفرس وسار هرقل فى طريقه حتى وصل سباسطى من أعمال قبدوقيا وتشرف ساحل البحر الاسود بعود هرقل من غزواته الطويلة متوجا بالظفر من بعد مضى ثلاث سنوات وكانت هذه نصرته الثانية أو غزوته الثانية

وفى سنة ٦٢٦ بعد الميلاد عزم الملكان المتنازعان فى المملكة الشرقية على فصل هذه المسئلة فى داخل الممالك بدل أن تحصل منازعات ومحاربات على الحدود وكانت القوى الفارسية انضنى حالها واضمحل أمرها من حركات المشى والحروب بمدة عشرين سنة وكثير من الشجعان المتدربين على الحروب الذين فيهم الطاقة على ضرب السيف والتعود على الاقاليم مازالوا موجودين فى قلاع مصر وسوريا وكذا أضعف طمع خسرو ونقمته المملكة وكسحها جمع خسرو عساكر جديدة وألف جيوشا من رعاياه من الاغراب والرقيق وقسمها الى ثلاثة جيوش كبيرة فالجيش الاول جعله مؤلفا من ٥٠٠٠٠ نفس ولقبه بجيش المزراق الذهب وأمره بالتوجه لملتقى هرقل نفسه وشكل الجيش الثانى وأمره بأن يكون موقعه بين هرقل وأخيه طيودوروس حتى لا يحصل انضمامهما مع بعضهما وأمر الجيش الثالث بالتوجه لحصار القسطنطينية ومساعدة غارات الشاغان عليها ودخل ملك فارس فى معاهدة ومحالفة مع الشاغان والافارس على تقسيم ممالك هرقل فيما بينهم وسار سربار وجيشه الثالث من وسط أقاليم آسيا حتى وصل المعسكر المشهور فى كالسيدون (اسكودار الآن) وأبهج نفسه بتخريبه معابد وهيا كل الضواحى الآسياوية وكان ينتظر مع عدم الصبر حضور أصدقائه السيطيين فى الجهة المقابلة من البوسفور وفى ٢٩ يونيو سنة ٦٢٦ بعد الميلاد خرق ثلاثة آلاف من المتبربرين وهم مقدمة الافارس خط الاستحكامات الطويلة وأوقعوا التشويش والانزعاج فى زحام الفلاحين والتبعة وأهل المدينة وجلب الشاغان ٨٠٠٠٠ نفس من رعاياه الوطنية ومن الرعايا الموجودين تحت حكمه

من

من قبائل الجبيدي والروسيين والبلغاريين والسلافيين وتقدم الشاغان نحو القسطنطينية وقضى شهرا في سيره ومخابراته وأحاط بالمدينة في ٣١ يوليه من ابتداء ضواحي بيره وغلطه الى السبعة أبراج وشاهد السكان بعين الرعب والخوف علامات لهب النيران في نواحي السواحل الآسياوية والاوروباوية فاجتهد في اثناء هذه نواب القسطنطينية مرارا عديدة في مشترى معاهدة مع الشاغان فرفضها وشتم مبعوثيهم ونضر زمن وقوفهم أمام كرسيه وعرشه حينما كان مبعوثو الفرس جالسين بجانبه متوشحين بالملابس الحرير فقال الشاغان البربري لمبعوثي نواب القسطنطينية انظروا بعيونكم دلائل اتحادي الكامل مع الملك الاكبر ملك فارس وان نائبه في ساحل آسيا مستعد لان يرسل الى معسكري شرذمة من أجود عساكره مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب فلا تظنوا انكم تسعون عند سيدكم في ارسال فداء جزئي أو غير كاف فان أموالكم ومدينتكم صارت الهدية الكافية لنفسي التي يمكنني ان أقبلها وأما أنتم فاني أسمح لكم أن تخرجوا من المدينة على بدن كل واحد منكم ثوب وقميص تحته وصديقي سربار لا يرفض مروركم من خط حدائه العسكري وان سلطانكم الغائب عنكم الذي هو الآن اما أسير أو نجا بنفسه ترك القسطنطينية ومآل اليه عاقبة أمرها وصار الآن لا نجاة لكم من سيوف الافارس والفرس الا أن تطيروا في الهواء مثل الطيور أو تغطوا مثل السمك تحت أمواج البحور وفي مدة عشرة أيام متوالية كبس الافارس بالحصار على المدينة وتقدموا من أسوارها من أجل لغم السور أو كسره تحت محالف متينة وقدموا اثني عشر برجا من الاخشاب شامخة بجوار الاسوار وصاروا يضربون عليها بالاحجار الضخمة والنشاب والحراب وأما السناتو وأهل المدينة فانهم بذلوا جهدهم في المدافعة عن مدينتهم وأمرهم هرقل بفرقة من العساكر مؤلفة من ١٢٠٠٠ نفس فصلها من جيشه واستعملوا النيران الحريقية والآلات والاعمال والمنجنيقات الميكانيكية مع النجاح في المدافعة عن المدينة وحفظت المراكب الحربية ذات الثلاثة صفوف من المقاذيف البوسفور ومنعت كسالى الفرس من العبور الى العاصمة فكانوا ينظرون هزيمة محالفيهم ومن المحافظة والمدافعة التامة التي أجراها أهل القسطنطينية وعساكر المدينة صدوا الافارس من هجومهم وأحرقوا أسطولا من مراكب السلاف في الميناء وعزم رعايا الشاغان على تركه وقلت مؤوناته وحرقت آلاته فأعطى اشارته برجعة وقهقرة مهولة ونسب الرومانيون هذه النصرة والخلاص الى مريم العذراء أم المسيح

ومن بعد أن قسم هرقل جيشه تقهقر مع الحزم الى شواطئ نهر فاسيس وفي نواحيه أجرى حربا دفاعيا على جيش الخمسين ألف مرزاق ذهب وانصرف عنه العناء وافتكر بخلاص القسطنطينية وثبت عقله ووطدت آماله بنصرة أخيه طيودوروس ومثلما اتحد خسرو مع الافارس اتحد أيضا الامبراطور الروماني مع الترك وعقد معهم محالفة جليلة ودعاهم لنفسه وكانوا من عشائر وقبائل الخزر فلبوا دعوته ونقلوا خيامهم وأموالهم من نواحي نهر الولغا الى جبال جورجستان وقابل هرقل خاقانهم وأمراءهم في نواحي تفليس فنزل الخاقان وأشراف قومه عن ظهور خيولهم وسجدوا في الارض على وجوههم وقالوا وثقنا من الحريق لعدما أرجوانى القيصر فلما رأى هرقل مثل هذا الاحترام قلع تاجه من فوق رأسه ووضعه على رأس خاقان الترك وسلم عليه بالحضن وجعله ابنه واحتفل بهم في وليمة مفتخرة أعدها لهم وأهدى طبيبن الخفاف والزينة والذهب والجواهر والحرير التي كانت

مستعملة في المائدة الامبراطورية وفرق بيده عليهم جواهر وحلقانا ووعده هرقل خاقان الترك بان
يزوجه بابنته واستحوذ في الحال على ٤٠٠٠٠ فارس خيال من الترك وتخابر في تحويل الجيوش
التركية من جهة نهر سيحون بالاغارة على الممالك الفارسية وأما من جهة الفرس فانهم تقهقروا مع
السرعة الى معسكر عديسيه وجمع هرقل جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ نفس وأجرى حركاته المظفرة
وفي ظرف بضع شهور استرد مدائن سوريا وميزوبوتاميا وأرمينية وكانت هذه المدائن على تحصين
غير تام ومدافعة قليلة ومازال سربار مقيما في الموقع العظيم في كالشيدون فتولد من غيرة خسرو وطمعه
أو من حيلة وخداع هرقل ابتعاد هذا المرزبان الشجاع من خدمة مليكه وبلاده وذلك انه وردت رسالة
سواء كانت حقيقية أو مزورة للقائد الثاني يطلب منه فيها أن يرسل الى التخت من دون أدنى تأخير رأس
المجرم الشقي القائد سربار فوصلت هذه الرسالة الى يد سربار نفسه فلما قرأ حكم قتله أدخل فيها أسماء
أربعمائة نفس من الضباط وعقد مجلسا عسكريا وسأل القائد الثاني أمام المجلس هل هو مستعد
لتنفيذ أوامر طاغيتهم وظالمهم فقال الضباط جميعا في نفس واحد ان خسرو افقد وخسر قضيب
مملكته فتولد من هذا الصنيع أن عقد سربار معاهدته على حدته مع حكومة القسطنطينية واتحد
معها وصار من توابعها ومعاضديها

وفي سنة ٦٢٧ بعد الميلاد عندما خسر خسرو معاضدته الاكيدة من سربار وارتاب من وثوقه برعاياه
عرف من دون ريب أن مملكته صارت على شرف الدمار فجمع جيشا مؤلفا من خمسمائة ألف نفس
يكل عن وصفه الكاتب بما كان عليه هذا الجيش من الرجال والسلاح والخيول والافيلة التي غطت
مبادى ميديا وأشوريا ضد اغارة هرقل وغزوته فزحف الرومانيون مع الشجاعة من نهر اركسيس الى نهر
الدجلة وسار خلفهم الجبان رازاطيس قائد جيش مزراق الذهب بجيشه من وسط بلاد دقفرة حتى تحصل
واقعة فاصلة لعاقبة مملكة فارس وكان في الناحية الغربية من نهر الدجلة وفي نهاية قنطرة الموصل مدينة
نينوى القديمة الكبيرة وخفيت هذه المدينة حتى أطلالها وآثارها تحت الارض واستمرت مسافتها
الخالية حتى صارت ميدانا رحبا لحركات الجيشين فكانت محلا لتلاقيهما وانتشاب الحرب فيها فآلت
نتيجة واقعة نينوى الى نصر هرقل وهزم الفرس وفي هذا اليوم المشهور فاقت شجاعة هرقل محاربيه
وكان راكبا على حصانه فالوس فانخرقت شفة الحصان برمح وانجرح فخذه لكنه نجا بسيده منصورا من
وسط طوابير الفرس وقتل هرقل في حرارة الواقعة ثلاثة من كبار القواد وشجعانهم بسيفه ورمحه وكان
من ضمنهم ارظاطيس وأخذ خودته وكانت من الذهب النقي وجعبته وكانت مائة وعشرين صفيحة
أو لوحا من الذهب وسيفه ومنطقته وسرجه وزرخه ولولا أن هرقل كان من توابع المسيح وأمه لقدم
هذا السلب هدية منه الى جوبتير الكابيتول في رومة وأخذ في واقعة نينوى التي ابتدأت من الفجر
الى الساعة احدى عشرا فرنكي من النهار ثمانية وعشرين بيرقا من الفرس خلاف الذي تكسر وقتل
معظم الجيش وأخفى المنصورون تلفياتهم وباتوا ليلتهم في الميدان على سلاحهم واستمر الباقي من خيالة
الفرس ثابتا في موقعه الى الساعة الثامنة افرنكي بعد الغروب ثم تقهقروا الى معسكرهم المكسور
وجمعوا عفشهم وانتشروا في كل جهة ثم سار هرقل على قدم نصرته ثمانية وأربعين ميلا في أربع
وعشرين ساعة حتى احتلت مقدمته قناطر نهر الذاب الاكبر والاصغر وفتحت المدائن والسرايات
الاشورية أبوابها للرومانيين أول مرة ومازال في سيره حتى دخل المقر الملوكي في دستجرد مع الاس

والجسارة

والخسارة فمع انه صار نقل غالب الكنوز وصرف منها الكثير الا أن الباقي من الاموال والذخائر كان كافيا لما كان الرومانيون بأملونه فسد رمقهم وأشبع جوعتهم والذى لم يقدروا على حمله أحرقوه ودمروه وخلص هرقل ثلثمائة بيرق رومانى وجما غفيرا من أسرى عديسه والاسكندرية ثم سار من سراية دستجرد حتى دخل المدائن ومنها الى شهرزور وعبر جبال زغرة قبل نزول الثلج واستقبل أهل تبريز عساكره وخيولهم مع السعة وانشراح الصدر

وكان خسرو أداه طمعه الى المدافعة عن ممالك الكاورانية وألزمه حب الفخر أو خوف العار على أنه لا بدله من مقابلة خصمه فى الميدان وفى واقعة نينوى وهى الواقعة الاخيرة الفاصلة كانت أفكار الفرس فى ان خسرو اما أن يغلب أو يقتل مع الشرف برمح امبراطور الرومانيين ففى أثناء الواقعة انتخب خسرو لنفسه محلا أمينا بعيدا عن حركة القتال وانتظر الواقعة حتى انهزمت عساكره وجمع ما بقى من بعد الهزيمة ونقهقر أمام حركة سير هرقل حتى صار على منظر من مقابر دستجرد المحبوبة عنده فافتكر أحبابه وأعداؤه أن مقصود خسرو دفن نفسه تحت أطلال المدينة والسراية ومن ثم حصل عندهم كراهته من عدم ثباته وهربه أمام هرقل ثم دخل ملك آسيا سرايته خفية وأخذ شيرين وثلاث سرار من سراريه وهرب من شرم كان فى السور قبل وصول الرومانيين بتسعة أيام واستعوض زينة احتفاله وسجود الناس له حال ظهوره لابسا تاجه على رأسه بسفر خفى ناجيا بنفسه وبات فى أول ليلة فى خص أحد الفلاحين وانشرح الملك الاعظم من بابه الواطى وامتزج جسمه بالخوف والرعب ومازال فى هربه حتى دخل المدائن وصده نهر الدجلة ولما انكشف هربه من السراية ارتجت السراية والمدينة والعسكر فى دستجرد بالخوف والفزع والهيجان وتردد المرازبة فى أمرهم من خوفهم من ملكهم أو من العدو ووقع الاستغراب عند الحريم وفى داخل السراية من هرب الملك ثم بعد قليل طلب الملك أزواجه فى قلعة بعيدة وأمر جيش دستجرد بالانتقال عنده فى معسكر جديد كانت مواجهته مستورة بنهر ابره وحذاء مؤلف من ٢٠٠ فيل فوصل اليه عساكر الاقاليم البعيدة والمرازبة على التدريج واجتمع رأى القبحاء من خدام الملك والمرازبة على المدافعة عن المملكة الى آخر نفس وكان خسرو مازال فى قوة على الحصول على معاهدة سلمية وجاءه مبعوث هرقل المرة بعد المرة يسألونه الصفح عن رعيته ويتمنع من اجراآته الهمجية الحاصلة من القتل والحرق والسلب فى ولايات اسيا ولما تيقن خسرو من رجعة هرقل بكى وناح على ما حصل فى سراياته من الخراب والدمار وعلى ما كابدته أمته من المضار والآلام من أجله ولما رأى هذا المسكين تقدمه فى السن وذاق أنواع العذاب واعترته الاوجاع أضمر على أن يجعل تاجه فوق رأس ابنه مرزه وكان محبوبا عنده زيادة عن أولاده الاخر فنشأ كانت ثورة ضد رأيه هذا كان رأسها ابنه شيرويه من شيرين ومال شيرويه بالاحسان على اثنين وعشرين مرزبانا محبين للوطن وزاد فى مرتبات العساكر وسمح للمسجونين بالحرية فى اجراء شعائر ديانتهم وعتق الاسرى وكافأهم وقلل الضرائب والعوائد وصمم الثائرون على أن شيرويه يلزم أن يظهر فى المعسكر بالبيارق الملوكية وانما خاب هذا المشروع تكون نجاته فى هربه الى الديوان الامبراطورى ولما ظهر شيرويه فى المعسكر قابلوه بالتهليل والاحتفال وقبضوا على خسرو وقبضا عليه واذبحوا أولاده الثمانية عشر أمام عينيه ثم رموه فى سجن مات فيه فى اليوم الخامس من حبسه وانقرض مع موته مجد البيت الساسانى وفخره وما تمتع ابنه الوحشى بثمرات ما جناه من الجرائم الاثنانية شهور وفى طرف أربع سنوات تقلد زمام التخت تسعة ملوك

تنازعوا عليه بالسيف من أجل مملكة اضمحل حالها وصار كل اقليم وكل مدينة من المملكة الفارسية مستقلا وتسلطنت الحالة الفوضوية مدة ثمان سنوات حتى انقطع خبر هؤلاء الاحزاب الطالبين تحت ناف خلفاء العرب

ولما سكنت الاحوال وخلصت الارتباكات في سنة ٦٢٨ بعد الميلاد وصارت الجبال قابلة للعبور منها وردت الاخبار على الامبراطور هرقل بنجاح الثائرين وقتل خسرو وجلوس ابنه الاكبر على تخت فارس وأرسل شيرويه رسلا من طرفه بمكتوب من عنده الى أخيه هرقل امبراطور الرومانيين يقدم له فيه علائق ودية وارتباطات حبية كان الامتان محرومتين منهما بمنازعات ومحاربات من عهد طويل ومعاهدة صلح وسلم أصلب من الحديد وصدق هرقل مع السهولة على شروط المعاهدة وتنفيذها وسار الامبراطور يسار العدل والانصاف وأعاد البيارق والاسرى التي كانت وقعت في أيدي الفرس وأعاد الصليب والبطريرك الى المدينة المقدسة وتنازل شيرويه مع عدم الحزن والاسف عن كل ما فتحه أبوه وانجلى الفرس عن سوريا ومصر ولما رجع هرقل من تبريز الى القسطنطينية قابله السناتو والقسس والامة أعظم مقابلة مع الابتهاج والفرح ومعهم أغصان الزيتون المقدس والقناديل المضيئة ودخل العاصمة في عربة مجرورة بأربعة من الفيلة وما بقى من سلطنته كان جليلا الا أنه تولد من الاجتهادات والمساعي الكبيرة التي حفظ بها هرقل المملكة الشرقية وحروباته مع فارس وهن المملكة وتعجيزها حتى صار لا طاقة لها على مقاومة مستجدين من الاعداء يقومون عليها فيما بعد ومع هذا صار القسس مداينين المملكة بديون كبيرة فكانوا يأخذون معظم الاموال العمومية بأرباحها وفوائدها في نظير الدين الذي اقترضه منهم هرقل بخصوص حفظ المملكة ومات هرقل في سنة ٦٤١ بعد الميلاد من بعد أن تغلب العرب على الاقاليم الشرقية من مملكته مع غاية السرعة والنشاط وصارت لا تعود مرة ثانية وترك هرقل ممالكه لابنه قسطنطين الثالث وهراقليوناس ابن مارتينه بنت أخي هرقل وكان تزوجها أبوه رغما عن البطريرك والقانون الدياني ومن بعد قليل مات قسطنطين الثالث مسموما وقيل ان الذي سمه زوجة أبيه فحكم عليها بالنفي مؤبدا مع ابنها هرقليوناس وصار قسطنطين الثاني الابن الكبير لقسطنطين الثالث امبراطورا وكان عمره احدى عشرة سنة في سنة ٦٤١ بعد الميلاد فأمر بقتل أخيه طيودوسيوس لاجل تولى وتعاقب الامبراطورية في ذريته فنشأ مما حصل من الحزن والاسف على وقوع هذه الجريمة منه أن صار نفيه في سنة ٦٦٢ بعد الميلاد وما زال منفيا حتى قتل في جزيرة سيسيليا في سنة ٦٦٣ بعد الميلاد وخلفه من بعد نفيه ابنه قسطنطين الرابع فمع أن هذا الامبراطور أشرك معه أخوين له في سمو الامبراطورية الا أنه جعل الشوكة الحقيقية في يده فقام عليه أخواه فجردهما من ألقابهما ومناصبهما

وفي مدة هذه السلطنة تغلب العرب على القسم الاعظم من آسيا الغربية وفي سنة ٦٦٨ بعد الميلاد زحف العرب الى نواحي البوسفور وعدوا على القسطنطينية وحاصروها وضايقوها واستمر هذا الحصار مدة سبع سنوات الا أنه كان على غير طائل واستعمل الحريق فيه من أجل المحافظة والمدافعة عن المدينة النيران الحريقية الجارية استعمالها عندهم في مثل هذه الحصارات ولما وجد العرب أنه يستحيل عليهم القرب من أسوار المدينة تحت هذه النيران الخطرة رفعوا الحصار وتخلوا عنها

وخلف يوسطيان الثاني أباه قسطنطين الرابع في سنة ٦٨٥ بعد الميلاد فأهان قومه بفظاعته وقساوته

فقطعوا أنفه وشوّهوا وجهه ونفوه فى جهات التتارسنة ٦٩٥ بعد الميلاد واستمرت الحكومة الامبراطورية عشر سنوات تحت مباشرة ليونطيوس فجلس على التخت وكان يوسطنيان يتباهى على حدود صيطيا بعوده ويأمل عوده الى تخته مرة أخرى ومن بعد مضى ثلاث سنوات من نفيه ورد اليه خبر سارّ بانه صار الاخذ بثاره بواسطة ثورة ثانية تحت رياسة ابسيماروس وخلعوا ليونطيوس وجدعوا أنفه فتلقب ابسيماروس بلقب طيبريوس وجلس على التخت وبذل جهده فى قطع دابر المنفى يوسطنيان واتحد مع تتار صيطيا ووعدهم وعدا جميلا من بعد هلاك يوسطنيان ولما استشعر بذلك يوسطنيان هرب من جهة التتار الى قبيلة الخزر فعامله خان الخزر بالشفقة والاكرام وصعبت عليه حالته وعين لاقامته مدينة فنغوريا وزوجه بأخته فدخلت فى الديانة المسيحية وسمت نفسها طيودره ومن بعد قليل نكث الخان صداقته حينما ورد اليه ذهب القسطنطينية ليقبض على يوسطنيان ويقتله أو يسلمه لاعدائه فاستشعرت طيودره بما فى ضمير أخيها فعملت ما يلزم على قدر طاقتها فى نجاة زوجها فنزل يوسطنيان فى مركب فى البحر الاسود ناجيا بنفسه ليبحث عن صديق ومحالف جديد (خان الخزر هذا كان مقيما فى القرم الآن) فنزلت العواصف على مركبه واشتدت الرياح والتلاقيح فقال له رجل صالح من أصحابه اعقد نيتك على عفو عام اذا أعادك الله الى تختك فقال له يوسطنيان عفو عام (تعجب) اللهم لكنى فى هذه الساعة الله يغرقنى فى هذه الامواج ان كنت أرضى ببقاء رأس واحدة من رؤس أعدائى ومازال مقلعا بمركبه حتى وصل الى فم نهر الدانوب ونزل البر ودخل مع الامن فى المدينة الملوكية للبلغاريين واشترى مساعدة طربليس الشجاع ملك البلغاريين بزواجه ابنته وبقاسمه فى أموال مملكته وكانت المملكة البلغارية ممتدة فى ذلك الوقت الى حدود تراسة حاصر الملكان القسطنطينية فى رأس ١٥٠٠٠ خيال وكان فى العشر سنوات التى مضت من نفى يوسطنيان وهنت أفكار جرائمه ورق لحاله الكثير من أهل القسطنطينية وأسفوا على حرمانه من الملوكية ونفروا من الشوكة الحاكمة الحالية فبواسطة مساعدة ملك البلغاريين ومساعدة أحبابه من داخل المدينة دخل يوسطنيان المدينة والسراية القسطنطينية وجلس على تخته فى سنة ٧٠٤ بعد الميلاد

وأظهر يوسطنيان علو الهمة والشرف فى مكافأة حلفائه وفى طلب زوجته وتوجه طربليس عائدا الى مملكته من بعد أن كسى بوما من الذهب بسوطه البلغارى ومانسى يوسطنيان اليمين المقدس أى يمين الانتقام الذى أقسمه فى وسط زوابع البحر الاسود وأمواجه فانه قبل أن يقتل كلا من ليونطيوس وأبسيماروس الملقب كل منهما بالطاغية صار جرهما الى الابيدروم واحد من حبسه والآخر من سرايته مغلولين فى السلاسل ورميا تحت أقدام تخت الامبراطور فوضع كل قدم من قدميه على رقبة كل منهما مدة ساعة فصرخت الامة بهذا الصوت وضعت قدميك على الافاعى والحيات هلا وضعتهما على الاسد والتنين فن هذا الوقت شرع يوسطنيان فى القتل والنفى والسلب كما فعل كاليجولا فى العصر الاول من المملكة الرومانية وماوفر يوسطنيان كبيرا الكبره ولا صغيرا لصغره ولا خلا لا ولا عدوا وحافظ فى السبع سنوات التى تسلطن فيها هذه المرة على البطش بأعدائه وجعل الآنه العقابية الضرائب والكلاف والعذاب المبرح وكان غيظه الاكبر موجها لاهل الخرسونيين من أهل القرم بما أنهم أهانوا نفيه وخرقوا قوانين النزول عندهم الآن موقعهم القاصى كان هو الواسطة فى نجاتهم من أهواله نضرب ضربة جسيمة على القسطنطينية لاستعداد أسطول وجيش وقال يوسطنيان بمستعمرة الخرسونيين

جميع أهلها مجرمون ولابد من اهلاكهم أجمعين وعهد تنفيذ هذا الامر الدموى الى نديمه اسطفان وسلمه أمره الوحشى فسار بالاسطول والجيش الى القرم ويولد من بطء حركة هجومه انسحاب القسم الاعظم من أهل المستعمرة الى داخل المملكة فباع اسطفان الشبان والبنات وشوى سبعة من العمد والوجوه من أهل المستعمرة ورمى عشرين منهم فى البحر وكتف اثنين وأربعين بالحديد وأرسلهم فى الاسطول ليرى الامبراطور فيهم رأيه وعند عود الاسطول بالعساكر من البحر الاسود شحط بهم على صخور الاناضول فغرق ولما وصلت الاخبار الى يوسطنيان مدح البحر الاسود وأثنى عليه فى اغراقه كثيرا من رعاياه وأعدائه الا انه مازال مصرا على اغارة ثانية لاجل قطع دابر هذه المستعمرة ففى هذه المدة القليلة عاد الخرسونيون الى مستعمرتهم وعمروا مدينتهم واستعدوا للمدافعة والموت تحت السلاح فاجتمع كافة المنفيين من كل اقليم فى نواحى طوريس وألبسوا باردينس القميص الارجوانى ولقبوه بلقب فيلبيكوس وخلعوا يوسطنيان وقتلوه فى سنة ٧١١ بعد الميلاد وبموته انقرض بيت هرقل بعد أن تسلطن مائة سنة

وجلس فيلبيكوس امبراطورا على التخت فى سنة ٧١١ بعد الميلاد وذكر جبون فى تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها انه يوجد بين انقراض الهرقليين وقيام العائلة الايسورية مدة مقدارها ست سنوات انقسمت بين ثلاث سلطنات وحصل التأهل والترحاب بباردينس أو فيلبيكوس فى القسطنطينية وقابله أهلها مقابلة الشجاع الذى أنقذهم وأنقذ بلاده من الطاغية ظالمهم فذاق طعم بعض أوقات السعادة وزخرفة الدنيا والسيادة فى أول جلوسه وكان يوسطنيان ترك خلفه مبالغ جسيمة من النقود التى اكتسبها من ثمرة ظائعه وعنفوان نهبه وسلبه فصرف خليفته هذه فى مدة قليلة وأولم فيلبيكوس فى يوم عيد مولده ودعا الجم الغفير من الناس للالعاب فى الايبدروم وعمل له موكب من محل الايبدروم فى الشوارع كان فيه ألف بيرق وألف نفير واغتسل فى حمامات ظوكسيبوس وعاد الى السراية وأولم لاشرافه وليمة مفتخرة أعدها لهم ولما صارت الشمس فى وقت الهاجرة توجه الى محل راحته سكران خزان من التملق وشرب الشراب وما كان له علم بما هو مقدر عليه فى الغيب فكان بعض الثائرين عليه أدخلوا أنفسهم فى زحام العيد وهجموا عليه وهو غفلان فى سكره ونومه وكتفوه وقلعوا عينيه وخلعوه وهو فى شدة نومه ومع هذا حرم هؤلاء الخائنون من مكافأتهم وأصعد السناتو والامة بحرية الصوت شخصا اسمه أرطميوس من درجة كاتب الاسرار الى درجة الامبراطورية فى سنة ٧١٣ بعد الميلاد وهى السنة التى قتل فيها فيلبيكوس وجلس أرطميوس فى ٤ يونيه من هذه السنة وتلقب بلقب انسطاسيوس الثانى فأظهر فى مدة سلطنة قليلة مرتبكة مختلة القواعد كماله ونباهته فى كل من حالتى السلم والحرب لكنه من بعد انقراض السلسلة الملوكية انخرم قانون الطاعة وتولد من وقوع التغيير فى كل شئ نشر أنذار ثورات جديدة ففى ثورة الاسطول وهيجان عساكره ألبسوا ضابطا مجهولا من ضباط الواردات الثوب الارجوانى رغم أنفه ومن بعد مضى بضع أشهر انقضت فى حرب بحرى تنازل انسطاسيوس عن السلطنة فى سنة ٧١٦ بعد الميلاد وجلس من بعده طيودوسيوس الثالث وخلع هذا فى دوره وجلس الاقوى منه شوكة ليو قائد وأمبراطور عساكر الشرق وسمح ليو للاثنين سلفه بالدخول فى الوظائف الكنائسية الا أن عدم صبر انسطاسيوس وطيشه تولد منه موته فى ثورة كان رتبها على ليو وأما طيودوسيوس فانه استقام فى وظيفته ونال الشرف واطمئنان الحالة فكان دينا خيرا اشتهر اسمه وكراماته عند أهل أفسوس مدة طويلة فيما بينهم

وفي يوم ٢٥ مارث من سنة ٧١٧ بعد الميلاد جلس ليو الثالث على تخت الامبراطورية وأسس عائلة جديدة عرفت بالعائلة الايسوريانية وكان ليو من أهل ايسوريا واسمه الاصلي كونون وقدح فيه المؤرخون الذين من عاداتهم القدح والذم ووصفوه بانه كان طوافا في كار التجارة على حمار له يبيع الفراخ في البلاد الكبيرة وقالوا انه قابل يوما من الايام في طريقه بعضا من دراويش اليهود وأخبروه بأنه سينال رفعة امبراطورية المملكة الشرقية الرومانية على شرط تكسير الصور والتماثيل وابطال عبادة الاصنام وذكروا حكايات كثيرة ونوادر غريبة تختص بهجرة أبيه من اسيا الصغرى واقامته في نواحي تراسة واشتغاله فيها ببيع الحشيش واكتسابه مبالغ جمة من النقود حتى انه وقت الحاجة ورد الى المعسكر الامبراطوري خمسمائة رأس من الاغنام وكانت أول خدمات ليو دخوله في خفر يوسطنيان فاجتهد وترقى على التدريج وجذب الى نفسه غيرة الطاغية عليه واشتهر اسمه وعلا قدره في الحرب الكولشياني وعينه انسطاسيوس قائد الفرق الاناضولية وفيها انتخبه العساكر امبراطورا مع تصديق عموم المملكة الرومانية عليه وذكرهم الثناء له وحفظ ليو الثالث نفسه في هذا المنصب الخطر من حسد أمثاله وعداوة أعدائه من الداخل والخارج وفتح سلطنته بالمدافعة والمحافظة الكبيرة على القسطنطينية من المسلمين وبما أنه من ايسوريا من جهة أرمينية قلد زمام المصالح الكبيرة الموجودة في المملكة وكذا الحاكم العدلية لوجوه وأمراء الارمن لوثوقه بهم وبما أن اللسان الجريقي كان لسان الديوان والكنيسة والامة كانت أعمال الحكومة جارية بواسطة الاسياويين ولما خلص المملكة وأنقذها من أيادي العرب عكف على الشغل اللازم لاحياء رسومها وتقويتها فتولد من ادخال القوانين المدبرة فيها والنظامات الجليلة عصر جديد في سعادة المملكة وفلاحها واستتب السلم والأمن عند كافة الامة بالمحاذرة على غشية القوانين ودخلت التجارة بوفرة وسارت أحسن سير في الاخذ والعطاء والبيع والشراء

ثم أصدر ليو في السنة الحادية عشرة من سلطنته منشورا تولد منه الهياج والارتباك عند العالم المسيحي وذلك أن الكنائس كانت أدخلت على التدريج عبادة التماثيل والاصنام واستعملوها في معابدها المقدسة وكان ليو على كراهة واشمئزاز نفس من هذه العادة التي اتخذت في الكنائس فمن ثم أصدر منشورا في سنة ٧٢٦ بعد الميلاد بتحريم عبادة الاصنام والتماثيل فتولد من هذا افتتاح الحرب المهول المزعج المعروف بحرب تكسير الاصنام ومن بعد ذلك بقليل أصدر منشورا ثانيا بكسر جميع الصور والتماثيل وعدم بياض أسوار وحوائط الكنائس فكانت هذه الاوامر سببا في حصول مقاومات شديدة في جميع أقسام المملكة ماعدا جهة الغرب فان حكومة الامبراطور ما كانت جارية على حسب أوامره ورفض أهل الكنائس الغربية قبول الاوامر الامبراطورية وأقام البابا نفسه مقام المدافع والمحامي عن التماثيل والاصنام وفي وسط هذه الاختلافات الحاصلة مات ليو في القسطنطينية في سنة ٧٤١ من بعد أن تسلطن أربعا وعشرين سنة وانتقل الارجوان الذي حازه بحقوق الوراثة الى النسل الثالث من درجته

ومن بعد موته خلفه ابنه قسطنطين الخامس الملقب بالنحس وجلس على التخت في يوم ١٨ يونيه سنة ٧٤١ بعد الميلاد فاستمرت سلطنته أربعا وثلاثين سنة في حرب تكسير الاصنام مع الشدة والعنف فقام عباد التماثيل عليه ولعنوه وذموه وقالوا ان هذا الملعون هو الدجال وهذا هو التنين بزرة الثعبان الذي فاقت عيوبه ونقائصه علعبالوس ونيرو وكانت سلطنته مجزرة طويلة قتل فيها الشرفاء وارتكب

والقديس والبرىء والمجرم وكان ينظر الامبراطور بنفسه الى ذبح ضحاياه وقت خروج أرواحهم وشخيرهم غرقان فى دمائهم من دون أن يشبع منها وقالوا انه تقدمت له صحيفة ملآنة من الآذان فانثنى على مقدمها وكان يجدع خدمه وفراشيه بيده واشتق اسمه من تجيسه جرن المعمودية فقاموا عليه وطردوه من تخته فاسترده ثانيا وعاقب العصاة بأشد العقاب وعقد المجلس الثالث فى القسطنطينية فأصدر هذا المجلس قرارا رسميا بأن عبادة التماثيل والاصنام شرك فى الدين وأصدر أمرا بتحريم عبادتها واستعمالها ومن بعد هذا القهر سار قسطنطين مسار الحزم والتدبير وصار ملكا قوى الشوكة وحفظ ممالكه الموجودة فى آسيا مع الشدة والثبات من اغارات العرب عليها وخاص ألوفا من الاسر والرق وأسكن ساحل تراسة وكان نخربا فقفرا بمستعمرات جديدة واستحسنت الكنائس أعماله واجرا آته من بعدما كانت فى أشد الكراهة له ومات فى سنة ٧٧٥ بعد الميلاد

وخلفه من بعد موته ابنه ليو الرابع فكان ملكا ضعيف العقل عاجز الرأى تنازل برضاه واختياره عن شوكته ودولته الى زوجته أرين وكانت من أهل أثينة وتتوج ابنه قسطنطين السادس واشترك فى الحكومة وكان عمره خمس سنوات ومن بعد مضى خمس سنوات مات ليو سنة ٧٨٠ بعد الميلاد وترك زوجته أرين وصيته ونائبة عن ابنه فكانت حزبا قوى الحيل لعباد الصور والتماثيل وحضنت أمرهم مع الغيرة والحماس وعقدت مجلسا حافلا فى نيس أى فى مدينة نجيا فى سنة ٧٨٧ بعد الميلاد تمر رفيه أن وجود التماثيل واحترامها مطابق فى التعليم والاستعمال للكتب المقدسة والبراهين العقلية ومن هنا ألغى الامر الذى كان صدر من مجلس القسطنطينية وأظهرت أرين فى مدة صغر ابنها ما كانت عليه من الحزم والمهارة وجودة الحكم وحافظت على تربية ابنها وتهذيبه ومع هذا فان الامبراطور عند ما أشرف على بلوغ رشده صار لا طاقة له على حكم أمه وسلطتها فتولى عنها وجعل نفسه تحت سلطة ونفوذ المتقربين منه من سنه الطامعين فى مشاركتهم معه فى دولته وملاهيه فآلت هذه الحالة الى وقوع المنازعة بين الام والابن وكانت رغبة كل من الاثنين الاستحواذ على التخت وفى آخر الامر ظفرت أرين بابنها وقلعت عينيه وجلست على تخت المملكة بمساعدة القسس وعباد التماثيل وتسلطت بمفردها مع العز والجلالة من دون مبالاة بذم أوقدح أوأسف أو تهديد يقع عليها من قومها وكان ذلك من سنة ٧٩٧ الى سنة ٨٠٢ بعد الميلاد وختمت سلطنة الامبراطورة أرين فى سنة ٨٠٢ بعد الميلاد بثورة قامت عليها ونفيت الى جزيرة لسبوس

وجلس المالى الكبير نيسفروس زعيم الثورة على تخت المملكة وتسلطن تسع سنوات وما كان عليه من درايته بالامور والاجرا آت فى أعمال المالية جعل له الطاقة الكبرى فى زيادة واردات المملكة بضرب ضرائب ضربها وقررتها وما أظهر على نفسه انه كسب اثما أوخطيئة زيادة عما كان يفعله ملوك الشرق فى عصره ومن قبل سلطنته بقليل كان حصل الانفصال النهائى بين الشرق والغرب باقامة المملكة الغربية واحيائها تحت سلطنة شرلمانيا وكان نيسفروس قليل البضاعة ضعيف الشوكة عن صد هذا الانفصال أو اعادة سير الوقائع حتى انه دخل فى السنة الثانية من سلطنته فى معاهدة مع شرلمانيه تحددت فيها حدود المملكتين وانهزم نيسفروس شرهزيمة كانت فاصلة مع الخليفة هارون الرشيد فى سنة ٨٠٥ بعد الميلاد وفى سنة ٨١١ بعد الميلاد انهزم وقتل فى حرب وقع بينه وبين البلغاريين وخلفه ابنه سطوراسيوس فتسلطن شهرين وقامت عليه ثورة جديدة أرغمته على التنازل عن التخت الى صهره

ميخائيل رنغابى وجلس هذا على التخت باسم ميخائيل الاول وكان من رجال السراية ورئيسهم وكان جلوسه على التخت برضا من أهل السراية والمدينة ماعدا أخاه الحسود وهرب طناسيوس بن نيسفروس من يده وقام عليه فى ثورة ورأى فى ذلك تغيير الملكة الرومانية الى حالة تكون بها حرة فحاولوا من هذه الافكار الاجنبية الامة وحاسها وطردا المولد لهذه الثورة ومن قبل موت طناسيوس توسل برحمة ملكه الجديد فلو كان ميخائيل صعد التخت فى عصر السلم لكان تسلطن ومات أبو الامة فانه استظل تحت ظل عيشة خاصة به حتى صار لاطاقة له على مطامع أمثاله ولا على مقاومة الجيوش المظفرة البلغارية وفى سنة ٨١٣ بعد الميلاد عندما احتاج الى وجود الطاقة والظفر والنجاح اللازمة لتجهيز قوة عساكره أشعلت زوجته بركوبيه لهب غيظهم بحدتها وقهرها لهم وأظهرت نفسها فى المعسكر وباشرت نظام العساكر وحركاتها وصار لها حالة وشرف مثل حال سميراميس الكلدانية ومن بعد حروب كانت على غير طائل ترك الامبراطور جيشه فاتر الهمة نافر الطبع تحت قيادة أعدائه فى محل مشتاه فأغوى هؤلاء الاعداء العساكر بحسن ألفاظهم وتخيلاتهم فى كسر شوكة الطواشية بالسراى وجعل حق الانتخاب من خصائص العسكرية مع خلع زوج بركوبيه وساروا جميعا نحو العاصمة ومازال القسس والسناتو وأهل القسطنطينية كانوا مساعدين ميخائيل وفى جهته وكانت العساكر فى جهة آسيا وأموالها كافية لحفظ الضرر الذى يقع من حرب داخلى فصرف هذا الامر من تلقاء نفسه وأقام الدليل على أنه لا يلزم سفك دم أحد من المسيحيين فى المنازعة له وأرسل رسلا الى الغالبين معهم مفاتيح السراى والمدينة ومن ثم تفرق العساكر وخمد أمر الحرب الداخلى وحفظ ميخائيل نفسه وعينيه وتمتع هذا الامبراطور الزاهد باعتزاله فى دير من الديورة زيادة عن اثنين وثلاثين سنة من بعد أن سلب الارجوانى وفارق زوجته وفى مدة سلطنة نيسفروس تخابر العاصى سيئ البخت باردنيس مع أحد كهان آسيا بانه من بعد سقوط ميخائيل يتولى المملكة ثلاثة من كبار الضباط وهم ليو الارمنى وميخائيل الفرجيانى وطوماس القبدونى وتنجح سلطنة الاول والثانى ويخيب الثالث فى مشروعه فتحقق هذا النبأ من بعد مضى عشر سنوات وقت ماخلع العسكر التراسيانى زوج بركوبية وقدم عساكره التاج الى نفس ليو الذى أتى به وكان أول قواد العسكرية والمخترع لدسيسة هذه الثورة فلما تردد فى أمره قال له رفيقه ميخائيل أنا أفتح لسلطنتك الامبراطورية بهذا السيف أبواب القسطنطينية وأدخله فى صدرك حالا ان حصل منك أدنى معارضة للمقاصد الحقة لاخوانك العسكر فأجاب بذلك وكافؤه بالمملكة فتسلطن سبع سنوات ونصفا باسم ليو الخامس فكان أحد الملوك البزانطية العظام وكانت تربيته فى المعسكر فما كان يعرف من القوانين المدنية شيأ ولا القراءة ولا الكتابة والنزمت قليلا لمشاحنات الديانية وسار فى سياسة مع عباد التماثيل وفى أخرى مع أعدائهم فاكتسب بذلك من أهل الكنيسة اسم حرباء أى متلون أو مذبذب بين هؤلاء وهؤلاء وفى مدة سلطنته نال البلغاريون من النهب والسلب فى أقاليم المملكة عرضهم فكانوا يحملون أحيانا بغاراتهم وأهوالهم حتى يصلوا الى أبواب القسطنطينية وأخذوا مرة فى غزوة واحدة ٥٠٠٠٠ أسير فكان هؤلاء الاسرى المسيحيون الكثيرى العدد سعرتين لحق فى الاراضى التى أسروا فيها وحلوا اليها فنجحوا فى كونهم أدخلوا ألوفا مؤلفة من أهل بلغاريا فى الديانة المسيحية وفى نحو غلاق القرن تعمد ملك البلغار بين بوغوريس ومن بعده بقليل دخلت جميع الامة البلغارية فى دين المسيح وأدخل ليو الخامس فى حكومته المدنية شدة وقساوة القانون والنظام العسكرى ومع أن شدته

كانت خطرة في بعض الاحيان على البرىء الا أنها كانت أشد وأهول على المجرم وكافأ صاحبه ميخائيل
على غيرته وشجاعته بالثروة والكرم الوافر وقيادة العسكرية وجعله مساعداله في الخدمات العمومية
وبقى الصاحب الفريجيانى الثالث من دون أن يتحصل على قليل ولا كثير من الجائزة الملوكية
مثل قرينه فنفر وغضب على غير طائل وتصاعد في الجو غضبه بخار الكنه أكن العداوة والحسد ضد
الامبراطور وجعله ظالما وأنذر هذا الظالم مرارا ثم ان الامبراطور طرد صاحبه القديم ميخائيل
فتسلطن الخوف والفزع في قلبه وشرع في دسيسة وثورة رتبها ضد الامبراطور فاكتشف الامبراطور
عليها فعفا عنها ثم استمر في دسائسه وخبثه ومن بعد أن صار التحرى على دسائسه وثبتت جريمته صدر
الحكم عليه بالحرق حيا في مستوقد الحمامات وتعين يوم ٢٥ ديسمبر من أجل تنفيذ هذا الحكم
فرأت الامبراطورة طيوفانو أن نتيجة عاقبة هذه الحالة مشؤمة على زوجها وعائلتها ورأت أنه لا يوافق
وجود مثل هذا المنظر الوحشى في يوم ولادة المسيح فحضت ليو على ترك هذه المسئلة في يوم العيد وفى
ليلة العيد قلق الامبراطور جدا وصار لا تأخذه سنة من النوم فاشتاق للتوجه الى السجن المحبوس
فيه عدوه لينظر حالته فتوجه سرا في منتصف الليل فرآه مفكوكا من حديده راقدا على سرير
السجان غارقا في نومه فارتعب ليو من هذه الحالة ورجع عائدا ولم يحس به أحد لكن رآه أحد العبيد
في وقت ايابه وذهابه وكان هذا العبد واقفا مختفيا في أحد أركان السجن فأخبر ميخائيل عنه فأرسل
ميخائيل بعلة طالبه واحدا عارفا يعلن الثائرين بأن حياته متعلقة بهم فاستعد الثائرون في مدة
قليلة لحفظ سلامتهم وخلاص صاحبهم ومحاكمتهم وفى أثناء ذلك انتخب الامبراطور على حسب العادة
الجارية شرذمة من القسس والمغنين من أجل هذا العيد الاكبر للحضور في داخل السراى فدخلوا
من باب مخصوص لاجل اقامة شعائر الديانة في وقت الصبح في كنيسة السراى فاختلط معهم الثائرون
متزيين بزى أهل الكنيسة وسيوفهم تحت ملبوسهم ولما وصلوا الكنيسة وقفوا في أركانها من
الداخل وكان الاتفاق بينهم على الهجوم على الامبراطور عند قراءة أول ترنيمة أو سجعة تخرج من
فمه فلما بدأ في ترنيمته أحاط الثائرون جميعا بهذه الضحية السلطانية من كل جهة وكان ليو في هذا
الوقت مجردا من ملبوسه العسكرى ومن الحبيب والمعين فسحب صليبا ثقيلا ووقف في دخلة يدافع
عن نفسه وطلب منهم الرحمة فكان جوابهم له ليست هذه الساعة ساعة رحمة بل هى ساعة بطش
وانتقام ومال عليه أول واحد منهم وضربه بسيفه ففصل ذراعه الايمن مع الصليب من جسمه وذبحوه
تحت قدم منبر الكنيسة في سنة ٨٢٠ بعد الميلاد

ثم خطفوا ميخائيل الثانى الملقب بالألكن أو الجلج من نار المستوقد الى سلطنة المملكة ولما كان
لا يوجد من ضمن أرباب الثورة حداد بقيت الاغلال في رجليه عدة ساعات وهو جالس على كرسى
القياصرة وتسلطن ميخائيل الثانى تسع سنوات وفى هذه المدة دخلت المملكة في موضوع جديد كبير
من نجاحها في التجارة وان كانت على شرف سقوطها واضمحلالها وتمتعت باحتكارها تجارة البحر
الابيض المتوسط وصار لها منافع وفوائد واسعة من التجارة بين آسيا وأوروبا وصبت هذه المكاسب
جميعها في القسطنطينية وعادت بالثروة على أهلها ومع ما كانت عليه المملكة من كامل أعمالها فان
العرب تغلبوا على جزيرة كريد وبعض جزائر أخرى في البحر الابيض المتوسط وصاروا أسياد هذه
الجهات وحصل التنازع في جلوس ميخائيل على التخت من صاحبه طوماس العسكرى الثالث من

الثلاثة فانه حول الى أوروبا ٨٠٠٠٠ نفس من المتبربرين من شواطئ نهر الدجلة وسواحل بحر الخزر وحاصر بهم القسطنطينية فدافعت المدينة أشد دفاع عن نفسها وهجم ملك بلغاريا على معسكر طوماس ووقع في يده طوماس المذكور على قيد الحياة فقطعوا ساقيه من جسمه ووضعوه على حمار وطافوا به بين الناس في الشوارع ودمه يرش الارض وأمر الامبراطور بعذابه بحضرته ولم يتركه من العذاب الامن قول أحد الوزراء الصادقين أو الجرمين له لماذا تأمر أحد الاعداء بفعل ما يشاء من العذاب بأعز أصدقائك وأقدم أحبابك ومن بعد موت زوجة ميخائيل الاولى أخرج على حسب طلب السنا توغوفروسيني ابنة قسطنطين السادس من معبدها وعقد زواجه عليها على شرط أن أولادها يكون لهم نصيب في المملكة مع أخيهم الاكبر فكانت زوجة ميخائيل وعوفروسيني عقيمة واكتفت بكونها القبت نفسها بلقب أم طيوفيلوس ابنه وخليفته من بعده

وخلف ميخائيل الثاني من بعد موته ابنه طيوفيلوس في سنة ٨٢٩ بعد الميلاد فمع أنه كان ملكا ماهرا الا أن سلطنته كانت مشحونة بالمصائب وسوء السعادة وشرع في عود الاقاليم التي كان العرب تغلبوا عليها فانهزم ولم ينجح في مشروعه وكثرت مدخولات مملكته ومحصولاتها لكنه بدل أن يصرفها في حفظ حدودها وثغورها صرفها في زخرفة القسطنطينية وزينتها وكان العدو الالد لعبادة التماثيل ومات في سنة ٨٤٢ بعد الميلاد وترك زوجته طيودره وصية على ولدهما ميخائيل الثالث ونائبة في الحكم عنه فأعادت طيودره قضية عبادة التماثيل بتهليل وتفريح من الامة وكان بذلك ختام حرب تكسير الاصنام من بعد أن طال زيادة عن قرن وكذا كان ختام فصل المشرق من المغرب

وكان عمر ميخائيل الثالث خمس سنوات في الوقت الذي مات فيه أبوه واستمرت الامبراطوره طيودره مدة أربع عشرة سنة قابضة على زمام النيابة فلما رأت ضعف نفوذها وخروج ابنها عن طاعتها تنازلت مع حزم رأيها عن نيابتها وأحكامها لابنها وكان بالغ سنه في هذا الوقت ثمان عشرة سنة وما كان على شئ مطلقا من أحكام المملكة ولا حكم نفسه وباعتزال طيودره ضاع الوقار والتدبير من الديوان وانشحن بالعيوب والاختلال ولما صار ميخائيل حاكما منفردا في المملكة ظهرت عليه الجهالة وعدم موافقته وقابليته للاحكام فكان فظا غليظا عكف نفسه على السكر والملاهي وصار لا يراعي حرمة الديانة ولا شرف مركزه وصرف ملايين من الذهب والفضة التي كان جمعها بشأن الاعمال العمومية على المتملقين له المشتركين معه في ملاهيه وفي مدة سلطنته امتدت ثلاث عشرة سنة تجردت سراية السلطنة وكنائسها من أمتعتها البهية ولما رأى الامة أن الامبراطور لا أهلية فيه فضلا عن كونه من المهجين غضبوا من أفعاله وحقدوا عليه وكانوا يرجون خلاصهم منه من مدة طويلة فقتلوه في نومه في السنة المتممة للثلاثين من عمره وكان الذي تولى قتله أحد ضباطه المسمى بازيل في سنة ٨٦٧ بعد الميلاد وكان بازيل سلافي الجنس الا أنه زعم أنه من ذرية الاسكندر الاكبر المقدوني فمن ثم عرفت العائلة التي أسسها بالعائلة المقدونية ومع انه نال مظفرات عظيمة على العرب وساق جيوشه المنصورة حتى وصل نهر الفرات وحطم الجمهورية البولسيانية الا انه ما كان عنده شهامة وحزم الرجل الحربي بل كان مشهورا بكونه مشرعا وتولد من تغيير اللسان والعوائد في المملكة ضرورة الحالة لمراجعة وتنقيح كافة كتب الفقه التي كان شرعها يوسطنيان ومن بعد المراجعة والتنقيح على حسب عوائد المملكة في الاوقات الحالية جعل للمؤلفات والكتب الضخمة المشتملة على شرائعه وفتاويه وقانونه المدني والقوانين المستجدة أربعين

اسمه باللغة الجريقية وأمر بأن القوانين البازيليقية التي صار تهذيبها وتنقيحها وإتمام أشغالها بمعرفة ابنه وحفيده يلزم أن يكون أصلها من الأعمال العظيمة والأشغال الجسيمة لمؤسس عائلتها وهو بازيل الأول

وعقد بازيل معاهدة مع شرلمانيه وأبقى للمملكة الشرقية مدائن ايطاليا الجنوبية وفي سنة ٨٧٨ بعد الميلاد تغلب العرب على سراقوسه من أعمال جزيرة صقلية أو سيسيليا ومدوا شوكتهم ودولتهم على كامل الجزيرة ومن بعد مضى مدة استحوذوا على موطن ثابت في ايطاليا الجنوبية وأضعفوا به شوكة الامبراطور ومات بازيل في سنة ٨٨٦ بعد الميلاد

ذكر جبون في تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها ان بازيل خلف أربعة أولاد وهم قنسطنطين مات قبل أبيه واكتفى اصطفان بدرجة شرف البطريرك ولبس ليو واسكندر الثوب الارجواني سوية الا أن شوكة الحكومة وادارتها كانت في يد ليو وهو الكبير ولقب نفسه بالسادس واشتهر اسمه بالفيلسوف فقال جبون على سبيل التهكم والاستهزاء ان ابن بازيل كان أجهل من معظم معاصريه في الديانة والسياسة وكان الذي باشر تعليمه وتهذيبه العالم فوطيوس ودون كتبا عديدة في علوم التاريخ والديانة الا أن شهرة فلسفته وديانته سقط أمرها بما حصل منه من النقائص والعيوب في سرايته وتعداده الزواج وكانت سلطنته مشحونة بالمصائب والاهوال وتغلب العرب على تسالونيقه التي هي المدينة الثانية في المملكة وذبحوا الجم الغفير من أهلها وباعوا اثنين وعشرين ألفا من شبانها في أسواق الرقيق وجلب على نفسه عداوة الكنيسة بسبب أنه تزوج ثلاث زوجات ولم يخلف منهن وارثه من بعده المملكة فأدخل ليو في سرايته ظيو الجميلة وتسرى بها ومن بعد أن حملت ووضعت قنسطنطين أعلن هذا العاشق بكونه يجعل الام والولد شرعيين فقام عليه أهل الكنيسة وأخرجوه من الملة وكان عند مسيحي الشرق الزواج الثالث فجورا في الدين ولا يعرفون في مذهبهم زواجا رابعة ومن ثم كانت الكنيسة الجريقية تعد هذا الزواج محرما في شريعتها وامتدت سلطنته حتى دخلت في القرن التالي

ومن بعد موت ليو السادس خلفه ابنه قنسطنطين السابع الملقب بالارجواني لانه ولد في ثياب أرجوانية وكان جلوسه على تخت المملكة في ١١ مايو سنة ٩١١ بعد الميلاد وكان عمره خمس سنوات في وقت موت أبيه وفي مدة صغره كانت ادارة الحكومة والسلطنة جارية بمعرفة عمه اسكندر ومن بعد موت عمه تقلدت والدته ظيو ونواب آخرون زمامها وفي سنة ٩١٩ بعد الميلاد تقلد رومانوس كبير القواد في الجيش زمام الحكومة مع لقب قيصر وأوغسطوس وأشرك معه في حكم المملكة أولاده الثلاثة وعزل قنسطنطين من امبراطوريته وجعل نفسه امبراطورا فاستمر هذا الامبراطور الغير الشرعي مدة خمس وعشرين سنة مجردا الامبراطورات الاصلية من مناصبها الى مناصب دنيئة ولما مات الاخير من هؤلاء العاصين تقلد قنسطنطين ثانية زمام ادارة الحكومة والسلطنة بمفرده وتسلطن نحوا من خمس عشرة سنة أي من سنة ٩٤٤ الى سنة ٩٥٩ بعد الميلاد وجذب بلينه ورقة أخلاقه قلوب رعيته لمحبته وكان صاحب تآليف عديدة في العلوم والتواريخ وخدم الآداب خدمة جليلة وأمر بالمحافظة على كثير من تآليفها وكتبها العالية العظيمة

وخلف رومانوس الثاني ابن قنسطنطين أباه في سنة ٩٥٩ بعد الميلاد ومات من بعد مضي أربع

سنوات

سنوات بسم دبرته له زوجته فى سنة ٩٦٣ بعد الميلاد واشتهرت سلطنته بما حصل فيها من أعمال قائده نيسفروس فوكاس فانه رد جزيرة كريد من بعد أن كانت العرب تغلبوا عليها ونال عليهم مظفرات أخرى جليلة ولما رغبت الامبراطورة طيوفانو أرملة رومانوس الثانى فى تأكيد محلها على التخت تزوجت هذا القائد المنصور وهذا من دون أن يحرم الامبراطوران الصغيران بازيل الثانى وقسطنطين التاسع من تختهما فتقلد زمام التخت فى سنة ٩٦٣ ولقب نفسه أوغسطوس فتسلطن ست سنوات مع الشجاعة وعلو الهمة وقاوم مع الشدة والثبات اغارات العرب وحفظ الثغور من اغاراتهم وظهر على سلطنته فى مبادى أمرها شدة وعنف المملكة الشرقية من بعد ضعفها الاخير وهى مدة يمكن أن يقال بوجه الحق انها استمرت لحد سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد وقتل فى سنة ٩٦٩ بعد الميلاد بواسطة ابن أخيه يوحنا طيمس وخلفه على التخت كوصى على الامبراطورين القاصرين

وكان يوحنا المذكور أحد عشاق الامبراطورة طيوفانو فى مدة حياة زوجها فكان من أملها المشاركة فى التخت مع عاشقها فغض يوحنا الطرف عنها بأمر شديد صدر له من بطريك الكنيسة القسطنطينية وأبعدها عنه الى محل مخصوص بها وأثبت يوحنا لنفسه قابليته فى الحكم والادارة والشجاعة فانه فى جهة الشرق أوقع عدة كسرات على العرب وأعاد منهم أنطاكيه من بعد أن كانوا تغلبوا عليها وبعض مدائن أخرى وجعل نهر الفرات حد المملكة مرة أخرى ونال مظفرات جليلة على السكنديناويين حكام روسيا وكانوا أوقعوا الرعب والارتباك فى حدود مملكته وهزم القوى الروسية شر هزيمة فاصلة فى نواحى برشطلاوه أو برشتنه من أعمال بلغارية فى سنة ٩٧١ بعد الميلاد وأرغمهم على عقد صلح ومعاهدة تنازل الروسيون فيها على حسب شروطها للامبراطور عن مملكة بلغارية وكانوا تغلبوا عليها حديثا ومن ثم صار نهر الدانوب الحد الحريق مرة أخرى ومات يوحنا فى سنة ٩٧٦ بعد الميلاد

وجلس الامبراطوران الشرعيان بازيل الثانى وقسطنطين التاسع من بعده على التخت فأما قسطنطين فكان ضعيف العقل عديم الرأى فاتر الهمة مؤنث الطبع وأما بازيل فكان رجلا حازما فطنا ذا مهارة وجسارة جعل نفسه هو الحاكم الاصلى للمملكة وفى مدة سلطنته ارتقت عساكره الى أعلى درجات الشماخة فى اجرا آتها وأعمالها العسكرية وامتدت سلطنته فى داخل القرن الثانى ومات فى سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد من بعد أن استمر نحوا من أربعين سنة فى حروب شديدة مع البلغاريين وقبائل أخرى من السلافيين من بحيث جزيرة هلنى وأخضع كافة البلغاريين الا أن هذا الفارس سوّد شهرة اسمه وقذر صفته ورسمه بما أجراه من الفظائع وشراسة الاخلاق بكونه قلع عيون ١٥٠٠٠ نفس من أسرائه البلغاريين وأرسلهم الى ملكهم فنشأ مما حصل للملك من الحزن والاسف أن فقد حياته بمجرد نظره اليهم وفى السنة الثامنة والستين من عمره حثه دينه على أن يهيج حربا دينيا على العرب المتغلبين على جزيرة سيسليا وبركب اليهم بنفسه فمنعه من ذلك الموت

ومات بازيل الثانى فى سنة ١٠٢٥ بعد الميلاد بين شكر القسس له وثنائهم عليه ولعن الامة عليه وتوجه مقتهم اليه وجلس أخوه قسطنطين التاسع على التخت ثلاث سنوات من بعده ومات فى سنة ١٠٢٨ بعد الميلاد من بعد أن تمتع بلقب أوغسطوس ستا وستين سنة ما عمل فيها أدنى شئ يستحق الذكر عليه وكان بازيل الثانى عديم الذرية وأما قسطنطين فانه خلف ثلاث بنات فاستمر التخت نحوا من ثلاثين سنة فى أيدى القباح والاراذل أخلاء بنات قسطنطين طوو طوودره بسبب عدم وجود

ذكر يرث التخت من بعد موت بازيل وقسطنطين فكانت أكبر الحوادث فى ظرف هذه المدة ثورة أهل القسطنطينية بسبب ما حصل عندهم من الحنق والغضب من ضعف وفجور هؤلاء الحكام فاسدى الطباع والاخلاق وفى سنة ١٠٥٧ بعد الميلاد ختمت هذه القلاقل والارتباكات بجلوس اسحق كومنوس على التخت بواسطة الجيش وكان قائدا شريف المولد فأخذت صحته فى الضعف فتخلى عن التاج فى سنة ١٠٥٩ لاخيه يوحنا فاقيل يوحنا المذكور ولبس الارجوانى فانتخب أمبراطور جديد من عائلة أخرى كان هو الامبراطور قسطنطين الحادى عشر فتسلطن ثمان سنوات ومات فى سنة ١٠٦٧ وعهد الحكومة لارملته عوديسيه فتزوجت رومانوس ديوغونيس وصار هذا امبراطورا تحت اسم رومانوس الرابع وتسلطن أربع سنوات مع العز والسمو والشرف

وفى غضون هذه المدة شرع الترك من بعد أن جعلوا أنفسهم أسياد الممالك العربية فى آسيا فى الكبس مع الشدة على الاقاليم الباقية من المملكة الجريقية فكان هذا الخطر هو السبب الداعى لحث الامبراطورة عوديسيه على زواجها رومانوس وكان عسكريا على غاية من الدراية والشجاعة فاجتهد بحركات وان كانت بطيئة الا انها كانت بشجاعة لاتقهر وحفظ جميع ممالكه الشرقية وطرد الترك فى ثلاثة حروب شديدة خلف نهر الفرات وفى حرب رابع حصل فى سنة ١٠٧١ بعد الميلاد كان عزم فيه على عود أرمينية منهم هزمه الب ارسلان سلطان الترك شر هزيمة وأسره عنده ثم خلص من أسره بوعد أن يدفع مبلغا جسيما فداء عن نفسه وخراجا سنويا ولما عاد الى القسطنطينية وجد قومه خلعوه وقت ما سمعوا بأسره وألزموا الامبراطورة طيودره بالموافقة والرضا فسعى رومانوس فى عود تختــه واجتهد فانهزم وقتل وجلس ميخائيل السابع على التخت من سنة ١٠٧١ الى سنة ١٠٧٨ بعد الميلاد ونيسفروس الثالث من سنة ١٥٧٨ بعد الميلاد الى سنة ١٠٨١ بعد الميلاد ثم حصلت منازعة فى جلوس الامبراطور نيسفروس فى نواحى آسيا من قائد اسمه نيسفروس أيضا فدعا الامبراطور الترك لمساعدته وهزم عدوه الا انه اشترى نصرته وظفره بعدوه بضياع ممالكه فى آسيا فانها انتقلت الى أيدى الترك ومن بعد مضى بضع سنين صار للامبراطور طاقة على مد حدود مملكته من الشرق الى نيقوميديا أى عبارة عن ستين ميلا من القسطنطينية واستحوذ الاتراك من وراء هذا الحد على الاقاليم الجريقية القديمة ماعدا طرابزون الموجودة فى آخر حدود البحر الاسود فانها بقيت فى يد الامبراطور بسبب منعتها وحصانة استحكاماتها الطبيعية

وفى سنة ١٠٨١ بعد الميلاد صار علكسيس الاول ابن يوحنا كومنوس امبراطورا من بعد سقوط نيسفروس الثالث وجلس على التخت وكان سبب سقوط نيسفروس الثالث أن يوحنا كومنوس أخا الامبراطور اسحق كان عائشا عيشة هنية فى أمن وشرف من أجل عدم قبوله لبس الارجوانى وخلف من امرأته عانى التى كان فيها شهامة وادارة الرجال ثمانية أولاد بعد أن مات منها ثلاث بنات تزوجن وأكثرن تعداد الاتحاد الكومنونى مع كبار الامراء والوجوه من الجريق ومات من الخمسة ذكور منويل وأعاد اسحق وعلكسيس شرف الامبراطورية الى بيتهما من دون أن يحصل تعب أو كدر من أخويهما الصغيرين آدريان ونيسفروس وكان علكسيس الاخ الثالث أكثرهم مهارة وشهرة وتربت له ملكة فى عقله وقوة فى جسمه وكانوا جميعا تربوا فى الكرم الواسع ومارسوا أعمال الطاعة وعدمها وسلك الاخوان الآخران وهما علكسيس واسحق مسلك الحزم واتحدا بالامبراطور ميخائيل وحاربا معه العاصين عليه ولازماه

حتى

حتى مات وقال علكسيس لنيسفروس الثالث فى أول مقابلة تقابلها معه مع الحرية والثبات أيها الملك ان واجباتى صيرتنى عدوا لك وبأمر من الله ورضا من الامة صرت خاضعا لك فالتقاه نيسفروس أحسن ملتقى وأمنه ووثق به ووجهه على ثلاثة من العصاة أرجعوا راحة المملكة وراحة الامبراطورات وهم عورسيل وبرنيوس وبازيلاسيوس وكانوا تقووا بكثرة ما كان معهم من القوى واشتهرت أعمالهم العسكرية فهزمهم علكسيس على التعاقب وأوثقهم فى الحديد والاغلال الى مواطئ التخت الامبراطورى ومن بعد أن عوملوا بأقسى المعاملات وأشدها منحوا العفو والرضا عليهم ثم ان خضوع الكومنونيين حصل فيه التعكير على الفور وكثرة الارتياب وذلك أن علكسيس رفض توجهه الى عاص رابع كان زوج أخته فهدم ما عمره من حسن خدماته السابقة عند الامبراطور وأراد البطش بهما فاعتزل الاخوان حماية لهما وحرية لنفسهما وجمعا رجالهما وخرجا من المدينة وأقاما بيرق العصيان وخضع العساكر الذين كانوا تجمعوا على التدريج فى المدينة وفى ضواحيها ودخلوا فى أمر قائدهم المنصور وألبس اسحق أخا علكسيس الارجوانى وعادوا الى القسطنطينية مهددين لها لاحاصرين وتغلب علكسيس على المدينة واختفى نيسفروس فى أحد الديورة ونهب الجيش المشكل من الامم المختلفة العاصمة ثم أعيد النظام ثانيا من طرف الكومنونيين وكان جلوس علكسيس الاول على التخت فى مدة مشحونة بالمصائب والاهوال وتراكمت الآفات والهياج وكل حالة يحصل منها تأثير فى ضعف المملكة حصل فى مدة سلطنته بعدل من الله وحزم أسلافه قال جبون ان الاتراك المنصورين فى الشرق أقاموا سلطنة الاسلام ونصبوا البيارق والرايات القرآنية الاسلامية من فارس الى بوغاز الدردانيل وأغارت الغارات على الاقاليم الغربية من شجعان رجال من أهل الشمال وفى أوقات السلم سكب نهر الدانوب أسرابا جديدة اكتسبوا من معرفتهم بالحرب وأعمالهم ما فقدوه من شراسة طباعهم وتوحشهم وما كان البحر أقل عداوة من البر وطالما كان الهجوم على الثغور جاريا من طرف عدو عدوانى وقع الخراب والدمار فى السراية من خيانات سرية وثورات غير جهرية فظهر علم الصليب على حين غفلة باللاتينيين وهوى كامل أوروبا على آسيا وغرقت القسطنطينية من هذا الطوفان العجاج فقاد علكسيس فى هذه الزوابع المهولة السفينة الامبراطورية بتدبير وشجاعة فكان فى رأس جيوشه جسورا فى فعله ماهرا فى حيلته صابرا على مشاق مره وحلوه مستعدا لما يعود منه النفع قام من هزيمانه بشجاعة لا تقهر وأحيا نظام عسكره وألف رجالا جديدة وعساكر شديدة على منوال قائدهم وقوانينه وكان علكسيس عند دخوله مع اللاتينيين صبورا شجاعا ماهرا حازما بين بصيرته الطريقة الجديدة لدنيا غير معروفة ووزن بسياسة عقله ومهارة فكره منافع ومضار محامى الصليب الاول وأخضع فى مدة سلطنة طويلة مدتها سبع وثلاثون سنة الحاسدين والمبغضين وعفا عنهم من حسن صفاته وكرمه وأعاد القوانين والنظامات العمومية والخصوصية وغرس أشجار الصنائع والعلوم والثروة ووسع حدود المملكة فى أوروبا وآسيا وانتقل قضيب الكومنونيين الى أولاده وذريته من النسل الثالث والرابع

ومات الامبراطور علكسيس الاول فى سنة ١١١٨ بعد الميلاد وخلفه ابنه الكبير يوحنا الثانى ومن شكله القبيح وفظاظته وسمرة ذاته ورذالة وجهه لقبه رعيته أهل المعرفة الحادة والاستهزاء على سبيل السخرية بلقب الطريف لكنه من بعد مضى مدة وقع هذا اللقب عند رعيته موقع القبول

والاستحسان بما ألهم منه من جميل الشكر والثناء وما حازه من الصفات الزكية فانه كان مدبرا فطنا حازم الرأى جيد القريحة حسن السيرة أعاد مع الشهامة العسكرية والاعمال الحربية بعض الجهات التى كان الاتراك تغلبوا عليها وخلص الاقاليم الساحلية الاسياوية من وجودهم فيها وحرمهم من التقرب اليها ومن خوف يوحنا من وجوه أشراف قومه ما تعرض لاحد منهم بسوء ولا سلك مسالك الاحوال المؤدية لعقاب أو عفو عن أعدائه ومات فى سنة ١١٤٣ بعد الميلاد

وخلف منويل الاول أصغر أولاد يوحنا الموجود على قيد الحياة أباه وتسلطن سبعا وثلاثين سنة كانت جميعها فى حرب مستمر مع الاتراك لانهم كانوا وصلوا جبال طوروس ومع الهنكاريين وزحف القبائل والعساكر الموجودة وراء نهر الدانوب على حدود المملكة وكان فيه نوع من الشجاعة والفروسية زيادة عما كان عنده من الحكم والتدبير وكانت أساطيل ومراكب ملك أهل الشمال المسمين بالنورمانيين فى سيسيليا تخرب سواحل الجريس المرار العديدة فاجبر منويل على ملتقى اغارات هذه الاساطيل واجتهد فى رجوعها باغارته على سيسيليا نفسها وجعل للمملكة الشرقية شوكة مزعجة وصولة مهلكة وانهزم فى آخر أمره فى واقعة حصلت بينه وبين الاتراك فى نواحى بسيديا وسلم نجاة حياته لكرم السلطان وعفوه ومن بعد هذه الهزيمة ابتدأت شوكة المملكة فى الضعف والاضمحلال ومات منويل فى سنة ١١٨١ بعد الميلاد تاركا سلطنته لابنه علكسيس أو علكسيوس الثانى وهذا من بعد مضى سنتين خلعه وقتله واحد من أقاربه اسمه اندرونيكوس وهو الابن الاصغر لاسحق وحفيد علكسيس كومنوس فكان اندرونيكوس فارسا شجاعا وان كان حاكما عنيفا جبارا ومن بعد مضى سنتين من جلوسه على التخت قتله الرعية بواسطة ما حصل لهم من فظائعه وقطعوا الامل منه وانقضى ما بقى من القرن فى حروب ونزاع بين طلاب مختلفة للتخت كانت سببا فى ضعف المملكة وجعلها مهيئة لمدتها الكبيرة الاولى من سقوطها

واستمر الضعف آخذا فى المملكة الشرقية وكان ابتداؤه موت الامبراطور منويل ومشاحنة خلفائه من بعده فى مدة القرن الثانى عشر وكان اسحق انغيلوس خلعه أخوه علكسيس فى سنة ١١٩٥ بعد الميلاد وهرب ولد آخر لاسحق اسمه علكسيس أيضا من القسطنطينية وأوى الى أوروبا الغربية واجتهد فى تحريض الدول الكبيرة على مساعدته فى عود سلطنة أبيه له وصرف عدة سنين فى هذا السعى كانت على غير فائدة وعندما عزم على قطع اليأس من الحصول على شئ من مسئلته وقضيته تتوجت أتعابه بغتة من غير انتظار وأمل كان يأمله بتاج النصر وذلك أن برنسات حرب الصليب الرابع كانوا اجتمعوا فى فنيزيا وحصل لهم الوعد من جمهورية فنيزيا باعطائهم المراكب اللازمة لنقلهم الى الارض المقدسة بالاجرة ولما عجزوا عن جمع مبلغ النقود الذى طلبته منهم الجمهورية قيمة سفرهم سمح لهم الفنيزيون بتأجيل دفع هذا المبلغ على شرط أن يفتحوا لهم بعض المدائن الموجودة على ساحل دلماطيه وكانت تلك المدائن عصت من الجمهورية فرضوا بهذا الشرط وتغلبوا على مدينة ظعرة وحصل لهم منها فوائد جمة وعقدوا نيتهم على قضاء فصل الشتاء فيها فتوجه البرنس الشاب علكسيس لعسكرهم وتوسل بهم فى مساعدته على رجوع تخته فرفض توسله رجال جمهورية فنيزيا وأخيرا عول الصليبيون على مساعدته ووعدهم بمبلغ جسيم يؤديه لهم فى نظير أداء خدمتهم ان حصل لهم الظفر والنجاح فتحركوا وحاصروا القسطنطينية فى فصل صيف سنة ١٢٠٣ بعد الميلاد وهجموا عليها عنوة وتغلبوا عليها ومن

بعد محاربات شديدة وأجلسوا الكسيس على التخت لكنه خسر وثوق رعيته به بكونه ترك الدين الجريقي ودخل في الدين الروماني فقتلوه في السنة التالية في ثورة وهياج قام من أهل القسطنطينية فحنق أهل الصليب من هذا التعصب وهجموا على القسطنطينية عنوة مرة ثانية وأخذوها ومن هنا تم غلاق المملكة الشرقية وانقراضها

ثم أقام الصليبيون على أطلال المملكة الجريقية مملكة لاتينية وتوجوا الكونت بالدوين صاحب فلندره أمبراطورا للقسطنطينية وقسموا المملكة بينهم على قدر ما يمكنهم المحافظة عليه منها لانه يلزمنا أن نتذكر أن الجريق في أشد الكراهة والعداوة للاتينيين وأن الجريق ما خضعوا للاتينيين الا لشدة قوتهم وكثرة عساكرهم وما كان بالدوين سيدا على جميع الممالك والايالات التي كانت تحت حكم القياصرة الجريقية حتى يقروا له بالملوكية عليهم فمن هنا تجزأت المملكة الشرقية الى عدة امارات صغيرة بعضها جريقية وبعضها لاتينية وأخذ بالدوين نحو ربع المملكة من نصيبه وما بقي من الايالات الاوروباوية صار قسمه بين الفنيزيين واللومبارديين والفرنساويين فأخذ الفنيزيون حصة واسعة غير مناسبة لاقسام القسمة وشيدوا فيها صفا من المعامل والمحطات التجارية في طول الساحل من القسطنطينية الى فنيزيا وجعل بونيفاس ماركيز مونطيفرات ملكا على تسالونيقه أو مقدونيا وأما أملاك المملكة الموجودة في اسيا وما كانت دخلت في حوزة الترك فانها اقسمت بين ملكين تسلطن أحدهما في نيخيا والآخر في طرابزون وتلقب كل منهما بلقب أمبراطور فكانت امبراطورات نيخيا على جودة من المهارة وحزم الرأى وبمهارتهم وتدبير أحكامهم أخذ ملكهم في التقدم والنجاح والقوة ومن الجهة الاخرى لما كانت المملكة اللاتينية في القسطنطينية على غير وثوق من أهلها فاستمرت سبعا وخمسين سنة ولما خاب سعي اللاتينيين في خضوع الجريقيين بالقوة وقعت هذه المملكة تحت أقدام الجيوش المظفرة للامبراطور ميخائيل باليولوغوس صاحب نيخيا في سنة ١٢٦١ بعد الميلاد ومن حيث ان المملكة النيخيانية زعمت أنها هي الوارث الشرعي الحقيقي للمملكة الرومانية الشرقية فبواسطة فتحها القسطنطينية والتغلب عليها بواسطة ميخائيل يمكننا أن نعد هذا من درجات احياء المملكة الشرقية ومع هذا فانه ما تيسر لها الحصول على درجة شوكتها الاصلية أبدا لان الاتراك كبسوا بشدة على حدودها الشرقية وصار الامبراطور الجريقي في طرابزون وبعض من ملوك الجريق والفرنج حكاما مستقلين في اماراتهم عن أمبراطور القسطنطينية وما كان عود المملكة الشرقية في القسطنطينية في الحقيقة الا زيادة تقوية للامارات المختلفة الجريقية وهذه استمر وجودها من دون أن يحصل من واحدة منها أدنى التفات الى مملكة القسطنطينية حتى انقرضت جميعها وتغلب عليها الاتراك العثمانيون في القرن الخامس عشر ولما ارتاع ميخائيل من تهديد البابا له أن يسوق عليه حربا صليبيا من أوروبا الغربية اجتهد في الزام رعيته بالانضمام الى الكنيسة اللاتينية فما نجح الا في كونه ملأ ممالكه بالعناء وتحمل الاكدار والاهوال ومع ما حصل لهم من الشدة والعنف فانهم كانوا على درجة غير كافية لرضا رومة وذكر جرجون انه دعي لمحاكمة من رخاوته والريب في صداقته ثم ان ابنه اندرونيكوس الذي ختمت سلطنته هذا القرن أنهى هذه القطائع والارتباكات وألغى الانضمام الى رومة وأعاد الدين والعبادة الجريقية كما كانت

واستمرت سلطنة الامبراطور اندرونيكوس الثاني وكان خلف أباه ميخاييل باليولوغوس في سنة ١٢٨٢ بعد الميلاد ثمانيا وعشرين سنة من القرن الرابع عشر وسنى ختام القرن الثالث عشر وفي السنى الاولى من القرن الرابع عشر تقوت شرذمة من جسوري القطلانيين برجال من كافة عموم الدنيا عرفوا باسم

الجمعية الكبرى وأدوا خدمة جليلة للمملكة وهزموا الاتراك فى واقعتين كبيرتين دمويتين ورأوا أنه صار لهم حق فى المملكة التى كانوا سببا فى خلاصها وشرعوا فى نشر أعمال استبدادية فى الاقاليم حتى ان الامبراطور ضعف جدا عن مقاومتهم ولما خسر وارئيسهم الاول بقتلهم اياه ضبطوا قلعة جليبولى الحصينة الموجودة على بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وهزموا قوى المملكة الجريقية فى واقعتين فى البحر والبر وتولد من هذه النصرة أن انضاف اليهم من أمثالهم واستمروا فى فظائعهم حتى أحوجتهم المؤنات والشقاق بين قوادهم الى التشتيت والتفريق وذكر جبون فى تاريخه المسمى قيام الدولة الرومانية وسقوطها أن الامبراطور ميخائيل وهو أول البليولوغونيين خلص مملكته بواسطة ايقاعه الممالك الغربية فى العصيان وسفك الدماء فتولد من هذه المنازعات والمحاربات رجال من الحديد هجموا على مملكة ابنه وأوقعوا بها التلف والخسران وفى هذه الازمان الاخيرة تولد من الديون وكثرة الضرائب السم الحقى القاتل القارض لسلاسل السلم وراحة القلب وأما فى القرون المتوسطة فكان الضعف وعدم انتظام الحكومات ناشئا من الجيوش وتفريق العساكر فكان ذلك هو الضرر الاكبر والاذى الاحمر لانه بسبب تقاعدهم وتراخيهم عن الاشغال وكبرهم وعجبهم واعتاد هؤلاء العساكر الاجرية على كونهم يعيشون على السلب والنهب وقطع سبل السير فبعد عقد صلح بين الحروب التى كانت حاصلة فى جزيرة سيسيليا تجمع عدة ألوف من الجنويز والقطلانيين الفرنساوية ومن الاسبانيين وكانوا يحاربون فى البر والبحر تحت بيرق انغوأو أو رغون وصار هؤلاء الالوف تحت رؤسا منهم وجعلوا أنفسهم أمة واحدة وسمعوا ان الاغارة حاصلة من الاتراك فى الاقاليم الجريقية فى آسيا فصمموا على أن يكون لهم نصيب من هذا الموسم فى سلب النقود وأخذ الاسلوب وساعدهم فريدريق ملك سيسيليا فى سفرهم من أرضه وفى ظرف عشرين سنة اشتغلوا فيها بالحروب والكروب صار كل مركب أو سفينة أو معسكر أرضهم وبلادهم فكان السلاح صنعتهم وعقارهم وكانوا موصوفين بالشجاعة والفروسية والقوة وشرب نساؤهم مشرب أزواجهم قيل ان الشخص القطلانى كان اذا ضرب بسيفه العريض الفارس ضربة واحدة شطره مع حصانه شطرين مهما كان عليه من الدروع وكان أكبر قوادهم المحبوب عندهم روزردوفلورفن شدة ما كان عليه خيمت بحب خصاله وأوصافه على كبر أعدائه الارغونية وكان روزردوفلورفرعا نبت من زواج عمدة من ديوان فريدريق الثانى من جرمانيا بقينة من مدينة برنديزى فكان روزر فى الابتداء من فرسان الكنيسة ثم ارتد وجحد وكفر بدينه ثم صار من قطاع الطريق ثم صار أغنى وأقوى أميرال فى البحر الابيض المتوسط فسافر من مسينه الى القسطنطينية مع غمان عشرة مركبا من مراكب الحرب وأربع سفن من السفائن الكبيرة وثمانية آلاف من المخاطرين وعمل معاهدة فى الابتداء مع الامبراطور أندرونيكوس على غاية من الصداقة فقبله الامبراطور على فرح وخوف من هذا الجبار وخصص لاقامته سراية وزوجه بابنة أخيه ورفعه فى الحال الى درجة دوق أو أميرال رومانى ومن بعد أن استراح فى غاية من الحشمة والوقار نقل عساكره الى بحر مرمرا وساقهم مع الجسارة والشجاعة على الترك وقتل فى واقعتين دمويتين نحوا من ثلاثين ألف نفس من المسلمين وحاصر مدينة فيلادلفيا واشتهر اسمه وصيته بانه خلص آسيا الا انه من بعد هذا النجاح القليل خيم سحاب الرق والخراب على هذا الاقليم المنحوس وهرب سكانه من الدخان الى لهب النيران فكانت عداوة الترك أقل ضررا وأذى من عداوة أخ القطلانيين فانهم رأوا أن الارواح والاموال والامتعة التى خلصوها من الترك صارت ملكا لهم واعتنق القينات اللاتى خلصن من الجنس المقطوع العلقة

بالعساكر أصحاب الغلفة من المسيحيين فكانوا يطلبون مطاليبهم بالنهب القبيح والطلب العنفواني المستبد ولما قاومت مغنسيا طلبهم حاصرها الدوق الكبير وكانت من مدائن المملكة الرومانية وفعل أتباعه وعساكره الافعال التي أضروا بها العباد وأخربوا بها البلاد وضاق اندرونيكوس ذرعا من أفعال روزرو وما كان في طاقته مقاومته وما استحصل الامبراطور بواسطة منشوره المذهب الاعلى خمسة آلاف خيال وألف من المشاة وكثرت العساكر عند روزرو وكانوا في خير ونعمة من العلوفات وزيادة المرتبات ووصل المعاش الذي تقرر لهم سنويا نحوا من ١٠٠ رطل من الليرات الذهبية وضربت ضرائب مهولة شديدة على حبوب وغلال المزارعين وأسقط الثلث من راتب المستخدمين في الاعمال العمومية وتنازلت قيمة المعاملة جدا حتى صار لا يوجد في كل أربعة وعشرين جزأ الا خمسة أجزاء من الذهب فطلب الامبراطور انجلاء روزرو من الاقليم الذي خرب وما بقي فيه شيء يستحق النهب فرفض الجلاء وتفريق عساكره وصار في حالة استقلال وعداوة وأقام بيرق العصيان وقال اذا كان ولا بد من مشي الامبراطور اليه فانه يلزمه أن يتقدم أربعين خطوة ويلثم الارض أمام جلالته وبعد قيامه من هذه السجدة تكون حياته وسيفه في خدمة أحبابه فانعم عليه الامبراطور برتبة قيصر وحكومة آسيا وارسال النقود والغلال وتقليل عساكره الى ٣٠٠٠ نفس فقط فقبل الدوق رتبة قيصر مع الكراهة ورفض الباقي وتوجه لزيارة المقر الملوكي في مدينة ادرنه ولما وصل الى محل الاستقبال وصار على منظر من الامبراطورة ضربه أحد الخفر بخنجر فوقع قتيلا وقاموا على أهله وتوابعه في القسطنطينية وقتلوهم ولما هلك هذا القائد انتشر الخاطرون على ساحل البحر الابيض المتوسط وضبط شرذمة منهم قدرها ١٥٠٠ نفس من القطلانيين أو الفرنساوية قلعة جليبولي الحصينة وثبتوا فيها ونشروا الاعلام الارغونية واستعدوا الاخذ ثار رئيسهم فعزم الامبراطور ميخائيل ابن الامبراطور اندرونيكوس ورفيقه في المملكة على الكبس عليهم بالعدة والعدد وبذل جهده حتى شكل جيشا مؤلفا من ١٣٠٠٠ خيال و ٣٠٠٠٠ من المشاة وامتلأ بحر مرمرا بمراكب الجنويز والجريق وفي واقعتين حصلتا في البر والبحر هزم القطلانيون هذه القوى وهرب الامبراطور الشاب الى السراي وترك خفرا قليلا من الخيالة الخفيفة لاجل المحافظة على المملكة فجددت هذه النصرة آمال القطلانيين وانضم اليهم الكثير من الخاطرين وجاءهم رجال من كل أمة وانضم اليهم ٣٠٠٠ من الاتراك تركوا الخدمة الامبراطورية وبواسطة استحواذ القطلانيين على قلعة جليبولي ضبطوا تجارة القسطنطينية والبحر الاسود ومدوا تخريباتهم وتدميراتهم على ساحل الهلسبون في آسيا وأوروبا ودمر الجريق معظم الاراضي البراطية وتقهقروا بأولادهم وأنعامهم الى داخل العاصمة وخلت ضواحي جليبولي من السكان وصارت أرضا قفرة فشق على القطلانيين عدم وجود المؤنة وتولد من هذا ومن شقاق زعمائهم الانجلاء عن سواحل الهلسبون وضواحي القسطنطينية ومن بعد أن انفصل الاتراك منهم سار الباقي من الجمعية الكبيرة من وسط مقدونيا وتسالياقي البحث لهم عن محل جديد في داخل الجريس وما زالوا في سيرهم حتى قربوا من أثينة ولما علم أمير أثينة بقربهم منه وما هم مصممين عليه جمع قوة مقدارها ٧٠٠٠ فارس و ٦٤٠٠ من الخيالة و ٨٠٠٠ من المشاة وتقابل معهم على نهر صفيسوس في بيوطيا وكان عددهم نيف عن ٣٥٠٠ خيال و ٤٠٠٠ من المشاة فلما رأى القطلانيون ما عليه أمير أثينة من محاربتهم أحاطوا معسكرهم بفيضان صناعي من الماء وزحف الامير بفرسانه وخيالته من دون خوف ولا حذر

على أرض الميدان الاخضر فوحلت خيوله فى أرض المستنقع فقطعهم خيالة القطلانيين قطعا وتغلبوا على أطيقه وبيوطيه وتزوجوا بأرامل المقتولين وقطنوا فى الجريس

وكان اندرونيكوس أشرك ابنه ميخائيل فى الحكم معه فى المملكة وكان عمره ثمان عشرة سنة وسمى ميخائيل ابنه باسم اندرونيكوس على اسم جده واشترك معه وهو صغير السن فى السمو الامبراطورى وابتدأ ابن ميخائيل على الفور فى الانتظار مع عدم الصبر على وازالة العوائق والموانع الموجودة بينه وبين حيازته التخت بمفرده فمن موت أبيه على حين غفلة زالت واحدة من هذه الموانع الا أنه من سوء بخت اندرونيكوس الاصغر أن جده نقل الى حفيد آخر ما كان يؤمله ويتمناه فهرب الامبراطور الشاب من القنسطنطينية فى سنة ١٣٢١ بعد الميلاد وأقام بيرق الحرب الداخلى على جده وكان هروبه من العاصمة تحت علة الصيد وأقام بيرقه فى مدينة أدرنه وفى ظرف بضع أيام جمع تحته ٥٠٠٠٠ نفس من الخيالة والمشاة واستمرت الحروب الداخلية بين الامبراطور اندرونيكوس الكبير والصغير مدة سبع سنوات وكانت عبارة عن ثلاث وقائع ففى الحرب الاول عقدت معاهدة انقسمت بها بواقى المملكة الجريقية فأخذ أندرونيكوس الكبير القنسطنطينية وتسالونيقه والجزائر واستحوذ الاصغر على القسم الاعظم من تراسة من مدينة فيلبى الى الحدود البيزانطية وفى الحرب الثانى عقد معاهدة شرط فيها على مرتبات عساكره وتتويجه ومشاركة جده فى شوكة المملكة ومحصولاتها وانتهى الحرب الثالث الداخلى بالهجوم على القنسطنطينية فى سنة ١٣٢٨ بعد الميلاد انتصر فيه الامبراطور الشاب واعتزل اندرونيكوس الثانى الى دير من الديورة مات فيه فى سنة ١٣٣٢ بعد الميلاد

ولما صار اندرونيكوس الثالث امبراطورا بمفرده شرع بعد ذلك بقليل فى صد تقدم الاتراك فانهزم شر هزيمة وجرح فى هذا الحرب وكان أضحية لما حصل منه من الافراط فى مبادى شبابه ومات فى سنة ١٣٤١ بعد الميلاد فى السنة الخامسة والاربعين من عمره وترك ولدا اسمه يوحنا من زوجته الثانية الامبراطورة عانى أخت الكونت صاحب صاوى وكان صبيا عمره تسع سنوات فعين الامبراطور على حسب رغبته صديقه القديم المجرب وأحب الناس اليه يوحنا كنطاكوظينوس وصيا على ابنه ونائبا عنه فى الحكومة فساس فى مدة صغر الامبراطور المملكة ودبر أحوالها مع العقل والتؤدة والثبات ومن تدبيره وحزم رأيه أعاد جزائر لسبوس وامارة عطوليا الى المملكة مرة ثانية فوشى واحد من أعدائه فى حقه عند الامبراطور الشاب وعند أمه وحضهما على عزل كنطاكوظينوس من نيابته وأشيع أن هذا الوزير الماهر عدو للمملكة والكنيسة فمن بعد عزله قام بالسلاح ليعود الى الشوكة والسلطة وانتشب حرب داخلى استمر ست سنوات متوالية وفى سنة ١٣٤٣ بعد الميلاد استغاث كنطاكوظينوس بالاتراك فى آسيا المساعدته ورخص لهم فى الدخول فى أوروبا ومن ثم تيسر لهم الحصول على وضع قدم مستمر ثابت فى أوروبا وتجزأت من هذا الوقت المملكة الجريقية ولما ساعد الاتراك كنطاكوظينوس التزم الامبراطور الشاب على الانقياد والتسليم وعاد يوحنا كنطاكوظينوس الى القنسطنطينية مظفرا منصورا وجلس على التخت باسم يوحنا الخامس وقرر أن ابن اندرونيكوس يكون رفيقه فى المملكة ولقبه يوحنا السادس وسعى يوحنا السادس مرتين فى خلع رفيقه المهول بالقوة الجبريه فانهزم فى كل مرة سعى فيها ثم هرب أخيرا الى اللاتنيين فى جزيرة طندوس وجعلها مأوى له وأوقف يوحنا الخامس هذه المنازعات بخلعه الامبراطور الشاب وأشرك معه فى الحكومة ابنه متى وجعل خلافة التخت فى عائلته فتولد من ذلك ثورة وتعاضد يوحنا السادس بالعساكر الجنويزية وعاد الى تخت آبائه واعتزل كنطاكوظينوس

الى حظيرة من الخطائرعاش متعبدا فيها ما بقي من حياته في سنة ١٣٥٥ بعد الميلاد
وكانت سلطنة كنطا كوزطينوس مشحونة بالقلاقل والارتباكات كسلطنة سلفه وحدث في أثنائها حروب مهولة بين الجنويزيين والفنيزيين والبزانتيين من أجل احتكار تجارة المشرق وصار الامبراطور لا طاقة له على الزامهم بعقد صلح بينهم وانتشبت عدة محاربات دموية بين القوى الامبراطورية والفنيزيين وبين الجنويز فكان الجنويز هم الفائزين في هذه الوقائع وأرغموا كنطا كوزطينوس على كونه يوقع على معاهدة مهينة ربط فيها نفسه على طرد الفنيزيين من القسطنطينية والرخصة للجنويزيين رعيتهم في احتكار التجارة فلولم تكن شوكة هذه الجمهورية انكسرت بما حصل فيها من الارتباكات الداخلية لكانت القسطنطينية صارت تبعة لجنويزة واستمرت هذه القلاقل مدة من القسم الاول من سلطنة يوحنا السادس الذي عاد جلوسه على التخت الى حد سنة ١٣٩١ بعد الميلاد ثم ابتدأ نزول البلاء وتساقطت الاهوال والمصائب على المملكة وذلك ان الاتراك الذين سمح لهم يوحنا كنطا كوزطينوس بالدخول في أوروبا استحوذوا لانفسهم على مدينة أدرنه في تراسة وجعلوها عاصمة لهم وعولوا مع شدة العزم على مد مملكتهم في أوروبا الى حد بوغاز الهلسبون أو الدردانيل وصارت الغلبة على القسطنطينية قضية وقتية وعاملوا الامبراطورات الجريقية معاملة عبيد لهم وكان لا طاقة لهؤلاء الامبراطورات على مقاومة مثل هؤلاء الاشداء فالتزموا البقاء كالمتفرجين بدون مساعد لهم على خراب مملكتهم ولما اكتشف بايزيد على ثورة وقعت من ابنه في حقه حمل عينيه وكان يوحنا ابن الامبراطور الجريقي داخلا في هذه الثورة فصمم بايزيد على خلع ابنه وطلب من الامبراطور بالحدة والغضب تنفيذ مثل هذا العقاب على ابنه يوحنا أيضا فالتزم الامبراطور على الطاعة والانقياد لما صدر من بايزيد
ومات يوحنا السادس وخلفه ابنه الثاني منويل في سنة ١٣٩١ بعد الميلاد فدخل بايزيد في الحال وحضن أمر يوحنا البرنس الاعمى فترك منويل القسطنطينية وسار مسرعا الى فرنسا في البحث على مساعدته وترك الاعمى جالسا على التخت وكان بايزيد لا يخفى ما في ضميره من القصد فادعى ان القسطنطينية مدينته فلم يقبل يوحنا قوله فحاصر بايزيد القسطنطينية وأجهد أهلها بوقوع الحصار والقحط فيهم حتى صارت القسطنطينية على شرف السقوط لولا أن تداركها طلب بايزيد في نواحي آسيا للمدافعة عن ممالكه من تيمور العدو المعرور وكان أقوى شوكة من بايزيد
وتولد من انسحاب بايزيد ورفع حصاره عن القسطنطينية استمرار المملكة الجريقية لحظة من الزمن فانتهز الامبراطور منويل الفرصة في زيارته دواوين أوروبا الغربية من أجل عقد علاقات الاتحاد والارتباط في أمر المساعدة فما وجد أحدا من ملوك أوروبا دخل في شرط المساعدة له وجاء عقب موت بايزيد مشاحنات وحروب بين أولاده تولد منها منع الترك عن الاجتهاد في اتحاد قواهم على القسطنطينية ثم ان يوحنا باليولوغوس الثاني ابن منويل وخليفته وكان جلس على التخت في سنة ١٤٢٥ بعد الميلاد صرف النظر بفكره الثاقب عن العداوة والبغضاء المختصة بالديانة وكانت عداوة الديانة سببا في تقسيم العالم المسيحي مدة طويلة وطلب البابا بارياره في ايطاليا الممارسة في اصلاح المواد المتعلقة بهذه المادة فزار في سنة ١٤٣٨ بعد الميلاد مدينة فراره وكان بها مجلس مشكل يختص بالكنيسة اللاتينية وطلب البابا اوغينوس التام مجلس في مدينة فلورنسه وفي شهر يوليه من سنة ١٤٣٨ أعلن رسميا بانضمام الكنيسة الجريقية الى الكنيسة اللاتينية وكان هذا الانضمام بسعي وشغل من الامبراطور وما كان

للامة الجريقية دخل ولا اشتراك فيه ولا محبة له فكان هذا الشغل من أجل فورات الحمية وتوطيد مساعدة العالم المسيحى له فى مساعيه بخصوص بقاء تخته وحفظه من اغارات الترك وفى الايام الاخيرة من أيام المملكة حين كان الامن والراحة مستتبين عند الجريق كانت امبراطوراتهم مكدة وساعية فى عدم وقوع أدنى ارتباك يتسبب منه انفصال الكنائس الشرقية من الكنائس الغربية الآن مشروعات هذه الاعمال ما كانت على أساسات ثابتة وما تولد منها جذور وغزيرة وصمم الجريق على عدم قبولهم سلطة البابا وأما البابا نفسه فما كان عنده تقصير فى شمول الرفاهية واستتباب الامن والراحة عند اخوانه من الجريقيين واجتهد فى قيام ملوك الغرب لمساعدتهم الآن عوغينوس وجد أن الشغل الذى كان تم وكمل من مدة أربعة قرون مضت بفصاحة وبلاغة واحد من الزهاد لزم له الآن بذل القوة الباباوية وما تداخلت الانكليز ولا فرانسا ولا جرمانيا فى هذه المسئلة بل دخل فيها هنكاريا و پولنده فكان هذان يباشران حركات الاعمال النافعة لهما فى عدم وقوع خطر مستمر عليهما من اغارات الترك فأجابا (هنكاريا و پولنده) طلب البابا مع الرضا وتتوج لادسلوس بتاج المملكتين وجمعت اللوم والعساكر من الممالك الاخر بكنوز لا تحصر وغفران وعفو بواسطة نواب أرسلوا اليهما من طرف البابا فاجتمع لذلك جيش مقداره ١٠٠٠٠ نفس تحت قيادة يوحنا هونيادس أحد شجعان العسكرية فى عصره وعقدت محالفة مع سلطان كرمانيا فى آسيا وجمع أسطول من بورغندى وجنويزه وفنيزيا فنال أهل الصليب فى الابتداء بعض فوائد ومظفرات الآن جيشهم قل عدده وأخيرا هزمهم السلطان مراد الثانى شر هزيمة وقتل لادسلوس فى واقعة وارنه سنة ١٤٤٤ بعد الميلاد

وفى سنة ١٤٥١ بعد الميلاد خلف محمد الثانى أباه مراد الثانى على التخت العثمانى فمع أنه وطد للامبراطور الجريقى صداقته له الا أنه شرع فى مدة سلطنته بتحصينه بوغاز الهلسبون أى الدردانيل فتولد من ذلك هياج حرب بين المملكتين وفى فصل ربيع سنة ١٤٥٣ بعد الميلاد حاصر جيش تركى مقداره ٢٥٨٠٠٠ نفس مدينة القسطنطينية ومن بعد مضى ثلاثة وخمسين يوما من الحصار فتحت المدينة عنوة وتغلب عليها الترك وكان آخر ملوكها قسطنطين الثالث عشر ومن بعد أن دافع عن عاصمته مع الشجاعة والبسالة مات والسيف فى يده مكدا فى صد الهجوم الاخير واستعمل الترك فى هذا الحصار المدافع وكانت مرعبة فى هذا الوقت بانها من أهم التطقيمات العسكرية لاى جيش كان الا أنها ما كانت استعملت فى أعمال مهمة مثل هذه قبل وجعل محمد الثانى القسطنطينية عاصمته وعاصمة مملكته وحول كنيستها الكبرى سنت صوفيه الى مسجد جامع أطلق عليه لحد الآن اسم جامع آيه صوفيه وسنأتى على شرح ذلك جميعه مفصلا فى تاريخ الدولة العثمانية بحول الله وقوته

وبسقوط القسطنطينية انقضى نحب المملكة الشرقية وأما البلاد والاراضى التى كانت باقية للامبراطورات الجريقية فان العساكر المنصورة التركية أخذتها منهم فى الحال وعامل محمد الثانى الامة الجريقية بالوقار والاحترام وحفظ لهم حياتهم وحريتهم ورخص لهم باقامة شعائر ديانتهم وترك لهم نصف كنائس القسطنطينية على ذمتهم وتمتعوا ستين سنة فى خير واحسان من هذا التغيير

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله تاريخ ايطاليا ﴾

(فهرست الجزء الثانى من البحر الزاخر)

﴿تمت﴾

﴿ بيان الخطأ الواقع في هذا الكتاب وصوابه ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٣٥	٩	استحوذن	استحوذ
٣٥	١٠	قرو	قرون
٥٣	١٢	والخراب	والحراب
٥٤	٢	أولاده أولاده	وأولاد أولاده
٧٣	١٠	الاوليبا	الاولمباد
٨١	٢٣	استاربة	استادية
٨٢	١٦	المكة	الملكة
٩٣	١	اكروبولى	اكروبوليس
٢٠٥	٣٠	ثلثمائة	مائتان
٢٠٥	٣٣	٣٤٤	٢٤٤
٢٠٩	٣٢	بتلقيح	بتنقيح
٢١٧	٣٠	وقوعبت	وعوقبت
٢٣٥	١٥	الاما	الامة
٢٦٨	١٢	الاسندرية	الاسكندرية
٢٩٥	٢٩	وكلامن سيكوس	وكلاسيكوس
٣٠٤	٢٣	الجدو	الجدو
٣٠٤	٢٩	كذلك	كل ذلك
٣١٠	٢٢	دسمبر	دسمبر
٣٣١	١٣	العد	العدو
٣٤٦	٢٣	امبراطوارة	امبراطورة
٣٤٦	٢٧	امبراطوارا	امبراطورا
٣٥٧	٣٣	وندميته	وندعته